

DR

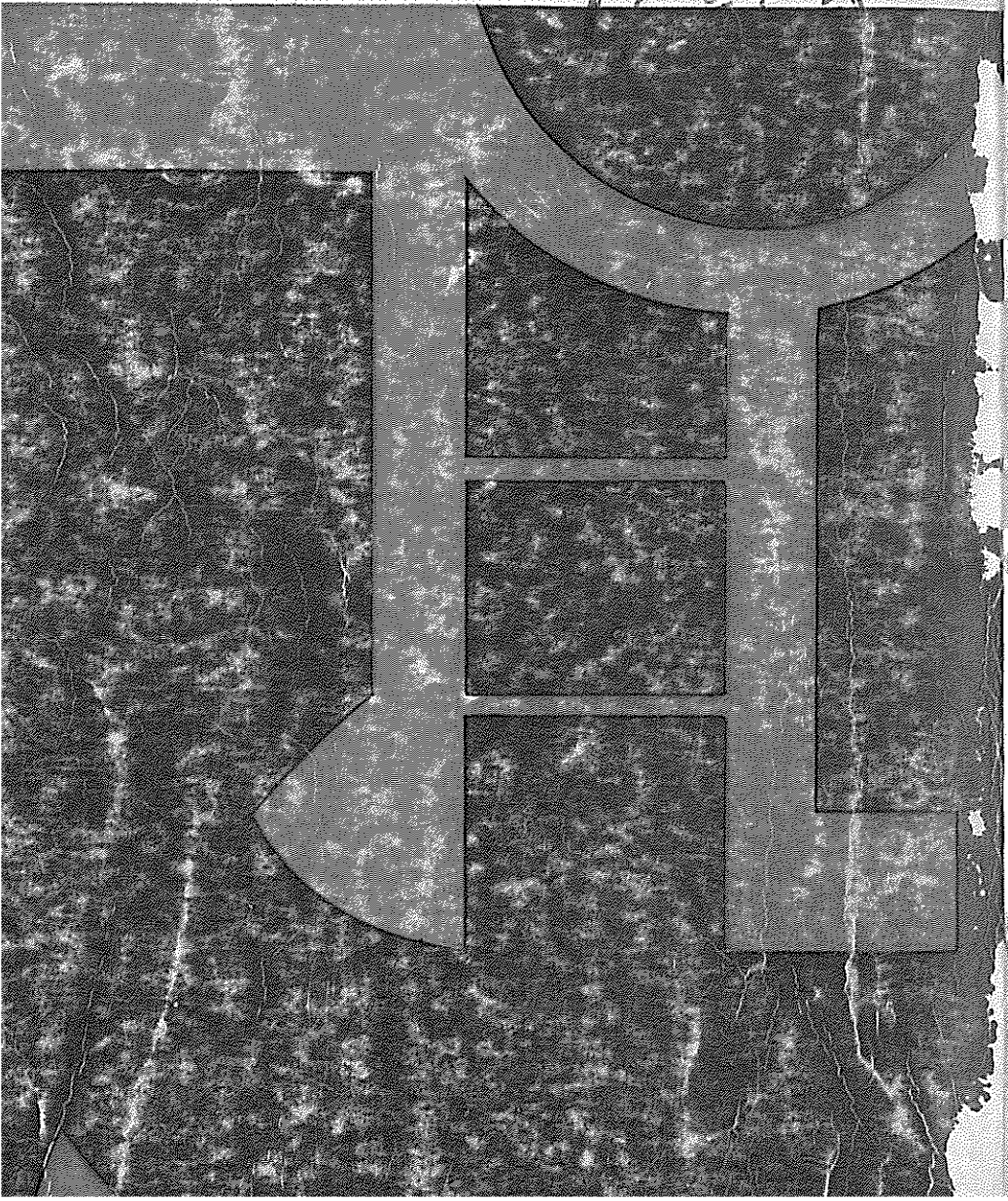
# الشؤون الفلسطينية

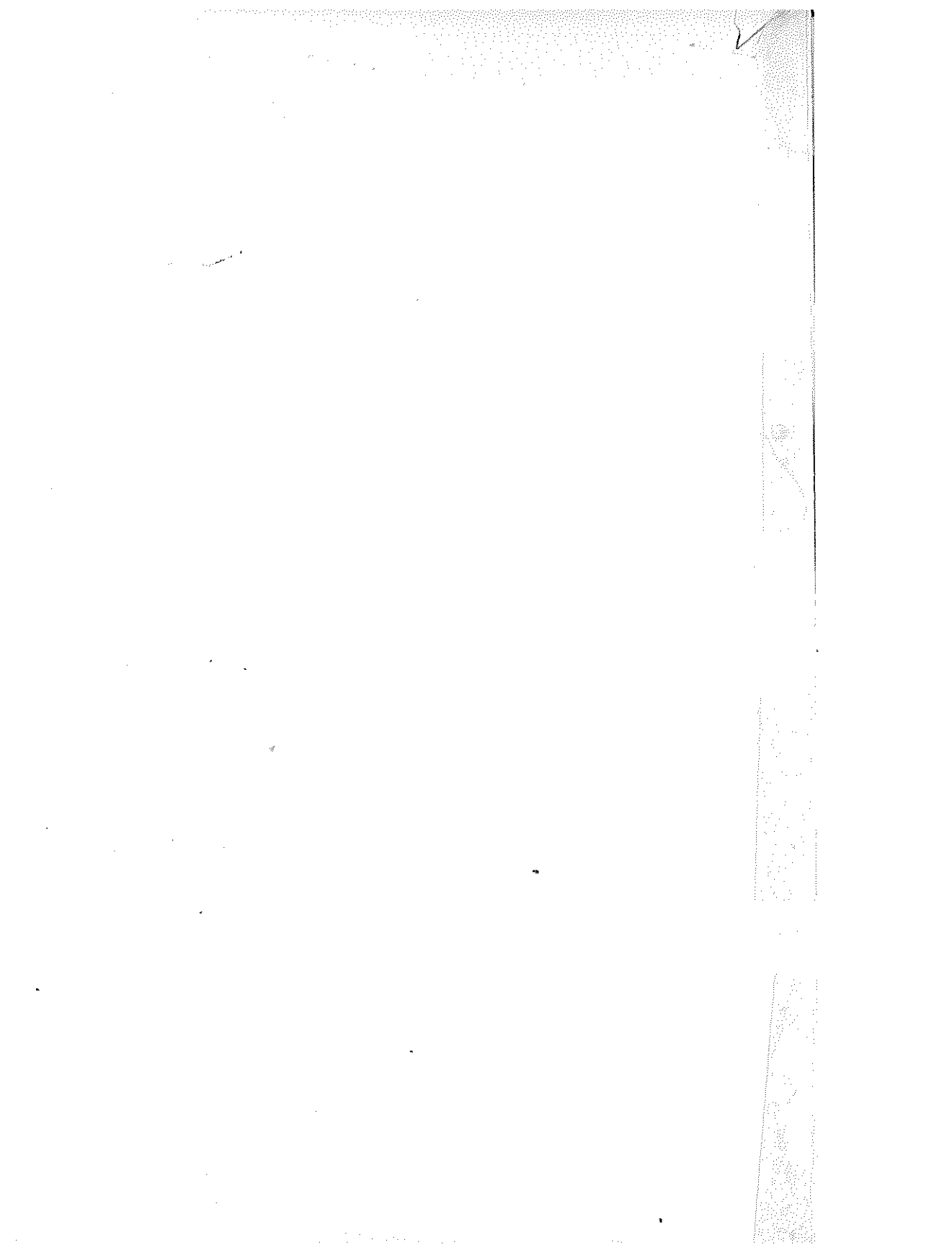
رقم

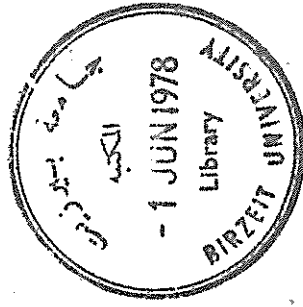
كانون الثاني (ب)



٦







# شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

كانون الثاني (يناير) ١٩٧٢

رقم ٦

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة . تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

هيئة التحرير : بلال الحسن ، احمد خليفة ، الحكم دروزه ، د. يوسف شبل ، د. نبيل شعث ، ابراهيم المسابد ، د. صنادق العظم ، ناجي علوش ، حبيب قهوجي ، د. محمد الجذوب ، عبد الحفيظ محارب .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبها ولا تعكس بالضرورة آراء المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .  
العنوان : بناية الدكتور راجي نصر شارع كولباني (متفرع من السادات) ، رأس بيروت ، بيروت - لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون ٢٩٤٥١٦ ، برقيا مرابحات ، بيروت .

( بخصوص الاشتراكات وثمان العدد )  
للسنة ١٩٧٢ ، انظر آخر صفحة من هذا العدد .

## PALESTINE AFFAIRS

Published in Arabic by the Palestine Research Center

Editor : Dr. Anis Sayegh

Address : P. O. B. 1691, Beirut, Lebanon, Tel. 294516, Cables : MARABHATH

Subscriptions : See last page.

## المحتويات

- ٤ شؤون فلسطينية ، د. انيس صايغ [ مدير عام مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ] .
- ٥ رأي : نحو مناقشة بناءة لحركة المقاومة الفلسطينية ، ن . ع .
- ١٨ اثر الاستنزاف النفسي في قرى الحدود الاسرائيلية ، عبدالحفيظ محارب [ الباحث في قسم الدراسات الاسرائيلية في م . ا . ]
- ٣١ الرد الفلسطيني للتحدي الاسرائيلي : « الاسطورة » و « الاتوبيا » و « الايديولوجية » الفلسطينية ، اوليفيه كارييه [ الباحث الفرنسي المختص بالدراسات العربية ] .
- ٤٥ ثورة ٣٦ - ١٩٣٩ في فلسطين : خلفيات وتفاصيل وتحليل ، غسان كنفاني [ رئيس تحرير مجلة الهدف ] .
- ٧٨ المقاومة الفلسطينية في الصحف البريطانية والامانية والاميركية ١٩٦٥ - ١٩٧١ ، ف. المنصور [ الباحث غير المتفرغ في م . ا . ]
- ١٠٤ المقاومة الفلسطينية والعمل الاجتماعي ، غازي خورشيد [ الباحث في م . ا . ] .
- ١٢٣ الجباية الفلسطينية : تاريخ وتحليل ، د. سعيد حمود [ الباحث في مركز التخطيط في م . ت . ف . ]
- ١٤٢ تقليدية المرأة الفلسطينية في لبنان ومشاركتها في الثورة ، باسم سرحان [ الباحث في م . ت . ف . ]
- ١٥٦ الفلسطيني الصغير : دراسة في رسوم اطفال النازحين الفلسطينيين ، هاني حوراني [ الفنان والناقد الاردني ] .
- ١٨١ ثورة الشيخ عز الدين القسام ، عادل حسن غنيم [ مدير مكتب جامعة عين شمس ] .
- ١٩٣ شهريات : (١) المقاومة الفلسطينية ، بلال الحسن [ رئيس قسم الدراسات الفلسطينية في م . ا . ] . مقتل وصفي التل : عنف ثوري وليس ارهابيا ، ب . ح . (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، ناجي علوش [ رئيس تحرير مجلة دراسات عربية ] . (٣) القضية الفلسطينية دوليا ، د. صادق جلال العظم

[ مستشار الدراسات الاسرائيلية في م. أ. ١. ] . (٤) السياسة الاسرائيلية ،  
أحمد خليفة [ مستشار الدراسات الاسرائيلية في م. أ. ١. ] . (٥) المناطق  
المحتلة ، ع. م. (٦) الاقتصاد الاسرائيلي في النصف الثاني من العام  
١٩٧١ ، د. يوسف شبل [ مستشار قسمي الدراسات الاسرائيلية  
والفلسطينية في م. أ. ١. ] .

٢٢٩ مراجعات : (١) من فلسطين ريشمسي ، فوزي كريم [ الاديب والناقد  
العراقي ] . (٢) الحرب غير المقدسة ، هاني فارس [ الباحث في م. أ. ١. ] .  
(٣) احاديث مع جنود اسرائيليين ، نبيل بدران [ الباحث في الدراسات  
الفلسطينية في م. أ. ١. ] . (٤) تزوير غاضب ، ايرين بيسون [ الصحافية  
البريطانية المراسلة في الشرق الاوسط ] . (٥) قصة فتح ، خليل هندي  
[ الدارس في جامعة مانثسستر ] . (٦) اسرائيل : سنتان مصريتان ،  
جودفري جانسن [ الصحافي والكاتب الهندي ] . (٧) التعاون الاقليمي ،  
والعلاقات الريفية المدنية في اسرائيل ، ب. س. (٨) المنظمة الاشتراكية  
الاسرائيلية : ماتسبن ، هاني العبدالله [ الباحث في الدراسات الاسرائيلية  
في م. أ. ١. ] .

٢٦٢ تقارير ورسائل : (١) مؤسسات البحث الاميركية والقضية الفلسطينية ،  
خ. ه. (٢) تقرير من غزة ، ك. ت. (٣) النشاط الصهيوني في الولايات  
المتحدة ، د. حاتم الحسيني [ الباحث الاعلامي في مكتب جامعة الدول  
العربية في واشنطن ] . (٤) الحلقة الدراسية للخدمات المكتبية والتوثيق  
والمخطوطات العربية ، ن. ب. (٥) اربعة مؤتمرات طلابية في امريكا ،  
ج. ح. (٦) الحلقة الدراسية حول العناصر المشتركة في المأثورات الشعبية  
في الوطن العربي ، ن. ب. (٧) المقاومة والمجلس الكنسي العالمي ، ح. م.  
(٨) المؤتمر العمالي العالمي للتضامن مع عمال وشعب فلسطين ، ح. م.  
(٩) رالف بانثس كما لم نعرفه ، مايكل جانسن [ مستشارة النشر الانجليزي  
في م. أ. ١. ] .

٢٨٣ حديث مع اربعة متوردين اسرائيليين ، جميل هلال [ الاستاذ في جامعة  
درم البريطانية ] .

٢٩ وثائق بريطانية حول اقتراح يهودي باقامة دولة يهودية في منطقة الخليج  
العربي اثناء الحرب العالمية الاولى ، خيرية تاسمية [ الباحثة الفلسطينية ] .  
٢٩٢ جدول بالشكاوي التي قدمها عرب الضفة الغربية المحتلة ضد تصف  
الاحتلال الاسرائيلي ١٩٦٧ - ١٩٧١ ، ع. ع.

# شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

تختتم شؤون فلسطينية ، بهذا العدد السادس ، سنتها الاولى . ويصادف صدور العدد في اليوم الاول من يناير الذكرى السابعة لانطلاقة فتح . وقد ارتأت اسرة التحرير ان تحتفي بهذه المناسبة عن طريق معالجة عدد من المواضيع ذات العلاقة المباشرة بالثورة الفلسطينية والتي لم تحظ من قبل ، على اهميتها ، بدراسات كثيرة من كتاب الثورة ومدوني سيرتها . من هنا كان اهتمامنا بتغطية عدد من الجوانب الخلفية للثورة مما لا بد وان يساعد في اعطاء صورة اوضح للثورة بشكلها العام .

لقد صدرت شؤون فلسطينية ، قبل عام ، لتسهم في دراسة الثورة الفلسطينية وفي معالجة مشاكلها وفي عرض افكارها ومناقشتها وفي تحليل الظروف التي تمر الثورة فيها ، من الجهة الواحدة ، ولتقدم ، من الجهة الاخرى ، المزيد من الدراسات عن الشعب الفلسطيني ، في ماضيه وفي حاضره ، وفي تطلعاته لمستقبل افضل ، والمزيد من المعلومات عن العدو ، ولكنها كانت ( ولا تزال ) حريصة كل الحرص ، وهي تتيح المجال امام دارسي الثورة الفلسطينية لنشر افكارهم ومناقشة آراء بعضهم بعضا ، بان لا يتحول منبرها هذا ، المهياً لان يلعب دورا أساسيا في بناء الفكر العربي المعاصر ، الى أداة قد تستغل للنيل من الثورة أو لتهديد بعض جوانبها أو زعزعة الثقة بالمبادئ الرئيسية التي تسعى الثورة نحو تحقيقها . انها بقدر الحذر الذي يجب ان نبديه عند تقرير سياسة المقال وموضوعه وصلاحيته للنشر ليصوننا من الانزلاق نحو ما قد يسيء الى الثورة بدون قصد ، يجب ان نحذر ، من الجهة الاخرى ، من الانجراف في تيار الخوف الزائد من النقد ومن النقاش ومن العرض العلني لفكر الثورة ، لان مثل هذا الخوف اذا ما استفحل واستبد بالكتاب وبالناسرين يؤدي الى نفس المنزلق الخطر المسمى بالثورة الذي يؤدي له الاستهتار بأمن الثورة . ويبقى على اسرة التحرير ، وهي ترسم مستقبل شؤون فلسطينية في علمها الثاني وتخطط لقفزات اخرى تكفل لهذه الدورية المزيد من المجالات لخدمة الثورة ، ان تراعي الدور الخطير الذي يمكن للمقال الواحد ان يلعبه مع الثورة او ضدها .

ويبقى على القارئ ، من ناحية ثانية ، ان يقرر مدى نجاح الدورية في سنتها الاولى ، ويحكم لها او عليها . ومنذ العدد الاول ونحن نطلب من القارئ ان يكون هو المرشد لنا في بحثنا عن المادة التي نشعر ان في نشرها خدمة للثورة . وسينعكس الكثير مما كتبه القراء لنا ، وما اقترحوه علينا ، في الاعداد المقبلة . وستكون الخطوة الرئيسية الاولى في السنة الثانية لدوريتنا نحو التطوير هي انها ستصبح شهرية . والقصد الاساسي من هذا التحول ( الذي يحمل ويفترض اعباء والتزامات جديدة ) هو ان يتاح لشؤون فلسطينية ان تقترب من الاحداث وهي تغطيها وتحللها وان تضاعف لقاءاتها مع القراء وتزيد من مشاركتهم بمناقشة ومحاورة مادتها . ويكون منبرها ، في التالي ، اصلح واعم فائدة .

## رأي:

### نحو مناقشة بناءة لحركة المقاومة الفلسطينية

تتناول الصحف والاقلام العربية موضوع المقاومة ، منذ ايلول ، تناول الذي يتفرج على كارثة ، الا فيما ندر . ولقد زاد هذا الاتجاه في الصحافة العربية خلال الشهرين الاخيرين . ويرى الذي يتابع ما تكتبه هذه الصحف حقيقتين بارزتين : اولاهما : ان هنالك نقصا في المعلومات عن المقاومة ، وأن ما ينشر ليس قليلا فحسب ، وضئلا فحسب ، بل هو مزور حيناً ومشوه في حين آخر . ومختلط في كثير من الاحيان . واذا كان هذا حسنا من حيث انه يدل على ان هناك نوعا من السرية ، يحفظ الاخبار والمعلومات الاساسية بالنسبة للاعداء ، فانه يخلق مشكلة للاصدقاء الذين يحكمون على الامور من خلال معلومات ناقصة او مشوهة او مشوشة . وطبيعي ان يقود هذا الى التوقع في اخطاء ، والى ايقاع الاذى بالمقاومة بدلا من افادتها . ثانيهما : ان هنالك قصورا في التحليل ، تحليل الظاهرة نفسها ، وعجزا عن ربط الظواهر بعضها ببعض واستخلاص النتائج الصحيحة من المقدمات الصحيحة . ويعود ذلك في قناعتنا الى ثلاثة عوامل اساسية :

- ١ - نقص المعلومات واختلاطها ( البند رقم ١ اعلاه ) .
- ٢ - اعتماد اساليب الدراسة العشوائية والانتقائية .
- ٣ - اتخاذ موقف مسبق ، ذاتي وعدائي من المقاومة ، يعبر اما عن التشاؤم واليأس او عن الطفولية والعجز وتقديس الشعارات والجمل الثورية او عن معاداة العمل الشعبي المسلح .

ونتيجة لما ذكرناه اعلاه ، فاننا نجد كثيرا من الاحكام الجائرة او العشوائية ، ونجد كثيرا من الذين ارادوا خدمة المقاومة قد تحولوا الى « قتل » كالدب الذي اراد ان يطير الذبابة عن وجه صاحبه فقتله .

وبما انه ليس ممكنا مناقشة كل الآراء والافكار المطروحة ، فاننا سنقدم هنا نماذج ذات دلالات . ومن النماذج التي سنقدمها مقالة سمر فرنجية المعنونة : « المقاومة الفلسطينية فشلت في تثوير المخيمات وفي استقطاب الجماهير العربية معها ضد الانظمة »\* . وتقوم الفكرة الاساسية لهذه المقالة على « ان اللاجئيين ، بصفتهم فئة مجتمعية ، كانوا القوة الاساسية والقائدة للثورة الفلسطينية » ، وهذه الفئة « خارج الزمن » ، وبما ان « المفكرين الفلسطينيين المتطرفين شبهوا اللاجئيين ، خطأ ، بالبرولتاريا ، فقد دفعوهم الى صف الطبقة النضالية ، في حين ان هؤلاء كسانوا عاجزين عن تحمل مثل هذه المسؤوليات » . « وعلى هذا الاساس فان اللاجئيين كانوا عاجزين عن ادراك ضرورة تغيير العلاقات القائمة وعاجزين عن فهم اولوية السياسة

التحرير وللارادة العربية عامة ، وهو « يضعف الاندفاعين العربي والاسلامي في تأييد قضية فلسطين » . وبلي ذلك هجوم على الماركسية .

سادسا : « ان منظمة التحرير الفلسطينية لم تقف على الحياد في المنازعات التي تقوم بين حكام الاقطار العربية ، خلافا لشعارها ومدعياتها المستمرة ، كذلك لم تقف عند وعودها بالا تتدخل في شؤون الاقطار العربية ، والا تنحاز الى فئة في الداخل ضد الفئات الاخرى » .

سابعا : اهتمت المنظمات بالعمل السياسي اكثر من اهتمامها بالعمل الفدائي نفسه . ويقدم في النهاية الملاحظات التالية :

١ - « ... وجوب الاكتفاء في هذه الايام بالفداء وحده والاستغراق فيه . دون اشراك اي امر آخر معه مهما يكن هذا الامر مهما » .

ب - « ... الابتعاد عن الفلسفات العقائدية وتجميد كل النزعات الاخرى ، حتى لا تنطلق تلك النزعات على حساب العمل الفدائي » .

ج - « ... التعايش مع حكومة الاردن ، لان الاردن هو المنطلق الرئيسي للعمل الفدائي . وهذا يقتضي تطمين الحكم واشعاره بصدق ان الفداء لا يستهدفه ، ولا يحاول النيل منه والانتقال عليه » .

د - « ان تقوم محاولة جادة لتوحيد العمل الفدائي ووضع ميثاق تبين فيه الخطوط العريضة التي هي الحدود الدنيا من الاتفاق وتحقيق هذا الغرض ولو لزم الامر الاستئناء عن بعض الاشخاص والفئات اذا لم تتقبل مثل هذه الاهداف والعبارة في الكيفية لا في الكمية » .

ه - « فرض النظام والانضباط ومعاقبة الذين يسيئون الى سمعة العمل الفدائي .. »

و - « التزام الحياد التام بين الحكام العرب والانصراف الكلي الى المهمة العظمى التي نذر الفداء لها نفسه ، وعدم التورط في منازعات داخلية فرعية مهما تكن الاسباب مثيرة لهذه المنازعات » .

وواضح من الرسالتين ان جلال السيد الذي يتغزل بحسين وبالعائلة الهاشمية ، لا يدعو الى التعايش مع النظام الاردني فحسب ، بل يطالب بان يتكيف العمل الفدائي مع متطلبات الخطة الاردنية . وتتقضي متطلبات تلك الخطة ما يلي :

١ - ان ينتهي الوجود العلني للثورة الفلسطينية ، لانه مركز استقطاب من جهة ، وتعبير عن شرعية مكتسبة من جهة اخرى .

٢ - ان تضمر القوة المسلحة والمنظمة للثورة خارج الارض المحتلة ، لان وجودها يعرقل مؤامرات التصفية والاستسلام . ولان الاثباتك معها ، يخلق للانظمة مشاكل كثيرة وكبيرة ، كما حدث للنظام الاردني .

٣ - ان تتخلص حركة المقاومة من « التسييس » ، لانه يقود الى خلق حركة شعبية جماهيرية ، منظمة وواعية ، تتصدى للمؤامرات والتآمرين .

٤ - ان تصفي حركة المقاومة نفسها من « المتسييسين » الواعين ، لتبقى حركة العناصر المتخلفة ، والجامدة والعاجزة عن فهم حركة التاريخ ومتطلباتها .

٥ - ان تحصر المقاومة هدفها بالعمل داخل الارض المحتلة ، لا لتحقيق التحرير ، بل لتكون عامل ضغط في حل استسلامي ، ولتكون قوة غير فعالة في ميدان السياسة العربية . لان الذين يكتفون بأعمال مسلحة محدودة داخل الارض المحتلة ، ويتركون انفسهم تحت رحمة هذا النظام أو ذاك ، لن يحققوا في النهاية الاهداف هذا النظام أو ذاك .

ومن أجل هذا كله يتحدثون عن الاخطاء ، ويذكرون بعض القضايا الصحيحة ، ويهاجمون العلنية لمصلحة السرية ، والتجيش لمصلحة حرب العصابات . ولكن رب كلمة حق أريد



بها باطل . فالسرية لا تكون بالتنازل عن الوجود الشرعي العلني ، وعن المواقع التي تكون قواعد ارتكاز ضرورية لتأمين الحماية والتدريب والاستقطاب والعمل داخل الأرض المحتلة . ولقد برر الانسحاب من المدن في الاردن ، بأنه تخلّ عن العلنية لمصلحة السرية . الا ان ما حدث بعد ذلك لم يكن لمصلحة شعبنا . ثم ان وجود قوات كبيرة لا يضر بالثورة ، ولا يلغي أهمية العمل السري ولا ضرورته . ومع هذا فهو يفيد ، ويجب ان يفيد في احباط الحلول الاستسلامية ، وفي تصعيد العمل في الداخل ، وعلى الحدود . اما ان يكون هذا الجيش نواة الدولة ، فهذا يعتمد على خط القيادة لا على طبيعة الجيش . فقد يكون هناك جيش عصابات سري ، وتقبل القيادات بدولة او حل استسلامي . ولا تقتضي مقاومة الدولة الفلسطينية والحلول الاستسلامية ان نحل قوانا المنظمة ونتنازل عن مكتسباتنا ، بل تقتضي الدفاع عن هذه المكتسبات وتطويرها وتطوير كل اساليب العمل اللازمة لتحقيق النصر .

وهناك قضية اخرى تستحق الانتباه وهي قضية الاكتفاء بهدف التحرير وحده والابتعاد عن الفلسفات . وتبدو هذه الدعوة حريصة على القضية الاساسية ، وحريصة على سلامة المسيرة وعدم الانجرار الى معارك جانبية . ولكن الحقيقة هي غير ذلك . صحيح ان التحرير هو القضية الاساسية التي يجب ان تناضل من اجلها كل القوى بلا تردد ولا مواربة ، ولكن التحرير قضية اساسية ، وهو ككل القضايا السياسية لا يمكن عزله عن الصراعات الايديولوجية في المجتمع ، ولا نستطيع ان نجعله فوقها . والذين يطلبون منا وضعه فوق الفلسفات والايديولوجيات يفعلون ذلك خدمة لوجهة نظر ايديولوجية تنكر على الآخرين حقهم في ان يكون لهم رأيهم المعبر عن مصالحهم . والتحرير قضية تعبئة سياسية وثورية وشعبية . وهذه التعبئة تتناقض كليا مع نظام كالنظام الاردني يكرس سلطة مطلقة لمائلة حاكمة ، ويعتبر ان بقاءها اهم من الوطن نفسه . ولذلك لا بد ان يحسم الامر ، فلا تعبئة شعبية ولا فلسفة ولا عقائد لان الفلسفة الوحيدة التي يجب ان تسود هي « الفلسفة الملكية » : استمرار التخلف والخضوع للامبريالية واستمرار العجز والقصور والتخاذل والاستسلام وتكريس سلطة عائلة ضد الشعب كله .

وهكذا تنكشف ابعاد هذه الدعوة واهدافها ، ويظهر واضحا جليا ماذا يريد امثال جلال السيد من دعواتهم المكشوفة ، انهم يريدون تصفية الثورة شعبيا وسياسيا وعسكريا لمصلحة النظام الاردني والاحتلال الصهيوني والمصالح الامبريالية في المنطقة . وما يقوله الاردن الرسمي لا يزيد عما يقوله جلال السيد ، الا من حيث الصفاقة . فالاردن حريص ، مثل جلال السيد « على نقاء العمل الفدائي من الشوائب المعطلة » وعمليات القمع الدموية في الاردن ليست الا من اجل ازالة الشوائب هذه ! . والاردن حريص على « ضرورة انصراف هذا العمل الى المهمة الوحيدة التي من اجلها يجب ان يوجد حتى اذا لم يكن موجودا » ، وهذه المهمة طبعا هي « التحرير » . ولكن عن اي « تحرير » يتحدث الاردن الرسمي ؟ عن تحرير الاردن من ارادة القتال طبعا . والاردن الرسمي يرى انه من الضروري ان يتم ذلك « بالتنسيق التام مع كافة الاطراف العربية التي تؤمن باستمرار معركتها المصرية مع العدو الاسرائيلي » (١) . والاردن الرسمي لا يرى ان ما كان في الاردن يمكن ان يسمى مقاومة . « لان المقاومة ليست موجودة الا في المناطق المحتلة » اما « ما كان موجودا في الاردن آنذاك » فيمكن « ان يسمى اي شيء الا مقاومة » (٢) .

١ - الرأي ، العدد ١١٣ - الافتتاحية ١١/١٠/١٩٧١ .

٢ - الرأي ، العدد ١٢٠ - الافتتاحية ١٩/١٠/١٩٧١ .

وهكذا يبرر الاردن الرسمي لنفسه أمرين :  
الاول : عدم الاعتراف بالمقاومة الموجودة ، وهي مقاومة موجودة ، قدمت آلاف الشهداء شرق النهر وغربه ، ودخلت معارك طاحنة ضد المحتلين الصهيونيين والعلماء الاردنيين ، وضد كل المستسلمين والمتآمرين العرب .

الثاني : تبرير مذابح الاردن ، ابتداء من ٦٨/١١/٤ وحتى اليوم ، وتبرير اعمال القمع والاضطهاد التي تمارس ضد شعبنا ومناضلينا .

وطبيعي ان يكون جلال السيد ، وكل الذين يتحدثون عن ضرورة وجود المقاومة فسي الارض المحتلة فقط ، وعن عدم الحاجة الى وجود قوة سياسية وعسكرية ثورية خارج نطاق الاحتلال ، يعملون ضمن مخطط التصفية . منطق التصفية اذن يقوم على تصفية المقاومة خارج دائرة الاحتلال لتسهيل عملية تصفيتهما في الداخل . وما حدث في الضفة الغربية وغزة بعد مجازر ايلول خير دليل . ذلك ان الجماهير العربية الراضحة تحت وطأة الاحتلال أخذت تشعر بالخيبة والمرارة والاسى ، وبدأت تحس ان الطريق مسدود ، لان المقاومة تضرب وتسحق على الارض العربية . كما ان العدو استغل فرصة المطاردة الماحقة التي قام بها النظام الاردني ضد المقاومة ، فبدأ عملية مطاردة مماثلة في الارض المحتلة . كما أن العدو استغل الفرصة لبناء تحصينات على الحدود ، لإنشاء طرق تسهل عمليات المطاردة .

وشهدت غزة عمليات وحشية ، لم ينس العدو فيها أن يذكر مقاتلينا هناك بأحداث الاردن الدامية .

ولقد انخفضت ، بعد هذا وذاك ، عمليات قوات الثورة في الداخل وعلى الحدود ، نتيجة عمليات الملاحقة والسحق . وكان ان عادت الحياة الى مستعمرات الحدود والاغوار ، وتلاوات مصابيح النيون الكهربائية في مستعمرات عاشت اكثر من عام ونصف تحت الارض .

ولقد « زاد عدد سكان بيسان منذ استتباب الهدوء في المنطقة ، نحو الف نسمة ، وبيبلغ عددهم الان نحو ١٢ الف نسمة ، وكان عدد سكان بيسان قد انخفض في ذروة التوتر الامني الى ١١ الف نسمة . ومصدر الزيادة في الاساس هو العائلات التي نزحت عن المدينة ايام التوتر ، وتعود اليها حالياً ، بمعدل عائلة يومياً » (٣) .  
والفيت القيود الامنية التي كانت مفروضة على طول طرق الشمال ، منذ سنة ونصف ، بسبب « تقلص النشاط التخريبي » في المنطقة (٤) .

وبعد عمليات التصفية في الخارج ، وتفرغ العدو الصهيوني للمقاومة في الداخل علت أصوات الانهزاميين والاستسلاميين في الداخل والخارج ، وأخذوا يطرحون شعارات التصفية والاستسلام التي تبدأ بالدولة الفلسطينية وتنتهي بالفدرالية مع الاردن . ولعله من الضروري ان نختتم هذا العرض بتقديم وجهة النظر « العربية القومية » في هذا المجال . ونحن نسميها « عربية قومية » لانها في الحقيقة كذلك ، بل لان أصحابها يرون أنفسهم وحدويين من حيث المنطلق والمرمى . ومن هؤلاء من هم وحدويون فحسب ، مثل منح الصلح ، ومنهم من هم وحدويون « ماركسيون » مثل لطف الله سليمان وياسين الحافظ والياس مرقص . وستناقش هنا « الوحدويين الماركسيين » أساساً .  
ويمكن تلخيص اطروحاتهم بما يلي :

اولاً : هناك نظريتان حول علاقة قضية فلسطين بالوحدة ، وهاتان النظريتان هما

٣ - دافار ، ١٩٧١/٨/١ ، نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، السنة الاولى العدد ١٠ ، آب ١٩٧١ ، ص ١٧٣ .

٤ - معارف ، ١٩٧١/٨/٥ ، المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

١ - الوحدة هي الطريق الى فلسطين ٢ - فلسطين هي طريق الوحدة . وليست النظرية الثانية « فلسطين هي طريق الوحدة » . . . « سوى لعبة استعمارية اريد بها ويراد بها القضاء على مصر ، وعلى مصر فقط » (٥). المقاومة هي التي تتبنى النظرية الثانية . وهذا ما يسميه ياسين الحافظ المنظور الاقليمي الذي يجعل « منظمات المقاومة تنظر الى قضية الثورة العربية من خلال مشكلة فلسطين ، في حين ان الموقف الصحيح والسليم باعتبار الغزو الصهيوني غزوا موجها ضد الامة العربية كلها . ان تنظر الى القضية الفلسطينية من خلال مصالح الثورة العربية عموما » (٦). ويضيف منح الصلح « ان تبنى الاقليمية الفلسطينية يضع الفلسطينيين على مائدة واحدة مع الانظمة » (٧).

ثانيا : هناك ايضا المنظور التاريخي للصراع العربي - الصهيوني . المقاومة لم تفهم هذا المنظور . « فالافق العام للصراع العربي - الاسرائيلي يتجه الى التفاقم ، ولا يتجه الى الركود » . وبالتالي فان موقف المقاومة من « الحل السلمي » او « الحل الاستسلامي » خطأ . وهذا الخطأ هو الذي جعل المقاومة « مشغولة فقط بمطاردة الحل السلمي حتى أصبح الحل السلمي يطاردها » . القضية في رأي ياسين الحافظ لا تصفى . و« اذا افترضنا انه حدث اتفاق ، او حدث توقيع صك جرى بموجبه الاعتراف باسرائيل . . . فان هذا الصك سوف يمزق ، واذا لم يمزق خلال ايام فخلال أشهر ، فخلال سنين بأسوأ الحالات » (٨).

ثالثا : هناك ، بالإضافة الى ما سبق ، منظور الكفاح المسلح . « والخطأ في موقف المقاومة ناجم اولا عن الاصرار على وحدانية الكفاح المسلح » وثانيا : « عدم تمييز المسائل . كفاح مسلح أين ؟ ومتى ؟ وضد من ؟ لا شك ان حزبا يستبعد العمل الثوري المسلح بصورة مسبقة ومطلقة لا يمكن ان يعتبر ثوريا بل انتهازيا . ولكن جدوى الكفاح المسلح ونجاحه انما يرتبط بظروف موضوعية وذاتية . أما فكرة الكفاح الشعبي المسلح غير النظامي كوسيلة لتحرير فلسطين ، فاني اعتقد اعتقادا جازما ان هذه الفكرة بالاساس هي فكرة اسطورية بحتة . اسطورية لسبب بسيط هو ان سكان اسرائيل مع دولة اسرائيل ، لذلك الوسيلة الوحيدة لضرب اسرائيل هو ان تواجه بقوة نظامية . وسيبني العرب القوة النظامية عندما يبنون ثورتهم » (٩).

ويبدو بوضوح ان افكار لطف الله سليمان وياسين الحافظ افكار متكاملة . كما يبدو واضحا وجليا ان هذه الافكار هي نسخة طبق الاصل عن افكار الياس مرقص (١٠) . وتستهدف هذه الافكار التي يطرحها « المنظرون القوميون المتمركسون » ما يلي :  
اولا : معارضة المقاومة الفلسطينية بالوحدة العربية واطهارها على أنها عمل « اقليمي » لا ينظر الى الوحدة العربية من خلال فلسطين فحسب ، بل يؤدي بالضرورة الى الاساءة لقضية الوحدة ، والى ايقاع الاذى بالدول التي تحمل لواءها ، مثل مصر . ويقود هذا الى نتيجة واحدة هو أن هنالك « مخرجا واحدا » . وهذا المخرج هو : « الوحدة اولا لترتب اوضاعنا ، ثم نرى ما نستطيع لفلسطين » (١١).

٥ - لطف الله سليمان : « حركة الوحدة العربية ومصر والمقاومة » ، الثقافة العربية ٧١ ، تشرين ثاني ، العدد ٦ ، السنة الخامسة عشرة ، ص ٣١-٣٢ .

٦ - المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

٧ - المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

٨ - المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

٩ - المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

١٠ - الياس مرقص : المقاومة الفلسطينية والموقف الراهن ، دار الحقيقة ، نيسان ١٩٧١ .

١١ - المرجع السابق ، ص ٣١ .

ثانيا : تبرير اي « حل سلمي » ، « حل استسلامي » بالقول ان المنظور التاريخي للصراع يسير نحو التفاتم ، وبأن اي صك يوقع اليوم يمزق غدا او بعد غد او بعد سنين ، لا تخافوا . فرنسا خسرت الالزام والتورين سنة ١٨٧١ واستعادتهما سنة ١٩١٨ ، كما يقول الياس مرقص . ويضرب الياس مرقص مثلا آخر وآخر وآخر (١٢) . نيبنت ان القبول بمعاهدة والتنازل عن جزء من الوطن لا يعني التصفية ، وان ما نخسره اليوم نستعيده في يوم من الايام . كل هذا من اجل ماذا ؟ تبرير الدعوة الى « حل استسلامي » . ياسين الحافظ يأخذ مصطلح الياس مرقص نفسه : « المنظور التاريخي للصراع » ، ويقدم الافكار عينها والمبررات عينها ، ولكنه يؤكد بشجاعة انه وهو يفعل ذلك انه لا يبرر « اي حل تصفوي » ، او اي حل فيه تراجع او مكاسب لاسرائيل ... » (١٣) فماذا تراه يفعل ؟ وعن أية تصفية يتحدث ؟ اعن التصفية بالمعنى التاريخي المحض ؟ وماذا عن التصفية السياسية ؟ هذا ما سنجيب عليه فيما بعد .

ثالثا : الرفض المطلق للكفاح الشعبي المسلح ، ومعارضة الحرب الشعبية بالحرب النظامية . وذلك من اجل اسقاط فكرة الكفاح الشعبي المسلح . وبينما يرى ياسين الحافظ ان فكرة الكفاح المسلح اسطورية ، وان التحرير لا يكون الا بقوة « نظامية » ، فان الياس مرقص ، مثل ياسين الحافظ لا يرى الحرب الشعبية اسطورة فحسب ، بل يراها خدعة (١٤) .

ولنعد الى هذه القضايا الثلاث واحدة فواحدة ، ولنحاول ان نبحث عن الخطأ والصواب في هذا « الحوار العشوائي » الذي لم يخنه المنطق العلمي محسب ، بل خانه المنطق الشكلي ايضا .

وأول هذه القضايا قضية المقاومة والوحدة العربية ، قضية فلسطين وقضية الوحدة العربية . وتحتل هذه القضية المرتبة الاولى من بين القضايا المطروحة ، لانها من صلب قضية الوحدة وتحرير فلسطين . فالوجود الصهيوني في فلسطين قام لمنع الوحدة ، وهو يلعب حاليا هذا الدور . ثم ان قضية التحرير هي قضية الجماهير العربية . واذا كان المنظرون الوجوديون المتمركسون يصرون على هذه الحقيقة ، فان المقاتلين الفلسطينيين اكثر اصرارا . وتنص المبادئ الاساسية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني ( فتح ) على « ان الشعب الفلسطيني جزء من الامة العربية وكفاحه جزء من كفاحها » . واذا كانت هنالك افكار اقليمية او ممارسات خاطئة ، او استراتيجيات غير واضحة في هذا المجال ، فهل يعني ذلك ان المقاومة الفلسطينية ضد الوحدة ، وان التحرير ، التمسك بالتحرير ، النضال من اجله ، مناقضان للوحدة ، ومعاديان لها ؟ هنا تكمن المشكلة .

ذلك ان هناك من يرى بأن الوحدة ، هي طريق التحرير . وهذا يعني ان ينام التحرير حتى نرتب أمر الوحدة أولا كما يقول لطف الله سليمان . وكان هنالك شعار خاطيء في الميدان الفلسطيني يقول : فلسطين طريق الوحدة ، اي ان النضال من اجل الوحدة يجب ان يوضع في درج حتى تتحرر فلسطين . والنظرية الاولى كالثانية سخيفة وتافهة واحادية الى درجة تجعلها لا تستحق الالتفات . ولكن خطر كل من هاتين النظريتين يفرض ضرورة مناقشتها . ومناقشة الافكار الخطرة التي تقف وراءهما .

واذا كانت النظرية الاولى تسقط مشروع تحرير فلسطين من البرنامج اليومي للثورة العربية ، فان الثانية تسقط مشروع الوحدة من برنامج النضال اليومي . وهكذا تبدو الوحدة شيئا والتحرير شيئا اخر ، وتبدو قضية الوحدة شيئا غير قضية تحرير

١٢ - الياس مرقص : المرجع السابق ، ص ٦٦-٧٢ .

١٣ - مناقشات حول الوحدة العربية ، ص ٢٢٤ .

١٤ - الياس مرقص : المرجع السابق ، ص ٥٠ .

فلسطين .

ولكن الواقع يفند هذا كله . فقضية تحرير فلسطين وقضية الوحدة قضية واحدة . والوحدة لا تتحقق بقرار ولا باستفتاء وتحرير فلسطين لا يتحقق بقرار ولا باستفتاء . ان تحقيق الوحدة يحتاج الى كفاح طويل وشاق ، ضد الرجعية والامبريالية والصهيونية . ولن تتحقق وحدة دون الصراع مع هذه القوى كلها ، ودون حروب صغيرة وكبيرة . كما أن تحرير فلسطين يحتاج الى كفاح طويل ، كفاح ضد الصهيونية ، وضد الدولة الصهيونية ، كفاح ضد الرجعية العربية وضد الامبريالية العالمية . وهو كفاح من أجل وحدة القوى العربية المقاتلة التي تحاول الرجعية العربية ودولة الاحتلال الصهيوني والامبريالية العالمية منع وحدتها .

ولان هذا الكفاح طويل ومرير وشاق ، ولانه كفاح ضد قوى كبيرة ، وذات امكانيات هائلة ، كان لا بد من أن يصبح قضية الجماهير العربية كلها . كيف ؟

عذا ما كان يجب ان يبحثه « المنظرون » الثوريون المخلصون ، الحريصون على التحرير وفلسطين والوحدة . وهذا ما لم يبحثه ياسين والياس ولطف الله سليمان الخ . ولقد اكتفى هؤلاء بأن أخذوا موقفا سلبيا وعدائيا من المقاومة ، وذهبوا الى حد اعتبارها نقيضا للوحدة والنضال الوجدوي .

ومع هذا فانهم لم يناضلوا من أجل الوحدة ، هدفهم العزيز الغالي الذي ابتذلوه ، عندما أفرغوه من محتواه النضالي .

وكانت النتيجة الطبيعية ان لا يفعلوا شيئا للوحدة او للتحرير ، وان يعملوا على عزل المقاومة الفلسطينية عربيا . لماذا ؟ لانهم ارادوا المقاومة غير ما كانت . ارادوها من مكان فجاءت من مكان اخر ، و ارادوا ان تكون لها قيادة ، فكانت قيادة اخرى ، و ارادوها ان تكون حربا نظامية فلم تكن . ولكن الثورات لا تصنعها اهواء المتقنين وأمزجة المنظرين ، ان الواقع هو الذي يصنعها . والثوري الذي لا يستطيع معرفة مكان الانفجار واتجاهه ، ولا يشارك فيه ، وفي توجيهه وتصعيده ، يبقى على رصيف التاريخ يطلق الاحكام ويعيش الاوهام .

ولقد انفجرت المقاومة الفلسطينية سنة ١٩٦٥ ، عندما كانت الحركة العربية في مرحلة جزر شديد ، وعندما فشلت برامج النضال الوجدوي مؤقتنا ، ولم تستطع الاحزاب والانظمة وحدوية وغير وحدوية ان تقنع الشعب الفلسطيني بأنها جادة في العمل من أجل معركة التحرير . وجاءت حرب حزيران فزادت المعركة تأججا والجماهير استعدادا للمشاركة ، واصبحت المقاومة الفلسطينية ظاهرة اندفاع عربي واجماع عربي شعبي ، لا يمثل الوحدة فحسب ، ولا يعبر عنها فقط ، بل يمثل الاصرار على التحرير ومحاربة الصهيونية والامبريالية ايضا .

واذا كانت المقاومة قد عجزت عن تثوير هذا المد الزاخر ، وعن تحويله الى وحدة جماهيرية حقيقية ، والى نضال من أجل الوحدة والتحرير معا ، فليس ذلك نتيجة عجزها وحدها . انها نتيجة عجز الحركة الوطنية العربية ، بكل أجنحتها ودولها وانظمتها وقلاسفها ومنظريها أساسا .

وعن هذا العجز لا يريد أن يتحدث ياسين والياس والآخرين ، لانه عجزهم ، عارهم ، فشلهم ، هروبهم . وما دامت القضية كذلك فلماذا لا يكابرون ولا يهاترون ؟ لقد عجزوا عن وعي ابعاد معركة الوحدة ومعركة التحرير ، فاخترتوا مفهومًا مبتذلا للوحدة ، وأعطوها مضمونا شكليا وضيقا وغير وحدوي بالخط بين الامكان والواقع ، وبعدم تحليل القوى السياسية ومجالات عملها تحليلا علميا .

كما أنهم عجزوا عن معرفة مكان قضية فلسطين في معركة الوحدة ، فأجلوها بجرة قلم ، وقرروا وضعها باحتقار في درج من ادراجهم المظلمة ، وطالبوا الجماهير ان تعاملها

كذلك ، بينما كانت الجماهير تموت وتقاتل وتتمزق من أجلها .  
ووقفوا بعد هذا كله ، يتكلمون بحق الاساتذة الذين لم تسمع كلمتهم ، بينما ظلت الحركة التاريخية تعيش صراعاتها وانفجاراتها .  
وإذا كان هؤلاء قد هزموا وسقطوا ، فإن طرف المعادلة الآخر : فلسطين طريق الوحدة قد سقط ايضا ، وها هي الوثائق تثبت سقوطه .  
القضية الثانية هي قضية المنظور التاريخي للصراع ، ويقوم هذا المنظور في رأي الياس وياسين وغيرهما على ان الصراع بيننا وبين العدو يتناقم ، ولذلك لا خطر من التصفية .  
وإذا ما حدثت اتفاقيات فانها ستمزق . ومع ان هذه ليست نقطة الخلاف الرئيسية فاننا سنناقشها .

وأول ما نقوله في هذا المجال هو ان التاريخ لا يحدد اتجاهه بتوقعات غير قائمة على تحليل ، ولا بشواهد مقتطفة من هنا وهناك ، والذي يسمح لنفسه بالحديث عن المنظور التاريخي للصراع لا بد من ان يدرس الظواهر والوقائع دراسة نفاذة وواعية ، وهذا ما لم يحدث .

ولكن الذي يخيفنا الان في الواقع ، ليس « التصفية التاريخية » بمعنى ان تضيق فلسطين نهائيا ، كما ان الذي يشغلنا ليس تحرير فلسطين بعد خمسين او سبعين سنة . ونحن لسنا « قديرين » لنقنع انفسنا بأن القضية لن تصفى وان البلاد ستعود يوما . لان الثوري لا يكون « قديرا » ، وفهم « المنظور التاريخي » وسيلة لتغيير الواقع ، وللصراع بعملية التغيير ، لا لترك الواقع يسير سيره المتعرج البطيء . وإذا كانت الحتمية التاريخية تؤكد ان الاشتراكية ستخلف الرأسمالية ، فلماذا لم يقلل ماركس للعمال عموما ، ولجماعات من العمال انتفضت هنا وهناك ، رويدكم ، رويدكم ، لا تتعجلوا ، ولا تخافوا ، النصر لكم في النهاية ، بعد سنة ، اثنتين ، عشر ، عشرين ، مائة ؟ ولماذا لم يقل ماركس لمناضلي كومونة باريس ، الذين دخلوا المعركة رغم تحذيره ، لا تقاتلوا ، واقبلوا بتنازلات تير ، لان الالزاس واللورين ستعود سنة ١٩١٨ ؟ ولماذا اعتبر نضالهم الفاشل بطولة ، واعتبر انتفاضهم على المهانة القومية والاستغلال الطبقي درسا خالدا ؟

نريد من الذين يتحدثون باسم ماركس ولينين ان يقرأوهما جيدا .  
ان مشروع التصفية الذي خافته المقاومة ، وحسبت له ألف حساب ، وكانت معها في تخوفها كل القوى الطليعية والمناضلة ، وكل الجماهير العربية هو مشروع التصفية الراهن ، مشروع سحق قوى المقاومة والقوى الوطنية واحلال سلام مع دولة الاحتلال .  
ولقد طاردت المقاومة مشروع « الحل الاستسلامي » ، لان هدفه الاساسي كان ، كما كشفته الاهرام وغيرها من الصحف العربية والعالمية في حينه ، سحق المقاومة .  
ولقد دفعت المقاومة والامة العربية ثمنا غاليا لمشروع الحل الاستسلامي . واهم ما دفعت زعزعة قوى المقاومة وسقوط مواقعها في الاردن ، وبدء بروز اصوات الخنوع والاستسلام .

ولعل مصر تعرف الان ، وهي ترى الاردن يتجه بخطى حثيثة نحو الصلح المنفرد ، وترى بعض الوجهاء والعملاء يطرحون حلا فلسطينيا ، أهمية ما خسرتة هي بالذات نتيجة مؤامرة سحق المقاومة . وستدرك اذا ما تجددت الاشتباكات مع قوى الاحتلال ماذا خسرت .

وهناك اعتراف رسمي بأن الولايات المتحدة مارست دورا تضليليا . ولعل من الواضح الان ان المقاومة اضطرت الى خوض المعارك الدموية ، لانها رفضت ان تقع في شرك التضليل .

ويبدو ان الذين يحاربون المقاومة بأسم مصر ، ودفاعا عنها ، ويشجبون الحرب الشعبية ، لا يعرفون ان المقاومة اقامت أوثق العلاقات مع مصر ، قبل الموافقة على

مشروع روجرز ، وان عبد الناصر نفسه كان يرى في المقاومة عملا ضروريا ولازما ، وان بعض العمليات كانت تتم بالتنسيق ما بين قيادة المقاومة وقيادة الجمهورية العربية المتحدة .

ولكن روجرز عرف كيف يلعب لعبته ، ولقد نجح مؤقتا ، وبينما نجد مصر الرسمية تكتشف التضليل الذي مارسته الولايات المتحدة ، نجد مهاجمي المقاومة باسم مصر ما زالوا مستمرين في مهاجمة المقاومة .

وهنا يريد دعاة المنظور التاريخي للصراع ان يجرونا بعيدا عن الواقع . هم يقولون لنا اقبلوا التصفية اليوم ، لا تحاربوها ، ولا تقدموا الضحايا ، لان التاريخ سيضمن لكم المستقبل .

ونحن لا نملك الا ان نقول لهؤلاء : لا بد ان نقاتل اليوم وغدا ودائما اذا اردنا ان يكون المنظور التاريخي للصراع في مصلحتنا ، ومثلنا ليس تيريل بل مقاتلو باريس الشجعان . مع ان قضيتنا ليست كالألزاس واللورين والعصر غير العصر ، وقضية اقامة دولة متقدمة ذرية على أرضنا ، ليست كقضية التنازع على مقاطعة حدود بين دولتين كبيرتين .

القضية الثالثة : قضية حرب الشعب . ويبدو ان هناك التباسا في هذه القضية . وان هناك خلطا بين حرب الشعب وحرب العصابات والذين يقعون في هذا الخلط يحتاجون الى دراسة الفناء الحرب والسياسة والماركسية في القرن العشرين . ومع ان ماو وهوشي منه وجباب لم يتركوا زيادة لمستزيد ، فانتنا سنحاول ان نوضح بعض الحقائق الهامة . وهذه الحقائق هي :

اولا : تمر حرب الشعب بمراحل اولها حرب العصابات وآخرها حرب الشعب الشاملة ، ولكن هذه العملية كلها تسمى حرب الشعب ، لانها تنطلق من الشعب وتعتمد عليه لتحقيق الاهداف . ولانها ليست حربا نظامية كلاسيكية في طابعها ، وان كانت تأخذ في آخر مراحلها شكل حرب سببه نظامية ونظامية مع احتفاظها دائما بخصائص حرب العصابات : الاعتماد على الانسان اكثر من الاعتماد على الآلة ، الاعتماد على التعبئة السياسية والمعنوية بدلا من الاعتماد على القرارات والوامر الفوقية ، الاعتماد على الجماهير الواسعة المنظمة والمشاركة في القتال ، مقابل اعتماد العدو على الاسلحة الحديثة والامكانيات المادية الوفيرة ، استخدام المفاجأة وسرعة الحركة والبسالة الخ . ثانيا : تبدأ حرب الشعب في اكثر المناطق تفجرا ، وما تلبث ان تمتد وتتسع عبر الوطن كله ، من اقصاه الى اقصاه ، عبر صراع طويل ودام تتكون فيه قوات الشعب المقاتلة . ولقد اثبت التاريخ الحديث ان الجيوش الشعبية الجبارة ، التي كانت قادرة على هزيمة المحتل ، وهزيمة الرجعية الداخلية ، جيوش بدأت عصابات ، ثم تطورت من خلال القتال . ولم تطلب من العدو ان يمهلها حتى تنمو وتتسلح وتستعد . ولعل خير الامثلة على ذلك جيش الشعب الصيني ، وجيش الشعب الفيتنامي وجيش الشعب الكوري . ولم تثبت وقائع التاريخ الحديث ان جيشا شعبيا جبارا نشأ في ظل احتلال ، او بمسألة عدو خارجي .

ثالثا : تسبب حرب الشعب قيام القوات المضادة بجمالات واسعة ، وبتدمير كبير للامكانيات الاقتصادية والقوى البشرية . ولم يكن هذا في يوم من الايام سببا يفرض على المغاورين او الجيش الشعبي ان يؤجلوا المعركة حتى يتفوقوا عدديا وتكنولوجيا . ولم يدع الفيتناميون الى وقف اطلاق النار ولا الى هدنة ، عندما بدأت اسراب الطيران الامركي تنذف فياتنام الشمالية ، مع ان القوة العسكرية « النظامية » في فياتنام الشمالية ، لا تساوي شيئا امام قوة الولايات المتحدة الامركية .

رابعا : ان معارضة الحرب الشعبية بالحرب النظامية ، تتضمن ما يلي :

أ - تسخيف فكرة الحرب الشعبية ، مع انها الحرب الوحيدة الممكنة بالنسبة للشعوب

المتخلفة في مجابهتها للامبريالية ، والمعركة مع الاحتلال الصهيوني جزء من هذه المعركة  
اشاملة مع الامبريالية .

ب - تقديس الحرب النظامية بالمعنى الكلاسيكي ، وتقديس المفهوم البرجوازي للحرب ،  
المنافس للمفهوم الثوري والماركسي . لان الحرب النظامية من وجهة النظر الماركسية  
الثورية ، غير الحرب النظامية من وجهة النظر البرجوازية .

ج - عدم ادراك معنى الحرب النظامية والشعبية في النصف الاخير من القرن العشرين ،  
وضمن اطار العلاقات الصدامية مع الامبريالية .

فما الذي يعنيه هذا كله بالنسبة لفلسطين والقضية الفلسطينية والثورة العربية ؟ انه  
يعني :

أولاً : ان « المنطقة الفلسطينية » هي منطقة تفجر ، وقد نمت فيها الان قوى مسلحة ،  
وتنظيمات شعبية ، تخوض حرباً شرسة ضد قوى الاحتلال الصهيوني ، وخاصة في  
غزة ، وضد قوى القمع العربية ممثلة بالنظام الاردني . وقد لعبت هذه القوى دوراً في  
احياء القضية الفلسطينية ، وفي تنشيط الشعب الفلسطيني ، وزيادة ثقته بنفسه ،  
وبقدرته على المساهمة في معركة التحرير . وما زالت القوى الفلسطينية تقف حائلاً في  
وجه التسويات والحلول الاستسلامية .

ثانياً : تعاني المقاومة الفلسطينية مجموعة من الصعاب والعقبات . اهمها :

أ - المشكلة الديموغرافية ، المتمثلة في نقص عدد الفلسطينيين عن عدد أعدائهم من  
جهة ، وفي خلو مناطق كاملة من سكانها الاصليين من جهة ثانية .

ب - المشكلة الذاتية ، المتمثلة بنوع القيادات وطبيعة التركيب الحالي للتنظيمات ،  
وبنوع الايديولوجيا القائدة .

ج - مشكلة علاقة القضية الفلسطينية بالانظمة العربية .

ولكل مشكلة من هذه المشاكل حلها . وحل المشكلة الديموغرافية يكسب بتعبئة قوى  
الشعب الفلسطيني تعبئة ثورية شاملة ، وباشراك الجماهير العربية في المعركة اشراكاً  
فعالاً . اما المشكلة الذاتية ، فليس لها حل غير النضال والمزيد من النضال ، والعمل  
على تجذير الخط السياسي وتعميق الخط الجماهيري . وبترسيخ الخط الثوري السليم  
وكشف الخطوط المتخاذلة والفوضوية والعنقودية والمنحرفة والانتهازية . وتبقى المشكلة  
الاخيرة : مشكلة العلاقة مع الانظمة العربية . وحلها واضح . انه الالتجاء الى الجماهير  
العربية والالتحام معها ضمن خط سياسي واضح ومرن يضمن مساهمة كل القوى  
الوطنية وتحييد اوسع قطاع من الاعداء .

ثالثاً : تجابه المقاومة الفلسطينية مشكلة حادة ، في هذه الايام ، هي مشكلة انحسار  
الحركة الوطنية العربية . وهذا الانحسار يجعل المقاومة الفلسطينية « وحيدة » ،  
تحظى بعطف الجماهير العربية او قسم منها ، وتنال بعض رضا هذا النظام او ذاك ،  
ولكنها لا تستطيع ان تجد رفقاً لها في حركة جماهيرية منظمة ، تعتبر النضال من اجل  
تحرير فلسطين قضيتها ، كما ان بناء المجتمع المتحرر والمتقدم قضيتها ايضاً . واذا كانت  
المقاومة الفلسطينية قد اثبتت عجزاً حتى الان في مجال تعبئة الجماهير العربية ، فان  
مشكلة هذا العجز كانت ستحل لو وفرت الحركات الوطنية العربية المناخ الملائم ، ولو  
استطاعت هي ان تكسر « طوق العزلة » المفروض على المقاومة الفلسطينية .

خاتمة :

ما زالت المقاومة تواجه معركتين متداخلتين : معركة التصفية الجسدية ومعركة التصفية  
السياسية والايديولوجية . وتتخذ التصفية الجسدية مظهرين :

الاول : السحق بالعنف الدموي والقمع الوحشي

الثاني : الاحتواء وتجميد القوى .

اما التصفية الفكرية والسياسية فتتخذ مظهرين ايضاً :



الاول : تسحييف المنطلقات الاساسية وتشويهها .  
 الثاني : اغراق المقاومة بالأضاليل والاشاعات المتناقضة وذلك من أجل شل ارادتها  
 وبليلة أفكارها . ولذلك نجد المقاومة تتهم اليوم ، بأنها انصرفت عن العمل العسكري  
 إلى العمل السياسي ، بينما نجدها تنتقد غداً على أنها تعتبر العمل العسكري ، أو  
 الكفاح المسلح أسلوب العمل الوحيد . ونجد قيادة المقاومة متهمة اليوم بأنها سلمت  
 للانظمة ، ونجدها غداً متهمة بأنها لم « تحسم » ، ولم تصفّ مع الانظمة !  
 وتبرز من وسط دوامة التصفية الجسدية والسياسية هذه أصوات فلسطينية وعربية  
 نكراء ، تدعو إلى الاستسلام ، وتطالب بقول نعم للحلول التصفوية (١٥) .  
 وعلى الرغم من ذلك فما زال هنالك مقاتلون مصممون على مواصلة المسيرة ، وما زال  
 نضعنا يقول لا بملء فيه وبملء قلبه .

ن . ع .

١٥ — فيصل حوراني : « مشكلة العمل الفلسطيني ، سياسة لا » . روز اليوسف ، العدد ٢٢٦٦ ،  
 تاريخ ١٩٧١/١٢/٦ .

### صدر خلال العام ١٩٧١ عن مركز الأبحاث التابع لـ م . ت . ف . في سلسلة « دراسات فلسطينية » الكتب التالية :

رقم	ل . ج .
٧٩ —	د . الياس خليل الزين ، هجرة الادمغة والهجرة المضادة من اسرائيل ( بالعربية ) ٢
٨٠ —	كميل منصور ، أوري أفيري او الصهيونية المستحدثة ( بالعربية والفرنسية ) ٢
٨١ —	يحيى عرودكي ، تجارة اسرائيل الخارجية ( بالعربية ) ٤
٨٢ —	د . علي ابراهيم عبده وخيرية قاسمية ، يهود البلاد العربية ( بالعربية ) ٤ ( بالانجليزية او الفرنسية : ٢ ل . ج . )
٨٣ —	ليلى سليم القاضي ، المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية : ماتسبن ( بالعربية ) ٢
٨٤ —	خليل ابو رجيلي ، الثروة الحيوانية في فلسطين المحتلة ( بالعربية ) ٢
٨٥ —	هددا شعبان صايغ ، التمييز ضد اليهود الشرقيين في اسرائيل ( بالعربية ) ٣
٨٦ —	سلمى س . حداد ، الطلاب في اسرائيل ( بالعربية ) ٣
٨٧ —	نجلاء نصير بشور ، تشويه التعليم العربي في فلسطين المحتلة ( بالعربية ) ٢
٨٨ —	ابراهيم العابد ، مدخل إلى الاستراتيجية الإسرائيلية ( بالعربية ) ٢
٨٩ —	انيس فايز القاسم وجورج لويس مايكل ( الثالث ) ، قانون العودة لدولة اسرائيل مع ملحق عن قضية أهرويم ضد راسك ( بالعربية ) ٣
٩٠ —	تيسير النابلسي ، حركة الهجرة اليهودية بعد عدوان ١٩٦٧ ( بالعربية ) ٣

## اثر الاستنزاف النفسي في قرى الحدود الاسرائيلية

عبد الحفيظ محارب

كانت منطقة وادي بيسان المتاخمة للحدود الاردنية ، والمنطقة الشمالية من فلسطين المحتلة المتاخمة للحدود اللبنانية ، من أكثر المناطق تعرضا للعمل الفدائي الفلسطيني . ومع أن ساعد الثورة الفلسطينية كان قد امتد في الفترة السابقة الى كافة المناطق في اسرائيل ، إلا أن تأثيره كان أقوى وأشد في هاتين المنطقتين ، ولذا فقد اقتصرنا الحديث حول مدى الاستنزاف النفسي الذي أحدثته المقاومة الفلسطينية في صفوف العدو وما تآتى على هذا الاستنزاف من آثار سلبية ، على مستوطنات وادي بيسان والمنطقة الشمالية .

وقبل التطرق الى الآثار النفسية التي أحدثتها المقاومة بين صفوف سكان مستوطنات الحدود ، لا بد من الوقوف قليلا على طبيعة وظروف هؤلاء المستوطنين ، وعلى صورة المقاتل الفلسطيني في نظر الاسرائيليين عامة .

تقسم مستوطنات الحدود الى ثلاثة أنماط رئيسية : (١) مستوطنات الموشاف (٢) مدن التطوير (٣) مستوطنات الكيبوتس . ويقوم النمط الأول من المستوطنات على ادارة المستوطنة نعاونيا ، حيث يمتلك كل عضو فيها قطعة ارض ويقوم بزراعتها والاعتناء بها بمساعدة الجمعية التعاونية التابعة للمستوطنة التي تمده بكل ما يحتاج اليه من بذور وسماد وحرثا كما تقوم بتصدير المنتوجات الزراعية ، وتقدم للمستوطن الارياح الصافية نقدا بعد اجراء حسم على التكاليف التي قدمتها له ، أما النمط الثاني من هذه المستوطنات فهو « مدن التطوير » وتوجد في هاتين المنطقتين اثنتان منها فقط هما بيسان وكريات شمونا ( الخالصة ) . وتعتبر « مدينة التطوير » اقرب الى القرية الكبيرة منها الى المدينة إذ يبلغ سكان بيسان حوالي ١٢ الف نسمة بينما يصل تعداد سكان كريات شمونا الى ١٧ الف نسمة . ويوجد في اسرائيل عدد من مدن التطوير شيدت في المناطق النائية او بالقرب من الحدود . وتقوم الحكومة الاسرائيلية مع الجهات المسؤولة عن الاستيطان في الوكالة اليهودية بتقديم المعونات الاقتصادية لهذه المدن من أجل توجيه قسم من المهاجرين الجدد اليها الى أن تصبح مدينة تعتمد على نفسها . ولا يعتمد سكان هذا النمط من المستوطنات على العمل التعاوني او الجماعي . أما فيما يتعلق بمستوطنات الكيبوتس فانها تعتمد على الملكية الجماعية ولا يوجد فيها أثر للملكية الخاصة .

تحتل الموشافات مكان الصدارة في قرى الحدود وتليها الكيبوتسات ومن ثم مدن التطوير . ومن الجدير بالذكر ان الاكثية الساحقة من سكان قرى الحدود وخاصة الموشافات ومدن التطوير النائية هم من أبناء الطوائف الشرقية ، أما الكيبوتسات فان اكثرية اعضائها من أبناء الطوائف الغربية ( الاشكناز ) . وهناك بون شاسع بين معدل دخل الفرد في قرى الحدود ( باستثناء سكان الكيبوتسات ) وبين المعدل العام لدخل الفرد في اسرائيل ، كما أنه يعتبر ادنى من معدل دخل الفرد لابناء الطوائف الشرقية الذين يسكنون داخل البلاد ! ففي هذه القرى لا زالت هنالك ظاهرة « الاولاد الحفاة » وظاهرة اولئك الذين

يكتفون بتناول « الخبز والبصل » في بلد السمن والعسل !! وقد كان للمقاومة الفلسطينية ونشاطها فضل كبير في كشف عيوب المجتمع الاسرائيلي القائم على التمييز الطائفي والعرقى بين الطوائف اليهودية المختلفة الاجناس . وهذا امر لا ينكره حتى الكتاب الاسرائيليون الذين اخذوا مع اشتداد ساعد المقاومة يتحدثون عن « اهمال الحكومة لسكان قرى الحدود » وعن « الفقر المتقشي في قرى الحدود » . وليس ابلغ من وصف الحالة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لهذه القرى ما جاء على لسان وزير الشرطة شلومو هليل على اثر زيارة له لقرى الحدود الشمالية : « ان هذا لعار في جبين الدولة » (١) .

ولعل من المفيد هنا ان نقارن بين قرى الحدود في منطقة وادي بيسان وقرى الحدود في المنطقة الشمالية ، ففي المنطقة الشمالية تنتسج دائرة ظاهرة الفقر بشكل اكثر من قرى بيسان بسبب قلة الاراضي الزراعية ، ولذا فان تاثر هذه القرى الناجم عن اعمال المقاومة اشد منه في قرى وادي بيسان ، اما منطقة وادي بيسان فانها تمتاز عن المنطقة الشمالية بمناخها الحار حيث تصل درجة الحرارة الى ٤٢ درجة مئوية في الظل ، ولذا فان تبرم سكان هذه المنطقة من اوضاع الملاجىء التي اخذوا يقضون معظم وقتهم داخلها بفضل نشاط المقاومة ، كان اشد بسبب الحرارة التي تكاد لا تطاق هناك ، فكثيرا ما كان يغمى على الاطفال في ملاجىء قرى بيسان بسبب الحرارة الشديدة ولافتقار الملاجىء الى مستلزماتها الاساسية .

وفيما يتعلق بصورة المقاتل الفلسطيني في نظر الاسرائيليين ، يمكن القول انه بالرغم من اسباب وسائل الاعلام الاسرائيلية الى درجة الاسفاف في وصف المقاتل الفلسطيني بنوعت بعيدة كل البعد عن الحقيقة ، الا ان الصورة الحقيقية يمكن العثور عليها في بعض الكتب الاسرائيلية التي تتحدث حول حرب حزيران وفي اقوال بعض الجنود الاسرائيليين . فقد ورد في كتاب من « جبل الشيخ حتى قنال السويس » في الفصل الذي يتطرق الى احتلال القطاع « ان قصة احتلال القطاع وتحرير غزة قصة ممزوجة بالدم ، قصة شعب معاد يرفض الاستسلام ، قصة جنود فلسطينيين دافعوا وماتوا ببطولة وعناد » (٢) . كما وورد الكتاب اعترافا للمقدم « يهودا » الذي شارك في احتلال القطاع بقوله : « ينبغي عدم الاستخفاف بهم ، لا قبل المعركة ولا بعدها . لقد قاتلت الوحدات الفلسطينية بشكل يثير الاحترام ، فكل جبهة اخترقت كانت تغلق بسرعة وتبث فيها اللغام ، ويقومون بالدفاع عنها بشكل لا يقل عنه قبل عملية الاختراق . هكذا كان الوضع في المواقع ، وفي المدن ، وفي كل مكان قاتلوا فيه . لم يلقوا سلاحهم ، ولم يتوقفوا عن القتال الى ان ابيدوا تماما » (٣) . ومن الجدير بالذكر ان هذا الكتاب كان قد احتوى في طبعته الاولى على وصف ابلغ لروح المقاومة مثل « لقد قاتل الفلسطينيون في القطاع فوق ما يتصوره العقل » ومثل وصف المواقع التي كانت ترابط بها الوحدات الفلسطينية بـ « قلاع الموت » غير ان هذه الاوصاف قد امتدت اليها يد الرقابة العسكرية في الطبعات التالية على اثر اشتداد ساعد المقاومة الفلسطينية بعد حرب حزيران .

لم تكن صورة المقاوم الفلسطيني بعد حرب حزيران اقل من صورة المقاتل الفلسطيني في معركة احتلال غزة لدى قسم من الجنود الاسرائيليين الذين كانوا يصطدمون يوميا بالوحدات الفدائية في غور الاردن وسهل بيسان . ففي اعقاب معركة مواجهة عنيفة وقعت في وضح النهار في النصف الاخير من شهر تموز ١٩٦٨ بين مجموعة فدائية ووحدة اسرائيلية اسفرت عن مقتل العقيد ( مظلي ) « اريه ريجف » والمقدم « جات مانيل » ذكرت صحيفة معاريف على لسان احد الجنود : « انهم كانوا يقاتلون كالاسود . . . انهم مثلنا » .

وقبل خوض موضوع اثر الاستنزاف النفسي في قرى الحدود لا بد من الاشارة الى عامل الخوف الذي زرعه المقاومة الفلسطينية بين صفوف الجنود الاسرائيليين من جراء

انخاذها اسلوب المبادرة في توجيه الضربات ، وهو اسلوب يكسب من ينتهجه الجراة فضلا عن انه يمنحه عنصر المباغته ، في الوقت الذي يجعل الطرف الاخر يتحسب ويتخوف في كل مكان وزمان من الضربة المحتملة التي ستوجه اليه ويجعله اسير الخوف من تلك الضربة . ومن المعروف ان الجيش الاسرائيلي كان يعتمد قبل ظهور المقاومة الفلسطينية واشتداد ساعدها ، اعتمادا كليا في مواجهته للدول العربية على هذا الاسلوب ، في الوقت الذي وقف فيه الجانب العربي موقف الزاهد تجاه تبنيه او الاخذ به ، الى ان جاءت المقاومة الفلسطينية وسلبت الجيش الاسرائيلي هذا الاسلوب وجعلت كثيرا من الجنود يعيشون لأول مرة ضمن دائرة الخوف . يقول أحد الجنود الاسرائيليين : « بعد الحرب كنت اخدم في الشمال ، انقل الطعام الى المواقع ، خفت من رجال فتح ، انني لا اعرف لماذا ، ولكن اعتراني شعور بأن شيئا ما سيحدث هنا ، وسلبني هذا الشعور راحتي . ذات مرة كان هذا التخوف في محله ، ولكنني نجوت . هوجمت بالفتنابل اليدوية عندما كنت منطلقا بسيارتي بالقرب من الحمة ، اصيب زميل لي بجراح بليفة واصيب آخر بجراح بليفة ، كما واصيبت فتاتان بجراح . . . بعد ذلك أخذت افكر بأن الاصابة كانت لي وليس لزميلي مما جعلني اعيش باحساس سيئة ، لدرجة ان كل زملائي اوضحوا لي بأنني لست مذنبا . . . وقد ذهبت الى الكنيس واشعلت هناك شموعا بمناسبة نجاتي . . . لقد كنا مرات عديدة تحت نيران العرب ونجونا منها » (٤) .

اما معارك المواجهة التي يبادر الفدائيون القيام بها فانها تحدث عادة خلخلة نفسية عميقة لدى الكثيرين بين صفوف الطرف الاخر بفعل عنصر المباغته . يصف جندي اسرائيلي جرح في معركة مواجهة الدقائق الرهيبية التي مرت عليه بقوله : « . . نعم تلك الدقائق القليلة من المعركة القصيرة العنيفة غيرتني تماما . كأنني كبرت ثلاثين او اربعين عاما . لقد كان ذلك فظيحا . . انتصب امامي على بعد خمسة امتار وصوب الكلاشنكوف نحوي . رأيت الموت ماثلا امامي واعتقدت ان هذه هي الثواني الاخيرة من حياتي . . . يا الهي كم خفت ! ان ذلك الامر فظيع ، انك لا تجتاز امرا كهذا في التدريبات ، انك لست على استعداد لذلك ، وعندما يحدث هذا الامر يجبر وراه اضطرابا نفسيا » (٥) .

كان تأثير هجمات المقاومة واضحا ولموسا في منطقة وادي بيسان والمنطقة الشمالية ، اكثر من المناطق الاخرى ، فقد قلصت هذه الهجمات دائرة تنقل سكان المستوطنات وجعلتها تقتصر فقط على حدود القرية خلال النهار . اما خلال الليل فانها تقتل بشكل حاد لتقتصر فقط على البيوت والملاجيء ، الامر الذي اثر تأثيرا كبيرا على المحاصيل الزراعية التي تعتبر المصدر الاساسي لمعيشتهم . ففي مستوطنة المطلة مثلا اعتسرى السكان شعور بأنهم مطوقون من معظم الجهات ووجدوا أنفسهم مرغبين على عدم تجاوز حدود قريتهم وقد أوضح يوسف فرنكل رئيس المجلس المحلي للمطلة سبب ذلك بقوله : « عندما لا تعلم متى وأين تنفجر القذيفة ، وفي أية ساعة من الليل او النهار يكتشف الحراس عملية توغل ، وتحت أي بيت وضعت مواد متفجرة ، فانك تجد نفسك عاجزا عن الخروج من حدود المستوطنة » (٦) . ولا يقتصر الحد من حرية التنقل على قرية المطلة بل يشمل سائر مستوطنات الشمال ووادي بيسان وحتى بعض مستوطنات النقب المتاخمة لقطاع غزة ، ففي مستوطنات وادي بيسان عانت الزراعة من تخلف مزمن ولحقت بها اضرار جسيمة ذلك «لانه ليس كل واحد بطلا وعلى استعداد لقتل البنادورة على ضفة الاردن ، في الوقت الذي يطلقون فيه النار » كما وغدت ظاهرة « الهروب » من العمل في الحقول ظاهرة طبيعية هناك ، وفي مستوطنة « مبتيحييم » التي تبعد عن غزة حوالي ١٥ كم تعرضت الزراعة ايضا لاضرار على اثر قيام الفدائيين بزرع لغم أدى الى مقتل عدد من الاشخاص ، الامر الذي جعل سكان المستوطنة الذين كانوا يسقون حقولهم خلال الليل بسبب الضغط المنخفض في الانابيب خلال النهار ، لا يتجرأون

على الخروج الى مزارعهم لانهم « أصبحوا اسرى الخوف ويفضلون البقاء في البيوت ». وبالإضافة الى عامل الحد من حرية الحركة الناجم عن الخوف الذي زرعه المقاومة في نفوس المستوطنين ، هنالك عامل الانهك الجسماني الذي أثار بدوره على قدرة المستوطنين على العمل في المزارع خلال فترات الهدوء المتقطعة ، الناجم عن القلق الذي اخذ يستبد بهم ، والخوف على ارواحهم ، ذلك انه غدا من الصعب الاستسلام للنوم في الوقت الذي تحوم فيه خلال الليل علامة سؤال كبيرة « هل يسمحون لنا ان ننام أم لا ؟ هل يقصفوننا هذه الليلة ايضا ؟ من أين ستأتي القذائف ؟ في أي مكان ستسقط ؟ دور من هذه الليلة ليدفع ثمن الحرب المستمرة ؟ » (٧). وقد أدت علامة السؤال الكبيرة التي اخذت باستمرار ولدة طويلة تلف ليالي المستوطنات ، الى « هبوط في طاقة القوى البشرية » ويصف يهودا يتسحاق من مستوطنة « يردينا » هذا الوضع بقوله : « منذ أن أصبحنا في حدود الجبهة هدفاً للاردنيين والفدائيين ، غدت معيشتنا اصعب بكثير لاسباب عدة ، انني أشعر خلال عام بآثني كبرت عشرين عاماً ، انك لا تنام في الليل وهذا ينهك في النهار ، لقد كان باستطاعتي ذات مرة قبل عام أو عامين ان أحمل على ظهري جهاز المبيدات الحشرية وان انتقل به في المزرعة طيلة خمس ساعات ، ولكن الان بعد ساعة أو ساعة ونصف من عمله أشعر بأن قدمي لا تستطيعان حملي ، وكأني غدوت نصف رجل » (٨).

هذا بالإضافة الى أن الجهد الحربي قد عمل هو الآخر ، بسبب الأوضاع الامنية المتردية في قرى الحدود على تدهور الأوضاع الزراعية ، فقد امتص الجهد الحربي عدداً كبيراً من شباب المستوطنات ورجالها بواسطة تجنيدهم في الجيش أو بواسطة أوامر الالتحاق « الكثيرة » من أجل الخدمة في سلك الاحتياط ، مما ترتب على ذلك خلق صعوبات جمة أمام الاعتناء بالشؤون الزراعية ، حيث أصبحت مهمة الاعتناء بالمزارع ملقاة على كاهل « الآباء المسنين واولاد القرى » . وبذلك وجدت إسرائيل نفسها أمام تناقض كبير بين متطلبات الجهد الحربي لدولة تعيش في حالة حرب وبين متطلبات المعيشة لقرى الحدود في الوقت الذي يوجد فيه الجيل الشاب وهو العمود الفقري للقوى العاملة ، خارج هذه القرى . بمعنى آخر وجدت نفسها أمام معادلة صعبة : كيف توفق بين الاستمرار في المحافظة على الاعتناء بالشؤون الزراعية لهذه المستوطنات في الوقت الذي تستدعي فيه شباب المستوطنات للانضمام تحت علم الخدمة في الجيش ؟ وقد رأت ان خير وسيلة للخروج من هذه المعادلة الصعبة ، اللجوء الى دعوة السكان في إسرائيل للتطوع للعمل في قرى الحدود ، الا ان هذه الدعوة لم تعط الثمار المرجوة منها لسببين (١) ضالة عدد أذنين استجابوا لها من داخل إسرائيل بسبب الأوضاع الامنية المتردية في المستوطنات (٢) عدم دراية قسم كبير من المتطوعين بالشؤون الزراعية ، الامر الذي دفع السلطات الاسرائيلية الى تقديم مساعدات مادية لسكان هذه القرى ، غير ان هؤلاء السكان اخذوا يذمرون من ضالة حجم المساعدات ومن ضالة عدد المتطوعين .

هنالك عامل آخر أثر على دخل قرى الحدود بنفس المقدار الذي أثر فيه على نفسية ومعنويات سكانها ، فالمنطقة الشمالية تعتبر بمثابة مصيف يؤمها الزوار من كافة المناطق في إسرائيل خلال فصل الصيف ، كما وان منطقة وادي بيسان تعتبر بمثابة مشفى يؤمها الزوار خلال فصل الشتاء ، غير ان هذا المصيف وذاك المشفى أصبحا بمثابة منطقة شبه محرمة على الزوار منذ تصاعد نشاط المقاومة في هاتين المنطقتين ، حيث غدت فنادق الاستقبال التي كانت تعج بالزوار والسياح لا تستقبل أحداً الا بالصدفة ولوقت قصير ، فقد حدث ان قدم أحد المصطافين بسيارته الى فندق المطلة ، وهذا امر نادر الوقوع كما تقول صاحبة الفندق ، وبعد ساعة من قدومه ، دوت في المنطقة اصوات انفجارات ، فما كان منه الا ان ركب سيارته واختفى بسرعة عن المنطقة ! وقد أدى احجام السكان في إسرائيل عن زيارة مستوطنات الحدود الى انخفاض حاد في دخل المستوطنات من

السياحة ، والى هبوط حاد أيضا في نفسية ومعنوية سكانها ، حيث أخذوا يتذمرون من « لا ميالة سكان الداخل » تجاههم ، ويحتجون على الأوضاع العمامة بقولهم ان مستوطناتهم غدت مكانا لاستقبال الصحفيين بدل ان تكون مكانا لاستقبال الزوار والسياح .

وقد كان من نتيجة مجمل الاوضاع الامنية المتردية ان غدا سكان مستوطنات الحدود متزمطين تجاه الاحتفال بالمناسبات الشخصية والدينية والوطنية ، ففي بلدة كريات شمونة مثلا ، اصبح الاحتفال بمراسيم الزواج أمرا نادر الحدوث ، كما وان سكان البلدة لم يخرجوا كعادتهم الى الشوارع في يوم « استقلال اسرائيل » الثاني والعشرين للاحتفال بهذه المناسبة ، فقد « خلت الشوارع خوفا من الكاثيوشا ولزم السكان بيوتهم ، ونزلوا الى الملاجئ ليناموا بداخلها ، ولم يخرج اي واحد الى الشوارع للاحتفال بيوم الاستقلال الثاني والعشرين » (٩) .

وتجدر الاشارة هنا الى ان الاوضاع الاقتصادية والامنية المتردية قد انعكست على سكان مستوطنات الموشافات والقرى بشكل اشد واقوى منها على سكان الكيبوتسات ، ففي الكيبوتس تتوفر ملاجئ لائقة مجهزة بكافة المعدات التي يتطلبها الملجأ ، من اجهزة تكيف للهواء ، وكهرباء وآثاث وصور وكتب وماء وطعام واسعافات اولية ، في الوقت الذي تنعدم فيه مثل هذه الامور الاساسية في ملاجئ الموشافات والقرى ، التي تتميز « بالاحتفاظ الشديد والروائح الكريهة » و« الحياة التي لا تطاق » ، مما خلق نوعا من « الغيرة » المزوجة بالتذمر بين سكان الموشافات وسكان الكيبوتسات ، التي أخذت بالاشتداد في اعقاب حرب حزيران مع اشتداد ساعد العمل الفدائي ، حيث بدأ سكان المستوطنات يقارنون بين ظروفهم السيئة وبين ظروف الكيبوتس الحسنة مع ان مصر الطرفين واحد . « نحن وهم نواجه مصيرا مشتركا ، ولكن ظروفهم أفضل ، فباستطاعتهم انزال اولادهم داخل الملاجئ كل مساء ، حتى دون ان يكون هنالك قصف . ان اولادهم ينامون داخل الملاجئ المجهزة بكافة المستلزمات » (١٠) .

لا تقتصر الظروف الحسنة التي يتمتع بها ابناء الكيبوتس على الملاجئ اللائقة فقط ، بل تشمل ايضا القيام برحلات دورية للاطفال والاولاد داخل اسرائيل لتغيير جو الملاجئ ، وتخفيف حدة التوتر النفسي الذي تخلقه الاوضاع الامنية المتردية في الوقت الذي تكاد تنعدم فيه مثل هذه الرحلات لدى ابناء الموشافات والقرى .

هذا فضلا عن تمتع ابناء الكيبوتس في تلقي « المعالجة الخاصة » التي استحدثت في كيبوتسات الحدود مع ظهور المقاومة الفلسطينية ، بفرض دراسة ومعالجة الحالات النفسية الناجمة عن تردي الاوضاع الامنية ، حيث « أصبحت الحاجة ماسة الى المعالجة الخاصة في اعقاب تعرض المستوطنات للقصف » . ويقوم بهذه « المعالجة الخاصة » خبراء في علم النفس ، استقدمتهم حركة الكيبوتسات من المدن لمعالجة المشاكل النفسية لسكان الكيبوتس « بفرض التخفيف عنهم وابداء حلول لمشاكلهم » (١١) .

غير ان العامل الاهم الذي جعل مستوطني الكيبوتسات لا يتعرضون للمشاكل الاقتصادية والامنية المتردية ، بنفس المقدار الذي تعرض له مستوطنو الموشافات والقرى يكمن في طبيعة نظام الكيبوتس المغايرة لطبيعة القرى الزراعية الاخرى ، ففي الكيبوتس ، حيث المعيشة الجماعية والمساعدات من حركة الكيبوتسات في حالة تعرض اي كيبوتس لازمة اقتصادية ، لا يتحمل العضو اعباء التفكير في معيشة عائلته واولاده ، على خلاف المزارعين في الموشافات والقرى الزراعية . يقول يهودا يتسحاق من موشاف « يردينا » : « ان الارهاق اخذ يلغني اكثر من اي وقت مضى ، حتى اصبحت اخاف منه ، لانني ادرك انه اذا ما قمت هنا للعمل بنفسك كمزارع مستقل فلن يساعدك احد . لا يوجد لدينا صندوق للمساعدة المتبادلة ، اننا لا نعيش في كيبوتس . انني لا استطيع الذهاب الى الموشاف لاقول : انظروا لدي عشرة اولاد اكبرهم ابن خمسة عشر عاما واصغره ابن

عائنين لا يستطيع اعانتهم ، ساعدوني . لا يوجد شيء كهذا . ان كل واحد منا مجبر على ان يكون مسؤولاً ، ولا يوجد هناك من يتقاسم المسؤولية » (١٢) .  
ويمكن تلخيص ما تقدم ان سكان الموشافات والقرى قد تأثروا نتيجة النشاط الفدائي من عاملين ، العامل الاقتصادي والعامل الامني ، بينما كان تأثر سكان الكيبوتسات أقرب الى العامل الامني منه الى العامل الاقتصادي .

تركزت هجمات المقاومة الفلسطينية بصماتها على كافة المجالات الحياتية والنفسية في ترمى الحدود ، حيث غدا مستوطنو هذه القرى يتواجدون باستمرار وطيلة حوالي ثلاثة اعوام تحت وفوق الارض ، وتزداد نسبة التواجد داخل الملاجئ الارضية ، مع حلول الظلام وتساعد العمليات الفدائية ، وتقل عادة في النهار وخلال فترات الهدوء ، ولكن هنالك فئة تقضي معظم وقتها ، اكثر من سائر الفئات الاخرى ، داخل الملاجئ الا وهي فئة الاطفال والتلاميذ .

هنالك ظواهر سلبية تكشفت في مستوطنات الحدود مع ظهور المقاومة ، مثل التبرم والاعياء والانهك والتوتر النفسي ، على ان ظاهرة الخوف و « الخوف من الخوف » تفوق كافة الظواهر السلبية التي نجمت اصلا عن ظاهرة الخوف .

تبدو مظاهر الخوف على ملامح السكان ، وخاصة الاطفال وتلاميذ المدارس مع غروب الشمس . « فعندما يأتي المساء » كما يقول يهودا اطلس صبي من سكان بلدة بيسان « يأتي الخوف . اننا لا نخاف في النهار مثل الليل ، عندما نسمع اصوات الانفجارات خلال النهار نفكر قبل كل شيء ، انه ربما تكون ناجمة عن قصف جوي ، واذا كانت اصوات قذائفهم فاننا نهرع الى ملجأ المدرسة ، والضاحية . ذات مرة ركضنا نحو ملجأ المدرسة غير اننا لم نستطع دخوله بسبب امتلائه بالمياه القذرة التي تسربت اليه ، حينذاك هبطت القذائف ولم ندر ماذا نفعل هل نقفز داخل المياه القذرة اولا ؟ وعند ذاك قدمت بعض المعلمات ونقلتنا الى ملجأ آخر . . . ولكن خلال الليل فانتى أخاف كثيرا . . . في الحقيقة لا يستطيع النوم ، فعيناي تبقيان مفتوحتين ، وفي الوقت الذي أحاول فيه أن أغمضهما فانهما تعودان وتفتحان بسبب خوفاي من القذائف . في بعض الاحيان نبقي مستلقين حتى منتصف الليل دون ان يغمض لنا طرف عين . اننا نتعب من ذلك ، ولا توجد لدينا القوة لنهوض ولا الرغبة في الذهاب الى المدرسة » (١٣) .

ويؤدي مجيء الليل وما يحمله من خوف مشفوع بتساؤلات كثيرة ، الى ترك العائلات التي تعيش في اطراف البلدة او المستوطنة بيوتها والالتجاء عند الاقارب داخل البلدة ، وفي بعض الاحيان يؤدي الى تفكك الاسرة . يقول يهودا اتياس من بلدة بيسان : « انني أخاف من القذائف ، قبل مدة تعرضت صاحيتنا للقصف . . . ومنذ ذلك التاريخ لا تنام في بيتنا ، فكل مساء تأخذني امي الى بيت خالتي ، بينما يذهب اخي للنوم في بيت صديق له ، ونذهب اختي للنوم في بيت أختها المتزوجة . نحن عائلة في النهار فقط ، ولكن خلال الليل ليس الامر كذلك » (١٤) .

ولعل ظاهرة الارق بين صفوف سكان المستوطنات الناجمة عن الخوف من اشد الظواهر التي اخذت تستبد بنفسية السكان ومعنوياتهم ، فقد غدت هذه الظاهرة طيلة فترة طويلة من « الامور المسلم بها » وختمت بصماتها على سكان المستوطنات نفسيا وجسديا .  
وتصف المعلمة « روت ليعي » حالة الارق التي تفرزها ليالي مستوطنات الحدود الطويلة بقولها : « في الحقيقة ان الوضع صعب للغاية ، ولا أعرف اين سيؤدي بنا . . . فمنذ الهجمات المركزة علينا ، انجح في اغماض عيني فقط في الساعة الثانية بعد منتصف الليل بسبب التوتر الشديد والخوف الذي يستبد بي . من الممكن حقا ان يبدأوا باطلاق النار في الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، ولكن هذا الوقت هو نوع من المدى الامني الذي اخلقه لنفسي : فاذا لم يطلقوا النار حتى الثانية فانهم سيدعوننا لننام ، وحتى بدون ذلك فان المرء يستسلم للنوم في تلك الساعة . . . نسقط على السرير خائري القوى وبعد اربع او

اربع ساعات ونصف الساعة تبدأ المشكلة: ينبغي علينا ان ننهض وان نذهب الى المدرسة للتدريس ست ساعات وان نبث بين صفوف التلاميذ الامن والهدوء . . . ينبغي علي ان اوضح للتلاميذ بأنه من الواجب علينا ان نتعايش مع هذا الوضع دون ان نتخلى عن جهد التعليم ، وان لا نستسلم . غير ان ذلك يمتص جهدا نفسيا لا بأس به ، وهكذا يوم على اثر آخر ، ان ذلك من شأنه ان ينهك « (١٦) » .

اما المعلمة « نوريت فجر » فانها تصف الحالة النفسية السيئة التي تجلبها ليالي بيسان الطويلة بقولها : « ان حالة التوتر ليست جديدة بالنسبة لنا ، فنحن نعيش وسطها منذ اشهر عديدة . ان الليالي ليست عادية ، ذلك انه من الصعب النوم بسبب الخوف الذي يستبد بنا من قذائف الكاتيوشا . اننا نحاول ان نعزو السبب الى الحرارة ، غير ان ذلك فقط بمثابة نوع من الاطمئنان الشخصي ، ومحاولة للتهرب ، ففي اعماقنا ندرك باننا نخاف في الليل من القذائف ، الامر الذي يجعلنا في حالة استعداد لمواجهةها وهذه الحالة تحول دون اخذ قسطنا من النوم . » .

غير ان وضع التلاميذ وحالتهم النفسية وخاصة تلاميذ الموشافات والقرى ، اصعب بكثير من اوضاع وحالات الفئات الاخرى ، فالتلاميذ يكثر من غيرهم داخل « الملاجئ » التي لا تطلق « ولا سيما ملاجئ وادي بيسان في فصل الصيف حيث الحرارة الشديدة ، اذ انه « من غير الممكن ابقاء التلاميذ داخل الملجأ بشكل متواصل اكثر من اربعين دقيقة . فالتنفس صعب ، والشحوب يعترى الوجوه التي اخذت بفعل الحرارة الشديدة تتصبب عرقا . انهم يقومون بمسحه بالمحارم وبايديهم وبقمصانهم . انهم يتحركون على مقاعدهم وقد عيل صبرهم ، وبعد مدة وخاصة ابتداء من الدرس الثالث نشعر ان لا جدوى من مواصلة الدرس العادي ، فليس هنالك من يصغي لان افكارهم اصبحت مشتتة . . . عيونهم تنحج وتتركز برجاء صامت نحو فتحة الملجأ . . . بعد ذلك يطلبون الخروج ، الا اننا نحاول تأجيل ذلك مدة خمس او عشر دقائق ، ولكن يتضح لنا ان محاولتنا خاسرة . . . نقوم باخراجهم ، وهناك نغسل وجوههم ونرش الماء على رؤوسهم ، الا ان ذلك لا يساعد كثيرا ، فبعد ربع ساعة يعودون الى الملجأ ، حيث يبدؤون بالتشاؤم ، ويلقون بنظراتهم نحو فتحة الملجأ « (١٧) » .

اصبحت الكاتيوشا مع تصاعد نشاط المقاومة في قرى الحدود ، القضية المركزية التي نستحوذ على فكر الاطفال ، وتشغل بال تلاميذ المدارس . ومما زاد الطين بلة بالنسبة لبؤلاء ، الازدحام الشديد واختلاط الحابل بالنابل داخل الملاجئ ، على خلاف مما هو عليه الوضع في ملاجئ الكيبوتسات مما جعل التلاميذ يمرون بمرحلة تخلف دراسي ، شبيهة الى حد كبير بمرحلة التخلف الزراعي لحقول المستوطنات . وتصف المعلمة « افيفا بن سموئيل » الظواهر المتأتية عن الكاتيوشا وتأثيرها على التلاميذ بقولها : « لقد غدت مسألة الكاتيوشا مسألة مركزية في حياتهم ، ان الملجأ وكافة الاحاسيس التي تصطبح المكوث به ، تعزز فقط هذه المركزية . هنالك حوالي ٨٠٪ من تلاميذي ينامون كل ليلة في الملجأ . ان النوم في ملجأ كهذا يكاد يكون امرا مستحيلا . . . من الصعب وصف الازدحام والاضطراب والصراخ هناك حيث تأتي عائلات تتكون من ثمانية او عشرة افراد مع الاطفال ، في الوقت الذي لا يوجد في الملجأ أسرة كافية ولا حتى مكان يجلسون فيه ، فينامون فوق بعضهم بعضا . . . يخلو الملجأ كالكثير من الملاجئ من الكهرياء ولذا فاننا نبدأ باشعال الشموع . . . واحد يصرخ بالثاني ، وآخرون يتسلقون على الاجساد ، ويتنازعون . . . وفي الصباح يأتي التلاميذ الى الصف ، وينامون قبل ان احبيهم تحية الصباح ويأخذ النعاس يستبد بهم طيلة النهار « (١٨) » .

ومن أبرز الظواهر التي خلقتها الكاتيوشا في نفوس التلاميذ بالاضافة الى ظاهرة الخوف ، ظاهرة عدم القدرة على التركيز ، وظاهرة الانهك النفسي ، ويستشف ذلك من حديث معلمة افضت به بمناسبة انتهاء العام الدراسي : « بعد مضي بضعة ايام قلت انه لا يمكن



الاستمرار في هذا الوضع ، كان تلاميذي خائري القوي ، لم استطع تدريس اي شيء ، لقد كنا نتحدث طيلة اليوم لان التلاميذ لم يملكو القدرة على تركيز افكارهم . . . كنا بحاجة الى فترات استراحة طويلة في الخارج . لقد أحسست اننا بالذات بانني منهاره . . . كنت أرى التلاميذ عندما يخرجون من الصف مذعورين ، عيونهم تتجه نحو السماء بانتظار الكاثوشا . لقد تفر كل شيء ، واصبح الوضع غريباً . لم يسبق لي ان تحرقت شوقاً الى انتهاء العام الدراسي مثل هذا العام . لقد انهكت قوانا هذا العام اكثر من اي وقت مضى ، وكان بالنسبة لي بمثابة عامين من ناحية الجهد النفسي والجهد الجسماني ايضا « (١٩) .

لم تكن الحالة النفسية لتلاميذ « كريات شمونا » في المنطقة الشمالية ، بأفضل من الحالة النفسية لتلاميذ بيسان في وادي الاردن ، بالرغم من انخفاض حدة الحرارة في الملاجىء هناك ، لان ظاهرة الخوف وهي الظاهرة الاساسية التي تتفرع عنها كافة الظواهر السلبية الأخرى في قرى الحدود ، كانت تستبد بهم في النهار وفي الليل داخل وخارج الملاجىء ، ويكفي الإشارة الى الرسائل التي بعث بها تلاميذ إحدى مدارس كريات شمونا الى قوات الجيش الاسرائيلي المتواجدة في الهضبة السورية لنذكر مدى ما يعانيه التلاميذ من خوف . جاء في هذه الرسائل بالحرف : « أيها الجنود الاعزاء ، اننا خائفون ، خائفون للغاية ، في النهار وفي الليل ، الرجاء المحافظة علينا بقدر ما تستطيعون ، اننا نتلقى دروسنا في الملجأ ، ولكننا نخاف ايضا داخل الملجأ » (٢٠) .

ومن الجدير بالذكر ان « الكاثوشا » و « الليالي الطويلة » تقرأ الحدود قد شقت طريقها الى الادب العبري ، في قصائد غنائية أخذت تتردد على السنة التلاميذ . وتتسم هذه القصائد الغنائية بطابع الحزن واليأس وسنورد هنا قصيدتين غنائيتين ، الأولى كتبها معلمة في كريات شمونا تدعى رفكا ميخائيلي بعنوان « قديفتا كاثوشا انطلقنا نحونا » . ويقضي لحن القصيدة ان يقسم التلاميذ الى قسمين ، القسم الاول يقوم بدور الغناء والقسم الثاني يقوم بدور الكورس ، ثم يتبادلان الادوار .

« المغنون : قديفتا كاثوشا انطلقنا نحونا

الكورس : بيم ، بام ، بوم

المغنون : سقطت واحدة في المدرسة ، لم تصبها ، ولكنها قريبة منها

المجلس المحلي قال للمدير ، لا ضرر ، لا ضرر

ثمة مصاعب كبيرة

فانطفأ البريق من العيون الجميلة

الكورس : بيم ، بام ، بوم

المغنون : جاءت الينا كاثوشا من السماء ، وتبعنها بازوكا

الكورس : بيم بام بوم « (٢١)

اما القصيدة الغنائية الثانية فهي بعنوان « في اعقاب القصف » بقلم انيؤوله منوسفيتش طالبة في الصف الحادي عشر قسم علمي كريات شمونا . ويتضح من القصيدة مدى ما تحدثه « الليالي الطويلة » من اثر في نفسية سكان قرى الحدود الذين يتطلعون الى شروق الشمس بفارغ الصبر « قبل أن تذوي النفوس » .

« امع بزوغ الشمس فقط

يأتي الخلاص

هل الشمس هي وحدها

التي تستطيع أن تأتي بالجواب

ها هو ضباب الفجر الزاحف

رويدا رويدا يتشعخع بالبياض

من وراء الهضبة اطل شعاع . . . وتلاه شعاع آخر فأخر

فأضاء أعشاش الخوف في العيون  
وكسا الوجنات بلون الذهب  
وأزال تجاعيد الإنهاك والقلق من الوجوه  
وأعاد الثقة الى النفس

التي كادت قواها أن تذوي وتتلاشى . . . هكذا بكل بساطة « (٢٢) »

وتصف صاحبة القصيدة حالتها النفسية اثناء الليالي الطويلة التي استوتحت منها  
قصيدها بقولها : « الحياة تمر علينا ونحن نتلقى الدروس ، ونصلي من أجل اشراقة  
الصباح . اننا ننتظر الصباح فقط ، فالصباح يحمل بين طياته الفرج ، وتمدني شمس  
بأسباب القوة . . . ولكن في الليل يستبد بي الخوف ، وتبدأ ضلوعي تتحدث الواحدة  
للأخرى عن الخوف « (٢٣) » .

لم ينج سكان قرى الحدود حتى اثناء نومهم من « شبح فتح والكانثوشا » فائناء الخلود  
الى النوم يتحرك العقل الباطني ، ليعكس في أغلب الاحيان الاحاسيس والمشاعر التي  
تستحوذ على تفكير المرء في حالة صحوه ، على شكل احلام في قوالب مختلفة . ومن  
الطبيعي ان تكون الاحلام التي تراود سكان قرى الحدود ، انعكاسا للواقع الذي  
يعيشونه ويهرون به ، وكثيرا ما يحلم السكان بالقذائف والقصف والشظايا المتطايرة  
وبالمساحين الذين يأتون من وراء الحدود . على ان حلم « حنه دهان » من مستوطنة  
( أفيفيم ) يفوق في طرافته كل الاحلام ، فقد زارها الفدائيون في الحلم ، وكانوا في نفس  
الوقت يملكون القرب من بيتها بالفعل !! في ليلة عرفت فيما بعد في مستوطنة أفيفيم  
بـ « ليلة الانفجارات » . وتروي حنه قصة حلمها بقولها : « في المدة الأخيرة أخذ الحاخام  
( شمعون بار يوحاي ) ( من أولياء اليهود يقع قبره قرب صفد ) يزورني بالحلم كل  
ليلة . . . قلت له : ايها الحاخام شمعون منذ ثلاثة ايام وانت تجيء الي وتقول لي انهضي !  
لماذا ؟ ماذا فعلت لك لتقول لي انهضي . قال لي : انهضي أيتها المرأة ، لا تنامي تطلمي  
جيذا ، ماذا ترين ، وتطلعت واذ بي ارى عربيين يركضان نحوي . استيقظت ونهضت  
من السرير وغسلت وجهي ، وجلست لاحرس الاولاد ، وفجأة تناهى اسماعي صوت  
حركات في باحة المنزل كصوت الاعشاب عندما تحركها الرياح . فتحت الشباك فرايت  
شخصا يركض واعتقدت انه حارس يقوم بأعمال الحراسة ، وذهبت الى الاولاد ، وفجأة  
حدث انفجار . . . كفى انني لا اريد البقاء في أفيفيم « (٢٤) » .

كان من نتيجة مجمل هذه الاوضاع القاسية ان بدأ سكان مستوطنات الحدود يتساءلون :  
« ماذا ستكون النهاية ؟ ماذا سنعمل ؟ » واخذ الكثيرون يستسلمون للامر الواقع « لا حل  
للاوضاع ، ينبغي ان نعيش معها » مما جعل الكثير منهم يستسلمون لليأس لعدم وجود  
مخرج للمأزق الذي حشروا فيه . الا ان قسما من السكان قد رأى ان المخرج من حالة  
البؤس واليأس يكمن في الهجرة من قراهم الى داخل اسرائيل وبدأت العائلات تفكر في  
الهجرة ، وتهاجر بالفعل الى داخل اسرائيل . وهذه هي المرة الاولى في تاريخ الصراع  
العربي الاسرائيلي التي تتمكن فيها قوة عربية من ارغام قسم من السكان على ترك  
قراهم ومستوطناتهم . ومع ان اسرائيل قد اسدلت ستارا من الكتان على عدد الذين  
هاجروا من القرى الامامية الا ان بعض المعلومات المتناثرة هنا وهناك في المصادر  
الاسرائيلية تشير بشكل واضح عن مدى الرغبة في الهجرة من قرى الحدود تخلصا من  
الايام القاسية التي خلقتها المقاومة الفلسطينية ، ففي بلدة بيسان لوحدها ، هاجر  
اكثر من الف شخص ، ويستدل ذلك من قول صحيفة دافار التي اخذت تتحدث بعد  
استتباب الهدوء في منطقة وادي بيسان على اثر ضرب المقاومة الفلسطينية في سبتمبر في  
الاردن « ان عدد السكان قد زاد منذ استتباب الامن في المنطقة نحو الف نسمة ، ويبلغ  
عددهم الان نحو ١٢ ألف نسمة ، وكان عدد سكانها قد انخفض في ذروة التوتر الامني  
الى ١١ الف نسمة . ومصدر الزيادة هو في الاساس العائلات التي نزحت عنها ايام

التوتر ، وتعود اليها حاليا بمعدل عائلة يوميا . . . « (٢٥) لا يقتصر النزوح عن بلدة بيسان فقط ، بل يشمل ايضا معظم قرى الحدود ، ففي اعقاب كل عملية فدائية تبدأ العائلات بالتفكير في الهجرة على اثر اليأس الذي أخذ يعصر قلوب المستوطنين من جراء الاوضاع الاقتصادية السيئة والايوضاع الامنية المتردية ، مما دفع « حاييم جبرائيل » من سكان مستوطنة « زرعيت » بالقرب من الحدود اللبنانية على القول بأنه بعد انتظار ثلاثة اعوام دون جدوى فانه لن يعتمد بعد على مبرمجي الاستيطان التابعين لقسم الاستيطان في الوكالة اليهودية وانه سيرمخ هو مستقبله : « مغادرة المستوطنة ونحن في سن الشباب ، لكي نعيش كالبشر ، لقد رأينا كيف برمجا مستقبل المستوطنة . ادخل الى كل موشاف ، وسترى ياسا قاتلا . ليس هنالك من خيار أمام الآباء ، ولكن بالنسبة لنا يوجد خيار » (٢٦) .

تخلصا من حياة اليأس واليؤس ، اندفع قسم كبير من شباب قرى الحدود الى ترك مستوطناتهم وقراهم والتجأوا الى داخل اسرائيل ، ففي مستوطنة « شوميره » القريبة من الحدود اللبنانية قام الكثير من الشباب الذين أنهوا خدمتهم العسكرية ، بإدارة ظهر المجن لقربتهم وذهبوا الى مدن البلاد لينبؤا مستقبلهم هناك ، ولم يبق في المستوطنة الا الآباء والطاعنون في السن الذين لا يستطيعون الانتقال الى مكان آخر ، الامر الذي دفع « يعقوب مزراحي » عضو المجلس المحلي الى القول « انه اذا لم يطرأ تغيير جذري فان القرية ستتحول الى مستوطنة للكحول » (٢٧) .

وفي مستوطنة « الكوش » الواقعة بالقرب من الحدود اللبنانية ، والتي كانت عرضة لهجمات الفدائيين ، نزع كل قادر على تحمل عبء النزوح وبناء مستقبل جديد في الاماكن الجديدة التي يتوجه اليها « وبقي في المستوطنة » ( كما ورد على لسان شلومو ميخائيل من نفس المستوطنة . اب لثلاثة اولاد ) « فقط اولئك الذين لا خيار امامهم ، اما الذين يملكون تكاليف السفر فقد نزعوا منذ مدة » (٢٨) . لم تقتصر الهجرة على مستوطنات المنطقة الشمالية ووادي بيسان ، بل شملت ايضا بعض المستوطنات في المنطقة المتاخمة للقطاع مثل مستوطنة « مبيجيم » التي اخذ قسم من سكانها يهجرونها على اثر توتر الوضع الامني هناك .

ولعل ظاهرة الشعور بعدم الارتباط ، لدى قسم كبير من المستوطنين بالمناطق التي يعيشون فيها ، الى جانب مجمل الاوضاع الامنية والاقتصادية المتردية ، كان لها اثر كبير في الهجرة من هذه المناطق ، ففي مستوطنة المطلة التي بدأ قسم من سكانها بالهجرة منها ، هنالك كما يقول « بياليك بلسكي » احد مستوطنينها القدامى اكثر من ٥٠٪ من السكان في المطلة ليس لهم أي ارتباط بها ، « فالببيت الصغير ويوم العمل يمكن الحصول عليها في أي مكان آخر ، وليس فقط في المطلة ، واذا ما تدهورت الاوضاع فانهم سيهاجرون ، لماذا يبقون في مواجهة المشاكل ؟ » (٢٩) .

لم يكن الشعور بعدم الانتماء والارتباط في هذه المناطق وليسد الساعة عقب قذائف الكاتيوشا ، بل كان في « حالة غفوة » كما يقول « اشرف روزنتال » من المركز الاجتماعي لبلدة « كريات شمونه » ، « ايقظته قذائف الكاتيوشا ، وقد نزع من كريات شمونه من كان يملك القدرة على النزوح ، وبقي فيها اولئك الذين لا يستطيعون ذلك » (٣٠) .

عند تصاعد العمل الفدائي ، و« ايقاظ » الكاتيوشا للشعور بعدم الارتباط في مناطق قرى الحدود لدى المستوطنين ، ظهر ان قسما كبيرا من هؤلاء المستوطنين يودون النزوح من المناطق المتواجدين فيها ، فقد أظهر استفتاء جرى في كريات شمونه « ان نصف سكان البلدة يودون النزوح وان غالبية هذا النصف تتشكل من الشباب القادر على ايجاد مستقبل له في المناطق الداخلية من اسرائيل » (٣١) .

لم تكن السلطات الاسرائيلية غافلة عن ظاهرة « الشعور بعدم الانتماء » الخطيرة ، التي تبنت بشكل واضح على اثر ظهور المقاومة الفلسطينية ، بل تدارستها وعالجتها في

محاولة منها لوضع حد لها ، في اجتماع عقد في كيبوتس « جلعاد » ضم حوالي مئتي شخص من العاملين في الحقل الاجتماعي . وقد أجمع المؤتمرون على « ضرورة تعزيز الشعور بالانتماء لدى سكان القرى في أماكن سكنهم ، وتنظيمهم في نشاطات اجتماعية منظمة . . . لان ذلك ينطوي على تخفيف التوتر الشخصي الذي يستبد بكل مواطن في قرى الحدود ، وتقليص الضغوطات النفسية ، هذه هي الطريق للتغلب على الخوف » (٢٢) .

لا بد لنا قبل استكمال ما أحدثته المقاومة من آثار نفسية سلبية بين صفوف سكان قرى الحدود ، من الوقوف قليلا حول المعتقدات السخيفة التي سادت قطاعا كبيرا من سكان هذه المناطق ، ولا سيما سكان القرى والموشافات ، وليس سكان الكيبوتسات المحصنين بمبادئ لا تقبل الخرافات او الشطحات . ومن بين المعتقدات السخيفة التي اخذ « الكثيرون » يؤمنون بها عدم ذكر او لفظ كلمة « كاتيوشا » أو كلمة « قذائف » لئلا يفتح الباب أمام الشيطان « !! فمثلا عندما تسمع الام كلمة « قصف » او « كاتيوشا » تتردد على لسان ابنتها « اميرة » تغضب وتصبح بها : « اسكتي يا اميرة ، اسكتي ولا تفتحي الباب امام الشيطان » . لا تقتصر المعتقدات السخيفة على ذلك بل تشمل أيضا « عدم مس اغراض معينة » فقد غدا الكثيرون يؤمنون بأنه « لكونهم ذات مرة مسوا هذا الغرض او ذلك ، وقع الانفجار واصابت شظايا القذائف البيت » . وانطلاقا من هذا الايمان السخيف فقد غدا الكثيرون يفرضون على انفسهم مقاطعة الاغراض التي مسوها وتسببت بالقصف او بمجيء الكاتيوشا !! وهناك أيضا من تطور لديهم « شعور بالذنب » لاعتقادهم بأن القذيفة التي أودت بحياة اعزائهم ، كانت بالاصل موجهة اليهم ، ولكن عن طريق الخطأ اصابت اعزاءهم بدل ان تصيبهم !! ويعتقد هؤلاء بأن « قذيفتهم » التي ستودي بحياتهم ستسقط في يوم من الايام ودائما يتوقعون سقوطها في القصف التالي ! واكثر من ذلك وأسوأ ظهور حالات ناجمة عن هذه المعتقدات تتمثل في قيام سكان انحي او الضاحية بفرض نوع من المقاطعة على العائلات المنكوبة من جراء القصف « لا يدخلون بيوتهم ، ويتوقعون منهم ان يتصرفوا بتعقل وأن لا يدخلوا بيوت الآخرين ! » (٢٣) .

ومن الجدير بالذكر ان هذه المعتقدات قد طرحت للمداولة في الاجتماع الذي عقده القائمون على الشؤون الاجتماعية في كيبوتس جلعاد ، غير أن معالجتها من الامور الصعبة بسبب رسوخها في اذهان المؤمنين بها . ومما يلفت النظر ونحن بصدد الحديث عن المعتقدات ، ردود الفعل عند كل عملية فدائية لدى قسم من سكان الحدود ، فمن المعروف ان اغلبية السكان تهرع الى الملاجئ او تكون داخلها للاحتباء بها من آثار القصف ، ولكن هنالك فئة من سكان قرى الحدود تصر على البقاء في البيوت وترفض النزول الى الملاجئ لان « كل شيء من الله » . وتعيد هذه الفئة الى الأذهان قصة ذاك الصوفي الذي كاد ان يعرق في نهر دجلة لولا انقاذه على يد احد المارة ، وقول الصوفي له ما معناه كان ينبغي عليك ان لا تتدخل لان « كل شيء من الله » . وتتحدث « روث غروسكا » العاملة في وزارة الثقافة عن هذه الفئة قائلة : « هنالك من يؤمنون بالقدر ، ويستسلمون لمصيرهم . كل شيء من الله — اذا ما كتب علي ان اتعرض للقصف ، فلا يمكن عمل اي شيء — ان هؤلاء يرفضون النزول الى الملجأ ، وهنالك من ينهكون خلال القصف بقراءة فصول من سفر نشيد الانشاد » (٢٤) .

نعود الان الى الظواهر النفسية التي تفتشت بين قسم من سكان قرى الحدود ، ويمكن تلخيصها بما يلي :

- ١ — حاسة السمع: اتضح من اختبار قام به عدد من الخبراء النفسانيين ان حاسة السمع قد « تطورت » لدى اطفال وادي بيسان ، واصبحت ارفع واقتوى منها لدى اطفال المدن في الداخل ، فقد اثبت الاختبار ان اطفال قرى الحدود « يتفوقون » على اطفال المدن والمستوطنات الداخلية بمقدرتهم على سماع « اي طرق خفيف » .
- ٢ — التبول اثناء النوم : لقد غدت ظاهرة التبول اثناء النوم لمدة اطول من الفترة الزمنية

العادية التي يجتازها الطفل ، متفشية لدى شمس من اطفال قرى الحدود ، وكأنت هذه الظاهرة من بين الظواهر الاخرى التي استدعت قيام « المعالجة الخاصة » في الكيبوتسات .

٣ — تعاطي الحبوب المنومة : لقد اصبح الكثيرون من سكان قرى الحدود نتيجة الارق والتوتر النفسي من عداد المدمنين على تعاطي الحبوب المنومة والاقراص المهدئة للاعصاب .

٤ — التأهب النفسي الدائم لمواجهة اي طارئ : لقد غدا الاطفال في حالة تأهب دائم لمواجهة اي طارئ « فالباب الذي يطرق في الصف ، او الفرض الذي يسقط ويحدث ضجة ، يجعلهم يقفزون بفرع ، ويركضون نحو الباب وهم يصرخون : كاتيوشا ، تذاثف ، انقذينا ايها المعلمة» (٢٥) .

٥ — الخوف من ظواهر طبيعية : اصبح قسم كبير من اطفال قرى الحدود اسرى الخوف من الرعد لتشابهه الاصوات التي يحدثها بأصوات انفجارات الكاتيوشا والمتفجرات . تقول « داليا » من مستوطنة « الكوش » القريبة من الحدود اللبنانية « لقد اعتقدنا ان هذا ( الانفجار ) صوت رعد ، لانه وقع اثناء هطول الامطار ، لقد خفنا من الرعود ونادينا على امنا» (٢٦) . ومن الطريف ان يصيح اطفال كيبوتس مسادة في غور الاردن يتخوفون من الرعود اكثر من تخوفهم من الانفجارات العادية « فالاولاد اعتادوا على الانفجارات العادية لدرجة انه عندما كانوا يندهلون في الشتاء من اصوات الرعود ، كان الآباء يسكتونهم بقولهم : لا تخافوا ، هذه ليست رعود ، بل اصوات تذاثف!» (٢٧) .

٦ — عدم القدرة على التركيز : اصبحت ظاهرة عدم القدرة على التركيز خاصة لدى تلاميذ المدارس ظاهرة واضحة في قرى الحدود ، وقد تفشت هذه الظاهرة ايضا بين صفوف البالغين .

٧ — التشاؤم : من بين الظواهر السلبية التي اخذت تظهر بين صفوف السكان ولا سيما التلاميذ ، النظرة التشاؤمية تجاه الحياة ، فقد غدت الالوان الضبابية تحل محل الالوان الزاهية في رسوماتهم ، كما حلت المنازل المهدومة وجثث القتلى في هذه الرسومات محل المناظر الجميلة (٢٨) .

٨ — عدم القدرة على التكيف : من بين الظواهر السلبية التي تفشت بين سكان القرى وخاصة الاطفال والفتية ، ظاهرة عدم القدرة على التكيف مع الظروف والاضواح الجديدة . فقد اصبح الملجأ مثلا ، المكان الامين الذي ترتاح اليه نفسية الاولاد اثناء النوم ، وقد اصبح البعض لا يطبق النوم الا بداخله ، ويضرب بجأل احد سكان كيبوتس « بيت زيرع » في غور الاردن مثلا على عدم القدرة على التكيف بقوله : « لقد سافر صديقي مع ابنه الى كيبوتس « بيت الفا » وطلب ابنه النوم في الملجأ ، ولكن بما انه لا يوجد هنالك ملجأ ، اضطرنا للعودة الى مستوطنتهم لان الابن رفض النوم في غرفة الاولاد» (٢٩) وتضرب احدى معلمات كريات شموناة مثلا على عدم قدرة التلاميذ على التكيف مع الاضواح الجديدة بقولها : « قبل مدة قصيرة ذهبتنا مع تلاميذ الصف الخامس للاستجمام في « نفيه شانان » . . . في الليلة الاولى واجهنا صعوبة في النوم ، لكون المكان غريبا وايضا لكون التلاميذ يتصعبون في التعود على هذا المكان الذي يخلو من الكاتيوشا والملاجيء . واخيرا استسلموا للنوم وبعد مدة قصيرة اناهم سرير مكسور وحدث ضجة ، وكان عليك ان ترى اولاد كريات شموناة : قفزوا بفرع من فوق اسرتهم ، وركضوا يفتشون عن مخبأ وهم يصيحون : ايها المعلمة انهم يهاجمونا ، بينما التجأ قسم منهم على الفور تحت الاسرة ، بالضبط كما علموهم في البيت . وكنت عند منتصف الليل اتف واقنعهم بأننا الان بعيدون عن الحدود ، انهم لا يهاجمونا ولا يطلقون علينا الكاتيوشا . ولكن كان من الصعب اقناعهم للخروج من تحت الاسرة ، ولم

يذموا طيلة تلك الليلة» .

امتدت هذه المرحلة من حياة قرى الحدود حوالي ثلاثة اعوام ، وقد اعطت بعض النتائج التي تسمى اليها حرب التحرير الشعبية الطويلة الابد ، ولو قدر لها ان تستمر لاعطت نتائج اضخم بكثير من تلك التي تمت « انني اخجل ان اقول » على حد تعبير المعلمة راحيل شمعتسيون من بيسان « انه لو ارغمنا على الاستمرار في هذه الظروف ، لكانت قواي النفسية قد انهارت تماما(٤٠)» . بيد ان هذه المرحلة لم يفدر لها الاستمرار ، لانه كان هنالك خارج اسرائيل من يعيش ايضا تحت وطأة استنزاف نفسي اخر ، فوجه ضرباته للمقاومة ، وبالتالي اتاح لهذه القرى ان تتنفس الصعداء وتنعم بالاستقرار الامني والنفسي ولو الى حين .

- 
- |                                      |  |
|--------------------------------------|--|
| ٢١ - ملحق معارف ١٩٧٠/٧/٣ .           | ١ - معارف ١٩٧١/٣/٢٧ .                  |
| ٢٢ - معارف ١٩٧١/٥/١٢ .               | ٢ - من شرم الشيخ حتى قتال السويس . د . |
| ٢٣ - معارف ١٩٧١/٥/٢٢ .               | ديان الطبعة السادسة ص ٧٤ .             |
| ٢٤ - معارف ١٩٧١/٣/٢٧ .               | ٣ - المصدر نفسه ص ٧٦ .                 |
| ٢٥ - دأفار ١٩٧١/٨/١ .                | ٤ - معارف ١٩٧١/٥/٢١ .                  |
| ٢٦ - ملحق معارف ١٩٧١/٥/٦ .           | ٥ - معارف ١٩٧٠/٦/٦ .                   |
| ٢٧ - ملحق معارف ١٩٧١/٥/٦ .           | ٦ - ملحق معارف ١٩٧٠/٢/١٢ .             |
| ٢٨ - معارف ١٩٧٠/٢/٢٧ .               | ٧ - ملحق معارف ١٩٦٩/٨/١٥ .             |
| ٢٩ - ملحق دأفار ١٩٧٠/١/١٢ .          | ٨ - ملحق معارف ١٩٦٩/٨/١٥ .             |
| ٣٠ - معارف ١٩٧١/٩/١ .                | ٩ - ملحق معارف ١٩٧٠/٥/١٥ .             |
| ٣١ - كول هعام ١٩٧١/٥/٢١ .            | ١٠ - ملحق معارف ١٩٦٩/٨/١٥ .            |
| ٣٢ - ملحق معارف ١٩٦٩/١١/٢١ .         | ١١ - معارف ١٩٧٠/٨/٢١ .                 |
| ٣٣ - معارف ١٩٧١/٥/٢٢ .               | ١٢ - ملحق معارف ١٩٦٩/٨/١٥ .            |
| ٣٤ - معارف ١٩٧١/٣/٢٧ .               | ١٣ - معارف ١٩٧٠/٧/٢٤ .                 |
| ٣٥ - ملحق معارف ١٩٧٠/٧/٣ .           | ١٤ - معارف ١٩٧٠/٧/٢٤ .                 |
| ٣٦ - ملحق معارف ١٩٧٠/٢/٢٧ .          | ١٥ - معارف ١٩٧٠/٥/٢٢ .                 |
| ٣٧ - ملحق يديموت اهرونوت ١٩٦٩/٥/١٦ . | ١٦ - ملحق معارف ١٩٧١/٦/٥ .             |
| ٣٨ - ملحق معارف ١٩٧٠/٧/٣ .           | ١٧ - ملحق معارف ١٩٧٠/٧/٣ .             |
| ٣٩ - ملحق يديموت اهرونوت ١٩٦٩/٥/٦ .  | ١٨ - ملحق معارف ١٩٧٠/٧/٣ .             |
| ٤٠ - ملحق معارف ١٩٧٠/٧/٣ .           | ١٩ - ملحق معارف ١٩٧١/٧/٣ .             |
|                                      | ٢٠ - ملحق معارف ١٩٧١/٧/٣ .             |

# الرد الفلسطيني للتحدى الاسرائيلي : "الاسطورة" و"الأتوبيا" و"الايديولوجية" الفلسطينية

## اوليفيه كاربيه

أوليفيه كاربيه عالم اجتماع فرنسي شاب في بداية طريق الاستشراق . أمضى مؤخرا عاما في المشرق الذي أتاح له الفرصة لان يستكمل عن كتب بعونه حول شمع الارض المحتلة ومحمود درويش بشكل خاص . وفي هذه الدراسة التي يقدمها على صفحات شؤون فلسطينية يحاول كاربيه النفاذ الى ما وراء الصورة الشعرية ليحدد موهبات شمع الارض المحتلة من خلال استقراء الخلفيات الفكرية والسياسية التي أحاطت به هناك ، ثم التأثيرات التي واكبته بعد قيام الكفاح الفلسطيني المسلح .

وتثير هذه الدراسة بحكم طبيعتها التحليلية الاستقرائية بعض الجدل وقد تتباين آراؤنا حول أكثر من نقطة في التحليل النقدي الذي تقدمه لبرامج حركة المقاومة الفلسطينية . ونحن اذا ننشر هذه الدراسة ، كما هي ، نأمل ان تشكل مدخلا حيا لحوار مفتوح من قبل جميع المعنيين بالادب والفكر المقاوم .

ان الجديد الذي أتت به «الاسطورة» و«الأتوبيا» و«الايديولوجية» الفلسطينية(١)، بالنسبة للعالم العربي ، يكمن في أصلها الفلسطيني وصبغتها الفلسطينية وصوتها الفلسطيني . فالصدمة الفلسطينية هي التي أيقظت الاساطير والايديولوجيات العربية . خلال قرننا العشرين هذا ، ونحن نرى اليوم ان مكان الصدمة ذاته يثير ردا فلسطينيا في قلب العالم العربي ذي الاساطير والايديولوجيات الراكدة . وسوف نستعرض باقتضاب نتائج تحليل «بنيوي» لقصائد الرد الفلسطيني داخل الارض المحتلة ، وبالتحديد في الجليل ، ونتائج تحليل «مفهومي» لمضمون خمسة نصوص سياسية صادرة عن جماعات فلسطينية مقاومة ومتنوعة الى حد كبير . ولقد كان من الضروري بالفعل ان ننطلق من اللغة الاساسية لشعب من الشعوب ، الا وهي اسطورة هذا الشعب . فالشعر الفلسطيني الجميل في الجليل هو الذي يعبر عنها ، ويشكل الخلفية التي تنبت فيها جذور اللغات «الأتوبية» اولا ، ومن ثم «الايديولوجية» ، عبر صفحات الوثائق والدراسات السياسية .

١ - هذه الدراسة هي لمراتب اجنبي . فنظرة المراقب او نظرة الغير هي دائما مفيدة في حالة التقييم «بتعد ذاتي» لاحق . ونود التاكيد بأن كلمات «اسطورة» و«أتوبيا» و«ايديولوجية» مستعملة هنا في معناها الدقيق وليس لها في تاموسنا أبة معان مسيئة اطلاقا .

## تُسرُّ المرد الفلسطيني في الأرض المحتلة : « اسطورة جديدة »

أحك . كوني صليبي  
وكوني ، كما شئت برج حمام  
إذا ذوبتني يدك .

( محمود درويش من « اغنية حب على الصليب » . )

من الملاحظ ان هذه الاسطورة مركزة حول تجربة الصليب ، كما يستدل من المراجع  
العديدة ، الظاهرة او المستترة ، والمأخوذة عن الكتاب المقدس . فقراءة كل قصيدة  
تقنعنا بهذا الامر . ذلك ان الكتاب المقدس يلعب دورا متميزا في التعبير عن هذه  
الاسطورة المعمدانية الاساسية وفي الاحتفال بها ، خاصة في « الارض المقدسة » . نحن  
نعتمد بأن الفلسطينيين المنفيين داخل وطنهم المحتل كانوا شادرين على بث الكلام فيها من  
جديد . انه الكلام المخيف لانه كلام نبي . على كل حال فان محمود درويش ، الفلسطيني  
الماركسي المسلم المولد ، قد اختار رمزي الصليب والمصلوب للتعبير عن ايمانه بحياته  
وبحياة شعبه : نجد هنا عنصرا من العناصر الاساسية المكونة للاسطورة الفاعلة . ان  
المحتوى النهائي هو عودة فلسطين المستقبل ، فلسطين الجديدة تماما . الاخ الصغير لم  
يعد معه اذن بالسفر ، فهو يذهب لرمي الاقذار وينقل صناديق السلاح يعربة . لم يكن  
دخوله السجن سوى حادث عابر . لقد اصبح نبيا اكبر من ابيه المنحط ، بعد أن كان  
طفلا في مخيمات الصليب الاحمر : انه مفروس في لحم اجساده . انه يخلق وطننا  
ومستقبلا . واذا بالمغني ينشد مأخوذا :

« انني ابصر في عينيك ميلاد الغد

وجوادا غاص في لحم ابي . »

ان اولاد المغني واولاد جيله هم الذين سيحتفلون بالعيد : سوف يعيشون . ونرى  
فلسطين التي تنضج شبابا تلتقي بالمغني ، وكأنه اللقاء الاول بينهما ، قبل ان يموت هذا  
الاخير من فرط سعادته :

« عينك ، يا معبودتي ، عودة

من موتنا الضائع تحت الحصار

كنتني الفاك هذا المساء

للبرة الاولى ... »

ان الاسطورة لا تناقش بل يحتفل بها . انها بنية للعالم يجد فيها كل انسان مصيره  
ومكانه . انها ليست مزيفة أبدا ، اكثر مما يمكن لانسان ما ان يكون مزيفا . كلاهما  
موجود . الفارق بينهما هو ان باستطاعتك اعدام شخص ما بسهولة ، لكن القضاء على  
اسطورة هو امر شاق ، فالاسطورة تحيا وتتغذى من نواقصها ذاتها ، خاصة اذا كانت  
هذه النواقص فادحة . ذلك ان المغني قد قال كل شيء منذ اللحظة التي ارتكز فيها على  
تجربة الصليب ، كما هي الحالة هنا . لقد عرف الشعراء الفلسطينيون في اسرائيل كيف  
يعبرون عن مأساتهم على هذا المستوى من العمق .

ولكن من أين نشأ هذا السرد الاسطوري ؟

ان الخلق الثقافي العربي في اسرائيل له جذوره العميقة وهو يخضع لتأثيرات اجنبية  
واضحة . على ان أهم مصدرين خاصين يجب اخذهما بعين الاعتبار هما : الكتاب  
المقدس وتجربة الصليب . وقد سبق وراينا انهما الموضوع الاساسي في شعر درويش .  
لكن سميح القاسم يبرز في ديوانه « دمي على كمني » آيات عديدة مقتبسة من انجيل  
يوحنا ، تأتي في مواضعها تماما : « ان لم تقع حبة الحنطة في الارض وتمت فهي تبقى  
وحدها » ، و« ليس لاحد حب اعظم من هذا ان يضع احد نفسه لاجل احبائه » . على  
انه ليس من المؤكد ان كان هذا التأثير بالكتاب المقدس تأثرا واعيا . لكن التجريبتين



المعبر عنها متشابهتان الى حد بعيد ، مما يحتم على اللغة المستعملة في كليهما ان تكون متشابهة كذلك . ذلك ان تجربة الموت — البعث هي تجربة اساسية واجماعية لدى الادياء الفلسطينيين في اسرائيل . ففي مسرحية توفيق فياض « بيت الجنون » نرى البطل سامي يكتشف انتصاره عندما يعلن انه سيصل الى ذروة قوته في ذلك اليوم الذي لا يبقى عنده اي شيء على الاطلاق . كما ان اقصوصة اميل حبيبي الاخيرة تنتهي باللقاء الذي يتم بين اختين من نفس الشعب في زنزانة الاعتقال : انهما تشعمران وكانهما في منزلها اخيرا .

ما الذي ستكون عليه تلك الحياة المأمولة ؟ ان الاسطورة لا تقول ذلك ابدا . فالرسالة السياسية تكمن بشكل خاص ، في الانفلات من الخرافة ، تلك الخرافة التي تغذي الصهيونية دون شك ، ولكنها تغذي كذلك وبالدرجة الاولى ، انين القدماء . ستكون هنالك عودة ، لكنها لن تكون لماض نبيكيه . انهم لا يتكلمون عن طرد المحتل — ايما شرف سيكون ذلك ! — لكنهم مصممون على ان يتنفسوا وان يكونوا ، وهم يأملون كذلك بان الثورة سوف تحدث . لكن التعابير تظل عامة جدا . انهم يشجعون الامل اكثر مما يرسمون مستقبلا .

« المغنون » الفلسطينيون يستعيدون انفسهم اليوم ، حين يجهرون بكلامهم . « اطفالنا الآتون » هم أصحاب الغد . فالامل يتمثل بجيل المستقبل . « متنا وعشنا ، والطريق واحدة » . ان بيت « رمبو » يبدو هنا معكوسا ، وسبب ذلك هو دون شك ، ان محمود درويش ورفاقه ليسوا افرادا معزولين ، ولكنهم ينطقون بلسان شعب مصلوب بأكمله . ان اعدام شعب بأكمله هو كلام نبوي نبوءة ببقية : هذا هو ايمان الشعراء الفلسطينيين في اسرائيل . ان هذا الايمان وهذه الاسطورة جديدان في العالم العربي . فلا الاسطورة الدينية في المدينة المسلمة ، ولا الاسطورة القومية العربية ، ولا اسطورة اليسار المعادي للامبريالية ، ترتكز في جوهرها على هذا الايمان **بالحياة من خلال الموت** . هذا هو ما تعنيه كلمة « فدائي » بحد ذاتها . انه الانسان الذي يدفع الموت كفدية ، من اجل التكفير ومن اجل الخلاص .

ونريد ان نؤكد على **الجديد** الذي حملته هذه الاسطورة ، وهذه الرسالة الشعرية التي تفوق بعمقها كل التعابير الاوتوبية والايديولوجية ، التي عرفها العالم العربي . انه جديد لمجرد الظروف التي يأتي في ظلها ، كما سبق وبيننا . وهو جديد كذلك لانه اختار بكل وضوح رفض الحنين الى الماضي ، كما رفض القدماء الذين يعيشون على الخرافات دون ان تتجسد هذه الاخيرة في حياتهم الحاضرة . ان انتصار الكلام الشعري عند درويش على الحنين والدموع والشيوخ ، هو انتصار لا ظلال عليه . فالاسطورة جديدة لان الذين يعلنونها هم شباب ولانها غير مشوبة بأية « عقيدة ايديولوجية » على حد تعبير رودنسون . ان الجديد في الاسطورة الفلسطينية المروجة في اسرائيل يتفجر كذلك عبر **تجلي الكلمة** .

لقد أنتهى ذلك الكلام العتيد ، الفارغ والسذي لا ينضب ، واصبح الشباب العرب يؤاخذون عليه اساتذتهم بشدة ، وبشكل خاص في الاوساط الفلسطينية . ان تلك الكلمة المشوهة التي فقدت قيمتها ، وريثة السجع الذي خلفه عصر الانحطاط الطويل ، والذي كانت البلاغة الدينية تحافظ عليه بفرور في المساجد الممتدة من بغداد حتى الدار البيضاء ، ان تلك الكلمة قد تحولت الى كلام صادق لشعب صغير ليس له غير الكلمات الصافية تعطي شكلا لوجوده وتجعله يدرك بأنه موجود . أنه يقول : « انا موجود » ويترك جلده للسباط وجسمه للصلب ! لقد أصبح الكلام ثمينا لانه اصبح محفوفًا بالمخاطر وخاصة لانه لم يعد بالامكان الاستغناء عنه حتى لا يفقد الانسان هويته ، وحتى يتقنع نفسه بأنه هو ذاته . انه كلام الوجود . كلام جديد فوق الارض العربية في القرن العشرين .

لكن الامر يتعدى هذا الحد الى أبعد بكثير . فالكلام الذي اكتسب المعنى حق التبشير به، بفضل انتصاره على القديس وعلى الخيانة كذلك ، ان هذا الكلام يفتح على فعل يشتمل على الجلد ، والمحكمة ، والسجن والصلب . عند هذا الحد تتجاوز اللغة مجرد الكلام لتصبح لغة المسامر ، لغة ضحايا كفر قاسم الخمسين ، لغة الصليب الذي يتحول الى منبر وينشد لحنا اسمه : اغنية الدم . يحكم علينا بالاعدام لمجرد اننا تكلمنا ، وكذلك لان كلامنا يبنى بمأساة الموت على الصليب . ان ذروة التجديد الذي تأتي به الاسطورة يظهر اذن في محتوى الفعل : الصليب في سبيل الحياة الجديدة التي نريدها لمعشوقتنا — فلسطين . ان الايمان بالموت والاستعداد الفعلي للتقدم اليه ( بطريقة او بأخرى ) ، هما شيان جديان في العالم العربي المعاصر . اننا نجد بعض السوابق لدى ابطال حرب الجزائر وفي دعوات مؤسسي حزب البعث .

اننا نجد انفسنا اذن في قلب المعنى العميق لكلمة : فدائي — اي الذي يقدم نفسه للموت كفدية . ان محمود درويش لا يتلفظ ابدا بهذه الكلمة لكن الاسطورة العميقة التي تعطي معنى لهذه الكلمة هي كذلك التي تحرك كل شعر درويش وشعر رفاقه في الجليل . من الطبيعي اذن ان تجد الفدائيين ، خارج اسرائيل ، يغذون ايمانهم ببناء الصليب الذي يبشرهم به اخوهم من « الداخل » .

ان هذه الاسطورة هي اذن جديدة في اعتقادنا . وهي المصدر المباشر للايديولوجيات الفلسطينية بدرجات متفاوتة . انها الصدى والنداء الصادران من داخل فلسطين ذاتها ، فلسطين المسلوقة الضائعة المحكومة بالاعدام . وهذه الاسطورة هي قبل ذلك سياسية أيضا .

ان شعر درويش مثلا لا يتنبأ بالطبع بأشياء واضحة بالنسبة لمستقبل فلسطين ، لكن اسطورة الحياة التي تولد من الموت والتي تعاش جماعيا ، بحد ذاتها ، لها مدلول سياسي يتفرض الى العيان خاصة في الدور الذي يلعبه الخصم ( يطلق عليه غالبا ضمير « هم » ) وفي كل مرحلة من مراحل الاسطورة الشعرية . ان الخصم هو الذي ينفذ حكم الاعدام بحق المغني يساعده في ذلك القديس وحينئذ . وفي نهاية الاسطورة نجد ان الخصم هو الذي يغادر فلسطين ثرفا من مهمته ، مهمة تنفيذ حكم الاعدام . اما فلسطين فانها تظل حية وتتجدد من جديد من اجل حياة جديدة — ( لا نعرف ما ستكون عليه ) — يستعد لها « أطفالنا الآتون » .

بين بداية المأساة ونهايتها هنالك الاغنية ، والسجن ، وفعل المقاومة . وهذه الاخيرة تجري الاشارة اليها في بعض القصائد التي تتحدث عن العاصفة وعن الصاعقة . ان فلسطين سوف تعود مطهرة من كل الرواسب القديمة بفضل حكم الاعدام الذي نفذه الخصم ، هذا الخصم الذي انتهى به الامر قرغانا . ان القصيدة تحت اذن على فعل المقاومة مع الايمان بحياة جديدة .

» من عاش بعد الموت

لو آمنت ... لا يموت »

ان العمق الذي تتميز به الاسطورة الفلسطينية التي تقول بالحياة الجديدة من خلال الموت ، والتي انتشرت في الجليل بعد ٢٠ سنة من الاغتراب ، هي التي تعطي القوة للكفاح الفلسطيني — بكل أشكاله — وهي التي تعطيه كذلك قيمته الشمولية .

التقرير الموجه من مجموعة « الارض » الى الامين العام للأمم المتحدة في ٢٣ حزيران ١٩٦٤

نحن ما زلنا في فلسطين المحتلة ، حول الناصرة . لقد خلفت جماعة « الارض » عام ١٩٥٩ الجبهة الشعبية ( العربية ) . وكانت هذه

الأخيرة قد حاولت ان تسمى نفسها « عربية » ، لكنها منعت من ذلك . وهي قد ولدت على ما يبدو اثر المظاهرة العربية التي شهدتها الناصرة في أول ايار ١٩٥٨ . لقد كانت الجبهة وثيقة الصلة بالحزب الشيوعي ( ماكي ) ولكنها ما لبثت ان انفصلت عنه بسبب ميولها الناصرية ، المعادية لعبدالكريم قاسم الدائر في فلك موسكو . هكذا ولدت مجلة « الارض » ، وهكذا ظهرت المجموعة التي تحمل نفس الاسم . ولقد وضع جميع افرادها تحت مراقبة الادارة العسكرية : المنع من التنقل ، رفض تسجيل جمعية « الارض » ، رفض الاعتراف بحقوق مجلة « الارض » ، وذهبت الى حد وضع اعضائها في السجون . وفي ٣١ كانون الثاني ١٩٦٠ صرح « شموييل ديفون » ، مستشار رئيس الوزراء للشؤون العربية ، في مؤتمر صحفي عقده ، بأن هذه المجموعة تشكل خطرا على « وجود الدولة » . وقد طالب افراد المجموعة بتسجيل شركة للنشر تحمل اسم « شركة الارض المحدودة » ، وبعد اللجوء الى المحكمة العليا ، تم في نهاية الامر تسجيل هذه التسمية . ولكن المجموعة منعت من إصدار نشرة اسبوعية تحت طائلة « احكام الطوارئ » الموروثة من ايام الانتداب البريطاني ، والتي تخول الادارة العسكرية وحدها حق اعطاء مثل هذا التصريح . وبالإضافة الى ذلك ، فعندما حاولت « شركة الارض المحدودة » ان تسجل اسمها كجمعية سياسية تحمل اسم « حركة الارض » في بداية عام ١٩٦٤ ، كان جواب السلطات جوابا سلبيا وقاطعا . كما اعتبر نظام الحركة « مضرا بوجود دولة اسرائيل ووحدة اراضيها » . وجاء الرفض مرة أخرى من المحكمة العليا ايضا ، باسم سلامة الدولة .

في هذا الوقت بالذات ، وبالتحديد في ٢٣ حزيران ١٩٦٤ ، وجهت « الارض » الى الامين العام للأمم المتحدة بيانها الذي قمنا بتحليله بالتفصيل . بعد ذلك ، في عام ١٩٦٥ ، منعت اللجنة العليا للانتخابات « اللائحة الاشتراكية العربية » التي كانت تضم قدامى زعماء جماعة الارض ، من خوض معركة الانتخابات . ويبدو ان الاحزاب السياسية اليهودية ( بلوائها العربية ) كانت تخشى بجدية قيام مضاربة انتخابية خطيرة من جانب حزب قومي عربي داخل اسرائيل ، علما بأن كافة الموظفين المعتمدين في اللجنة العليا للانتخابات كانوا ينتمون الى حزب الماباي . عند ذلك انفصل الحزب الشيوعي العربي ( راکاح ) عن الحزب الشيوعي اليهودي ( ماكي ) ونال ٢٢،٦٪ من اصوات العرب ، وهذه نسبة مهمة . ومن المؤكد انه لو وجدت جبهة وطنية عربية أكثر استقلالية من حزب راکاح ، من الناحيتين الايديولوجية والسياسية ، لكان انتصارها أعظم من ذلك .

وفي حزيران ١٩٦٧ اعتقل قادة الحركة ووجهت الى ثلاثة منهم تهمة تنظيم خلية ارهابية بالتعاون مع فتح ، وصدرت الاحكام ضدهم عام ١٩٦٨ . ونلاحظ بهذا الصدد ، ان مدينة الناصرة عرفت من جديد بعد حزيران ١٩٦٧ تجمعا للجبهة الشعبية العربية ، المتحفزة دائما ، والحية دائما . ونشير في النهاية الى ان الشاعرين سميح القاسم ومحمود درويش كانا من اعضاء حركة الارض . ويمكننا ان نستنتج من كل ما سبق ذكره ، وعلى سبيل التقدير الاجمالي ، بأن اتجاهات مجموعة الارض كانت تعبر عن التوقعات الحقيقية لعدد كبير — يمثل الاغلبية دون شك — من المواطنين العرب في الارض المحتلة . ان هذه الجماهير كانت تنطوي على « ايديولوجية ضمنية » — على حد تعبير رودنسون — وهي مستعدة للترحيب بأي حل « قومي عربي » اذا ما حدث المستحيل وتحقق مثل هذا الحل . وكان منشور « الارض » يعبر بشكل واضح عن هذه الأوتوبيا رغم ان الجماهير العربية لم تكن تفكر بإمكانية تحقيق مثل هذا الحل عن قريب : لذلك كانت اغلبية العرب تصوت الى جانب « اللوائح العربية » للاحزاب الكبيرة التي لا بد من ان « تسيطر على حكومة القد » .

ان التقرير الذي رفعته جماعة الارض عام ١٩٦٤ يعبر عن شعور عظيم بالقهر . فقد

كانت رموزه الاساسية تتمثل بالحكومة وبالسلطة العسكرية تضاف اليهما احكام الطوارئ . ويقابل هذه الاشياء كلها مصادرة الاملاك ، والقرى . والشعور السائد هو ان هذا القهر لا مفر منه . فليس من الممكن اخضاع الحكومة ، ولا الحد من المصادرة ، ولا بعث القرى وتحويلها الى بؤر للرد . ان هذه الافكار لا ترد حتى الى ذهن الشباب العربي « المتطرف » من جماعة الارض . ولكنهم ، على العكس من ذلك ، واعون تماما للتناقضات المنطقية التي تقع فيها السلطات الاسرائيلية . ان هذه التناقضات المنسوبة للمعتدين تجعل من القيود اشياء لا مبرر لها قطعا ، ان لم نقل انها غير عقلانية او على اقل تقدير ميكيفيلية . ويمكننا ان نذكر على سبيل المثال ان السلطة العسكرية التي خلقت من اجل تأمين الامن ومن اجل ممارسة الشر كذلك ، ينتهي بها الامر الى خلق اللامثابته . كما ان القمع الذي يستهدف اخضاع العرب في اسرائيل يحثهم ، في نفس الوقت ، على الثورة . كذلك ، فان ازالة قوانين الطوارئ البشعة لم تكن سارية المفعول بالنسبة للعرب المقيمين في اسرائيل .

مع هذا فقد تولدت عناصر الرد الفلسطيني من الشعور بالقهر . وكان هذا الرد يتطلع على المدى القصير الى الوقوف في وجه آلة القمع ، والمطالبة بحقوق العرب في اسرائيل ، مهما كان الثمن ، حتى لو اضطر الى اللجوء للمقاومة ( السلبية كما يبدو ) . كل ذلك باسم النصوص الدستورية للدولة وباسم ضمانات الامم المتحدة . اما على المدى الطويل بعد ذلك ، فان الرد الفلسطيني يرتكز على الاوتوبيا القائلة بالتقسيم وبالتعاون العربي - اليهودي من اجل اقامة امة عربية واحدة واشتراكية . ان هذه الاوتوبيا تبدو مع ذلك ، وكأنها أكثر واقعية من مرحلة المقاومة . ذلك ان فرضية التعايش داخل اسرائيل فرضية منبوذة . كما ان فرضية ازالة دولة اسرائيل بشكلها الراهن لم يجر حتى طرحها . تبقى هناك فكرة الاقتسام بين العرب واليهود الذي يؤدي فيما بعد الى تعاون على مستوى المنطقة بأسرها تحت راية الاشتراكية العربية الموحدة . . .

ان هذا المشروع يشتمل على تناقضات كما نذكر ، ولكنها جميعها من النوع « الجدلي » . فالامم المتحدة تحمي قانونيا العرب في اسرائيل ضد مصادرة املاكهم ولكنها ، رغم كل نداءاتهم ، لا تتدخل لمصلحتهم . ان هذا التراخي من جانب الامم المتحدة لا يؤدي الا الى زيادة فشل مرحلة المقاومة والمطالبة . اما باقي التناقضات فانها تتصل بصلب المشروع ذاته : التوافق ( الاوتوبي ) وعدم التوافق ( الراهن ) بين الامة العربية والدولة الاسرائيلية - التقسيم والتعاون في آن واحد - التقسيم ومع هذا اللاشوفينية - اللاشوفينية ومع ذلك القومية العربية ( فقط ) - التقسيم ( الاوتوبي ) وفي نهاية الامر المطالبة ( الراهنة ) بالارض العربية . ان هذه التناقضات تشير الى الاتجاه الذي يسير فيه تطور العلاقات بين الخصمين وصولا حتى النهاية الاوتوبية « الحقيقية » .

انه من الصعوبة بمكان التحدث عن ايدولوجيا سياسية يعني عن نظام للقيم وعن نظرة شاملة للعالم السياسي على كافة مستوياته . من الافضل ان نتحدث عن « اوتوبيا » سياسية يعني عن مشروع سياسي صادق وضارب الجذور الى حد كبير في « الاسطورة الفلسطينية » التي يحتفل بها الشعب العربي في اسرائيل . ان اوتوبيا الارض ليست مستوحاة في الواقع من مثالية او ايدولوجية « فوقية » ، ولكنها مستوحاة من التجربة القاسية امام شبكة من القيود . ان الموت هو مؤكد . ومع ذلك فان بذورا « اوتوبية » للبعث تنمو معه وتتخذ لنفسها شكلا . ويرد الى خاطرنا هنا شعر محمود درويش :

« الموت ، الحياة ، الطريق واحدة »

من المؤكد ان التقرير الذي رفعته « الارض » يبدو اكثر تواضعا من القصيدة في مشروعه ، واكثر منها بكثير شكوى من الوضع الراهن . لكن الذي ألمانا هو تقرير موجه الى الرأي العام العالمي وليس الى الشعب العربي في اسرائيل . انه كذلك دفتر من الشكاوي

الموجهة الى المحكمة الدولية الممثلة في الامم المتحدة . وهو في نهاية الامر بيان سياسي وليس اسطورة شعرية . لكن الامر الذي لا يمكن انكاره هو هذا التناغم الموجود بين هاتين السلسلتين من النصوص . حتى ان الاستعمال ذاته — المتراوح في مدى وعيه — للتناقضات « الجدلية » يعكس على طريقته اسطورة البعث في الموت التي يحتفل بها شعراء الجليل . ان الدور الذي تلعبه مفاهيم القهر والرفض معا تلتقي مع الاسطورة بكل وضوح .

ونلاحظ اخيرا الى اي مدى كانت اوتوبيا الارض متأثرة بأسطورة الامة العربية التي كان يرفع رايتها عبدالناصر في ذلك الوقت ، وكانت المجموعة لا تمنع في نسبها اليه . ان هذه الاسطورة هي في الواقع تجسيد لمشروع البعث . وحتى يجري تطبيقه فهو يتطلب عنصرا مزعجا جدا هو عنصر التقسيم . ان الأوتوبية ، وهي أكثر برغماتية من السرد الأسطوري ، تدعو الى الانفلات من سر الموت بواسطة البتر أولا ثم الالتحام بجسم الامة العربية المثالية ثانيا . ان شعر درويش مركز على المقاومة مع الايمان الشديد بحياة جديدة ، ولا شيء أكثر من ذلك . فالشعر يعبر في الواقع عن التجربة المعاشة حاضرا . انه يحلم قليلا ، ويعني الحاضر ويجعله يشع . ان الشاعر هو مغني المقاومة الراهنة . ان اوتوبيا شباب الارض هي مشروع السلام الممكن بعد المقاومة . ومن الجدير بالذكر هنا ان القصائد قد استفادت من الاخبار الطيبة التي حملتها انباء العمليات الاولى للمقاومة التي تمت بها فتح منذ ١٩٦٥ ، ثم بعد ذلك حرب ١٩٦٧ التي جعلت من الممكن قيام نوع من التنسيق بين المقاومة في الخارج وبنود المقاومة في الداخل . ولنعتبر الآن الى خارج اسرائيل ، الى المقاومة في الخارج .

### اعلان فتح في ١ كانون الثاني ١٩٦٩

انه نص قليل الايديولوجية . نرى دائرة الاعداء محصورة جدا باسم برنامج بسيط لا يخلو مع ذلك من التناقضات الكامنة . هذه الوثيقة تنسجم مع التقرير الذي قدمته مجموعة الارض . وهي تترك الباب مفتوحا للتطرف بنفس المقدار الذي تتيحه للاعتدال ولحل سياسي ما . وسوف نمر بسرعة على مختلف نقاطه واحدة بعد الأخرى .

#### العناصر الايديولوجية مكونة من ثلاثة مبادئ :

(١) فتح تمثل الشعب الفلسطيني تمثيلا صادقا . لكل واحد دوره في العمل ولكن فتح وحدها تتمتع باستقلالية كاملة . ان الشعب الفلسطيني وحده معني مباشرة بالقمع والمقاومة ، لكن أخذ المبادرة لا يرتبط مباشرة به . ان فتح تعتبر نفسها ، دون ان تقول ذلك ، الطليعة الديناميكية للجماهير المقاومة في درجة تأثرها وفعلها . وسوف نرى ان عقيدة فتح متقاربة في هذه النقطة من عقيدة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

(٢) العالم الثالث يتحرر ( بالضرورة ) من الامبريالية . والامبريالية هنا هي بالدرجة الاولى الاستعمار الاسرائيلي . والتحرر هو كالاستقلال بالنسبة لهذا الاستعمار . ويلعب العالم الثالث هنا دور البطل الأسطوري ، لكن الامبريالية ليست البطل الشرير الجسد للشر المطلق . كل ما في الامر هو استعادة الاستقلال من براثن المستعمر كما هو الحال مع بقية دول العالم الثالث . نقطة وهذا كل ما في الامر .

(٣) الضرورة التاريخية تفرض التحرر في وجه الامبريالية .

هذه هي النبذة الماركسية — اللينينية الوحيدة لعقيدة فتح ضمن هذا النص . وهذه الضرورة تلعب دور اسطورة . انها تعطي بعدا شموليا للتجربة الفردية الشاقة وتضمن لها النصر مسبقا .

ان دائرة الاعداء ، المسؤولين عن القهر ، محصورة تماما . انها تشمل اسرائيل ، الامم المتحدة وقراراتها منذ ١٩٦٧ ، ومن الممكن ان تضاف اليها الدول العربية . ليس هنالك

ذكر للمعسكر الامبريالي العالمي وللولايات المتحدة الاميركية الخ ...  
وبالمقابل فان برنامج الرد بسيط : دولة فلسطينية ( بدل دولة اسرائيلية ) ، المقاومة  
( بدل حلول الامم المتحدة السياسية ) ، والمجتمع أو الامة العربية التقدمية ( بدل الدول  
العربية الحالية ) .

لكن هذا البرنامج يخفي تناقضات كامنة : فاليهود والعرب والفلسطينيون سيقاومون  
افضل معاملة ، دون التطرق الى الكيفية التي سيتم فيها ذلك ، فمبدأ الديمقراطية التي  
يتساوى في ظلها الجميع غير معبر عنه الا بشكل عام . ان هذه التناقضات الكامنة تشكل  
نقطة ضعف خطيرة في البرنامج . ويتضح من هذا بأن اعلان فتح مختلف قتيلا عن اعلان  
مجموعة « الارض » . هنالك نفس الشعور بالتجريد من ملكية الارض ومن الهوية ،  
وهنالك نفس الحلم بدولة فلسطينية مندمجة بالامة العربية .

لكن الارض كانت تدعو الى التقسيم كما تصورته الامم المتحدة ( ١٩٤٧ ) ، في حين ان  
فتح ترفض كل قرار للامم المتحدة ( ١٩٦٧ ) ، كما انها تتمتع بعناية عن الاشارة الى أية  
حدود للدولة الفلسطينية المرجوة . ونلمس هنا الاختلاف الكبير في الرأي بين النصين .  
ففتح تعتقد انه بالامكان تسوية كل القضايا عن طريق التساوي في ظل الديمقراطية ،  
لكن الارض تعلم من خلال تجربتها ان التعايش مستحيل وان الحل الوحيد المتبقي هو  
التقسيم . ان عدم الوضوح في الاتجاهات التي يعبر عنها اعلان فتح يجعل هذا الاعلان  
قابلا لتفسير متطرف ولتفسير معتدل في آن واحد . وفي الواقع ، فان رفض كل حل  
سياسي ينكر الوجود الفلسطيني يبقي الباب مفتوحا امام حل سياسي يحترم هذا  
الوجود . وهذا الاحترام يجري تقديره من قبل فتح وليس من قبل الشعب ، اعتمادا  
على المبدأ القائل بأن تمثيل فتح للشعب الفلسطيني هو أمر غير قابل للنقاش ، كما  
سبق وقلنا . وعلى العكس من ذلك ، فان رفض الحلول السياسية والرجوع الى نضال  
العالم الثالث ضد الامبريالية استنادا الى الضرورة التاريخية ، يبقي الباب مفتوحا امام  
اعتماد عقيدة متطرفة مرتكزة على اساس الثورة العالمية .

### المنطلقات المشتركة — ٦ ايار ١٩٧٠

ان هذه الوثيقة الصادرة عن القيادة الموحدة للمقاومة الفلسطينية تدعي التعبير عن  
العقيدة وعن البرنامج المشترك لكافة فصائل المقاومة . وقد مهتت هذه الوثيقة بتواقيع  
المنظمات الاحدى عشر المقاومة والاعضاء في القيادة الموحدة . وهذا النص هو نص  
مختصر مثله في ذلك مثل اعلان فتح .

ان هذه الوثيقة من خلال تشديدها على **الايمان والاعتقاد الراسخ** تلتقي مع وحي الشعر  
المقاوم في اسرائيل :

» من عاش بعد الموت

لو آمنت ... لا يموت « ( محمود درويش )

ولكن الايديولوجية هنا تأخذ أهمية جديدة . ومن السهل التعرف على بصمات المنظمات  
المسماة متطرفة : الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية اللتان تعلنان ايديولوجية  
ماركسية — لينينية والى حد ما ماوية .

اين نضع هذه الايديولوجيات في نصنا ؟

عندما سلسلنا المفاهيم حسب **مواضعها المنطقية** ، أمكننا ان نميز تلك التي تلعب دور  
المصادر الاولية لانها دائما في موضع **الجذور** بالنسبة للتسلسلات المنطقية . انها تشمل  
على المفاهيم الثلاثة التالية : ثورة فلسطينية ، شعب فلسطيني ، مقاومة فلسطينية .  
هذه هي النواة الاساسية التي لا سابقة لها ، للايديولوجيا الفلسطينية كما ظهرت من  
خلال « المنطلقات المشتركة » انها فلسطينية بشكل مبدئي ، وليس بصفة عامة . كما انه

ليس هنالك صلة مباشرة بين هذه المفاهيم الثلاثة الاولى . انها ثلاثة مصادر مستقلة ، لكل واحدة منها نطاقه الخاص به . **الثورة الفلسطينية** تتعارض مع دولة اسرائيل ومع الامبريالية . **الشعب الفلسطيني** يعارض السلام السيئ ، والامم المتحدة ، والدولة الفلسطينية المسوخة . **المقاومة الفلسطينية** اخيرا تجابه الدول العربية .

مقابل هذه المصادر الثلاثة ، نجد ثلاث ثمار ( الالفاظ موضوعة بتسلسل منطقي استثنائي ) . وهي : **الثورة ، الامة العربية ، وفي الجانب المظلم ، الامبريالية** . تلك هي العناصر الاساسية الثلاثة التي تشكل بالنسبة للثورة الفلسطينية موضع الايمان . لا بد من تجسيد الثورة العالمية والامة العربية ، ضد الامبريالية . لقد كان المصدر فلسطينيا فحسب : اما الثمرة فهي اومية . ان طريقة التفكير ملحوظة . انها تشير الى احدى المؤثرات الايديولوجية الماركسية التي لا يمكن نفيها .

وبين المنبع والثمره هنالك مفهومان لهما وظيفة متميزة لانهما في آن واحد وبشكل مهم الواحد والآخر . **انهما فلسطين و التحرير** : حقيقتان تشدد عليهما الايديولوجية السابقة وهما بدورهما يصبغان كل مجرى الاحداث .

ونلاحظ بان هذا النص لا يشتمل على تناقضات .

ان اهداف الرد التي نادرا ما يجري الشعور بها على اعتبارها هي نفسها اسباب القهر ، هي التالية : **الامبريالية في المرتبة الاولى تشكل جزءا من النواة الايديولوجية . الصهيونية وترتبط بها الامبريالية دائما ، الدول العربية ، دولة اسرائيل ، الدولة الفلسطينية المسوخ ، السلام السيئ ، الامم المتحدة . ان التشديد على التعارض مع الدول العربية هو الذي يشكل خصوصية نصنا هذا . دولة اسرائيل معطاة اهمية اقل والامم المتحدة بالكاد يشار اليها . التقسيم كذلك مرفوض بشكل قاطع . وفي هذه النقطة تتميز « المنطلقات المشتركة » بوضوح عن جماعة الارض ، كما انها تكمل بشكل قاطع عموميات اعلان فتح . ذلك ان هذه الاخيرة كانت تترك الباب مفتوحا لحصل سياسي يحترم الكيان الفلسطيني دون تحديد مسألة الحدود . ان هذه الجذرية ليست صادرة عن شعور وطني اكثر حدة ، ولكن عن ايديولوجية ثورية ذات آفاق اومية . وهذا استنتاج جدير بالاهتمام .**

هكذا فان الكفاح يدخل ضمن افق **الثورة العلمية** . المجلس الفلسطيني يتكلم باسم الجماهير الفلسطينية ( الطبقات العمالية والطبقات الكادحة وحدها ) وليس كما كانت تقول فتح ، باسم الشعب الفلسطيني بشكل عام . **النضال موجه ضد الدول العربية** بنفس مقدار توجيهه ضد اسرائيل . **فلسطين** المستقبل ستكون تجسيدا للثورة وليس فقط دولة مساواة وتسامح ديني .

ان لكل واحد من النصين بعده المختلف عن الآخر . ان الانفتاح على التطرف هو الذي تغلب ، رغم ان كل ما في الامر هو برنامج حد ادنى لعموم المقاومة الفلسطينية . ويبدو من خلال متابعة الاحداث بانها في الواقع تبخر نحو التطرف . ومن المهم الآن ان نقوم بتحليل بروتوكولين طويلين يعبران عن الايديولوجية الفلسطينية المسماة متطرفة .

### **(( استراتيجية )) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين — شباط ١٩٦٩**

يوجد اماننا هذه المرة نص طويل جدا يصل الى مئة صفحة مقسومة الى قسمين و١٨ فصلا . القسم الاول يعالج مسألة الاستراتيجية السياسية اللازمة للتحرير ، والثاني يتعلق بالاستراتيجية التنظيمية حول حزب . هنالك ثلاثة مفاهيم فقط لها موقع منطقي تكاد تنفرد به كجذور . انها تشكل المفاهيم الاولى . وهي **الامبريالية ، الرأسمالية ، والثورة الفلسطينية** . انطلاقا من هذه الجذور الثلاثة تتبلور كل ايديولوجية الجبهة الشعبية التي لا تخلو من تعرجات .

الامبريالية مربوطة ربطا وثيقا بدولة اسرائيل التي تعتمد عليها وتشكل قاعدة لها . كما ان هذه الاخيرة بمساندة الصهيونية العالمية تقوم بطرد وسحق الشعب الفلسطيني . لكن ضمن هذا الشعب هنالك طبقة مهمة مسحوقة وسوف نعود الى ذلك . الامبريالية تشر وتجاهل الثورة المرتبطة جدليا بالحزب وبالايديولوجيا . انها تفرز الثورة الفلسطينية والحرب الشعبية المرتبطة مباشرة بالقياد الامبريالية .

الثورة هي كذلك ثمرة التناقضات بين الطبقات ومهمة الطبقات المستغلة . لكن هنالك طبقة كبيرة مستغلة داخل اسرائيل بإمكانها ان ترحب بفكرة فلسطين المثالية وان تهدد وحدة الدولة الاسرائيلية وتعارض الحركة الصهيونية . ومن ناحية اخرى فان البرجوازية الصغيرة العربية او الفلسطينية يمكن استخدامها من اجل النضال الوطني ولكن ليس من اجل استلام القيادة .

المنع الثاني يتمثل بالراسماليين الذين يمثلون كتلة متميزة ، معادية على طول الخط ولكنها دون اثر كبير على الايديولوجية .

المنع الثالث اخرا هو المقاومة الفلسطينية التي ينظر اليها خصوصا على انها مدرسة تجديد اجتماعي لنضال الطبقات الكادحة والشعب . انها من نوع التغيرات الاجتماعية العنيفة في الوقت الذي تزه فيه الثورة ، من خلال الحرب الشعبية المعادية للامبريالية . ان النواة المفهومية التي تستعمل كوسيط بين النواة التي تحكها « الامبريالية » و « الثورة » من جهة وبين النواة التي تحكها « المقاومة الفلسطينية » من جهة اخرى تتشكل من مجموعة المفاهيم التي تدور حول نظرية الصراع الطبقي .

امانا اذن وبالدرجة الاولى عقيدة ثورية معادية للامبريالية ذات افق عالمي من خلال الحرب الشعبية والايديولوجية الصحيحة والحزب ، وامانا في الدرجة الثانية عقيدة طبقية من خلال المقاومة وتجربة الشعب الذي يزرع تحت اقسى انواع البؤس . ان التعبير عن المقاومة لا يستعمل لفظة الحرب الشعبية ولكنه يستعمل الفاظ الصراع الطبقي والتجديد الثقافي .

ان دائرة المعتدين والقيود تتألف بالتالي من اسرائيل والامبريالية والصهيونية والراسماليين والطبقات العربية المستغلة . كما ان حلقة الاهداف التي يطالها الرد الفلسطيني تتألف من اسرائيل والامبريالية والصهيونية . ولكن التركيز يتناول بشكل خاص الطابع الايجابي لعمليات الرد : تقوم بالثورة ونحمل العمال والفلاحين الى مركز السلطة ، مستعينين مرحليا بالبورجوازية الصغيرة .

ظاهريا تبدو فلسطين امرا ثانويا . ولنذكر اخيرا المناطق الايديولوجية الحساسة الثلاث القابلة للتناقضات : التناقض الاول يتعلق بدور البرجوازية الصغيرة التي يجب التحالف معها ومحاربتها في آن واحد ، ومرة بعد مرة . والثاني يتعلق بالطبقة الاسرائيلية المستغلة التي ينظر اليها على اعتبارها في تناقض مع اسرائيل وينظر اليها كذلك وفي آن واحد على اعتبارها جزءا من وحدة اسرائيل القسوى وتدافع عن حياتها القومية حتى الموت . يبقى من الضروري ان تبرهن على ان نضالا طبقيا يمكنه ان يغلب النضال القومي . ليس هنالك شيء اقل وضوحا من هذا الامر . التناقض المنطقي الثالث يتعلق بفلسطين المثالية التي يراد لها في آن واحد ان تكون وطنا يتساوى فيه اليهود والعرب وان تكون مع ذلك مندمجة بالامة العربية الواحدة .

كل واحدة من بين هذه المناطق قد اثارت الاعتراضات المعروفة التالية : فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية تخافان من نظرية الجبهة الشعبية المتعلقة بالصراع الطبقي وبالبورجوازية الصغيرة وطبعيا لهذا الخوف مبرراته . كما ان المراقب او المؤرخ البورجوازي الغربي لا يصل به الامر الى حد الاعتقاد بالفعالية القريبة للطبقة الاسرائيلية المستغلة ضد التعصب القومي الاسرائيلي الاعمى . وفي النهاية فان اصحاب



النيات «الطبيية» من الاسرائيليين بما في ذلك اولئك الذين يتحدثون باسم الطبقة المستغلة يجدون صعوبة في تصور فلسطين المثالية حيث المساواة والعروبة في آن واحد.

### محاولة نايف حواتمة ( تشرين الاول ١٩٦٩ )

عنوان هذا الكتاب هو : « حركة المقاومة الفلسطينية في حقيقتها الراهنة — دراسة نقدية » . ان هذا الكتاب يجمع التقارير التي رفعها حواتمة باسم الجبهة الشعبية الديمقراطية الى المؤتمر الوطني الفلسطيني السادس الذي انعقد في كانون الاول ١٩٦٩ .

ان دائرة الخصوم والاهداف تشتمل في هذا الكتاب على الكيانات التالية : الدول العربية ، اسرائيل ، الامبريالية ، الصهيونية ، الامم المتحدة وختاما وفي داخل المعسكر الفلسطيني المقاوم : منظمة التحرير الفلسطينية وفتح اللتان تقعان بين ايدي الحكومات العربية والبورجوازية واللذان تتحملان مسؤولية الهزائم الماضية والانقسامات الحالية في صفوف المقاومة .

انهما خصما من ؟ فلسطين طبعا بالدرجة الاولى . الشعب الفلسطيني المهمل يستحق استقلاله في بلده . وهذا الواقع يفرز النضال من اجل الاستقلال الوطني الفلسطيني الذي تسنده البورجوازية الفلسطينية الصغيرة ولكن تعارضه البورجوازية الكبيرة . نمر بعد ذلك بالطبع الى السجل الاهم الا وهو **الصراع الطبقي** . محاولة حواتمة تتركز على تحليل التناقضات الطبقية . فاذا بالجماهر والطبقات المستغلة التي ايقظتها الايديولوجية الصحيحة والنقد ، تخوض غمار ثورة مرورا بالمقاومة والحرب الشعبية ، يسندها في هذا كله برنامج صحيح . هذا هو العطاء الاساسي للشعب : الحرب الشعبية . ضد من ؟ الخصم معروف ، لقد سبق ذكره . لكن واقع الحرب الشعبية بمنظور الثورة ( العالمية ) يشكل نهاية بحد ذاته . البورجوازية الصغيرة ستكون مفيدة ولكنها سترفضها بشكل جذري . هكذا يدنو الصراع الطبقي من **الثورة** .

ان المقاومة الفلسطينية وبشكل خاص حرب العصابات الفلسطينية ( الفدائيين والمليشيا ) تدخل كلها ضمن فلك الثورة . اهم العناصر في الثورة بالنسبة للتجربة الحالية وبالنسبة للمستقبل هي الديمقراطية . انها هي التي تبرر تحول الدولة الاسرائيلية . وهي التي عليها ان تحسم الفوارق الايديولوجية وهي التي تقع عليها مهمة تصفية وتبديل القيادة البورجوازية الصغيرة لفتح والمنظمة التحرير . وهي عليها تأمين نظام حرب العصابات الفلسطينية . هكذا نتعلم ممارسة الديمقراطية .

انها الديمقراطية اذن — وها نحن قد حشرنا في قلب **الاوتوبيا** الفلسطينية — هي التي ستصبح الدولة الفلسطينية المستقبلية ضد الشوفينية والطائفية ، ضد التقسيم ، ضد الصهيونية والثقافة العربية الرجعية ، وضد سيطرة طبقة صاحبة امتيازات . ان هذه الدولة الفلسطينية المزينة بكل جمالات الثورة هي الاجابة الكاملة عن كل الخصومات السابقة : انها تعبد فلسطين ، تتغلب على التناقضات الطبقية ، تصلح كأساس للثورة العالمية عبر **امة عربية** موحدة معادية للامبريالية بشكل كامل وغير بورجوازية . ان الحلم جميل وحواتمة يدعو ثوار العالم باكملة الى تحقيقه ، وبشكل خاص القطاعات الاسرائيلية المعادية للامبريالية .

ان مجمل العقيدة يبدو شديد **الانسجام** . اليماءات الثلاث الكبرى : فلسطين ، صراع الطبقات ، الثورة ، تتداخل منطقيا وترتكز على الاوتوبيا المنسجمة لدولة فلسطينية ديمقراطية . من بين التناقضات الثلاثة التي اشرنا اليها سابقا هناك واحدة لا تجد حلالها ، لا منطقيا ولا جدليا . كيف تعطي قيمة كاملة لحقوق الجنسية اليهودية في فلسطين المندمجة بالامة العربية الواحدة ؟ كيف تتجاوز الشوفينية اليهودية الى ما يمكن

ان يكون شوفينية عربية ؟ ليس هنالك اي جواب معطى مباشرة لانه على الارجح لا وجود لمثل هذا الجواب حتى في الحلم . ان حواتمة يقترح مع ذلك وبطريقة غير مباشرة « دولة لا قومية » اذا صح التعبير . يعني دولة مطهرة من كل قومية سواء كانت عربية ام يهودية . واذا كان الامر كذلك فان مفهوم الدولة اللاقومية يدخل بطبيعة الحال في تناقض مع ما ذكر في نصوص حواتمة حول الكفاح الوطني الفلسطيني الذي يتخذ اهمية كبيرة .

### الخاتمة

ان كل ما اردنا فعله هو تقديم وثيقة عمل بسيطة بكل ما تقتضيه من تنوع . ان اية خاتمة حقيقية بحاجة الى فرضية والى نظرة لا يتطلبها الملف الوثائقي . يبدو لنا بان المقاومة الفلسطينية هي واحدة بالنسبة لاختياراتها وحساسياتها الاساسية : اتجاه من اجل العودة الى فلسطين الفلسطينية ، وحساسية حية جدا بالنسبة لتجربة الموت « طريق الخلاص » ( الفداء ) . ان التوجيهات الايديولوجية والتكتيكية تتفارق وهذا الامر معروف ومشار اليه . لكن الكفاح من اجل الاستقلال الوطني ، هذا الكفاح الذي تحركه اسطورة البعث من خلال الموت ، هو موقف اجماعي .

ان التحليل البنيوي اولا ثم المفهومي بعد ذلك قد سمح لنا بالتقاط **المحتوى التفصيلي** للنصوص الفلسطينية بكل دقة . هذه النصوص التي تعبر مرة بعد مرة عن الاسطورة ، والوتوبيا وايديولوجية الرد الفلسطيني داخل الارض المحتلة ، وخارجها . وسوف نعيد هنا ذكر **المحتوى الاجمالي** لهذه النصوص بكلمات قليلة وبواسطة لفظتي القيد والرد ، بكل ما تحويه هذه النصوص من توافق في وجهات النظر ومن تفارق . في اساس كل شيء هنالك **الاسطورة** المحتفل بها شعريا — اسطورة الايمان السياسي **بالبعث من خلال الموت** ، وبالمقاومة على شكل انتحار حتى القضاء البرم على الجيش الاسرائيلي . ان هذه الاسطورة افرزتها تجربة الفلسطينيين داخل اسرائيل .

نفس التجربة خلقت **الوتوبيا** عند مجموعة الارض في اسرائيل ، هذه الوتوبيا المنسجمة تماما مع الاسطورة الشعرية مع انها اكثر تواضعا منها . ان هذه المجموعة تتطلع في المدى البعيد الى **التقسيم** ، والى اندماج القسمين بالامة العربية الموحدة والتقدمية ، متجاوزة بذلك المطالب المدنية الملحة للعرب في اسرائيل . ذلك ان التجربة قد جعلت من غير الممكن التفكير بتعايش عربي — يهودي داخل اسرائيل او بتغيير جذري يطرأ على الدولة الاسرائيلية اليهودية طالما ان التسلط الذي تمارسه هذه الاخيرة يجري الاحساس به وكأنه امر لا مهرب منه . ان الخصم واحد سواء في الاسطورة الشعرية او في اوتوبيا جماعة الارض : انه الدولة الاسرائيلية يضاف اليها الحكومة والسلطة العسكرية . اما العنصر الايديولوجي فهو الامة العربية ولا شيء آخر .

ان **برنامج فتح** يوسع دائرة الخصوم ، فاذا بها تشمل اسرائيل والامم المتحدة ، تلحق بها الدول العربية كذلك . ان فتح تعلن كفاح التحرير الوطني الفلسطيني ضد قرارات الامم المتحدة الخاصة بالتقسيم — طبعة ١٩٤٧ او طبعة ١٩٦٧ . لكنها تتجنب الاشارة الى الحدود المثالية لفلسطين المستقلة داخل الامة العربية في المستقبل . انها تصر فقط على احترام الوطن الفلسطيني وهذا الامر يمكنه ان يتوافق مع تقسيم يعتبر مناسباً . ان البيان مبهم واثارته الى نضال العالم الثالث ضد الامبريالية قيمة رمزية . ان فتح تقدم برنامجا لا ايديولوجية . وهذا البرنامج ليس له خطوط واضحة لاقتنائه الى ايديولوجية دون شك . وعلى العكس من ذلك ، نرى المؤتمر الوطني الفلسطيني السادس يعلن ايديولوجية مركزية حول تعبير الثورة الفلسطينية التي تقوم بها الجماهير الفلسطينية بفضل المقاومة الفلسطينية ، ضد الامبريالية العالمية ومن اجل فلسطين

تسودها المساواة داخل امة عربية مستقلة . اما الجماهير الفلسطينية فتحدد على انها الطبقات الكادحة . ان النضال يبدأ فلسطينيا لكن يربد لنفسه ان يكون عربيا بعد ذلك ، وغالبا في نهاية المطاف . من هنا يطرأ التوسع على دائرة الخصوم : اسرائيل ، الصهيونية ، الامم المتحدة — مع التقسيم — وبشكل قاطع الدول العربية التي تشكل الامبريالية خلفيتها الحقيقية . ان النبرة الايديولوجية تأتي من الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية اللتين فرضتا ايديولوجيتهما بين عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٠ ، بخطوطها العريضة على الاقل .

ان النصين النظريين الطويلين اللذين سبق وحللتناهما يتكاملان والاختلاف الوحيد المهم بينهما يتعلق بوظيفة الحزب . ان كليهما ينظران الى الامر على اساس ثورة ضد الامبريالية العالمية باسم الصراع الطبقي ، ممثلة محليا بالمقاومة الفلسطينية على شكل حرب شعبية بفضل نظرية صحيحة . ان الجبهة الشعبية تنظر الى الحزب على اساس انه الحكم والقائد فيما يتعلق بمسائل النظرية والممارسة ، في حين ان حواتمة يرى ان الجماهير هي التي تلعب هذا الدور بواسطة ممارسة الديمقراطية في كل التنظيمات وعلى كافة المستويات . ان البورجوازية الصغيرة تلعب دورا ثانويا ومؤقتا في المرحلة الوطنية من النضال ولكنه دور لا غنى عنه . وبهذا الصدد نرى الجبهة الشعبية اكثر الحاحا على هذا الدور مما تفعل الجبهة الديمقراطية . اما فيما يتعلق بفلسطين المستقبل فانها سوف تخلق من تحول عنيف للدولة الاسرائيلية بمساعدة الجماهير البروليتارية الاسرائيلية وتصبح دولة فلسطينية لا طائفية وديموقراطية — شعبية ، ضمن امة عربية غير بورجوازية ومعادية للامبريالية . ونرى دائرة الاعداء تشتمل هذه المرة على اسرائيل ، الامبريالية ، الصهيونية ، الرأسمالية ، الامم المتحدة ، الدول العربية ، الطبقات المستغلة التي تديرها ، وصولا حتى فتح ومنظمة التحرير .

هذا هو المحتوى الاجمالي للنصوص السياسية الخمسة . ان وحدة النظرة فيها تتجلى أولا على المستوى الاوتوبي ، بواسطة تناقض مهم معبر عنه في كل النصوص وغير محلول ابدا لا منطقيًا ولا جدليا . انه يتعلق بالاحترام الكامل للجنسية اليهودية في فلسطين المستقبل ودمجها بالامة العربية في آن واحد . ان القومية او حتى الشوفينية العربية تأخذ مكان القومية والشوفينية اليهودية الاسرائيلية في حين يدعون للاطاحة بكل شوفينية داخل فلسطين المثالية .

ان هذا التناقض لا يجري التصدي له ابدا وجها لوجه ولذلك نرى ان الجواب المناسب غير مطروح . هذه الثغرة التي لا يمكن تجاوزها دون شك تظهر انه حتى اوتوبيا الدولة « القومية » التي ينادي بها حواتمة ، لا يمكنها ان تتحرر من القومية العربية . وسوف نعود الى هذه النقطة بعد لحظة .

ولكن وحدة وجهات النظر ضرورية بالنسبة للعمل الحاضر . ان امامنا نفس النضال الوطني بمشاركة كل الشعب الفلسطيني بما في ذلك البورجوازيين ، بغية اثارة حرب شعبية — متحمس لها او موافق عليها — ، مما يدفع الى عداوة مشتركة تجاه الاسم المتحدة والدول العربية في سبيل الاوتوبيا المشتركة لفلسطين تسودها المساواة ضمن امة عربية موحدة وتقدمية .

ان النصوص الخمسة تقف تقريبا نفس الموقف تجاه المفاهيم التالية : دولة اسرائيلية ، فلسطين ، شعب فلسطيني ( يفهمه جماعة الارض على اساس انه العرب داخل اسرائيل ) ، الامبريالية الصهيونية ، الاستقلال ( الكفاح الوطني ) ، الامة العربية . ولنتفاهم حول هذه النقاط . ان الجميع موافقون على كل نقطة من نقاط برنامج العمل ولكن الاسباب والتبريرات الايديولوجية والاهداف على المدى المتوسط والبعيد ، تتفارق . والفوارق مهمة الى حد ان الجبهة الديمقراطية تخطط لجبهة وازالة منظمة التحرير

وفتح حتى تسحب القيادة من أيدي البورجوازية الصغيرة الفلسطينية ، والى حد ان البعض يمتنون او يتفاضون عن التقسيم بينما لا يقبل الآخرون بأقل من التحول الجذري داخل الدولة الاسرائيلية وتحولها الى دولة فلسطينية طائفية ومتسامحة بالنسبة لفتح ، بينما الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية تريدانها لا طائفية وثورية ، كما تبشران بالنضال ضد الدول العربية الواقعة حاليا بين أيدي البورجوازية في حين ان فتح لا تطالب الابحرية العمل الفلسطيني .

ان الخصوصية الايديولوجية عند الجبهة الشعبية والديموقراطية تتجلى في انها وحدهما ادخلا تعابير ايديولوجيا ، طبقات ، بورجوازية ، جماهير . وبالانفاق مع المجلس الوطني تستعملان هذه المفاهيم : المقاومة الفلسطينية ، الشعب - الجماهير ، الثورة . وبالإضافة الى ذلك لا بد من ملاحظة الاهمية الخاصة المعطاة للنضال من اجل الاستقلال الوطني وكذلك من اجل الديمقراطية في محاولة حواتمة . كما نلاحظ عنده بشدة الحاحه على **الدولة الفلسطينية** ( المثالية ) ، وهذا تعبير غائب من نص الجبهة الشعبية التي تكفي بتعبير فلسطين ( الوطن الفلسطيني ) المستعمل قليلا على كل حال ، ان حواتمة كما سبق ولاحظنا يستعمل لغة فلسطينية أكثر بكثير من الجبهة الشعبية . اما فيما يتعلق بمفهوم القومية العربية فان بيان المجلس الوطني ، بالإضافة الى تقرير مجموعة الأرض طبعاً ، هو الذي يبرزه ، على اختلاف ما تفعله الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية .

وفي النهاية سنعيد هنا ذكر المحتوى المتميز لتقرير الأرض عام ١٩٦٤ لانه يشدد على الفيوذ المباشرة واليومية التي تفرضها الحكومة الاسرائيلية وهذه كلها أشياء خارج تجربة الفلسطينيين في الخارج .

الفوارق مهمة اذن . ولكن بالنسبة للعمل الراهن فان وحدة الرأي ستتغلب دون شك . ان هذه الوحدة تضرب جذورها في الاسطورة الفلسطينية الوحيدة المتعلقة بالبعث عبر الموت . وبالفعل فان كل النصوص السياسية تسعى للارتكاز على تحليل **حالة الموت** التي يعيشها الفلسطينيون - موت بالنسبة للماضي القريب ، موت بسبب فشل الامة العربية ، وفشل الدول العربية مع جيوشها ، - موت بسبب سيطرة الطبقة البورجوازية الفلسطينية .

ان اول ما يتبادر للذهن ليس عودة الى الاساطير الكلاسيكية لامجاد الاسلام الاكيدة ولامجاد الامة العربية ، وليس هناك محاولات لقلب الهزائم الى انتصارات - على الاقل في هذه النصوص النظرية او البرمجية - انهم يخططون لنضال فقير ودام عبر الحرب الشعبية التي يخوضها الفدائي .

ان المسألة هي دائما مسألة نهضة في الموت وبواسطته . ان هذا الخيار للموت من اجل حياة جديدة فلسطينية اولا ثم عربية هو خيار يميز الاسطورة الفلسطينية كما يميز الاوتوبيا والايديولوجية . التعابير الثلاثة منسجمة . الاصطدامات مع الدول العربية لا مفر منها لانها تعكس خلافا على مستوى الاسطورة . والاسطورة الفلسطينية تريد ان تجعل من اعدام الشعب الفلسطيني خلاصا للشعب العربي بأسره . بقي ان نقوم بتحليل **للأحداث الفلسطينية** على ضوء تحليل **النصوص** . ان الحادثة ربما تظهر بأن الاسطورة والوتوبيا والايديولوجية الفلسطينية لم تكن حتى اليوم سوى حلم كبير ولعبة كبيرة . لكن اللعبة بحد ذاتها لها دائما مغزى كبير . انها تحمل في طيها **مستقبلا حقيقيا دائما** .

## ثورة ٣٦ - ١٩٣٩ في فلسطين : خلفيات وتفاصيل وتحليل

### غسان كنفاني

عادة مصلحتها في ظروف مغايرة مختلفة عن الاستثناء الفلسطيني الخاص بالتحالف شبه الكامل مع الامبريالية . وقد نشأ ذلك الحد غير العادي من التناقض عن وجود « عميل ملائم أكثر » للامبريالية البريطانية هو الحركة الصهيونية ، جرى توظيفه بدل تلك الطبقات .

ان هاتين المسألتين المتشابكتين قد جعلتا لنضال شعب فلسطين خصوصية لم تكن في ذلك الحين تشبه تلك الخصائص التي كانت لنضالات الشعوب العربية المحيطة بفلسطين ، وقد أدت هذه الخصوصية الى نتائج خطيرة ، منها مثلا اندفاع هذا النوع من القيادات الانتعابية الى ممارسة او قبول ممارسة ارمى اشكال النضال السياسي ( الكناح المسلح ) ، ومنها اصرار هذه القيادات - من حيث الشكل على الاقل - على رفع الشعارات التقدمية ، وكونها - رغم كل ما فعلت - مثلت مرحلة مهمة من النضال الوطني الفلسطيني . على أن ما هو أكثر اهمية هو تفسير تلك الاستطالة غير العادية التي عاشتها القيادات الانتعابية الدينية على رأس حركة الجماهير ( من ١٩١٨ - ١٩٤٨ ) ، ذلك ان التحول في الهيكل الاقتصادي والاجتماعي في فلسطين ، والذي كان يحدث بسرعة مذهلة ، كان يصيب بالدرجة الاولى القطاع اليهودي على حساب البورجوازية الفلسطينية المتوسطة والصغيرة وخصوصا على حساب الطبقة العاملة العربية ، ان تحول الاقتصاد من اقطاعي الى رأسمالي كان يجري بتركز متزايد في يد الحركة الصهيونية وبالتالي في يد المجتمع اليهودي في فلسطين .

بين ١٩٣٦ - ١٩٣٩ تلقت الحركة الثورية الفلسطينية ضربة ساحقة في النقاط الثلاث التي تبلورت منذ ذاك بصفتها المعضلة الاساسية التي يواجهها شعب فلسطين: القيادات الرجعية المحلية، والانظمة العربية المحيطة بفلسطين ، والحلف الامبريالي - الصهيوني ، وسوف يترك هذا « العدو » المثلث بصماته على تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية منذ ١٩٣٦ بصورة اوضح مما كانت في أي وقت مضى ، وحتى الهزيمة الثالثة التي تلحق الجماهير الفلسطينية والعربية في ١٩٦٧ . وستحاول هذه الدراسة ان تركز بصورة خاصة على هذه النقاط الثلاث وعلى الجدلية المتضمنة في كل منها على حدة والقائمة فيما بينها جميعا .

ان عنف التجربة الوطنية الفلسطينية التي تفجرت منذ ١٩١٨ وكانت تترافق بصورة او باخرى مع الكناح المسلح ، لم تستطع ان تعكس نفسها على البنية الفوقية للحركة الوطنية ، التي ظلت تحت هيمنة القيادات شبه الانتعابية - شبه الدينية ، ويعود ذلك بالدرجة الاولى الى سببين متداخلين : ا - وجود وفاعلية الحركة الصهيونية التي ضاعفت من ثقل وهيمنة التحدي القومي على جميع اشكال التحديات الاخرى ، وعكس هذا التحدي نفسه على الطبقات الكادحة العربية التي كانت تعاني من الغزو الصهيوني المدعوم من الامبريالية البريطانية معاناة يومية مباشرة . ب - وجود حد من التناقض بين القيادات العائلية الانتعابية الدينية العربية وبين الامبريالية البريطانية ، يجعل دفع الثورة الى مدى معين من مصلحة هذه الطبقات التي تجسد

التقدمية العربية في جمعيات العمال العرب نسي حيفا ويافا بالتراجع ، منسحا المجال لبيسة القيادات الرجعية التي كانت تحتكر العمل السياسي آنذاك .

### الخلفيات : العمال

لم تكن الهجرة اليهودية الى فلسطين ، والاشكالات المنبثقة عنها ، مسألة اخلاقية او مسألة قومية صرف ، بل كانت لها انعكاسات اقتصادية مباشرة ذات تأثير يومي متعاطف ، ملموس بوضوح شديد ، على الشعب العربي في فلسطين ، وخصوصا على صغار الفلاحين والفلاحين المتوسطين والعمال وقطاعات من البورجوازية الصغيرة والوسطى . ان الانعكاسات الاقتصادية للهجرة اليهودية كانت حادة في حد ذاتها ، ولكنها تضاعفت ايضا بسبب النتائج القومية والدينية التي حملتها معها بالطبيعة . نبين عام ١٩٣٣ و١٩٣٥ هاجر ١٥٠ الف يهودي الى فلسطين ، واصبح عدد اليهود في فلسطين ٤٤٣٠٠٠ نسمة يمثلون ٢٩٠٦ بالمئة من عدد السكان الاجمالي . واذا أخذنا جانبنا آخر من هذه الارقام ، كي ندرک معناها ادراكا حقيقيا ، فانه ينبغي لنا أن نلاحظ بانه بينما كان المعدل السنوي لعدد المهاجرين اليهود الى فلسطين بين عامي ١٩٢٦ — ١٩٣٢ يبلغ ٧٢٠١ يهودي في العام ، اصبح هذا المعدل بين عامي ١٩٣٣ — ١٩٣٦ يبلغ ٤٢٠٦٨٥ يهوديا في العام(١) . ان المسعف الهتلري هو الذي أدى الى تصاعد الهجرة اليهودية في تلك الاعوام على وجه التحديد : في ١٩٣٢ دخل فلسطين ٩ آلاف يهودي الماني ، وفي ١٩٣٣ دخلها ٣٠ الف يهودي الماني ، وفي ١٩٣٤ دخلها ٤٠ الفا ، وفي ١٩٣٥ دخلها ٦١ الفا(٢) ، اتجه حوالي ثلاثة ارباعهم الى المدن .

واذا كانت الهتلرية هي المسؤولة عن ارهاب اليهود الالمان ودعمهم الى الهرب ، فان الرأسمالية « الديمقراطية » هي التي كانت مسؤولة ، جنباً الى جنب مع الصهيونية ، في توجيه جزء كبير نسبيا من هذه الهجرة الى فلسطين ، ونستطيع التحقق من ذلك من خلال الارقام التالية : فالولايات المتحدة رفضت ان تقبل في بلادها ، من اصل ٢٠٥٦٢٠٠٠ يهودي هربوا من الاضطهاد النازي بين عامي ١٩٣٥ و١٩٤٣ سوى ١٧٠ الفا ( أي ٦٠٦ بالمئة ) وبريطانيا ٥٠ الفا ( أي ١٠٩ بالمئة ) وتعين على فلسطين

وقد نتج عن ذلك ظاهرة لافتة للنظر : فاصوات المهادنة العربية التي أخذت تظهر منذ الثلاثينات واولائل الاربعمينات لم تكن اصوات اسياد الارض والفلاحين المتوسطين بصورة عامة ، ولكنها كانت اصوات كبار بورجوازيي المدن العرب الذين كانوا مجرد وسطاء للامبريالية والذين بدأت مصالحهم تتسلق المصالح المتسمة للبورجوازية اليهودية الآخذة في شق طرق التصنيع ، خالقة في الوقت ذاته وكلاهما .

في غضون ذلك كانت البلاد العربية المحيطة بفلسطين تلعب دورين متعاكسين ، ففي حين كانت حركة الجماهير العربية تدفع النفس الثوري للجماهير الفلسطينية وتبني مع حركتها علاقة جدلية متبادلة التأثير ، كانت الانظمة المهيمنة في هذه البلدان تبذل كل ما في وسعها لكبح حركة الجماهير الفلسطينية واجهاضها . ان هذه الظاهرة مهمة للغاية ذلك ان طبيعة التناقضات المركبة والحادة التي كانت تعيشها الساحة الفلسطينية كان من شأنها ان تطور بصورة متسارعة اشكال النضال التي كانت تعرفها الساحات العربية الاخرى وترتقي بها الى اشكال أكثر عنفا ، وكان ذلك يشكل درجة أعلى من الاحتمالات الثورية في البلاد العربية لم يكن بمقدور الطبقات الحاكمة آنذاك ان لا تكتث به اكثرنا شديدا ، وكان هذا الواقع يدفعها دائما الى الوقوف الى جانب الامبريالية البريطانية ضد شركائها المطبقين الذين كانوا يقودون الحركة الوطنية الفلسطينية . ومن جهة اخرى كان الحلف الصهيوني — الامبريالي يزداد متانة ، وقد تبلورت في تلك الفترة بالذات ( ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ) ليس نقط الطبيعة العسكرية العدوانية لمجتمع الغزو الذي أرست الصهيونية جذوره في المجتمع اليهودي بفلسطين ، ولكن ايضا الهيمنة شبه الكاملة على الهيكل التحتي للاقتصاد الفلسطيني الذي سيكون له فيما بعد تأثيرات جذرية على الصراع القائم . ففي تلك الفترة قضت الصهيونية متحالفة مع الانتداب على كل آمال نشوء او تطور حركة عمالية يهودية تقدمية ، وكذلك على آمال اخوة بروليتارية عربية يهودية ، فقد شجب صوت الحزب الشيوعي الفلسطيني على طرفي الصدام ، وهيمن الهستدروت الرجعي كليا على الحركة العمالية اليهودية ( التي كانت اصلا مؤهلة للسقوط في شركه ) فيما أخذ النشوذ الذي كان آخذا بالتصاعد بالنسبة للقوى

أن تستوعب ٨٤٥ بالآلة ، بينما وجد ١٤٩٣.٤٠٠ من اليهود الالمان ( أي ٧٥٤٣ بالآلة ) ملجأ في الاتحاد السوفياتي(٣). ان الهزة الاقتصادية التي تمهينا ارقام الهجرة اليهودية بالنسبة للمجتمع العربي في فلسطين ، يمكن تبينها من خلال معرفة أن نسبة الرأسماليين اليهود من مجموع المهاجرين في عام ١٩٣٣ كانت ١١ بالآلة اي ٣٢٥٠ رأسماليا يهوديا ، و١٢ بالآلة في ١٩٢٤ اي ٥١٢٤ رأسماليا و١٠ بالآلة في ١٩٢٥ اي ٦٢٠٩ رأسماليين(٤).

بين عامي ١٩٣٢ و١٩٣٦ دخل فلسطين حسب الاحصاءات الرسمية ١٣٨٠ يهوديا يملكون اكثر من الف ليرة فلسطينية و١٧١١٩ يهوديا يعتمدون عليهم ، بحالهم حوالي ١٣٠ الف يهودي وصفوا رسميا بانهم قادمون للاستخدام او معتمدون على هؤلاء القادمين او على مهاجرين سبقوهم(٥). ان ذلك يعني ، بكلمات اخرى ، ان الهجرة كانت ، في الوقت الذي تحرص فيه على تأمين مركز رأسمالي يهودي في فلسطين هيمن على عملية تحول الاقتصاد « الفلسطيني » من اقتصاد زراعي الى اقتصاد صناعي ، فانها كانت تحرص أيضا على تزويد هذا التحول ببروليتاريا يهودية ، وكان لهذا السلوك ، الذي أعطى نفسه شعار « اليد العاملة اليهودية فقط » نتائج خطيرة ، اذ انه ساق بسرعة لا مثيل لها نحو بروز الفاشية في مجتمع المستوطنين اليهود .

لقد نشأ عن ذلك ، بالبداهة ، تناقض شاذ بين البروليتاريا اليهودية والبروليتاريا العربية ، وكذلك بين الفلاحين والمزارعين والعمال الزراعيين اليهود ، ولكن هذا الصدام كان يرتفع أيضا الى الطبقات الاعلى ، اذ ان ملاكي الارض المتوسطين والبورجوازية المدنية الوسطى العربية كانت تشعر بأن الرأسمال اليهودي أخذ في الهيمنة على مصالحها . ففي عام ١٩٣٥ مثلا كان اليهود يسيطرون على ٨٧٢ مؤسسة صناعية في فلسطين من اصل ١٢١٢ ، يستخدمون فيها ١٢٤٦٧٨ اجرا فيما كانت المؤسسات الصناعية العربية الس ٣٤٠ تستخدم حوالي ٤٠٠٠ اجرا فقط ، وكان اليهود يوظفون في مؤسساتهم ٤ ملايين و٢٤١ الف جنيه فلسطيني مقابل ٧٠٤ الاف جنيه يوظفها العرب ، ويتجوزون بما قيمته ٦ ملايين جنيه عربيا مقابل مليون و٥٤٥ الف جنيه تتجهها المؤسسات العربية ، وبالإضافة لذلك كان اليهود

يسيطرون على ٩٠ بالآلة من الامتيازات التي تمنحها حكومة الانتداب والتي تبلغ توظيفاتها ٥ ملايين و٧٨٩ الف جنيه وتستخدم ٢٦١٩ اجرا(٦).

ان المعدل العام ، للنسبة المئوية في زيادة اجور العمال اليهود على العمال العرب ، حسب احصاء رسمي جرى في ايلول ١٩٣٧ قد بلغ ١٤٥ بالآلة وفي بعض الاعمال كانت تبلغ ٤٣٣ بالآلة ( بين النساء العربيات واليهوديات العاملات في النسيج ) و٢٣٣ بالآلة ( الفرق بالاجور بين العاملات العربيات والعاملات اليهوديات في فرز التبغ ) و٨٤ بالآلة ( بين العمال العرب والعمال اليهود في تنفيذ الحروف ) .. الخ(٧). « ان الاجور الحقيقية للعمال العربي هبطت في ايلول ١٩٣٧ عشرة بالآلة بالمقابلة مع اجور ١٩٣١ بينما ارتفعت الاجور الحقيقية للعمال اليهودي عشرة بالآلة »(٨).

هذه الانعكاسات الاقتصادية لحركة الهجرة اليهودية أضحت اكثر خطورة حين بدأ واضحا ان الانتداب البريطاني قد سهل للرأسمال اليهودي ومكن له من السيطرة على الهيكل التحتي للاقتصاد الفلسطيني ، بحيث بدأ المستقبل — ايضا — دون آمال تذكر ( مشاريع الطرق ، معادن البحر الميت — الكهرباء ، الموانئ .. الخ ) . لقد ادت هذه الحقائق الى انهيار شبه كلي في الاقتصاد العربي في فلسطين وتحول العمال العرب العباء الاوفر منه ، ويقول جورج منصور مسكوتيز جمعية العمال العرب في يانا ، في شهادته امام لجنة بيل الملكية ان ٩٨ بالآلة من العمال العرب يعيشون « في حالة هي دون الوسط بكثير » . ويقول انه بناء على احصاء تناول الف عامل في يانا عام ١٩٣٦ تبين لجمعية العمال العرب ان ٥٧ بالآلة من العمال العرب يبلغ دخلهم اقل من ٢٤٧٥٠ جنيه ( المعدل الوسطي للحد الأدنى الذي تحتاجه العائلة ١١ جنيا ) وهناك ٢٤ بالآلة دخلهم اقل من ٤٤٢٥٠ جنيا و ١٢ بالآلة اقل من ٦ جنيا و ٤ بالآلة اقل من ١٠ جنيا و ١٤٥ بالآلة اقل من ١٢ جنيا و٥٠٠ بالآلة اقل من ١٥ جنيا(٩).

وقد رفضت الحكومة البريطانية اعطاء اذن لتظاهرة قرر القيام بها الف عامل عاطل عن العمل في يانا في ١٢/٦/١٩٣٥ ، وقالت مذكرة جمعية العمال العرب للحكومة انه اذا لم تتم هذه الاخيرة بخل المشكلة « فان الايام المقبلة ستضطررها الى اطعام العمال خبزا او رصاصا »(١٠).

كانت الثورة ، عند ذاك ، على الابواب .

ان جورج منصور ( الذي كان شيوعيا في السابق ويبدو انه في ذلك الحين ترك الحزب نتيجة خفوت دوره ) يقدم للجنة بيل امثلة حسية مذهلة : فقد بلغ عدد العاطلين عن العمل في يافا في اواخر ١٩٣٥ ، ٢٢٧٠ عمالا وعاملة ، وهذا رقم كبير في مدينة كان عدد سكانها آنذاك ٧١ الفا(١١). ويعدد منصور خمسة اسباب لهذه البطالة اربعة منها تتعلق بالهجرة اليهودية اساسا : ١ - الهجرة ٢ - نزوح الفلاحين للمدن ٣ - طرد العمال العرب من الاعمال ٤ - سوء الحالة الاقتصادية ٥ - تحيز الحكومة الشنيع للعمال اليهود(١٢). وعلينا ان نلاحظ انه في غضون ذلك زاد عمال الهستدروت في ٩ شهور فقط ٤١ الف عامل ، ويثبت ذلك مقال الادون غروكهن في العدد ٣٤٦٠ من جريدة دافار ، فقد جاء فيه ان عدد عمال الهستدروت بلغ في اواخر ايلول ١٩٣٦ : ١٥ الف عامل بينما يقول تقرير الحكومة الرسمي لـ ١٩٣٥ ( ص ١١٧ ) ان عددهم كان في اواخر سنة ١٩٣٥ فقط ٧٤ الفا(١٣). كان ذلك يؤدي ليس فقط الى طرد العمال العرب من المؤسسات او المشاريع التي يهيمن عليها الرأسمالي اليهودي بل الى صدامات دائمة : ففي ٤ مستعمرات يهودية فقط ، هي ملبس وديران ووادي حنين والخضيرة كان يعمل ٦٢١٤ عمالا عربيا في شباط ١٩٣٥ وبعد ٦ اشهر فقط نقص العدد الى ٢٢٧٦ وبعد حوالي عام نزل الى ٦٧٧ عمالا عربيا فقط(١٤). وقد وقعت تعديلات دائمة على العرب ، منها ارغام الحاميات اليهودية لمقاول عربي وعماله على الانسحاب من عملهم في عمارة الادون بروننسكي في حيفا بالقوة عام ١٩٣٤ ، كان الطرد يتناول عمال البيارات ومعامل السجاير والمحاجر واعمال البناء ومعامل الكلس وغيرها(١٥). ومن ١٩٣٠ الى ١٩٣٥ هبطت قيمة صادرات صناعة الاصداف العربية من ١١٥٥٣٢ جنيتها الى ٣٠٧٧٧ جنيتها ، وتناقصت معامل الصابون العربية من ١٢ معملا في يافا وحدها عام ١٩٢٩ الى ٤ في ١٩٣٥ ، وبينما كانت هذه المعامل تصدر في ١٩٣٠ ما قيمته ٢٠٦٤٢٥٩ جنيتها تدنت القيمة في ١٩٣٥ الى ٧٩٤٣١١ جنيتها(١٦). ان افضل وصف لهذه الحالة هو ان البروليتاريا العربية كسنت « ضحية الاستعمار البريطاني والراسمالية اليهودية، وعلى

الاول تقع المسؤولية»(١٧). ويضيف «يهودا بوير» الى ذلك كله (١٨) ان فلسطين « كانت عشية الاضطرابات (١٩٣٦) البلد الوحيد في العالم ، فيما عدا الاتحاد السوفياتي ، التي لم تتأثر بالازمة الاقتصادية ( العالمية ) ، وعلى العكس فقد تمتعت بازدهار حقيقي نتيجة استيراد رأسمال مالي بلغ اكثر من ٣٠ مليون جنيه استرليني بين ١٩٣٢ - ١٩٣٦ ، بيد ان هذا الرأسمال لم يكن كافيا ليغطي كل برامج الاستثمار التي بدأت بتفاؤل مبالغ فيه . الا ان هذا الازدهار الذي كان قائما على اسس هشّة تهاوى فجأة حين توقف تدفق الرأسمال الخاص نتيجة التخوف من انفجار الحرب في المتوسط « وقد تقوض نظام التسليف وظهرت علامات البطالة بصورة جديّة وتناقصت اعمال البناء كثيرا . طرد العمال العرب من أماكن عملهم اليهودية او العربية ليعودوا ، على الاقل جزئيا ، الى قراهم .. ووجدت مطرقة الدعاية القومية في الازمة الاقتصادية سنداتها(١٩). ان كلام بوير ، بالطبع ، يحذف العامل الاهم وهو الهجرة اليهودية الى فلسطين وتضاعفها . فاذا تذكرنا قول الخبير السير جون هوب سمبسون في تقريره ، ص ١١٧ « انها سياسة سيئة وربما خطيرة ان ترصد اموال كبيرة في صناعات غير محققة الفائدة في فلسطين لتبرير زيادة عدد المهاجرين» فان كلام بوير السابق يبدو دون سند منطقي: اذ ان تدفق الرأسمال اليهودي - عكس ما يقول - ظل في تصاعد خلال السنوات التي يتحدث عنها، والواقع انه بلغ ذروته في ١٩٣٥ . وكذلك بالنسبة لعدد المهاجرين الذي تصاعد في هذه السنوات وارتفعت رؤوس الاموال اليهودية المستثمرة في الصناعات والحرف اليهودية من ٥٣٧١٤٠٠٠ ج.ف في ١٩٣٣ الى ١١٤٦٣٧٠٣٠٠ ج.ف في ١٩٣٦ ( المصدر ص ٣١٣ ) ، كما ان عمليات طرد العمال العرب من الاعمال اليهودية قد بدأ قبل ذلك بكثير (٢٠). وكانت قوافل من الفلاحين العرب ، في هذه الاثناء ، تطرد وتقتلع من اراضيها وتتدفق الى المدن نتيجة الاستعمار الصهيوني في الارياف (٢١). يقول اسرئائليون يساريون : ان تجربة .ه. عابا لا تحتوي على مثال واحد يشير الى تمبئة العمال الاسرائيليين حول قضايا مادية او اتحادات عمال لتحدي النظام الاسرائيلي نفسه ، من المستحيل تمبئة حتى البروليتاريا بهذه الطريقة(٢٢).



وتنمو فعلا الا خارج هيمنتها). وهكذا تعرضت هذه الحركة الوليدة\* الى ارباب القيادات الاقتصادية : ففي اوائل الثلاثينات اغتالت جماعة المفتي ميشيل متري رئيس جمعية العمال العرب في يافا ، وبعد ذلك بحوالي عشر سنوات اغتيل بالطريقة نفسها النقباني سامي طه رئيس جمعية العمال العرب في حيفا . لقد كانت العلاقة السياسية بين العمال العرب وبين القيادات الاقتصادية ، بسبب غياب قوة بورجوازية لها نفوذ سياسي واقتصادي في البلاد ، ذات طبيعة تناحرية لا يمكن التقليل من حدتها الا عندما تتحقق للقيادات الاقتصادية - الدينية السيطرة على العمل النقباني ، ولكن اذا حدث ذلك فان العمل النقباني يفقد جوهر دوره النضالي ، ومع ذلك فان مساحة معينة من القضية المشتركة كان يمكن العثور عليها دائما ، نتيجة لاحتدام النضال القومي .

ان دور الحزب الشيوعي هنا مهم للغاية ، وفي مطلع العشرينات كان يمكن العثور على بوارق من امل لم يكن من الممكن آنذاك الاعتقاد بانها بوارق مزيفة، مثلا : تظاهرة شيوعية من نحو ٥٥ شخصا صباح اول ايار ١٩٢١ في تل ابيب تصطدم بتظاهرة صهيونية ، وقد ارغم الشيوعيون على الهرب من تل ابيب ، فالجأهم حي المنشية العربي في يافا ، واصطدم الجميع بالبوليس البريطاني حين جاء ليقبض على البولشفيك(٢٥). وفي بيان جرى توزيعه

\* تأسست جمعية العمال العربية الفلسطينية ، التي كان مركزها حيفا ، عام ١٩٢٥ ، واستطاعت في فترة وجيزة ان تنشئ ١٩ فرعا في فلسطين (عكا، البصة، نابلس، طولكرم، يافا ، اللد ، الرملة ، بيت نبالا ، سلمه ، خان يونس ، القدس ، عمواس ، غزة ، المجدل ، النعاني ، القباب ، ترشيحا ، وصفد ) على ان مبادئها الاساسية التي تتحدث عن تنظيم العمال والدفاع عن مصالحهم وحمايتهم تضمنت ايضا ان « تكون كل افعالها ضمن دائرة القانون والنظام ، وان لا تتناول الامور السياسية ولا الدينية » ومع ذلك فقد استطاعت ان تعبئ قوة لا بأس بها ، وقد سيطر عليها في معظم الحالات تيار القوميون العرب ، ومن بين صفوفها انبثق عدد من القادة الثوريين الحليين ، ويقال ان مزالددين القسام كان له نفوذ قوي بين صفوف مؤاعدها العمالية.

والواقع ان هذا الوضع لم يكن نشوءا عشوائيا غير محسوب ، نتج عن خطأ غير متوقع في مخطط ديني ، بل على العكس تماما . فالحركة الصهيونية منذ البدء كانت على وعي لما سيحدث : « ان الاراضي الخاصة في المناطق الممنوحة لنا يجب ان نستولي عليها من ايدي المالكين ، ويجب اجلاء الفقراء من السكان بهدوء خارج الحدود وذلك عن طريق توفير اعمال لهم في البلاد التي يرحلون اليها ، ولكننا نرحم عليهم اي عمل في بلادنا، اما اصحاب الاملاك فسينضمون اليها»(٢٦). ان الهستدروت يضع هذه الحقيقة بصورة واضحة : « ان السماح للعرب بالتغلغل في سوق اليد العاملة اليهودية يعني ان يستخدم ضسخ الرأسمال اليهودي لمصلحة التطور العربي ضد الاهداف الصهيونية ، وبالإضافة لذلك فان توظيف العمال العرب في الصناعة اليهودية سيؤدي الى تقسيم طبقي في فلسطين يتبع الخطوط العرقية : اليهود كراسماليين يستخدمون العرب كمعمال ، وبذلك نعيد في فلسطين الاسس غير الطبيعية التي ادت الى ظهور اللاسامية في التيه»(٢٧). ان هذا التطابق الايديولوجي والواقعي على عملية الغزو الاستيطاني قد استولد ، مع تصاعد التناقض مع المجتمع العربي ، اشكالا فاشية من التنظيمات الصهيونية ، واستخدمت الفاشية الصهيونية هذه اساليب الفاشية الصاعدة آنذاك في أوروبا . وكان العامل العربي ، في هذه الصورة ، تحت ناع ذلك الهرم الثقيل الشديد التعقيد . وازداد الوضع سوءا نتيجة ارتباك الحركة النقابية العربية الناشئة . والواقع انه في الفترة الممتدة بين اوائل العشرينات واول الثلاثينات تلتقت الحركة العمالية اليسارية ، في الجانب العربي وفي الجانب اليهودي على حد سواء ، ضربات ساحقة جعلتها بالإضافة للاسباب الذاتية حركة كسيحة . فمن جهة كانت الحركة الصهيونية التي شرعت تتجه بسرعة نحو الفاشية والارهاب المسلح تشكل تهديدا معنويا وماديا للحزب الشيوعي الذي كان معظم زعمائه من اليهود ، والذي لم يكن يهضم بأي شكل من الاشكال آنذاك ، داخل الحركة الصهيونية الممثلة باحزابها « العمالية » ، من الجهة الاخرى كانت القيادة الاقتصادية الدينية الفلسطينية لا تتحمل بدورها نشوء حركة نقابية عربية خارج هيمنتها (ولم يكن ممكنا لحركة نقابية عمالية حقيقية ان تنشأ

تعريب الحزب « . وتشكر الرثائق من « مساع انتهازية ... لتجويد تعريب الحزب » . ان المؤتمر السابع يقر هذه الحقيقة البديهية الرئيسية : على الحزب ان يزيد كوادر القوى الثورية القادرة على توجيه نشاط الفلاحين في الطريق الصحيح ، اي كوادر العمال العرب الثوريين ، ولذا فان تعريب الحزب ، اي تحويله الى الحزب الحقيقي للجماهير الكادحة العربية ، هو الشرط الاول والاساسي « لعمل ناجح في الارياف » (٢٨) . ولكن الحزب لم يستطع قط ان ينجز مهام التعريب ، ولذلك ظلت الشعارات الثورية الصحيحة التي اقترها المؤتمر بريقا نظريا لا اكثر : « لا دونم واحد للفاسيين الامبرياليين والصهيونيين » ، « الاستيلاء الثوري على الارض العائدة للحكومات والمعمرين اليهود الاغنياء والطوائف الصهيونية وكبار الملاكين والمزارعين العرب » ، « عدم الاعتراف بالاتفاقات المتصلة ببيع الارض » ، « النضال ضد الفاسيين الصهيونيين » . ويقرر المؤتمر : « ان حل المسائل المنتهبة كافة ، والتصفية الحقيقية للاضطهاد ممكن فقط بثورة مسلحة تحت قيادة الطبقة العاملة » (٢٩) . « ممكن فقط » كانت هذه هي العبارة المهمة .

ان الحزب الشيوعي الفلسطيني لم ينجز مهمة التعريب ، وهكذا تهاوى بنيان المخطط برمته ، وظل الميدان مفتوحا امام هيمنة القيادات الاقطاعية - الدينية . ان اسباب ذلك عديدة ، ولكن ربما يكون اهمها هو ان هذا الخط في الحزب الشيوعي كان انعكاسا للموقف المتصلب والثوري الذي اشتهر عن الكومنترن في فترة ١٩٢٨ - ١٩٣٤ . ورغم صغر عددهم ، وعزلهم ، وعدم نجاحهم الكامل في تعريب الحزب ، وفشلهم في الوصول الى الريف ، فقد تلقى الشيوعيون بكل ثقلهم في معركة ١٩٣٦ ، واخذوا مواقف شجاعة وتعاونوا مع بعض القادة المحليين ، وايدوا المفتي ، وخسروا كثيرا من الشهداء والمعتقلين ، ولكنهم لم يفلحوا في ان يكونوا قوة مؤثرة . ويبدو ان شعار التعريب ضاع في مكان ما بعد ذلك ، اذ تجرؤ الازلمستيا في ١٩٤٦/١/٢٢ ( اي بعد حوالي عشر سنوات ) على تشبيه « نضال اليهود » في فلسطين بالنضال البلشفي قبل ثورة ١٩١٧ .

مهما يكن فان مقررات المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الفلسطيني لم يكشف عنها الا مؤخرا ، وعملية التعريب لم تحدث ، وبالرغم من الدور

في اليوم نفسه ، قالت « اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعي الفلسطيني » : « يعيش محكم الممال اليهود ، الذين لم ياتوا لاضطهادكم بل كي يعيشوا معكم ، وهم مستعدون للجهاد بجانبكم ضد هؤلاء الاعداء المالبين من اليهود والعرب والانكليز ... واذا كان اصحاب الاموال يدفعونكم ضد العمال اليهود حتى يامنوا من تعديكم عليهم ، فقول تبقون على خطاكم هذا ؟ ان هذا العامل اليهودي ، جندي الثورة ، جاء يمد يده الى ايديكم كترميل لكم لمقاومة المالبين الانكليز واليهود والعرب ... نناديكم للجهاد ضد الاغنياء الذين يبيعون البلاد واهاليها للاجانب ، فلتسقط الحراب الانكليزية والفرنسية وليسقط اصحاب الثروات العرب والاجانب ... » (٢٦) . ان الدهش في هذا البيان الطويل ليس فقط ذلك التحليل التجريدي ، الخيالي ، لحالة الصراع ولكن ايضا خلوه كليا من كلمة « صهيوني » : الخطر الذي كان يحسه العامل والفلاح العربي ان احساسا يوميا ، والذي ربما احسه ، صبيحة اليوم ذاته الذي وزع فيه ذلك المنشور ، ٥٥ شيوعيا « يهوديا » ضربهم الصهاينة في تل ابيب ، وطردهم نحو يافا .

سيظل الحزب الشيوعي الفلسطيني واقفا على هذا البعد من ارض الواقع حتى ١٩٣٠ حين انعتد مؤثره السابع اخر ذلك العام ، واعترف في مقرراته انه « اعتمد موقفا اساسيا خاطئا في المسألة القومية الفلسطينية اي في مسألة دور الاقلية القومية اليهودية في فلسطين ازاء الجماهير العربية ، ونتيجة لذلك لم يتم الحزب بنشاط عملي بين الجماهير العربية ، وظل قطاعا انعزاليا يعمل بين العمال اليهود وحدهم ، وهذه العزلة انعكست في موقف الحزب اثناء الثورة العربية عام ١٩٢٩ ، حين انقطع الحزب عن حركة الجماهير » (٢٧) .

وبالرغم من ان الحزب يكيل الاتهامات للبورجوازية الفلسطينية التي كانت آنذاك في وضع حرج ، وبالرغم من انه يتجه نحو نبذ تكتيكات الجبهات الشعبية والتحالفات بين طبقات الثورة فان وثائق المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الفلسطيني ١٩٣٠ - ١٩٣١ هي من اثنان وادق التحليلات في تاريخ هذا الحزب ، ففيها يكرس الحزب اولوية حل قضية العرب القومية كواجب من اهم واجبات الكفاح الثوري ، وفيها يعترف بان الانتطاع من حركة الجماهير كان « نتيجة انحراف صهيوني اساق

الثقافي الذي لعبه الحزب ، والعناصر المناضلة في هذا الصعيد التي انتجها ، فانه لم يلعب في الحركة النضالية الفلسطينية في تلك الفترة الدور الذي رشحه له مؤتمره السابع ، وقد انشطرت الحرب من القاعدة خلال ثورة ١٩٣٦ ، وتمرض لانشطار اخر ، قاعدي ، في ١٩٤٨ ، وفي ١٩٦٥ انشق مرة اخرى ، والسبب بالضبط يتعلق بمسألة التعريب ، اذ ان المنشقين كانوا من دعاة تبني سياسة «بناء» ازاء الصهيونية . ان غياب دور الحزب الشيوعي على هذه الصورة ، وضمف البورجوازية العربية الصاعدة ، ونشئت الحركة العمالية العربية ، جعل دور القيادات الاقطاعية - الدينية مرشحا للعب دور رئيسي عندما تصاعدت الاحداث الى انفجار ١٩٣٦ .

### الفلاحون

لك كانت الاوضاع العمالية عشية انفجار ثورة ١٩٣٦ ، الا ان هذه الاوضاع كانت تشغل نصف مساحة الخارطة التي كان يحتدم فيها ذلك التناقض الزكبي بين المجتمع اليهودي في فلسطين وبين المجتمع العربي ثم داخل كل واحد من هذين المجتمعين على حدة . اما النصف الاخر من الخارطة فقد كان في الريف . فهناك اخذ الصراع شكله القومي المباشر ، لان الاموال اليهودية المتدفقة بغزارة على فلسطين مضانا اليها القوات العسكرية للامبرياليين البريطانيين ، والنفوذ الهائل للجهاز الاداري الانكليزي ، قد حققت بالنسبة الى مخططات الصهيونية في اقامة دولة يهودية نتائج تافهة ( ٦٧٥٢ مستوطنا مستعمرا ) ولكنها نجت في مزاولة تاثير تخريبي علي الجماهير العربية ... ان ملكية الجماعات اليهودية قد ارتفعت على حساب الاراضي الريفية والمدينية من ٢٠٠ الف دونم عام ١٩٢٩ الى مليون و ٢٥٠ الف دونم عام ١٩٣٠ . ان هذه الـ ١٠٠ الف هكتار لا تساوي شيئا يذكر بالنسبة للاستعمار الجماهي ، ولحل « المسألة اليهودية » ، ولكن ... الاستيلاء على حوالي مليون دونم اي ما يقرب من ثلث الارض الزراعية ، يعني الانتار للفلاحين والبدو على نطاق ووتيرة لم يسبق بهما من ذي قبل ، ان هددت عائلات الفلاحين الذين طردوا من ارضهم من قبل المهينة يبلغ ( ١٩٣١ ) ٢٠ الفا (٣٠) . على انه بالإضافة لعملية الانتار المنظمة هذه ، فان العامل

القومي ها هنا يلعب دورا رئيسيا . فالحياة الزراعية في العالم المتخلف صوما ، وبصورة خاصة في العالم العربي ، ليست نمطا من الانتاج فحسب ، بل هي ايضا وبدرجة مساوية اسلوب حياة اجتماعية ودينية وطقوسية راسخة . وبالتالي فان الصدام على هذا الصعيد يشكل صداما يأخذ بالدرجة الاولى شكل الصراع القومي البحت . فحتى عام ١٩٣١ كان ١٥١ يهوديا فقط من كل الف يهودي في فلسطين يعتمدون في معيشتهم على الزراعة ، بينما كانت النسبة بين العرب المسلمين ٦٢٧ شخصا في كل الف ، وهكذا فانه من اصل حوالي ١١٩ الف «فلاح» يشتغل بالأعمال الزراعية في فلسطين لا يوجد الا ١١ الف يهودي تقريبا (٣١) . وفي حين انه ( في عام ١٩٣١ ) كان هناك ١٩٤١ بالمائة من اليهود فقط يعملون في الزراعة كان هناك ٥٩ بالمائة من العرب يمارسون هذا العمل . ان الاساس الاقتصادي لهذا الصدام فادح الخطورة بالطبع ، ولكن كمي نفهه تماما ينبغي ان ندرك وجهه القومي : ان ٣٠ بالمائة من الفلاحين العرب في ١٩٤١ لم يكن لديهم اية قطعة ارض ، فيما كان يملك ٥٠ بالمائة من الباقي ارضا صغيرة لا تكتفيهم ، هنالك - من جهة اخرى - ٢٥٠ اقطاعيا عربيا كانوا يملكون ٤ ملايين دونم ، و ٢٥ الف عائلة فلاحية بدون ارض ، و ٤٦ الف عائلة فلاحية لها ارض صغيرة بمعدل ١٠٠ دونم للعائلة ، و ١٥ الف عامل زراعي مجاور يعملون عند ملاكين . وحسب دراسة اجريت على ٣٢٢ قرية عربية في ١٩٣٦ تبين ان ٤٧ بالمائة من الفلاحين يملكون اقل من ٧ دونمات ، و ٦٣ بالمائة يملكون اقل من ٢٠ دونما ( الحد الأدنى اللازم لاطعام عائلة فلاحية ١٢٠ دونما ) (٣٢) . ولكن من خلال انسحاق الفلاح العربي بين كابوس مثلث : الغزو الصهيوني للارض ، والملكبة الاقطاعية العربية ، وغداحة الضرائب التي تفرضها حكومة الانتداب ، فان التحدي الذي يأخذ مكان الصدارة هو التحدي القومي . ان كثيرا من الفلاحين العرب الصغار ، في انتفاضة آب ١٩٢٩ وانتفاضة ١٩٣٣ باعوا اراضيهم للملاكين العرب الكبار كسي يشتروا بائمانها سلاحا لمقاومة الغزو الصهيوني والانتداب البريطاني . ان الغزو ، الذي يتحدى طراز عيش له نفوذ الدين والتقليد والشرف ، هو الذي مكن القيادات الاقطاعية - الاكثريكية من مواصلة لعب

دورها بالرغم من الجرائم التي ارتكبتها ، ففي كثير من الحالات كانت العناصر الاقتصادية التي تشتري تلك الارض تباعها للراسمال اليهودي . وخلال الفترة الممتدة بين ١٩٣٣ و ١٩٣٦ كان ٦٢٤٧ بالمتة من مجموع الارض التي اشتراها الصهاينة اراضي ملاكين متواجدين في فلسطين ، و ١٤٤٩ بالمتة اراضي ملاكين غائبين ، و ٢٢٤٥ بالمتة اراضي فلاحين صغار بينما كانت هذه النسبة ، بين ١٩٢٠ و ١٩٢٢ : ٧٥٤٤ بالمتة اراضي ملاكين غائبين ، و ٢٠٤٨ بالمتة اراضي ملاكين متواجدين و ٣٤٨ بالمتة اراضي فلاحين صغار(٣٢).

ان القوانين التي سنتها حكومة الانتداب قد صممت لخدمة اهداف الاستيطان اليهودي ، ورغم انه من حيث الشكل حاولت تلك القوانين الابعاء بوجود ضمانات للفلاح ازاء عملية طرده من الارض التي يعمل عليها ، او عدم ارغامه على البيع ، الا ان هذه القوانين لم تحل دون حدوث ذلك ، مثل « حادث وادي الحوارث الذي تبلغ مساحته ٤٠ الف دونم ، وحادث قرية شطة البالغة مساحة اراضيها ١٦ الف دونم وحوادث اخرى كثيرة اخذ فيها اليهود الاراضي وشتتوا شمل المزارعين العرب ، وبسبب ذلك اصبح الخمسون الف يهودي الذين يعيشون في المستعمرات الزراعية يملكون مليوناً و ٢٠٠ الف دونم ، بمعدل ٢٤ دونماً للفرد . اما الفلاحون العرب الذين يبلغ عددهم ٥٠٠ الف فيملكون مساحة تقل عن ٦ ملايين دونم ، بمعدل ١٢ دونماً للفرد »(٣٤). وقد ظلت — على سبيل المثال — قضية ٨٧٣٠ فلاحاً طردوا من مرج بن عامر ( ٢٤٠ الف دونم ) الذي باعته عائلة سمرسق الاقتصادية البيروتية لليهود معلقة منذ حصول البيع والطرد في ١٩٢١ حتى انتهاء الانتداب في ١٩٤٨(٣٥) « ان كل قطعة ارض يشتريها اليهود تصبح غريبة عن العرب وكأنها اقتطعت من جسم فلسطين ونقلت الى بلاد اخرى » (٣٦). ورغم ان هذا الكلام المؤثر هو لاحد كبار الاقتصاديين الفلسطينيين الذين اسهموا في تزعم الحركة الوطنية الفلسطينية ، فانه هو نفسه الذي يقول « يقول اليهود ان عشرة بالمائة من الاراضي التي ابتاعوها كانت من الفلاحين والبقية من الملاكين الكبار ». وكأنه يجد في هذا القول ما لا يعجبه فيستطرد : « ولكن الحقيقة هي ان ٢٥ بالمائة من الاراضي التي ابتاعوها كانت

من الفلاحين »(٣٧). وهذا الشعور الخجول عند الانتطاعي المذكور له ما يبرره تماماً . فقد بين غرانوت — خبير الاراضي اليهودي — ان ما كسبته ٣ شركات يهودية فقط حتى عام ١٩٣٦ ، ( وهو بشكل نصف ما كسبه اليهود حتى ذلك التاريخ ) « انها حصلت على ٥٢٤٦ بالمتة منه من كبار اصحاب الارض الغائبين ، و ٢٤٤٦ بالمتة من كبار اصحاب الارض المقيمين ، و ١٣٤٤ بالمتة من الحكومة والكنائس والشركات الاجنبية ، و ٩٤٤ بالمتة من الامراء الفلاحين »(٣٨).

كانت عملية الشراء تخلق طبقة متزايدة الانتساع من الفلاحين المعدمين الذين كانوا يتحولون الى عمال زراعيين موسمين ، ولكنهم كانوا في الغالب يتجهون الى المدن ويضحون بيدا عاملة غير ماهرة ورخيصة ، اذ لم يحدث ان « اخرج فلاح من ارضه وتامن على ارض جديدة ، ولا في حادثة واحدة ، اما التعمير فقد كان قليلاً جداً ، ولم يكن سخياً الا في حالة المختار واعيان القرية ، اما الاكثرية الساحقة فلا »(٣٩). وكان هؤلاء يتوجهون في معظم الحالات الى المدن « ان عمال التنظيفات في يافا اكثرهم من القرى ( بربرة وخلافها ) ، وشركة السجاير والتبناك العربية في الناصرة تقول بان اكثر عمالها قرويون او من اصل قروي »(٤٠). ان ما يحدث هناك يصعب مفهومهما « فقد سألنا الشركة ( المذكورة ) عن عدد عمالها فقالت ٢١٠ ، فسألناها كم دفعت لهم اجورا اسبوعية فاجابت ٦٢ جنينها ، فاذا قسمنا المبلغ على ٢١٠ نحصل على رقم ٢٩ قرشاً ونصف وهذا معدل اجرة العامل الاسبوعي »(٤١) ( اجرة العاملة اليهودية في ذلك الوقت ، التي تعمل في شركات التبغ كانت تتراوح بين ١٧٠ و ٢٣٠ قرشاً يومياً )(٤٢) وحتى على الصعيد الرسمي ، حين كان القروي العربي المعدم ينزح الى المدينة ويجد عملاً في دائرة حكومية مثل دائرة الاشغال ، فقد كان الفارق في الاجر بينه وبين زميله اليهودي في الدائرة نفسها يتجاوز غالباً الـ ١٠٠ بالمتة (٤٣).

وكانت لجنة جونسون — غرومبي قد قدرت متوسط دخل الفلاح العربي سنوياً ( عام ١٩٣٠ ) بمبلغ ٣١،٣٧ جنينها قبل دفع الضرائب ، ولكن هذا التقرير نفسه اظهر ان الفلاح يدفع ٢٤٨٧ جنينها تسديداً لثلاث ضرائب ، فاذا حذفنا ٨ جنينها سنوية يدفعها كعائدة على دينه السنوي يصبح

على الفلاح ان يعيش بسـ ١٩ جنيتها ونصف سنويا  
هو وعائلته بينما المعدل اللازم لتغطية اود عائلة  
ملاحية ، كما يقول التقرير نفسه ، هو ٢٦ جنيتها .  
« ان طبقة الفلاحين هي في الحقيقة الطبقة الوحيدة  
التي يتحتم عليها ان تساعد في القيام بعبء جميع  
انواع الضرائب في فلسطين . . . ان السياسة  
التي تتبعها الحكومة ترمي الى وضع الفلاح في  
حالات اقتصادية تضمن انشاء الوطن القومي  
اليهودي» (٤٤).

لقد كان للهجرة اليهودية ، والمسألة المهمة المرتبطة  
بها وهي تحويل الاقتصاد « الفلسطيني » من  
اقتصاد زراعي عربي الى اقتصاد صناعي يهودي  
اثرهما المباشر على الفلاح العربي الصغير بالدرجة  
الاولى كما رأينا : ان الاعفاءات الضريبية التي  
كانت تمنح للمهاجرين اليهود ، والاعفاءات التي  
كانت تغطي استيرادات تتعلق بتنشيط الصناعة  
اليهودية وذلك بفرض ضريبة جمركية عالية على  
المنتجات المستوردة ، وباعفاء المواد الخام ،  
والمواد المصنوعة صنعا اوليا ، والفحم والاكياس  
والالات . . الخ من الضرائب الجمركية كانت تعوض  
عن طريق ابتزاز الفلاح العربي . فقد ارتفع معدل  
ضريبة الجبرك من ١١ بالمئة في بدء الانتداب الى  
اكثر من ٢٦ بالمئة في ١٩٣٥ : ١٠٠ بالمئة على  
السكر و ١٤٩ بالمئة على الدخان و ٢٠٨ على  
البنزين ، و ٤٠ بالمئة على الثقاب ، و ٢٦ بالمئة  
على القهوة (٤٥) . ان طوق الحصار الاقتصادي  
تلخصه بصورة رمزية هذه الحكاية التي رواها  
الطران غريغوريوس حجار امام لجنة بيل في  
١٩٢٧ : « كنت مرة في قرية الرامة في قضاء عكا ،  
وهناك سمعت شكوى السكان ( في ) هذه البلدة  
وجوارها ( التي ) فيها اكبر موسم للزيتون والزيت  
النقي ، وطالما كرر ( الاهالي ) الشكاوى الى  
المدوب السامي عن استعمال معمل شيمين للزيت  
الصناعي ، ( وهو المعمل ) الذي تعززه الحكومة  
بان تعفي من الرسوم الجمركية كل ما يرد اليه من  
الفول السوداني ، الذي يستخرج منه الزيت ،  
وبعد ذلك يخلط هذا الزيت بزيت الزيتون ، وتباع  
باسعار دنينة جدا ، وقد الح الاهالي في شكاوى  
( كذا بالاصل ) متكررة بطلب حماية زيتهم من هذه  
الآفة ، فالتت الحكومة لجنة كلفتها بالاستمعا  
الى شكاوى اهل القرية ، وتوجهت الى الرامة ،  
وما كان اشد دهشة هؤلاء وامتعاضهم عندما

راوا على رأس هذه اللجنة مدير معمل شيمين  
نفسه» (٤٦) . « انه ليس محزنا فحسب ، بل  
مسبب للاشمزاز ان الضرائب في فلسطين تفرض  
على طبقات الشعب بالطريقة الاتية : تسمح  
الحكومة بان يكلف الرجل الذي يكون محصوله  
السوي ٢٣ جنيتها و ٣٧٠ ملا بدمع ٢٥ بالمئة  
من الضرائب ، بينما التاجر ، واصحاب المهن  
الحررة والمستخدمون الذين دخلهم الف جنية في  
السنة ينالهم ١٢ بالمئة من جميع ضرائب  
الحكومة» (٤٧) .

كان الفلاح الصغير والمتوسط يزرع تحت ذلك  
العبء ، ليس فقط بسبب سياسة الانقار والسلب ،  
ولكن بسبب الشعار الذي كان يرغمه الصهاينة :  
« اليد العاملة العبرية فقط » وشعار « الانتاج  
العبري فقط » وكان ذلك يؤدي « ليس فقط الى  
تشغيل الصناعيين والمزارعين اليهود لعمال يهود  
فحسب ، ودفن اجور اعلى ، ولكن ايضا لتحديد  
اسعار اعلى لمنتجاتهم . ان مبدأ الانتاج العبري  
كان يشجع السكان اليهود على تفضيل المنتجات  
اليهودية باسعارها الاعلى من منافستها العربية» (٤٨) .  
فاذا تذكرنا — كما رأينا في السابق — ان  
معظم المواد الخام كانت معفاة من الضرائب ،  
وان الضرائب الجمركية كانت عالية على السلع  
المستوردة والتي كانت تنتج المصانع اليهودية في  
فلسطين مثلها ، ادركنا ان شعار « الانتاج العبري  
فقط » كان شعارا يتحمل عبئه الفقراء العرب  
بالدرجة الاولى مقابل ذلك كانت الطبقة التي  
اصطلح على تسميتها بطبقة « الامندية » والتي  
تعيش في المدن ، تحصل على الجزء الاوفر من  
دخلها من الارض الزراعية المؤجرة للفلاحين ومن  
فوائد الديون التي كانوا يقدمونها للفلاح — وفي  
الثلاثينات لم يكن هؤلاء الامندية قد شرعوا بتوظيف  
اموالهم في الصناعة وفي الاعمال في المدن ( شرعوا  
في ذلك مع بداية الاربعينات على نطاق محدود ) ،  
ولكن حتى هذا الابتزاز كان يشكل بالنسبة للفلاح  
شرا اقل فتكا من شر الصهيونية ، فاستغلال  
« الامندية » ، الطبقة التي نمت حول الاسترقاطية  
الانطاكية وكسبت حمايتها منذ الحكم التركي ،  
لم يكن يصل الى حد الاقتلاع ، وكانت « المؤسسات »  
التي نمت منذ عهد سحيقة حول هذه العلاقات  
( الحمولة ، العائلة ، المشيرة ، الطائفة . . الخ )  
تجعل ذلك التناقض الفادح يبدو اقل خطرا ،

قياسا على الخطر المباشر الذي كانت تمثله الصهيونية .

ان « طبقة » لم تعط الاهمية الكافية في الدراسات الفلسطينية هي « طبقة » البدو ، الذي بلغ تعدادهم في فلسطين عام ١٩٣١ : ٦٦٥٥٣ بدويا ( كان عددهم ١٠٢٠٠٠ في ١٩٢٢ ) . ان هذه القوة التي شاركت مشاركة بارزة في ثورة ١٩٣٦ كانت قد لعبت دورا مهما في انتفاضة شهر آب ١٩٢٩ ولقنت نظر الحزب الشيوعي الفلسطيني في مؤتمره التاسع الذي سبقت الاشارة اليه . ان هؤلاء البدو الذين يشكلون ٣٥ بالمئة من السكان تقريبا « يجعلهم الجوع الدائم في حالة غضب يبقى دائما على حافة الانتفاضة المسلحة ، ان اشتراكهم في انتفاضة آب يدلك على الدور الكبير الذي يمكن ان يلعبوه في تمرد ثوري للجماهير ، وفي الوقت نفسه يغدر من الواضح ان شيوخ وزعماء هذه القبائل يمكن ان يفسدوا بالمال ... والبدو يمدون بلا انقطاع جيش الفلاحين المحرومين من الارض وانصاف البروليتارية بايد وانفاه جديدة» (٤٩).

في غضون ذلك كانت البورجوازية العربية المدنية الصغيرة والمزقة في حالة تخبط وضياح وتمزق ، وكانت سرعة تحول المجتمع الى الاقتصاد الصناعي اليهودي تجري دون ان تتيح لهذه البورجوازية الناشئة ، ولا للاقطاعيين ، فرصة المشاركة بهذا التحول او الاستفادة منه ، ولذلك فانه لم يكن غريبا قط ان نرى بان معظم الزعماء الفلسطينيين الذين شهدوا امام لجنة « بيل » الملكية في ١٩٣٧ وكذلك امام اللجان التي سبقتها ، يصرفون وقتا طويلا في امتداح الاستعمار العثماني وامسراء معاملته قياسا على معاملة الاستعمار البريطاني : فقد كانوا يشكلون آلة الباب العالي وذراع السلطان وجزءا لا يتجزأ من نظام الهيمنة والاستغلال والقمع ، وقد صرفهم الاستعمار البريطاني من دور الوكيل الاول ، لانه وجد وكيفا اكثر كفاءة واشد رسوخا وارقى تنظيما هو الحركة الصهيونية .

وهكذا جرى رسم افق الدور الذي كان على القيادات الاقطاعية - الاكثريكية ان تلعبه في الاساس ، « النضال » من اجل موقع افضل في النظام الاستعماري ، ولكنها لم تكن لتستطيع ان تخوض ذلك « النضال » دون ان ترص وراءها صفوف الطبقات التي كانت تتعطلن لطرد القهر

القومي المزدوج ، والقهر الطبقي المزدوج ، عن صدرها ، وكى نتجج في ذلك رسبت لنفسها برنامجا اكثر تقدما من طاقتها ، واستمارت شعارات الجماهير التي لم تكن لتستطيع ولا ترغب في دفعها الى مداها ، وسلكت اشكالا في النضال ليست من طبيعتها . وبالطبع لم يكن لهذه القيادات مطلسق الحرية في التصرف ، كما يحب الكثير ان يوحوا ، بل كانت تتعرض لجملة الضغوط التي كانت تحرك الاحداث ولتصاعد التناقضات واحتدامها ، ولجملة التأثيرات التي مررتنا عليها ، وذلك يفسر التناقضات الجزئية التي كانت احيانا تقوم بينها وبين الانظمة العربية المحيطة بفلسطين والتي هي شريكة طبقية لها ، وكذلك يفسر احلافها الواسعة النطاق داخل البنية الطبقية في فلسطين .

### المثقفون

بعد ١٣ سنة من الاحتلال البريطاني لفلسطين ، ( اي في ١٩٣٠ ) يعترف مدير المعارف بقراره : « لم تتكفل الحكومة منذ الاحتلال حتى اليوم بنفقات كافية لبناء اية مدرسة في البلاد » وفي ١٩٣٥ ارفضت الحكومة ٤١ بالمئة من طلبات الالتحاق بالمدارس التي قدمها عرب . وفي ٨٠٠ قرية عربية كانت موجودة في فلسطين كان هناك ١٥ مدرسة للبنات فقط و٢٦٩ للبنين ، ووصلت ١٥ فناة قروية فقط الى الصف السابع الابتدائي . وكان هنالك ٥١٧ قرية عربية لا مدارس فيها للذكور ولا للاناث ، ولا توجد اية مدرسة ثانوية في القرى العربية وبالإضافة لذلك كانت الحكومة : « تراقب الكتب وتعارض كل صلات ثقافية مع العالم العربي ، وهي لم تفعل شيئا لرفع المستوى الاجتماعي بين الفلاحين ...» (٥٠) . في ١٩٣١ ، اذن ، كان المتعلمون بين مسلمي فلسطين ٢٥١ بالالف بين الذكور و ٣٣ بالالف بين الاناث و ٧١٥ بالالف بين الذكور المسيحيين و ٤٤١ بالالف بين الاناث ( وكانت النسبة ٩٢٤ بالالف بين ذكور اليهود و ٧٨٧ بين اناثهم! ) (٥١) . ومع ذلك فان هذه الارقام وان عكست الواقع التعليمي في الريف خصوصا فهي لا تعكس الواقع الثقافي في مجمل فلسطين ، هذا الواقع الذي لعب دورا طليعيا منذ بدء النهضة العربية في مطلع القرن العشرين . ففي الحقيقة كان عدد كبير من المطابع قد تأسس في فلسطين قبل الاحتلال البريطاني ، وفي المدة

الواقعة بين ١٩٠٤ و ١٩٢٢ ظهرت في فلسطين حوالي ٥٠ صحيفة عربية ، وقبل انفجار ثورة ١٩٢٦ اضيفت عشر صحف اخرى على الاقل ، كان رواجها واسعا .

ان عوامل كثيرة ، ليس هنا مجال التوسع فيها ، قد جعلت من فلسطين مركزا ثقافيا عربيا مهما ، وكانت الحركة الدائبة للمبتغين المهاجرين من والى فلسطين عاملا اساسيا في ترسيخ الدور الثقافي لفلسطين ، وكذلك انشاء الجمعيات والنوادي الادبية الذي بدأ منذ مطلع العشرينات . على ان هذا التطور الثقافي الذي كانت تغذيه باتصال افواج من المتخرجين العرب من بيروت والقاهرة رافقته حركة ترجمة واسعة النطاق عن الفرنسية والانكليزية ، ولا شك ان الرسائل الاجنبية والتي كانت كثيرة بحكم خصوصية فلسطين بالنسبة لها لعبت دورا بارزا في نشر الجو التعليمي في المدن .

ان الذي يعيننا هنا ليس الجو الثقافي العام في فلسطين خلال الثلاثينات ، على اهميته ، ولكن تعينا على وجه التحديد الانعكاسات التحريضية التي ادى اليها من خلال علاقته مع تعاقم المآزق الاقتصادي والقومي ، ومن الممكن قياس هذه الانعكاسات ، في اشكالها ومظاهرها المختلفة والمتعددة من خلال رصد الحركة الادبية في فلسطين في تلك الفترة ، ومن خلال رصد تطور ما يمكن ان نسميه بالثقافة الشعبية ، وهو ذلك الطراز من الوعي الذي ينمو في الريف الفارق في مجاهل الامية ، ولكن في الوقت نفسه — الذي يعانى من التحدي اليومي المباشر بصورة تجعله دائم التيقظ . انه من الواضح ان متغني المدن في معظمهم ، لهم منشأ طبقي مختلف عن ذلك الذي كان « للدعاة » الريفيين ، ورغم انهم كانوا ينتمون الى العائلات الاجتماعية او البورجوازية التجارية او الصغيرة في المدن ، فقد دفعتهم ظروفهم ، في مرحلة دقيقة من حياة بلادهم ، الى لعب دور فريد من نوعه ، فقد كانوا دعاء ثورة بورجوازية ولكن هذه « الثورة البورجوازية » التي كانوا هم طلائع دعوتها لم تكن موجودة وجودا ماديا حقيقيا مبلورا في حركة ذات نفوذ وذات برنامج ، كان الميدان متروكا لهيئة القطاع ( الذي بذل كل ما لديه من جهد لمحاولة امتصاصهم تحت قيادته وتركت هذه المحاولات بصباتها بوضوح ) ولذلك استطاع هؤلاء المثقفون ان يكونوا اكثر طلاقة اذ انهم لم يكونوا

مرتبطين بوجود حقيقي او قاعدة صلبة لهذه البورجوازية ولذلك بالذات كانت الحدود التي ينبغي لهم التقيد بها بحكم منشأهم الطبقي ، حدودا مائعة يسرت لهم التقدم في دعواهم اكثر من الشعراء والادباء الذين يوازونهم ، طبقيا وثقافيا ، في البلاد العربية الاخرى ، في الفترة ذاتها . اما في الريف فقد كان « القوالون » ، بحكم تجوالهم واحتكاكهم بالفلاحين ، يطورون نوعا من الزجل السياسي الذي كان يعكس هموم ومطامح الفلاحين بتصاعد يتناسب مع تصاعد الصراع الذي كانت اسبابه تزداد اتساعا وعمقا ، وفي الريف يشكل الشعر الشعبي ، وكل ما يتفرع عنه ، طبقيا من طقوس الحياة وتقليدا من تقاليدها يزداد رسوخا مع الوقت ، ومن هذه الناحية يصبح لهذا الشعر الشعبي ، الذي يتطور شكله النهائي من خلال اسهامات لا حصر لها وازمان متطلولة وصددمات اجتماعية متكررة ، سطوة تشبه سطوة الاعلام المعاصر .

ان ميكانيكية حدوث ذلك كله ، وطبيعة الصدام المركب والمعتد على صعيد الثقافات بين الدعوة الى الثورة والدعوة الى الاستكانة ، والتي تأخذ اكثر اشكالها تعقيدا وبلطا في الريف المتخلف على وجه الخصوص ، هي مسألة ليست من اختصاص هذا البحث هنا ، ولكن مع ذلك لا بد من الإشارة الى ان كثيرا من العناصر التي يبدو لاول وهلة انها ستلعب دورا سلبيًا في هذا الشأن ، ( مثل امام المسجد ، على سبيل المثال ، وهو اكثر الدعاء في الريف نفوذا ) لا تفعل ذلك بالصورة المطلقة التي تنفخ الى الخيال ، وفي فترات معينة يكون مستوى التناقض الوطني والطبقي قد بلغ حدا يستلزم حتى من امام المسجد ان يبرر مكانته ، ومثل هذا العمل ، ان لم يؤد الى نتائج ايجابية مباشرة ، فهو يخلخل بالنتيجة « سطوة العصبة » التي لرجل الدين في الريف . من هذه الزاوية كان الصراع الثقافي بين الدعاء الثوريين وبين الرجعيين ( في الريف ) وبين الدعاء الثوريين وبين العمديين والرومانطيكين ( في المدينة ) ، يكسب في كل يوم ، لمصلحة الثقافة الثورية ، مساحة جديدة . لا تعرف كاتبها او اديبا فلسطينيا واحدا في الفترة التي نحن بصددنا لم يخض غمار الدعوة المناهضة للعدو الاستعماري بهذه الدرجة او تلك وعلى هذا المستوى من الوعي او ذلك ، وقلة من الشعراء

لم تكتب عن المسألة الوطنية .

اننا نتحدث عن السمة العامة للجو الثقافي فسي فلسطين ، حيث لعب المثقفون دورا كان أكبر حجما من الدور الذي تلعبه هذه الفئة ، خصوصا حين لا تكون حزبية ، في امكنة اخرى تعيش الشروط الكلاسيكية لمعركة التحرر الوطني . كانت خصوصية الوضع بالنسبة للمثقف العربي مريدة : ففي المدينة كان أبناء الاغنياء يرون - بعد عودتهم من الجامعات او بعد انتهائهم علومهم - كيف تقف الطبقة التي ينتمون اليها عاجزة كليا عن قيادة المعركة التي انتدبت نفسها لها ، مدركين في كل الاحوال تخلفها وكساحها الثقافي امام رياح العصر ، ولكنهم فسي الوقت ذاته كانوا يمانون من عجزهم عن ايجاد مكان لانفسهم في حركة المجتمع المتقدم نحو تثبيت صفته الصناعية ، اذ ان القوة التي كانت تتحكم بهذا التحول كانت قوة ، في جوهرها وفي مظهرها ، اجنبية وغريبة ، ولذلك فان البورجوازية الوحيدة الموجودة بقوة لم تكن تتحداهم قوميا نحسب ، بل ايضا كانت تمتنق ثقافتها لا تمت بصلة الى ثقافتهم ولا الى مطامحهم الثقافية .

وفي الريف كان الفلاح الفلسطيني الذي رزح قرونا طويلة تحت اثقال القهر الطبيعي والقومي ، وجرى تحويله عبر ذلك الى القدرية المفرطة باسم الولاء الديني ، قد انشأ لنفسه عالما « ثقافيا » مسورا بالتقاليد التي فرضتها الطبقة السائدة ، والتي عبرت عن نفسها بالامثال الشعبية ، هذه الامثلة التي كان لها سطوة القانون ، وهي سطوة معروفة في كل مكان وخصوصا في الارياف الخاضعة لعلاقات الانتاج الاقطاعية « فهي ليست شكلا من اشكال الفونكتور ... بل هو عمل كلامي يؤدي الى اقوى انواع التأثير على مجرى الامور وعلى السلوك الانساني » (٥٢).

ان الفقر ، والانسحاق ، وتعاقب ترون مديدة من القهر القومي والطبيعي ، قد ادت مجتمعة الى انشاء « مؤسسة كاملة » للاستسلام والقدرية والخنوع عكست نفسها بالامثلة الشعبية السائدة (٥٣). وكان على المثقفين الفلسطينيين ، وخصوصا على الشعراء الشعبيين في الريف ، مهام عظيمة لرحضة تلك الثقافة الخاملة ، دون ان يكونوا هم انفسهم قد تخلصوا جذريا من تأثيراتها . والصحيح ان قطاعا من المثقفين الفلسطينيين قد شرعوا يفعلون ذلك منذ وقت مبكر

في تاريخ النضال الفلسطيني ، وقد لعبوا دورا بارزا في بلورة وعي متقدم : ان العلاقة التي نشأت بين الادب الشعبي الفلسطيني ، وكذلك الادب الفصيح في المدن ، وبين حركة النضال الفلسطينية لم تكن علاقة وصفية او تسجيلية ، ولكنها كانت علاقة جدلية من طراز عميق .

ان الشاعر اللبثاني الاصل ، وديع البستاني ، الذي كان قد تخرج من الجامعة الامريكية في بيروت عام ١٩٠٧ ، وهاجر الى فلسطين واستقر فيها ، لعب دورا رائدا في عملية التوعية هذه : فقد حذر من وعد بلغور في نفس الشهر الذي صدر فيه الوعد عام ١٩١٧ بوضوح يبدو لنا الان وكأنه كان نظرا في مرآة . ومن المفيد تتبع حقبة من الزمن يمثله البستاني سزدهر في الثلاثينات، حين نضحي على ابواب الثورة المسلحة ، طليعة قوية من الشعراء والقوالين الذين الهبوا النضال المسلح وجملوه ، ايضا ، جزءا من التراث الثقافي للجماهير التي كانت ترى في « كلب الامير امرا » . ففي ٢٩ كانون الاول ١٩٢٠ وجهت حكومة الانتداب البريطاني الى رئيس تحرير مجلة الكرمل الثقافية التي كانت تصدر انذاك في حيفا رسالة رجت فيها نشر قصيدة كان قد ادهاها شاعر العراق الشهير معروف الرصافي ، الذي كان يزور فلسطين آنذاك ، الى المندوب السامي البريطاني هربرت صوثيل ، وفيها يمجذ خطيبا يهوديا اسمه « يهودا » ويكيل مديحا لا حد له للمندوب السامي . ولكن

(٥٤) نماذج من هذه الامثال : اللي بياكل من خبز السلطان بضرب بسيفو ، ممك قرش بقسوى قرش ، البرطيل حل دكة القاضي ، الكذب ملح الرجال ، الف قلبه ولا غلبه ، بعد حشيشي ما يبنت حشيش ، بيضة اليوم ولا جاجة بكرة ، حظ راسك بين الروس وقول يا قطاع الروس ، قد بساطك مد رجليك ، كلب الامير امير ، العز للرز والبرغل شقن حالو ، تاجرنا بالكفان بطلت الناس تموت ، اشد الوجع الحاضر ، اللي ما يبجي ممك تعال معو ، بيركض ورا الرغيف والرغيف بيركض قدامو ، الدنيا مع الوافق ، الاعمار والارزاق بيد الله ، ابن العازة عكازه ، من زود الطفر شفتنا البرقة شلن ، العين ما يتعلا عن الحاجب ، انا اول من طاع واخر من عصي .



صاحب « الكرمل » لم يجد من اللائق نشر تلك القصيدة التي لا يمكن ان توصف الا بالخسة دون رد عليها تطوع لكتابته الشاعر وديع البستاني :

خطاب « يهودا » ؟ ام عجاب من السحر ؟  
وتقول الرصافي ؟ ام كذاب من الشعر ،  
قريضك من در الكلام فـرائد  
وانت ببصر الشعر أعلم بالسدر  
ولكن هذا البحر بحر سياسة  
اذا مد فيه الحسق آذن بالجزر  
اجل ! عابر الاردن كان ابن عمنا  
ولكننا نرتاب في عابر البحر ...

ان هذه القصيدة الطويلة التي اشتهرت آنذاك كثيرا هي في الحقيقة وثيقة سياسية غدة ، فالمناقشة فيها لا تسفه الرصافي فحسب ، بل تثبت معطيات سياسية على غاية الاهمية في ذلك الوقت المبكر ، منها ، بالاضافة الى هجرة يهود اوروبا وخطرهما ، دور بريطانيا في التجزئة العربية ، ووعده بلفور وآماته ... الخ . وقبل ذلك بفترة وجيزة ( في ١٩٢٠/٢/٢٨ ) كان وديع البستاني نفسه على رأس مظاهرة ، يتودها ويردد امامها نشيدا نظمه بنفسه ، وقد استدعي الشاعر الى التحقيق ، وجاء في ضبط التحقيق الاداري الذي قام به النائب العام :

« النائب العام : وردت بينات على انك كنت مرفوعا فوق الرؤوس ، وانت تقول ووراءك الجمهور : يا نضاري ويا اسلام !  
المتهم : نعم  
النائب العام : ( وقلت ايضا ) لمن تركتوا البلاد ؟  
المتهم : نعم .  
النائب العام : ( ثم قلت ) اذبحوا اليهود والكافرين ..  
المتهم : لا . هذا اخلال بالوزن والقافية ، وما قلته كان مقفى موزونا ، وذا معنى ويتقال له الشعر » (٥٢) .

ان الفترات اللاحقة ستشهد بروزا متعاطفا لدور الشعر على وجه الخصوص ، ليعبر في مختلف المناسبات عما كان يعتدل في صدور الجاهل المغلوب على أمرها ، فحين حضر بلفور من لندن ليشهد احتفال افتتاح الجامعة العبرية في ١٩٢٥ جاء الى الحفلة نفسها احمد لطفي السيد مندوبا عن الحكومة المصرية ، ويقول للشاعر اسكندر الخوري البيتجالي يومها موجها حديثه لبلفور :

من لندن هرولت تضرم نار هذي الواقعة  
يسا لورد ما لومي عليك فانت اصل الفاجعة  
لومي علي مصر تمد لنا اكفا صافعة(٥٤)  
ان ابراهيم طوقان وابو سلمى ( عبد الكريم الكرمي ) وعبد الرحيم محمود يمثلون منذ بدء الثلاثينات تنويفا لجيش من الشعراء الوطنيين الذين ألهبوا فلسطين طولاً وعرضاً بالتوعية والتحريض(٥٥) : اسماعيل النشاشيبي ، وخليل السكاكيني ، وابراهيم الدباغ ، ومحمد حسن علاء الدين ، وبرهان العموشي ، ومحمد خورشيد ، وقيصر الخوري ، والخوري جورج بيطار ، وبولس شحاده ، ومطلق عبد الخالق . الخ . وفي رؤى هؤلاء الثلاثة ، طوقان والكرمي ومحمود ، قدرة خارقة على استشفاف ما كان يحدث ، لا يمكن تفسيرها الا بأنها استيعاب عميق لذلك الذي كان يحدث في اوساط الجماهير . ان ما يبدو في تصانده هؤلاء الثلاثة وكأنه نبؤة لا تفسير لها ، وتكهن يشبه الرجم بالغيب ، ليس في الحقيقة الا قدرتهم على التمييز عن هذه الملامة الجدلية التي كانت تربط نتاجهم الفني بحركة المجتمع .

يقول ابراهيم طوقان مثلا تعليقا على انشاء « صندوق الامة » عام ١٩٣٢ لانقاذ اراضي فلسطين من البيع لليهود ( وهو الصندوق الذي انشأته وقتذاك القيادة الانتدابية - الاكليريكية بحجة عدم تسرب أرض فقراء الفلاحين الى اليهود ) : « ان ثمانية من القائلين على مشروع صندوق الامة كانوا سمسارة على الاراضي لليهود » :

حينذا لرو يصوم بنا زعيم  
مثل غاندي عسى يفيد صيامه  
لا يصم عن طعامه ، في  
فلسطين يهوت الزعيم لولا طعامه  
ليصم عن مبيعه الارض يحفظ  
بقعة تستريح فيها عظامه(٥٥)

(٥٦) يقول توفيق زياد ، شاعر المقاومة في فلسطين المحتلة ( الناصرة ) : « ان شعرنا الثوري ( محمود درويش ، سبيع القاسم ، وانا ) هو امتداد للشعر الثوري الذي أنشده ابراهيم طوقان وابو سلمى وعبد الرحيم محمود ومطلق عبد الخالق وآخرون ... لان معركتنا هي امتداد لمعركتهم » ( عن الادب الشعبي - دار العودة ، ص ١٤ ) .

وقت مبكر ، ذلك الدور الذي كان يلعبه الملاكون  
الكبار في مسألة الارض :

بسعوا البلاد الى اعدائهم طمعاً  
بالمال ، لكننا اوطانهم بسعوا

قد يمدّون لو ان الجوع ارغمهم  
والله ما عطشوا يوماً ولا جاعوا

كان ابراهيم طوقان قد اطلق في العام نفسه ملحمته  
عن احكام الاعدام التي اصدرتها حكومة الانتداب

على الشهداء الثلاثة : مؤاد حجازي من صفد ،  
ومحمد ججموع وعطا الزير من الخليل ، وهي

القصيدة التي اصحت شهيرة للفنية ، واضحت  
تعتبر جزءاً من تراث الثورة ، مثلها مثل قصيدة

عبد الرحيم محمود في ١٤/٨/١٩٣٥ ، التي خاطب  
بها الامير سعود الذي جاء يومذاك يزور فلسطين :

المسجد الاقصى ، اجنت تـزوره  
أم جنت من قبل الضياع تودعه ؟

سوف يستشهد شاعرنا هذا في ١٩٤٨ في معركة  
الشجرة في فلسطين ، ولكنه قبل ذلك يلعب دورا

بارزا مع أبو سلمى وطوقان في ارساء دعائم  
الشعر الفلسطيني المقاوم الذي سيضحي فيها

بعد ، تحت الاحتلال الاسرائيلي ، من أبرز مظاهر  
صمود الجاهير الفلسطينية .

لقد رافق الشعر والشعر الشعبي التحرك  
الجهادى منذ اوائل الثلاثينات بصورة رئيسية ،

وعبر عن انتفاج الثورة وعن دقائقها وغناها : ان  
قصيدة ابو سلمى « انشر على لهب القصيد » التي

أرخ فيها لثورة ١٩٣٦ تكشف بجرأة تلك الخيبة  
المرّة التي نشأت عن خذلان الانظمة العربية

للثورة :

يا من يعززون الحمى  
ثوروا على الظلم المبيد

بل حرروه من الملوك  
وحرروه من العبيد ...

ويذكر بالشاعر الشعبي « عوض » الذي كتب  
على جدران زنازنته في عكا ليلة اعدامه في ١٩٣٧

قصيدة رائعة كانت نهايتها :

ظنيت اننا ملوك  
تمشي وراها رجال

تخسنا الملوك ان  
كان هيك الملوك انذل

والله تجسانهم ما  
يصلحوا لنا نعال

ان تركيزنا على الدور الذي لعبه الشعر ولعبه  
الشعر الشعبي ، لا يعني ان المظاهر الاخرى

من الانتاج الثقافي في فلسطين لم تلعب اي دور او  
ان دورها كان يسيراً : فالصحف والمقالات

الادبية والقصص وحركة الترجمة لعبت مجتمعة  
دورا طليعياً لافتاً للنظر . ففي مقال افتتاحي

— مثلاً — نشره يوسف العيسى عام ١٩٢٠ في  
النفائس نقراً : « فلسطين عربية ، عربية

بمسليها ، عربية بمسيحيها ، عربية بيهودها  
الوطنيين ايضاً ، فعلا م يبيع حياها الاجنبي

الصهيوني ... ان زواج فلسطين لا تهدأ اذا  
فصلت عن سوريا وجعلت وطنياً للصهيونية... »

ان انطلاقات من هذا النوع ، منذ مطالع  
العشرينات ، هي التي شكلت المد الثقافي الثوري

في الثلاثينات ، الذي لعب دوراً مهماً في تهيئة  
الوعي وتنجير الثورة : اقلام مثل ظم عارف المعارف

وخليل السكاكيني ( الناثر الحاد ، الساخر ،  
الجريء ، ابن معلم النجارة ) واسعاف النشاشيبي

( البورجوازي الكبير الذي تأثر بالسكاكيني وتبنى  
الكثير من آرائه ) وعارف العزوني ، ومحمود

سيف الدين الابرائي ونجاتي صدقي ( الصوت  
اليساري المبكر الذي ، في ١٩٣٦ ، مجد مادية ابن

خلدون واعلن احتقاره للمثالية — وربما كان هو  
أول من أرخ للحركة الوطنية العربية منذ بدء

عصر النهضة عبر تحليل مادي للاحداث ، ونشر  
بحوثه في « الطليعة » خلال ١٩٢٧ — ١٩٢٨ )

وعبد الله مخلص (الذي أخذ منذ اواسط الثلاثينات  
يدعو الى الادراك بأن الاستعمار ظاهرة طبيعية ،

والى أن الانتاج الفني يجب ان يكون موجهاً ) ورجا  
الخوراني ، وعبداله البندك ، وخليل البديري ،

ومحمد عزة دروزة ، وعيسى السفري ( الذي  
مجد استشهاد القسام تمجيداً له معناه الثوري

العميق ) ذلك الاحتدام في الجو الثقافي  
الفلسطيني ، الذي وصل الى ذروته في الثلاثينات ،

أخذ كما نرى أشكالاً متعددة في التعبير ، ومع ذلك  
فقد ظلت اولوية التأثير — لاعتبارات عديدة منها

تاريخ الادب العربي نفسه — للشعر وللشعر  
الشعبي الذي كان بدوره تعبيراً ، ايضاً ، عن ذلك الجو .

ان هذا وحده هو الذي يفسر ذلك الدور الذي كاد  
ان يكون وعظاً سياسياً مباشراً ، الذي انتدب

الشعر نفسه ليلعبه في تلك الفترة . ففي ١٩٢٩  
على سبيل المثال كان ابراهيم طوقان يكشف ، في

احنا اللي نحسي

الوطن ونبوس جراحسو \*

ان الفضبة التي كانت تنصب في وقت واحد على العدو المثلث : الفزوة الصهيوني والانتداب البريطاني والرجعية العربية المحلية وغير المحلية، كانت تنمو باطراد امام نمو المازق . في ذلك الوقت كان الريف يطور ، مع تصاعد التناقضات وانفجار الانتفاضات المسلحة ، وعيه الجديد من خلال احتكاك عناصره « المثقفة » بالمدن وتدفق عوامل التوعية :

يا ناس شو هالسخبة صهيوني مع غربى(٥٦).

ثم :

طلت البارودة والسبع ما طل

يا بوز البارودة من الندى منبل

وكذلك :

يارودتو بيد الدلال اريتها

لا عاش تلبسي ليش ما شريتها

ويارودتو لقطت صدى عقابها

لقطت صدى واستوحشت لصحابها

وحتى في الاعراس :

والعريس هو منا - يا ويل اللي نحاريو ، بالسيف

نتلع شاربو ، هز الرمح بعود الزين - وانتو يا

نشامى مين ؟ واحنا شباب فلسطين ، والنعم

والنعمتين - يا ابو العريس لا تهتم ، واحنا

شرايين الدم ، في بلعا وادي التفاح\*\* صارت

هجة وضرب سلاح ... يا بيض يا ملاح ، بالله

تزرقتنا ، يوم وقعة بيت امرين ، تسبع شلع

الراتين ، طلي علينا من البلكون(٥٧).

بل تصل الدعوة التحريضية للثورة الى مداها

بصورة مدهشة ، فبعد كل الامثال الموروثة التي

تنصح بالاستكانة ، وتشكل قيدا له سطوة التقاليد

وعصبتها ، تضحي الازوجة الشعبية نجاة ،

قادرة على ان تقول :

يا عربي يا ابن المجردة

\* يصف توفيق زياد ، هذه القصيدة بقوله :

« انني لا اعرف عملا شعريا يمكن ان يقف من

ناحية الصلابة والتضحية والشجاعة في كنة

ميزان مع تلك القصيدة الرائعة » ( عن الادب

والادب الشعبي - دار العودة ، ص ٣٠ ) .

\*\* قربتان قرب نابلس وطولكرم ، وقعت مبيها

مبارك بارزة ضد الاحتلال البريطاني في ١٩٣٦ .

بيع امك واشري بارودة

والبارودة خير من امك

يوم الثورة تفرج همك ... (٥٨)

ان « البارودة » تضحي ، بتراكم التناقضات

واحتدامها ، الاداة التي تحطم ذلك السور العريق

من الدعوة للاستكانة ، وفجأة يصير بوسع هذه

« البارودة » ان تصل الى قلب المسألة ، وتصيح

الثورة كوعد للمستقبل - افضل من اكر ما في

الماضي من دماء : الام ، العائلة . ولكن فوق هذا

الاحتدام كله كان الانتطاع الاكبري يتكلس بقيادة

العاجزة وسطوته وحلفه مع الماضي .

وسط هذه التناقضات المركبة ، المتقدمة ، المتزايدة

الاتساع والعمق ، والتي كانت تنصب على الفلاحين

والعمال العرب بالدرجة الاولى ، ولكنها ايضا

تجثم بثقل على البورجوازية الصغيرة والمتوسطة

في المدن والفلاحين المتوسطين بالارياض ، كان

المازق يتصاعد باطراد ، معبرا عن نفسه باتنجات

مسلحة بين الفينة والاخرى ( ١٩٢٨ - ١٩٣٣ ) :

كان الانتطاع الفلسطيني الاكبري ، من الجهة

الاخرى ، يشعر بان مصالحه هو الاخر مهددة

من قبل قوة اقتصادية صاعدة هي الرأسمالية

اليهودية المتحالفة مع الانتداب . ولكن مصالحه

كانت مهددة ايضا من الجهة المعاكسة : من

الجماهير العربية الفقيرة التي لم تعد تعرف اين

يتعين عليها ان تتجه ، فالبورجوازية العربية

الدينية كانت ضعيفة غير قادرة على قيادة مرحلة

التحول الاقتصادي التي كانت تجري بسرعة لا

مثيل لها ، وقسم صغير من هذه البورجوازية

تحول الى طحلب متسلق على هامش النمو

الصناعي اليهودي واخذ طريقه ، بقدر ما كانت

ظروفه الذاتية والظروف الموضوعية المحيطة

بوجوده ، تتخذ مجرى معاكسا للحركة التي كانت

تحدثم في المجتمع العربي ، وانفرد المثقفون الشبان

الذين تحددوا من عائلات ريفية ومدنية غنية بلعب

دور بارز في التحريض الثوري فقد عادوا من

جامعاتهم الى مجتمع يرفضون فيه صيغة العلاقات

التقديمة التي اصبحت متخلفة ، وترفضهم فيه الصيغ

الجديدة التي اخذت تبلور نفسها وسط التحالف

الصهيوني - الامبريالي .

وهكذا امتزج ، بتلاحم لا نظير له ، التصال الطبقي

بالمصلحة القومية بالمشاعر الدينية ، وتفجر هذا

الشيوعي الذي لم يكن فقط تحت هيمنة الزعامة اليهودية ولكن الذي تعرضت عناصره العربية الى بطش وارهاب القيادات الانتطاعية منذ اواخر العشرينات . امام هذه الخلفية المركبة ، التي تستخدم فيها تناقضات متداخلة شديدة التعقيد ، خطت ثورة ١٩٣٦ الى الصف الامامي في تاريخ فلسطين .

### الثورة

يتسابق الكثير من المؤرخين في اعتبار حداث معين وقع في مكان معين هو السبب في انفجار ثورة ١٩٣٦ : يعتقد يهودا بووير ان الحادث الذي « يعتبر عموما بداية اضطرابات ١٩٣٦ » حدث في ١٩ نيسان ١٩٣٦ حين « هاجمت حشود من العرب في يافا المارين اليهود » (٥٩) . ويعتبر عيسى السفري (٦٠) وصالح مسعود ابو يصير (٦١) وصبحي ياسين (٦٢) ان الشرارة الاولى انما كانت تيام عصابة عربية مجهولة ( يقول صبحي ياسين انها كانت عصابة قسامية منها فرحان السعدي ومحمود ديراي ) بنصب كمين لسيارات كانت تعبر بين عنبتا وسجن نور شمس ، بلغ عددها ١٥ ، فسلبت الركاب اليهود والعرب على السواء اموالهم ، والقي احد الافراد الثلاثة من العصابة خطبة موجزة في الركاب العرب الذين كانوا اكثرية الركاب ، كما يقول السفري ، تضمنت القول بان الثورة قد بدأت و « اننا نأخذ اموالكم لكي نستطيع ان نحارب العدو وندافع عنكم » (٦٣) . ويرى الدكتور عبد الوهاب الكيالي (٦٤) ان الشرارة الاولى انفجرت قبل ذلك ، اي في شباط ١٩٣٦ ، حين تألفت حامية من العمال العرب طوقت احدى المدارس التي كان متاولون من اليهود يقومون ببنائها بواسطة ايد عاملة يهودية فقط في يافا . الا ان جميع المصادر تعتبر عن حق ان الانتفاضة القسامية التي فجرها الشيخ عز الدين القسام كانت هي البداية الحقيقية لثورة ١٩٣٦ . على ان تقرير اللجنة الملكية البريطانية ( اللورد بيل ) (٦٥) ، وهو التقرير الذي يعتبره يهودا بووير من انفضح ما كتب عن المسألة الفلسطينية حتى الان ، يغتف فوق هذه التعابير المباشرة عن الانفجار ، ويرد الاسباب في انفجار الثورة الى سببين رئيسيين هما : رغبة العرب في نيل الاستقلال القومي ، وكرههم لانشاء الوطن القومي اليهودي وتخوفهم منه . وهذان السببان ،

الذي وسط الازمة الموضوعية والذاتية التي كان يعيشها المجتمع العربي في فلسطين ، وظل امير القيادات الانتطاعية - الاكثريكية لهذه الاسباب كلها مجتمعة . فامام المسف الاجتماعي والاقتصادي الذي كان يلحق بالفقراء العرب في المدن والقرى لم يكن من الممكن للحركة الوطنية الا ان تأخذ اشكالا متقدمة من النضال والا ان ترفع شعارات وتتبع مسالك طبقية ، وامام الحلف المتين المعبر عن نفسه يوميا بين مجتمع الغزو الذي بناه الصهيونيون في فلسطين وبين الامبريالية البريطانية لم يكن من الممكن تغييب اولوية السبة القومية لذلك النضال ، وامام الحمى الدينية المهولة التي ارتكز عليها الغزو الصهيوني لفلسطين والتي التصقت بكل مظاهره كان من المستحيل الا يتمترس الريف الفلسطيني الخلف وراء التعصب الديني ، كمظهر من مظاهر معاداة الغزو الامبريالي والصهيوني (٦٦) .

ولقد تقدمت القيادات الانتطاعية - الاكثريكية للتربع على رأس حركة الجماهير ، مستفيدة من ضهور البورجوازية العربية المدنية ، ومن الحد المعين من التناقض الذي كان يحدث بينها وبين الامبريالية البريطانية التي كانت ترسي نفوذها عبر حلفها مع الحركة الصهيونية ، ومن صفاتها الدينية ، ومن صغر حجم البروليتاريا العربية وضهور حزبها

(٦٦) تقول مجلة « متسبن » اليسارية العبرية في عددها رقم ٥٨ الصادر في نيسان ١٩٧١ ، تعليقا على ظهور حركة الفهود السود في اسرائيل : « تبيل التناقضات الطبقية في اسرائيل ، في بعض الاحيان ، الى الظهور بمظهر تناقضات طائفية - ان المطالب الطبقية ، حتى وهي تترجم الى لغة طائفية ، تمس منذ لحظة البداية قلب الصهيونية في الصميم » . طبعا تنطبق صحة هذا القول بصورة مضاعفة على الدور الذي لعبه الدين ضد الغزو الصهيوني ، بصفته اضطهاد قومي وطبقي في آن واحد . وعلى سبيل المثال فقد « كان من ثمرات الغزو الصهيوني ... ان تحولت الموالد النبوية الى مهرجانات قومية بتدبير من مفتي حيفا والشاعر وديع البستاني ، وكان يحضر الحنلة جميع الرؤساء الروحانيين واعيان النصارى ، ولم يكن يدعى اليهودي اليها قط ، وهكذا اصبحت الموالد ، الاسلامية والمسيحية ، اعيادا شعبية تقام بمظهر قومي في مدن فلسطين » .

رأس الحركة الجماهيرية ، حتى فيما يتعلق بالمطالب الجزئية الصغيرة التي لا يتردد المستعمرون عادة في تلبيةها لغرض امتصاص النقبة ( وقد ادرك البريطانيون متأخرين هذه الامكانية التي خُف من الحاحها بالنسبة لهم وجود العميل الصهيوني الاكفا ) ثالثا : العنف اليهودي ( الحاميات - شعار اليد العاملة اليهودية فقط - الخ ) مضامنا الى العنف الاستعماري ( الطريقة التي قمست فيها انتفاضة ١٩٢٩ ) .

ان الحديث عن ثورة ٣٦ - ١٩٣٩ يستلزم وقفة خاصة عند الشيخ عز الدين القسام ، فبالرغم من الكثير الذي كتب عنه الا انه بوسعنا ان نقول بان هذه الشخصية الفريدة ما تزال ، وربما مستظل ، شخصية مجهولة في الحقيقة . ان معظم الذي كتب عنه قد مسه من الخارج فحسب . وبسبب هذه السطحية في دراسة شخصيته لم يتردد عدد من المؤرخين اليهود في اعتباره «درويشا متعصبا» ، فيما اهمله الكثيرون من المؤرخين الغربيين ، وفي الواقع يبدو ان الاخفاق في ادراك العلاقة الجدلية بين الدين والنوازع الوطنية في العالم المتخلف هو المسؤول عن التقليل من اهبة الحركة القسامية . ولكن مهما كان الرأي في افكار القسام ، فما لا ريب فيه ان حركته ( ١١/١٢ - ١٩٣٥ / ١١/١٩ ) كانت نقطة انعطاف لعبت دورا مهما في تقرير شكل متقدم من اشكال النضال ، اذ انها وضعت زعامات الحركة الوطنية الفلسطينية التقليدية ، التي كانت قد انشقت على نفسها وتشتتت وتشردت ، امام امتحان لا يمكن الفرار منه . ولعل شخصية القسام تشكل في حد ذاتها نقطة التقاء رمزية لمجموعة هائلة من العوامل المتداخلة التي تشكل في مجموعها ما صار يسمى تبسيطا بالقضية الفلسطينية : فد « سوريته » ( هو من مواليد جبلة ، قضاء اللاذقية ، ١٨٧١ ) تمثيل للعامل القومي العربي في المعركة . و « ازهرته » ( فقد درس في الازهر ) تمثيل للعامل الديني - الوطني الذي كان يمثله الازهر في بداية القرن . و « نضاليته » ( فقد اشترك في ثورة جبل حوران السورية ضد الفرنسيين من ١٩١٩ - ١٩٢٠ ) وحكم بالاعدام ) هي تمثيل لوحدة النضال العربي . وقد جاء القسام مع الشيخ محمد الحنفي ( المصري ) والشيخ علي الحاج عبيد الى حيفا في ١٩٢١ ،

كما نلاحظ بسهولة ، هما في الواقع سبب واحد ، وتبدو العبارات التي صيغ بها مفضاضة ولا تقود الى اي معنى واضح . ولكن اللورد بيل يضع ما يسميه بـ « عوامل ثانوية » ساعدت على نشوب « الاضطرابات » وهي : ١ - انتشار الروح القومية العربية خارج فلسطين . ٢ - ازدياد هجرة اليهود منذ سنة ١٩٣٣ . ٣ - الفرصة المتاحة لليهود بالتأثير على الرأي العام في بريطانيا . ٤ - عدم ثقة العرب في اخلاص حكومة بريطانيا . ٥ - نزح العرب من استمرار شراء الاراضي من قبل اليهود . ٦ - عدم وضوح المقاصد النهائية التي ترمي لها الدولة المنتدبة . اما قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية آنذاك ، فان مهمها لاسباب الثورة يمكن استنباطه من الشعارات الثلاثة الاساسية التي كانت تتوج بها مجسوع مطالبها ، وهي : ١ - الوقت الفوري للهجرة اليهودية . ٢ - حظر نفل ملكية الاراضي العربية الى اليهود . ٣ - اقامة حكومة ديمقراطية يكون النصيب الاكبر فيها للعرب وفقا لغالبيتهم العددية (٦٦) . على ان هذه الشعارات ، بالصيغ المفضاضة التي كان يجري من خلالها ترادها ، ظلت غير قادرة على التعبير عن حقيقة الموقف ، والواقع انها كرمست الى حد بعيد هيمنة القيادة الانتطاعية على الحركة الوطنية .

ان الاسباب الحقيقية للثورة ، في الواقع ، هي وصول حدة التناقض في عملية انتقال المجتمع الفلسطيني من الاقتصاد الزراعي - الانتطاعي - الاكثريكي ، العربي الى الاقتصاد الصناعي البورجوازي اليهودي ( الغربي ) الى ذروتها ، كما رأينا في الصفحات السابقة . ان عملية تعميق حالة الاستعمار وتجذيرها ، ونظفها من حالة الانتداب البريطاني الى حالة الاستعمار الاسكاني الصهيوني ، وصلت الى ذروتها ، كما رأينا ، في منتصف الثلاثينات ، والواقع ان قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية قد ارغبت على تبني شكل الكفاح المسلح لانه لم يعد بوسعها ان تظل متربمة على سدة هذه القيادة في وقت وصل فيه التناقض الى شكل صدامي حاسم . وقد لعبت عوامل متناقضة ومختلفة في دفع القيادة الفلسطينية آنذاك الى تبني شكل الكفاح المسلح : اولا : حركة عز الدين القسام . ثانيا : سلسلة الاخفاقات التي منيت بها هذه القيادة طيلة فترة تكلسها فوق

وبدا لتوه العمل في انشاء حلقات سرية . ان ما بلغت النظر في النشاط القسامي عقله التنظيمي المتقدم ، وصبره الحديدي : فقد رفض عام ١٩٢٩ الاندفاع في الاعلان عن وجوده المسلح ، وبالرغم من ان هذا الرفض قد ادى الى انشقاق في تنظيمه ، الا انه استطاع ان يظل متماسكا وسريا . ويقول احد القساميين المعروفين (٦٧) ان القسام برمج ثورته في اربع مراحل : الاعداد النفسي ونشر روح الثورة ، انشاء حلقات سرية ، تشكيل لجان لجمع التبرعات ولجان لشراء السلاح ، ولجان تدريب ، ولجان امن وتجنس ، ولجان دعائية واعلام ، ولجان اتصالات سياسية . ثم الثورة المسلحة .

ان معظم المعارنين بالقسام يقولون ان خروجه الى تلال يبعد مع ٢٥ من رجاله ليل ١٢/١١/١٩٢٥ لم تكن غايته اعلان الثورة المسلحة ، ولكن نشر الدعوة للثورة ، الا ان اشتباكا عرضيا ادى الى انتضاح امر وجوده هناك ، وبالرغم من استيصاله مع رجاله فقد قضت قوة بريطانية على مجموعته بسهولة ، ويبدو ان الشيخ القسام ، حين شعر بانته لم يعد بوسعه توسيع الثورة مع رفاقه ، ربح شعاعه المشهور : « موتوا شهداء » . ومن حق القسام ان نغمه شعاعه هذا فهما « غيلاريا » اذا جاز التعبير ، ولكن على المستوى الوطني العادي ، ان سلوك القسام من خلال الشهادات القليلة التي نملكها عنه تدل على انه كان يدرك اهمية دوره كمفجر لبؤرة ثورية امامية . وما لبث هذا الشعار ان اثمر على التو : فقد سيمت الجماهير جثمان شهيدها مشيا على اقدام السى قرية ياجور مسافة ١٠ كيلو مترات ، على ان اهم ما في الامر كان افتضاح القيادات التقليدية امام التحدي الذي مظهه الشيخ القسام . وقد شعر هؤلاء القادة بهذا التحدي بنفس المقدار الذي شعر فيه الانتداب البريطاني . ويقول احد القساميين انه قبل ان يصعد القسام الى الجبال بشهور قليلة ارسل الى الحاج امين الحسيني بواسطة الشيخ موسى العزراوي يطلب منه التنسيق لاعلان الثورة في جميع انحاء البلاد ، الا ان الحسيني رفض ، بحجة ان الظروف لم تنضج بعد (٦٨) . وعندما استشهد القسام لم يسر في جنازته الا الفقراء ، واتخذ الزعماء موقفا فاترا ما لبثوا ان ادركوا خطأه ، فقد شكل استشهاده القسام

حدثا بارزا لم يكن بوسعهم تجاوزه بالتجاهل ، والدليل على ذلك ان ممثلي الاحزاب الفلسطينية الخمسة قاموا بزيارة المندوب السامي البريطاني بعد ستة ايام فقط من استشهاده القسام ، وقدموا له مذكرة لعلها من اندر المذكرات صفاتة ، فقد اعترفوا به « انهم اذا لم يتلقوا عن مذكراتهم هذه جوابا يمكن اعتباره بصورة عامة مرضيا ، فانهم سيفقدون كل ما يملكونه من نفوذ على اتباعهم ، وعندئذ تسود الراء المتطرفة غير المسؤولة ، وتتدهور الحالة سريعا » (٦٩) . فمن الواضح انهم كانوا يريدون توظيف ظاهرة القسام لتحقيق خطوة الى السوراء . على ان الشهيد القسام كان قد فوت عليهم ، بالشكل النضالي الذي تميزه ، فرصة التراجع ، وهذا في الواقع ما يفسر اختلاف موقف الزعماء الفلسطينيين من استشهاده الشيخ القسام فور حدوثه عن موقفهم في الاحتفال الابرعيني باستشهاده ، فقد اكتشفوا خلال هذه الايام الابرعيين انهم اذا لم يحاولوا ركوب الموجة الشامخة التي فجرها القسام ، فانها ستطويهم ، ولذلك تغزوا من الفتور في جنازته ، الى المهرجانات والخطابات في اليوم الابرعيين لاستشهاده .

ويبدو ان الحاج امين الحسيني سيظل فيما بعد شاعرا بهذه الثغرة ، وحتى بعد اكثر من عشرين سنة ستظل مجلة « فلسطين » الناطقة بلسان الهيئة العربية العليا ، تحاول الايحاء بان الحركة القسامية انما كانت جزءا من نشاط الحركة التي كان يقودها المفتي ، وان هذا الاخير والقسام ، كانا « اصديقاء شخصيين » (٧٠) .

اما البريطانيون فقد رووا قصة القسام في تقريرهم السنوي الذي جرى تقديمه الى لجنة الانتدابات في جنيف عن وقائع ١٩٢٥ كما يلي : « انتشرت في الجو اشاعات من عصابة للارهاب تالفت بوجي من عوامل سياسية دينية ، وفي يوم ٧ تشرين الثاني ١٩٢٥ كان جاويش ونفر من البوليس يقتفيا اثر سرقة في هضاب قضاء الناصرة فاطلق مجهولون النار فقتلوا الشاويش ... وسرمان ما ادى هذا الحادث الى اكتشاف عصابة كانت في ذلك الجوار تحت قيادة عز الدين القسام ، وهو لاجيء سياسي من سوريا ، وهو ذو مكانة ليست بالقليلة كرجل من رجال الدين ، وقد اشبهه به اشتباها قويا قبل ذلك ببضع سنوات ، وقيل ان له

ضلعاً في اعمال ارهابية . ولقد حضر جنازة الشيخ القسام في حيفا جمع غفير جدا ، وبالرغم من الجهود التي بذلها كبار المسلمين في توطيد النظام اثناء الجنازة الا انه وقعت مظاهرات وتذف احجار ، وبعثت وفاة القسام موجة قوية من الشعور في الدوائر السياسية وغيرها في البلاد ، وانتقت اراء الصحف العربية على تسميته بالشهيد فيها ككتبته عنه من المقالات .. «(٧١)» .

وقد شعر البريطانيون بدورهم بالتحدي الذي مظه استشهاده القسام ، وحاولوا بدورهم شد عقارب الساعة الى الوراء ، ولذلك كان رأي المنسذوب السامي البريطاني الذي كتبه لوزير المستعمرات في تلك الفترة بانه ما لم تلب مطالب الزعماء العرب « فانهم سيفقدون ما يملكونه من نفوذ وتختفي بالتالي امكانات تهدئة الحالة الحاضرة بالوسائل المعتدلة التي اقترحها » (٧٢) . ولكن اعادة عقارب الزمن الى الوراء كانت مستحيلة ، فحركة القسام كانت تعبيرا في الواقع عن الشكل الطبيعي القادر على معالجة ازدياد التناقض وحسمه ، وسرعان ما انعكست في عدد من اللجان والتجمعات ، وصار يتعين على القيادة التقليدية ان تختار بين الوقوف في وجه ذلك التصاعد في ارادة القتال لسدى الجماهير ، او في امتصاص هذه الرغبة والنكلس فوقها . وبالرغم من ان البريطانيين تحركوا بسرعة ، فعرضوا فكرة اقامة مجلس تشريعي وفكرة الحد من بيع الاراضي الا ان ذلك جاء متأخرا ، واسهمت الحركة الصهيونية التي بدأت في تلك الفترة بتطور ارادتها بصورة قوية في اضعاف فاعلية العرض البريطاني ، ومع ذلك فان قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية لم تكن قد حشمت موقفها بعد ، وكان تذبذبها بارزا بصورة تدعو للدهشة ، وحتى ٢ نيسان ١٩٣٦ كان ممثلو الاحزاب الفلسطينية مستعدين لتشكل وفد للذهاب الى لندن لطرح وجهة نظرهم امام الحكومة البريطانية . وقد انفجر الموقف قبل ان تقدر قيادة الحركة الوطنية لتجسره . فحين اندلعت شرارة شباط ١٩٣٦ في يانا كان زعماء الحركة الوطنية الفلسطينية يعتقدون انه ما زال بوسعهم ان يكسبوا من بريطانيا مطالب جزئية عن طريق المفاوضات . ولكن الاحداث التالية فاجأتهم : ان جميع القريين من احداث نيسان ١٩٣٦ يهتفون بان اندلاع العنف ، والمصيان المدني ، كان

غفويا ، واذا استثنينا الاعمال التي حركها بقايا القساميين ، فان كل ما حدث كان تعبيرا مفويا عن المستوى الحرج الذي وصله التناقض . وحتى عند اعلان الاضراب العام في ١٩ نيسان ١٩٣٦ كانت زعامة الحركة الوطنية متخلفة عنه ، ولكنها سرعان ما تعلقت بالقطار قبل ان يفوتها ، ونجحت — للاسباب التي ذكرناها في تحليل الوضع الاجتماعي السياسي في فلسطين انذاك — بالسيطرة على الحركة الوطنية .

كانت الحركة الوطنية الفلسطينية ممثلة ، من الناحية التنظيمية ، في عدد من الاحزاب هي في مجملها الاقراوات التي تبقت عن الحركات التي نشأت ضد العثمانيين منذ اوائل القرن ، وهذا يعني انها — من جهة — لم تكن متمسكة بالنضال الاستقلالي ( مثلا كان الحال في مصر مثلا ) ويعني — من جهة اخرى — انها كانت اطارات عابسة ، دون مبادئ محددة ، تحكها شلل من الوجاه ، وتعتمد على ولايات متحدرة اليها من نفوذها الديني او الاتطاعي او الوجاهي ، ولكنها لم تكن احزابا لها قواعد منظمة . وفيما عدا القسام نفسه ( والشبيوعيون طبعاً ) فان احدا من زعماء الحركة الوطنية الفلسطينية في هذه الفترة لم يكن مسلحا بعقل تنظيمي . اما الحاج امين الحسيني ، الذي كان يمتلك قدرات ادارية نادرة فقد كان عقله بعيدا عن العقل التنظيمي بالمعنى النضالي . وان المسؤوليات التنظيمية ظلت في معظم الوقت مواهب فردية في اللجان الفرعية والكادر الاوسط ، وغالبا ما كانت تعجز عن تحويل كفاءاتها الى توائين . عشية الثورة كان وضع ممثلي الحركة الوطنية في فلسطين كالتالي : فمع انحلال اللجنة التنفيذية العربية في آب ١٩٣٤ برزت ٦ مجموعات :

- ١ — الحزب العربي الفلسطيني ايار ١٩٣٥ ، يرئسه جمال الحسيني ، وهو ممثل تقريبا لسياسة المفتي ويمثل الاتطاعيين وكبار تجار المدن .
- ٢ — حزب الدنماع الوطني ، يرئسه راقب النشاشيبي ، وتأسس في كانون الاول ١٩٣٤ ، وهو يمثل البورجوازية الدينية الناشئة ، وكبار الموظفين .
- ٣ — حزب الاستقلال الذي كان قد تأسس عام ١٩٣٢ برئاسة عوني عبد الهادي ، وهو يجمع المثقفين والبورجوازية الوسطى وبعض تطامعات البورجوازية الصغيرة ، ومساعد ذلك على

بروز دور خاص للجناح اليساري فيه . ٤ - حزب  
الاصلاح الذي اسسه الدكتور حسين الخالدي في  
آب ١٩٣٥ ، وهو ممثل لعدد من المثقفين .  
٥ - حزب الكتلة الوطنية الذي يرئسه عبداللطيف  
صلاح . ٦ - حزب الشباب الفلسطيني الذي  
يرئسه يعقوب الفصين .

ان هذا التعدد في فصائل العمل الوطني كان  
شكليا ، ولم يكن يعبر تعبيرا واضحا وحاسما عن  
الخارطة الطبقيّة في البلاد ، فالأكثريّة الساحقة من  
الجماهير لم تكن ممثلة فيه ( يقول نيفيل باريسور  
ان ٩٠ بالمائة من الثوار كانوا فلاحين يعتبرون  
انفسهم متطوعين ) . واذا نظرنا الى التوزيع  
الطبقي في فلسطين في ١٩٣١ نرى ان ٥٩ بالمائة من  
العرب كانوا فلاحين ( ١٩٤١ بالمائة من اليهود )  
و ١٢٤٩ بالمائة من العرب يعملون في البناء  
والصناعة والتعدين ( ٣٠٤٦ بالمائة من اليهود )  
و ٦ بالمائة من العرب يعملون في المواصلات ،  
و ٨٤٤ بالمائة بالتجارة ، و ١٤٣ بالمائة في الادارة  
الخ (٧٣) . ان ذلك يعني بان الغالبية الساحقة  
من السكان لم تكن ممثلة في هذه الاحزاب التي  
بالرغم من انها تمثل الاقطاع ورجال الدين  
والكومبرادورية المدنية وقطاعات معينة من المثقفين  
فقد كانت دائما خاضعة في تحالفها لزعامه المفتي  
وطبقته ، هذه الطبقة التي مثلت الاقطاع -  
الكيريكلي والتي كانت اكثر وطنية من الزعامه  
التي مثلت البورجوازية المدنيّة . اما البورجوازية  
المدنيّة فقد مثلها الاندنية في فترة كانوا يتجهون  
فيها نحو توظيف اموالهم في الصناعة والاعمال  
( وقد تبلور هذا الاتجاه بعد هزيمة ثورة ٣٦ -  
١٩٢٩ ) . وكانت البورجوازية الصغيرة بالاجمال ،  
( التجار الصغار واصحاب الدكاكين والمعلمون  
والموظفون واصحاب الحرف ) دون زعامه ، وكانت ،  
كطبقة ، غير ذات نفوذ وغير ذات اهمية تحت  
الحكم التركي الذي اعتمد على طبقة الاندنية التي  
اعطاها الاتراك حق الحكم المحلي بصفتها نمت  
حول الاستقراطية الاتطاعية . اما الحركة  
العاليّة فقد كانت ضميّة وناشئة ، ومع ذلك  
تعرضت الى عسف السلطة من جهة أولى ،  
والمنافسة الساحقة للبروليتاريا والبورجوازية  
اليهودية من جهة ثانية ، ولاضطهاد زعامه الحركة  
الوطنية العربية من جهة ثالثة .  
وتقبل تشكيل اللجنة العربية العليا في ٢٥ نيسان

١٩٣٦ برئاسة الحاج امين الحسيني ، كان جمال  
الحسيني زعيم الحزب العربي مستاء من نمو  
اعتقاد لدى الناس بان الانكليز هم العدو الحقيقي ،  
وكان حزب الدفاع الوطني الذي يمثل بالدرجة  
الاولى الكومبرادور المدنيّ النامي غير مبالا  
للمصادم مع البريطانيين صداما مفتوحا . قبل ذلك  
ببومين اثنين فقط ، اي في ٢٣ نيسان ١٩٣٦ ،  
التي وايزمان ، زعيم الحركة الصهيونية آنذاك ،  
خطابا في تل ابيب وصف فيه الصراع العربي -  
الصهيوني ، الاخذ في التفجر ، بانه صراع بين  
عناصر الهدم وعناصر العمران ، واضعا بهذا  
الوصف القوى الصهيونية في مكانها من الالة  
الاستعمارية عشية الصدام المسلح . كان ذلك  
هو الموقف على طرفي الميدان عشية الثورة !  
في الريف اتخذت الثورة طابع العصيان المدنيّ  
والعصيان المسلح ، وتقاطرت المئات من المسلحين  
للتلاحق بالعصابات التي اخذت تنتشر في الجبال ،  
وكان الامتناع عن دفع الضرائب قد اقر في مؤتمر  
٧ ايار ١٩٣٦ الذي عقد في كلية روضة المعارف  
الوطنية في القدس وحضره حوالي ١٥٠ مندوبا  
يمثلون عرب فلسطين ، وان استعراضا بسيطا  
لاسماء المؤتمرين كما اوردها عيسى السفري (٧٤)  
يدل بانه قد تم في هذا المؤتمر بالذات  
تركيز قيادة الحركة الجماهيرية لطف واه بين  
الزعامات الاتطاعية الدينية وبين البورجوازية  
التجارية المدنيّة وبين عدد محدود من المثقفين ،  
وكان القرار الذي اتخذ في هذا المؤتمر موجزا ،  
ولكنه يعبر تعبيرا واضحا عن المدى الذي كانت  
قيادة من هذا النوع قادرة على الذهاب اليه :  
« قرر المؤتمر بالاجماع اعلان الامتناع عن دفع  
الضرائب اعتبارا من يوم ١٥ ايار ( ١٩٣٦ )  
الحالي ، اذا لم تغير الحكومة البريطانية سياستها  
تغيرا اساسيا تظهر بوادره بوقف الهجرة  
اليهودية » .

لقد وجه البريطانيون ضربتهم ، في الرد على  
العصيان المدنيّ والعصيان المسلح ، نحو مفصلين :  
الاول الكادر التنظيمي الذي كان بالاجمال اكثر  
ثورية من القيادة ، والثاني الجماهير الفقيرة  
المشاركة في الثورة والتي لم تكن تتمتع في الحقيقة  
الا بحماية سلاحها ذاته . ذلك يفسر الى حد بعيد  
ان العنصرين الوحيديين اللذين يتمتعان بكفاءة  
تنظيمية نسبية في قيادة الثورة ، وهما عونى عبد



الهادي ومحمد عزة دروزة ، قد جرى اعتقالهما ،  
بينما لم يتعرض الاخرون الى اعتقال او مضايقة  
نصل الى حد الشل الكلي ، ويدل على ذلك انه تم  
اعتقال ٦١ مناضلا عربيا من المسؤولين عن تنظيم  
الاضراب ( الكادر الوسط ) ، وذلك في ٢٣ ايار ،  
الا ان هذا الاعتقال لم يمنع بريطانيا من منح  
ناشرة سفر الى اربعة من زعماء الثورة ، هم  
جمال الحسيني وشبلي الجبل وعبد اللطيف صلاح  
والدكتور عزت طنوس للسفر الى لندن ومقابلة  
وزير المستعمرات وذلك في ١٢ حزيران . ومثل هذا  
الحادث الذي سياتكرر باطراد طيلة الاثمن  
والسنوات التالية ليس غريبا ، فقد كان المندوب  
السامي البريطاني يلاحظ بارتياح شديد ان « خطب  
يوم الجمعة قد اقترنت بدرجة من الاعتدال تفوق  
بكثر ما كنت اتوقعه ، في وقت بلغت فيه حدة  
المشاعر عمقا كبيرا ، والفضل في ذلك يعود  
بالدرجة الاولى الى المفتي » (٧٥) .

لقد تبلور الموقف منذ البدء بان اعتبرت قيادة  
الحركة الوطنية الفلسطينية الثورة الجماهيرية  
بجرد ضاغظ يهدف الى تحسين اوضاعها كطبقة  
لدى الاستعمار البريطاني ، وقد ادرك البريطانيون  
هذا الواقع ادراكا عميقا وتصرفوا وفقه ، ولكنهم  
مع ذلك لم يكلفوا انفسهم عناء منح تلك الطبقة  
الامتيازات التي كانت تطمح لها ، فقد كانت لندن  
مصرة على تلبية التزاماتها ازاء تسليم الارث  
الاستعماري في فلسطين للحركة الصهيونية ، وعلى  
العكس تماما ، فان سنوات الثورة ٣٦ - ٣٩  
كانت السنوات التي رعى الاستعمار البريطاني  
بنقله ، خلالها ، لانجاز مهمة تصليب الوجود  
الصهيوني وايقافه على قدميه كبل سنوي فيمسا  
بعد . وقد نجح البريطانيون في تحقيق ذلك من  
خلال وسيلتين : الاولى هي ضرب فقراء الفلاحين  
الثائرين بعنف لا مثيل له ، والثانية استخدام  
نفوذهم الواسع لدى الانظمة العربية ، التي لعبت  
دورا كبيرا في تصفية الثورة : **من الجهة الاولى**  
لعب تاتون الطوارىء البريطاني دوره بفعالية ،  
ويورد السنفرى مجموعة احكام صدرت آنذاك  
للتدليل على عسف هذا القانون : « ست سنوات  
حبس لحيازة مسدس - ١٢ سنة لحيازة قنبلة -  
خمس سنوات مع الاشغال الشاقة لحيازة ١٢  
رمصاصة - ٨ اشهر بتهمة تضليل فريق من الجند  
من الطريق - تسع سنوات بتهمة حيازة مفترعات

- ٥ سنوات لمحاولة شراء ذخيرة من الجنود -  
اسبوعان حبس لحيازة عصا» . الخ (٧٦) . ووفق  
تقدير بريطاني قدم الى عصبة الامم فان عدد القتلى  
العرب خلال ثورة ١٩٣٦ يبلغ حوالي الالف ، هذا  
عدا عن الجرحى والمفقودين والمعتقلين . واستخدم  
البريطانيون سياسة نفس البيوت على نطاق  
واسع ، فبالاضافة الى عملية نفس وهدم جزء  
من مدينة يافا ( ١٨ حزيران ١٩٣٦ ) ويقدر عدد  
البيوت التي نسفت فيها بـ ٢٢٠ وعدد الذين  
شردوا نتيجة النسف بـ ٦ الاف نسمة ، نقول ،  
بالاضافة الى ذلك جرى هدم مئة تخشبية في  
الجبالية و ٣٠٠ في ابو كبير و ٣٥٠ في الشيخ مراد  
و ٧٥ في عرب الداودي ، ومن الواضح ان سكان  
الاحياء التي هدمت في يافا ، والتخشيبات في  
ضواحيها هم من فقراء الفلاحين الذين هجروا  
الريف الى المدن ، اما في القرى فقد عدد السنفرى  
حوالي ١٤٢ بيتا جرى نسفها لاسباب تتعلق  
مباشرة بالثورة (٧٧) . وهذه البيوت تخص فقراء  
الفلاحين وبعض الفلاحين المتوسطين وعددا يسيرا  
جدا من العائلات الانتفاعية . **ومن الجهة الثانية:**  
بدأ الامير عبدالله امير شرق الاردن ، ونوري  
السميد ، نشاطهما للتوسط لدى الهيئة العربية  
العليا ، الا ان هذه الوساطات لم تلح بالرغم من  
استعداد الزعامات لتبنيها ، ولكن الحركة  
الجماهيرية كانت حتى ذلك الوقت ( آب ١٩٣٦ )  
غير قابلة للتدجين بعد ، على ان هذه الاتصالات  
اثرت تأثيرا سلبيا على الثورة ، وتركت في الجو  
شعورا بان التناقض القائم هو تناقض قابل  
للتسوية ، وبالفعل فان هذه البداية التي بدت  
فاشلة ستحقق نجاحا كاملا في تشرين الاول من  
العام نفسه ، اي بعد حوالي ستة اسابيع فقط !  
على ان هذه الصلات لم تكن الشكل الوحيد  
لجدلية العلاقات بين فلسطين والبلدان العربية  
المجاورة ، فقد كانت هذه الجدلية اكثر تعقيدا ،  
وتعكس مجمل التناقضات المركبة ، وكما قد لاحظنا  
ما مظه القسم في هذا المجال ، والواقع ان  
الظاهرة القسامية بهذا المعنى استمرت بالحدوث ،  
فقد تدفق الى فلسطين عدد كبير من المناضلين  
العرب مثل سميد العاص ( الذي استشهد في  
تشرين الاول ١٩٣٦ ) والشيخ محمد الاشمير  
وغيرهما الكثير ، على ان التدفق هذا شمل ايضا  
عددا من الضباط الوطنيين المغاربن ، وابرز هؤلاء

كان فوزي القاوقجي الذي ما لبث بعد دخوله الى فلسطين في آب ١٩٣٦ ، على رأس عصابة صغيرة ، ان اعلن نفسه قائدا عاما للثورة . وبالرغم من ان هؤلاء قاموا بتحسين تكتيكات الثوار وتوسيعها الا ان العبء الاكبر من العنف الثوري في الريف ، والعمل الفدائي في المدن ، ظل يتحمله الفلاحون المعدمون بالدرجة الاولى . والواقع ان « الضباط » الذين بزغوا من صفوف الفلاحين انفسهم ظلوا هم الذين يلعبون الدور الرئيسي ، ولكن معظمهم كان يخضع لقيادة المفتي ، ومع ذلك فهم الذين يمثلون البطولة الاسطورية للجماهير في هذه الثورة .

وبالرغم من ان الموظفين البريطانيين في فلسطين لم يكونوا يوافقون تماما على سياسة لندن ، المستميتة في دعم الحركة الصهيونية ، والذين كانوا يرون ان هناك متسما لزعامة طبقية عربية ليست مرتبطة المصلحة بالثورة ، للتعامل مع الاستعمار ، الا ان بريطانيا قررت كما يبدو ، نهائيا ، في ١٩ حزيران ١٩٣٦ « اهمية الارتباط العضوي بين سلامة المصالح البريطانية وبين نجاح الصهيونية في فلسطين » (٧٨) . وقررت بريطانيا دعم قوتها في فلسطين ، وزيادة اجراءاتها التعمية هناك .

وقد تزعزعت قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية وفقدت اعصابها وانتابها الخوف في اعقاب ذلك القرار ، وسارع الحاج امين الحسيني وراغب النشاشيبي وعوني عبد الهادي لمقابلة مندوب السامي البريطاني ، ويبدو من تقارير بعث بها المندوب المذكور انذاك الى حكومته ان هؤلاء هم الذين شددوا بالايعاض بانهم مستعدون لانهاء الثورة « اذا طلب منهم ملوك العرب ذلك » . الا ان

هؤلاء لم يجروا قط على الاعتراف امام الجماهير بانهم هم اصحاب تلك الفكرة المتتوية بل كسروا نفيها عدة مرات . واثر ذلك تدفقت اعداد كبيرة من الجنود البريطانيين تقدر بعشرين الف جندي الى فلسطين ، وفي ٣٠ ايلول ١٩٣٦ بعد استكمال وصول القوات البريطانية ، صدر مرسوم بالاحكام العرفية ، وضاعت سلطة الانتداب خطها القمعي المتصلب . وقد شهد ايلول وتشرين الاول اهتف الممارك ، وهي الممارك الاخيرة في الواقع التي شملت جميع انحاء فلسطين تقريبا آنذاك .

وفي ١١/١٠/١٩٣٦ وزعت اللجنة العربية العليا

بيانا يطلب انتهاء الاضراب ، وبالتالي الثورة ، « ولما كان الامتنال لارادة اصحاب الجلالة والسمو ملوك العرب ، والنزول على ارادتهم ، من تقاليدنا العربية الموروثة ، وكانت اللجنة العربية العليا تعتقد اعتقادا جازما ان اصحاب الجلالة والسمو لم يأمرؤا ببناءهم الا لما فيه مصلحتهم وحفظ حقوقهم ، لذلك فاللجنة العربية العليا ، امتثالا لارادة اصحاب الجلالة والسمو الملوك والامراء ، واعتقادا منها بمعظم الفائدة التي تنجم عن توسطهم ومؤازرتهم ، تدعو الشعب العربي الكريم الى انتهاء الاضراب والاضطراب انفاذا لهذه الاوامر السامية التي ليس لها من هدف الا مصلحة العرب » (٧٩) . بعد ذلك بشهر واحد بالضبط ( في ١١/١١/١٩٣٦ ) تعلن « القيادة العامة للثورة العربية في سوريا الجنوبية - فلسطين » في بلاغ وقعه فوز الدين القاوقجي ، انها « تطلب توقيف اعمال العنف تماما ، وعدم التحرش باي شيء يفسد جو المفاوضات التي تأمل فيها الامة العربية الخير ، ونيل حقوق البلاد كاملة » (٨٠) . ويمد عشرة ايام تصدر القيادة المذكورة بيانا اخر يعلن « ترك الميدان اعتقادا على ضمانته الملوك والامراء العرب وحفظا لسلامة المفاوضات » (٨١) . ويقول جميل الشقيري : « فطوعا لاوامر الملوك والامراء انحل الاضراب ، وامتفت اعمال الثورة بظرف ساعتين على اعلان النداء » (٨٢) .

ورغم ان بريطانيا قامت في تلك الفترة بتحصيدي القيادات الفلسطينية بالضبط في النقط التي خدعوا فيها الجماهير ، وهي المتعلقة بموضوع الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وان هذه القيادات قررت مقاطعة اللجنة الملكية ( لجنة بيل ) الا ان الملوك والامراء العرب ارغموا هذه التسيادات ، مرة اخرى في اقل من ثلاثة شهور ، على الطاعة . فقد كتب الملك عبد العزيز آل سعود والملك غازي رسائل الى الحاج امين الحسيني تقول : « ... وبالنظر لما لنا من الثقة بحسن نية الحكومة البريطانية في انصاف العرب ، فقد رأينا ان المصلحة تقتضي الاتصال باللجنة الملكية » . على ان هذا الحادث ، الذي يبدو جزئيا ، مزق ذلك التحالف في قيادة الحركة الوطنية ، اذ ان القوى التي كانت تقف الى يمين الحاج امين الحسيني ، والتي يتزعمها حزب الدفاع ، سارعت الى معارضة قرار مقاطعة لجنة بيل ، وابدى الحزب عددا

كان ما يزال ممثلا في اللجان القومية ، والذي كان يمثل يوميا بأفواج من الفلاحين المدمنين والعمال العاطلين عن العمل في المدن والارياف . وهكذا لم يكن أمام المفتي الا ان يهرب الى الامام ، فقد تجنب الاعتقال بأن اعتمص في الحرم الشريف ، ولكن الاحداث دفعته الى موقع لم يكن ليستطيع الوقوف فيه قبل ذلك بعام . ففي ايلول ١٩٣٧ اطلق أربعة من الفدائيين المسلحين النار على اندروز ، حاكم الجليل ، فيما كان يخرج من الكنيسة الانجليكانية في الناصرة فأردوه قتيلًا ، « لقد كان اندروز الرسمي الوحيد الذي ادار الانتداب وفق ما كان يعتبره الصهاينة صحيحا ، وقد فشل في كسب ثقة الفلاحين العرب » . كان العرب يعتبرونه صديقا لليهود ، وان مهمته هي تسهيل انتقال لواء الجليل الى الدولة اليهودية التي حددها مشروع التقسيم ، كان الفلاحون العرب يكرهونه ويتهمونهم بتسهيل بيع اراضي الحولة ، أما الفدائيون الذين صرعوه فمن المعتقد انهم ينتهون لاحدى خلايا السرية التي كانت للقساميين(٨٤).

ومع ان اللجنة العربية العليا استنكرت هذا الحادث في الليلة ذاتها ، الا ان الموقف ، تماما كما كان الامر عند استشهاد القسام ، كان قد خرج من بين ايدي المفتي وجماعته ، وكان عليهم اذا ما ارادوا البقاء على رأس الحركة الوطنية، للحاق بها وركب موجتها كما حدث في نيسان ١٩٣٦ . الا ان هذه المرة كانت الاندفاع الثورية عند الجماهير أشد عنفا ، ليس فقط بسبب الخبرات التي اكتسبها اثناء تجربة العام الماضي، ولكن ايضا بسبب ازدياد وضوح التناقض القائم أمام اعينهم ، ومن المؤكد ان هذه المرحلة من الثورة قد اتجهت بصورة جوهرية ، ان لم نقل كلية ، ضد البريطانيين وليس ضد الصهيونيين ، وقد افرز نمو التناقض المواقف اغرازا اكثر حسما: هيمن الفلاحون كليا تقريبا على الثورة ، وتراجع دور البورجوازية المدنية قليلا الى الوراء ، واخذ أثرياء الريف وكبار الفلاحين المتوسطين يترددون في مساندة الثوار ، وانتقلت القوى الصهيونية الى حالة هجومية فعالة .

ان مسألتين هامتين في هذه المرحلة من الثورة ، ينبغي التوقف عندهما : الأولى : ان « العرب اتصلوا باليهود مقترحين التوصل معهم الى نوع من الاتفاق على أساس قطع العلاقات مع بريطانيا

دلائل تشير الى رغبته في قبول مشروع التسوية التي كانت بريطانيا ستعرضه ، وقد استند زعماء هذا الحزب ، الذي كان يمثل بالدرجة الاولى اندية المدن ، الى التذمر الذي اصاب كبار التجار العرب في المدن نتيجة الاضراب ، والى التخلخل الذي طرأ على مصالحي البورجوازية المدنية التي كانت تعتمد على علاقات اقتصادية ومليدة ممثلة بوكالاتهم عن الصناعات البريطانية واثانها اليهودية .

وسانددت الانظمة العربية ، خصوصا نظام شرق الاردن ، موقف هذا اليمين بكل قوة ، ولم يكن عند الحاج امين الحسيني وما يمثلها اي حافظ لليسل الى جهة اليسار الذي كان عمليا قد بدأ يعمل على تصفيته ، وهكذا شرع موقفه يزداد تذبذبا وترددا، وبدأ انه اضحى في موقع لا يستطيع معه المضي بالثورة ولا حتى خطوة الى الامام ، كما ان التراجع الى الوراء لم يعد يفيد ، ومع ذلك نحن اعتقد البريطانيون ان تصفية المفتي سياسيا اصبحت ممكنة خلال فترة الهدوء التي اعتبت انتهاء الاضراب اكتشفوا ان ذلك ليس صحيحا ، وان يمين المفتي ما زال اضعف بكثير من ان يضبط الموقف ، واستمر المندوب السامي البريطاني ، بحيث ، يدرك ضخامة الدور الذي يستطيع المفتي لعبه وهو محور ذلك الموقف بين حزب الدفاع عن يمينه وحزب الاستقلال ( جناحه اليساري ) وحركات الشبيبة المثقفة عن يساره ، كان هذا المندوب السامي يدرك قدرة بريطانيا على الاستفادة من الهامش الواسع القائم بين « صلابة القرويين الذين تاومونا ستة اشهر وهم يلقون اجورا ضئيلة ولا يقدمون على النهب » وبين « ضهف او انعدام الصفات القيادية العظيمة لدى اعضاء اللجنة ( العربية العليا ) العشرة »(٨٤). وقد اتضحت صحة نظرية المندوب السامي الى الدور المحدود الذي يستطيع يمين المفتي ان يلعبه حين عجز حزب الدفاع عن الوقوف بوضوح امام تقرير لجنة بيل الذي صدر في ٧ تموز ١٩٣٧ والذي اقترح التقسيم وانشاء دولة يهودية . وقد اتضحت في الوقت ذاته، ايضا ، ان خشية المندوب السامي من ان يؤدي ضغط اولئك الذين يقفون على يسار المفتي الى افتاده اعتداله لم تكن خشية بلا اسباب ، على ان ذلك الضغط لم يحدث من قبل الجهة التي توقعها المندوب السامي ، بل من قبل الكادر الاوسط الذي

الاوروبي المتصاعد الحدة ، ولذلك اخذت تميل باطراد نحو « الاسراع في تنظيم قوة دفاع يهودية منطلوعة ، بالاضافة الى القوة القائمة وعددها ٦٥٠٠ مسلح » (٨٨). وقد مضت قدما في سياسة الاعتماد على القوة المحلية الصهيونية وتسليحها جزءا كبيرا من واجبات القمع الذي كان يتسع ، ومع ذلك فانها لم تقطع ذلك الجسر الذي كانت تتركه دائما قائما بينها وبين قيادة الطبقات التي كان يتزعمها المفتي ، وقد لعب البريطانيون في هذا المجال بالذات ، وفي هذه الفترة بالتحديد ، دورا بارزا في ابقاء المفتي بمثابة الممثل غير المتنازع لعرب فلسطين ، فقد كان احتياطهم من القيادة الواقعة على يمين المفتي قد احترق عمليا ، ولذلك لم تكن عملية استبعاد المفتي من اعتباره الزعيم الاوحد الاعلى « لا تبقى من يستطيع تمثيل العرب سوى قادة الثورة في الجبال » (٨٩)، على حد قول المندوب السامي البريطاني لفلسطين ، ولا شك ان ذلك من بين اسباب اخرى ، ساعد على ابقاء الحاج امين الحسيني على قمة قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية رغم انه كان قد غادر مكان اختفائه في الاقصى ، بأسلوب مثير ، وظل في دمشق منذ اواخر تشرين الاول ١٩٢٧ .

ان العسف البريطاني الذي تصاعد بصورة غير متوقعة ، وتساعد عمليات المداخلة والاعتقال الجماعي والإعدام طوال ١٩٢٧ و ١٩٢٨ انهكت الثورة ، ولكنها لم تضع حدا لها ، وقد ادرك البريطانيون ان الثورة هي في جوهرها ومادتها وقياداتها المحلية ثورة فلاحية ، وحين حاولت ، نتيجة ذلك ، ان تميز في تعاملها مع المدنيين ادت الروح الثورية المهيمنة في فلسطين باجمعها الى تعميم لباس الرأس الفلاحي ( الكوفية والمقال ) في المدن ، كي لا يخضع الريفي النازل الى المدينة لعسف السلطة ، وبعد ذلك منع الجميع من حمل هوياتهم الشخصية كي لا تكتشف السلطة الفلاح من المدني .

ان هذا الواقع يشير الى طبيعة الثورة والسى نفوذها في تلك المرحلة اشارة واضحة للغاية ، كان الريف ، بصورة عامة ، هو ربح الثورة ، وكانت عمليات احتلال المدن المؤقتة في ١٩٢٨ تتم اثر هجمات يشنها الفلاحون (٩٠) من الخارج ، وهذا يعني ان الفلاحين والقرويين بصورة عامة هم الذين كانوا يدفعون الثمن الاكبر . ففي عام ١٩٢٨ اهدم

قطعا تاما ، ولكن اليهود رفضوا ذلك على الفور لانهم يعتبرون علاقاتهم ببريطانيا مسألة جوهرية « (٨٥) ، وقد تراق ذلك مع ارتفاع عدد اليهود الذين يخدمون في البوليس في فلسطين من ٣٦٥ عام ١٩٢٥ الى ٦٨٢ عام ١٩٣٦ ، وفي اواخر ذلك العام اذنت الحكومة بتجنيد ١٢٤٠ يهوديا كبوليس اضافي مسلح ببنادق حربية ، وارتفع العدد بعد شهر الى ٢٨٦٣ مجندا (٨٦) . ولعب ضباط بريطانيون دورا بارزا في قيادة مجموعات يهودية للهجوم على قرى عربية . والثانية : ان وجود زعامة الثورة خارج فلسطين ( في دمشق ) قد جعل دور القيادات المحلية المنحدرة من اصل فلاحى مثير في معظمها دورا اكبر مما كان في الحقبة المنصرمة ، وكان هؤلاء يرتبطون مع الفلاحين ارتباطا وثيقا ، وذلك يفسر ، الى حد بعيد ، المدى الأبعد الذي كان يوسع الثورة ان تصله . لقد برز في هذه الحقبة ، على سبيل المثال ، عبدالرحيم الحاج محمد كاتاند محلي ، ويقول الشيوعيون انهم كانوا يتصلون به ويزودونه بالمعلومات (٨٧) . وكان من الممكن ان يشكل هذا التطور نقطة انعطاف تاريخية في الثورة لولا ضعف « اليسار » ، بمعناه النسبي ومعناه الحقيقي ، ولولا اضطرار هذه القيادات المحلية للاحتفاظ بصلتها التنظيمية الى حد معين مع « اللجنة المركزية للجهاد » في دمشق ، وذلك ليس فقط بسبب الولاء التقليدي لها ، ولكن ايضا بسبب اعتمادها بدرجة من الدرجات على تمويلها . في تاريخ النضال الفلسطيني برمته لم تكن الثورة الشعبية المسلحة اقرب الى الانتصار مما كانت عليه في تلك الشهور التي امتدت بين اواخر ١٩٢٧ و اوائل ١٩٢٩ . لقد ضعفت في هذه الفترة سيطرة القوات البريطانية على فلسطين ووصلت هيبة الاستعمار الى الحضيض ، واصبحت سمعة الثورة ونفوذها هما القوة الاساسية في البلاد . الا ان ما حدث في هذا الوقت ايضا هو ازدياد فتاعة بريطانيا بان عليها الاعتماد على القوى الصهيونية ان هي ارادت سيطرة طويلة الامد على الوضع ، وقد اعطاها الصهاينة حالة فريدة لم تكن لها في اي من مستعمراتها . هذه الحالة هي توفر قوة محلية لها مع الاستعمار البريطاني قضية مشتركة ، ومشحونة حتى أقصى الحالات ضد السكان المحليين . في تلك الفترة بدأت بريطانيا تخشى من اضطرارها لتحويل جزء من قوتها العسكرية لمواجهة الماسزق

نهاية للثورة وتهيئة اسباب النجاح للمؤتمر « . ومع ذلك فان الثورة في فلسطين لم تكن قد هدأت ( حصيلة شباط ١٩٣٩ كانت ، رسيا : ١١٠ قتلى و ١١٢ جريحا في ١٢ معركة ضد البريطانيين . تفتيش ٣٩ قرية — منع التجول في ٢ مدن ٣ مرات . اعتقال حوالي ٢٠٠ قروي — حرائق في ٥ دوائر حكومية — ، اعدام ١٠ عرب بتهمة حمل سلاح . هجمات على ١٠ مستعمرات يهودية . نسف أنابيب النفط مرة ، تفجير قطار حيفا واللد . انشاء نقطة تفتيش داخل المسجد الاقصى ) . وان الارقام البريطانية التي يقدمها وزير المستعمرات البريطاني تشير الى أنه « بين ٢٠ كانون الاول و ٢٠ شباط ( اي في شهرين ) وقع ٣٤٨ حادث اغتيال و ١٤٠ حادث تخريب و ١٩٠ حادث خطف و ٢٢ سرقة وانفجار ٩ الغام و ٣٢ قنبلة وخسر الجنود ١٨ قتيلًا و ٣٩ جريحا وخسر الاعالي ٨٣ قتيلًا و ١٢٤ جريحا ، ولا تشمل هذه الارقام ما اصاب الثوار .. » (٩٤) .

وقد استمر الامر على هذا المنوال حتى الشهر الذي نشبت فيه الحرب العالمية الثانية ( ايلول ١٩٣٩ ) تكبد خلالها الفلسطينيون العرب خسائر لم يكن من الممكن تعويضها : كانت القيادة ، بالإضافة لكل روح المساواة التي تعيشها ، موجودة خارج البلاد ، أما القيادات المحلية الناشئة فقد أخذت تستط واحدة وراء الاخرى في ميادين القتال ، وكان العنف البريطاني قد وصل الى ذروته ، وبدأ العنف الصهيوني يصعد باضطراد منذ اواسط ١٩٣٧ ، ولا شك ان التركيز البريطاني والاصرار الذي رافقه في الساحة الفلسطينية قد انهك الثوار الذين باتوا ، مع تراوح قياداتهم ، غير عارفين على وجه الدقة من كانوا يحاربون ولماذا ؟ فتارة كانت القيادة تتحدث عن الصداقة التقليدية والمصالح المشتركة ، مع بريطانيا ، وتارة تصل الى حد قبول منح ادارة ذاتية لليهود في المناطق التي يتواجدون فيها ، ولا شك ان تذبذب القيادة ورخاوتها وعدم قدرتها على تحديد هدف واضح للقتال قد اسهم في انهك الثورة . ولكن ذلك يجب الا يدفعنا الى اهمال العامل الموضوعي . فقد استخدم البريطانيون قمرتين عسكريتين وعددا من اسراب الطائرات والبوليس وقوة حرس الحدود الاردني بالإضافة للقوة اليهودية المساعدة المؤلفة من ٦ آلاف ، ورموا ذلك كله للهيمنة على الموقف ،

مدد من الفلاحين لجرد حيازتهم على اسلحة ، وان استعراضا سريعا لجداول اسباء اولئك الذين ارسلوا الى السجن او الى المشنقة ترينا ان الغالبية الساحقة كانوا من فقراء الفلاحين ، وعلى سبيل المثال فقد « حكم على جميع سكان قرية عين كارم ، وعددهم ثلاثة آلاف ، ان يسروا عشرة كيلومترات يوميا ليثبتوا وجودهم لدى مركز البوليس » (٩١) . وفي تلك الفترة كانت بريطانيا قد أصدرت احكامها بالسجن ، مددا طويلة على حوالي ٢٠٠٠ عربي ، وهدمت أكثر من ٥ الاف بيت ، واعدم شنقا في سجن عكا ١٤٨ شخصا ، وبلغ عدد المعتقلين لمدد مختلفة اكثر من خمسين الفا (٩٢) .

كانت بريطانيا ، التي عدلت في تشرين الثاني ١٩٣٨ عن التقسيم الذي اوصى به تقرير لجنة بيل ، آخذة في محاولة كسب الوقت ، وهنا يجيء مؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد في لندن في شباط ١٩٣٩ نموذجًا لتلك الصنف المشبوهة التي كانت تجري طوال الوقت بصمت بين قيادة الثورة الفلسطينية وبين البريطانيين الذين كانوا يعرفون يقينا استعداد تلك القيادة للمساومة في أية لحظة ، وبالطبع لم يذهب جمال الحسيني وحده الى المائدة المستديرة في لندن ، بل ذهب معه ممثلو الدول العربية « المستقلة » انذاك ، وهكذا فقد قدر للانظمة العربية التي كانت خاضعة للاستعمار ان تملئ ارادتها مرة ثانية في اقل من عامين على عرب فلسطين ، بواسطة ذلك الالتقاء (الكامن والمحتمل) في مصالح جميع الذين كانوا جالسين حول تلك المائدة المستديرة في لندن .

ان الكلمات التي القاها جمال الحسيني ، والامير فيصل ( ممثل السعودية ) والامير حسين ( ممثل اليمن ) وعلى ماهر ( ممثل مصر ) ونوري السعيد ( ممثل العراق ) — الذي اعلن انه يتكلم «كصديق حميم لبريطانيا العظمى والذي لا يرغب بقول كلمة واحدة تجرح شعور أي بريطاني لانه يشعر بصداقته نحوهم من أعناق قلبه » (٩٣) . ان تلك الكلمات لم تؤكد الا نجاح خطة بريطانيا التي اختنقت بها بدعة طوال عقد من الزمن ازاء قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية : فهي لم تفرضها ، واقتتها دائما على طرفنجسر مفتوح ، وكان البريطانيون واثنين من أن العراق والسعودية « مستعدتان لاستخدام نفوذها لدى زعماء فلسطين لوضع

( وكانت لجنة بيل قد اعترفت ان نفقات الامن في فلسطين ارتفعت من ٨٦٢ الف جنيه لعام ١٩٣٥ الى ٢٠٢٢٣٠٠٠ عام ١٩٣٦ ) . ان حملة الارهاب هذه وخصوصا المحاولات التي بذلت لقطع الصلة بين الثوار وبين القرى ، أدت الى انهك الثورة . وجاء استشهاد عبد الرحيم الحاج محمد في اذار من ١٩٣٩ بمثابة ضربة قاصمة للثورة اذ فقدت واحدا من أكثر القادة الشعبيين الثوريين شجاعة وحكمة واستقامة ، واخذت القيادات المحلية ، بعد ذلك ، تنهار وتغادر ميادين القتال ، ولا شك ان التقارب الفرنسي البريطاني عشية الحرب الثانية قد لعب دوره في محاصرة الثوار . فقد استسلم عارف عبد الرزاق مع بعض اتباعه للفرنسيين بعد أن انهكه التشرد والجوع ، وقلت القوات الاردنية القبض على يوسف ابو دره وسلمته للبريطانيين فاعدموه . وأدى الارهاب في القرى الى خشية من دعم الثوار وبدهم بالذخائر والطعام ولا شك ان انعدام الحد الأدنى من التنظيم قد حال دون القدرة على تجاوز هذه المعارك .

لقد أرجع الحزب الشيوعي الفلسطيني انذاك أسباب فشل الثورة الى خمسة أسباب رئيسية (٩٥) . غياب القيادة الثورية ، فردية قادة الثورة وانتهازيتهم ، عدم وجود قيادة مركزية لقوات الثورة ، ضعف الحزب الشيوعي الفلسطيني ، عدم ملائمة الوضع العالمي . وهذه الأسباب في مجملها صحيحة ، ولكن يجب أن يضاف اليها تقرب الحزب الشيوعي الى زعامة الحاج امين الحسيني الذي كان يراه « منتميا الى أكثر أجنحة الحركة الوطنية تطرنا في العداء للاستعمار » ويرى اعداءه « اقطاعيين خونة » (٩٦) . مع العلم ان جماعة المفتي لم تتوقف على الاطلاق في تصفية عناصر اليسار التي كانت تحاول التقليل في اوساط العمال . وكان اليسار الشيوعي ، بالإضافة الى ضعفه ، غير قادر على الوصول الى الريف . كان متركزا في بعض المدن ، وكان قد أخفق في تعريب الحزب كما اوصى مؤتمر الكومنترن السابع ، ولم يكن هو الآخر قد قرر اهدانا واضحة للقتال ، وكان ما يزال ضحية للنظرة القاصرة لمسألة الوحدة العربية ، ولعلاقات النضال القومية في الوطن العربي التي كان لها انعكاسات تنظيمية . ويبدو ان الخلل الرئيسي في هذه الهزيمة كان يكمن في

تلك الثغرة الكبيرة الناشئة عن الحركة السريعة للمجتمع في فلسطين ، الذي كان ينقلب بعنف شديد كما قلنا ، من مجتمع زراعي عربي الى مجتمع صناعي يهودي ، فذلك كان علس وجه التحديد السبب الذي غيب البورجوازية الوطنية والبورجوازية الصغيرة العربية عن لعب دورها التاريخي في الحركة الوطنية الفلسطينية انذاك ، واتساح للزعامة الإقطاعية الدينية فرصة تزعم هذه الحركة لفترة طويلة دون منازع . ويضيف الدكتور عبد الوهاب الكيالي أسبابا أخرى مهمة بقوله : « ان التعب من القتال والضغط العسكري المتواصل والامل في أن تتحقق بعض جوانب الكتاب الأبيض ، بالإضافة الى معاناة العجز في الاسلحة والذخائر ، كل ذلك قد أسهم في عرقلة استمرار الثورة ، ثم ان اقتراب العالم من حافة الحرب العالمية الثانية حمل الفرنسيين على قمع مقر رئاسة الثوار في دمشق قمعاً تاماً » (٩٧) . ويمكننا ان نضيف الى ذلك كله عاملين هاميين متداخلين يمكن الحديث عنهما معا لانهما لعبا دورا بارزا في اجهاس الثورة ، وهما موقف شرق الاردن ممثلا بموقف النظام العميل الذي كان يتزعمه الامير عبد الله انذاك ، والنشاط الذي قام به عملاء الثورة المضادة في الداخل على هامش النشاط الارهابي الذي شنته القوات البريطانية والقوات الصهيونية .

كان حزب الدفاع الذي يتزعمه راجب النشاشيبي يلعب دور الممثل الشرعي لنظام شرق الاردن العميل داخل الحركة الوطنية الفلسطينية ، ولعل هذا الارتباط كان نوعا من التموهية بسبب عدم قدرة ذلك الحزب على كشف علاقة العمالة التي كانت تربطه عمليا بالاستعمار البريطاني وسط معركة كانت موجهة بالاساس ضد ذلك الاستعمار ولذلك فقد كان الارتباط بالنظام الشرق الاردني نوعا من التموهية المقبول من الطرفين . كان حزب الدفاع عبارة عن حشد صغير من أفندية المدن يمثلون بالدرجة الاولى مصالح البورجوازية الكومبرادورية الصاعدة والتي بدأت تكشف ان وجودها ونموها رهين بارتباطها ليس فقط بالاستعمار البريطاني ولكن ايضا بالحركة الصهيونية التي كانت تسيطر على عملية التحول الصناعي للاقتصاد الفلسطيني ، وهذا الموقع الطبقي هو الذي جعل تاريخهم يتلخص بانهم « تعاونوا مع الاحتلال اداريا ، ومع الصهيونية تجاريا ، وباعوا الاراضي الى اليهود

وسمروا وزرعوا الشوك وعرقسوا النشاط الوطني واحكموا الخطة بين عبد الله والحسين وبين الصهيونيين في ١٩٢٣ - ١٩٢٤ وأيدوا الهجرة والانتداب في العشرينات ، والتقسيم في الثلاثينات ، ودعوا لوطن قومي يهودي في جزء من فلسطين ، وتسليم الجزء الاخر الى شرق الاردن ٠٠٠ الخ «(٩٨)» .

وفي الوقت الذي كان الامير عبد الله ، امير شرق الاردن ، يقيم حركة الجماهير الشرق اردنية التي كانت قد قررت بمبادرتها الذاتية ، منذ حزيران ١٩٢٦ ، في المؤتمر الشعبي الذي عقد برئاسة مختار الفائز في قرية ام المعد ، دعم ثورة فلسطين بالرجال والعناد ، كان البريطانيون قد قرروا اعتبار شرق الاردن ميدانا متصلا للقتال ضد الثوار الفلسطينيين في تحركاتهم . ولم يقتصر الدور الذي لعبه النظام الشرق اردني العميل على ذلك فحسب ، بل اغلق الطرق المؤدية الى العراق ليمنع وصول اي امداد ، واخذ يعرقل حركة القادة الفلسطينيين الذين اضطروا لزيادة حركتهم من شرق الاردن بعد بناء الاسلاك الحاجزة على حدود فلسطين الشمالية ، وتوج هذا النظام نشاطه المضاد حين التقى القبض على اثنين من القادة الفلسطينيين في ١٩٣٩ ، احدهما يوسف ابو درة ، وسلمهما الى البريطانيين حيث تم اعدامهما بعد ذلك بشهور قليلة ، كما سبق وذكرنا . في ذلك الوقت بالذات كانت قوات النظام الاردني تتشبط جنبا الى جنب مع القوات البريطانية والمصائب الصهيونية في مطاردة الثوار ، ولا شك ان هذا الدور الذي لعبه نظام شرق الاردن قد شجع عناصر الثورة المضادة الداخلية على رفع مستوى اعمالها ، فقد اسهم عدد من قادة حزب الدفاع في انشاء ما أسماه « فرقة السلام » ، وهي قوات صغيرة مرتزقة « تكونت بالتعاون مع الانكليز وساهمت في مطاردة الثوار والاشتباك معهم ، وزحزحتهم عن بعض المواقع التي كانوا يسيطرون عليها ، وكان مخزي التشاشيبي ممن ساهموا في تكوين هذه الفرق ، وتسليحها ، وتوجيه نشاطها ... مما ادى الى مقتله بعد انتهاء الثورة بعدة اشهر «(٩٩)» وقبل ذلك كانت الحملة البريطانية الشرسة لنزع السلاح من جميع انحاء فلسطين قد اعتمدت على « تشجيع العناصر المادية للمفتي على تزويد ( البريطانيين ) بالمعلومات والتعريف عن اشخاص الثوار»(١٠٠) .

ولم يكن موقف العراق والسعودية ، آنذاك ، افضل كثيرا من موقف النظام الاردني ، وكانا يبديان منذ مؤتمر لندن استعدادهما « لاستخدام نفوذهما لدى زعماء فلسطين لوضع نهاية للثورة »(١٠١) ولكن ذلك كله لم يكن قادرا على ان يجعل من زعماء الثورة المضادة عملاء الانكليز قسوة لها وزنها الجماهيري ، وعلى العكس ، كان يعزز من قوة المفتي وزعامته ، ولكن تشجيع عناصر الثورة المضادة كان يهدف ، من جملة ما يهدف اليه ، ضبط المفتي وابعاده ضمن حظيرة يمكن السيطرة عليها في نهاية الامر ، فقد تصرف البريطانيون طوال الوقت وفق قناعتهم بأن التشاشيبي لا يستطيع ان يكون بديلا للمفتي . اما الهامش الصغير الذي استخدمته قيادة المفتي ، والناشيء عن المناقشات الجزئية التي كانت تائهة بين الاستعمار الفرنسي في سوريا ولبنان والاستعمار البريطاني ، فلم يكن ليستطيع ان يؤدي الى تغيير جذري في ميزان القوى ، وما لبث هذا الهامش ان خاق الى حد الاختناق عشية الحرب الثانية ؛

ان مجمل هذه الحقائق يشير الى ان الثورة الفلسطينية في ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ضربت على مفاصلها الثلاثة : الفصل الذاتي ، بمعنى عجز وتذبذب وضعف وذاتية وفوضى قيادتها المتخللة . والفصل العربي ، بمعنى تواطؤ الانظمة العربية على اجهاضها في وقت لم تتفاعل الحركة الوطنية العربية الشعبية ( الضعيفة ) مع الثورة الفلسطينية الا بصورة انتقائية وذاتية وهامشية . والفصل العالمي ، بمعنى الخلل الضخم في ميزان القوى الموضوعي ، والناشء عن تحالف مجموع المعسكر الاستعماري فيما بينه ، وكذلك فيما بينه وبين الحركة الصهيونية التي صارت تتمتع منذ ذلك الوقت بقوة محلية ضاربة لا يستهان بها عشية الحرب العالمية الثانية .

ان افضل تقدير للخسائر البشرية العربية في ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ هو ذلك التقدير الذي يقول ان الخسائر في السنوات الاربع هذه قد بلغت ١٩٧٩٢ ما بين قتيل وجريح ، وهذا التقدير يتناول الاصابات التي اصاب بها العرب على ايدي المصائب الصهيونية في هذه الفترة . ويستند هذا التقدير على الاعترافات الاولية المتحفظة التي كانت تتضمنها التقارير الرسمية البريطانية مع امتحانها على صعيد

خدمة يمكن لمخططاتهم ان تحلم بها . وهكذا فقد سارت المخططات الصهيونية الرئيسية على خطين متوازيين : من جهة : التحالف الى اقصى حد مع البريطانيين ، حتى ان المؤتمر العشرين للحركة الصهيونية الذي عقد في صيف ١٩٣٧ ابدى استعداداه لقبول التقسيم من خلال المهادنة مع بريطانيا والاصرار على تجنب الصدام معها ، وذلك لفتح للامبراطورية الاستعمارية قمع الثورة العربية التي تجددت في ذلك الصيف . ومن جهة أخرى تعبئة التجمع الصهيوني الاستيطاني داخليا تعبئة متواصلة ، تحت الشعار الذي أطلقه بن غوريون آنذاك ، والذي ينادي بـ « لا بديل » ، وارساء قواعد المجتمع العسكري ، وادواته الحربية والاقتصادية .

وقد كانت مسألة الاصرار على مهادنة البريطانيين الى اقصى مدى ، بالرغم من ان هؤلاء قاموا بخطوات خفضوا فيها الهجرة اليهودية مثلا ، مسألة مركزية في تاريخ السياسة الصهيونية في تلك الفترة ، ورغم انه كان يوجد في داخل الحركة الصهيونية جهات ترفض ما كان يسمى بـ « ضبط النفس » ، الا ان اصوات الاقلية هذه لم تستطع ان تؤدي الى نتيجة ، فقد كان القانون الذي يسوق خطوات الحركة الصهيونية في تلك الفترة هو ذاك الذي لخصه وايزمن بقوله : « هناك تماثل مصالح نام بين الصهيونية وانجلترا في فلسطين » . وخلال هذه الفترة ادى التعاون والتداخل بين هذين الخطين ، التحالف مع الانتداب الى اقصى مدى وتعبئة التجمع الاستيطاني اليهودي ، الى نتائج خطيرة للغاية : فقد انتهزت البورجوازية اليهودية انتشار الثورة العربية لتنجز الكثير من المشاريع التي لم يكن يوسمها ان تنفذها في ظروف مغايرة . واذ تحررت هذه البورجوازية ، فجأة ، من منافسة المنتجعات الزراعية العربية التي كانت رخيصة الثمن\* فقد راحت تنصرف الى تنمية وجودها الاقتصادي ، ومن الطبيعي انه لم يكن من الممكن تنفيذ ذلك دون البركة البريطانية . ففي فترة الثورة نجح الصهاينة

وثائق اخرى<sup>(١٠٢)</sup> ويثبت هذا الاحصاء انه في عام ١٩٣٦ قتل ١٢٠٠ عربي وقتل ١٢٠ في ١٩٣٧ و ١٢٠٠ في ١٩٣٨ و ١٢٠٠ في ١٩٣٩ ، كما تم اعدام ١١٢ عربيا وقتل ١٢٠٠ عربي في عمليات ارهابية مختلفة ، وذلك يجعل عدد القتلى العرب في ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ حوالي ٥٠٣٢ قتلا وعدد الجرحى في الفترة نفسها ١٤٠٧٦٠ عربيا\* . اما اعداد المعتقلين فقد بلغ في ١٩٣٧ حوالي ٨١٦ وفي ١٩٣٨ حوالي ٢٤٦٣ معتقلا وفي ١٩٣٩ حوالي ٥٦٧٩ معتقلا . ويمكن فهم المعنى الحقيقي لهذه الارقام من خلال المقارنات . فبالنسبة لعدد السكان فان خسائر الفلسطينيين البشرية بين ٣٦ - ٣٩ توازي خسارة البريطانيين لـ ٢٠٠ الف قتيل و ٦٠٠ الف جريح ومليون و ٢٢٤ الف معتقل ، اما بالنسبة للاميركيين فانها توازي مقتل مليون اميركي واصابة ٣ ملايين بجروح واعتقال مليون و ١٢٠ الف مواطن ! على ان الخسائر الحقيقية ، والاكثر خطرا ، كانت في ذلك النمو السريع لاسس الوجود الاستيطاني الصهيوني في فلسطين ، عسكريا واقتصاديا . وليس من المبالغة بشيء القول بأن ذلك الوجود الاقتصادي والعسكري ، والذي تزايد ارتباطه بالامبريالية وعبر عن نفسه بكتافة في ١٩٤٨ كان قد ارسى قواعده الرئيسية في هذه الفترة الممتدة بين ١٩٣٦ و ١٩٣٩ . ويذهب احد المؤرخين الاسرائيليين الى حد الاقرار بأن « ظروف الانتصار في ١٩٤٨ كانت قد خلقت ابان فترة الثورة العربية ( ١٩٣٦ ) »<sup>(١٠٣)</sup> .

ان السياسة العامة التي اتبعتها الصهاينة في هذه الفترة يمكن رؤيتها في قرارهم العميق بتجنب انشاء اي تناقض بينهم وبين سلطة الانتداب البريطاني ، حتى حين كان هذا الانتداب ، تحت وقع ضربات الثوار العرب ، يضطر الى تجاهل بعض المطالب الحيوية للحركة الصهيونية . وكان الصهاينة يعرفون كما يبدو انهم اذا هياؤا للبريطانيين ، الذين كانوا يعودون في تلك الفترة اقوى واعنى جيش استعماري في العالم ، اذا هياؤا له فرصة سحق الثورة العربية في فلسطين ، فانه يكون قد قدم لهم تلتانيا اكبر

\* لناخذ على سبيل المثال الاجور في زراعة الحمضيات وهو المنتج الاول الزراعي في فلسطين ، فقد أقر المجلس الزراعي العام في ١٩٣٦ ان اجر العامل اليهودي سنويا للدونم الواحد ١٢ ج اما العربي فـ ٨ ج .

\* تقول دراسة ظهرت في مجلة « معراخوت » ( عدد ٢٠٤ ، رقم ٥٥ ، كانون الثاني/شباط ١٩٧٠ ) ان ثورة ٣٦ - ١٩٣٩ انتهت بما مجموعه ٤١٥ قتلا يهوديا من تجمع يهودي بلغ تعداد افرادة وبتذاك ٤٥٠ الف نسمة .



مقد  
نطين  
مع  
عركة  
بدي  
مع  
ذلك  
ربية  
مبته  
سنة  
يون  
سواء  
سنة  
بين  
ورا  
ك  
كة  
ط  
مع  
ق  
ك  
ح  
ه  
ك  
ح  
:

وسلطات الانتداب في بناء شبكة مسن الطرق بين  
المستعمرات الرئيسية والمدن شكلت فيما بعد جزءا  
اساسيا من الهيكل التحتي للاقتصاد الصهيوني ،  
وبالاضافة لهذه الطرق ، تم تعبيد الطريق الرئيسي  
بين حيفا وتل ابيب ، وجرى توسيع ميناء حيفا  
وتعميقه وبناء ميناء تل ابيب الذي قضى فيها بعد  
على حيوية ميناء يافا ، وانفرد الاسرائيليون بتمهيد  
نزوبد القوات البريطانية التي أخذت تتدفق على  
فلسطين بالمؤن وبالمعدات . وقد تأسست خمسون  
مستعمرة اسرائيلية في الفترة الممتدة بين ١٩٢٦  
و١٩٢٩ ، ففي الفترة من ١٩٢٦ — ١٩٢٨ وظف  
اليهود مليوناً و٢٦٨ الف جنيه لاجمال البناء في ٥  
مدن يهودية مقابل ١٢٠ الف جنيه فقط وظفها العرب  
في البناء في ١٦ بلدة عربية في نفس الفترة ! وانهمك  
اليهود بالعمل في مشاريع الامن البريطانية التي  
تشغلت في تلك الفترة محاصرة الثورة العربية ،  
وبينها مشروع بناء حاجز من الاسلاك الشائكة على  
الحدود الشمالية والشمالية الشرقية لفلسطين الذي  
« وظف البريطانيون عمالاً يهوداً بـ ١٠٠ الف جنيه  
فلسطيني ليقاموا ببناءه » (١٠٤) بالاضافة لعشرات من  
المشاريع الاخرى . وتعمطينا ارقام نشرتها صدرت فيها  
بعد فكرة أدق : فقد ازدادت قيمة الصادرات من  
البضائع المصنوعة محليا من ٤٧٨٠٨٠٧ جنيهات  
فلسطينية عام ١٩٣٥ الى حوالي الضعف  
( ٨٩٦٤٨٧٥ ج . ف . ) في ١٩٣٧ رغم احداث  
الثورة (١٠٥) . ولا يوجد تفسير لذلك الا النشاط  
المضاعف الذي طرأ على الاقتصاد اليهودي .  
وقد اتسع نطاق هذه التعمينة من المجال الاقتصادي  
المختلف مع الانتداب ، الى المجال العسكري  
المخاطيء معه ، فقد شعر البريطانيون بأن حليفهم  
الصهيوني مؤهل للعب دور لا يمكن لغيره ان يلعبه  
بنفس الجودة ، وفي الواقع فان بن غوريون لا يذكر  
الاجزاء من الحقيقة حين يعترف بأن عدد المجندين  
اليهود في البوليس الاضافي المسلح بالبنادق قد

✽ يقول بيغال آلون في كتابه بنساء الجيش  
الاسرائيلي : « كانت السنوات ١٩٣٧ — ١٩٣٩  
ذروة الاستيطان الطبيعي والتسرب العسكري  
الى مناطق مكشوفة . . . والغوز بموطيء قدم في  
مناطق حيوية استراتيجية » (راجع دراسة اميل  
توما بهذا الصدد في « الاتحاد » وفي « فتوح »  
١/١٩٧١ ) .

ارتفع الى ٢٨٦٢ في ايلول ١٩٣٦ . فذلك لم يكن  
الا جزءا من القوة اليهودية التي كان تعدادها ،  
في الهاغاناه ، ١٢ الف رجل عام ١٩٣٧ بالاضافة  
الى ثلاثة آلاف من اتباع جابوتنسكي ( التنظيم  
العسكري القومي ) (١٠٦) . وقد أدى تحالف هؤلاء ،  
كممثلين حقيقيين للحركة الصهيونية ، مع الاستعمار  
البريطاني الى ولادة فكرة « قوة البوليس الاضافي »  
في ربيع ١٩٣٦ وهي الفكرة التي خدمت كغطية  
للوجود الصهيوني المسلح المتمتع ببركة الاستعمار  
وتشجيعه . وقد خدمت هذه القوة كفترة انتقالية  
لمدة شهرين ، هيأت خلالها الهاغاناه للانتقال في بداية  
١٩٣٧ الى مرحلة جديدة لم يكن البريطانيون غير  
غافلين عنها فحسب ، بل كانوا مساعدين في  
بلورتها ، وهي مرحلة تسيير دوريات والقيام  
بعمليات محدودة ضد العرب ، هدفها الرئيسي  
اشغالهم وتشويشهم . وكان من غير الممكن الانتقال  
الى هذه المرحلة والحفاظ على « الهدنة » (التحالف)  
مع سلطة الانتداب ، دون ان يكون ذلك نتيجة  
خطة مشتركة . ويفر بن غوريون بأن قوة البوليس  
الاضافى اليهودية شكلت « اطارا » ممتازا لتدريب  
الهاغاناه » (١٠٧) .

في صيف ١٩٣٧ اطلق على هذه القوة اسم « الدفاع  
عن المستعمرات اليهودية » ثم تغير الى « بوليس  
المستعمرات » وجرى تنظيمها برعاية الانتداب  
البريطاني في طول البلاد وعرضها . وتمهد  
البريطانيون بتدريب عناصرها . وفي ١٩٣٨ جرى  
تعزيزها بثلاثة آلاف آخرين . ولعب جميعهم دورا  
مباشرا في اعمال القمع المسلح ضد الثوار العرب ،  
خصوصا في الشمال . وفي حزيران ١٩٣٨ قرر  
البريطانيون انه لا بد من شن عمليات هجومية ضد  
الثوار . وأنشأوا دورات دراسية في هذا المضمار  
تدرب فيها عدد كبير من اطارات الهاغاناه التي  
شكلت فيما بعد اطارات الجيش الاسرائيلي (١٠٨) .  
وفي اوائل ١٩٣٩ نظم الجيش البريطاني عشر  
مجموعات من بوليس المستعمرات في مجموعات  
حسنة التسليح ، وأعطيت أسماء عبرية ، وسمح  
لافراد هذه القوة بتغيير « القلبيق » ، لباس الراس  
الرسمي بقبعة استرالية لتعزيز التمايز ، وقد بلغ  
عدد هؤلاء ١٤٤١١ رجلا ، يتزعم كل مجموعة منهم  
ضابط بريطاني يساعده وكيل تعيينه الوكالة  
اليهودية ، وفي ربيع ١٩٣٩ صار عند اليهود ٦٢  
وحدة آلية ، كل واحدة تحوي من ٨ الى ١٠ رجال .

وفي حزيران ١٩٣٨ قررت القيادة البريطانية تكليف العناصر اليهودية هذه بحماية خطوط السكة الحديدية بين حيفا واللد التي تسفها الثوار العرب مرارا ، وقد أرسلت {٣٤} عنصرا لتنفيذ هذه المهمة، إلا أنه بعد ستة شهور فقط نجح رجال الوكالة اليهودية في رفع هذا العدد الى ٨٠٠ . أن هذا التطور لم يخدم فقط عملية بناء القوة الصهيونية العسكرية ، بل ساعد أيضا على امتصاص وتوظيف اعداد كبيرة من العمال اليهود العاطلين عن العمل والذين كانت اعدادهم تتزايد باضطراد في المدن ، وهكذا جرى تحويل هذه البروليتاريا نحو العمل في مؤسسات القمع ، ليس فقط في مشاريع الامن البريطانية المضادة للثورة ولكن أيضا في القوة العسكرية الصهيونية الصاعدة .

كانت أسس الجهاز العسكري الصهيوني ترسى برعاية البريطانيين ، وإذا كانت القوة اليهودية قد كلفت بحماية خطوط السكة الحديدية بين حيفا واللد ، فقد جرى تكليفها بحماية خط انابيب النفط في سهل بيسان ، الذي كان قد بني حديثا ( ١٩٣٤ ) لنقل الزيت من كركوك الى حيفا والذي نسنه الثوار العرب عدة مرات . ولعل قبة ذلك بالذات ، هنا ، قبة رمزية مثيرة للدهشة : أن الثوار العرب الذين أدركوا قيمة هذا النفط بالنسبة للمستغل البريطاني قد نسفوا الانبوب لأول مرة في ١٥ تموز ١٩٣٦ قرب اربد ، وبعد ذلك جرى نسفه عدة مرات قرب قرية كوكب الهوا ومحطة اسرائيل واكسال وبين العفولة وبيسان ، وفي تل عدس ، والبيرة ، وأرض المرج ، وتبرة ، وكتر مصر ، وجسر الجامع ، وجنجر وبيسان وعين دور . وقد عجز البريطانيون عن حماية هذا الخط الحيوي واعترفوا بهذا العجز عدة مرات ، وفي الوقت نفسه دخلت « الماسورة » كما كان يسميها الفلاحون العرب في صلب النولكلور الذي يمدد البطولات الشعبية . وعلى أي حال ، فقد توصل البريطانيون الى تأمين حد أدنى من الحماية للانابيب هذه عن طريقين : اعطوا لعصابات اليهود مهمة حمايتها في الداخل ، أما في الأراضي الاردنية فقد أوكلوا مهمة حراستها الى « الشيخ تركي بن زين ، رئيس فخذ الزين من عشيرة بني سخر ، وقد خولته الشركة حق التجوال في الصحراء بأية واسطة كانت » (١٠٩) .

أن هذا الامر مهم للغاية ، ذلك أن هذا الحادث بالذات عزز القناعات البريطانية بأن انشاء قوة

ضاربة يهودية يحل الكثير من الاشكالات بالنسبة لحماية المصالح الامبريالية عموما . أن بن غوريون يكاد يكشف هذه الحقيقة ببساطة لا حد لها حين يتحدث عن الجهد البريطاني في انشاء قوة يهودية مسلحة مهمتها حماية هذه المصالح . وفي هذا المجال لعب الضابط البريطاني شارلز اورد وينغيت دورا بارزا في ترجمة التحالف البريطاني - الصهيوني الى واقع عملي ، وبالرغم من أن المؤرخين الصهاينة يحاولون الايحاء وكأن جهد وينغيت كان نتيجة مزاج شخصي ولاء « مثالي » ، إلا أنه من الواضح أن ضابط الاستخبارات هذا ، الذي أرسله رؤساؤه الى حيفا في خريف ١٩٣٧ ، كان مكلفا بمهمة محددة وهي انشاء النواة الضاربة للقوة اليهودية المسلحة التي كانت موجودة قبل ذلك بستة شهور على الاقل ولكن التي كانت تحتاج الى بلورة واعداد . وقد جعل هذا الضابط البريطاني ، الذي يعتبره العسكريون الاسرائيليون المؤسس الفعلي للجيش الاسرائيلي ، مسألة حماية انبوب النفط همة الاساسي . إلا أن هذه المهمة كانت مدخلا لسلسلة عمليات ارهاب وقتل اخذ هذا الضابط على عاتقه مهمة تعليم تلامذته في عين دور - ومن بينهم دايان - اجادتها . ولا شك أن وينغيت كان يتسلح بالاضافة لكتائمه كضابط استعماري متمرس ، بكرهية عنصرية غير محدودة للعرب ، ويبدو من سيرة حياته كما أرخصا الذين عملوا معه أنه كان يجد متعة في قتل الفلاحين العرب او تعذيبهم او ممارسة اي شكل من اشكال الاحتقار لهم (١١٠) . وتؤكد دراسة لاميل توما عن كتاب ليجال آلون حول هذا الموضوع أن وينغيت وشراذمه كانوا يساعدون القوات البريطانية على ارهاب السكان العرب في الريف خلال ثورة ٣٦ - ١٩٣٩ . وبواسطة رجال مستعمرين من طراز وينغيت ، وقادة رجعيين من طراز الامير عبدالله وافراد طبقتة الحاكمة ، كان البريطانيون يهيئون للحركة الصهيونية فرصة أن تصبح عسكريا واقتصاديا المخفر الامامي الذي يحمي مصالحهم ، وكان ذلك كله يجري من خلال قناعة هؤلاء جميعا بأن قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية ليست في حالة من الثورية تؤهلها للوقوف في وجه هؤلاء الاعداء المتكافئين . لقد اهتدى البريطانيون في وقت مبكر الى الاستراتيجية التي اطلق عليها الاميركيون بعد ذلك بثلاثين سنة اسم « الفيتنة » . ووسط

ذلك كله وصلت الحركة الوطنية الفلسطينية ، التي شلتها ، بالاضافة للعوامل الذاتية التي ذكرناها ، الهجمات العنيفة التي شنّها البريطانيون من جهة والصهيونيون من جهة اخرى ، الى موقف حرج عشية الحرب الثانية . ان ادعاءات بعض المؤرخين بان العرب « أوقفوا » ثورتهم ليتيحوا لبريطانيا ، مرة اخرى ، فرصة خوض حربها العالمية ضد النازية هي ادعاءات ساذجة لا ينبغي واقع الحال فحسب ، ولكن ينبغي بشاكون الحاج امين الحسيني نفسه قد لجأ الى ألمانيا النازية طوال سني الحرب .

ان مجمل هذه الصورة هي التي توضح حقيقة الخارطة السياسية والاجتماعية التي هيمنت طوال الاعوام الممتدة بين ١٩٣٦ و ١٩٣٩ وذلك كله ، بعلاقتة الجدلية فيما بينه ، هو الذي يفسر ذلك الركود الذي خيم على الواقع الوطني الفلسطيني طوال سني الحرب ، وقد انتهت الحرب العالمية الثانية ليجد البريطانيون ان الحركة الوطنية الفلسطينية قد دجنت بصورة تكاد تكون نهائية : فقد كان رأسها محطما ومشتتا وكانت قاعدتها قد انهكت واهترأ نسجها الاجتماعي وتفقدت نتيجة للتحول العنيف الذي كان يجري في المجتمع ، ونتيجة اخفاق قياداتها واحزابها في تنظيمها وتعبئتها ، ونتيجة ، ايضا ، لضعف اليسار وحيوته وميوعة الحركة الوطنية في الاقطار العربية المجاورة . وهكذا دخلت الحركة الصهيونية الاربعينات لتجد الميدان أمامها فارغا تقريبا ، وليكون الجو العالمي ملائما للغاية في اعتقاد جو التعاطف النفسي والسياسي

الذي عمته المذابح الهتلرية ضد اليهود ، ولتجد في الانظمة العربية المحيطة انظمة بورجوازية واقحة في مأزق تاريخي ، ولا قوة حقيقية لها . ولم تكن توجد داخل المجتمع اليهودي في فلسطين ، آنذاك ، اية حركة يسارية لتضغط باتجاه معاكس ، فقد كان المجتمع هذا ، في مجمله تقريبا ، مجتمع غزرو اسكاني . اما اليسار الفلسطيني فقد بدأ ، منذ الحرب العالمية الثانية ، يفقد الجذوة التي كانت قد بدأت تسيره منذ أواسط الثلاثينات ، وكان هذا الفقدان نتيجة لتغير في استراتيجية الكومنترن رافقه فشل في تعريب الحزب ، يضاف الى ذلك ان هذا اليسار الشيوعي تعرض اكثر فأكثر الى قمع القيادة العربية المهزومة ( مثلا : قيام رجال المنفي باغتيال النقباني اليساري سامي طه في حيفا في ١٢ أيلول ١٩٤٧ — وقبل ذلك اغتيال النقباني ميشيل متري في يافا ، وهو الذي لعب دورا مهما في تعبئة العمال العرب قبل انفجار الاحداث في ١٩٣٦ ) . وهذا كله يسر للحركة الصهيونية في اواسط الاربعينات رفع درجة تناقضها الجزئي مع الاستعمار البريطاني في فلسطين بعد سنوات مديدة من التحالف . وهكذا ، وما ان جاء عام ١٩٤٧ حتى كانت الظروف ناضجة كليا لتطفل ثمار الهزيمة التي منيت بها ثورة ١٩٣٦ ، والتي أخرجت الحرب العالمية الثانية موعدا حصادها ، ولذلك فان الفترة التي استغرقتها الفصل الثاني في الهزيمة ( من أواخر ١٩٤٧ الى أواسط ١٩٤٨ ) كانت فترة مذهلة بقصرها ، وذلك انها كانت مجرد تنمة لفصل دموي طويل كان قد استمر من نيسان ١٩٣٦ الى أيلول ١٩٣٩ .

- ١ — مجموعة شهادات العرب في فلسطين أمام اللجنة الملكية البريطانية — مطبعة الاعتدال — دمشق — ١٩٣٨ — ص ٥٤ .
- ١٠ — المصدر ذاته ، ص ٥٥ .
- ١١ — حباه ، المصدر ذاته ، ص ١٥ ( وقد ارتفع عدد العاطلين عن العمل بعد ١٩٣٦ الى اربعة آلاف في يافا وحدها كما يقول المصدر رقم ٩ ص ٥٥ ) .
- ١٢ — مجموعة شهادات ، ص ٥٥ .
- ١٣ — المصدر ذاته ، ص ٥٥ .
- ١٤ — « دافار » العدد ٣٤٦٢ — ذكرها المصدر السابق — ص ٥٦ .

- ١ — النظام الاقتصادي في فلسطين — تحرير سعيد حباد ، نشر جامعة بيروت الاميركية — بيروت ١٩٣٩ ص ٣٢ .
- ٢ — Moshe Menuhin, *The Decadence of Judaism in our Time*, Institute of Palestine Studies, Beirut, 1969, p. 92.
- ٣ — Nathan Weinstock, *Le Sionisme Contre Israël*, Maspéro, Paris, 1968.
- ٤ — فاينشتوك ، المصدر ذاته .
- ٥ — حباه ، المصدر ذاته ، ص ٢٦ و ص ٢٧ .
- ٦ — فاينشتوك ، المصدر ذاته .
- ٧ — حباه ، المصدر ذاته ، ص ٣٧٢ .
- ٨ — حباه ، المصدر ذاته ، ص ٣٧٦ .

لعائلة سرسوق اللبنانية لقاء خدماتها - ( راجع  
سامي هداوي : فلسطين تحت الإنتداب ، ١٩٢٠ -  
١٩٤٨ ، دراسات فلسطينية ، جمعية  
الخريجين الكويتية . ص ٣٤ وص ٣٦ ) وكذلك  
كان الصهاينة في ١٩٣٤ قد كسبوا امتياز تجفيف  
حوض الحولة من عائلة سلام البيروتية ،  
بمساعدة الإنتداب .

٣٦ - مجموعة شهادات ، ص ٣٤ ( شهادة جمال  
الحسيني ) .

٣٧ - المصدر ذاته ، ص ٢٩ .

٣٨ - هداوي ، المصدر ذاته ، ص ٢٩ .

٣٩ - مجموعة شهادات ، ص ٢٥ ( شهادة عوني  
عبدالهادي ) .

٤٠ - مجموعة شهادات ، ص ٥٦ ( شهادة  
جورج منصور ) .

٤١ - مجموعة شهادات ، ص ٥٨ .

٤٢ - حباه ، المصدر ذاته ، ص ٣٧٦ .

٤٣ - مجموعة شهادات ، ص ٦٠ ( شهادة جورج  
منصور ) .

٤٤ - مجموعة شهادات ، ص ٦٢ - ٦٣ ( شهادة  
فؤاد سبا ) .

٤٥ - المصدر ذاته ، ص ٦٢ .

٤٦ - المصدر ذاته ، ص ٤٤ .

٤٧ - المصدر ذاته ، ص ٦٣ .

٤٨ - Rony E. Gabbay, *A Political Study of the Arab - Jewish Conflict*, Librairie de Droz, Genève, 1959, p. 29.

٤٩ - الاممية الشيوعية ، ص ١٤٣ - ١٤٤ .

٥٠ - مجموعة شهادات ، ص ٨٢ .

٥١ - حباه ، المصدر ذاته ، ص ٤٥ .

٥٢ - « المجتمع العربي » - الدكتور علي احمد  
عيسى ، ص ٩٩ ذكرت في كتاب يسرى عرنيطة،  
الفنون الشعبية في فلسطين ، بيروت ، مركز  
الابحاث ، م.ت.ف ، ص ١٨٧ .

٥٣ - حياة الادب الفلسطيني الحديث - الدكتور  
عبدالرحمن ياغي - المكتب التجاري بيروت - ص

٢٢٢ ( من : ديوان الفلسطينيين ، ص ١١٣ -  
١١٤ ) .

٥٤ - المصدر ذاته ، ص ٢٣٧ .

٥٥ - المصدر ذاته ، ص ٢٨٣ .

٥٦ - اغانينا الشعبية - نهر سرحان ، وزارة  
الثقافة والاعلام الاردنية ، ص ١٥٧ .

١٥ - شهادات ، ص ٥٦ .

١٦ - المصدر ذاته ، ص ٥٦ .

١٧ - المصدر ذاته ، ص ٥٩ .

١٨ - Yehuda Bauer, "The Arab Revolt of 1936", *New Outlook*, Vol. 9, No. 6 (81), Tel-Aviv, 1966, p. 50.

١٩ - المصدر ذاته ، ص ٥١ .

٢٠ - في ١٩٢٠ انخفض عدد عمال البناء العرب  
في القدس من ١٥٠٠ الى ٥٠٠ وارتفع عدد  
اليهود من ٥٥٠ الى ١٦٠٠ .

٢١ - حتى عام ١٩٣١ كان الصهاينة قد طردوا  
٢٠ الف فلاح عربي بعد ان استولوا بالشراء  
على املكهم او على الارض التي كانوا يعملون  
فيها .

٢٢ - Haim Hanegbi, Moshe Machover, Akliva Orr, "The Class Nature of Israel" *New Left Review* (65), Jan.-Feb. 1971, p. 6.

٢٣ - Theodor Herzl, *Selected Works*, Newman Ed., Vol. 7, Book 1, Tel Aviv, p. 86. ( ذكرها المصدر السابق )

٢٤ - Esco Foundation for Palestine Inc., *Palestine, A Study of Jewish, Arab and British Policies*, Vol. 1, Yale University Press, 1947, p. 561.

٢٥ - تاريخ فلسطين الحديث - الدكتور عبد  
الوهاب الكيالي - المؤسسة العربية للدراسات  
والنشر ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٧٤ .

٢٦ - وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ( ١٩١٨ -  
١٩٣٩ ) نشر مؤسسة الدراسات الفلسطينية ،  
بيروت ، ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ .

٢٧ - « العمل بين الفلاحين والنضال ضد  
الصهيونية » - موضوعات الحزب الشيوعي  
الفلسطيني لعام ١٩٣١ - وثيقة في كتاب  
« الاممية الشيوعية والثورة العربية » دار  
الحقيقة ، بيروت - ص ٥٤ .

٢٨ - المصدر ذاته ، ص ١٢٢ و ١٢١ .

٢٩ - المصدر ذاته ، ص ١٢٤ و ١٢٥ .

٣٠ - المصدر ذاته ، ص ١٦٢ .

٣١ - حباه ، المصدر ذاته ، ص ٣٩ .

٣٢ - الاممية الشيوعية ، ص ١٣٥ - ١٤٥ .

٣٣ - ناينشتوك ، المصدر ذاته .

٣٤ - مجموعة شهادات ، ص ٣٤ .

٣٥ - كان الباب العالي قد منح هذه الارض

- ٥٧ - المصدر ذاته ، من ٢٩٩ - ٣٠٠ .
- ٥٨ - المصدر ذاته ، من ٣٠١ .
- ٥٩ - يهودا بوير ، المصدر ذاته ، من ٤٩ .
- ٦٠ - فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية - عيسى السفري ، مكتبة فلسطين الجديدة ، يانا ١٩٣٧ - الكتاب ٢ من ١٠ .
- ٦١ - جهاد شمعب فلسطين خلال نصف قرن - صالح مسعود بو بصير - دار الفتح - بيروت - من ١٨٠ .
- ٦٢ - الثورة العربية الكبرى في فلسطين - دار الهنا - دمشق - صبحي ياسين ، من ٣٠ .
- ٦٣ - بو بصير ، المصدر ذاته ، من ١٨١ .
- ٦٤ - الكيالي ، المصدر ذاته ، من ٣٠٢ .
- ٦٥ - مجموعة شهادات ، من ٩٦ .
- ٦٦ - هداوي : المصدر ذاته ، من ٢٨ .
- ٦٧ - صبحي ياسين ، المصدر ذاته ، من ٢٢ و ٢٣ .
- ٦٨ - المصدر ذاته ، من ٢٢ .
- ٦٩ - الكيالي ، المصدر ذاته ، من ٢٩٦ .
- ٧٠ - راجع « فلسطين » - بيروت ( الهيئة العربية العليا ) - العدد ٩٤ ( ٦٩/١/١ ) والعدد ٩٥ ( ٦٩/٢/١ ) .
- ٧١ - المصدر ذاته ، العدد ٩٤ من ١٩ .
- ٧٢ - الكيالي ، المصدر ذاته ، من ٢٩٦ .
- ٧٣ - *Palestine's Economic Future*, Percy-Lund H., London, 1946, p. 61.
- ٧٤ - السفري ، المصدر ذاته ، من ٣٩ و ٤٠ .
- ٧٥ - الكيالي ، المصدر ذاته ، من ٣١١ .
- ٧٦ - السفري ، المصدر ذاته ، من ٦٠ .
- ٧٧ - المصدر ذاته ، من ٩٣ .
- ٧٨ - الكيالي ، المصدر ذاته ، من ٣١٩ .
- ٧٩ - الوثائق ، من ٥٤ .
- ٨٠ - المصدر ذاته ، من ٤٥٧ .
- ٨١ - المصدر ذاته ، من ٤٥٨ .
- ٨٢ - مجموعة شهادات ، من ٨ .
- ٨٣ - الكيالي ، المصدر ذاته ، من ٣٢٦ .
- ٨٤ - Neville Barbour, *Nisi Dominus*, London, pp. 183-193.
- ٨٥ - الكيالي ، المصدر ذاته ، من ٣٢٨ .
- ٨٦ - بن غوريون في *Jewish Observer*, London, 20 Sept. 1963, pp. 13-14.
- ٨٧ - عبدالقادر ياسين - الكاتب ، القاهرة ،
- نيسان ١٩٧١ ، العدد ١٢١ حول تاريخ الحزب الشيوعي الفلسطيني ، من ١١٤ .
- ٨٨ - الكيالي ، المصدر ذاته ، من ٢٤٦ من رسالة من مكبايكل .
- ٨٩ - المصدر ذاته ، من ٣٤٦ .
- ٩٠ - في ايار ١٩٢٨ احتل الثوار الخليل ، وقبلها احتلوا القدس القديمة ، وفي ٩ ايلول احتلوا بئر السبع واطلقوا سراح السجناء وفي ٥ تشرين الاول احتلوا طبريا ، وفي اوائل آب داهموا نابلس وسيطروا على بعض احيائها . الخ .
- ٩١ - بو بصير ، المصدر ذاته ، من ٢٤٧ .
- ٩٢ - المصدر ذاته ، من ٢٤٧ .
- ٩٣ - المصدر ذاته ، من ٢٥٨ .
- ٩٤ - الاهرام ، القاهرة - ١٩٣٩/٢/١ .
- ٩٥ - ياسين ، المصدر ذاته ، من ١١٥ .
- ٩٦ - المصدر ذاته ، من ١١٤ .
- ٩٧ - الكيالي ، المصدر ذاته ، من ٣٥٩ .
- ٩٨ - انيس صايخ ، الهاشميون وقضية فلسطين - نشر « الحرر » بالاشتراك مع المكتبة المصرية بيروت ١٩٦٦ - من ١٥٠ .
- ٩٩ - المصدر ذاته - وكذلك راجع : الباقوري - الطليعة المصرية العدد ٤/س ٧ نيسان ١٩٧١ من ٩٨ .
- ١٠٠ - الكيالي ، المصدر ذاته ، من ٣٤٨ .
- ١٠١ - من رسالة لوزارة الخارجية البريطانية من بغداد ( ١٠/٣١/١٩٣٨ ) ذكرها الكيالي ، المصدر ذاته ، من ٣٤٩ .
- ١٠٢ - Walid Khalidi, ed., *From Haven to Conquest*, I.P.S. Beirut, 1971, pp. 836-849.
- ١٠٣ - بويصير ، المصدر ذاته ، من ٢١ .
- ١٠٤ - باربور ، المصدر ذاته ، من ١٩٣ .
- ١٠٥ - حماده ، المصدر ذاته ، من ٢٢٣ .
- ١٠٦ - بويصير ، المصدر ذاته ، الصفحة ذاتها .
- ١٠٧ - بن غوريون ، المصدر ذاته ، من ٣٧٢ .
- ١٠٨ - المصدر ذاته ، من ٣٧٣ .
- ١٠٩ - السفري ، المصدر ذاته ، من ١٣١ - ١٣٢ .
- ١١٠ - الخالدي ، المصدر ذاته ، من ٣٧٥ - ٣٧٨ .

## المقاومة الفلسطينية في الصحف البريطانية والألمانية والأميركية ( ١٩٦٥ - ١٩٧١ )

### ف. المنصور

مخربون وارهابيون ، لا أكثر .  
في تاريخ ٢١/١٠/١٩٦٧ نشرت الصحيفة تقريرا  
لمراسلها في تل ابيب بعنوان « اعتقال اسرائيل  
لارهابيين » ، تضمن القول بأن الاردنيين قد أكدوا  
رسميا انهم يعارضون الارهاب ولا يساندون الا عدم  
الطاعة المدنية غير المسلحة في الاراضي التي  
احتلت بعد حرب حزيران . وفي هذا التقرير يظهر  
الضعف في معلومات المراسل ، فهو يذكر ان  
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هي منظمة  
تابعة لضباط بعثيين يساريين في الجيش السوري .  
وفي العدد الصادر بتاريخ ٦/٣/١٩٦٨ كتب مايك  
نيكولز تقريرا في ثلاثة اعمدة بعنوان « اسرائيل  
تنصر على المقاومين العرب » قال فيه : « لا  
يستطيع أحد ان يدعي ان قوات الاحتلال الاسرائيلية  
ستنال حب السكان المحليين الذين حرضوا على  
الكراهية مدة عقدين من الزمان . » اي أن المستر  
نيكولز لا يجد سببا لكراهية الفلسطينيين لاسرائيل  
غير التحريض . ثم يستمر الكاتب في عرض صورته  
للوضع في الارض المحتلة ، فيذكر ان ما ساعد  
الاسرائيليين في حملتهم على المقاومة في غزة هو  
نفس العنصر الذي يساعدهم في كل مكان آخر في  
الاراضي التي احتلوها : استعداد المعتقلين للبوخ  
بكل شيء حال وقوعهم بأيدي الاسرائيليين . وقد  
يتساءل القارئ هنا ، لماذا اذا كان الامر كما  
يقول المستر نيكولز ، لم يتمكن الصهاينة من القضاء  
قضاء قبرا على المقاومة في غزة ؟ اذا كان  
المعتقلون يفشون كل شيء ويشون بزملائهم ، فما  
الذي منع اسرائيل من اجتثاث المقاومة في غزة في  
خلال الاشهر القليلة بعد حرب حزيران ؟ والغريب

### المقاومة الفلسطينية في الصحف البريطانية

تايمز ( لندن ) : التايمز اللندنية هي اقدم صحيفة  
في العالم ، ومن أشهر المؤسسات في بريطانيا .  
فهذه الصحيفة المحافظة التي يضرب المثل برصانتها  
وقرارها لا تزال تعتبر أهم صحيفة في البلاد بالرغم  
من توزيعها المحدود . بعد أن اشتراها اللورد  
تومبسن قبل سنوات و اضافها إلى امبراطوريته  
الصحافية الواسعة ، جرى تبديل جذري في  
تبويبها ، وبعد أن كانت الصفحة الاولى التي تطالع  
القارئ فيها هي صفحة الوفيات ، فان عملية  
التحديث التي مرت بها الجريدة جعلتها ذات اطار  
عصري وتبويب لا يختلف كثيرا عن تبويب الصحف  
الجديدة الاخرى في لندن ، اي أن الادارة الجديدة  
للتايمز خرقت تقاليد الصحيفة العتيقة لتصنع منها  
واسطة اعلامية عصرية يمكن ان يقبل على قراءتها  
شباب اليوم ايضا ، وليس فقط الكهول وانفراد  
المؤسسات البريطانية العتيقة . ان تقارير مراسلي  
التايمز من البلاد العربية هي في كثير من الاحيان  
موضوعية ودقيقة ، ولكن الامر ليس كذلك بالنسبة  
لمراسلها في اسرائيل لانه عموما اسرائيلي كأكثر  
مراسلي الصحف الاوروبية والامريكية في الدولة  
الصهيونية . ولما كانت الاخبار المتعلقة بعمليات  
فتح داخل الاراضي المحتلة قبل حرب حزيران  
مصدرها دائما من تل ابيب ، فان معلومات مراسل  
التايمز مستقاة من الناطق العسكري الاسرائيلي .  
ولما لم تكن التايمز تنشر بلاغات فتح ، فتقارير  
مراسلها الاسرائيلي لا تختلف في اللهجة عن  
بلاغات تل ابيب الرسمية . ولهذا فالفدائيون هم

لوكالة الانباء العربية ) مقالا طويلا حلل فيه بعمق العوامل التي جعلت العرب يرحبون بظهور المقاومة الفلسطينية بعد ان كانت الحكومات العربية تنظر اليها بشك . كما نشرت الصحيفة حديثا اجراه دانا ادمز شميت ( سابقا مراسل النيويورك تايمز ) مع ياسر عرفات في ٤/١٢/١٩٦٨ ، ثم نشرت مقابلة اخرى مع الزعيم الفدائي اجراها معه دينيس ولترز وايان غيلمور بتاريخ ٢/١/١٩٦٩ . وايان غيلمور هو نائب محافظ يتعاطف مع العرب . ومع ذلك كله فقد ظل التوازن يميل الى الكفة الاسرائيلية فكل خبر مصدره احدى العواصم العربية ، تنشره الصحيفة بعد ان تستهله بالكتابة : ادعى . اما النبا الذي يأتيها من اسرائيل ، فنكتبه بالصيغة المباشرة وكان الشك لا يمكن ان يرقى اليه . وقد حاول المحرر هوجكين ان يصحح التوازن بعض الشيء ، فكتب مقالا رئيسيا عن سوء الحالة في الارض المحتلة ، وسياسة القمع الشديد التي تسير عليها سلطات الاحتلال ( ٢٨ /١٠/٦٩ ) الا ان هذا المقال اثار عاصفة مخيفة من الهيجان في الاوساط الصديقة لاسرائيل ، وانهالت الرسائل الثائبية الشديدة اللهجة على رئيس التحرير . كما شنت حملة منظمة على المحرر هوجكين ، فتراجعت الصحيفة باضطراب ، وبدأت منذ ذلك الحين تحاول استرضاء الصهانية بأي ثمن . مثلا : وافقت في احدى المناسبات على نشر ملحق اعلاني للجامعة العربية عندما احتج مكتب هذه المؤسسة في لندن على اغفال الصحف البريطانية لوجهة النظر العربية . وفعلنا نشرت الصحيفة هذا الملحق بعد ان تقاضت ثمنه ، ثم هاجمته في افتتاحيتها . وفي ٧/٦/١٩٦٩ اعتذرت رئاسة تحرير التايمز للصهانية كتابيا بعد ان نشرت الصحيفة اعلانا قدمته لجنة من النواب البريطانيين المتفهمين للموقف العربي ، وذلك لانه تضمن ابيانا للشاعر شيلبي فسرت بأنها مهينة للدين اليهودي . وفي ربيع ١٩٧١ نشرت التايمز مقالا بقلم ديفيد نيز ، السفير الامريكي الاسبق في القاهرة ، الا انها سارعت الى سحبه من الطبعات الاخرى لذلك اليوم تحت الضغط الصهيوني المباشر . ولكن بالرغم من تحيز الصحيفة للسافر ضد العرب ، الا انها لا تزال منجما للمعلومات . ففي ٢٩/٥/١٩٦٩ كشفت ملحقها العسكري شارلس دوفلاس هيوم الثقاب عن استيلاء سلطات الاحتلال

ايضا ان المستر نيكولز يذكر في تقريره ان اساليب الاسرائيليين في معاملة الفدائيين قد اصبحت اقل مفاا ولكن الاكثر غرابة من ذلك قوله ان القضاء على قواعد المتسللين في سيناء كان احد اهداف الهجوم الاسرائيلي في حزيران ١٩٦٧ ، متناسيا بذلك وجود قوات الامم المتحدة على الحدود منذ عام ١٩٥٦ ، علما بأنه حتى اسرائيل نفسها لم تزعم يوما ان « مخربي فتح » تسللوا الى اسرائيل في الفترة الواقعة بين حرب السويس وحرب حزيران .

ويواصل الكاتب حشده لجميع الاكاذيب التي نضحتها الوثائق التاريخية الثابتة ، فيقول مثلا : « ان احد العناصر في حرب حزيران كان الاتهام السوري ، الذي انكرته اسرائيل ، بأن القوات الاسرائيلية تتاهب لهاجمة قواعد المتسللين في سوريا . » معنى ذلك ان المستر نيكولز لم يسع بنهديات ايشكول ورايين العلنية لسوريا بمزم اسرائيل على تأديبها . ثم يستطرد مراسل التايمز ليقول : « ان سوريا كانت تقنع الطلاب العرب في الجامعات الاوروبية بالالتحاق بمعسكرات التدريب في الجزائر ، وكان الطلاب يفعلون ذلك كمورد رزق لهم ، الا ان نجاح اسرائيل في اعتقال المتسللين منهم بسرعة اثبط عزم البقية ، ولهذا اخذت سوريا تبعث بسجنائها للتسلل ، الا ان الهبوط في المستوى الثقافي للمتسللين لم يحسن من فعالية المشرفين على الحركة » .

ويتساءل القارئ هنا : اذا كانت اسرائيل قد اعتقلت عناصر ذات سجل اجرامي ، فلماذا لم تدع ذلك على العالم ؟ ولكن الواقع ان مقال المستر نيكولز كله يبدو وكأن الناطق العسكري الاسرائيلي ( الخبير طبعا بالعلاقات العامة ) قد املاه عليه وليس المستر نيكولز هو اول مراسل غربي وضع توقيعه تحت بيان دعائي اسرائيلي .

اذا استثنينا هذا المقال ، فان تقارير مراسلي التايمز ( اذا كانوا في الاقطار العربية ) هسي عموما موضوعية ، اذ طالما اثار مراسلوها في بيروت وعمان الى نمو المقاومة واكتسابها احترام الزعماء العرب ابتداء من عبد الناصر الى قيادة سوريا والعراق . كما تستضيف التايمز احيانا بعض الكتاب الذين عرفوا بتفهمهم المنصف للقضايا العربية ، ففي ١٠/١/١٩٦٨ مثلا كتب توم ليتل ( وهو خبير قديم بالشؤون العربية ومدير سابق

الاسرائيلية علن ارسيفات الحكومة الاردنية نسي الضفة الغربية اثر حرب حزيران ، فقال ان ما ساعد سلطات الاحتلال على اخماد اية انتفاضة في الضفة الغربية هو حصولها على هذه الارشيفات التي تتضمن معلومات وافية جدا عن أكبر عدد من الناس في المنطقة .

غارديان ( لندن ) : يعتبر الكثيرون هذه الصحيفة الليبرالية التي كانت سابقا تصدر في مانشستر بأنها افضل صحيفة يومية في البلاد . أما بقدر ما يتعلق الامر بالعرب ، فالغارديان هي اول صحيفة بريطانية ابدت الصهيونية ، اذ يرجع تاريخ مساندتها لهذه الحركة الى العشرينات . وفي حديث عن هذه الصحيفة في البي بي سي ، اذيع في صيف ١٩٧١ بمناسبة ذكرى تأسيسها ، كال المتحدث الثناء لها باعتبار انها احدى مفاخر الصحافة البريطانية . وفي مجال تعداد افضالها ، ذكر انها كانت من اول المؤيدين للحركة الصهيونية في وقت كانت فيه هذه الحركة مجهولة ، وتقابل باللامبالاة من اكرية الناس . وكان بإمكان المتحدث ايضا ان يضيف الى ذلك فيقول انها اثناء حرب ١٩٤٨ كانت احدى الصحف البريطانية القليلة التي تبنت وجهة النظر الصهيونية ، في حين ان اغلبية الصحف انذاك لم تكن قد ادلت بدلوها نسي الجانب الاسرائيلي بعد .

وقد اثار مقالات مراسلها في الشرق الاوسط ، مايكل ادامز ، ضجة كبيرة في الاوساط المعادية للعرب ، عندما فضح اضطهاد الاسرائيليين للعرب بعد حرب حزيران ، فاستفنت الغارديان عن خدماته . ولكن كمحاولة لمحو رد الفعل السيء لهذا الاجراء الثامن ، فقد نشرت الصحيفة تعليقا بتاريخ ١٢/٣/١٩٦٨ تطرقت فيه الى سياسة الاسرائيليين في هدم البيوت والقيام بهجمات انتقامية عبر نهر الاردن ، وعتبت على تل ابيب لانها لا تشجع المعتدلين في القاهرة والقدس القديمة . هذا التعليق اعتبرته رئاسة تحرير الغارديان بمثابة دليل على حياد الصحيفة لانه تضمن نقدا لاسرائيل بسبب تعنتها . الا ان هذا النقد المعسول اللهجة لا يمكن ان يضر بسمة اسرائيل في المحافل الدولية ، فاسرائيل لا يهمها ان تصبح موضع الانتقاد الخفيف بسبب تعنتها الذي تفخر به ، بقدر ما هي تخشى التحليل العميق لسياستها وخطوطها ودوامها الحقيقية ، وهو التحليل الذي المقدم مايكل

ادمز منصبه وجمله يظل عاطلا عن العمل الى ان تسلم منصب رئاسة مجلس التفاهم العربي البريطاني . ويمكن القول انه منذ حادثة ادمز الشهيرة ، والمراسلون البريطانيون حريصون على عدم المساس « بكعب اخيل » في الدولة الصهيونية ذات النفوذ الدولي الكبير .

ان خط الغارديان الرسمي تجاه المقاومة الفلسطينية هو معاد بثبات ، الا ان مراسلها في البلاد العربية ، ديفيد هيرست ، هو من خيرة المراسلين البريطانيين في المنطقة ، فمقالاته عميقة وموضوعية بقدر ما هي بعيدة عن مجاملة العرب . ففي تقرير له نشر في ١٩٦٨/٥/٣ اصاب هيرست بيت الداء في المثقنين العرب عندما قال انهم اقل من غيرهم استعدادا لتلويث ايديهم ، وقد ذكر ذلك في معرض حديثه عن رغبة فتح في ضم افضل العناصر من بين الشباب المثقف اليها . ولا شك ان مقال هيرست هذا كان من اذكى المقالات التي ظهرت في الصحف البريطانية عن حركة المقاومة حتى ذلك الحين .

وكان رئاسة التحرير ارادت ان تبين اتصالها من استنتاجات مراسلها ، فظهر تعليق في عدد ٦/٨/٦٨ دار حول « مأساة اللاجئين الذين لولا العقبات التي وضعتها السياسة العربية في طريقهم لكان بالامكان اعادة توطينهم خارج اسرائيل » . وينتهي التعليق الى اللنفة الغربية الشهيرة التي فحواها ان اجراء الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية داخل البلاد العربية هو خير من تبذير الموارد على حملات الجهاد .

وفي العدد ١٩٦٨/٩/٣ نشر هيرست تحليلا اخر لحركة المقاومة تحدث فيه عن « بعض افضل الضباط الاردنيين الذين كانوا في السابق عرضة لحملات تطهير لا تحصى ، بدأوا الان يلعبون ادوارا متزايدة الاهمية في حركة المقاومة الفلسطينية » . ويتحدث الكاتب عن صرف الملك حسين لحوالي ٧٥٠ ضابطا في اواخر الخمسينات من أجل الاحتفاظ بعرشه . ثم يعتقد مقارنة بين فتح والجهبة الشعبية ، فيقول ان الجبهة هي ذات تفكير واقعي ملتصق بالارض ومتمحور من الاوهام ، بينما فتسح تميل الى الرومانتيكية وفيها عرق سذاجة . الجبهة تركز على الاستراتيجية بينما فتح تضع اهتماما كبيرا على الشجاعة . وقد بدا هذا التباين بوضوح في الهجوم الاسرائيلي على الكرامة ، فقد خرقت



رجال فتح قواعد حرب المصائب في تلك المعركة ليجابهوا القوة الاسرائيلية الضخمة وجها لوجه . اما رجال الجبهة فقد انسحبوا الى التلال المحيطة ليطروا الاسرائيليين الزاحين بالرصاص والقذائف الخفيفة من مواقع اختبائهم . ولكن ( يقول هيرست ) في هذه المعركة انتصرت الرومانتيكية على وجهة النظر التقليدية في حرب المصائب . ومع ذلك ، فعلى المدى البعيد وعبر المناوشات والاشتباكات الصغيرة التي تقع كل يوم بين الفدائيين والاسرائيليين ، من المتوقع ان تكون لواقعية الجبهة الاثر الاكثر فعالية . فالجبهة اكثر احتراما وتنظيما من فتح .

ويتحدث هيرست بعد ذلك عن الاصابات التي وقعت بمسكرات فتح من جراء الغارات الجوية الاسرائيلية، فيقول ان قادة فتح يفكرون في الحصول على مدافع مضادة للطائرات ، بينما تمارض الجبهة هذا الاتجاه ، لان هذا التغيير في اسلحة رجال المقاومة معناه تحويلهم في النهاية الى جيش تقليدي وجرهم الى اصطدام حاسم مع الاردن . ويقول هيرست ايضا ان ضباط الجبهة الذين كانوا سابقا منابا في الجيش الاردني يحتقرون هؤلاء الساسة الذين يحاولون بناء صيغتهم السياسي على حساب المقاومة عن طريق حقنها بنظريات سوسولوجية واقتصادية بينما هي في الاساس نضال شعبي لا مواربة فيه .

ثم يذكر هيرست ان الجناح السياسي في كل منظمة هو الجناح الذي يضم اقل الاشخاص شعبية في اوساط المقاومين ، فان مواقف هؤلاء الرجال المتبزة باليسار المتطرف تخلق تفرقة مصطنعة بين الفلسطينيين انفسهم ، وعلى الأرجح فانهم سيتخلون عن هذا التطرف في المستقبل غير البعيد . وينتظر هيرست بعد ذلك الى المبالغات في البلاغات العسكرية للفدائيين ، فيتحدث عن صحيفة بيروتية تحافظ على توزيعها الضخم بواسطة التشبه بروح ونص بيانات اذاعة صوت العرب فيما قبل حرب حزيران . ثم يقول هيرست ان الجبهة تبالغ ايضا، ولكن على الأرجح اقل من فتح ، ثم يتساءل : هل بذلك افراد المقاومة التصميم والوارد النفسية اللازمة للتصبر من التغلب ليس فقط على عدو عظيم الكفاءة وعلى ارض صعبة جدا ، وانما على اخطائهم ايضا ؟ ان صحفية لبنانية كانت تنشد فضائل الفدائيين بالاسلوب العربي المعروف ،

شبهتهم بالرهبان المسلحين ، لانها رأت انهم قد كرسوا حياتهم لهدف التحرير . فقد وجدتهم في كهف بوادي الاردن ، ولاول مرة في حياتها وجدت ان اللغة اليومية لا تفي بالغرض ، فانزلت الى العربية الكلاسيكية ، لغة القرآن .

اما عن تجربتي انا ( يقول هيرست ) فكانت مختلفة جدا . ففي القاعدة التي زرتها بدا لي الفدائيون وكأنهم اناس عاديون جدا ، وكانت هذه «العادية» هي اهم شيء عنهم ، اذ لم يبد عليهم ما يشير الى انهم اناس يتودهم التعمص الاعى ، او انهم مجرمون او قتلة ماجورون . فقد ظهر انهم طبيون وذوو مزاج سهل . وقد تخلى عدد منهم عن وظائف في اقطار عربية مختلفة كانت بالنسبة اليهم مريحة . وكرجال مقاتلين كانت نقطة الضعف فيهم هي حماسهم . احدهم كان في السادسة عشرة فقط . اما ابو عمار ، رجل فتح ، فهو الزعيم الفدائي الوحيد الذي أصبح شخصية عامة . انه رجل يجد المرء انه يحبه بالفطرة ، وكل من يقابله يميل اليه . ان له وجودا يترك انطبعا قويا ويشير الى شخصية قوية عميقة تتصف بالتواضع المخلص . انه دائما يخبر الصحفيين انه يعتبر نفسه الاخر بين رجاله واقلهم اهمية ، وانطباعي انه حقا يعني ذلك . هذا التحليل تبعه تعليق لرئاسة التحرير ظهر في ١٩٦٨/١٢/٤ وتضمن تبريرا لاحتلال اسرائيل للاراضي العربية ولتصلبها . ومرة اخرى برزت النعمة العتيقة ، عندما تساءلت الصحفية : هل الاصلاح للدول العربية هو المزيد من المدافع ام الزيدة ؟ جواب الصحفية : الزيدة طبعاً .

وفي اليوم الذي ظهر فيه هذا التعليق، ظهر تقرير ارسله هيرست من بيروت وقال فيه ان الزمرة المقربة من الملك تضغط عليه ليتخذ موقفا حاسما ضد الفدائيين ، ولكن الامر الاكثر احتمالا هو ان ينصت الملك الى الجهات المضادة لهذا الرأي ، والا فالنتيجة ستكون انتحارية .

وللصحيفة مراسل آخر هو والتر شفارتز الذي زار قواعد فتح ، ونشر تحقيقه في ١٩٦٨/١٢/١٢ ، فامتدح العلاقات العامة في فتح وقال ان المقاومة تركت لديه انطباعا قويا . وبالرغم من أن شفارتز يهودي، وهو يذكر الفدائيين دائما بذلك عندما يزور قواعدهم ، فمناقريه اكثر موضوعية من بعض المراسلين غير اليهود . كما انها اكثر موضوعية من مراسل الصحفية في تل ابيب : والتر غروس

يهودي آخر) . ففي ١٩٦٩/١/٦ كتب لهرمس يحذر لبنان تحذيرا مباشرا من مقبة الاستمرار بالسماح للمقاومة بمهاجمة اسرائيل من اراضيها . . « والا فان اسرائيل ستجد الوسائل لتجعل ثمن معاونة الارهابيين كثير الكلفة للبنان » .

وفي ١٩٦٩/٢/٦ بدأ تعليق الغارديان بالعبارة : « فتح وهي أكبر مجموعة فدائية ، برزت كزعيمية وناطقة باسم العرب والفلسطينيين ، وقد حدث ذلك بمباركة الرئيس ناصر » . ومن هذه النقطة تندرج الصحيفة في تحليلها لموقف الاسرائيليين ، فتختتم بهذه العبارة : « الاسرائيليون بحاجة الى اقتناع المعتدلين بين العرب بان الامن وليس التوسع هو هدفهم » . وفي ١٩٦٩/٢/١٣ نشر والتر شفايرتز تقريرا عن زيارة اخرى له لقواعد فتح ، فذكر ان منظمات المقاومة تعلمت الكثير من العصابات الصهيونية التي حاربت العرب والانكليز قبيل قيام اسرائيل .

وفي ١٩٦٩/٣/٢٠ وضع هيرست اصبعه على بعض السلبات التي تضايق العرب حول المقاومة ، فقال انها التأكيد على الحجم بدلا عن الكفاءة ، والاعتماد على العلاقات العامة بدلا عن العمل الفدائي ، والقيام بالعمليات السهلة كالتصفيح عبر نهر الاردن بدلا من التغلغل في أرض العدو ، والمبالغات في البلاغات العسكرية بدلا عن الصدق والدقة . وفي ١٩٦٩/٨/٢٩ كتب هيرست مقالا عنوانه : بين الفدائيين الممليين ، ومرة اخرى كان تحليله للمقاومة ايجابيا ، وقد تضمن حديثا مع ابو نضال ، احد قادة فتح . وقال هيرست في خاتمة مقاله : ان المقاومة نمت الى درجة اصبحت معها الحكومة الاردنية غير قادرة — بلا مساعدة عسكرية مباشرة من الغرب — على سحقها .

وقد عادت الغارديان فنشرت مقالا لمراسلها السابق مايكل ادمز في نيسان ١٩٧٠ ، الا انها اغفلت نشر فقرتين هامتين منه دون الاستئذان من الكاتب ، واضطر ادمز الى ان يكتب رسالة ( نشرت في ٧ نيسان ١٩٧٠ ) يوضح فيها ما اغفلت الصحيفة نشره .

في ١٨ ايلول ١٩٧٠ نشرت الغارديان كاريكاتورا يظهر فيه طفل لاجيء يجلس مع امه داخل المخيم الذي تحيط به الاسلاك الشائكة . ويقول الطفل لأمه : عندما اكون ساصبح خاطف طائرات ، اذ هل توجد امامي فرصة غير هذه ؟

كما نشرت الغارديان رسالة من الشاعر الالماني اليهودي اريخ فريد يدافع فيها عن الفلسطينيين وعرض خطتهم للطائرات ، ويهاجم اسرائيل بعنف ، ويذكر فريد انه كان في معسكرات الاعتقال النازية حيث فقد عددا كبيرا من اهله ، كما له اقارب في اسرائيل ، ومع ذلك فهو يتماطف مع الفلسطينيين .

ونشرت الصحيفة رسالة من ا. ر. ميور دافع فيها بقوة عن الفلسطينيين . الا ان تعليقات الصحيفة ظلت معادية للمقاومة ، ومنها التعليق المنشور في ٣ ايلول ١٩٧٠ حيث قبلت الغارديان اتهام الملك حسين للمقاومة بمحاولة اغتياله للمرة الثانية خلال ثلاثة اشهر ، على علته .

وفي ١٩٧١/٨/٢ كتب هيرست عن وقفة المقاومة الاخيرة في مدينة درعا . فقال ان قائد فتح ، في هذه المنطقة ، هو شاعر اسمه ابو هشام ، يجيب على أسئلة هيرست الصحفية بانشاده بعض اشعاره . ويعلق المراسل البريطاني على ذلك بقوله انها طريقة ادبية لطيفة لتفادي الاشياء غير المستحبة . ومن هذه الاشياء غير المستحبة وجود المقاومة في طريق مسدود شديد الخطر . ثم ينهي هيرست تقريره بالقول انه في حالة فشل الحصار الاقتصادي الذي ضربته الدول العربية حول الاردن ، فسيتربط على الفدائيين انفسهم ان يفعلوا شيئا ما حتى لا ينقضوا . انهم جميعا متفتقون على وجوب عمل شيء ما ، الا انهم لم يتفقوا بعد على ماهية هذا الشيء .

ديلي تيليفراف ( لندن ) : هذه هي بين الصحف الجدية البريطانية ، الصحيفة الأكثر عداء للعرب . الا انها في حجم التغطية الصحفية تأتي في المرتبة الثانية بعد التايمز وتسبق الغارديان ، ولا سيما انها تحتفظ بعدد أكبر من المراسلين الخارجيين . ان الديلي تيليفراف تجاهر بتأييدها لاسرائيل ، وهو أمر غريب اذا علمنا انها صحيفة المحافظين الذين يؤمنون في قرارة نفوسهم بتفوق العرق البريطاني ، علما بان عضو المؤسسة البريطانية المحافظة هو عموما معاد للسامية . الا ان عداء العرب للامبريالية البريطانية ، والسويس وعبد الناصر وحلف بغداد وعدن الخ . . جعلت الديلي تيليفراف تنضم الى معسكر اعداء العرب بحكم الضرورة . انها ذات لهجة جارحة جدا ولا تخفي حقدتها على العرب ، وعزاء العرب يجب ان يكون انهم

وفي عدد ١٩٦٨/٦/٧ نشرت مجلة الصنداي تيليفراف ( الشقيقة الاسبوعية للجريدة ) عددا خاصا عن الصراع العربي الاسرائيلي تضمن مقالات بقلم يائيل ديان وشمعون ترابار . والاخر هو اسرائيلي يعارض الصهيونية المتطرفة ، وقد كتب في مقاله يقول ان السؤال هو ليس هل لاسرائيل الحق في البقاء ، وانما اي نوع من اسرائيل له الحق في البقاء ؟ وفي ١٩٦٨/٧/٢٩ نشرت الصحيفة مقالا طويلا للبروفيسور غودهارت ، وهو استاذ سابق للقانون في اوكسفورد ، وفيه حلل البروفيسور الموقف في الشرق الاوسط من الناحية القانونية ، نجاء تحليله صهيونيا بحثا .

وفي ١٩٦٨/٨/٢٠ كتب مراسل الصحيفة في بيروت ، 'ريك داونتون ، وهو الاخر احد المراسلين المخضرمين في المنطقة، مقالا طويلا قال في نهايته «ان البدو الموالين للعرش في الاردن يجري تسليمهم دون شحجة ، وان خال الملك ، الشريف ناصر بن جليل ، هو المسؤول عن هذا الاجراء الاحتياطي » . اما فيما يتعلق الامر بالامر الذي تحدثه المقاومة في الارض المحتلة ، فقد كتب مراسل الصحيفة في اسرائيل ، ديفيد لوشاك ، تقريرا من مستعمرة كنفار روبيين المتاخمة لنهر الاردن ، والتي كانت آنذاك تتعرض لقصف شديد بالهاون وصواريخ الكاتيوشا يوميا تقريبا ، فنقل نص حديث دار بينه وبين احد سكان المستعمرة الذي قال له : كم اتنسى ان تبادل اطفالنا بلضمة سنين مع اطفال سويسريين ، فهناك يتمتعون بسلام حقيقي ، ولا ينامون في الملاجئ كل ليلة . ان السويسريين ليس لديهم اطفال بلغوا الرابعة من العمر دون ان يتعلموا الكلام وذلك بسبب اصابتهم بالصدمة من جراء القصف . اتنا لن نتنقل من هنا ، ولكننا ايضا لا نتظاهر بان العيش هنا جنة !

ولا يبدأ اعتراف الصحيفة بفعالية المقاومة الا في وقت متأخر جدا ، عندما كتب ريشارد بيستن من عمان (في ١٩٦٨/١٠/٨) قائلا : «ان الكوماندو هم رجال اقوياء لباس ، كرسوا حياتهم لاستعادة اراضيهم المفقودة . وهم خارج سيطرة اية دولة لان توتهم ونفوذهم نابعان عن شمبيتهم مع الجماهير العربية . كما ان سياستهم هي المجابهة المسلحة المستمرة مع اسرائيل ، لمدة اجيال ان تطلب الامر ذلك ، وسيفعلون كل ما بوسعهم لمنع الحكومات العربية من الارتخاء في هذا الصراع . ان الكوماندو

بالنسبة لهذه الصحيفة يجلسون في نفس القارب مع الشعوب الملونة والاشتراكيين ، فهذه الصحيفة تعطف على جنوب افريقيا والاثلية البيضاء فسي روديسيا والبرتغال والجيش الفرنسي المري ( في زمانه ) وموزي شومبيه عندما كان لا زال يحكم كاتانغا الخ . . احد مراسلي هذه الصحيفة : المستر رشارد بيستن ، هو الذي اخترع قصة تصف المبرين للملكيين في اليمن بتقابل الغازات السامة ، وهو زعم لم تثبت صحته حتى الفحوص التي اجراها خبراء وزارة الدفاع البريطانية على شظايا هذه القنابل . وبيستن هو من اقدم المراسلين البريطانيين في المنطقة ، فقد قضى فيها اكثر من خمسة عشر عاما . الا ان الذي يقرأ تقاريره لا يمكن ان يصدق ذلك . فتحليلاته ضحلة واستنتاجاته غبية . مثلا : في ١٩٦٨/٤/٤ كتب عن « الدولة داخل الدولة في الاردن » ، وتحدث عن الفدائيين الذين « يتجولون في المدن والمعاصبة ويتجاهلون قوى الامن وبيبتزون الاموال من التجار » . وقد كتب مراسلون آخرون عن ابتزاز الاموال هذا ، الا ان هؤلاء ادركوا في وقت مبكر ، وكتبوا ، ان « الفدائيين » الذين يتصرفون بهذا الاسلوب هم من الذين جندتهم الحكومة الاردنية خصيصا كي يسيئوا الى سمعة المقاومة . طبعاً خبرة المستر بيستن بالشرق الاوسط التي تمتد خمسة عشر عاما لم تكن كافية لان يتبين ذلك .

ولكن مقال المستر بيستن كان النزاهة يعينها اذا ناراناه بتقرير ظهر في ١٩٦٨/٤/٣٠ بدون توقيع ، وفيه كتب المراسل المجهول ( ولعله بيستن نفسه ) يقول ان الاحتلال الاسرائيلي هو الاكثر انسانية وكرما في التاريخ الحديث ، بل وحتى افضل من الاحتلال الامريكي لليابان بعد الحرب العالمية الثانية . ثم يتحدث الكاتب المجهول عن المقاومة باحتقار ، ومرة اخرى يخبرنا بحكاية ابتزاز الاموال في اسواق عمان .

وفي العدد الصادر في ١٩٦٨/٥/٧ كتسب فيليب كلانيمان متحدثا عن نقض الجيش الاردني لاتفاقية سرية بين الملك حسين واسرائيل ، وهي اتفاقية كانت تنص على عدم تدخل الجيش الاردني في حالة هجوم الاسرائيليين على قاعدة المقاومة في الكرامة ، وكيف ان الاسرائيليين يشعرون بأن حسين يجب ان يعترف بجيملهم لانهم يقومون بتنظيف مملكته من المشاغبيين الذين يعملون لاسقاطه .

ال فلسطيني المسلح برشيش الكلاشنكوف والمقتنع  
 بكونيته اصبح الان البطل الجديد للعالم العربي» .  
 وفي أوج الحديث عن تصاعد الازمة بين المقاومة  
 والملك حسين ، نشرت الصحيفة في عدد ١٣/١٠/  
 ١٩٦٨ رسالة من ملك الاردن بين فيها «عدم وجود  
 النية لديه على تحويل الاردن الى دولة  
 «غيريلا» ، ولا حتى الى دولة شمباتزي» ، بل ليست  
 له رغبة في السماح لاعمال اي قروء اخرى في بلاده  
 ( حسب تعبيره ) . ويجب ان نذكر هنا انه بالرغم  
 من معاداة التليفيراف لكل ما هو عربي ، فانها  
 تؤيد النظام الاردني لصادقته التقليدية مع بريطانيا ،  
 ولان زوجة الملك هي انكليزية ، ولذلك تتخذ الديلي  
 تليفيراف موقفا ابويا من الملك حسين ، وقد انبته  
 قبل سنوات في مقال كتب بلهجة حازمة لانه لا يسمح  
 لزوجته السابقة دينا بمقابلة ابنتها منه . وغملا  
 سمح الملك لمطلقته ان ترى ابنتها ، اثر ذلك المقال .  
 وبالرغم من سجل بيستن الطيني كمثل سيء النية  
 للموقف العربي ، فانه احيانا يصيب في آرائه .  
 ففي ١٥/١/١٩٦٩ كتب يقول : « ان الخلق العربي  
 المكرس للانقسام يحتوي على ميل قوي ولكن ليس  
 غير مستحب ، للفوضى . وهذا ما يجعل العالم  
 العربي منقسما على نفسه . ولكن بإمكان العرب  
 ايضا ان يكونوا عنيدين وعنيدين الى اقصى حد .  
 وهذه خصلة فيهم اكتشفها الصليبيون ، وقد بدأت  
 اسرائيل تدرجها ايضا . ان لاسرائيل ارقى شبكة  
 استخبارات في الشرق الاوسط ، ولكن مع انها تكاد  
 تعرف كل شيء عن العرب ، الا انها لا تتعلم  
 شيئا ( . . ) ومن الواضح الان ان العقل العسكري  
 هو الذي يسيطر على تفكير اسرائيل السياسي  
 اليوم » .

وفي ٢٨/٢/١٩٦٩ نشرت المجلة — المحق ريبورتاجا  
 مصورا مستفيضا ( خمس صفحات ) عن المقاومة  
 بقلم المراسلين باتريك مارنهام وجون بيركنز ، وقد  
 اثار هذا الريبورتاج استغراب قراء التليفيراف لانه  
 كان لا يخلو من التعاطف مع وجهة النظر الفلسطينية .  
 ولكن في ٧/٥/١٩٧٠ كتب ايريك داونتاون من بيروت  
 يهاجم العنف في السياسة العربية ويعقد المقارنة  
 الحتمية بين الحشاشين في القرن الثاني عشر  
 والغدائين اليوم . وقد تضمن هذا التقرير الكليسيه  
 المعتيقة التي مؤداها ان الشيء الوحيد الذي يجمع  
 بين الاقطار العربية هو كراهيتها لاسرائيل .  
 وفي اثناء الحرب الاهلية الاردنية في ايلول ١٩٧٠

وازنت الصحيفة بين تغليبها للقتال وبين زيارات  
 مراسليها لعائلة الملك حسين في لندن ، مع تقديم  
 برهونات للملك . فكتب رونالد بين في ١٣ ايلول  
 ١٩٧٠ يتحدث عن شجاعة الملك ونبله وبطولته .  
 دبلي اكسيويس : هذه هي صحيفة بوليفاردي ذات  
 تغلبية ضعيفة لاحداث الشرق الاوسط لانها في  
 الدرجة الاولى تهتم بالشؤون الداخلية للبلاد ،  
 وخاصة بالفصائح . ولكن عندما تكتب عن العرب ،  
 فهي تتفوق حتى على الديلي تليفيراف في التجريح  
 وتلوين السمعة . ذات توزيع بالملايين .

ايفنغ ستاندرد : المختص فيها بشؤون الشرق  
 الاوسط هو الصهيوني المعروف جون كمشه الذي  
 اشتهر باكاذيبه المفضوحة . ومنها الكذبة التي  
 نشرها في العدد المصادف في ٢٣/٤/٦٨ عندما كتب  
 ان الكولونيل ( كذا ) ياسر عرفات تادم الى لندن  
 ثانية ، وتحت اسمه الحقيقي هذه المرة . وقال ان  
 الكولونيل زار لندن عدة مرات خلال الاشهر الستة  
 الاخيرة ، وكان في كل زيارة يستعمل اسما جديدا .  
 وكان في لندن عندما اخفت الغواصة الاسرائيلية  
 دافار ، فانتقل به ( أي بكشه ) الناطق الرسمي  
 لياسر عرفات تليفونيا عند منتصف الليل ليخبره ( أي  
 كمشه ) ان فتح هي المسؤولة عن اختفاء الغواصة .  
 ان ياسر عرفات يحمل الرقم الاول في قائمة الذين  
 تطلبهم اسرائيل ، وحينها علم عند الهجوم على  
 الكرامة بان الاسرائيليين يبحثون عنه في المخيم  
 ويعرفون كل شيء عنه ، تمكن من الافلات قبل ان  
 يطبقوا على المخيم . وفي مساء اليوم نفسه كان قد  
 وصل الى باريس .

ولم يخبرنا المستر كمشه لماذا قرر الكولونيل عرفات  
 ان يتوجه الى باريس بعد معركة الكرامة مباشرة .  
 وفي مقال آخر لهذا الدعاثي الصهيوني المخضرم  
 ظهر في هذه الصحيفة المسائية البوليفاردي بتاريخ  
 ٥/٨/١٩٦٨ كتب كمشه ان بعض الفلسطينيين الذين  
 لا يرقى الشك الى وطنيتهم ( حسب تعبيره ) الحوا  
 على الملك حسين ، وقد ساندتهم في هذا الاحاح  
 الاثتراكيون الاردنيون ( ؟ ) ان يتخذ  
 الاجراءات الفورية ضد الجماعات الارهابية التي  
 تعمل من الاراضي الاردنية . فاذا لم يتخذ اية  
 اجراءات فان الارهابيين سيجلبون على البقية  
 الباقية من مملكته وعلى الامة الفلسطينية نفس  
 الكارثة التي حلت في السنة الماضية ( أي حرب  
 حزيران ) بمصر وسوريا . وكانت هذه الجماعة

### الصحف الاسبوعية الصادرة يوم الاهد :

ذي اوبزرفر : هذه هي صحيفة المثقتين واحدى مناخر الصحافة البريطانية ، فهي معروفة بمواقفها الشجاعة المتحررة وتحليلها الذكي العميق وعدم انسيانها وراء الراي العام اذا كان ذلك يتعارض مع اجتهاد محرريها ومعلقيها . انها مثلا عارضت الهجوم البريطاني على السويس عام ١٩٥٦ ( بينما التايمز ايدته بعد تردد طفيف ) مع ان هذه المعارضة افقدتها حوالي خمسة آلاف قارئ . الا ان الاوبزرفر سقطت في الامتحان الاكبر عندما سارت في طريق بقية الصحف البريطانية ، فاعفلت الحق الفلسطيني ، وفقدت بذلك نزاهتها الشهيرة .

في ١٩٦٨/٣/٢١ تحدث المراسل الدبلوماسي فيها روبرت ستيفن عن نتائج معركة الكرامة ، فذكر ان هذه المعركة قد انتهت بنظر العرب أسطورة الجيش الاسرائيلي كجيش لا يقهر . الا ان المزاج العربي يعبر بسرعة من اليأس الى الفرح ويمكن ان يعود ادراجه بنفس السرعة . وقال ستيفن ان عرش حسين يرتكز على وجود الفدائيين بقدر ما يرتكز على الجيش الاسرائيلي ، ولكنه لن يستطيع ان يستعيد سيطرته على الفلسطينيين بواسطة اجراءات الامن العسكري القاسية التي كانت حكومته مسؤولة عنها في الضفة الغربية قبل الحرب .

وقد تضمن نفس هذا العدد من الاوبزرفر تقريراً من مراسل الصحيفة في تل ابيب ، الصهيوني فرانسيس اوفنر ، كانت آخر عبارة فيه هي : لو ان اصدقاء الملك حسين الغربيين يستطيعون اقتناعه بأن مشكلته ستصبح اكثر قابلية للحل فيما لو هو تعاون الارهابيين وليس اسرائيل ، لكان الاسرائيليون اكثر استعداداً للموافقة على بقائه .

وفي العدد ١٩٦٨/٩/١ كتب كولن ليجوم مقالا طويلا من القدس بعنوان : المتأومة تجبر الاسرائيليين على النوم في الملاجئ - اسرائيل قلقة من ظاهرة فتح العسكرية اكثر مما هي قلقة من الجيوش العربية . وقال ليجوم ان المتحمسين العرب الذين تحدث معهم في طول وعرض الاراضي المحتلة يعترفون بأن فتح نشلت في اقامة قواعد لها بالناطقات المحتلة لان العوائل العربية لا تريد المجازفة بهدم بيوتها على أيدي الاسرائيليين . ولكن ( يقول هؤلاء المتحمسون ) هذا لا يمنعنا من ايواء الفدائيين في قلوبنا . ثم يستطرد الكاتب ليقول ان غزة هي البقعة الوحيدة التي تثير مشكلة أمن للاسرائيليين . ويختتم ليجوم

بمعلق في السابق على فتح ، ولكنها حددت باتخاذ اجراءات ضد الارهابيين في حال عدم قيام حسين بذلك . وقد قويت يد الملك عندما اصدر الرئيس العراقي حسن البكر امرا الى القوات العراقية التي تتألف من سبعة عشر الف رجل لمساندة حسين في اي عمل ضد فتح . وكان ياسر عرفات قد عاد من موسكو قائلاً انه حصل على وعود بتزويده بالسلاح ، الا انه اثناء غيابه في موسكو قامت حركة انقلابية داخل فتح ، قادها فيصل العواف ، خريج السوربون . هذه كانت رواية المستر كمشه صاحب الخيال الصهيوني الواسع .

سكوتسمون : هذه الصحيفة الاسكتلندية تعتبر افضل صحيفة بريطانية تصدر خارج لندن . لقد ابدت بعض الاهتمام الجدي بالمقاومة ونشرت مقابلة مع بعض الفدائيين في عدد ٦٨/٣/٢٨ كانت موضوعية . الا ان الصحيفة هي عموماً ضد العرب والمقاومة ، كما ان مراسلها في اسرائيل ، فرانسيس اوفنر ، هو اسرائيلي والمقاومة بالنسبة اليه تتألف من عصابات من الارهابيين ، لا غير ، كما ان السكوتسمون تبرز الهجمات الاسرائيلية ( الانتقامية ) وتدين المقاومة كحركة تحريرية .

بوركشمير بوست : ذات تحيز واضح ، وتقارير مراسلها جفري ويغورد هي عموماً ذات لهجة مثاونة للعرب .

فايننشال تايمز : اهم صحيفة اقتصادية يومية تصدر في بريطانيا . معتدلة اللهجة ورسنية . في ١٩٦٨/١٢/٢٠ كتب محررها للشؤون الخارجية ، ج . د . ف . جونز مقالا طويلا بدأه بالعبارة : « ان الكوماندو الفلسطينيين اخذوا الان يحصلون على تغطيات صحفية اكثر تعاطفاً مع وجهة نظرهم عن ذي قبل » . الاتجاه السائد في تعليقات هذه الصحيفة هو ان اهمية الفدائيين لا تكمن في الناحية العسكرية وانما في انها خلقت الادراك بوجود الشعب الفلسطيني في العالم . ولكن عموماً تؤيد هذه الصحيفة مبدأ الاستقرار في الشرق الاوسط حتى وان كان ذلك الاستقرار هو حاصل على حساب العدل . اسرائيل قد خلقت لتبقى : هذه هي نقطة الانطلاق لكل تعليق يظهر على صفحات فايننشال تايمز . ويمكن القول ايضا ان هذه هي كذلك نقطة الانطلاق لاكثية الصحف غير الملزمة التزاماً تاماً بتأييد اسرائيل .

تقريره بقوله ان الاسرائيليين يرون في ياسر عرفات اول زعيم فلسطيني . فهو رجل شجاع كرس حياته لخدمة شعبه . ومع ان تكتيكاته الحالية لن تقربه من هدفه ، الا انه قد يلعب في يوم من الايام دورا هاما في المفاوضات مع اسرائيل لتسوية المشاكل التي خلقها اقتلاع جذور العرب الفلسطينيين .

وفي ١٩٦٨/٩/٨ كتب نفس المراسل تقريرا آخر بعنوان : اسرائيل تركز آمالها على صلح مع الفلسطينيين ، تحدث فيه عن العلاقات بين الاسرائيليين والفلسطينيين على الصعيد الشخصي . ويظهر من سياق حديثه انه استقى معلوماته من الاسرائيليين ، ومن فئات معينة في الجانب العربي . فهو يكتب مثلا ان موشي ديان ، المسؤول المباشر عن ادارة المناطق العربية ، هو الزعيم الاسرائيلي الاكثر شعبية بين العرب ، وحتى بين هؤلاء الاكثر شعورا بالرارة . فهم يمتدحون صراحته ويحترمون ثبات رايه . ويكتب المراسل ايضا ان الموظفين في الضفة الغربية يتفاوضون رواتبهم من الجهتين : الحكومة الاردنية واسرائيل . ويتحدث بعد ذلك عن المناطق المحتلة ، فيرسم صورة زاهية للاحتلال ويبين ضمنا انه لا يكاد يوجد انز لسوء المعاملة او الاضطهاد .

اما اكثر مراسلي الازهر في موضوعية ، والذي يمكن وضعه على صعيد واحد مع ديفيد هيرست من ناحية النزاهة الصحفية وبعد النظر في التحليل ، فهو غانن يونغ ، الذي كتب عن التحديدات التي وضعتها السلطات الاردنية على المتوامة ، في عدد ١٩٦٨/١٠/٢٠ ، وقد تضمن هذا العدد مقابلة مع ياسر عرفات . وفي العدد الصادر في ١٩٦٩/٣/٩ كتب من القدس المحطة تحليلا عميقا عن وضع الاحتلال في المدينة المقدسة ، فأجرى بحثه تحت السطح المخادع ، ليفضح زيف العلاقات الودية ، التي قال ببقية المراسلين ، ومنهم كولن ليجوم ، انها تسود بين العرب وسلطات الاحتلال . كما انتقد غانن يونغ هؤلاء المراسلين الغربيين الذين يستقون جميع معلوماتهم من الاسرائيليين فينشرها وكأنها لا تتضمن الا الصدق ، ولا ترسم الصورة الصحيحة للوضع . وكان يونغ من اوائل الذين كتبوا عن النفور الذي تحسه الشخصيات الكبيرة في الاردن للفدائيين ، وكيف ان هذه الشخصيات تنظر بنقمة من خلال نوافذ سياراتها الفخمة الى الفلسطينيين المسلحين . ويحس القارئ من هذه

المبارات مع اية جهة يتعاطف هذا المراسل البريطاني النزيه ، ولكن موقفه هذا لم يؤثر على السياسة التحريرية للصحيفة ، التي ظلت كالكثير الصحف البريطانية الاخرى تفضل الاستقرار في الشرق الاوسط واستتباب الامن فيه ، على رفع الظلم والاحصاف . ففي ١٩٧١/٧/٢٥ كتبت الصحيفة في تعليقها تقول ان تدمير جيش الملك حسين للفدائيين الفلسطينيين سيفهم في اوساط عديدة على انه ازالة لعقبة في طريق السلام في الشرق الاوسط .

صنداى تايمز : كانت هذه صحيفة ضعيفة المستوى مقلدة للاوبزرفر في الخمسينات . وكان مراسلها في البلاد العربية ضابط بريطاني سابق في الجيش الاردني ، هو سليد بيكر ، يكن حقدًا اعمى على كل ما هو عربي . ثم ابتاع اللورد تومبسن هذه الصحيفة ، واتاح لها الموارد المالية التي سمحت لها ان تضم الى امرتها التحريرية جماعة من افضل المعلقين السياسيين والمحريين والمراسلين في البلاد . فكان مراسلها في البلاد العربية هو بيتر مانسفيلد ، وتبعه ديفيد هولدن وجفري سمر . ومع ذلك ، لا يمكن القول ان الصنداى تايمز تتخذ موقفا موضوعيا محايدا في الشرق الاوسط . فمراسلها بيتر نيكولز ، الذي غطى نتائج معركة الكرامة ، ونشر تقريره في ١٩٦٨/٣/٢٤ من تل ابيب كان يبدو وكأنه استقى معلوماته كلها من الناطق العسكري الاسرائيلي .

وعندما اثار المحرر هوجكين في صحيفة التايمز ( شقيقة الصنداى تايمز ) العاصفة الصهيونية المعروفة لانه كشف عن سوء الحالة في الضفة الغربية المحتلة وقطاع غزة ، كلفت الصنداى تايمز مراسلها الصهيوني ديفيد ليتش ان يتقصى الامر ، فجاء نحوى تحقيقه انه لا يوجد دليل ثابت على اضطهاد الاسرائيليين للعرب .

وفي العدد الصادر في ١٣ ايلول ١٩٧٠ نشرت الصحيفة ( قصة ليلي خالد ) في صفحتين كما كتبها الصحفي الهندي غودفري جانسن ، الا ان رئاسة التحرير قدمت المقال بالفقرة التالية : ان اشمترازنا لهذه الجريمة ( خلف الطائرات ) هو واضح في تعليقاتنا المنشور بنفس العدد ، ويجب ان نضيف هنا ان الصنداى تايمز قد اتخذت الاجراءات اللازمة لتأكد بانه لن يذهب اي جزء من الانتاب الصحافية المعتادة التي سيتناضها المستر جانسن ، الى ليلي خالد او الى الفدائيين بأية طريقة من الطرق ،

سل  
على  
كاكثر

في  
رئع  
صفة  
ثمين

انه  
ل .

بوي  
ا في

بش  
نلى

نذه  
مت

سل  
د .

د ،

س

ها

و .

ي

ز

ة

ت

ز

و

ع

س

بل ان المستر جانسن نفسه قد امتنع عن نصف  
اجره طالبا ان يقدمها الى جهة خيرية معترف بها  
تقوم بمساعدة اللاجئين .

### المجلات الاسبوعية :

**اينكونوميست** : هذه هي اشهر مجلة اقتصادية في  
بريطانيا وذات تغطية مستفيضة لاحداث الشرق  
الاطلس . بعنوان « تحذير من اسرائيل » وبتاريخ  
١٩٦٥/٦/٥ كتبت هذه المجلة عن الهجوم الاسرائيلي  
على الاردن فذكرت انه جاء نتيجة لاعمال المخربين  
في سوريا. وفي عام ١٩٦٦ كانت من اول الصحف  
العربية التي تحدثت عن منظمة «ابطال العودة». وقد  
نظرت المجلة ( التي لا تنشر ايدا اسما معلقها او  
براسيها ) نظرة شك الى تصريح الشكري بأن  
جيش التحرير الفلسطيني سيختار الوقت المناسب  
لتحرير فلسطين ، باعتبار ان هذا الجيش الذي  
يتألف من عشرة آلاف مقاتل لا تساعده الدروع الثقيلة  
ولا الطائرات ، لا يصلح للقتال الا في دور اضائي  
مساند لجيش ضخم . ثم ذكرت المجلة ان تقلة  
الخلاف بين فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية هي :  
هل نضرب الان عندما لسنا نحن على استعداد ،  
ام هل ننتظر فنجازف بالآ تكون على استعداد ايدا ؟  
وفي ١٩٦٦/١٢/١٠ تحدثت الاينكونوميست عن «جبهة  
تحرير فلسطين » ، فقالت انها قد تصبح اكثر  
المنظمات فعالية ، وان ازدياد تأثير هذه المنظمات  
يعود الى تدمير سكان الضفة الغربية من تمكن  
اسرائيل من شن الهجمات دون عقاب او حتى  
مقاومة تذكر .

في ١٩٦٧/١/٢٨ كتب مراسل المجلة في اسرائيل  
يقول ان المسؤولين الاسرائيليين يقولون بأنه مع ان  
حزبي فتح يتقاضون اجورهم ويحصلون على  
اسلحتهم من السوريين ، وتدريبهم الاستخبارات  
السورية ، الا انهم مع ذلك ليسوا تحت السيطرة  
السورية التامة . وقد تضمن هذا التقرير اعترافا  
بان غازات فتح قد بدأت تزعم اسرائيل كثيرا ،  
وجعلت الاصوات في الدولة الصهيونية ترتفع  
مطلبة بالانتقام من سوريا .

وفي ١٩٦٧/٥/٢٠ ، اي قبل اسبوعين من حرب  
الايام الستة ، كتبت الصحيفة عن قرب هبوب  
العاصفة الهوجاء بين اسرائيل والدول العربية  
نتيجة لتساعد اعمال الفدائيين . ويمكن القول ان  
الايكونوميست ( التي كان كيم فيلبي في يوم من الايام

مراسلها ومراسل الاوبزرفر من بيروت ) هي من اكثر  
الصحف البريطانية اطلاعا على الشؤون العربية .  
الا انها دائما تكتب عن المقاومة بنفور مسافر ،  
تحول الى هستيريا فيما بعد بسبب حوادث اختطاف  
الطائرات ، حينما اخذت المجلة تطالب باتخاذ اقصى  
الاجراءات ضد « القرصنة الجوية والاجرام  
الدولسي » .

**فيو مستيتسمن** : هذه هي مجلة اليسار الاولى في  
بريطانيا . انها ذات مستوى كتابي رفيع ، وهي  
عموما ضد السياسة الامريكية الخارجية وفي كثير  
من الاحيان نهجم الامبريالية البريطانية . كما كانت  
ضد الاعتداء الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، الا  
انها شديدة التعصب لاسرائيل . كتابها أمثال  
ريشارد كروسمان ( رئيس تحريرها الحالي والوزير  
العمالي السابق ) وكثفلسي مارتن ( الذي توفي قبل  
اعوام ) هم من يساريي الثلاثينات الذين تحالفوا  
مع الصهيونيين آنذاك لمكافحة الفاشستية في بريطانيا.  
كما ان افتتان هؤلاء المثقفين اليساريين بماركسية  
بعض الزعماء الصهاينة واعجابهم بمزارع الكيبوتز  
في اسرائيل « وتحول الصحراء الى بساتين يانعة »  
أعمت عيونهم عن ناشية هذه الحركة . علاوة على  
ان معاداة اليسار لليمين البريطاني الامبريالي الذي  
كان في السابق صديقا تقليديا للملوك والسلاطين  
والشيوخ العرب ، غرس في ذهن اليساريين  
البريطانيين بذور التحيز ضد كل نظام عربي ،  
باعتبار انه رجعي بطبيعته واقطاعي وغارق في  
اليمينية . وحتى قيام الاشتراكية في بعض الاقطار  
العربية وصف في هذه المجلة بأنه تطور هو اقرب  
شبه بالاشتراكية القومية ( أي النازية ) مما هو  
بالماركسية التحررية الصحيحة .

في هذه المجلة ركن اسرائيلي ثابت مكرس للكاتبة  
الاسرائيلية نعومي شبرد التي عرفت بمزجها التلقين  
بالدعاية الاسرائيلية والتوبيخ . لها تلفيقات لا تنسى  
بسرعة ، كتبت مرة ( ١٩٦٥/١٠/٢٢ ) أثير  
زيارة عبد الحكيم عامر الرسمية الى باريس ، قالت  
ان فرنسا باعت المراج الى الاردن .

وفي عشية حرب حزيران ، كتبت مايكل فانشر في  
عدد ١٩٦٧/٥/٢٦ قائلثة : ان الموقف ناضج  
للحرب . الا ان الرأي العربي لا زال مترددا ، فهو  
يعتقد ان الاصطدام بات حتميا ولكنه يظن ايضا ان  
الغرب لن يسمح ايدا للاصطدام ان يقع . والواقع  
ان وجود المبادرة بيد العرب هو الذي يربكهم كل

الارباك .

ومع ان هذه المجلة تحرص على تقليل شأن المقاومة ، الا ان نمو هذه المقاومة يقلقها ويضطرها في النهاية الى الاعتراف بها . فقد كتبت نعمي شبرد في ٢٨/٢/١٩٦٦ تقول ان ادعاء الفدائيين العرب انهم قتلوا ليفي ايشكول هو ادعاء سخيف وتلفيق صيبياتي ، ولكنهم مع ذلك ، وحتى في الاسبوع الذي مات فيه الرئيس الاسرائيلي لا زالوا اعظم خطر على اسرائيل .

سبكيتر : هذه المجلة الليبرالية كانت في الخمسينات معادية للعرب ، ثم اتباعها النائب المحافظ ايان غيلمور وجعلها اكثر الصحف الغربية تنهما لوجهة النظر العربية . الا انه باعها قبل سنوات ، فاشتراها رجل متزوج من يهودية ومنع التطرق الى الصراع العربي الاسرائيلي . الا ان اهمية الاحداث التي وقعت في المنطقة ارغمت المجلة على انهاء تجاهلها ، فكتب ديفيد برايس جونز ( وهو مراسل يكتب أيضا في الصنادي تيليفراف وعرف بمعاداته للعرب ) مقالا بتاريخ ٥/٤/١٩٦٨ تحدث فيه عن شوارع عمان الملاءى برجال فتح ، وقال ان المستوى بين الفدائيين قد هبط مؤخرا ، فاصبحوا يتفاوضون الخوة من اصحاب المتاجر ، وما ان يعتقلهم الاسرائيليون حتى يشوا بزملائهم بسرعة . المقال كله هو ترديد لما تقوله الصحف الاسرائيلية عن الفدائيين .

ولم يكن مقال كودليب نايار ، رئيس تحرير الصحيفة الهندية ( ستيتسن ) الصادرة في نيودلهي والذي نشرته السبكيتر في ٧/٢/١٩٦٦ يتضمن درجة اعلى من الموضوعية او الانصاف . فهذا الصحفي الهندي الذي تجول في المنطقة وزار اسرائيل ، خرج بانطباع سلبي عن المقاومة ، وظل الفدائيون بالنسبة اليه جماعة من الارهابيين لا يسببون الا المضايقات لاسرائيل .

احد الكتاب الجيدين في هذه المجلة هو جورج غيل الذي تمكن من وضع اختطاف الفدائيين للطائرات في اطاره الصحيح ، فكان بذلك احد الملحقين القلائل في الغرب الذين تفهموا وجهة نظر الجبهة الشعبية بخصوص خلف الطائرات .

## المقاومة الفلسطينية في الصحف الالمانية

سويسرة الالمانية :

نويه تسويريش تزايتونغ (زبورخ) : هذه الصحيفة

اليومية هي اهم صحيفة سويسرية تصدر بالالمانية ، بل ان الاعتقاد السائد بين افراد الطبقة الالمانية المثقفة في المانيا الغربية والنمسا وسويسرا ، انها افضل صحيفة يومية ناطقة بالالمانية على الاطلاق . فهي واسعة النفوذ بالرغم من توزيعها المحدود ، وهي رصينة رزينة وذات اتجاه محافظ يميل الى الليبرالية . وتغطي هذه الصحيفة انباء الشرق الاوسط باستفاضة ، حيث يوجد لها في المنطقة العربية مراسل يعتبر من اشهر المتخصصين في شؤون الشرق الاوسط بين مراسلي الصحف الناطقة بالالمانية ، هو ارنولد هوتنغر المستشرق ، والمعروف عن المستشرقين انهم يميلون في العادة الى الجانب العربي وينصفوه ، الا ان هوتنغر ليس بين هؤلاء ، وقد يكون السبب الذي يدفعه الى التمييز ضد العرب هو انه يرأسل صحيفة تصدر في بلد يغطي عليها النفوذ الصهيوني ، وسبق لها ان اتخذت موقفا مناوئا للعرب منذ البداية .

لا يمكن ابدا وصف هذه الصحيفة الزبورخية بالتحرد والموضوعية عندما تكتب عن الصراع العربي الاسرائيلي . ففي ايار ١٩٦٥ كتبت عن الهجوم الانتقامي الذي شنته القوات الاسرائيلية على الاردن ، فقالت انه لم يأت كمفاجأة بعد تزايد حوادث التخريب في اسرائيل وهي ( الحديث دائما للصحيفة ) الحوادث التي مصدرها سورية ، البلاد التي يجري فيها تدريب الكوماندو ، والتي تقودهم . الا ان هؤلاء الكوماندو يتخذون من الاردن مورا لهم الى اسرائيل . وبالرغم من تحذيرات اسرائيل المتكررة للاردن بمنع سورية من السماح لهم بالتسلل عبر اراضيها ، والا فالاردن سيقاسم نتيجة لذلك ، الا ان هذا التسلل ما زال يحدث . ثم تتوصل الصحيفة الى الاستنتاج الى ان هذه العمليات التخريبية هي نوع من الموسيقى المرافقة لمؤتمر القمة في القاهرة ( عام ١٩٦٥ ) . ولما كانت العمليات التخريبية موجهة ضد المدنيين ، فالاراء في اسرائيل متفقة على عدم السماح لها بالاستمرار . هذا الخبر المنشور في عدد ٢٩ ايار ١٩٦٥ مصدره تل ابيب ، وقد بعته مراسل الصحيفة في اسرائيل ، الذي اكتنت الصحيفة بطبع الحرفين الاولين فقط من اسمه ، كعادتها مع مراسليها . وهو على الأرجح اسرائيلي ، كغالبية مراسلي الصحف الغربية في الدولة الصهيونية ، ولذا فتخليه للموقف هو مجرد ترديد لوجهة النظر الرسمية في اسرائيل . ولا ريب



ينطبق على الواقع : منظمات المقاومة . هذا التعبير السليم يظهر لأول مرة في تقارير هوتنغر الصحفية بتاريخ ٢٥/١٠/١٩٦٨ ، وبعد ذلك تتبعم مرادفات أخرى ، كالانصار ، وغيريلا الخ . وبمرور الزمن ، اكتسب لهجة هوتنغر احتراما جديدا عندما يكتب عن المقاومة ، كما تحتوي تقاريره على درجة لا بأس بها من الموضوعية . الا ان السياسة التحريرية للصحيفة تظل مناوئة للعرب ، وان كانت لا تهبط الى الدرك الذي نزلت اليه صحف اخرى كثيرة في ألمانيا والنمسا وسويسرا .

### ألمانيا الغربية :

#### الصحف اليومية :

فرانكفورتر فينمانيه تزايتونغ ( فرانكفورت ) : هذه الصحيفة التي تروم التشبه بالتأييد اللندنية ، كانت بالمقارنة مع بقية الصحف الألمانية الاخرى اقلها تهجما على العرب اثناء حرب حزيران ، ولكن هذا هو شيء نسبي بالطبع ، فلا هي عموما موضوعية ، ولا هي منصفة . كل ما في الامر ان محرريها ومعلميها ومراسليها لا يستعملون الالفاظ الجارحة التي ترد في الصحف الاخرى كل ما اتى ذكر العرب في نطاق صراعهم مع اسرائيل . ان الكاتب المختص بشؤون الشرق الاوسط في هذه الصحيفة هو هارالد فوكه الذي لم تكن تعليقاته عن النزاع العتيق تتصف بالنزاهة الصحفية . الا انه هو الاخر اضطر الى أن ينظر الى المقاومة نظرة جديدة في اواخر عام ١٩٦٨ ، فكتب مقالا طويلا في عدد ١٣/١٢/١٩٦٨ بعنوان : صعود فتح ، حلل فيه حركة المقاومة تحليلا عميقا ذكيا . الا ان هذه النظرة الموضوعية كانت ، كما هي الحال مع اكثر الصحف الألمانية ، الاستثناء وليس القاعدة ، فالسياسة التحريرية ظلت معادية للمقاومة .

دي فيلت ( هامبورغ ) : صاحبها هو قيصر الصحافة في ألمانيا الغربية يمتلك دسنة من الصحف والمجلات الاسبوعية والشهرية ودور النشر . هذه الصحيفة اليمينية المتطرفة يمكن مقارنتها بالديلي تيليغراف اللندنية من حيث معاداتها للعرب بصورة خاصة ، ولليسمار والثورات بصورة عامة ، علاوة على افتقارها بكل ما هو صهيوني . بعض محرريها ومعلميها هم من النازيين القدامى الذين يرومون التغطية على ماضيهم الاسود بالتحامل على العرب ، الفدائيون بالنسبة لهذه الصحيفة هم مجرمون

ان الدوائر المطلعة في اسرائيل كانت منذ ذلك الحين تعلم بوجود منظمة ثورية فلسطينية ، هي فتح ، تعمل في سبيل تحرير فلسطين ، ولكن المصلحة الصهيونية كانت تقتضي وضع اللوم كله على الحكومة السورية باعتبار انها هي المسؤولة اولا واخرا عن عمليات التخريب . اما الاعتراف بوجود منظمة فلسطينية اهلية مستقلة ، فممناه الاعتراف بوجود كيان طالما انكرته اسرائيل : الشعب الفلسطيني . وقد قام مراسل الصحيفة في اسرائيل : غل ، بنقل وجهة النظر الاسرائيلية الرسمية المعدة للاستهلاك الخارجي بكل اماتة ، ودون ان يكلف نفسه عناء مناقشتها . ومما يلفت النظر ايضا التخطب الذي تتع به هذه الصحيفة السويسرية عندما تريد ان تطلق اسما على المقاومين الفلسطينيين . انهم قبل حزيران ١٩٦٧ مخربون وارهابيون . ثم بعد معركة الكرامة في آذار ١٩٦٨ يصبحون متسللين . ومن الجدير بالذكر بمناسبة معركة الكرامة ، ان مراسل الصحيفة في البلاد العربية ، الدكتور ارنولد هوتنغر ، وهو مؤلف اكثر من كتاب عن الشرق الاوسط ، لجأ الى طريقة غريبة في التحدث عن هذه المعركة بعد ان اتفق جميع المراسلين الاجانب على انها لم تكن مجرد نزهة للجيش الاسرائيلي . فلكني يتجنب هوتنغر كشف النقاب عن فشل الحملة الاسرائيلية في هجومها على قاعدة المقاومة الفلسطينية ، فانه لا يتحدث عن مشاهداته هو لاثار المعركة ، وانما يستشهد بلهجة هازئة بما كتبه الصحف العربية عنها ، فيضع بين فاصلتين « ادعاءات » الصحف العربية عن خسائر الاسرائيليين في الارواح والمعدات . ولو انه كلف نفسه عناء التوجه الى وادي الاردن ، كما هو واجب اي مراسل يشعر بالمسؤولية ، لشاهد بنفسه المعدات المحطبة التي خلفها الجيش الاسرائيلي في انسحابه المضطرب . الا ان مراسل الصحيفة الزبورية فضل على ذلك الاستشهاد بالصحف العربية ، على اساس ان القارئ الغربي قد تعود دائما ان يشك في صحة معلوماتها ، وباعتبار ان هذا الاسلوب في تقديم الوقائع يتفق مع تحيز الصحيفة ضد كل ما هو عربي . ومع ذلك ، فان سياق الاحداث بعد حرب ١٩٦٧ يظلمه في النهاية الى ان يستعيض عن الكلمات التي تسجل من البداية تحيز مستعملها ، مثل ارهابيين ومخربين ومتسللين ، بالتعبير الذي

ومخربون يجب اجتثاثهم تماما . لم يظهر تحسن في موقف الصحيفة عبر السنين التي تلت حرب حزيران .

سودويتشه تزايتونج ( ميونخ ) : يعتبرها الكثيرون أفضل صحيفة يومية في ألمانيا الغربية . ليبرالية ومنفتحة ، إلا أنها معادية للعرب . رئيس تحريرها ، ثيرنر فريدمان ، الذي توفي قبل سنوات ، كان صهيونيا ، وكذلك المشرف الحالي على قسم الإنباء العالمية : إيمانويل بيرنباوم . لم يظهر تحسن في تغطيتها لأنباء المقاومة . لهذه الصحيفة شقيقة بوليفناردي هي إيبنت تزايتونج تصدر بعد الظهر . أنها تتخذ نفس الموقف من المقاومة .

بيلد تزايتونج ( هامبورغ ) : يمتلكها شيرنغر . هذه هي صحيفة العمال في ألمانيا وذات التوزيع الأكبر : حوالي أربعة ملايين نسخة في اليوم . أنها الصحيفة اليومية الوحيدة في البلاد التي تباع على نطاق واسع يشمل ألمانيا الغربية كلها ، فالصحف الأخرى هي عموما أقلية . مختصة بالدرجة الأولى بالفنائع ، وذات أسلوب سوقي يضرب به المثل لابنذاله وغيائه المنقطع النظر . أكثر الصحف الألمانية عداة للمقاومة .

### الصحف الأسبوعية :

دي تزايت ( هامبورغ ) : أهم صحيفة أسبوعية تصدر بالألمانية ويمكن مقارنتها من ناحية المستوى بالوايزرغر اللندنية . في عددها الصادر في ١٢/٢٧/ ١٩٦٨ مقال لكاتب اسمه ديتريش شتروتمن ، ظهر في ثلاثة أعداد ، بعنوان : النبي المسلح بالرشيش - ياسر عرفات . جنرال فتح ، يريد تدمير إسرائيل . هذا المقال يمثل أسوأ ما في تقاليد الصحافة الألمانية ، فالكاتب يتخبط في خصم من الكليشيهات التي يقع فيها الألماني عادة عندما يتحدث عن العرب ، فبالنسبة للألماني ، « العرب » هي كلمة جبلى بارتباطات عديدة . فهي أولا تجلب الى ذهنه صورة لقوم شديدي السبرة ، يرتدون العباءات المضحكة ، ويعتبرون الكوفيات ، ويركبون الجمال ذات السنامين ، ويعيشون في الخيام بالمحراء ، ويعبدون الأها غربيا بحركات عجبية ، وينغمسون في ملذات حياة الحریم . اي ان المجموع هو مونتاچ من أقاصيص الف ليلة وليلة وروايات كارل ماي\* وموضى سياسية لا حد لها ، يظهر من بينها زعماء هستيريون يعيشون حياة كلها منصف

ومؤامرات ، ويلقون الخطب الديماغوغية التي تذكر الغربيين بهتزر وموسوليني . ونتيجة لهذا التحامل المسبق ، نجد الهذر الذي نقرأه في كثير من الصحف الألمانية عن العرب .

يفتح الكاتب شتروتمن مقاله بالتحدث عن صلاح الدين ( الكليشييه الأولى ) فيقول ان اليهود كانوا يكونون له احتراما كبيرا لانه سمح لهم بالعودة من المنفى الى الديار المقدسة ، ولا بد من ان نذكر هنا أن صلاح الدين الأيوبي يتمتع في ألمانيا بشهرة خاصة لانه بطل مسرحية شهيرة للمؤلف الدرامي غوتهولد ليسنج ( ١٧٢٩ - ١٧٨١ ) اسمها « ناثان الحكيم » . ويدور موضوع هذه المسرحية الكلاسيكية حول التحيز الديني . فنathan اليهودي هو رمز للإنسان المضطهد الذي يجابه الاضطهاد بالحكمة ، أما صلاح الدين فهو يمثل الحاكم المستنير التسامح . والشخص الثالث في المسرحية هو الفارس الصليبي . انه يمثل التحيز والتحامل المسبق والتعصب الديني . هذه المسرحية التي ما زالت تعرض في المسارح الألمانية ( ليس بسبب قيمتها الأدبية فقط ، لكن لأنها تحث على التسامح ) لا شك أنها كانت في ذهن الهير شتروتمن عندما عقد مقارنته بين السلطان الأيوبي ، الذي يحترم ذكراه ، وبين ياسر عرفات السذي ( حسب قوله ) قد يتسبب في حرب غير مقدسة بين العرب واليهود . ( والحرب غير المقدسة هنا هي الكليشييه الثانية ) .

ويقول الكاتب : « ان ياسر عرفات هو الجنرال ( كذا ) العربي الوحيد الذي يناضل منذ ثمانينية عشر شهرا ( كتب المقال في آخر شهر من عام ١٩٦٨ ) ضد إسرائيل . وشهداء فتح هم أبناء النبي المحبوبين الذي يعدم رجال دينهم بالذهاب الى الجنة بعد موتهم في الحرب المقدسة ( الكليشييه الثالثة ) . ان عرفات هو المسؤول عن التعصب الاعبى الذي يدنح بهؤلاء الرجال الى القتال حتى الموت .

كما أن اذاعة فتح تردد شعار المعركة كل مساء

\* كارل ماي هو مؤلف كتب مغامرات الماني عاش في القرن الماضي . تقع حوادث الكثير من رواياته في الشرق ، ولا يكاد يوجد صبي الماني لم يقرأ هذه الكتب الساذجة التي طبعا لا تعطي صورة صحيحة للشرق ، بعض رواياته أصبحت انلاما .

وكانه الصلاة التي يدعو اليها المؤذن ( الكليشييه الزابغة ) . بهذا الاسلوب الألماني العتيق يستمر شتروتين في « تحليل » حركة المقاومة الفلسطينية . ثم يستشهد بقول لوشي ديان يصف فيه الفلسطينيين بانهم « يعيشون في عالم بلا واقع كمدمن المخدرات ، لان الواقع كريحه لهم . فهم يتناولون اقراص الكذب ليشتعروا انهم في الجنة » . هنا نجد اصداء من اسطورة شيخ الجبل الاسماعيلي سنان الذي يحكى انه كان يكافئ فدائييه الذي بيعتهم لاغتتيال خصومه ، بالحشيش والنساء . هذه الاسطورة منتشرة بالغرب ، بل ان الكلمة الاوروبيه Assassin مأخوذة من الحشاشين ، ولهذا رجال المقاومة هم قتلة ، وزعيمهم الحالي يبعث الى اذهان الغربيين الشيخ الاسماعيلي السيء الصيت . ان الاساطير التاريخية تتوالد وتتبعث ، وكما يقال ان ارواح تتناسخ ، فكذلك الاساطير تتكرر عبر العصور . والاساطير التي كان الصليبيون يرددوها عن العرب قبل قرون لا تختلف كثيرا عن اساطير الصحافة الغربية اليوم .

في مقال لنفس الكاتب ظهر بتاريخ ٨ نيسان ١٩٦٩ بعنوان : اللعبة العربية المزدوجة ، نقرأ الكلمات التالية : « ان اسباب اللعبة العربية المزدوجة هي واضحة . فبواسطة المطالب المبالغ فيها ، والتي لا تدع لاسرائيل مجالا لقبولها ، وعن طريق صحف الحرب والعمليات العسكرية التي لا بد ان تستفز الاسرائيليين الى رد الفعل ، يريد العرب ان يوقفوا اسرائيل امام العالم اجمع موقف الذي يهدد السلام . اما اصحاب هذه السياسة السيئة لسمة اسرائيل فهم زعماء المقاومة ذوو النعصب الاعبى الذين لا يريدون السلام » .

في مقال ثالث للهير شتروتين ظهر في ٢ ايار ١٩٦٩ بعنوان : « احلام والغام - رجال المقاومة الفلسطينية هم اخطر على العرب مما هم على الاسرائيليين » . يحمل الكاتب من جديد على حركة المقاومة ، فيتهمها بالكذب والمبالغة المتناهية في بلاغاتها العسكرية ، ويهاجم المتطرفين فيها (الحديث كله للكاتب الألماني) لانهم يستفزون الجيش الاردني وينتصون من سيادة البلاد . ثم يؤكد على ان المقاومة منقسمة على نفسها وليست بذات خطر على اسرائيل .

وفي هذا المقال يظهر الضعف في معلومات الكاتب ، فهو يذكر ان سوريا هي التي تقود الجبهة

الشمعية لتحرير فلسطين ، وايضا الجبهة الشمعية الديمقراطية ، الجبهة الاولى يتبناها اليسار قسي حزب البعث ، والجبهة الثانية يتبناها اليمين في نفس الحزب ! ثم تأتي المفاجأة في مقال الكاتب عندما يذكر ان السعودية والاردن تريدان تأسيس منظمة فدائية جديدة سيعين الحاج امين الحسيني قائدا لها . ويذكرنا شتروتين بأن هذا الزعيم المسلم سبق وان قاد حملة مخزية ضد اليهود والعرب المتعاونين معهم ، فيعود الى العدد الصادر في ١٥ تشرين الاول ١٩٦٨ من صحيفة نيويورك تايمز ، ليستشهد براسلها الذي كتب آنذاك يهاجم « الاسلوب الارهابي للمفتي ، ذلك الاسلوب الرامي الى القضاء على الفلسطينيين المعتدلين » والسؤال الذي يتبادر الى الاذهان هو : هل كلف الهمر شتروتين نفسه عناء الرجوع الى اعداد صحيفة ظهرت قبل ثلاثين عاما ، ام انه نقل شهادة المراسل من كتاب صهيوني ليبرهن على « سواد » ماضي المفتي ؟ وينتهي شتروتين مقاله بالتحدث عن محاولة المقاومة افساد سياسة ديان الرامية الى التعايش السلمي في الضفة الغربية المحتلة .

وبقدر ما يتحامل هذا الكاتب على المقاومة ، وعلى العرب بصورة عامة ، فانه يمتدح الاسرائيليين ، ويشني على قادتهم . ولذا لم يكن مستغربا ان يعنون مقالا له عن غولدا مائير : امرأة من الغرائب .

ويوجد كاتب آخر في الصحيفة يكتب عن العرب . انه هاوغ فون كونهام ، وهو اقل تحاملا من زميله ، وان كانت معلوماته ليست افضل من معلومات شتروتين . ففي احد مقالاته ، يذكر ان الجيش الاردني يتألف من خمسة عشر الف رجل .

راينفشمه ميركور ( كولونيا ) : يمينية متطرفة وليست محترمة كثيرا في الاوساط المثقفة لضعف مستواها ، وان كانت تحاول ان تبدو صاحبة مستوى كتابي رفيع . شديدة العداوة للعرب ، وتستعمل الالفاظ الجارحة ضد المقاومة بحقد سافر . عددها الصادر في ٧ تشرين الثاني ١٩٦٩ ظهر وهو يحمل على صدر الصفحة الاولى صورة كبيرة لياسر عرفات بمناسبة عقد اتفاق القاهرة بين السلطات اللبناية والمقاومة الفلسطينية . تحست الصورة كصيت الصحيفة : « ياسر عرفات ، عديم المبادئ » . بعد اتفاق القاهرة سيتمكن ارهابيوه من العمل من لبنان بحرية ضد اسرائيل .

اسرائيل .

وفي ١٦/٣/١٩٦٩ نشرت شترن لمراسليها غورديان  
ترويلر وكلود ديفارج ريبورتاجا مصورا عن زيارتهما  
لتواعد فتح ، ومشاهدتهما تدريب الفدائيين . كما  
أنهما خرجا مع وحدة في عملية فدائية اشتبكت مع  
القوات الاسرائيلية . كان الريبورتاج موضوعيا ،  
بلا تعاطف وبلا تحامل . ولكن شترن لم تكتب  
بهذه النزاهة عن الهجوم على طائفة العال نسي  
زيورخ ، كما أنها في مقال مصور عن حرق المسجد  
الاقصى قارنت استنكار العرب لهذا الحادث  
باستنكار النازيين لحرق بناية الرايخشتاغ قبل  
الحرب العالمية الثانية . فاذا علمنا أن اصابع  
الانتقام آنذاك اشارت الى النازيين على أنهم  
هم الذين احرقوا البناية الضخمة التي كان يجتمع  
فيها مجلس النواب الالمان ، ادركنا ان المجلة  
تتهم العرب ضمنا بأنهم هم الذين احرقوا مسجدهم  
التاريخي ليهيوا المشاعر ضد اسرائيل .

كويك ( ميونخ ) : ايضا من كبريات المجلات  
المصورة . اثناء حرب الايام الستة ضربت رقبا  
قياسيا عاليا في حملتها على العرب . حتى الاسلام  
كدين لم يسلم من تهجمها . في ١٩/١١/١٩٦٩ نشرت  
مقالا للبروفيسور النمساوي الدكتور هاينريش  
هير ، مؤلف الكتاب المعروف عن افضال اليهود على  
العالم : « حب الله الاول » حاول فيه ان يحلل  
الصراع العربي الاسرائيلي من زاوية تاريخية دينية  
بحة ، فاستشهد بالقرآن والحديث النبوي ليبرهن  
على أن الصراع العربي الاسرائيلي ما هو الا  
صورة حديثة للجهاد الاسلامي القديم . فالفدائيون  
ليسوا الا نسخة معاصرة للمجاهدين القدامى .  
وقال البروفيسور ان المسلمين اليوم يبحثون عن  
محمد جديد ليوحدهم ويقودهم ، ولكن لا يوجد  
حاليا ما يبين على ان هذا المنقذ هو في  
الطريق . أما ناصر ، فينظر اليه رجال الدين  
المسلمون نظرة الحذر والتحفظ .

ديرشبيغل ( هامبورغ ) : هذه هي المجلة الاخبارية  
الاسبوعية الوحيدة في المانيا الغربية . أسسها

✽ هانتر يحمل الجنسية البريطانية لانه لجأ الى  
انكلترا هربا من الحكم النازي . وهو يهودي  
الاصل ، ولعل ذلك ، بالاضافة الى جاركسيته  
جعل من الصعب على الصهاينة ان يتهموه  
بمعاداة السامية كما اتهموا غيره .

ويصل التشويه في هذه الصحيفة الى ذروتها  
منذما يكتب مراسلها في بيروت : هـ . ل . كامتر ،  
في العدد الصادر في ٢٣ كانون الاول ١٩٦٩  
مستشهدا بأقوال وردت في صحيفة القدس التي  
تصدر في القدس المحتلة بأشراف موشي ديسان .  
صاحب هذه الأقوال هو محمد ابو شلبايه الذي  
طالب في مقاله اعضاء مؤتمر القمة في الرباط ،  
افساح المجال امام الفلسطينيين للدخول كأطراف  
مباشرين في المناقشات الدائرة حول مصيرهم .  
ويعلق المراسل الالمانى على مقال ابو شلبايه فيصنعه  
بأنه بيان شبه رسمي لمنظمة التحرير الفلسطينية .  
والظاهر ان الكاتب نقل نص هذا المقال من مجلة  
«نيو ميدل ايست» الشهرية التي يصدرها الصهيوني  
المعروف جون كمشه ، في لندن . فهذه المجلة تقوم  
بدعاية نشيطة مستمرة لجريدة القدس ، ولملحقها ،  
عزيز شحاده ومحمد ابو شلبايه ، اللذين عرفنا  
بتعاونهما مع سلطات الاحتلال . وهكذا جعل  
الكاتب الالمانى من ابو شلبايه ناطقا شبه رسمي  
للمنظمة التحرير الفلسطينية .

جميع مقالات الراينشه مكرور عن الصراع العربي  
الاسرائيلي وحركة المقاومة هي على هذا المستوى .  
ناسيونال تزايتونغ ( ميونخ ) : صاحبها الدكتور  
غيرهات فرآي الذي دعت حكومتا العراق والكويت  
الى زيارة بلديهما قبل ثلاثة أعوام . ان صحيفته  
هي صحيفة الحزب النازي الجديد في المانيا  
الغربية ، ولذا فهي محتقرة من اغلب الأوساط  
في البلاد . انها طبعما مؤيدة لحركة المقاومة وان  
كانت تتحفظ بسبب يسارية الثورة الفلسطينية .  
على كل حال ، فتأبيدها ليس من النوع الذي من  
شأنه ان يفيد العرب .

### المجلات الاسبوعية المصورة :

شترن ( هامبورغ ) : تباع أكثر من مليون نسخة  
اسبوعيا . مستواها التحريري اعلى نسبيا من  
غريباتها كويك وبوتته ونويه ريفو . الخ .  
وعموما المجلات المصورة في المانيا الغربية هي تافهة  
وتعيش على الجنس والفضائح . تنسح شترن  
المجال احيانا لبعض الآراء الهرطقية تجاه اسرائيل ،  
كما فعلت مرة عندما سمحت لمعلمها اليساري  
المعروف سياسيتيان هانتر ان يهاجم سياسة  
اسرائيل التوسعية ، فكانت تلك احدى المرات  
النادرة جدا التي جرؤ فيها الماني ✽ على انتقاد

٢٥ اذار ١٩٦٨ تقول ان « مخربي اليوم هم افضل تدريبا واشجع من الذين عبروا الى الضفة المحتلة بعد حرب حزيران مباشرة ، ولقاء الاجور التي دفعت لهم ، حاولوا اثاره السكان ضد الاحتلال » . معنى ذلك ان المجلة اعترفت اخيرا بوجود المقاومة وتحسن اساليبها ، الا انها لم تمنحها عطفها .

بعد ذلك في العدد الصادر في ٨ نيسان ١٩٦٨ كتبت المجلة عن معركة الكرامة تقول انها انتهت بهزيمة سيكولوجية للاسرائيليين كادت تكون عسكرية ايضا . وهنا تقع دير شيبيل في الخطأ عندما تكتب ان الاسرائيليين خسروا في هذه المعركة ٢٥ رحلا و ٢٥ عربة مصفحة ، اي « اكثر من خسارتهم في اي يوم واحد اثناء حرب الايام الستة » . اذ كيف يمكن توفير ذلك مع اعلان اسرائيل انها خسرت سبعمئة قتيل وثلاثة اضعاف ذلك العدد من الجرحى ؟ فهل من المعقول ان تكون اسرائيل قد بالغت نسي خسارتها في حرب حزيران ؟

وبمرور الاشهر يزداد اهتمام المجلة بالمقاومة ، فتخصص لها ثلاث صفحات في العدد الصادر في ٢٤ شباط ١٩٦٨ ، كما يتحدث مراسلها مع ابو عمار ويشهد عمليات التدريب . وفي العدد الصادر في ٢٤ شباط ١٩٦٩ تتحدث المجلة عن الجبهة الشعبية وتروي كيف ان بعض الزعماء الاسرائيليين يطالبون باجراء المفاوضات مع حركة المقاومة فوق رؤوس الحكومات العربية ، وكيف أن موشي ديان تحدث مع فدائي معتقل واقترح عليه أن يطلق سراحه مقابل ان يدبر له مقابلة مع ياسر عرفات ، فاجابه الفدائي الذي يبلغ العشرين : لست موشي ديان فحسب ، وانما انت أيضا عضو في الحكومة الصهيونية ، ولذلك لا يمكننا التفاوض معك .

وفي العدد الصادر في ٢٨ تموز ١٩٦٩ كتبت دير شيبيل عن الانقسام في صفوف الفدائيين ، وعن منظماتهم المتعددة ، والتناحر الدائم فيما بينهم ، والتضارب في بلاغاتهم العسكرية، وكان من الواضح ان ذلك هو موضوع تكتب عنه المجلة بسرور . فاذا كان تزايد المقاومة وبروز دورها قد انتزع الاحترام من اقلام المحررين والراسلين ، فنان انقسامها وتناحرها صادف القبول والارتياح في نفوسهم ، واكد لهم أن تحاملهم الاول على المقاومة في بداية عهدها كان له ما يبرره . ومثال على موقف المجلة العام من الفلسطينيين كان واضحا في

في نهاية الاربينات ، وبموجب ترخيص خاص من قوات الاحتلال البريطانية ، شاب اسمه رودلف اوغشتاين ، وجعلها على غرار مجلة تايم الامريكية في القبوب والخراج ، وايضا نسي الانلوب الساخر . وقد نمت هذه المجلة نمو هائلا الى ان أصبحت اليوم أهم إنجاز صحفي في المانيا الغربية ، واصبح صاحبها أشهر كاتب سياسي في البلاد .

وقد ارادها صاحبها ان تكون مرآة لالمانيا ، فهذا هو معنى دير شيبيل في العربية ، ولذا فانها كانت دائما جريئة في نقدها ، وفي نبشها لماضي الكثيرين من زعماء البلاد . كما عرفت بخبثها الصريح وعدم تهربها من انزال كبار المانيا ، احياء وامواتا ، من موق مناصاتهم السياسية ، لترجمهم الى حجمهم الحقيقي . ولا تنطلق مجلة الدير اوغشتاين من عقيدة معينة ، فلا هي باليمينية المحافظة ، ولا هي يسارية . انها هي ليبرالية جعلت من نفسها حارسا على الديمقراطية في المانيا ، ولا سيما بعد أن سجن صاحبها ايام كان فرانز يوزف شتراوس وزيرا للدفاع في بداية الستينات . أما بالنسبة لسياستها الخارجية ، فهي ضد التدخل الامريكي في الهند الصينية وتطالب بانتهاء الحرب الفيتنامية .

كما انها تهاجم الاتحاد السوفياتي بشدة بسبب شيكوسلفاكيا، ولكنها عندما تأتي للطرق الى الاحتلال الاسرائيلي ، فانها اقل تنديدا به . ففي العدد الصادر في ٩ كانون الاول ١٩٦٨ كتبت المجلة مقالا طويلا عن اسرائيل كسلطة احتلال ، فرسمت فيه صورة وردية للحالة في الضفة الغربية . الاسرائيليون يساعدون العرب في الزراعة ، واقتصاد الضفة الغربية في تحسن مستمر ، والخدمات الاجتماعية والصحية التي ادخلتها سلطات الاحتلال عديدة ، وسياسة التسايش السلمي بين الشعبين سائرة على ما يرام . ويقول الكاتب : وفي كل مكان ، ولا سيما في القدس الشرقية ، التقت الحضارة الاسرائيلية المتأثرة بالغرب بعالم يكاد يرجع الى القرون الوسطى بتأخره وتعممه . فصلت القدس الشرقية على مؤسسات حديثة لضخ الماء الى البيوت ، كما أن المباني الايلة الى السقوط قد تم تفجيرها حتى لو كانت واقعة بالقرب من حائط المبكى .

بالنسبة للمقاومة الفلسطينية ، بدأ اهتمام دير شيبيل متأخرا بهذه الظاهرة . فكتبت بتاريخ

مقال محررها القضائي غير هارت ماوز الذي غطى محاكمة الفدائيين الثلاثة الذين هجموا على طائرة المال . فانه صدق دون تردد الادماء الكاذب والقائل ان حارس الطائرة الاسرائيلي رخاميم اطلق النار على الفلسطيني دناعا عن النفس .

ولا يجب ان ننسى ان مراسل المجلة الدائم في الشرق الاوسط يتخذ القدس المحتلة ( وحتى قبل حرب حزيران ) مقرا دائما له ، مع ان بيروت هي عادة عاصمة الشرق الاوسط بالنسبة للمراسلين والصحافيين . ولذا يحصل مراسل المجلة على معلوماته عن التطورات العربية من الدوائر الاسرائيلية . فقد كتبت المجلة اثر حادث قصف مقر منخلة التحرير الفلسطينية في بيروت بالصواريخ ، تقول ان الذي قام بهذا العمل هم جماعة من منظمة فلسطينية معادية لمنظمة التحرير، مع ان مسؤولية الهجوم تقع طبعا على عاتق الاستخبارات الاسرائيلية عما هو معروف .

وفي العدد الصادر في ١٦ شباط ١٩٧٠ والذي كان موضوع الغلاف فيه : المقاومة ضد اسرائيل ، رافق مراسل المجلة كاي هيرمان مجموعة فدائية ليشهد بنفسه عملية كوماندو ضد القسوات الاسرائيلية . وكان تقريره عما رآه موضوعيا ونزيها ، وبين فيه الخسائر التي وقعت بالاسرائيليين . هذا العدد تضمن حديثا مع جورج حبش ، واخر ( للتوازن ) مع ابا اييان ، وقد بلغ طول المقال حوالي عشر صفحات .

وتبعت هذا المقال مقالات مطولة اخرى ، ولا سيما في عام ١٩٧٠ الذي كان عام الفدائيين ، وقد بلغت تغطية المجلة لاحداث الشرق الاوسط اوجها في ايلول ، ففي ذلك الشهر خطفت الطائرات بالجملة ، واندلعت الحرب الاهلية في الاردن . ولكن جزر التغطية حل في صيف ١٩٧١ ، عندما صدر عدد في ٢٦ تموز يحمل مقالا بعنوان : مطاردة الفدائيين ، وفيه تحدث مراسل المجلة عن تصفية المقاومة في الاردن ، ونشرت المجلة صورة لفدائيين راكمين ورافعين ايديهم الى فوق ، فقالت انهم فدائيون هربوا من جحيم الاردن ليستسلموا للجيش الاسرائيلي . وكتبت دير شبيغل ان قوات البدو تطارد الفدائيين في كل مكان بالاردن، دون هوادة، مستخدمة قتال النابالم والمدفعية الثقيلة ، ومتبعة التكتيك الامريكي في مييتنام المسمى : ابحت ودمر . وقالت ان بدو حسين يطاردون الفدائيين الذين

يعانون من الجوع والعطش الشديد ويدفعهم الى المناطق الموبوءة بالمalaria ، فقتل المئات في عمليات المطاردة ودخل الفان السجون الاردنية ، وهرب مئة عبر نهر الاردن ليلتجأوا الى العدو الذي كانوا في السابق يريدون تحرير وطنهم منه ، فخاضوا مياه الاردن الضحلة بذعر وهم يعلقون قمصانهم الداخلية البيضاء على فوهات الكلاشنكوف كعلامة على التسليم .

« انهم يطاردوننا كما طورد الهنود الحمر في امريكا » قال ابو جمال للاسرائيليين : « اننا هنا نشمر بأمان أكثر من هناك حيث يوجد جيش حسين » . وحملت الاوتوبيسات السياحية التي كتب عليها : زوروا اسرائيل ، الفدائيين المعتقلين الى سجون نابلس . وقد دفع الذعر بعضهم الى ان يبلغ ديان استعداداته للتطوع في الجيش الاسرائيلي .

وكان ذلك انهيار تراجيكوميك لحركة كانت في الماضي اكبر حدث دراماتيكي في أزمة الشرق الاوسط ( نيوزويك ) . فالغدائيون كانوا هم الذين ارادوا ان يعيدوا الى العرب كرامتهم بعد هزيمة حزيران . الا ان تكتيكات حرب العصابات خانتهم . فطبوغرافية الارض كانت غير صالحة لعملياتهم ، وتفوق الجيش الاسرائيلي عليهم كان واضحا . كما ان عدم تعاون السكان في الضفة المحتلة معهم ، وانقسام منظماتهم ، ومقاومة الدول العربية لهم التي وجدت فيهم تهديدا لمصالحها ، كل ذلك أدى الى انهيار المقاومة الفلسطينية .

وتصف المجلة بعد ذلك كيف اصدر الملك حسين أوامره الى بدو بالهجوم على الفدائيين ، فبدأت القنابل تنساقط على مخيم غزة في جرش ، وبعد ذلك اخذت الدبابات والمدفعات تزحف على المدن والقرى التي اعتصم فيها الفدائيون، وفي دين التي يقع فيها مقر الجبهة الشعبية الديمقراطية مزق البدو جسم سفيان ، احد قادة الجبهة . وقال رقيب اردني لاحد الصحافيين : الان سنقتضي على الفدائيين قضاء تاما . وقال الفدائيون الذين فروا الى درعا في سوريا ان الجيش الاردني ينفذ ذلك حرقا ، وردوا كيف ان الجنود البدو دعوا حسين فناديا محاصرا للاستسلام . فما ان خرج هؤلاء وايديهم فوق رؤوسهم ، حتى حصدتهم المدافع الرشاشة . وفي جرش وعجلون ، قال اللاجئون، رمى جنود الملك حوالي خمسين جريحا في حفرة واحالوا فوقها التراب ، فاخفق الجرحى وماتوا .

أوساط الطلاب واليسار بوجه عام، والعداء متبادل  
بينها وبين دير شبيغل .

ان عقدة الذنب هي وراء كل شيء كتبه الصحف  
الالمانية عن الصراع العربي الاسرائيلي، فلان الالمان  
في عهد الرايخ الثالث اضطهدوا اليهود وساقوهم  
الى معسكرات الاعتقال وقاعات الغاز ، فراحه  
الضمر والرغبة في كسب احترام الشعوب الغربية  
الاخرى التي عانت في السابق من نظريات التفوق  
العنصري الآري، تطلبت منهم اتخاذ موقف معاد من  
العرب . ولذا لم يكن من المستغرب مثلا ان يعمد  
اكسل شبرنغر ، قيصر الصحافة في المانيا الغربية،  
الى تهنته نفسه ومؤسسته الاعلامية الضخمة بعد  
حرب حزيران ، لان صحفه بدت اثناء هذه الحرب  
وكانها صحف اسرائيلية كتبت بالالمانية .

وبالاضافة الى عقدة الذنب ، فهناك ردة الفعل  
الحتمية على السنتمنتالية السابقة التي كانت  
تسود العلاقات الالمانية العربية ، فالعرب احد  
الشعوب الغلالل التي لم تتورط في حرب فعلية  
ضد الالمان ، مما اسبغ على « الصداقة » بين  
الشعبين صبغة تاريخية . كما ان القاسم المشترك  
الاكظم بين الشعبين كان خلال العقود الاخيرة من  
الزمان هو الصراع مع اليهود . فمع ان الصراع  
العربي الاسرائيلي هو صراع سياسي لا دخل  
للعنصرية فيه ، الا ان الالمان اليوم لم يشأ ان  
يضع هذا الصراع في اطاره الحقيقي ، بل  
عزى اليه الطابع العنصري الذي كان يسود علاقته  
هو مع اليهود قبل واثناء الحرب العالمية  
الاخيرة .

ان القوانين التي شرعتها حكومة بون ضد معاداة  
السامية هي شديدة الصرامة ، ولما كان من  
مصلحة الصهيونية ان تدخل في خيانة الثاليب  
والتحريض على اليهود كسل انتقاد لاسرائيل ،  
فليست هناك شخصيات المانية كثيرة على استعداد  
لان تفقد مراكزها ومستقبلها ككهن لانصاف العرب.  
اضف الى ذلك ان عددا كبيرا من رؤساء التحرير  
والمعلمين والكتاب هم ذوو ماض نازي يهيمهم ان  
يسدلوا الستار عليه عن طريق التعاطف مع  
اسرائيل ، فان سفارتها في بون هي بمثابة ديوان  
المنذوب السامي الذي منه تخرج التوجيهات الى  
الصحف وحتى الى الحكومة الالمانية احيانا . وقد  
شكر السفير آشر بن ناتان الصحف الالمانية بعد  
حرب حزيران على تغطيتها للاحداث ، كما اغتنمها

واعلن حسين ؛ هذه هي النهاية ، لم تبق هناك  
مشكلة فداثيين . ثم اعلن نهاية اتفاق القاهرة  
الذي وقعت عليه احدى عشر دولة عربية ، وجعل  
النطاق باسمه يقول انه لن يكون هناك اتفاق اخر.  
ثم تحدثت المجلة عن ردود الفعل عند العرب ،  
فقال انها ظلت في حدود الكلمات ، ولم يتحرك  
جندي عربي واحد لنجدة الفلسطينيين . وقال  
ضابط في هيئة الاركان الاردنية : لا احد يريد  
هؤلاء اللقطاء ..

بالرغم من موقف دير شبيغل الذي كان عموما  
معاديا للعرب، وللفلسطينيين، فلا شك ان تغطيتها  
لمحنة المقاومة في الأردن كانت اكثر امانة حتى من  
الصحف العربية التي تدعي انها مؤيدة للمقاومة .  
فقبل تموز الماضي ، وعندما هجم الجيش الاردني  
على جرش في مطلع ١٩٧١ ، نشرت دير شبيغل  
رواية لشاهدة عيان ، هي ممرضة المانية تعمل في  
مخيم اللاجئين في جرش ، روت كيف قتل الاهالي  
ممرضا فلسطينيا مجرد انه فلسطيني ، وكيف حصد  
الجيش الاردني بمعاونة الكثيرين من الاهالي البقية  
الباقية من الفداثيين في المدينة ، وكيف نهب الجنود  
الببدو الدكاكين بحثا عن الملابس الداخلية النسائية،  
وكيف اعدم الجيش بعض الاردنيين بتهمة التعاون مع  
الفلسطينيين ، « هذا الشعب السيء الرديء » ،  
كما وصفه ضابط اردني للممرضة التي كانت ترتعش  
خوفا من جراء المجزرة التي شهدتها والتي كادت  
هي أيضا تذهب ضحية لها ، لعلاقتها بالفلسطينيين .  
هذه الممرضة جاءت بعد ذلك الى بيروت ، فلم  
يتصل بها صحفاني عربي واحد .

كونكريت ( هامبورغ ) : مجلة شهرية كانت أصلا  
مجلة طلابية ، ثم أصبحت بعد ذلك مجلة عامة .  
بسنارية ماركسية . رئيسة تحريرها السابقة  
هاربة من وجه البوليس الالمانى بعد ان اتهمت  
بتزعم منظمة فوضوية تستهدف قلب نظام الحكم  
في المانيا بالقوة . وكتبت شبيغل انها هربت الى  
لبنان ومن هناك هربها رجال المقاومة الفلسطينية  
الى سوريا . كونكريت تكاد تكون المجلة الوحيدة،  
اذا استثنينا ناسيونال تزايتونغ ( الصحيفة  
النازية ) التي تؤيد حركة المقاومة . وكانت من اول  
المجلات التي فضحت الكيان العنصري لاسرائيل ،  
ف نشرت تصريحات رجال منظمة ماتزين اليسارية ،  
كما ان مراسليها كتبوا عن القضية الفلسطينية  
بعمق وتعلم . تتمتع هذه المجلة بمركز قوي بين

محموما في القرآن والحديث النبوي والتسرايث  
الاسلامي عن آية او عبارة ليفسر بها على هواه  
خصلة في خلق العربي تبدو له سيئة ، او اجراء  
سياسيا اتخذته حكومة عربية ولم يصادف قبول  
الغرب . واصبحت الصحيفة الالمانية تستعين  
بأستاذ اللاهوت او التاريخ في احدى الجامعات  
ليفسر لقرائها حركة المقاومة الفلسطينية من خلال  
الاطار الديني التقليدي للمسلمين .

ويذكرنا هذا الموقف بنادرة من نوادر الهرم كوينر  
التي ألفها الشاعر والدرامي الالماني بيرت بريخت،  
ليفسر بها فلسفته في الحياة ، باعتبار ان كوينر  
يرمز له . يسأل احدهم الهرم كوينر : ماذا تفعل  
عندما تحب شخصا ؟ فيجيب كوينر : اني اعلم  
رسما له واحرص على ان يشبهه . فيعود الاول  
ليسأل : من تعني ؟ الرسم ؟ فيرد الهرم كوينر :  
لا ، الشخص . ان العنوان الذي وضعه بريخت  
لهذه النادرة القصيرة الحكيمة هو : عندما يحب  
الهرم كوينر . فاذا قلنا هذا العنوان الى : عندما  
تكره الصحافة الالمانية ، لوجدنا ان هذه الصحافة  
كانت حريصة دائما على ان يكون الشعب العربي  
شبيها بالصورة التي رسمتها له ، وليس العكس ،  
ثم يجب الا تغرب عن باننا حقيقة بسيطة ، وهي  
ان عدم وقوع ارض عربية تحت السيطرة الالمانية  
في التاريخ الحديث ، جعلت البلاد العربية غريبة عن  
الالمان . فالصحف الالمانية لم تكن يوما ذات الملم  
واحاطة بالمنطقة بنفس درجة الصحف البريطانية او  
الفرنسية ، او حتى الامريكية . فالي آخر يوم من  
حياة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود ، كانت  
الصحف الالمانية تطلق عليه اسم ابن سعود ، مع  
ان ذلك هو لقب ابيه ، وهذا هو مجرد خطأ من  
اخطاء لا تحصى تقع فيها الصحف الالمانية عند  
التحدث عن العرب .

في البداية استقبلت الصحف الالمانية بروز حركة  
المقاومة الفلسطينية بعد حرب حزيران ، بعاصنة  
من التحكم والتشنيع . ولما كان الالماني هو بصورة  
عامة ، عكس الفرنسي او الانكليزي ، بطيء  
البديهة ، وثقيل الروح ، وسخريته تفتقر الى  
الخفة والرشاقة التي تجعل من السخرية في ارتي  
صورها فنا رفيعا يستدر في بعض الاحيان حتى

\* في الادب الالماني الكلاسيكي كله لا توجد اكثر  
من حفنة مسرحيات كوميدية .

فرصة سانحة لينهال على المانيا الديمقراطية ،  
حكومة وصحافة ، بالتقريع والتجريح لانها جرؤت  
على مهاجمة الحكومة الاسرائيلية . وتناسى السنير  
ان النازيين القدامى يجلسون على مقاعد الحكم  
في المانيا الغربية وليس في الشرقية ، وان العقاب  
على معاداة السابية هو لا اقل منه صرامة في برلين  
الشرقية مما هو في بون .

ما هو موقف الشعب الالماني من اليهود ؟ انسه  
عموما يكرههم ، ليس فقط لان هتلر علمه ذلك ،  
ولكن لانه لا زال يذكر ( ولو أنه لا يوجد من يجرو  
على كتابة ذلك ) سيول اليهود المهاجرين الذين  
تدفقوا من بولونيا وشيكوسلوفاكيا وروسيا ودول  
البلطيق على بلاده في اعقاب الحرب العالمية  
الاولى ، عندما استغل الالاف من هؤلاء المهاجرين  
المعدمين انهيار المانيا الاقتصادي ليكونوا الثروات  
السريعة في السوق السوداء قبل هجرتهم النهائية  
الى الولايات المتحدة وكندا . ان حرب حزيران  
لم تنس الالمان كراهيتهم التقليدية لليهود ، ولكن  
الانتصار الاسرائيلي أدى الى مزج هذه الكراهية  
بالاحترام والتقدير . فالاداء العسكري الجيد لقوم  
لم تعرف فيهم الروح العسكرية من قبل ، انتزع  
الاعجاب من الشعب الالماني العريق في العسكرية ،  
والحرم من التباهي بامجاده الحربية بأمر من  
الطفاء . ولذا كانت الصحف الالمانية اول من  
عمد موشي ديان ثعلبا جديدا للصحراء وخليفة  
جديرا للمارشال رومل .

أما بالنسبة للطرف المقلوب والمظلوم ، فطبول  
الحرب المقدسة التي طالما اخافت اوربا في القرون  
الوسطى ، وظل صداها يقرع في عقل الأوربي  
الباطن ، هذه الطبول ثلاثى وقعها وسط موجة  
الضحك والاستهزاء التي وجدت في العرب هدفا  
لها اثر هزيمتهم . ان العرب والمسلمين هما لفظان  
مترادفان بالنسبة للأوربي ، ويقدر ما يتعلق الامر  
به ، فان حرب حزيران لم تكن مجرد محاولة عربية  
مشروعة لتحرير ارض مغتصبة ، او على الأقل لصد  
عدوان سافر ، وانما كانت اندحارا منكرا لآخر  
حملة جهاد غير مقدس شنه الاسلام على الحضارة  
الغربية كما هي متمثلة في اسرائيل ، تلك القاعدة  
الامامية للديمقراطية والحرية ! والبارادوكس هنا  
هو ان الغرب الذي كثيرا ما اتهم العرب والشرقيين  
عامة بالاغراق في الغيبيات ، وبالتمصّب الديني  
والطائفي ، هذا الغرب هو الذي يبحث اليوم



اجاب من كان ضحية له ، فالسخرية الالمانية  
البعيدة عن الظرف بقيت في احسن تقدير مجرد  
محاولة باردة موججة للفتك والتندر .  
الا ان المقاومة الفلسطينية بتصاعدها ونموها  
السرير بعد حرب حزيران اجبرت الكثيرين من  
المثقفين والحريرين والمراسلين على ابتلاع سخريتهم  
الاولى . وحتى في ايلول ١٩٧٠ ، عندما هبت على  
العرب اعنف عاصفة من الهيجان الدولي منذ حرب  
حزيران ، لم يبق ثمة شك في ان المقاومة  
الفلسطينية قد اثبتت وجودها باعتراف الجميع .  
ولكن عندما بدأ الخط البياني للمقاومة يميل الى  
الانحدار اثر الجازر في الاردن ، اخذت الصحف  
تكتب عن انحسار الموجة بلهجة من يقول : الم  
اقل لكم منذ البداية ان هذا هو مصير الحركة  
الحدوم في النهاية ؟

### المقاومة الفلسطينية في الصحف الامريكية

في العدد الصادر في ١٩/١/١٩٦٥ من النيويورك  
تايمز ظهر الخبر القصير التالي بعنوان: قوة عربية  
تعلن عن هجوم في اسرائيل — خاص بالنيويورك  
تايمز — بيروت — ١٨ كانون الثاني : « ادعت  
منظمة عربية سرية مقاتلة ظهرت مؤخرا انها قتلت  
١٢ اسرائيليا وجرحت ٩ . وقد أعلنت « القيادة  
العامة لقوات العاصفة الفلسطينية » انها اوقعت  
الاصابات بواسطة « المجموعة الرابعة من جناحنا  
الثالث » في اصطدام وقع « شمالي غربي بين  
حزيرين » . وقالت الجريدة « ان عربيين جرحا ووقع  
واحد في أيدي الاسرائيليين . وبين جبرين هي  
مستوطنة اسرائيلية لا تظهر على الخرائط المتوفرة  
عنا ، لكن يعتقد انها قريبة من عكا . هذا كان  
البلاغ الصادر عن هذه المنظمة التي لا يعرف عنها  
الكثير . ولما كانت اكثر التعليقات تأييدا لها قد  
نشرت في مجلة الاحرار الناطقة بلسان حزب البعث ،  
كنا يظهر ان اكثر عملياتها تدور في شمال اسرائيل ،  
مهذا يشير الى ان تواعد المغيرين هي في سوريا .  
والانطباع هنا هو انها منظمة للفلسطينيين تنال  
تأييد وبمساندة الحكومة السورية ، ولكنها ليست  
بالضرورة مرتبطة بحزب البعث » .

وفي العدد الصادر في ٢٠/١/١٩٦٥ نشرت نفس  
الصحيفة خبرا قصيرا بعنوان : اسرائيل تنفي قيام  
قوة عربية بغارة او بقتلها اثني عشر شخصا —  
الأم المتحدة — نيويورك ١٩ كانون الثاني: وصف

متحدث اسرائيلي على أنها « هراء » تلك التقارير  
الصحفية من لبنان التي تقول ان قوة عربية قد  
قامت بغارة على اسرائيل وقتلت ١٢ اسرائيليا .  
وقال عضو الوفد انه لم تدخل اسرائيل اية مجموعة  
مغيرة ، وان موقع الهجوم المزعوم « لا وجود  
له » . وكانت التقارير قد أشارت بأن الحادث وقع  
قرب بن جبرين .

وقال الناطق الاسرائيلي ان متسللا عربيا قد  
اعتقل اثر عبوره الحدود من سوريا وأنه قد حدثت  
محاولات عبور عربية اخرى للحدود كانت فاشلة  
وتصدت لها قوات الامن الاسرائيلية . وقال الناطق:  
لم تكن هناك غارة . ولم تكن هناك اصابات ولا  
وجود لهذا المكان ( بن جبرين ) .

وهكذا حاولت اسرائيل في البداية ان تخفق فتح  
اعلاميا وتسدل ستارا كثيفا من التجاهل على  
عملياتها ، فهذا اسلوب طالما حقق النتائج الطيبة  
لها في الماضي ، الا ان اكدوية اسرائيل انفضحت  
بعد خمسة اشهر من نفي ناطقتها للغارة والاصابات  
والموقع . فبعنوان « جنود العاصفة » نشرت مجلة  
تايم بتاريخ ١٨/٦/١٩٦٥ مقالا في عمودين عن  
فتح بمناسبة محاكمة الاسرائيليين لاحد فدائييها :  
محمود حجازي ، الذي نشرت المجلة صورته .  
فذكرت تايم ان حجازي هو أول رجل من العاصفة  
يقع بيد الاسرائيليين ، وان العاصفة هي الفراع  
المسكري لجباة تدعى فتح وتزعم انها قامت  
بثلاث عشرة غارة على اسرائيل منذ بداية العام  
( ١٩٦٥ ) الا ان جمية تايم من المعلومات الصحيحة  
تفرغ بعد هذه المقدمة ، فتذكر ان احد قادة فتح  
الكبار هو الحاج امين الحسيني مفتي القدس  
الاكبر سابقا . واسم الحاج الحسيني قد ارتبط  
في اذهان الكثير من الغربيين بهتلر وبالنازية وذلك  
من جراء الدعاية الصهيونية التي تركت عليه  
منذ الحرب العالمية الثانية . ولذلك قد يكون ذكر  
اسمه هو خطأ مقصود من جانب المجلة . الا ان  
تايم كانت مصيبة على كل حال عندما كتبت تقول  
انه عكس منظمة التحرير التي ولدت قبل سنة  
بمساندة جمال عبد الناصر ، وبالرغم من صلة  
العاصفة الوثيقة بها ، فان هذه المنظمة الاخيرة لا  
تقبل الاوامر من الحكومات العربية ، كما ان قادة  
العاصفة يزدرون تحذير ناصر الاخير الى العالم  
العربي بوجود عدم توريط نفسه في حرب سابقة  
لاوانها مع اسرائيل . وقد قال رجل مقرب من

العاصفة ! أن تحرير فلسطين هو عائد للفلسطينيين وليس لناصر ، فان سبعة عشر عاما من الكلام لم تؤد بنا الى نتيجة ، ولذا فنستصرف دون الالتفات الى ما يريده ناصر .

وفي هجماتها على الاراضي الاسرائيلية تعهدت العاصفة على تأييد منظمة سرية هي الارض ، اعضاؤها هم من بين الربع مليون فلسطيني عربي في اسرائيل . ان الاعضاء في الارض يعملون كادلاء لمغربي العاصفة ، ويزودوهم بالاستخبارات العسكرية ويخبلونهم . ومع ان رجال العاصفة هم قلة ، الا انهم قد ينجحون في اغراق العالم العربي في حرب ستكون على الأرجح كارثة له . وموشي ديان هو احد الذين يطالبون الأمة بالقيام بهجوم رادع على الاقطار العربية ، لاغتنام فرصة انقسامها فيما بينها ووجود خمسين الف جندي مصري في اليمن .

وقبل مقال التاييم هذا ، كانت النيويورك تايمز قد ذكرت في ١٦٦٥/٥/٢٩ ان الاستخبارات الاسرائيلية قد اعلنت ان فتح تأسست منذ ستة أشهر . اي ان الاستخبارات الاسرائيلية لم تتطوع بهذه المعلومات الا بعد غارتها « الانتقامية » على الشونة وجنين وقليلية ، وعندما احتاجت الى نشر هذه المعلومات كتبرير لهجومها وهذا يجرنا الى ظاهرة غريبة حقا ، هي تصديق الصحف الغربية للادعاءات الاسرائيلية وكأنها استنتاجات فريق محايد لا دخل له في النزاع العربي الاسرائيلي . مثلا كتبت تايم عام ١٩٦٩ ، اي في اوج المقاومة الفلسطينية ، تتحدث عن المبالغات الكبيرة في البلاغات العسكرية العربية ، النظامية والفدائية ، ولكنها عندما أنت للتحديث عن البلاغات الاسرائيلية ، قالت انها دائما متناهية الدقة وذلك لاصرار الشعب الاسرائيلي على معرفة خسائره بالضبط . هذا التحليل الركيك للدوافع الاسرائيلية يمكن وصفه بأنه من صميم تقاليد الصحافة الغربية حينما تكتب عن اسرائيل . ويمكن تعريف هذه التقاليد بأنها موقف يحرص على تصوير نفسية الاسرائيليين تصويرا مخالفا للواقع تماما ، وذلك عن طريق اسباغ هالة مستعارة من الحضارة الغربية على القوم الذين يحملون مبادئ التكنولوجيا بيد ، والسوح الذي كتبت عليه الوصايا العشر باليد الأخرى . فمن جهة ينظر الغرب الى الاسرائيليين على أنهم شعب له تاريخ سحيق ، وعده الرب بأرض معينة

هي فلسطين ، ومن جهة أخرى فالاسرائيليون هم بالنسبة للغرب اناس بلغوا درجة عالية من الرقي . والخطأ الكبير في النظرة الغربية ، انها لا ترى الصورتين في مونتاج يجمع بينهما : صورة موسى على جبل سيناء يعتقد ميثاق الشعب المخترع مع يهوه ، وصورة موشي ديان يخطط لحروب تلعب بها أحدث الاجهزة الاليكترونية المعقدة اهم الادوار . ان الغرب لا يجرؤ على الاعتراف بحقيقة بديهيته جدا ، وهي انه لا يوجد فرد آخر في العالم تضارب بداخله الغيبية الموحشة مع العقلانية العصرية بهذا النسيج الغريب من الـ Point Counterpoint كالصهيوني . وهذا يعود بنا الى ادعاء تايم بأن البلاغات العسكرية الاسرائيلية هي دقيقة وصادقة وذلك لاصرار الشعب الاسرائيلي على معرفة الحقائق ( أي عكس العربي ) . لا شك ان مجتمعا صغيرا شديد التمثل كالمجتمع الاسرائيلي لا يستطيع ان يكتم خسائره الحربية عن نفسه حتى لو شاء . الا ان تقليل اسرائيل لخسائرها الحربية ( وقد ثبت وسجل ان اسرائيل فعلا تنقل من خسائرها ، وهناك شهود على ذلك اكثر ثقة من مجلة تايم ) لا يعود الى رغبتها في كتم الحقائق عن شعبها بقدر ما يعود الى خوفها من الوقوع ضحية لشبارة العدو . فاسرائيل لا تريد ان تكون موضع شماتة ، فأولا هذه الشماتة ستؤدي الى رفع معنوية العدو ، وثانيا الخوف من الشماتة هو خصلة في التركيب النفسي للاسرائيلي تبدو واضحة لكل من درس العهد القديم . ولكن عندما تحاول مجلة تايم ان تستقصي الدوافع الاسرائيلية ، فدليلها عند ذلك هو العقلانية الاسرائيلية الحديثة وليس العقلية التوراتية الغارقة في الغيبيات . ان العقل الغربي يتظاهر لنفسه بأنه لا يوجد غرابة البتة في استناد الصهاينة على كتب دينية عتيقة ووعود الهية مزعومة لاثبات احقيتهم بفلسطين ، بل انه يسير خطوة أبعد من ذلك عندما يسبل رداء العقلانية على جميع التصرفات الاسرائيلية الأخرى ، مع انها وليدة نفس العقد الاسطورية الموفلة في القدم .

ان التجاهل الغربي تضارب في الشخصية الصهيونية : دكتور جيكل المثقف المعاصر ومستر هايد الخارج من فجر التاريخ ، هو الذي سيفسح المجال يوما ما لاسرائيل ان ترمي القنابل الذرية على المدن العربية ثم تبرر عملها باقتباس مناسب من التوراة . ولا بد من الذكر هنا ان سيطرة

الصهيونية على وسائل الاعلام في العالم الغربي  
وتهمه مهادية السامية التي هي سيف ديموقليس  
المسلط فوق رأس كل باحث لا يتقبل وجهة النظر  
الصهيونية على علاقتها ، قد اوجدت الوضع الذي  
نحن بصدد بحثه الان ، والذي يمكن تلخيصه بأنه  
تجاهل وسائل الاعلام الغربية لوجهة النظر العربية ،  
او تشويهها .

وقد حاول الغرب ان يبرر لنفسه هذا التحيز  
الصريح ، فاقنع نفسه بان الصهيوني هو غربي  
بنظره ، ابيض اللون ، ويعتقد ديناً قريبا من دينه ،  
وارث لنفس التراث الحضاري . وعندما توصل  
الى هذا الاستنتاج ، لم يبق أمامه ما يفعله الا  
ان يحلل النفسية العربية على ضوء دراسته  
الشحلة للدين الاسلامي مع حقن الصورة بجو الف  
ليلة وليلة والعودة الى صلاح الدين الايوبي وبقية  
الكليشيات الاخرى الجاهزة للاستعمال على  
الدوام . أما بقدر ما يتعلق الامر بتحليل النفسية  
الصهيونية ، فالمحاولة الوحيدة كانت تلك التي قام  
بها ، عرضيا وباختصار ، الجنرال ديفول في مؤتمره  
الصحفي الشهير في أعقاب الهجوم الاسرائيلي على  
مطار بيروت . الا ان الحملة الشعواء التي تعرض  
لها الزعيم الفرنسي كانت كافية لتجعل منها المحاولة  
الاخيرة .

ان التحيز ضد العرب هو الاتجاه العام في صحف  
الغرب وعلى رأسها الصحف الامريكية . الويل  
لن تعاديه الصحف الامريكية ، قال الفرنسي  
توكفيل في دراسته الشهيرة عن الديمقراطية في  
امريكا ( ١٨٣٥ ) . لقد مرت مئة وخمسون سنة  
على هذا القول ، وفي خلال هذا الزمن تضاعفت  
توة واهمية الصحافة الامريكية عشرات المرات ،  
لما أصبحت الولايات المتحدة دولة عظمى تتحكم في  
مصائر العالم وتقف وراء اسرائيل في دور حليفها  
الاول وضامن بقائها . وفي أية دراسة لموقف  
الصحف الامريكية تجاه المقاومة الفلسطينية ، يجب  
اولا الاقرار بأنه في مجال التغطية اليومية للاحداث  
فان احسن الصحف الامريكية ، مثل النيويورك  
تايمز والكريستيان ساينس مونيتور ، هي احسن  
صحف العالم في هذا المضمار . فاذا اغفلنا النظر  
عن تطبيق رئاسة التحرير في الصحف الامريكية ،  
الذي يكاد يكون بسلا استثناء مناوئاً للعرب ،  
فالمراسلون الامريكيون يتفوقون في الدقة والموضوعية  
على زملائهم البريطانيين والالمان . وقد يكون هذا

عائد الى حد ما الى عدم وجود ائتراء حزبي او  
عقائدي قوي عند الصحف الامريكية . فمراسل  
الدبلي تيليفراف البريطاني مثلا لا يمكن الا ان  
يتحامل على العرب ، لان هذا هو الموقف المتوقع  
من صحيفة محافظة تكسره اليسار والحركات  
التحررية . وكذلك الامر بالنسبة لمراسل النيو  
ستيتسن اليسارية بحكم تحالف هذه المجلة مع  
الحركة الصهيونية منذ الثلاثينات ، باعتبار ان كل  
من المجلة والحركة الصهيونية تعتنقان الماركسية .  
اما النيويورك تايمز او الكريستيان ساينس مونيتور  
او الانترناشنل هيرالد تريبيون ، فهي حرة من هذا  
الائتراء الحزبي . ومع ان النيويورك تايمز  
والانترناشنل هيرالد تريبيون واقعتان تحت النفوذ  
الصهيوني ، الا ان هذا النفوذ يظهر في تطبيق  
الصحيفة وليس عادة في صفحات الاخبار . اما  
مراسل الدبلي تيليفراف مثلا فهو يحرص على  
ان يبين موقف صحيفته حتى في الخبر المباشر .  
فاذا نشرت هذه الصحيفة صورة جندي مصري اسره  
الاسرائيليون ، فانها لا تكتب : جندي مصري اسره  
الاسرائيليون ، وانما : جندي مصري اسره  
الاسرائيليون يجلس بذلة . هذا لا يظهر في اسلوب  
الصحف الامريكية الجدية ، وان كان ذلك لا يعني  
عدم وجود المراسلين الامريكيين الذين يصرون على  
تشويه الحقائق . ومن هؤلاء مراسل الانترناشنل  
هيرالد تريبيون في القدس المحتلة: ريشارد شيزنوف .  
فهذا المراسل كتب عن الفدائيين في ١٩٦٥/٥/٣١  
فتحدث عنهم بازدراء ، وقال ان اسرائيل تريد  
القضاء على الحركة وهي ما زالت في المهد ، ثم  
ذكر ان فتح هي منظمة صغيرة جدا ، لا يتجاوز  
عدد افرادها بضع عشرات ، وهم جميعا من  
المرتزقة .

على كل حال ، واصلت الصحف الامريكية تغطية  
انباء فتح بانتظام ، وظلت النيويورك تايمز تعمل  
طبقا لشعارها الشهير : نشر جميع الانباء التي  
تستحق النشر . ويمكن القول ان تغطية هذه  
الصحيفة لانباء العالم لا تضاهيها من حيث الكثافة  
او الدقة صحيفة اخرى في العالم . اما تايمز ،  
أكبر مجلة اخبارية اسبوعية في العالم ، فظلت  
حسب عاداتها بعيدة عن الدقة والموضوعية  
والتجرد . فقد كتبت في ١٩٦٥/٦/١٤ تتحدث من  
فتح ، فقالت ان الغام هذه المنظمة لا تنجز ،  
وتدريب رجالها سيء ، ومخططيها لا يتمتعون

بالكنائة المطلوبة . وهذا كله كان متوقعا من مجلة تايم التي نادرا ما تنصف العرب .

ولم تكن تغطية منافستها نيوزويك بأفضل . الا ان مراسلها ريشارد شيزنوف ( الذي هو ايضا مراسل الانترناشنل هيرالد تريبيون ) اضطر في تقرير منشور في ١٥/٨/١٩٦٦ الى الاعتراف بارتفاع فعالية فتح ، كما نقل نص حديث اجراه مع اسرائيلي فقد ساقه نتيجة لمرور جراره فوق لغم . قال الاسرائيلي : ان هذا الوضع بدأ يضايقنا كثيرا ، فاننا الان نتعامل مع شيء مجهول : حرب العصابات . في هذه الحرب تذهب للثوم ، ولكلك لا تعلم اذا كنت ستبقى . لقد علمنا اولادنا عدم التجول في الحقول .

وفي نهاية عام ١٩٦٦ كانت التغطية الصحفية لعمليات فتح قد أخذت تصبح مستفيضة من جراء تزايد الهجمات الاسرائيلية الانتقامية على الاردن ، وهي العمليات التي اضطرت اسرائيل الى رفع ستار التجاهل عن نشاط المقاومة . وكتبت التايم في عددها الصادر في ٢٥/١١/١٩٦٦ عن الغارة التي قام بها الفدائيون في القدس الجديدة على بعد ميل واحد فقط من دار رئيس الوزراء ليغمي ايشكول . وكانت هذه الغارة هي الجبر بالنسبة لتايم لان يشن الاسرائيليون غارتهم المعروفة على قرية السموع . ولما كان بعض محرري تايم من الروائيين الفاشلين ، فهذا هو نوع النثر الذي تفضلوا به على قرائهم : « جاءت ضربة الرد الاسرائيلي كالغضب الابيض الحار لشمس الصحراء نفسها ، وكان هذا الهجوم الانتقامي هو اكبر واجراً واكثر دموية من أي هجوم آخر منذ حملة السويس قبل عشرة اعوام . » كل هذه اللغة التوراتية الدراماتيكية لوصف هجوم كان يقف في مواجهته ( او على الاغلب لا يقف ) جيش بمقدرة الجيش الاردني !!

ولكن بغض النظر عن تايم ونيوزويك ، فتغطية الصحف اليومية الامريكية للاحداث كانت جيدة ، ومنها تغطية مراسل الانترناشنل هيرالد تريبيون : جو اليكس موريس ( وهو مراسل قديم في البلاد العربية ) لمحنة الكرامة ، حيث قال ان الدلائل تشير الى ان اسرائيل ارتكبت خطأ استراتيجيا جسيما ( ٢٣/٣/١٩٦٨ ) . وفي الانترناشنل هيرالد تريبيون كتب جيمس فيرون في ١/٤/١٩٦٨ يقول ان المسؤولين المسكرين في القدس كانوا يأملون ان

الجنود الاردنيين النظاميين لن يقاوموا هجوما اسرائيليا على كوماتدو فتح ، كما ان حسين كان قد وعد في شباط ( ١٩٦٨ ) بتطهير بلاده منهم . وحتى نيوزويك اضطرت في ٨/٤/١٩٦٨ الى القول بان الكرامة كانت نصرا اسرائيليا ولكن بشن مرتفع . وبعد اسبوع من ذلك نشرت تقرير مراسلها ميلان كوبيك في عمان ، الذي جاء فيه ان رجال المقاومة هم ابطال العالم العربي ، الا ان فتوح مليونية بالعملاء الاسرائيليين ولها منافسات كثيرات بين المنظمات الاخرى ، وبعض هذه المنظمات لا تعدو ان تكون عصابات سرقة . ولكن جون كولي مراسل الكريستيان ساينس مونيتر ( وهي من اقل الصحف الغربية تحاملا على العرب ) اعترف في ١٩/٦/١٩٦٨ ان بعض اعوان الملك حسين اللذين يعارضون نشاط المقاومة في الاردن اسسوا « منظمات فدائية » كاذبة لجمع الاموال وللتسلل الى داخل المنظمات الحقيقية .

وفي ١٩/٨/١٩٦٨ كتبت نيوزويك تتحدث عن محنة الامن في اسرائيل والاراضي المحتلة بسبب الفدائيين ، فذكرت ان الغارات الانتقامية الاسرائيلية اثبتت فشلها في كسر حدة السلاح الذي هو اقوى الاسلحة فعالية بيد العرب : عنادهم الذي لا يلين . ولم تكتم الصحف الامريكية بأخذ الاحاديث من رجال المقاومة ، ففي ٢٤/٩/١٩٦٨ نشرت النيويورك تايمز مقابلة اجراها مراسلها دانا ادمز سميت ( ايضا احد المراسلين القدامى في البلاد العربية ) مع صلاح ابو زيد ، وزير الاعلام الاردني ، الذي قال للمراسل : ليس هو مدهش حقا ان يظل الملك حسين محافظا على صداقته مع الولايات المتحدة حتى بعد اندحاره في الحرب ؟ ففي الوقت الذي فيه يحذر العرب من الولايات المتحدة ويطالبون بتشكيل معارضة موحدة ضدها ، وقف هذا الملك وقاتل في اجتماعات الزعماء العرب : لقد كنا اصداقها للولايات المتحدة ، ونحن الان اصداقها ، وسنظل دائما اصداقها لاننا نثق ونؤمن بالولايات المتحدة .

وفي ١٣ كانون الاول ١٩٦٨ كانت قصة الغلاف لمجلة تايم هي المقاومة الفلسطينية . وكما هو متوقع ، بدأت المجلة مقالها الطويل بالعبارة التالية : كاذان المؤذن كل مساء ، ينبعث صوت اذاعة المعاصرة من القاهرة في موعده المحدد . ثم استعرضت المجلة بعد ذلك الكليشيهات المعهودة عن الشهداء الذين

رؤساء التحرير الاميركيين . وبعد تشويه التاريخ المعاصر ، لم تجد نيوزويك امامها الا التاريخ القريب لتشويهه . ففي العدد الصادر في ٢٠ كانون الثاني ١٩٦٩ كتبت : « تقول اسرائيل ان الدول العربية هي التي شجعت الفلسطينيين على الهروب ، وفي الواقع ان العرب الذين بقوا في اسرائيل يتذكرون ان القادة العرب العسكريين الحوا عليهم ان يغادروا حيناً ليتكفروا من تصف المدينة . » هل نعلم من هذا ان المدفعية العربية كانت ألى هذه الدرجة من الهجوم الهائل حتى انها اجبرت الفلسطينيين على مغادرة قراهم ومدنهم في مختلف ارجاء فلسطين؟! وتستمر المجلة في استعراض الحجج الصهيونية التقليدية عندما تكتب ان الدول العربية لم تفعل شيئاً للاجئين ، وخاصة مصر التي وضعت ٣٠٠ الف لاجيء في قطاع غزة الضيق ، فباتوا وكأنهم في غيتو .

ويمكن القول انه بالرغم من المنافسة الشديدة بينهما ، فان النيوزويك وتايم مغازين يتشابهان في الموقف تجاه العرب ، وان كانت تايم بحكم كونها مجلة المؤسسة الامريكية القائمة وخاصة الحزب الجمهوري هي الى حد ما تمثل الادارة الامريكية القائمة ، بينما نيوزويك هي حرة من الارتباط بحزب او بحكومة . وكانت مجلة تايم في الخمسينات شديدة العنف في موقفها ضد الاتحاد السوفياتي والكتلة الاشتراكية واليسار بشكل عام ، كما كانت ضد الميل الى عدم الانحياز السائد في دول العالم الثالث . وهذا الموقف جعلها الناطقة بلسان جون فوستر داليس ، وزير خارجية ايزنهاور الذي كان صديقاً لهنري لوس صاحب تايم ومؤسسها ، وهو رجل شديد التحمس للحزب الجمهوري المحافظ وللدور الذي رسمه داليس لامريكا : دور رجل البوليس الاول في العالم .

وبعد موت لوس في وقت مبكر من عام ١٩٦٧ ، تحولت المجلة من عدائها السابق للعرب لانهم ضد الانحياز الى الغرب ، الى معادتهم بسبب رفضهم لاسرائيل . والبارادوكس هنا هو ان المجلة التي تخلت عن اسلوب الحرب الباردة وباتت معتدلة في لهجتها تجاه الاتحاد السوفياتي والكتلة الشرقية، بل وحتى انتقدت الوجود الامريكي العسكري في الهند الصينية ، هذه المجلة صبغت نفسها بصيغة صهيونية اصيلة حتى انها احتفلت بالنصر الاسرائيلي في حزيران ١٩٦٧ وكأنه نصر امريكي .

بالون التبجيل الذي هو من حق الانبياء والرحلة البائسة الى الجنة الخ.. الخ..»  
وفي كثير من الاحيان تنقد المجلات الاخبارية الامريكية بما يسمى في الانكليزية Sense of Proportion  
بمعنى ١٣ - ١ - ١٩٦٩ كتبت نيوزويك تتحدث عن الغارة الاسرائيلية على مطار بيروت فوصفتها بأنها من اجراً وأدق الغارات في تاريخ جيش يتخصص في الجرة والدقة . وفي هذا العدد ايضا كتب مراسل نيوزويك في اسرائيل ، مايكل الكينز ( صهيوني ) ما وصفه بأنه نص حديث اجراه مع ندائي معتقل . وقد جرى ذكر جمال حافظ في الحديث ، فوصفه الكينز بأنه ضابط مصري قتل في ١٩٥٥ وهو يقود مجموعة ارامية داخل اسرائيل ، بينما الواقع ان هذا الضابط المصري اسلم في مكتبه بفضه طردا يحتوي على مواد متفجرة اودت بحياته . الا ان قتل ضابط وهو يقود عملية فدائية يسبغ على الاسرائيليين بطولة تفوق بطولة ارسال الطرود المفعمة الى اناس جالسين في مكاتبهم . ويكتب الكينز : وقد سألت الشاب ( الفدائي المعتقل ) بحزن حقيقي : ماذا كنت وزملاؤك تريدون ان تفعلوا عندما تصلوا الى القدس ؟ فأجاب الشاب بصوت خافت : كنا سنفجر البيوت ونقوم بالتخريب . اني اعلم ان القتل غير صحيح ، ولكن رؤسائي قالوا اننا يجب ان نخيف اليهود .

ان الكينز يحاول بهذا الاسلوب المأساوي ( وقد سألت الشاب بحزن حقيقي ) ان يرسم صورة لشباب فلسطينيين سذج اوههم قادتهم الانتهازيون بالانسياق مع تيار العنف ضد اسرائيل ، فوقع هؤلاء المساكين ضحية للطامعين في السلطة من زعماء الفدائيين . وكان الكينز لا يجد اي مبرر شرعي لشباب فلسطيني يلتحق بالمقاومة ليساهم في تحرير القدس مدينته من ربة الاحتلال الصهيوني . العنف خلال على الاسرائيليين وحرام على العرب . خلال على الاسرائيليين ان يحتلوا وحرام على العرب ان يتاوموا . هذا المنطق الموعج لا يبدو غريباً على

﴿ طالما هنت تايم نفسها على ابتعادها عن الكليشيهات . وقيل اعوام نشرت قصة غلاف عن استراليا ، ثم نشرت بغفر في عدد تال رسالة من احد قرائها هناها فيها لانها لم تذكر القنفر ولا مرة واحدة في سياق مقالها عن استراليا .

ومن ذلك الحين والى اليوم ، وثائم مغازين هي من أشد المجالات تطرفا في مناوئتها للعرب وخاصة للمقاومة .

أما جريدة النيويورك تايمز التي استلمت رئاسة تحريرها البريطاني جيمس ريبستن ، بعد ان كان رئيس تحريرها دائما من الاسرة اليهودية التي تمتلكها ، فقد كانت سياستها التحريرية قبل حرب حزيران مضادة للعرب بعنف وعلى طول الخط . ومن الجدير بالذكر ان الاسرة اليهودية التي تمتلك النيويورك تايمز كانت في الاصل مناوئة للصهيونية ، الا ان الحملة الخيفة التي شنها عليها صهاينة نيويورك اجبرتها على الالتحاق بالقطيع ، ولذا فان موقفها تجاه المقاومة هو مناوئ على الدوام ، وان كانت نفسح المجال لمراسليها للكتابة بحرية .

هذه الحرية غير متوفرة لمراسل القايم ، لان تقاريره دائما تطبخ في مكتب تحرير الصحيفة حتى لا تتعارض مع خط المجلة .

### نظرة اجمالية

لو كان موضوع البحث هو الحرب النيبينامية في صحف الغرب ، وحتى الثورة الجزائرية في هذه الصحف ، لكان بالامكان تقديم عرض غني ومتباين ويتضمن شتى الاتجاهات في هذه الصحف . ولكن المقاومة الفلسطينية ، لانها فلسطينية ، وموجهة ضد اسرائيل ، اصبحت في الموقف الفريد الذي جعل منها موضع عداة الجميع تقريبا .

مرت الثورة الفلسطينية المعاصرة بخمس مراحل هي التالية : ١ - فجر المقاومة عام ١٩٦٥ . ٢ - اشتداد المقاومة بعد حرب حزيران . ٣ - الاوج : معركة الكرامة . ٤ - خطف الطائرات . ٥ - مجازر الاردن وانحصار المقاومة .

في اكثر الحالات كانت ردود الفعل تجاه هذه المراحل متساوية في صحف الغرب . فجر الثورة استقبل في البداية بالتجاهل . وبعد ان ساهمت الهجمات الاسرائيلية « الانتقامية » في توجيه الاضواء عليه ، تحول التجاهل الى سخرية وازدراء . وازدادت هذه السخرية بعد ان استمرت الثورة في توجيه ضرباتها الى العدو الاسرائيلي بعد هزيمة العرب المنكرة في الحرب ، اذ كيف مستمكن شرائم هزيلة من تحقيق ما عجزت عنه الجيوش العربية بأحدث الأسلحة ؟ ولكن هذه الإبتسامة الهائجة بدأت تتجدد على وجوه اصحابها بعد معركة

الكرامة ، عندما برز رجال المقاومة كاهم عنصر جديد في الشرق الاوسط بعد حرب حزيران . هنا بدأت الصحف الغربية تكتب عنهم بجديفة متزايدة ، كما ان صحف اليسار الجديد اخذت تكسب الاهداف للثورة الفلسطينية كل يوم . ثم بدأ خطف الطائرات ، فاجتاحت العالم الغربي موجة من الغضب الهستيرى على العرب ، ومع ذلك فقد أقر الكثير من الكتاب بأنه لم يبرز اسم فلسطين شيء كما ابرزته حوادث الخطف هذه ، وانه مع ان هذه الاعمال هي على المدى القصير مضررة بسمة المقاومة ، الا انها على المدى البعيد ستكون ذات نتائج ايجابية بالنسبة للفلسطينيين . واخيرا جاءت مجازر الاردن ، وتنفست صحف الغرب الصعداء . اذ ان المقاومة التي انتزعت اعجابها انتزعا قد وئدت اخيرا على يد العرب انفسهم ، فوفر ذلك على صحف الغرب اي احراج محتمل ، كان تؤدي اعمال المقاومة الى اكتساب المزيد من تقدير الغربيين وثنائهم ، مما من شأنه ان يقود الى اتخاذ موقف معاد لسافر من اسرائيل ، اذ طبعا لا يمكن امتداح المقاومة والاعجاب باسرائيل بنفس الوقت .

يمكن تقسيم الصحف الغربية الى قسمين : القسم الاول هو الذي يؤمن بأن نقطة الانطلاق لجميع الاعتبارات السياسية المتعلقة بالشرق الاوسط هي ان اسرائيل وجدت لتبقى ، وانه في هذه الحالة ليس ثمة خيار في اليد غير تفضيل الاستقرار والامن على العدل والحق . اما المقاومة الفلسطينية فهي تعكير لصفو الامن ولذا جيدا لو تنتهي . هذه هي الصحف الاقل عداة للعرب ، ومنها القايمز اللندنية ، والابزرفر والصنداى تايمز والفائنتشيال تايمز والايكونوميست والسبكتيقر والكريستيان ساينس مونيتير الامريكية وربما الى حد ما ايضا النيويورك تايمز .

أما القسم الثاني فيتكون من الصحف المؤيدة لاسرائيل على طول الخط ، هذه الصحف لن توقف مساندتها للدولة الصهيونية حتى لو وصلت حدودها الى الفرات شرقا والاهرام غربا . بين هذه الصحف : الدبلي تيليغراف والدبلي اكسبريس والصنداى اكسبريس والدبلي ميل والدبلي ميرور والايفنغ ستاندرد والسكوتسن واليوركشير بوست والنيو ستيتسمن والثائم ونيوزويك .

وفي الواقع ان الخط الفاصل بين القسمين ليس

أنهلة عن تأييدها للجنوب ، فبقيت ثابتة على موقفها الى ان اندحر وانتهى الانفصال ، ولم يبط في عزيمتها ان عداها للشمال ادى الى ان يصبح مراسلها فيه اكبر شخصية اجنبية في الولايات المتحدة ، او انه مرارا كاد يتعرض الى الاعتداء عليه ، علاوة على ان الصحف الامريكية ( الويل لن تعاديه ) ظلت تهاجمه طوال سني الحرب ، غير آبهة ببراعته من موقف صحيفته بل وحتى مخالفته اياها في الاتجاه .

اما المثال الاخر فهو اقرب الى عهدنا ، وهو ايضا يكون فصلا من التاريخ المخجل لأكبر صحيفة بريطانية . ففي الثلاثينات انتهت التمايز الى الفئة من البريطانيين التي فضلت ان تسترضي هتلر على حساب تشيكوسلوفاكيا . ومع ان مراسلها الحربي آنذاك ، ليدل هارت ، الخبير العسكري المشهور ، ظل يكرر على رئيس التحرير مغبة هذه السياسة من الناحية العسكرية بحكم منصبه كمستشار الصحيفة في شؤون الحرب ، وحاول ان يبرهن على صواب رأيه بالدراسات التي أعدها للنشر ، الا ان التمايز لم تأبه لاعتراضاته التي دفعته الى تقديم استقالته من أزمته التحريرية ، بل انها رفضت حتى ان تنشر بعض مقالاته لان هذه الكتابات كانت تتعارض مع الخط الذي التزمت به : خط الاسترضاء والميوعة حيال هتلر وموسوليني .

بقي سؤال نهائي هو : لماذا غضبت الصهيونية على مايكل ادمز فاضطهده ولاحتته ، بينما أهملت مهاجمة ديفيد هيرست وغافن يونغ وغيرها من المراسلين المتصنين ؟ والجواب على ذلك ان كتابات ادمز كانت قد اكتسبت صبغة الحجة الصليبية ضد اسرائيل ، فالرجل كان حقا قد اثارته ما رآه في الارض المحتلة من اعمال بربرية قامت بها سلطات الاحتلال ككدمير البيوت ومحو القرى من اساسها ، فأغاضت نبرة الغضب التي لاحت في لهجته انصار اسرائيل ، وكانت النتيجة انه فصل من منصبه وطورد . اما ديفيد هيرست ، فمع انه أنصف المقاومة الفلسطينية ولم يشوه أهدافها ، الا انه في الوقت نفسه ظل في تلك « المساحة » وحافظ على الهدوء في نبرة صوته ، ولم يتعرض لاسرائيل بنوع النقد الذي تخشاه .

ان حادثة مايكل ادمز هي باختصار ، مأساة الصحافة الغربية .

كثيرا جدا ، وليس هناك ما يدل على ان صحف القسم الاول على استعداد لخوض حرب صحفية صليبية ضد اسرائيل فيما لو ابتلعت الاخيرة المزيد من الاراضي العربية ، بينما لم تتردد هذه الصحف في الصراخ بأعلى صوتها عندما اختطف الفدائيون بضع طائرات . ولكن اذا كان الفرق ليس كبيرا بين صحف القسمين في السياسة التحريرية ، فالفرق بين مراسل وآخر يجب الا يستهان بأهميته . وفي السنوات الاخيرة برز صحفيان غربيان لتجردهما من التحيز ولعمق تحليلهما ، هما ديفيد هيرست مراسل الغارديان في البلاد العربية ، وغافن يونغ مراسل اوبزرفر ( ايضا في البلاد العربية ) والتساؤل الذي يطرح نفسه الان : كيف تكون رئاسة تحرير صحيفة ما آخر من يستفيد من تحليلات واستنتاجات مراسلها الخاص ؟ والجواب على ذلك هو ان السير حسب الخط المرسوم مسبقا للصحيفة يفوق في الاهمية التأثيرات الناجمة عن تقارير مراسليها . ان هذا هو ليس مجال الخوض في موارد الصحف الغربية من الاعلانات ، ولا في السلطة التي توجد بيد اصحاب الاسهم او اعضاء مجلس الادارة ممن قد تكون لهم مصالح خاصة تدفعهم الى تأييد اسرائيل ، ولكن لا بأس اذا أردنا امثلة سريعة من تاريخ الصحافة البريطانية لتعزيز الرأي القائل بان المصالح العليا لاية صحيفة هي التي ترسم لها الخط الذي تلتمز به ، وليس تقارير المراسلين ولا الزاخرة والموضوعية .

ثناء الحرب الاهلية الامريكية ( ١٨٦١ - ١٨٦٥ ) كانت اقلية الرأي العام في بريطانيا ، لاسباب اقتصادية ، تؤيد الجنوب الكونفيدرالي في حربه الانفصالية ضد الاتحاد الشمالي الذي كان ابراهام لينكولن يترأسه . وكانت التمايز اللندنية ( آنذاك ليس فقط اهم صحيفة في بريطانيا وانما اكبرها نوزعا ايضا ) تعطف بدورها على الجنوب وتؤيده في سياسته الانفصالية . ومع ان مراسل التمايز في امريكا كان هوارد رسل ، الرجل الذي اشتهر بأنه اول مراسل حربي في التاريخ . وكانت تقاريره الى صحيفته ( وكذلك رسائله الشخصية الى رئيس التحرير ديلين ) تتميز ببيله الواضح الى الجانب الشمالي لتفهمه موقف حكومة لنكولن وتعاطفه مع سياستها ، الا ان التحليلات الصائبة لاشهر مراسل في اسرتها التحريرية لم تزحزح التمايز قيد

## المقاومة الفلسطينية والعمل الاجتماعي

غازي خورشيد

الثورة في العالم الثالث حركة تغيير لواقع مجتمع معين ان في فهمه السياسي او الاجتماعي او الاقتصادي نحو نمط جديد من الممارسة والعلاقات . لا يمكن الفصل بين هذه المفاهيم الثلاثة عبر مرحلة التغيير لانها على علاقة جدلية تتم كل الاخرى وتسير معا في عملية بناء المجتمع الجديد . فان عملية تطوير الفهم السياسي في المجتمع تتطلب بالضرورة وعي العلاقات الاجتماعية والاقتصادية السائدة فيه وما تفرزه هذه العلاقات من سلطات ضمن طبقات المجتمع نفسه حتى يتم توعية الطبقات صاحبة الحق في السلطة على مصالحها . كما ان اي عملية تغيير في الوضع الاجتماعي او الاقتصادي لا ترتبط بفهم سياسي معين يكون جزءا من برنامج متكامل لا يمكن لها ان ترفع من مستوى الجماهير - صاحبة الحق في السلطة - لتتلمس هي قضاياها بل تكون هذه الخطوات بمثابة اصلاحات او خدمات تقدمها الثورة كأى مؤسسة مستقلة تضمن فقط استمرار التنافس منتفعين من حولها .

ان الجماهير بحكم واقع التخلف والتضليل والتجهيل الذي تعيش فيه والمفروض عليها من الطبقات الحاكمة حفاظا على مصالحها وامتيازاتها ، وبرغم تلمسها لهذا الاستغلال وتعبيرها عنه في بعض الاحيان بالاضراب او التظاهر او الاحتجاج تبقى عاجزة عن اتخاذ زمام المبادرة والقيام بالثورة التي تؤدي بالنهاية الى سيطرتها على السلطة . لذا تحتاج الثورة لطليعة تعي الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي للجماهير لتتخذ على مسؤوليتها عملية تنظيمها وتعبئتها . وهكذا فان الثورة بحاجة لثقة الجماهير بها كمعبرة عن مصالحها حتى تتمكن من الاستمرار والوصول الى هدفها الاساسي . كيف يمكن كسب هذه الثقة ؟ او بكلام أدق كيف يمكن للثورة ان تقيم علاقتها بالجماهير ؟

لا شك بان الكفاح المسلح هو اهم المظاهر التي تلتف حولها الجماهير اذ انها ترى فيه بداية التحرر من الواقع الذي تعيش فيه . ان هذا الحس الطبيعي لدى الجماهير هو الذي يدفعها الى الوقوف مع الثورة فتشكل دعما معنويا له على الصعيدين المادي والبشري فهي تقدم كل ما باستطاعتها من العون المادي ، ومن ثم هي المصدر الوحيد لرصد المزيد من الامكانيات والطاقات البشرية للثورة . ولكن هل يقتصر دور الجماهير على هذين المنطلقين فقط رغم اهميتهما كضمان لاستمرارية الثورة ؟ كما لا بد ان نتساءل الى اي مدى يمكن لهذه الجماهير وفي ظل دورها السابق الذكر ان تستمر في تقديم مساعداتها للثورة ؟ ان تصاعد النضال وتطور الثورة يبدأ بتطلب مزيد من التضحيات ومزيد من الدعم والصمود من الجماهير التي تصورت مع انطلاق الثورة ان التحرير عملية شهور ومعارك محدودة وينتهي العدو ويستسلم . ان هذا الشعور الموجود اصلا لدى الجماهير لا تحاول الثورة عبر ذلك النمط من العلاقة ان تزيله بمفهومها الخاص للثورة ولدور الجماهير فيها . وهكذا فان بقاء الجماهير على هذه الحالة يبدأ بتسريب الشك الى نفسها فيها اذا كانت الثورة حقا تستطيع الاستمرار والتحرير ، ويرافقه ايضا تراجع في دعمها المادي والبشري . وهكذا فان عفوية الجماهير تقوم بدعم شامل



الثورة في انطلاقتها ولكنها لا تستطيع فهم تطوراتها ومراحل تصاعدها مما يؤدي الى تراجع سريع في علاقتها بالثورة ، وتدرجيا تأخذ موقف المتفرج من الصراع القائم . كما لا يقتصر دور الجماهير على تقديم الدعم المادي والبشري فقط فهي مطالبة بتحويل كافة نشاطاتها وعملها للثورة . ان الثورة تعني ، وان انطلقت في كفاحها المسلح ضمن اطارات عسكرية ضيقة ، ان هذه المرحلة لا بد منها كمقدمة لحررها الشعبية الطويلة الامد . وهذا ما يفرض عليها مزيدا من العمل لتنظيم الجماهير وتعبئتها حتى تتحول بكافة ممارساتها الى امداد وبناء للثورة ضمن برنامج شامل يعي كل فرد وكل مجموعة دورها في عملية التحرير .

اذا كان الكفاح المسلح يدفع لكسب الجماهير فان العمل الاجتماعي هو مظهر آخر لا يقل اهمية عن سابقه كأداة لكسب الجماهير وتنظيمها . ينحصر العمل الاجتماعي في هدف آني يقتضي رعاية اسر شهداء وأسرى وجرحى الثورة وهدف اساسي يقوم كجزء من برنامج الثورة العام لتغيير العلاقات السائدة في المجتمع . تعاني الجماهير من استغلال واضطهاد النظام الحاكم الذي يسخر كل مؤسساته واجهزته لتفرض علاقات معينة على الجماهير ، ولتكون فقط لخدمة ذلك النظام واستمرارا لتسلطه . ولكن وبما ان الثورة تشكل سلطة ثورية تعبر عن مصالح الجماهير فعليها ان تطرح نمطا جديدا من العلاقات والممارسات عبر المؤسسات التي توجد بها . ان تميز برامج واسلوب عمل مؤسسات الثورة عن اجهزة السلطة الحاكمة ، ولكونها تعبر عن مصالح القطاعات الواسعة من الجماهير ، تأخذ هذه القطاعات بدورها بالالتفاف حول الثورة ومساندتها . ومن ثم يسهل على الثورة عبر هذه الخدمات ان تنظم الجماهير وتعبئها اذ انها تقيم علاقة يومية ودائمة بها مما يساعدها على تفهم مشاكلها وواقعها لتطرح حلولاً لها . كما ينمي تصاعد هذه الخدمات وتلمس الجماهير لفائدتها اعتماد الجماهير لها والانفصال تدريجيا عن مؤسسات السلطة الحاكمة القائمة . ويؤدي هذا التحول ايضا الى شعور الجماهير عمليا بضرورة استمرار الثورة كحمية لمصالحها المكتسبة . ويجب على الثورة ان تعي دائما بان الهدف من هذه المؤسسات ليس فقط الانتاج ، وانما تعويد الجماهير على نمط جديد من ممارسة العمل الجماعي والاعتماد الذاتي في ادارة شؤون حياتها اليومية ولتبدأ بطرح وممارسة مفاهيم جديدة للسلطة والسلطة الذاتية .

ان لكل ثورة ظروفها الذاتية والموضوعية الخاصة التي تولد تجربة معينة . وعندما نقول هذا لا نعني ان تنطلق الثورة على ذاتها بل يجب الانفتاح والاطلاع على تجارب الثورات الاخرى ودراستها والاستفادة من كل تجاربها على شرط ان توجد الثورة تجربتها الخاصة القائمة على ضوء ظروفها وامكانياتها الذاتية والموضوعية وان لا تنقاد وراء التقليد والتبعية العمياء التي وبدون شك تكون ذات نتيجة عكسية على الثورة . وهكذا فحين نريد ان نتكلم عن فهم فصائل الثورة الفلسطينية للعمل الاجتماعي عبر المؤسسات والخدمات التي اقامتها لا بد من الالمام بالظروف الذاتية والموضوعية لهذه الثورة حتى يمكن طرح برنامج عملي يمكن الالتزام به وتنفيذه ويقوم فعلا من الواقع الفلسطيني .

ان توقف التاريخ بالنسبة للمجتمع الفلسطيني بعد عام ١٩٤٨ ، وتشتت الشعب الفلسطيني ضمن مجتمعات عربية اخرى ادى الى ربط علاقات هذه التجمعات الفلسطينية الاجتماعية والاقتصادية بالمجتمعات التي نزلت اليها . ان هذا الوضع قد فرض مزيدا من المسؤوليات على الثورة في نطاق عملها على صعيد العمل الاجتماعي اذ انه يتطلب دراسة واقع الشعب الفلسطيني على ضوء المجتمعات المتواجدة فيها مما يؤدي ايضا الى ضرورة طرح برنامج مختلف لكل تجمع ، فواقع الشعب الفلسطيني في الاردن مثلا يختلف عنه في سوريا . كما فرض هذا الواقع على الثورة الوضع التالي :

ان العمل الاجتماعي للثورة الفلسطينية وسط تجمعات الفلسطينيين في البلدان العربية المختلفة رغم انه يطرح نمطا جديدا من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بينها ، الا انه يجب ان لا يهدف عبر هذا الطرح الى الاخذ على عاتقه توسيع طرحة لهذا المفهوم ليشمّل تغيير العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع المتواجد فيه ككل — أي تغيير طبيعة السلطة الحاكمة باستثناء الضفة الغربية وقطاع غزة — ويعود ذلك الى انه اولا ليست السلطات العربية الحاكمة العدو الرئيسي للثورة ولان عملية طرح من هذا النوع توقع الثورة في تناقضات ثانوية تؤثر كثيرا على نضالها الاساسي ضد العدو الاسرائيلي ، ولان عملية التغيير هذه ، ثانيا ، يجب ان تقوم بها الحركة الوطنية في البلد نفسه . فليس من مهمات الثورة الفلسطينية ان تنوب عن اي حركة تحرر في الوطن العربي فان لكل حركة نضالها ومسؤولياتها ، على ان لا يفهم من هذا ان هناك فصلا ميكانيكيا بين حركة التحرر هذه وحركة التحرر تلك ، فحركات التحرر في العالم العربي على علاقة وثيقة ببعضها بعضا وتدفع كل الاخرى وهي ايضا جزء من حركة التحرر العالمية ضد كافة اشكال الاستعمار والامبريالية .

وعلى هذا الاساس ، كيف فهمت فصائل المقاومة المختلفة قضية العمل الاجتماعي ؟ هذا ما سأحاول ان اقدمه عبر عرض فهم وتجربة ثلاث من فصائل المقاومة لهذا الموضوع .

### حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح »

اعتبرت حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » ان تفجر الثورة قد خلق تحركات جماهيرية بين اوساط الشعب الفلسطيني مما دعا الى خلق مؤسسات لتنظيم العلاقات والمهمات الاجتماعية بين قوى الثورة والجماهير وللإشراف على رعاية وتأمين الاحتياجات المعيشية والخدمات الضرورية لاسر شهداء وأسرى وجرحى الثورة . كما رأت ان الترابط بين النضال العسكري والنضال الاجتماعي قد فرض على الثورة الاهتمام بالاوضاع الاجتماعية للشعب الفلسطيني . هذا وتعيد الحركة الهدف من العمل الاجتماعي الى سببين : **اولهما ، انه يضمن استمرارية الثورة برعايته ورفعته مستوى الاسرة الفلسطينية .** « ان الثورة تحرير للوطن والانسان ، ان رعاية ابناء الشهداء يضمن للثورة الاستمرار ، لان اطمئنان المقاتل على مصير عائلته يجعله اكثر استعدادا للتضحية ، ان مؤسستنا ( مؤسسة الشؤون الاجتماعية ورعاية أسر الشهداء ) تهدف الى حفظ كرامة الانسان الفلسطيني ورعاية ابنائه وحمايتهم من التشرد وتربيتهم تربية نضالية علمية ثورية ، وكذلك فان خدماتنا تساهم في زيادة انتاجية شعبنا الفلسطيني وتبين له ضرورة اعتماده على نفسه ، اننا نربط الاسرة باطوار الثورة الفلسطينية ونحاول رفع مستوى الوعي الوطني لدى العائلة ، ونؤكد التضامن الكامل بين افراد المجتمع الفلسطيني» (١) . **وثانيهما ، لانه يؤمن استقرار المجتمع الفلسطيني بعد التحرير .** « علينا ان نعمل على تهيئة كافة الظروف التي تؤمن استقرار المجتمع الفلسطيني وتقدمه بعد التحرير ، لقد لاحظنا ان معظم مجتمعات دول العالم الثالث قد واجهت مشكلات اجتماعية متنوعة بعد انتصارها في معارك تحريرها ، فلقد خلق تحطم العلاقات الاجتماعية التي كانت تسود في عهد الاستعمار فراغا خلق بلبلة في البنية الاجتماعية لتلك الشعوب وكذلك فقد خلقت حروب التحرير عددا كبيرا من المصابين والشوهيين من المناضلين ينبغي تهيئتهم لتسلم اعمال ووظائف تكنهم من المساهمة في بناء اوطانهم وتحفظ كرامتهم . اننا منذ الان نسعى لخلق كوادر مدربة لاستلام

مسؤولياتها في المجتمع الحر» (٢).

ولكن قبل عرض تجربة حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » في ممارستها للعمل الاجتماعي لابد من وعي نقطة هامة ظهرت بعد انطلاقة الثورة في ١٩٦٧ . لقد تميزت المرحلة الاولى من الكفاح المسلح ، ١٩٦٥ - ١٩٦٧ ، بالعمل السري الذي اساسا تكون علاقته بالجمهير محدودة لظروف وطبيعة العمل ، لذلك لم تركز الثورة على العمل الاجتماعي الا في نطاق رعاية اسر شهداء واسرى وجرحى الثورة . واما بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ و بروز المقاومة كبديل لفشل الانظمة العربية ، التي دفعت بالمقاومة اعلاميا وماديا حتى انها اوجدت منظمات تابعة لها مباشرة وذلك لامتناع اي تحرك جماهيري لاستقاطها ، وللسيطرة واحتواء المقاومة واخضاعها لسياستها عبر ما تفرضه على الثورة من قيود من جراء علاقتها بها، انتقلت المقاومة الى العمل العلني . ادى هذا الانفتاح الى توسع افقي للمقاومة دون ان يرافقه اي توسع عامودي بمعنى ان المقاومة انتقلت من مرحلة العمل السري الى العمل العلني دون ان تكون قد هيأت نفسها - على صعيد امكانياتها الذاتية - لاستيعاب هذا الانفتاح على الجماهير لتأطيرها وتنظيمها . وانما فرضت اوضاع المقاومة الذاتية - تعدد المنظمات ، التأكيد على الكفاح المسلح ، التعايش مع الانظمة العربية ، فلسطينية الثورة ولفظية الالتحام بحركات التحرر العربية . . . الخ - الى عدم استيعابها للعمل الاجتماعي واهميته كأداة لاتصالها بالجماهير ، فكان ان نشأت منظمات اخذت على عاتقها بعض مهمات العمل الاجتماعي بين اوساط الشعب الفلسطيني . . . وهنا لا تخفى خطورة مثل هذه الظاهرة اذ نابت هذه المنظمات عن الثورة الفلسطينية بين الجماهير في الفترة التي تلت ١٩٦٧ الى اواخر ١٩٦٨ حيث اخذت تنشط الثورة الفلسطينية على صعيد العمل الاجتماعي . من هذه المؤسسات تأسست في دمشق في ١٩٦٧/٩/٢٨ « جمعية رعاية اسر مجاهدي وشهداء فلسطين » بهدف تقديم المساعدة والرعاية لعائلات وابناء مجاهدي وشهداء الثورة الفلسطينية وذلك بان طرحت سلسلة من الوسائل لذلك وتتلخص في : ١ - تقديم مساعدات مادية وعينية لعائلات شهداء الثورة الفلسطينية بكافة فصائلها . ٢ - تأمين اعانات ومنح وبعثات دراسية لابناء المجاهدين والشهداء وكذلك فتح مدارس خاصة بهم . ٣ - تنظيم الندوات الثقافية والاجتماعية اللازمة لرعاية الاطفال والعاجزين والمسنين من عائلات المجاهدين والشهداء . ٤ - انشاء المؤسسات الاجتماعية اللازمة لرعاية الاطفال والعاجزين والمسنين من عائلات المجاهدين والشهداء . ٥ - توفير الرعاية الصحية لعائلات وابناء المجاهدين والشهداء وذلك بتأمين العلاج او فتح المستوصفات الخاصة بهذه الفئة .

ولكن ونتيجة للظروف المادية التي جابهتها هذه الجمعية لم تستطع ان تنفذ من برنامجها ذلك سوى تقديم المساعدات المادية لاسر كافة شهداء ومجاهدي الثورة . فلقد اعتمدت في ميزانيتها على تبرعات الحكومات والجماهير العربية ، وخاصة في منطقة الخليج العربي ، ومن الاشتراكات غير المحددة للاعضاء المؤازرين المنتسبين في الجمعية والبالغ عددهم حوالي الخمسمئة ومن اشترك اعضائها العاملين ايضا - ستون عضوا - والمحدد بخمس ليرات سورية شهريا . هذا ويشرف على ادارة الجمعية التي ما زالت تعمل الى الان بالتنسيق مع مؤسسة الشؤون الاجتماعية ورعاية اسر الشهداء في سوريا ، مجلس ادارة مكون من تسعة اعضاء ينتخب سنويا في اجتماع اللجنة العمومية المكونة من كافة الاعضاء العاملين . تصرف الجمعية مئة وخمسين ليرة سورية لاسرة كل شهيد اعزب يضاف اليها عشر ليرات سورية لكل ولد لاسرة الشهيد المتزوج .

كما قامت في عمان ايضا في ١٩٦٧/٧/٢٢ «جمعية رعاية أسر الشهداء» والتي تتشابه في هدفها وأسلوب عملها مع سابقتها .

مارست «فتح» عمليا مفهومها للعمل الاجتماعي عبر «مؤسسة الشؤون الاجتماعية ورعاية أسر الشهداء» التي تأسست مع انطلاقة «فتح» في ١٩٦٥ وهي تتبع الحركة كليا بكل ما فيها من مؤسسات ومراكز كما ينحصر العمل فيها ايضا لأعضاء الحركة فقط . ونتيجة للتوزيع الجغرافي للشعب الفلسطيني على امتداد اقطار عربية مختلفة أوجدت المؤسسة فروعاً لها في المناطق والبلدان حيث تتواجد كثافة سكانية فلسطينية — مكتب دمشق ، مكتب بيروت ، فرع اربد . كما تقوم لجان الاقاليم لحركة «فتح» في البلدان العربية الأخرى بواجبها ومهامها الاجتماعية بالتنسيق بين المؤسسة في عمان سابقا وبيروت حالياً وبين الاقاليم الأخرى بواسطة مكتب التعبئة والتنظيم .

تتشكل قيادة كل فرع للمؤسسة من مسؤول تعينه الحركة ومن مندوبين مفرزين عن التنظيم . تجتمع هذه اللجنة اسبوعياً لطرح كل مشاكل المناطق وينتق عنها لجان عمل هي : ١ — اللجنة الاجتماعية التي تقوم باعداد دراسات حول أسر الشهداء والاسرى ورفع تقارير عنها . ٢ — اللجنة المالية وتشرف على القبض والصرف وتقوم بتأمين المبالغ النقدية التي توزع على أسر الشهداء والاسرى شهرياً والمساعدات الطارئة التي تقدمها المؤسسة . ٣ — اللجنة الصحية وتعنى بالأحوال الصحية لأسر الشهداء والاسرى وترشددهم للمراكز الطبية والعيادات التابعة للحركة لتوفير العلاج مجاناً . ٤ — لجنة التوعية والتثقيف الثوري مهمتها توعية وتثقيف الاسر بشتى الطرق عبر نشرات وكراسات وندوات وذلك بالتعاون مع مكتب التعبئة والتنظيم .

كما يتفرع عن لجنة القيادة هذه لجان المعسكرات التي تتألف كل منها من خمسة الى سبعة اعضاء وبمساعدة ثلاث عضوات من التنظيم النسائي . تجتمع هذه اللجان اسبوعياً ، وتحدد مهماتها بـ : ١ — دفع مخصصات أسر الشهداء والاسرى خلال اثنتي عشرة وسبعين ساعة من آخر كل شهر ، ومخصصات الجرحى واصحاب العاهات الدائمة في المعسكر ودفع تحويلات المقاتلين في حينها أيضاً . ٢ — تقديم المواد الغذائية الاساسية لابناء الشهداء والمقاتلين وتأمين الدواء وللوصفات الطبية لأسر المقاتلين والشهداء والاسرى . ٣ — تقوم اللجنة بمسح كامل لكل أسر الشهداء كل أول سنة وتقدمه للقيادة . ٤ — زيارة بعض الاسر المحتاجة في المعسكر للنظر في قدر المساعدة الممكن تقديمها لها . ٥ — القيام بندوات اسبوعية لأخوات وامهات المقاتلين والشهداء والاسرى لرفع مستواهم الثوري . ٦ — زيارة المقاتلين الجرحى في المستشفيات مرتين شهرياً وزيارتهم أيضاً في اجازاتهم واعداد برامج ترفيهية لهم . ٧ — تقوم اللجنة أيضاً باعداد مشاريع تربط بين المقاتلين في القواعد وجماهير المعسكر كمشروع «هدية الى مقاتل» . ٨ — كما تشرف اللجنة على مكتبة المعسكر والناحية الرياضية وتقوم بجمع التبرعات العينية في منطقتها .

وتحدد نشاطات المؤسسة بما يلي :

أ — مراسم تكريم الشهداء : ١ — تقدم المؤسسة لأسرة الشهيد وسام القيادة العامة لقوات العاصفة مع شهادة سجل الخالدين ودفع مساعدة فورية تقدر بحوالي مئة دينار اردني او بما يعادل ذلك في الاقطار العربية عند استشهاد احد المناضلين . هذا وتواكب الشهيد مع أخوته في النضال الى مثواه الأخير وتقدم لاسرته ما يجب تقديمه في مثل هذه المناسبات . كما تشارك المؤسسة في ذكرى مرور الاربعة وحفلات التأبين أيضاً . ٢ — قامت المؤسسة بانشاء مقابر خاصة في كل بلد حيث تتكفل ببناء اضرحة الشهداء والعناية بها وحراستها .

ب — تقديم المساعدات النقدية : ١ — تدفع مخصصات شهرية لكل أسر الشهداء

والأسرى بما في ذلك داخل الأرض المحتلة وعلى ضوء تقرير الباحث الاجتماعي ، بحيث يعطي الإخصص نفقات الأسرة ويحفظها من الحاجة والعوز ، وتشرف أيضا على مسكنهم ٢٠ - تقوم المؤسسة بتبني عائلات من يسقط من المدنيين على اختلاف جنسياتهم ودفن مخصصات شهرية دائمة لهم . كما ترعى المجاهدين الأوائل الذين لا معيل لهم ٣٠ - تقوم برفع مساعدات نقدية وعينية في الاحداث الطارئة التي تواجه اي أسرة شهيد او اسير او المحتاجين وتقدم ايضا مساعدات نقدية وعينية في مناسبات اخرى كالاعیاد . ٤ - تدفع احيانا تعويضات للمتضررين نتيجة الاعمال العدوانية التي يقوم بها العدو داخل الأرض المحتلة او تصف المناطق العربية . ٥ - تعمل المؤسسة للإصلاح بين الاخوة المعنيتين في حال حوادث عارضة - كحوادث السيارات واطلاق الرصاص وما قد ينتج عنهما .

**ج - توفير الخدمات الطبية لاسر الشهداء والأسرى وغيرهم :** ١ - تقوم اللجنة الصحية برعاية كافة افراد اسر الشهداء والأسرى عبر زيارتها الدورية لهم . كما تؤمن لهم العلاج في العيادات الطبية العائدة للحركة او في العيادات الخاصة او حتى خارج القطر المتواجدة الاسرة فيه اذا اقتضى الامر . ولهذا زودت الحركة كافة اسر الشهداء والأسرى ببطاقة صحية تسمح لها بالمعالجة في اي من عيادات الحركة مجانا . ٢ - واما على صعيد المخيمات في لبنان فقد انشأت في كل معسكر لجنة للإرشاد الصحي تقوم بزيارة اسبوعية للمنازل في المخيم تهدف الى رعاية الطفل من سن سنتين الى عشر سنوات من حيث نواحي التغذية والتلقيح ضد الامراض المعدية ، والى نظافة المنزل الداخلية . وتقوم بجولات على مدارس الاونروا لتفقد احوال الطلاب الصحية .

**د - توفير التعليم الابتدائي والاعدادي والثانوي لابناء الشهداء والأسرى :** اهتمت المؤسسة بتوفير التعليم بجميع مراحلها لجميع افراد اسر الشهداء والأسرى حيث تقدم الخدمات التعليمية التالية : ١ - مساعدة ابناء الشهداء والأسرى لدخول المدارس الرسمية وفي حال عدم قبول اي منهم تقوم بالحاقه باحدى المدارس الخاصة على نفقتها . ٢ - تقوم المؤسسة بالتأكد باستمرار من أن جميع ابناء الشهداء ما زالوا يتابعون دراستهم وتحل مشاكلهم الدراسية أيضا ان وجدت . ٣ - وضعت المؤسسة في برامجها منذ تأسيسها خطة لفتح مدارس خاصة لبنات وابناء الشهداء فيما كان ذلك ممكنا .

وتنفيذا لهذه الخدمات اوجدت المؤسسة المدارس الثلاث التالية :

**مدرسة بيت المقدس :** تحدد المؤسسة بان الهدف من انشاء هذه المدرسة هو :

١ - اطمئنان الثورة والجماعه على مستقبل بنات اولئك الذين كان لهم شرف الاستشهاد وتسليحهن بسلاح العلم . ٢ - رعاية الفتاة رعاية اجتماعية على اساس سليمة لتعويضها بعض ما فقدته بسبب استشهاد والدها او أسرته . ٣ - توعية الفتاة نوعية ثورية لربط الاسرة بالثورة مؤكدة ان استشهاد او اسر بعض افرادها ليس معناه انتهاء العلاقة بين الاسرة والثورة . ٤ - انشاء جيل من الفتيات قادر على تحمل المسؤولية وفهم حقيقة النضال الذي يستشهد او يؤسر بسببه ابناء الثورة .

انشأت الحركة المدرسة في بداية عام ١٩٦٨ في عمان بالاشتراك مع المواطن الليبي الحاج يوسف مادي الذي قام بالاتفاق عليها . كان عدد طالباتها يوم افتتاحها اثنتين وثلاثين طالبة موزعة على خمسة صفوف وياشراف ثلاث مدرسات فقط . اتسعت المدرسة واصبح عدد طالباتها في العام الدراسي ٦٩ - ١٩٧٠ سبعين طالبة تتراوح اعمارهن بين السادسة والرابعة عشرة سنة موزعين على الشكل التالي : الصف الاول ٢٠ طالبة ، الصف الثاني ١٥ طالبة ، الصف الثالث ١١ طالبة ، الصف الرابع ٨ طالبات ، الصف الخامس ٦ طالبات ، الصف السادس ٤ طالبات ، الصف الاول

اعدادي ٦ طالبات . واصبح يشرف على المدرسة لجنة ادارية مكونة من خمسة اعضاء وتتألف الهيئة التدريسية من عشر مدرسات ثلاث منهن يقمن في القسم الداخلي من المدرسة . كما ان هناك مديرة للمدرسة ومشرفة طعام ومشرفة على شؤون القسم الداخلي .

تتبع المدرسة نفس المنهاج التعليمي الذي اقترته وزارة التربية والتعليم الاردنية ، غير انها تعلم اللغة الانكليزية من الصف الاول ابتدائي واللغة العبرية من الخامس ابتدائي بالاضافة الى برامج التوعية والتثقيف الثوري .

**مدرسة اسعاد الطفولة في سوق الغرب :** أسس الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني مدرسة اسعاد الطفولة في سوق الغرب في ١٩٥٧ ، واشترفت في حزيران ١٩٧٠ مؤسسة الشؤون الاجتماعية ورعاية أسر الشهداء الى جانب الاتحاد على ادارتها حيث اخذت بدفع ميزانيتها على اثر الخلاف الداخلي في الاتحاد والذي أدى الى تجريد امواله . تقسم المدرسة الى الفرع المهني والفرع التعليمي . يضم الفرع المهني اقساماً لتعليم الخياطة والحياكة الصوفية والتطريز والتدبير المنزلي والعناية بالطفل ، وانشأت في عام ١٩٧٠ قسماً للتجميل . بينما يقوم الفرع التعليمي بتدريس المنهاج التدريسي المقرر من قبل وزارة التربية في لبنان بالاضافة الى دروس في تاريخ وجغرافية فلسطين ودروس توعية قومية ، ضمت المدرسة ٢٢ طالباً في ١٩٦٩ و ٥٧٥ في ١٩٧٠ (٣) وهي تشمل صفوفاً من الحضانه حتى الثالث التكميلي وفيها خمس وستون معلمة بين مشرفة ومدرسة ومديرة دروس . وفي داخل المدرسة مسرح وصالة عرض وقاعة طعام وملاعب رياضية على انواعها ، ومزودة بباصات وبعض السيارات الصغيرة لنقل الطلاب ، وفيها مشغل خياطة وتطريز لتعليم الفتيات ينتج ما يكفي المدرسة من الالبسة . هذا وقد قامت ادارة المدرسة في العام الدراسي ١٩٧٠ - ١٩٧١ بقبول اربعين طالباً من سكان المناطق المجاورة لها وذلك لاقامة مزيد من العلاقات مع الجماهير المحيطة بها . كما تعرف عن نشاطاتها عبر اقامة حفلات خيرية وندوات ومعارض .

**مدرسة رام الله :** اقامت المؤسسة في مدرسة رام الله التابعة للاونروا في صبرا - بيروت صفوفاً ليلية لابناء الشهداء والمقاتلين في ١٩٧٠ ضمت اثنين وثمانين طالباً اشرف على تدريسهم اساتذة متطوعون من الحركة .

**٥- توفير التعليم الجامعي لاسر الشهداء والاسرى :** تهتم حركة « فتح » بتأمين التعليم الجامعي لابناء الحركة عامة وابناء أسر الشهداء بصورة خاصة « باعتبارهم رسل الثورة الفلسطينية في الجامعات التي ينتسبون اليها » . وقد امنت الحركة حوالي خمسين منحة دراسية للعام الدراسي ٦٨ - ١٩٦٩ وتكفلت بالانفاق على الطلاب الحاصلين على هذه المنح .

**٦- التوعية والتثقيف الثوري :** تقوم المؤسسة في هذا المجال بما يلي : ١ - زيارة الاسر بشكل دوري لتعريفها بمجريات الاحداث وتبادل الاراء حول القضية الفلسطينية . ٢ - التعاون مع جهاز الاعلام في الحركة لتوزيع النشرات الصادرة عنه على اسر الشهداء . ٣ - اقامة الندوات العامة لاطلاع الجماهير على اخبار الثورة . ٤ - اقامة دورات محو امية في فصل الصيف للنساء والرجال حيث تمتد الدورة مدة ثلاثة اشهر طيلة خمسة ايام في الاسبوع بمعدل ثلاث ساعات يومياً - من الثالثة حتى السادسة للنساء ومن السادسة حتى التاسعة مساء للرجال . وقد اقامت المؤسسة دورة في مخيم برج البراجنة في لبنان في شباط ١٩٧١ باشراف التنظيم النسائي في الحركة ضمت

٣ - تعود هذه النسبة العالية في زيادة عدد الطلاب نتيجة لاجداث ايلول ١٩٧٠ حيث قدم مئة طالب من الاردن بعد ان اغلقت السلطات الاردنية بعض مدارس ابناء الشهداء .

خمس عشرة امرأة تزيد أعمارهن عن الثلاثين سنة دامت ثلاثة اشهر . لم تحقق هذه الدورة نتائج ايجابية نتيجة التغيب المستمر لافرادها وللنقص في المعدات وال لوازم لها .

ز - توفير التاهيل الجسماني لشوهي الحرب او من جراء الارهاب في سجون العدو :  
 تعمل المؤسسة على : ١ - توفير التاهيل الجسماني لهم بتعويضهم باطراف صناعية او غيرها . وقد تكثفت الخدمات الطبية بهذه المهمة باعتبارها جهة الاختصاص وذلك بالتنسيق مع المؤسسة . ٢ - توفير التاهيل المهني لهم لتمكينهم من العمل المجدي والمفيد لئلا يصبحوا عالة على احد . ٣ - تتكفل المؤسسة بالانفاق على أسرهم وبرعايتهم طيلة فترة العلاج ولحين مزاولتهم العمل . وتجدر الاشارة هنا الى ان المؤسسة قد اقامت « بيت الجريح » لكل المقاتلين في حركة فتح ذوي العاهات الدائمة في معسكر برج البراجنة . و « بيت الجريح » هو بمثابة منزل جماعي لهؤلاء المقاتلين يتألف من قاعة للطعام وقاعة للمطالعة وست غرف للنوم تستوعب كل منها اربعة مقاتلين . يتبع لبيت الجريح معمل لتنجيد المفروشات يعمل به المقاتلون ويدفع لكل منهم عدا مخصصه ومصروفاته الخاصة مخصص شهري لقاء عمله حيث توزع نصف ارباح الانتاج على العاملين ويذهب الباقي لصندوق المؤسسة . وتعنى المؤسسة ايضا بتقديم كافة وسائل الراحة للمقاتلين في « بيت الجريح » فعدا عن تجهيزه بكل المتطلبات المنزلية تقوم كل اسبوع بعرض فيلم سينمائي وتعد كل خمسة عشر يوما ندوة تثقيفية . كما تفكر المؤسسة باقامة « المنزل الزوجي للجريح » ليكون بشكل مساكن شعبية لكل اصحاب العاهات الدائمة المتزوجين . هذا وتعمل ايضا هذه الفئة من المقاتلين في معارض ومعامل ابناء الشهداء في جميع معسكرات لبنان . كما كانت المؤسسة قد اقامت « بيت العائدات » في الاردن بعد ان تبنت الحركة البنات الفلسطينيات اللواتي ادى اضطهاد العدو الى تشريدهن وذلك لتوفير البيت اللازم لهن .

ح - توفير التاهيل المهني لافراد أسر الشهداء والاسرى : انشأت المؤسسة مراكز التاهيل المهني بهدف خلق المجتمع الفلسطيني القادر على تحمل اعباء المسؤولية وحيث ان الحركة رأت بأنه سيكون للعنصر النسائي اثره في ترسيخ بناء المجتمع الفلسطيني وضعت في الاعتبار تحقيق الاهداف التالية : ١ - تنمية المهارة والاستعداد لدى المرأة الفلسطينية بحيث تصبح قادرة على مضاعفة الانتاج ووضعه في خدمة الثورة . ٢ - للتأكيد على اهمية دور المرأة الفلسطينية في الثورة ومشاركتها في العمل الثوري من خلال الممارسة وتكوين القدرات لتحمل المسؤولية .

وتحقيقا لهذه الاهداف وعلى ضوء تجربة الحركة في المراكز المهنية التي افتحتها مؤسسة الشؤون قامت بارسال ثمانين اخوات لدورة في فرنسا للتدريب المهني - خياطة ، تطريز ، تدبير منزلي ، واشغال يدوية - مدتها سنتان ، وذلك لكي يتوزعوا في مراكز الحركة المهنية بعد عودتهن واقامة دورات لتخريج مشرفات في المراكز المهنية تسمى دورة المرشدات . ومن المراكز التي اوجدتها المؤسسة في الاردن :

- ١ - مركز عمان : افتتح المركز في منتصف عام ١٩٦٨ في جبل الحسين بعمان حيث التحقت به ست عشرة فتاة عند افتتاحه عملت المؤسسة على تأمين كافة متطلباتهن . ويتكون جهازه من مشرفتين مهنتين لتعليم الفتاة وتأهيلها ، واعتبر هذا المركز كمرر رئيسي لباقي المراكز الموزعة في الاردن حيث يتم بواسطته توزيع المواد الخام عليها وانقاء نوعية ما يجب توزيعه من انواع القماش المختلفة ضمن احتياجات البيع ، ثم يقوم بجمع انتاج باقي المراكز لعرضه للبيع . وبعد ازدياد عدد المنتسبات في هذا المركز قامت المؤسسة بانشاء فرعين تابعين له احدهما في الجوفة والاخر في مخيم الوحدات .
- ٢ - مركز اربد : افتتحت المؤسسة في ايار عام ١٩٦٩ مركزا لتاهيل بنات الشهداء في اربد وقد وفرت له جميع الامكانيات اللازمة من مكينات وادوات كما وفرت له مشرفتين

مهنيين وقد ضم خمسا وعشرين فتاة تلقين فيه اصول الخياطة والتطريز والتريكو .  
٣ - مركز الزرقاء : افتتح في شهر تشرين الثاني من عام ١٩٦٩ لنفس الاهداف التي وضعت لمراكز التأهيل وقد ضم سبعا وعشرين فتاة وأشرفت عليه مشرفتان مهنيتان .  
٤ - مركز البقعة : تم افتتاحه في شهر آب ١٩٦٩ وقد ضم خمسا وعشرين فتاة وقامت بالاشراف عليه مشرفتان مهنيتان .

٥ - كما تم افتتاح مراكز اخرى في السلط ومادبا وفي مخيم زيزيا قرب مادبا .  
واما اسلوب العمل في هذه المؤسسات فقد ضم ١ - لجنة ادارية تشرف على المراكز وتضع مخطط العمل . ٢ - لجنة للمعارض الخيرية لعرض انتاج مراكز التأهيل .  
٢ - لجنة التنسيق وتقوم بدراسة ما يمكن بيعه من الانتاج ودراسة احتياجات المناطق .  
واما في لبنان فقد انشئ في كل مخيم مركز مهني مفتوح لكل فتيات المخيم ويعلم الضرب على الالة الكاتبة، خياطة، تطريز واشغال يدوية . وزود بمكتبة وقاعة مطالعة . كما يقوم بعقد ندوة سياسية كل خمسة عشر يوما وينظم دورات لحو الامية . وحددت المؤسسة الهدف من هذه المراكز لتشغيل كل فتيات المعسكر في معامل ابناء الشهداء - مراكز التأهيل - ولرفع المستوى الاجتماعي من الناحية المادية للأسرة الفلسطينية في المخيم . هذا ويتحول المركز المهني الى معمل منخصص بنوع انتاج معين بعد انتهاء الدورة التدريبية فيه . ويشرف على هذه المراكز التنظيم النسائي لحركة « فتح » الذي يعمل ايضا لحث الاهالي على ارسال فتياتهن الى هذه المراكز . تدعى هذه المراكز بمؤسسة معامل ابناء الشهداء وشعارها «صامد» وقد افتتحت اول مركز لها في صبرا في آذار ١٩٧٠ حيث عملت به عشرون فتاة بانتاج القمصان والبناطلين والرواب النسائية ثم قامت على التوالي بافتتاح مركز ضحية للبيجامات الرجالية ، والكرامة (تل الزعتر) للصوص التريكو ، وجسر الباشا للقمصان الولادي ، وبعليك للقمصان والفساتين النسائية، ونهر البارد للبيجامات والكنزات النسائية والكلسات والبداوي للرواب والالبسة الداخلية الرجالية ، وعين الحلوة للتطريز ، والنبطية للاشغال اليدوية والرشيديّة للمبوسات الاطفال دون السنين .  
يدير مؤسسة المعامل هذه في لبنان مجلس اداري خاص ، يتألف من مسؤول فني للمعامل ومسؤول علاقات خارجية ومسؤول اداري ومسؤول مبيعات ومسؤول انتاج بالاضافة الى ثلاث مشرفات ، ويجتمع اسبوعيا . يدفع لكل عامل في هذه المراكز مخصص شهري يتراوح بين ١٠٠ - ٢٠٠ ليرة لبنانية بينما يدفع لمسؤول العمل بين ٣٠٠ - ٣٥٠ ليرة . هذا ويساهم بعض المقاتلين ذوي العاهات الدائمة في بعض اعمال هذه المراكز ويقدم لهم عدا مخصصاتهم راتبا اضافيا . كما تجدر الاشارة الى ان هذه المراكز تنتج كافة حاجيات المقاتلين من ملبوسات (٤) .

**مؤسسة الاشبال :** لم يقتصر دور حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » في رعاية وتقديم المساعدات لابناء الشهداء والاسرى فقط بل انها ومنذ انطلاقتها كانت تخطط وتعمل لاعداد « الاجيال القادمة » لتكون قادرة على متابعة المسيرة النضالية للثورة الفلسطينية عبر « رعاية الاشبال الفلسطينيين » . واعتبرت الحركة ان هذه الرعاية ليست هدفا بحد ذاتها وانما هي وسيلة لتحقيق عملية التغيير في الواقع الفلسطيني لانجاز هدفه الاساسي - وهو تحرير فلسطين . « ان الحديث عن الاشبال يعني الحديث عن المستقبل الذي يتحتم ان يفوق الحاضر في كافة مزاياه وانجازاته وقدراته وامكانياته . والاشبال الذين سيتحملون المسؤولية الكاملة في المستقبل هم الذين يتلقون اليوم الرعاية الاساسية لاعدادهم لتحمل تلك المسؤولية . فاذا ما اعدوا بصورة سليمة تتفق مع

٤ - اعتبرت في هذه المعلومات عن « مؤسسة الشؤون الاجتماعية ورعاية أسر الشهداء والاسرى » على كراس خاص صادر عن حركة « فتح » وعلى مقابلة مع أحد مسؤولي المؤسسة .



العبء الذي سيلقى على كاهلهم فانهم سيقومون بانجازاتهم ويضمنون استمرارية الثورة للوصول الى الهدف «(٥). لذا يصبح تحديد الاسلوب والطاقت هما المسألة الاساسية لرعاية الاشبال بعد وضوح الهدف . ومن هنا حددت « فتح » بأن الاسلوب الذي يجب اتباعه يجب ان يقوم على الدراسة العلمية للواقع لاطهار « الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والصحية للانسان الفلسطيني مع شرح التباين الشخصي لافراد المجتمع الفلسطيني وتباين الفوارق الاساسية ودوافعها «(٦). ورات ان التجمعات الفلسطينية في المخيمات ، التي تشكل المورد الاساسي للمقاتلين ، تشكل مجالاً للقيام بالرعاية الجماعية من جهة وبأن اوضاع الاطفال الاجتماعية والاقتصادية والصحية فيها تفرض ضرورة القيام بهذه الرعاية من جهة أخرى .

**جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني :** في معرض الحديث عن الخدمات الطبية التي قدمتها الثورة الفلسطينية لا بد من الاشارة الى دور جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني . تأسست الجمعية في كانون الثاني ١٩٦٩ واعتمدها المجلس الوطني الفلسطيني في جلسته المنعقدة بالقاهرة بتاريخ ٢ - ٩ - ١٩٦٩ لتقديم الخدمات الطبية والاسعافية للمقاتلين وبأن تكون الجهة الوحيدة التي تتسلم المساعدات الواردة باسم الثورة الفلسطينية بصفتها هيئة للشعب الفلسطيني لدى الجهات العربية والدولية .

معمل جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني لتحقيق الاهداف التالية : ١ - ابراز الشخصية الفلسطينية فيما يتعلق بالشؤون الصحية والاجتماعية والثقافية وذلك على الصعيدين المحلي والدولي . ٢ - تقديم الرعاية الصحية والاسعافية للمقاتلين بانشاء المستشفيات والمراكز الطبية وتوفير سيارات الاسعاف ولوازمها . ٣ - رعاية شؤون الاسرى والجرحى والمعتقلين في سجون العدو الصهيوني . ٤ - رعاية شؤون الفلسطينيين في المناطق المحتلة من النواحي الصحية والمعيشية والاجتماعية . ٥ - تبني الامور الصحية والاجتماعية والثقافية الفلسطينية وذلك عبر فتح مراكز صحية واجتماعية ورياضية في المخيمات .

يسير المكتب التنفيذي السلطة العليا لجمعية الهلال الاحمر الفلسطيني ويتألف من رئيس ونائبي رئيس وامين للصندوق وثلاثة اعضاء ، ومركزه الحالي بيروت - وكان قبل الاول ١٩٧٠ في عمان . يتفرع عنه لجان لادارة العمل مقسمة على الشكل التالي :  
١ - لجنة الخدمات الطبية وتتفرع عنها ثلاث لجان : واحدة لشؤون المقاتلين وأخرى للخدمات المدنية وثالثة للتمريض والمستشفيات . تعنى هذه اللجنة بفتح العيادات الشعبية بالمخيمات والمستشفيات وعقد دورات اسعاف ميداني وانشاء مراكز الاسعاف وتوفير السيارات اللازمة لها . ٢ - لجنة الجرحى ومهمتها العناية بالجرحى في المستشفيات وتقديم كل عون لهم وكذلك رعاية اسرهم الى ان يتم شفاؤهم . ٣ - لجنة الشؤون الاجتماعية وتقوم بدراسة احوال الفلسطينيين في المخيمات وبالمسح الاجتماعي لاجوالهم ، وبالاتصال بعائلات الجرحى والاسرى والمعتقلين وتقديم المساعدات الممكنة لهم ، وفتح مراكز لمحو الأمية وتأهيل الناس مهنيا وجمع انتاجهم وتسويقه . كذلك تشرف هذه اللجنة على عقد الندوات والمؤتمرات محليا ودوليا . ٤ - لجنة الاعلام ومهمتها تصمي الحقائق المتعلقة بأحوال الاسرى والمعتقلين في سجون العدو وبأحوال الفلسطينيين في الارض المحتلة وجمع هذه المعلومات من مصادرها الاساسية ثم تصنيفها واعادتها في نشرات بلغات مختلفة . كما تقوم لجنة الاعلام بالاتصالات

٥ - حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » ، الكتاب السنوي ١٩٦٩ ، ص ٦٤ .

٦ - يمكن مراجعة الكتاب السنوي ١٩٦٩ لزيد من التفاصيل حول الخطة التربوية العامة التي تقترحها « فتح » لرعاية الاشبال .

الصحفية (٧).

انضمت جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني ١٨ فرعا لها في الدول العربية والاجنبية تمركزت في المركز الأم بالمساعدات المالية وبالمعونات والتجهيزات الطبية وكذلك بالاختصاصيين في الحقول الطبية . هذا وقد قدمت خلال سنتين ونصف من العمل المراكز الطبية التالية

١ - سبعة مستشفيات سعتها مائتان وخمسون سريرا ( الكرامة في عمان ، الشهيد الدكتور عبد القادر عودة في اربد ، يافا في دمشق ، القدس في بيروت ، الشهيد جمال في راشيا الوادي بجنوب لبنان ، مستشفى للمقاتلين في جرش ، مستشفى عكا تحت الانشاء في درعا ) .

٢ - ثمانية دور للنقاها سعتها مائتان وخمسون سريرا تكون بالإضافة الى مجموع أسرة المستشفيات ٥٠٠ سرير جاهز لاستقبال الجرحى والمرضى .

٣ - أربع وحدات علاجية كاملة : ( الوحدات بالوحدات في عمان ، القسطل بدرعا في سوريا ، الفالوجا في مخيم اليرموك في سوريا ، دير ياسين في مخيم شاتيلا - بيروت ) .

٤ - ستون عيادة طبية ومركز اسعاف في كل معسكر من معسكرات اللاجئين في الاردن وسوريا ولبنان وكذلك بعض القرى على الحدود لخدمة المقاتلين والجهامير من سكان القرى الامامية .

٥ - تسع عيادات للأسنان .

٦ - ستون صيدلية .

٧ - ثلاثة مراكز طبية ومستودعات ادوية ولوازم طبية .

٨ - قسم طب وقائي وصحة عامة للكشف العام على المقاتلين وتطعيمهم وعمل مسح طبي واجتماعي في المخيمات . هذا وفي نفس المدة ازداد عدد العاملين بالخدمات الطبية بمعدل ٢٠ مرة ما بين طبيب وممرض وعامل (١٨) .

### الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

ترى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ان موضوع العمل الاجتماعي يرتبط بالخط والتوجه السياسي لاي تنظيم ، اذ ان العمل الاجتماعي بمجمله يشكل مجموعة مواكفة من القضايا الجماهيرية تحدد المقياس الثوري للتنظيم في مدى تجسيده لها وتوجهها لحلها ، فبالنسبة للمقاومة الفلسطينية اصطدم ما يسمى باليمين ، بسبب طبيعته الفكرية والطبقية ، حين مارس العمل الاجتماعي بأن مثل هذه الممارسة مرتبطة جذريا بضرورة اتخاذ القرار السياسي فانكفا الى الجانب التقني من الموضوع بان اوجد مؤسسات تماثل في عملها وتوجهها مؤسسات قائمة اصلا وتقدم خدمات للشعب الفلسطيني - كالأونروا مثلا - معتقدا بأن هذا العمل سينتج على المدى القصير تاييدا له وجماهيرية لخطه ، وكانت نتيجة ذلك مضاعفة الخطأ اذ انه لم يفكر بنعميق هذا النشاط وجعله في جوهره نشاطا سياسيا بالدرجة الاولى ، وكذلك فانه لم يكن قادرا على حماية هذه المؤسسات . بينما اندفع اليسار الى الامام لكون القرار بممارسة النشاط الاجتماعي ينسجم مع طبيعة تفكيره ، ولكنه وقع في اشكالاته الذاتية - ضعفه ، كادره الضعيف ، قصر نفسه ، المنافسة السطحية وكذلك اهماله لاهمية الجانب التقني مما جعل تأثيره محدودا جدا . ولكن ورغم ان هذه التجارب لم يكن يحكم لها الاستمرار ورغم عددها المحدود وطابعها التجريبي المخبري فقد ساهمت الى حد ما في خدمة التوجه السياسي ليسار المقاومة من حيث انها ساهمت في نشر وعي قومي وطبقي لاسر قومه اليسار والعناصر المثقفة التي عملت في مؤسسات الخدمات الاجتماعية .

٧ - الكتاب السنوي ١٩٦٩ ، ص ٧١-٧٥ .

٨ - دور الخدمات الطبية في المعركة ، ص ٢ . مذكرة الهلال الاحمر الفلسطيني الى المجلس الوطني الفلسطيني في دورته التاسعة .

٩ - اعتدت في هذه المعلومات على مقابلات مع مسؤولين في الجبهة وعلى تقارير داخلية للجبهة .

وأما بالنسبة للجهة الشعبية فقد حددت « ان التوجه دائما للجماهير . وتناول قضاياها والعمل من اجلها ، ومساعدتها في فهم مشكلاتها وتحليلها واتخاذ موقف منها ، ومساعدتها في تنظيم نفسها ، وقيادتها للعمل في مواجهة مشكلاتها ، هو اولى مهماتها ، وهو الغاية من وجودنا ، وهو طريقنا الوحيد لتجميع القوة الثورية القادرة على تحقيق اهدافنا » (١٠) . ولهذا كان الهدف من عملها الاجتماعي يشمل : اولا ، خلق روح ثورية اجتماعية في المخيم بمعنى اقامة علاقات جديدة بين الجماهير من جهة وبينهم وبين عدوهم القومي والطبقي من جهة اخرى . وثانيا : تنظيم الجماهير في برامج تقدمية مختلفة وذلك عبر التنقيف السياسي ونشر « الوعي الحرر » .

ونرى الجبهة انه يصعب تحقيق هذه الاهداف جذريا في ارض غير محررة ، ولكن جزئيا يمكن تحقيق مردود جيد من خلال العمل الحزبي الذي يقود العمل الاجتماعي والذي يكون جزءا من مخططاته البعيدة المدى للخروج من مأزق المقاومة الراهن والانطلاق بالثورة ، وهذا يجب ان يخضع للخطة العامة للمقاومة ومن اهم بنودها التوجه نحو تعميق المقاومة الفلسطينية الى ثورة عربية ، وبالتالي ان يدخل العمل في اطار هذا المفهوم فلا يكون هناك عمل اجتماعي مهزوز في « جزر مهددة » بل عمل اجتماعي ثوري مربوط في تيار ثوري شامل محيط بهذه « الجزر » . ان عملية الاسراع في تشكيل ذلك الحزب اليساري - الماركسي اللينيني - هو القادر على حمل اعباء العمل الاجتماعي وقيادة التنظيمات الجماهيرية وتصفيد العمل السياسي بالدرجة الاولى ، اذا كان المقصود بالعمل الاجتماعي شيئا اكثر من مجرد تقديم خدمات مثلما تفعل المؤسسات الخيرية .

وفيما يلي بعض نماذج الخدمات الاجتماعية التي قدمتها الجبهة :

**١ - الخدمات الطبية :** تنطلق الجبهة في مفهومها للخدمات الطبية من نقطتين : اولا ما هو دور الطب ؟ وثانيا ما هو نوع الخدمات الطبية التي يمكن تقديمها ؟ وتحدد انه لا بد عند طرح المسألة الاولى من فهم دور الطب في المجتمع البرجوازي للوصول الى كيف يجب ان يكون في مجتمع تحكمه قوى تغيير ثورية . يكون الطب في المجتمع البرجوازي اداة من ادوات الطبقة الحاكمة تسخرها لخدمة اغراضها ومنفعتها الذاتية بإمكانياتها المادية المتوفرة . بينما تقوم تحت ستار ما تقدمه للقطاعات الواسعة من الجماهير من خدمات طبية بعملية الهاء وتخدير لها . اذ ان المراكز التي تقيمها ان في المدن او الريف نادرا ما تكون اماكن علاج حقيقية . ومن خلال هذه الصورة يكون على القوى الثورية ان تقدم اسلوبا مختلفا في العمل يتوفر فيه اساسا موضوع الالتزام لدى الطبيب وجهاز العمل في المنشآت الطبية ، ووعي البعد السياسي والاجتماعي للطب . ويمكن للطب ان يتطور بشكل ثوري في المناطق المحررة وفي ظل سلطة القوى الثورية التي توفر له قوة الاستمرار رغم كل العقبات الداخلية والاجتماعية . ولكن وبما ان السلطة الجديدة بين التجمعات الفلسطينية كانت مجزأة بين عدد من فصائل المقاومة تتباين رؤيتها لمثل هذه الاعمال ، وبالتالي كان استمرار هذه التجارب وتصفيد رهن بال لحظة التي تنهار فيها السلطة الجديدة او تأخذ شكلا آخر لا يمكنها الدفاع عن التجربة او المشتركين فيها . وقد قدمت الجبهة الخدمات الطبية التالية في الاردن :

١ - المراكز الطبية المتحركة وهي عبارة عن مستشفى متنقل بين القواعد والقري والتجمعات السكانية المحيطة بها ويضم طبيبا وممرضا . اقتصر عمله عند تأسيسه في منتصف عام ١٩٦٩ على اعداد سجلات طبية لكافة المقاتلين ومعالجة الامراض في القواعد . وتمكنت مجموعة من اعضاء الجبهة كانت تنقل مع هذه الوحدة من اقامة

اتصالات مع الجماهير طرحت من خلالها موضوع « المزرعة الجماعية » بين الفلاحين الذين كانوا يعملون في اراضي الاقطاع الى جانب موضوعات سياسية أخرى تكشف عن طبيعة السلطة الحاكمة . استمرت هذه الوحدة في العمل الى ايلول ١٩٧٠ حيث انتقلت مع المقائلين الى الجبل ، واصبحت مستشفى ميدان ، ضمت اثني عشر سريرا ولكنها تابعت زياراتها للقرى ضمن برنامجها للتثقيف السياسي عبر الطب عندما كانت تسمح بذلك الظروف . ولكن السلطة الاردنية اغلقتها في تموز ١٩٧١ واعتقلت الطبيب والمرضى .

٢ - الوحدات الثابتة : كان برنامج الوحدات الثابتة الاساسي هو الطب الوقائي في المخيمات في الاردن - اي بمعنى معالجة الاوضاع الصحية في المخيمات - وذلك عبر محاضرات سياسية وزيارات للبيوت كان يقوم بها جهاز الفتيات في الجبهة والذي اهل عبر دروس ودورات خاصة للقيام بحملات الطب الوقائي . كان يتم الطب العلاجي في المستوصفات وتنقل الحالات التي تحتاج الى عناية خاصة الى المركز الرئيسي في عمان الذي كان يضم الصيدلية الرئيسية ايضا . استمرت هذه المستوصفات في العمل الى ان اغلقتها السلطة الاردنية في ايلول ١٩٧٠ وحولت المركز الرئيسي في عمان الى مركز بوليس . تأسست هذه المستوصفات في منتصف عام ١٩٦٩ في عدد من المخيمات الفلسطينية في الاردن وكان اهمها ما سمي « بمجموع مستوصفات عمان » ، وكانت تتفاوت في تجهيزاتها التي كان معظمها مقدمة من جهات تقدمية في العالم .

واقامت الجبهة في لبنان أيضا عددا من المستوصفات اقدم نموذجا عنها « المركز الطبي في معسكر تل الزعتر » . أسس المركز الطبي في معسكر تل الزعتر في ١٩٧٠/١٢/٥ لجنة من انصار الجبهة التي امنت الادوية اللازمة له أيضا ، وساهمت الجبهة في تأمين ممرضة دائمة ومساعدتين لها من عناصر التنظيم لاستقبال الجماهير وتقديم الاسعافات الأولية العامة يوميا وطبيب يعمل يوما في الاسبوع . استطاع المستوصف بعد ثلاثة اشهر من تأسيسه استقبال المرضى ثلاثة ايام في الاسبوع عبر اقامة علاقة مع ثلاثة اطباء ومساعدة اجتماعية . كما تمكنت لجنة المستوصف ابتداء من ١٩٧١/٩/٢٠ من تأمين خمسة اطباء اسبوعيا . يزور المستوصف يوميا من ٢٠ - ٢٥ مريضا وقد بلغ عدد زائريه من ٧٠/١٢/٥ لغاية ١٩٧١/١٠/١٠ - ١٥٧٥ - مريضا اي حوالي ٨١٠ عائلات من عائلات المعسكر حسب احصاء سجلات المرضى في المستوصف . وقد تم تدريب مجموعة على الاسعافات الأولية في دورة ضمت عشرين شابا وفتاة من اعضاء التنظيم واصدقائه . جهز المستوصف بأحدث التجهيزات التي قدم قسم منها لجنة انصار الجبهة وأمن القسم الآخر من عائدات المستوصف ، اذ ان للمستوصف ميزانية ذاتية لتأمين متطلباته من معدات وادوية ومصروفات شهرية دائمة - راتب الممرضة ، مبلغ رمزي لبعض الاطباء المتبرعين كبدل لمصاريف عملهم خلال وجودهم في المستوصف . يعتمد المستوصف في تأمين ميزانيته على جمع التبرعات بواسطة لجنة المستوصف ومن المستفيدين منه عبر دفع مبلغ رمزي - ليرة لبنانية - لضمان استمراريته وتأمين متطلباته مرحليا .

ويقوم اسلوب العمل فيه ضمن الخطوط التالية : ١ - تنظيم سجل لعائلة المريض يضم كافة افرادها مع فتح سجل خاص للمريض ضمنها . ٢ - المعالجة الطبية العادية مع تأمين الدواء اذا وجد . ٣ - التوعية الصحية للمريض من قبل الطبيب والمساعدة الاجتماعية . ٤ - زيارة المرضى في بيوتهم للتوعية الصحية والاجتماعية بهدف نشر وتطبيق الطب الوقائي . وتعد حاليا لجنة المستوصف دراسة اجتماعية اقتصادية سياسية للمعسكر وذلك بمساعدة اعضاء التنظيم واصدقائه .

كما قدمت الجبهة في مجال الخدمات الطبية في لبنان عددا من المستوصفات والمراكز

الطبية في المعسكرات الفلسطينية تتشابه الى حد كبير في اسلوب عملها وتجهيزها مع النموذج السابق . من هذه المراكز هناك مستوصفات شاتيلا وبرج البراجنة اللذان اغلقتهما الجبهة في اوائل ١٩٧١ لوجود مستوصفات اخرى ولقربهما من المدينة . ولكنها استمرت في توزيع الادوية المجانية في شاتيلا . وقد اسست مستوصفا في عين الحلوة في تشرين الثاني ١٩٦٩ يعتبر اكبر المراكز الطبية في المعسكر اذ يطبب يوميا حوالي الخمسين مريضا ، وقد زود في تشرين الاول ١٩٧١ بطبية اخصائية للنساء والاطفال تعمل بشكل دائم فيه . واما مستوصف الرشيدية الذي اسس في ١٩٧٠/٣/٤ فهو يعمل ثلاثة ايام في الاسبوع فقط .

**ب - مشروع المزارع الجماعية :** تقسم منطقة الاغوار الخصبة الى اقطاعات قليلة يسيطر عليها مجموعة من كبار الملاكين الذين يعيشون بعيدا عن ارضهم . بينما يسكن الفلاحون فيها في اكواخ معدة لهم ويقوموا بعملية الانتاج كلها في حين يسوق المالك عبر معاونه المحاصيل ويجني الربح لنفسه مستغلا بذلك هذه الفئة من العمال الزراعيين الذين يعملون بشكل متواصل دون تحديد لساعات العمل وتحت خطر القصف الاسرائيلي ودون تأمين اي نوع من الخدمات الطبية او الغذاء الكافي . اخذت احدي قواعد الجبهة قرب الصوالحة بالاتصال بمجموعة من العمال الزراعيين بعد احدي الغارات الاسرائيلية الراجلة ومقتل احد الفلاحين في منتصف ١٩٦٩ . كان مدخل الاتصال تدريبهم على السلاح وتسليحهم كي يدافعوا عن انفسهم عند اي هجوم اسرائيلي . اخذت عناصر الجبهة اثناء فترات التدريب بطرح دروس سياسية مبسطة لهم كان من بينها موضوع الاستغلال الذي يعانونه وضرورة اقامة مزارع تعاونية فيما بينهم اذ ان الارض واليد العاملة متوفرة لديهم . وهكذا بدأ المشروع باقتطاع قطعة من الارض قام الفلاحون بالعمل فيها بجد بينما تعهدت عناصر الجبهة بتسويق المحاصيل . واتفق بأن تزود المزرعة القاعدة بما تحتاجه من منتجات الارض ويذهب ربع الباقي للفلاحين . وكان هناك وجه آخر لاستغلال العمال الزراعيين ممثل بفرن الاقطاعي فبنت عناصر الجبهة والفلاحون فرنا في المزرعة تعهد بدوره بتأمين حاجيات القاعدة من الخبز . انتشرت هذه الفكرة بين الفلاحين واخذوا يترددون على الفرن بعد السماح لهم بذلك . انشئت بعد ذلك المزرعة الجماعية الثانية باشراف قاعدة اخرى من قواعد الجبهة . استمر العمل في هاتين المزرعتين بعد ايلول ١٩٧٠ رغم اضطرار عناصر الجبهة للانتقال الى الجبل ولكن السلطة قامت في تموز ١٩٧١ بالاستيلاء عليهما وقتل بعض الفلاحين لاسهامهم في هذه التجربة .

**د - المؤسسات الاقتصادية :** ترى الجبهة الشعبية بان اقامة المؤسسات الاقتصادية هدف بشكل رئيسي نحو تحرير المرأة التي تعاني من اضطهاد مزدوج في مجتمعنا : الاضطهاد الطبقي الذي تعاني منه الطبقات التي تنتسب اليها ككل ، من جراء العلاقات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المفروضة عليه ، واضطهاد الرجل والتقاليد لها . وهكذا بقي ٥٠٪ من المجتمع مجعدا لا يشارك في المعركة لذلك سعت الجبهة لحل هذه الازمة عبر توفير الاستقلال الاقتصادي للمرأة كخطوة اولى نحو تحريرها بان اقامت عددا من المشاغل والمصانع الصغيرة ، وقد فعلت الجبهة ذلك دون ان تكف عن التاكيد بان مسألة تحرير المرأة مرتبطة جذريا بتحرر المجتمع ككل .

اقيم في الاردن من ٥ - ٧ وحدات صناعية عاملة كانت تتراوح الدورة في كل منها بين شهر وشهرين تشمل تدريبا على العمل مع تثقيف سياسي وتدريب على السلاح . وقد خرجت هذه الوحدات خمس دورات وعرضت منتوجاتها في معارض خاصة في عمان وبغداد . اقامت الجبهة ايضا اربع وحدات صناعية في لبنان - برج البراجنة ، صيدا ، صور ، وبعلبك - اقدم نموذجا عنها مشغل منطقة صور في البرج الشمالي .

تم افتتاح مشغل منطقة صور في البرج الشمالي في كانون الثاني ١٩٧٠ وبعد ان قلم جهاز الفتيات في الجبهة بعدة دورات سياسية اجتماعية في منطقة صور موضحا اهمية وضرورة مشاركة فتيات المخيم في هذا المشغل الذي تم تجهيزه بماكينه للحياكة واخرى للخياطة والتطريز بما جمع له من تبرعات وبمساعدة جزئية من الجبهة ، كما زود بمكتبة وغرفة للمطالعة . اقام المشغل الى الان ثلاث دورات مدة كل منها ستة اشهر ، وكان عدد المنتسبات في الدورة الاولى ثلاثين فتاة . يشمل برنامج الدورة تدريس الحياكة والتطريز مع التثقيف والتدريب العسكري وتقديم دراسات عن الاسعافات الاولية ، بينما يوزع البرنامج اليومي على الشكل التالي : ساعة للدراسة النظرية ، ساعتان للدراسة العملية : ساعة للتدريب على السلاح والتثقيف والاسعافات الاولية . يباع انتاج المشغل من كنزات صوفية وخياطة وتطريز باسعار مخفضة للجماهير لتأمين متطلباته من مواد اولية ورواتب المتفرغين فيه .

**د - الخدمات التعليمية :** تراوحت هذه الخدمات في الاردن بين صفوف محو الامية وبين التثقيف السياسي حيث كانت تعتمد في النوادي الاجتماعية في المخيمات والتي كان ابرزها في مخيم البقعة وشنلر والوحدات . واما في لبنان فانشئت مدارس ليلية لطلبة السرتيفيكا والمرحلة التكميلية في كل من شاتيل و برج البراجنة في بيروت والبارد في طرابلس والبص في صور . ضمت ٦٨٠ طالبا في العام الدراسي ٧٠ - ١٩٧١ وجندت لها الجبهة بين ٣٥ - ٤٠ مدرسا . وفيما يلي نموذج لمدرسة شاتيل .

تم انشاء المدرسة الليلية لطلبة السرتيفيكا والمرحلة التكميلية في معسكر شاتيل خلال السنة الدراسية ٦٩ - ١٩٧٠ وضمت حوالي ٣٥٠ طالبا وطالبة جند لها بين ١٢ - ١٥ مدرسا من ذوي الاختصاص من طلبة الجامعات والمدرسين من اعضاء واصدقاء للجبهة . يشرف على المدرسة هيئة ادارية مكونة من ممثلين عن الجبهة وممثلين منتخبين عن المدرسين وممثلين منتخبين عن الطلاب ، وذلك من المراحل التكميلية فقط . تناقش الهيئة الادارية في اجتماعاتها اسلوب التعليم والتوجيه وكيفية تطويره ليخدم بالتالي اهداف الثورة الفلسطينية وذلك عبر : ١ - التعليم الاكاديمي العادي ، ٢ - تعليم مواد غير مقررة في مدارس وكالة الامم - تاريخ وجغرافية فلسطين ، مع تقديم تحليل للاحداث التاريخية ؛ ٣ - طرح القضايا الراهنة التي تمر بها القضية الفلسطينية لخلق حركة جدل حولها ضمن الطلاب وعائلاتهم .

تقوم الهيئة الادارية ايضا بتنظيم زيارات منظمة لاهالي الطلبة لمناقشتهم حول اوضاع المدرسة وسماع ملاحظاتهم وتقييم العمل ومحاولة اشراكهم في دعم وتبني مشروع المدرسة بالاضافة الى طرح القضايا السياسية وتحليلها والرد على استفساراتهم حول الوضع الراهن .

**هـ - خدمات متفرقة :** قدمت الجبهة بالاضافة الى هذه الخدمات مشاريع اجتماعية اخرى في عدد من المخيمات الفلسطينية منها النوادي الاجتماعية الثقافية والرياضية وفرقة للفنون الشعبية الفلسطينية .

### **الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين**

حدد احد اعضاء المكتب السياسي للجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين مفهوم الجبهة للعمل الاجتماعي على الشكل التالي : « ان مفهوم الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين للعمل الاجتماعي ينطلق من انه في مواجهة عدو متفوق يصبح السلاح الرئيسي لاية منظمة ثورية هو تعبئة الجماهير لمواجهة هذا العدو بما يسمى بـ « حرب شعبية » . الا انه في ظل الظروف الخصوصية لهذه الحرب الشعبية في الساحة الاردنية - الفلسطينية كان واضحا ان المقاومة الفلسطينية ، والجبهة

الشعبية الديمقراطية كجزء منها ، تعيش في حالة ازدواجية السلطة ، وهذا ما يفرض عليها أن تطرح برنامج عمل يختلف كل الاختلاف عن المهمات الملقاة على عاتق أي حزب ثوري في ظل ظروف العمل السري أو العلني ضمن الشرعية البرلمانية أو البرجوازية القائمة . واذ ذاك يصبح النضال المباشر في ظل ازدواجية السلطة هو تعبئة وتنظيم الجماهير لانتزاع مطالبها بغض النظر عن آراءات السلطة والطبقة الحاكمة . ان تنظيم الجماهير بمعزل عن السلطة القائمة يصبح المرتكز الرئيسي لعمل أي منظمة ثورية ، فلا يقتصر عملها على مجرد الدعاية لبرنامجها واقناع الجماهير بصحته وفضح السلطات الحاكمة ، وانما يصبح عليها أيضا ان تقرن هذه الدعاية وذاك التحريض في تنظيم الجماهير .

« لقد برزت من خلال العمل النضالي في ظل الاوضاع الخاصة للساحة الاردنية — الفلسطينية اشكالا محددة للتعينة الجماهيرية تمحورت في الدرجة الرئيسية حول : المنظمات النقابية والمهنية ، الميليشيا الشعبية ، والمجالس الشعبية بشكل اولي وجنيني . وترى الجبهة الشعبية الديمقراطية بانه كان يفترض لهذه التنظيمات ، التي هي بحكم طبيعة تكوينها صالحة لاستيعاب اوسع القطاعات الجماهيرية الممكنة ، ان يحول الى ادوات تخدم السلطة الثورية الجديدة في ظل ازدواجية السلطة ، وذلك عبر سويد الجماهير للجوء الى هذه المنظمات لحل مشاكلها اليومية ولادارة شؤون حياتها اليومية بحيث تبدأ هذه المنظمات بلعب دور متزايد ومنتام في الحياة اليومية لهذه الجماهير ومقدمة لها الخدمات التي هي من نفس الطبيعة التي توفرها الدولة — السلطة الرجعية — في اي ظرف اعتيادي . يكمن الهدف من هذا كله لان تبدأ الجماهير ، وبجهدا الخاص وب تجربتها الخاصة ، عملية تنظيم نفسها وللتخلي ورفض السلطة الرجعية القائمة . لقد نظرت الجبهة الشعبية الديمقراطية لما يمكن تسميته بالخدمات الاجتماعية من هذا المنطلق وعلى اعتبار ان هذه الخدمات أيضا تلبي جزءا من المطالب الجماهيرية الحياتية والمباشرة الى جانب الجزء الاخر الذي يقوم على تعبئة الجماهير من اجل انجاز متطلبات خوض المعركة الوطنية ( التدريب على السلاح ، الميليشيا ، الاسعاف والتمريض ، ويضاف الى ذلك أيضا التعبئة السياسية والتنظيمية وبناء الملاجئ ... الخ ) . من هنا كانت الجبهة تسعى لان تلزم كافة المنظمات الجماهيرية التي تعمل فيها ، كالنقابات والجمعيات المهنية ، ببرامج عمل تقوم على فرعين رئيسيين : ١ — تنظيم عمليات المشاركة الجماهيرية في تلبية مستلزمات المعركة . ٢ — تلبية المسالحو والمطالب المباشرة للجماهير والتي يشكل جزءا منها تقديم الخدمات الاجتماعية مثل مكافحة الامية واقامة المستوصفات الشعبية والمطاعم التعاونية الشعبية وتدريب المرأة على العمل الانتاجي في مشاغل الخياطة والتطريز والنسيج ... الخ .

« وكانت هذه العملية دون اي مضمون بالنسبة للجبهة لو انها جرت على طريقة تقديم الخدمات الاجتماعية من اجل الدعاية للجبهة . لقد كان المقصود من كل هذه التجارب ان يتم التركيز على تنظيم الجماهير بالدرجة الرئيسية لاجل ان توفر الامكانيات وتقديم اشكال من العمل الاجتماعي بامكانيات الجماهير الخاصة من خلال اتحادها وتنظيمها . وفي المقابل مثلا كانت حركة « فتح » تتوسع بشكل يفوق توسع الجبهة في سلسلة مريضة من الخدمات في المناطق التي عملت بها « فتح » . الا ان الخدمات التي قدمتها كانت تستند في امكانياتها على امكانيات « فتح » ، فهي التي تمولها — كبناء ملاجئ ومستوصفات اربد ، واقامة مشاغل الخياطة والتطريز ... — كانت خدمات « فتح » بشكل خدمات تقدمها دولة مستقلة او منعزلة عن الجماهير دون اي الزام لهذه الجماهير في عملية التصدي لحل مشاكلها بنفسها .

« عملت الجبهة الشعبية الديمقراطية من خلال الاتحاد الوطني للمرأة الفلسطينية في

ممارسة مفهومها للعمل الاجتماعي . لقد كانت ثلاث عضوات من مجموع تسع في الهيئة الإدارية للاتحاد ينتمين للجبهة ، ولكن أكثر العناصر نشاطا ونتيجة لدورهن القيادي ساهم الاتحاد ضمن الخط العام لمفهوم الجبهة في العمل النقابي ودوره في المرحلة القائمة طرح الاتحاد ضمن برنامجه اولا مساواة المرأة بالرجل ، واعداد المرأة لهذه المساواة في ظروف عامة وغير استثنائية . كان يمكن للاتحاد ان ينشط دعائيا وتنظيميا ويعتبر ان هذا النشاط هو الطريق لتنفيذ مطالبه . الا انه في ظل ازدواجية السلطة كان المطلوب من هذا الاتحاد ان لا يقتصر نشاطه في الدعاية لمطالبه وانما في البدء فعليا في انجازات عن طريق العمل المباشر . من هنا كان المطلوب من الاتحاد عملية اعداد المرأة لان تلعب دورها في المعركة والحياة الاقتصادية والسياسية ، وهذا كان يتطلب : ١ - التنمية الثقافية للمرأة ويشمل عمليات التوعية السياسية ومكافحة الأمية التي ترتفع نسبتها بين النساء في المجتمع الاردني - الفلسطيني عن نسبة الرجال . ٢ - اعداد المرأة من اجل الانفصال الاقتصادي عن الرجل بتأهيلها للعمل الانتاجي عبر اقامة سلسلة من الدورات لتعليم الفتيات على بعض الصناعات ذات الطبيعة النسائية » .

نظم الاتحاد بالإضافة الى النشاط الثقافي الاعتيادي اربعة مراكز رئيسية لمكافحة الأمية وذلك في اربد ، البقعة ، مخيم الوحدات لكل عمان ، والزرقاء . يضاف الى ذلك انه كان من ضمن برامج كافة المشاغل التي افتتحها الاتحاد عقد اجتماعات اسبوعية للمناقشة السياسية اولا ودورات لمكافحة الأمية مرافقة لدورات التدريب على الخياطة بالإضافة الى حصص تدريب النساء على السلاح . كانت كل دورة تضم بين عشرين وخمسين وعشرين فتاة وتستمر لمدة ثلاثة اشهر . ولكنها لم تكن بشكل منتظم دائما نتيجة للظروف الاجتماعية في المخيمات حيث كان هناك كفاف من أجل اقناع العائلات للسماح لفتياتهم للاشتراك في هذه الدورات التي كانت تعقد غالبا في المخيمات نفسها . كما اقام الاتحاد ايضا مركزا للتدريب والخياطة في اربد ومشغلا لتدريب الفتيات على النسيج في مخيم الحصن ومركزا آخر للخياطة في البقعة ومركزين في عمان ومركزا في الزرقاء . يتعدى هنا دراسة كل مركز على حدة لذا سوف أقدم بعض النماذج لتركيبة وطبيعة عمل هذه المراكز والتي تتشابه فيما بينها الى حد كبير .

**مشغل مخيم الحصن :** كان المشغل مجهزا بأحدث الآلات وبمبلغ مالي لإدارته كبير من جمعية خيرية مسيحية ، الا انه بمجرد ان استلم الاتحاد الوطني ادارة هذا المشغل في كانون الثاني ١٩٧٠ بدأ مباشرة بعملية تنظيم الفتيات العاملات فيه لتعويدهن على الإدارة الذاتية . فشكلت جمعية تعاونية لإدارة المركز من العاملات البالغ عددهن عشر عاملات في كل دورة . كانت الجمعية التعاونية منظمة على الطريقة التعاونية - حصص لرأس المال وحصص للإنتاج المباع تستقطع منها الأجور وتوزع الأرباح على العاملات . ان مجلس العاملات والذي يضم كل العاملات كان ينتخب مدير المشغل مباشرة ويشرف على سير العمل فيه ، كما يعقد أضافة الى ذلك اجتماعات اسبوعية للمناقشة السياسية واجتماعات يومية لمناقشة سير العمل في المشروع . كان هذا المركز نقطة استقطاب لكافة نشاطات الاتحاد في المخيم ، فالعاملات المنتسبات له كن يشكلن نواة فصول مكافحة الأمية التي شكلت في المخيم ، وثلن أيضا التدريب على السلاح وشاركن في مختلف نشاطات الاتحاد الأخرى الثقافية والاجتماعية . هذا وعقد لدورة المشغل هذه دورة للتدريب على الاسعاف والتمريض بعد ساعات العمل استمرت ثلاثة اسابيع . لم يعقد هذا المركز سوى دورة واحدة استمرت سنة اشهر انتهت قبل اسابيع قليلة من معركة ايلول ، وكان العمل خلالها يخضع للاحداث السياسية ، ولقد صادرت السلطة الأردنية بعد ايلول .

**مركز اربد للتدريب على الخياطة والتطريز :** افتتح المركز في كانون الثاني ١٩٧٠ لاقامة



دورات تدريب على الخياطة والتطريز في اربد . اشترت كل ماكينات المركز الضرورية  
بإمكانات الفتيات المشاركات فيه وبمساعدة من قبل الاتحاد . دفع الاتحاد ثمن الآلات  
وقام المركز بتسديد ثمنها للاتحاد على أقساط يقتطعها من ارباح المشغل . كما سدد  
العمل اليومي في المركز تكاليف المشغل اليومية والتي كانت زهيدة حيث لم تتجاوز مبلغ  
عشرين دينارا شهريا كراتب للمدربة فيه . كان هذا المركز مركز تدريب اكثر منه مركز  
انتاج . فلم يكن هناك جمعية تعاونية او مجلس ادارة وانما اشرف عليه مباشرة فرع  
الاتحاد في مخيم اربد . ولقد بيعت منتجات هذا المشغل مع منتجات مشغل الحصن في  
معارض خاصة اقامها الاتحاد في مدينة اربد . واما برنامج هذا المركز اليومي من حيث  
مكافحة الامية والتوعية السياسية والتدريب على السلاح فكان شبيها ببرنامج مشغل  
مخيم الحصن . عقد المركز ست دورات كانت تستغرق كل منها بين شهر وشهرين وذلك  
حسب الظروف السياسية وتضم حوالي الخمس وعشرين فتاة .

**مستوصف اربد** : أسس المستوصف في نيسان ١٩٧٠ في مخيم اربد الذي كان يفتقر الى  
اي شكل من أشكال العناية الطبية رغم كونه مركز تجمع سكاني . كان المستوصف تحت  
الإشراف المباشر لفرع الجبهة الشعبية الديمقراطية في اربد حيث عمل واشرف على  
ادارته وتسييسه الكادر الجبهوي المسؤول — كان المشرف على المستوصف عضوا في  
اللجنة المحلية في اربد بالإضافة الى طبيب نصير للجبهة وممرضة مؤيدة للجبهة ايضا .  
شملت الخدمات الطبية التي كان يقدمها المستوصف بالدرجة الاولى معالجة الحالات  
الطارئة والمستعجلة وتقديم الدواء للمرضى مجانا بالإضافة الى تقديم الثقافة الطبية الشعبية  
من خلال الندوات والمحاضرات التي كان يقيمه . هذا وكان يراجع المركز يوميا ما يقارب  
الستين مريضا في الفترة الاولى ومن ثم ارتفع هذا العدد الى المئة وعشرين مريضا بعد  
نهرين من افتتاحه . لقد قدمت الجبهة كل الامكانيات والادوات الضرورية لعمل  
المستوصف كما كان يساهم كل مريض من الذين يترددون على المستوصف باشتراك  
رمزي قدره خمسين فلسا اردنيا لسد احتياجات المركز من الادوية ومصارييف العاملين  
فيه وتسديد جزء من اقساط ادواته . كما استخدم المستوصف ايضا كأداة للتوعية  
السياسية ولاقامة علاقة منتظمة وحميمة مع جماهير المخيم . استمر في العمل بعد  
احداث ايلول ١٩٧٠ الا انه ضم بعد عملية التوحيد التي جرت الى مؤسسة الهلال الاحمر  
الفلسطيني حيث تم اغلقه ، واكتفي بمركز الهلال فقط في المخيم . لقد قدم المستوصف  
خدمة مباشرة لسكان مخيم اربد بدليل ان نسبة التردد عليه كانت اكبر بكثير من نسبة  
تردد الجماهير على مستوصفات اخرى رغم انها كانت تمتلك امكانيات افضل ، ولعل  
السبب في ذلك يعود الى الدور السياسي والتعبوي الذي لعبه المستوصف بالإضافة الى  
الخدمات الطبية التي كان يقدمها .

هذا وقد اقامت الجبهة مستوصفا في مخيم البقعة وآخر في مدينة الزرقاء كما قدمت  
مراكز الاتحاد الوطني سلسلة من الخدمات الطبية في مدينة عمان ، يضاف الى ذلك ما  
قدمه اتحاد الطلبة الفلسطينيين من سلسلة دورات لحو الامية والاسعاف والتمريض  
وخدمات اجتماعية اخرى .

**المجالس الشعبية** : حددت الجبهة « المجالس الشعبية » على انها « الصيغة الارقي  
والاكثر تقدما من صيغ الجبهة المتحدة للجماهير الكادحة . انها الاداة الرئيسية التي  
يمكن خلالها الشعب المسلح من ممارسة سلطته الثورية بصورة ديمقراطية . ان هذه  
المجالس التي تنتخبها الجماهير بصورة مباشرة في كل حي او مخيم او مصنع او قرية ،  
والتي تمارس عليها الجماهير رقابة مباشرة وتستطيع استبدالها في اي وقت تشاء ،  
تشكل المرآة الامينة التي تعكس — دون تشويهات بيروقراطية — ارادة الجماهير  
ومستوى وعيها ومزاجها واستعدادها الثوري . وهي لذلك السلطة الوحيدة التي

تلتصق بها الجماهير التصاقاً يومياً وحياً وتحترم تعليماتها وتطيعها ، لأنها منبثقة مباشرة من ارادة الجماهير . لذلك تشكل المجالس الشعبية الاطار الاكثر فعالية لتعبئة طاقات الجماهير وقيادة نضالها وتنسيق نضالها اليومي . ففي اطار هذه المجالس يمكن ان تمارس المنظمات الجماهيرية الاخرى ( النقابات وغيرها ) عملها التعبوي والنضالي ، وتحت امرة هذه المجالس يمكن ان توضع كافة وحدات الميليشيا الشعبية التي تشكل الاداة المسلحة لفرض ارادة الجماهير الثورية ، ومن خلال المجالس ايضا يمكن ان تجري مختلف اعمال تعبئة الجماهير وادارة شئون حياتها اليومية وتأمين مصالحها المباشرة» (١١) . هذا وقد وضعت الجبهة كشرط لنشوء هذه المجالس ان تكون ممثلة لكافة التيارات السياسية التي لها وجود حقيقي في المنطقة المعنية ، ولذلك فان نمو ونشاط هذه المجالس مرهون ليس فقط بالجبهة وبالجهود التي تبذلها بل بموافقة وعمل المنظمات الفدائية والتيارات السياسية الاخرى الموجودة . لقد كانت تجربة المجالس الشعبية تجربة جنينية اكثر مما هي فعالة وذات اثر في الحياة اليومية في الاماكن التي تم فيها تشكيل مثل هذه المجالس . واما فيما يتعلق ببرامج عمل هذه المجالس فغدت قدمت الجبهة الشعبية الديمقراطية مشروعاً الى اللجنة المركزية للميليشيا في نيسان ١٩٧٠ نشرته مجلة « الحرية » في عددها رقم ٥٠٨ بتاريخ ٣٠ - ٣ - ١٩٧٠ والذي تضمن النقاط التالية :

المادة الاولى : تشكيل المجالس الشعبية

المادة الثانية : اهداف المجالس الشعبية وغاياتها

المادة الثالثة : كيفية تكوين المجلس

المادة الرابعة : المنظمات الفدائية ودورها في المجلس

المادة الخامسة : اللجان المنبثقة عن المجلس - مهماتها - وصلاحياتها .

لقد تمت عمليتنا انتخاب في كل من مخيم سوف ومخيم غزة في منطقة جرش وذلك بعد اقرار مشروع الجبهة وقد تم ذلك على الشكل التالي : كان الاقبال على الانتخابات في مخيم غزة شديداً حتى تجاوزت نسبة المنتخبين ٩٠٪ من الرجال ونسبة لا تقل عن ٣٠ - ٥٠٪ من النساء . وقد كان المجلس الذي انتخب بأغلبية ٥١٪ من تحالف الجبهة الشعبية الديمقراطية والجبهة الشعبية والصاعقة وبعض المنظمات الاخرى ونسبة ٤٩٪ من تحالف « فتح » وقوات التحرير الشعبية وبعض المخاتير المستقلين . واما في سوف فانسفرت الانتخابات عن فوز فتح بأغلبية مطلقة في المجلس - ٦٠٪ .

وترى الجبهة « ان نتيجة الاغلبية التي احزمتها منظمات ليس لها مفهوم في المجالس الشعبية ان جمدت هذه المجالس التي انتخبها الجماهير ، واصطدمت من ناحية اخرى كل المحاولات التي بذلها عناصر الجبهة لدفع المجالس الى اتخاذ خطوات عملية باللامبالاة من عناصر المنظمات الاخرى » .

## الجباية الفلسطينية : تاريخ وتحليل

الدكتور سعيد حمود

عيش الجباية الفلسطينية في المرحلة الراهنة حالة يمكن تصويرها بالمنظار العلمي على انها حالة فوضى وانفلاش ، اذ انه لا توجد للعمل الفلسطيني أداة جباية واحدة ، بل عدة ادوات ، حتى ان الادوات المختلفة لا تقوم بعملها على أسس منسجمة ومدروسة ، كما ان اوعية الجباية ( الفئات على اختلاف أنواعها ) التي تعرف منها الجبايات ليست محصورة على أساس الاسلوب والاطار العلميين المتسلحين بالتنظيم . تعكس هذه الحالة نفسها على الواقع المالي للعمل الفلسطيني بأشكال ونتائج عديدة لعل أهمها هو التالي :  
أ - لكل منظمة من المنظمات الفلسطينية جهاز مالي مستقل ، يقوم بنشاطاته ويضع مخططاته ( هذا اذا وجد التخطيط ) دون أي اعتبار لوجود الاجهزة الأخرى ، مما يؤدي في كثير من الأحيان الى تقاطع ونضارب في عمليات الجباية بين عدة منظمات دفعة واحدة . ب - هناك عزلة تامة بين الاجهزة المذكورة وبين الصندوق القومي الفلسطيني ، الذي أسس ليكون جهاز الجباية الوحيد للعمل الفلسطيني ، والذي كان من المفترض أن تصب فيه كافة الاموال الجباية ليقوم هو بتوزيعها على متطلبات العمل الفلسطيني في كافة جوانبها . ج - تتم عملية الصرف والتصرف بالاموال الجباية بأسلوب أبعد ما يكون عن تعيين الاهداف والارتباط بسلم اولويات مدروس ، وبعيدا عن اعتبارات العلم والتوجيه وتركيزه الى ضرورات العمل ومتطلباته . د - نتيجة لهذا كله ونظرا للظروف القاسية التي يمر بها العمل الفلسطيني(١) ، فاننا نلمس الان نصوبا وضمورا في موارد الجباية الفلسطينية . فلا الجباية الشعبية ولا الجباية من الحكومات ولا من الجاليات العربية في الخارج تدر موارد تتناسب مع طبيعة الاعباء الماثلة امام العمل الفلسطيني . هذه باختصار أهم ملامح الصورة التي يعيشها واقع الجباية الفلسطينية الراهن ، ولو انه كان ممكنا ان نستعين بأرقام حقيقية حول تطورات احجام الجباية والقنوات التي صبت وتمصب فيها ، لازدادت الصورة وضوحا ولبيئنا علميا حقيقة ما نرمي اليه . غير ان هذا الأمر مستحيل بسبب الاوضاع السائدة(٢) . اما عن الاسباب والكوامن التي دفعت بالصورة الى واقعها الحالي ، فانه من المستطاع تسجيل صفحات عديدة مليئة بالقضايا السياسية والعسكرية وبقصص التنافس الحزبي والتيارات وبغيرها من الأمور ، غير اننا نكتفي هنا بالاشارة الى جملة اسباب عامة : (١) التشتت الذي يعاني منه العمل

دخلت منظمات العمل الفلسطيني ومن المستحيل أيضا اعطاء صورة رقمية حول هذه الاموال على البنود المختلفة ، اولا بسبب صعوبة عملية الحصر نفسها ، وثانيا بسبب رفض المنظمات ان تطلع أحدا على مواردها الحقيقية وكيفية تصرفها بها .

١ - تجدر الملاحظة هنا : ان تسوة الظروف السياسية والعسكرية انما تفرض ان تزداد موارد الجباية ، غير ان هذه المعادلة غير قائمة بل عكسها هو القائم بسبب القضايا المشار اليها .

٢ - انه من المستحيل حصر حجم الموارد التي

الفلسطيني ، لدرجة ان ظاهرة غريبة أصبحت ملازمة لمسيرة هذا العمل : في المراحل التي تكون فيها كافة المؤشرات ضاغطة في اتجاه الوحدة الوطنية تكون هذه الوحدة اشد تعذرا وتحجرا وأصعب منالا . هذه الظاهرة العجيبة لا بد من تعميق التمعن والدراسة فيها على أساس مختلف المعطيات الاجتماعية والحضارية وغيرها . ( ٢ ) غياب التصور العلمي الشامل والمؤسس على التخطيط في مقاربة العديد من معضلات العمل الثوري الفلسطيني ، الامر الذي يعكس نفسه بوضوح على الناحية المالية وعلى قضية الجباية بشكل خاص . ( ٣ ) بوجود حالة التشتت وغياب التصور العلمي الشامل تفجرت في العمل الفلسطيني الحدود المعقولة للتنافس وللخلاف بين المنظمات واختل ميزان الاولويات بشكل خطير ، وقد عانت من جراء ذلك القضايا الاساسية للعمل الفلسطيني أمر المعاناة ، ومن ضمنها القضية المالية ، لقد أمست محاولة إعادة ترتيب الاولويات في اطار الاوضاع القائمة أمرا على درجة عالية من الصعوبة والتعقيد .

لنا في التجربة اليهودية في الجباية مثال مليء بعناصر القوة والنجاح . وقبل أن نشير الى بعض هذه العناصر تجدر ملاحظتان : ان تجربة العدو في الجباية المالية هي بالفعل من اهم انجازاته ولا تتمثل بها هنا على اي اساس آخر غير الاستفادة العلمية من ناحية التخطيط وأسلوب العمل المرن والمتحرك والتأدر ، وانه ليس لعدونا فقط في هذا المجال تجربة ناجحة بل في تاريخ عملنا الفلسطيني تجربة في الجباية لا تقل احكاما في التنظيم ولا قدرة على التنفيذ ، الا وهي تجربة « بيت المال العربي » التي سنتناولها في صلب التحليل .

ما هي اهم العناصر الكامنة وراء نجاح الجباية اليهودية وانجازاتها الهائلة ؟

أ - التنظيم : النظرة الدقيقة على الهيكل التنظيمي لاجهزة الجباية اليهودية تبين لنا تداخلا وتعددا لا مثيل له . غير ان هذا التعدد والتداخل كان ولا يزال مضبوطا عبر تنظيم قوي اسس على نظرية الربط الدائم بين كافة نشاطات اجهزة الجباية والهدف الرئيسي الذي يحركها . ومنذ البدء ، أي منذ تأسيس الصندوق القومي اليهودي في العام ١٩١٠ وحتى قبل ذلك حين تأسيس الصندوق الرئيسي في إنجلترا في العام ١٩٠١ بقرار من المؤتمر الصهيوني الخامس ، منذ ذلك التاريخ المبكر كان التنظيم تعبيرا عن اهداف واضحة محددة . ولعل اعلان تأسيس الصندوق التأسيسي لفلسطين المعروف باسم Keren Haysod في العام ١٩٢١ من أكثر الامثلة وضوحا ، حيث احتوى الاعلان هدفا واضحا هو العمل بكل ما باستطاعة هذا الجهاز لتطبيق وعد بلفور ، أي اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . لا نريد ان ندخل في تعداد كافة الاجهزة التي اشرفت عليها المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية ولا في كيفية عملها ، وانما نكتفي بالتأكيد على ان التنظيم الصلب والدقيق كان عنصرا رئيسيا وراء الانجازات الهائلة التي حققتها .

ب - الرقابة : الرقابة المركزية من قبل أعلى السلطات في المنظمة الصهيونية العالمية وفي الوكالة اليهودية كانت ولا تزال السلاح الفعال الثاني الذي أعطى الجباية قدرتها على الوصول الى المردود المرتفع .

ج - النوعية البشرية للجهاز : من خلال التقارير ومن خلال دراسة المؤتمرات العديدة على مختلف المستويات يلمس الباحث التركيز الواضح من قبل المنظمة الصهيونية العالمية على انتقاء ابرز شخصياتها وخاصة في السنوات الاولى من عمل اجهزة الجباية ، للتفرغ من أجل هذه القضية . ولعل السر الحقيقي وراء تذليل كافة العقبات والصعاب أمام انطلاق عمل الجباية كمن في النوعية البشرية التي تصدت له ، بكل خبراتها واتصالاتها وقوة تأثيرها .

د - النظرة الاقتصادية العلمية في موضوع الجباية : لا شك ان النظرة الاقتصادية

العملية القائمة على أساس الكلفة والمردود هي التي تحكمت منذ فترة الإعداد الأولى في التخطيط لعمل أجهزة الجباية وبالتالي فإنه من الممكن التأكيد على أن هذه النظرة ظلت يرافق انتقال الأموال الجباية من مصدرها حتى مصبها النهائي . وهذا ما يفسر المردود الأقصى الذي حققته الجباية اليهودية .

هـ — النظرة الإعلامية العملية في موضوع الجباية : نجح التخطيط الصهيوني في الربط المحكم بين الجباية والإعلام ، وتمكن من تحقيق إنجازات إعلامية ضخمة عبر أجهزة الجباية الممتدة في العالم كله . ولا نجد في دراستنا للجباية اليهودية أي جهاز مالي دون نشرة أو إذاعة أو صحيفة أو دورية يشرف عليها ويوجهها ، الأمر الذي حقق إنجازات مزدوجة في الجباية والإعلام .

بعد هذه الإشارات إلى واقع الجباية الفلسطينية الحالي وإلى بعض عناصر نجاح الجباية اليهودية نؤكد أن الغاية منها ومن الاستعراض التاريخي لمؤسسات الجباية الفلسطينية التي سيتناولها البحث والتحليل إنما تتلخص بالوصول إلى مقترحات محددة ترمي الجباية الفلسطينية على أساس علمية واضحة قابلة للتنفيذ تمكن العمل الفلسطيني من الاعتماد على جباية قوية ، ثابتة وقادرة في عملية نضاله وصراعه الطويل الشاق وبالغ الأكلاف .

عرف العمل الفلسطيني ثلاث مؤسسات للجباية : « صندوق الأمة العربي » في العام ١٩٣٥ . « بيت المال العربي » في العام ١٩٤٦/٤٧ و « الصندوق القومي الفلسطيني » في العام ١٩٦٥ . كما أن مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية أعد في العام ١٩٧٠ « خطة الجباية المالية الفلسطينية » . سوف نستعرض المؤسسات الثلاث والخطة في أربعة أبواب لنصل إلى جملة استنتاجات ومقترحات .

### « صندوق الأمة العربي »

١ — التأسيس والمؤسسون : تأسس صندوق الأمة العربي في القدس بتاريخ ٢٦ تموز ١٩٣٥ كشركة محدودة الضمان ليس لها رأس مال مقسم إلى أسهم وعرف باسم شركة صندوق الأمة العربي المحدودة ، على أساس قانون الشركات لسنة ١٩٢٩ الذي وضعته حكومة فلسطين . وقد أعلن تسجيل الشركة في العدد ٥٢٨ من الوقائع الفلسطينية بتاريخ ٨ آب ١٩٣٥ . أما المؤسسون فكانوا ثمانية : أحمد حلمي باشا عبد الباقي ، رئيس مجلس إدارة البنك العربي والبنك الزراعي العربي ومن أصحاب الأراضي والأموال من القدس ، الحاج يوسف عاشور ، من أصحاب الأراضي والأموال من يافا ، عمر البيطار ، من أصحاب الأراضي والأموال من يافا ، جمال الحسيني ، من أصحاب الأراضي والأموال من القدس ، الحاج يعقوب الفصين ، من أصحاب الأراضي من واد حنين ، سليم عبد الرحمن ، من أصحاب الأراضي والأموال من طولكرم ، فؤاد سايبا ، فاحص حسابات من القدس ، سعيد الخليل ، من أصحاب الأراضي والأموال من طولكرم .

٢ — غايات الشركة : أ — أن تشتري وتستأجر وتستبدل وتحوز الأراضي والاحراش وحقوق التصرف وغيرها ، وحقوق الارتفاق في الأموال المنقولة . ب — أن تستثمر وتطرح وتبري وتحسن أراضي الشركة وأن تنشئ البنايات التي تستلزمها أعمال الشركة على هذه الأراضي وترمم وتحسن المشيد منها . ج — أن تؤجر أي قسم من هذه الأراضي إلى أي عربي طبقاً للشروط التي تستصوبها ، بشرط أن لا يخول المستأجر حسق تأجير أو تحويل ( بطريق البيع أو الفراغ أو الهبة أو الرهن ) أي حقوق منحت له في الأراضي المحوثة عنها عدا حقوقه بنتوجات هذه الأراضي . د — أن تشتري وتبيع وتحوز وتتصرف بالأموال المنقولة على اختلاف أنواعها . هـ — أن تحصل الإيجارات والديون

وسائر الذمم . و - أن تبيع ونرهن وتسترهن وتستبدل وتمنح حقوق الارتفاق وغيرها من الحقوق التي للشركة ، بشرط ان لا تتنازل عن رقبة املاكها الا لمؤسسة عربية . تدل هذه الغايات ، كما وردت في النص الاصلي لعقد التأسيس ان صندوق الامة العربي لم يكن مؤسسة جباية بالمعنى المباشر لمفهوم الجباية ، اي مؤسسة تجبي الاموال عبر اجهزتها وتجمعها في صندوق من اجل الاعتراف منه لاغراض العمل الوطني ، وانما كان مؤسسة ذات أهداف وفعاليات محددة بشراء وتأجير واستثمار الاراضي وكافة ما يتعلق بها من فعاليات مالية وعقارية . وسوف تتوضح كيفية التمويل حين نستعرض نظام الصندوق بعد قليل . ونجد الملاحظة بل تجب بان الغايات المذكورة انما كانت تصب في صلب اغراض العمل الوطني في تلك الفترة ، التي كانت تتميز بمحاولات الاجهزة الصهيونية في شراء الاراضي واستملاكها وحصركم ملكيتها باليهود ، ولا شك ان الهدف الاساسي غير المعلن وراء انشاء شركة صندوق الامة العربي المحدودة كان الوقوف في رجة فعالية الصندوق القومي اليهودي الذي كانت مهمته الاساسية ، كذراع رئيسي للمؤتمر الصهيوني في فلسطين ، هي جمع الاموال من اجل امتلاك الاراضي في فلسطين .

٣ - نظام شركة صندوق الامة العربي المحدودة : يتألف نظام الشركة من ٣٦ مادة مفسمة على خمسة ابواب : المقدمة ، مركز الشركة ومدتها ، الاعضاء ، ادارة الشركة والجمعية العمومية . تنص المادة الاولى ( المقدمة ) على ان الشركة مؤلفة من خمسين عضوا على الاكثر . ويجوز لمجلس الادارة زيادة هذا العدد . المادتان ٢ و ٣ : مركز الشركة القدس . ويحق لمجلس الادارة انشاء فروع وتغيير مركز الشركة . مدة الشركة ٩٩ سنة . ويحق للجمعية العمومية اطالة هذه المدة او تقصيرها . المادتان ٤ و ٥ ( الاعضاء ) : يعتبر عضوا في الشركة - المؤسسون والاشخاص الذين يقترضون الشركة مائة جنيه على الاقل والاشخاص الذين يشارون على نادية اكتساباتهم مدة سنتين على الاقل والاشخاص الذين يدفون للشركة اعانات لا تقل عن عشرة جنيهات سنويا . اما صلاحيات الاعضاء فهي شخصية وليس لهم اي حق بأموال الشركة المنقولة وغير المنقولة .

ينضح من هذه المواد ان تمويل الشركة انما كان يقوم على ثلاث ركائز : القروض والاكتتاب والاعانات . لم يكن معتادا على الجباية الشعبية الواسعة او التمويل من حكومات او مؤسسات . كما هو الحال بالنسبة لاجهزة الجباية التي تعتمد على اوعية عريضة واسعة ، تجبي منها الاموال وتقوم بصرفها على اغراض مختلفة .

تنظم المواد ٦ الى ٢٢ أعمال ادارة الشركة وفعالية مجلسها ولجنتها الادارية ، ويمكن تلخيص صلاحيات المجلس بالنقاط التالية التي نصت عليها المادة ١٧ : تعيين الموظفين والمستخدمين واقالتهم وتحديد أعمالهم وقيمة الضمانات الواجب أخذها منهم . تنظيم ميزانية للشركة سنوية تحتوي على الواردات الخمنة ورواتب الموظفين واجور المستخدمين وسائر النفقات . الاستئجار والتأجير لمدة قصيرة او طويلة سواء بمقابل او بدون مقابل . اقتراض نقود برهن عيني او غيره من التأمينات . السماح بسحب وتحصيل وبيع الاموال المنقولة والاوراق المالية التي هي ملك الشركة . السماح باقامة كل دعوى والدفاع عن مصلحة الشركة امام القضاء سواء كانت الشركة مدعية او مدعى عليها . التعاقد عن الشركة والمصالحات وقبول التحكيم والتنازل عن كل حجز متوقع تحت يد الغير بعد تأمين حقوق الشركة . قبول الرهنات وشطبها وابطال المعارضات والتنازل عن حقوق الامتياز بعد تأمين حقوق الشركة . تقرير كيفية استعمال اموال الشركة بما في ذلك مالها الاحتياطي . تحديد مقادير القروض وفوائدها وفوائد الودائع وتعيين مقادير العمولات والاجور على اختلاف انواعها وتعيين انواع التأمينات الواجب أخذها مقابل القروض ومقاديرها . تصديق الحساب الختامي . تنظيم تعاليم الشركة .

القيام بكل ما يلزم لمباشرة او معاونة كل عمل يدخل في غرض هذه الشركة . وبالإجمال إدارة أعمال الشركة ضمن الغايات المعينة في عقد التأسيس . اما المواد ٢٣ الى ٣٦ فننظم فعاليات الجمعية العمومية حقوقها وواجباتها ولعل المادة الاخيرة تلقي المزيد من الاضواء حول طبيعة الشركة وغاياتها ، اذ تنص على ان اموال الشركة المنقولة وغير المنقولة وقف على الامة العربية في فلسطين ، وعند تصفية الشركة تؤول الى الجهات الخيرية العربية من انشاء مدارس زراعية وصناعية وعلمية ومستشفيات وما الى ذلك من المنشآت العربية العامة في فلسطين التي تقررها الجمعية العمومية .

لم تتوافر لنا معلومات اكثر من تلك التي وردت اعلاه حول صندوق الامة العربي وحول معاليته ، ونعتقد انه ، نظرا للظروف السياسية التي كانت سائدة في فلسطين في ذلك الحين ونظرا لظروف الحرب ، لم تتح الفرصة امام الشركة للتحرك على طريق تنفيذ اهدافها . في العام ١٩٤٥ ، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، اعيد تأسيس الشركة ، ولكن يبدو ان الظروف التي سادت فلسطين في تلك الفترة ايضا تتويجا للمخططات الصهيونية قبل واثاء الحرب ، حالت مرة اخرى دون تحرك الصندوق . نبدي هذه الملحاحات هنا بتحفظ شديد لاننا لا نملك صورة دقيقة حول اوضاع ونشاطات الشركة .

### (( بيت المال العربي ))

نسنى لنا الحصول على الوثائق الاساسية المتعلقة بانشاء وفعالية ونشاطات بيت المال العربي ، وذلك بفضل الدكتور عزت طنوس ، الذي كان امينا عاما لبيت المال ، والذي اتاح لنا ، عبر احاديث طويلة معه وعبر الوثائق والأوراق التي ما زال يحتفظ بها ، وكذلك عبر ذاكرة واعية دقيقة ، ان نطل على تجربة بيت المال اطلالة كاملة وكذلك على مختلف جوانب الصورة السياسية والظروف التي احاطت بها في ذلك الحين . وتعتبر تجربة « بيت المال العربي » انجح تجربة جباية تمت في تاريخ العمل الفلسطيني ، ان من حيث التنظيم والدقة في الادارة او من حيث الشمول او من حيث النتائج التي توصلت لها ، كما سنبين في دراستنا لهذه التجربة . وما زالت الاسس والافكار الرئيسية التي قام عليها بيت المال سالحة ، في رأينا ، لتستفيد منها أية خطة جباية فلسطينية في الفترة الراهنة ، رغم اختلاف وضع الشعب الفلسطيني اليوم عنه في العام ١٩٤٦/٤٧ ، ورغم اختلاف الظروف السائدة اليوم عنها في تلك الفترة .

١ - تأسيس بيت المال العربي ومجلس الامناء(٢): انبثقت فكرة انشاء مؤسسة مالية لجباية الاموال من أجل اهداف الحركة الوطنية في فلسطين عن اللجنة العربية العليا التي اصبحته الهيئة العربية العليا فيما بعد ) في منتصف العام ١٩٤٦ . وسميت المؤسسة « بيت المال العربي » ووضع له دستور من احدى وثلاثين مادة ، حدد فكرة واغراض ونظام ومؤسسات وادارة وميزانية بيت المال العربي . قامت الهيئة العربية العليا بتعيين الدكتور عزت طنوس امينا عاما لبيت المال العربي ، الذي يبادر الى تشكيل مجلس امناء من الشخصيات البارزة في فلسطين والتي كانت تتمتع بثقة الناس وبمراكز اجتماعية ومالية مرموقة . كان مجلس الامناء مؤلفا من ٣٦ عضوا ، وقد انتخب من بين اعضائه ١٢ شخصا كلجنة تنفيذية : عبدالحميد شومان ، جمال الحسيني ، اسعد الحلبي ، كامل القاضي ، كامل عبدالرحمن ، أنيس نصر ، الحاج طاهر قرمان ، الشيخ شاكر ابو كشك ، الحاج مصطفى ستيتيه ، محمد عبدالباقي ، كامل الدجاني ، والدكتور

٢ - المعلومات الواردة مستقاة من الكراسي القدس ، حزيران ١٩٤٧ ، ومن المقابلات مع الدكتور عزت طنوس .

٢ - المعلومات الواردة مستقاة من الكراسي الإيضاحي الصادر عن بيت المال العربي -

عزت طنوس امينا عاما .

بناء على دستور بيت المال العربي ( المواد ٥ - ١٠ ) فان مجلس الامناء يشرف على بيت المال وتختار الهيئة العربية العليا ثلث الاعضاء من ذوي الكفاءة والمكانة المالية وتنتخب اللجان المحلية الاستشارية في مدن الالوية والاقضية الاربعة والعشرين عضوا الآخرين ، ويتقيد مجلس الامناء في اعماله بنظام داخلي يسير بموجبه من حيث ادارة الجلسات والاعمال والقرارات الخ . . . لم يكن مجلس الامناء ، اذن ، جهاز جباية ، بل جهازا استشاريا يشرف على الجهاز الاداري ، الذي كان مسؤولا عنه وعن تأمين سياسة بيت المال الموضوعة الامين العام .

٢ - ادارة بيت المال واللجان والمكاتب الفرعية(٤): قام الدكتور طنوس ، الامين العام ، بتعيين الدكتور يوسف صايغ مديرا عاما لبيت المال ، الذي كان عليه ان يضع الافكار الرئيسية اللازمة للجباية ولكيفية تحصيل الاموال ولتنظيم بيت المال وتجهيزه . كما قام الامين العام بتعيين جورج فؤاد جورج محاسبا عاما ، وتولى المدير العام والمحاسب العام عملية وضع قيود بجميع العرب في فلسطين ، فصار لدى بيت المال العربي قيود تضاهي قيود الحكومة . كانت الخطوة التالية بعد وضع الافكار الرئيسية والقيود واللوائح هي تاليف الجهاز . كان حجم الجهاز يعكس الافكار الرئيسية المتعلقة بأسس تكليف الفلسطينيين والضرائب المطلوبة منهم وأحجام هذه الضرائب .

نألف الجهاز من مكتب رئيسي في القدس ومن ستة مكاتب فرعية في مدن الالوية الستة : القدس . يافا . حيفا . نابلس ، غزة والناصره . وكان لكل مكتب مدير ومحاسب وجاب . كانت هذه المكاتب ترتبط بالادارة الرئيسية وتقع تحت اشراف وارشاد اللجان المحلية ، فنؤمن بذلك الصلة بين اللجان والجمهور والادارة ، خاصة لان مدير كل فرع كان بحكم مركزه سكرتير اللجنة المحلية ليتحقق الانسجام والاستمرار في العمل ولتوضع رغبات اللجنة الاستشارية موضع التنفيذ . وكانت هناك مكاتب فرعية اصغر حجما في مراكز الاقضية مثل صفد وعكا والبلدان الثانوية .

اذن . كانت هناك لجان استشارية ست تشرف على المكاتب الستة ، بالاضافة الى هذه كانت هناك لجان محلية استشارية اخرى في الاقضية : الخليل(٥) ، اريحا ، رام الله ، بيت لحم . اللد ، الرملة ، بشر السبع ، خان يونس ، الفالوجة ، المجدل ، جنين ، طولكرم ، عكا ، طبريا ، صفد وبيسان . وجميع هذه اللجان قد تشكلت في مدن الالوية والاقضية بعد اجتماعات عديدة قام بها الامين العام لبيت المال العربي ومساعدوه وبعد ان اتضحت فكرة بيت المال للشعب بأسره . وجميع هذه اللجان كانت ممثلة في مجلس الامناء .

اما تشكيل اللجان فكان بطريق الانتخاب الحر لتكون لها صفة تمثيلية وتشعر ان جمهرة المالكين تدعمها ، وقد شملت هذه اللجان ممثلين تتراوح اعدادهم بحسب المدن من ستة اشخاص الى ٢٥ شخصا عن مختلف الفئات الاقتصادية في مناطقها ، فهي تضم مندوبين عن التجار وذوي المهن الحرة والحرف والملاكين والعمال والزارعين والاندية والجمعيات والمنظمات القروية في المدن(٦) - وجميع هؤلاء انتخبتهم مؤسساتهم او فئاتهم في اجتماعات علنية - فاصبحت للجان صفة تمثيلية صحيحة وكلمة مسموعة في تسيير شؤون بيت المال عن طريق ممثلها في مجلس الامناء ، أي ان هذه اللجان كانت شعبية - تمثيلية - استشارية ، تعين بالافكار مكتب بيت المال العربي ، وبعد الانتهاء من فترة الاعداد

٤ - المصدر نفسه .

اللجنة .

٥ - تعذر انشاء لجنة في الخليل رغم التركيز عليها ، وذلك بسبب معارضة وجهاتها لمل هذا

٦ - المواد ١٨ - ٢٥ من دستور بيت المال العربي .



ومباشرة العمل كانت مهمة هذه اللجان ان تساعد في فرض الضريبة على المكلفين ، بمعنى انها كانت تعين حجم الضريبة الذي يصيب هذا الحلاق او ذاك ، وهذا الطبيب او ذاك ، من ضمن المدى ( مدى الضريبة ) المخصص لكل فئة من الفئات ، وذلك في اجتماع كل لجنة محلية — اما بكامل اعضائها او عن طريق لجان فرعية منها — حيث تصنف كل فئة من المكلفين بمفردها بالتعاون مع افراد يمثلون تلك الفئة من خارج اللجنة . وعندما يتم هذا التصنيف وتقره اللجنة يباشر التحصيل على اساسه دون تعديل . اما في الحالات التي يكون فيها اي اعتراض لدى احد المكلفين فيبلغ الاعتراض واسبابه خطيا الى اللجنة وترفعه بدورها الى الامين العام عن طريق مكتب بيت المال الفرعي ويقرر فيه نهائيا على ضوء توصيات اللجنة والمكتب . وكانت هناك صلاحية رئيسية اخرى للجنة المحلية الاستشارية (٧) هي درس طلبات العمل التي يرشحها مركز بيت المال ، ومهمة المركز هي درس الطلبات من ناحية الكفاءة ، والطلبات التي تتوفر فيها المؤهلات ترفع للجنة فمن يرفضه من المتقدمين لا يجوز للامين العام تعيينه بل يعين من بين الاسماء التي ترضى اللجنة بالتعاون معها . لهذا التحفظ فائدة مزدوجة : من ناحية يعطي للجنة كلمة اساسية في اختيار الموظفين . ومن ناحية اخرى يترك امر التعيين النهائي بيد الامين العام ، فلا يصبح الموظفون مجرد أداة لترضية اللجنة (٨) .

٣ — **أسس ومبادئ التكلفة** : كانت الفكرة الاساسية التي اعتمدها بيت المال العربي في توجيهه هي أن يتحمل الفلسطينيون العرب القسم الاكبر من الاعباء المالية للعمل الفلسطيني داخل البلاد ، هذا الى جانب الاسهام العربي المتوقع من الدول العربية . وقد شرح الكراس الصادر عن بيت المال ( المذكور اعلاه ) كيفية الجباية وبين أنها ، من حيث الاسلوب ، تقوم على ركيزتين : الاولى ، عن طريق التبرع المباشر ، والثانية ، عن طريق التبرع غير المباشر . أما التبرع المباشر فقد قام على مبدئين : المبدأ الاول ، التبرع الشعبي ، وهو ضريبة شعبية ( ١٠٠ مل سنويا ) تصيب كل فلسطيني مهما كان عمره او جنسه . أما المبدأ الثاني ، التبرع النسبي ، وهو ضريبة تصاعدية تعكس القدرة على الدفع . لم يكن بإمكان بيت المال الحصول على المعلومات الواغية حول دخول الافراد من نواتر ضريبة الدخل ، لذلك لم يكن بالتالي ممكنا فرض نسبة مئوية على الافراد كما فعل الحكومات . كان الهدف هو فرض ضريبة تعكس القدرة على الدفع ، وبما ان بيت المال لم يكن يملك السلطة التشريعية والتنفيذية ، فقد كان لا بد من استنباط طريقة لاستيفاء هذه الضريبة . وسوف نبيّن بعد قليل الاساليب التي اتبعت لاستيفاء الضريبة الشعبية والضريبة التصاعدية . وأما التبرع غير المباشر فقد شمل بعض الخدمات والحاجات كالمواصلات ودور السينما والمطاعم والملاهي ومباريات الرياضة والصحف وشركات الدخان والبرتقال وغيرها ، عن طريق اضافة مبالغ ضئيلة جدا على اثمان هذه الحاجات والخدمات .

{ — **طريقة جباية الضرائب ( الشعبية والتصاعدية وغير المباشرة )** (٩) : بدأ بيت المال العربي بحملة (١٠) اعلامية واسعة النطاق في الصحف ودور السينما كان الغرض منها ، اولا استثارة الحماس الوطني بين الفلسطينيين وثانيا تبيان ان الحماس الوطني وحده

٦ — اننا نتوسع في تفاصيل صلاحيات اللجان

٧ — بقصد تبيان المرتكزات الهامة التي كانت وراء النجاح الكبير في فعالية وانتاج بيت المال العربي .

٨ — ورد في الكراس الايضاحي ، المرجع السابق ، صفحة ١٠ رسم هيكل يبين صورة الجهاز الاداري والاستشاري لبيت المال .

٩ — المرجع السابق ، صفحات ٥ - ٧ .  
١٠ — بعد استعراض طرق الجباية سوف نلقى مزيدا من الاضواء على الحملات والاتصالات والفعاليات التي قام بها الامين العام لبيت المال ومساعدوه من اجل تحقيق اكبر قدر من الانتاجية والانجازات .

لا يكفي . بل يجب ان يدعم بالمانده الماليه حتى يتجسد في صيغة موارد واسلحة يحتاجها  
العمر الفلسطيني . وبالتالي فانه على الفلسطينيين ان يحملوا الاعباء لتمويل حركتهم  
الوطنية التحريرية .

أ - جباية الضريبة الشعبية : لم تكن جباية هذه الضريبة عملية صعبة امام اجهزة بيت  
المال وخاصة في تلك الفترة ١٩٤٦/٤٧ . اذ ان ظروف الاعاشة والتموين في فلسطين  
اناء الحرب جعلت الحكومة تعين بقالين معتمدين لتوزيع المؤن المقننة . وقام بيت المال  
العربي بتكليف نفس هؤلاء البقالين في كل مدينة وقرية وفي كل حي بعملية تحصيل الضريبة  
الشعبية بموجب لوائح التموين الموجودة لديهم . وكانت هذه اللوائح تامة ، اي شاملة  
كل العائلات الفلسطينية . وقد قام بيت المال بتزويد هؤلاء البقالين بتذاكر مرقمة  
( كويونات ) . حيث كان لدى كل بقال عدد من التذاكر يساوي عدد الافراد المسجلين  
لديه . وكلف هؤلاء البقالين بجباية الضريبة الشعبية من العائلات عندما تأتي لتأخذ  
حسبها من السكر والمؤن المقننة الاخرى ، حتى يكون تحصيل هذه الضريبة شاملا (١١) ،  
فقد وضع بيت المال في مخططه منذ البدء امكانية تحصيل هذه الضريبة رأسا عن طريق  
محضلي بيت المال في المدن الصغيرة وبالتعاون مع لجان القرى في القرى (١٢) . وبالطبع  
لم يكن ممكنا تحصيل هذه الضريبة دفعة واحدة ولكن بيت المال سار شوطا بعيدا في  
جبايتها .

ب - طريقة فرض وجباية الضريبة التصاعدية ( التبرع النسبي ) : نصت المادة ٢٠ من  
دستور بيت المال على ان تقوم اللجان الاستشارية بتصنيف فئة التبرع المطلوبة من كل  
فرد من المكلفين . وكانت أسس التكلفة التي وضعت للضريبة التصاعدية والتي اقترنها  
اللجان الاستشارية وجرى تطبيقها ، ان يقسم المكلفون الفلسطينيون الى فئات على  
اساس حرفهم ونشاطاتهم الاقتصادية ( المهن الحرة ، الحرف ، التجار ، الصناعيون  
الخ . . ) . وان توضع حيزود دنيا وعليا لكل من هذه الفئات . ولقد حدد ما سيدفعه أي  
تاجر أو شركة أو مصنع أو ملاك بفئة تتراوح بين جنيه واحد وخمسين جنيها سنويا  
حسب التصنيف ( عدا التبرعات الاضافية ) ، كما حدد ما سيدفعه ذوو المهن الحرة  
بمشرة جنيها سنويا كحد أدنى ( ايضا عدا التبرعات الاضافية ) ، وحدد ما سيدفعه  
أرباب الحرف اليدوية بفئة تتراوح بين جنيه واحد وخمسة جنيها سنويا حسب  
التصنيف ، وما سيدفعه الموظفون بفئة جنيه واحد أو جنيهين أو ثلاثة جنيها سنويا  
حسب المدخول من الوظيفة ، وهذا جدول يبين فئات التبرع (١٣) :

#### التبرع النسبي

المبلغ سنويا ( جنيه )  
من ١ الى ٥٠ حسب التصنيف  
١٠  
من ١ الى ٥ حسب التصنيف

#### فئات المكلفين

التجار والشركات والملاك والمصانع ( عدا التبرع الاضافي )  
المهن الحرة ( عدا التبرع الاضافي )  
الحرف اليدوية  
الموظفون ( عن مدخولهم الاساسي والعلاوات )

لا شيء

١

٢

٣

من مدخوله الشهري تحت ١٥

من مدخوله الشهري من ١٥ الى ٢٤

من مدخوله الشهري من ٢٥ الى ٣٩

من مدخوله الشهري من ٤٠ فما فوق

١٢ - الكراس الايضاحي ، المرجع السابق ،  
ص ٧٠ .

١٣ - المرجع نفسه ، ص ٦٠ .

١١ - المقصود من وراء الشمول هنا بالاضافة  
الى تأكيد الجباية ، هو ربط كل انسان  
فلسطيني بقضيته ومشاركته بها ، وهذا هو  
الهدف الاساسي لمبدأ التبرع الشعبي .

كانت هذه الحدود تعكس القدرة على الدفع للفئات المختلفة وكان المدى Range يعكس البياين في القدرة على الدفع داخل كل فئة . وتجدر الملاحظة هنا ان عملية التوزيع كانت سهلة لان اللجان الاستشارية كانت تضم ممثلين عن مختلف الفئات ، فأخذ الاطباء مثلا الحدود الدنيا والعليا لفئتهم وعرضوها على نقابتهم وجرى هناك ، فيما بينهم ، وضع حدود التكلفة .

بالإضافة الى هذه التبرعات نصت المادة ٢١ من دستور بيت المال على فئة اضافية تطلب التبرعات بموجبها من التجار والشركات والملاكين والمصانع ممن تمكنهم حالتهم المادية من دفع فوق الخمسين جنيها سنويا ( وهي الحد الاعلى العادي ) ، ومن ذوي المهن الحرة ممن يتقدرون على دفع فوق العشرة جنيها سنويا ( وهو المبلغ العادي ) . وقد طلبت هذه التبرعات الاضافية بكتب خاصة من الامين العام لبيت المال وروعي في هذا المجال كما نصت المادة ٢١ من الدستور ) ان يكون الطلب من القادرين ماديا على تحمل هذا التبرع (١٤) .

باجنابة هذه الضرائب فقد ثبت على الشكل التالي : وضع بيت المال كتب تكليف ، وكان المحصلون يحملون جداول بأسماء المكلفين في مناطقهم وفئة التبرع المطلوبة ، بالإضافة الى حمل المحصلين ( الجباة ) بطاقت رسمية تثبت صفتهم ، وقد جمعوا الاموال على اساس الجداول وتمت عملية الجمع بسهولة رغم انه كان من الضروري تقسيطها احيانا لصعوبة استيفائها مرة واحدة (١٥) .

كانت الاموال التي تجبى توضع في المصارف يوما فيوما مقابل ايصالات ، وكانت ارومات ديونات الضريبة الشعبية وايصالات الضريبة التصاعديّة تربط كلها معا وترفق بايصال البنك وترسل برفقة تقرير اسبوعي الى المركز الرئيسي في القدس ، الذي كان يحتوي على قسم محاسبة مستكمل .

ج - الضريبة غير المباشرة (١٦) : لعبت الضرائب غير المباشرة وعمليات تحصيلها الى جانب الضرائب الاخرى التي اعتمدها بيت المال دورا بارزا في اضعاء حالة من المشاركة الجماهيرية الواسعة في صميم العمل الوطني في فلسطين في ذلك الحين . وكان للطابع التي اصدرها بيت المال ، والتي كانت اقوى وسائل استيفاء الضريبة غير المباشرة ، بالغ الاثر في هذا المضمار ، تبين الامثلة التي نوردتها فيما يلي مراعاة عدم ارهاق جمهوره المستهلكين لتلايق عبء التبرعات غير المباشرة على كاهل ذوي المداخل الصغيرة :

« اما اهمية التبرع المباشر - من نسبي وشعبي - من ناحية التنظيم الوطني فهي ان المواطن الذي يقوم بالتزاماته المالية لبيت المال العربي يكون له الحق ان ينتخب وينتخب في الانتخابات الوطنية . وهذه الميزة لتحصيل بيت المال العربي شديدة الخطورة لانها تضع الاساس العملي لبناء التنظيم القومي الداخلي » .

١٦ - الامثلة الواردة حول الضرائب غير المباشرة مأخوذة عن اللوائح الاصلية التي وضعتها ادارة بيت المال العربي والموجودة لدينا بنسخها الاصلية .

١١ - لدينا نص الكتاب الاصلي الذي وجه للمكلفين بهذا التبرع بتوقيع الامين العام لبيت المال العربي وقد جاء في الكتاب : ..... ولهذا فقد تأنفت لجنة خاصة في منطقتكم لتسهيل مهمة هذه النخبة المختارة وتحدد المبالغ التي يحسن ان يساهم بها كل منهم كتبرع اضافي استثنائي نظرا للظروف الدقيقة الحاضرة فكان نصيبكم ..... جنيها تدفع للامين العام ويرسل لحضرتكم بها وصل رسمي من بيت المال العربي مع رسالة شكر .....

١٥ - جاء في الكراس الايضاحي ، المرجع السابق ، ص ٨ ، حول التبرع المباشر ما يلي :

## أمثلة من الضرائب المقترحة

### — ضرائب غير مباشرة

الصنف	الضريبة المقترحة	كيفية استيفاء الضريبة
الخبز	مل ١ على كل رغيف	بواسطة الاغران
الكاز	مل ٥ على كل صحيفة	بواسطة الوكالة
البنززين	مل ٤ على كل غالون	بواسطة الوكالة
الدقيق	جنيه ١ على كل طن	بواسطة بائع الجبلة
المشروبات الخفيفة والروحية	مل ١٤٥ اذا كان ثمن القنينة أقل من ١٠٠ مل مل ١٠ اذا كان ثمن القنينة من ١٠٠—٢٥٠ مل مل ٢٠ اذا كان ثمن القنينة من ٢٥١—٥٠٠ مل مل ٥٠ اذا كان ثمن القنينة من ٥٠١ فما فوق	بواسطة الوكلاء والفساراك المحلية وعلى المستوى الموجود في الاسواق في الابتداء .
المواصلات داخل المدن	مل ٥ على التذكرة يومان في الاسبوع	تستوفى من الركاب بواسطة طوابع وتذاكر بيت المال العربي .
المواصلات بين المدن	مل ٥ على التذكرة يومان في الاسبوع اذا كان ثمن التذكرة اقل من ١٠٠ مل مل ٥ يوميا اذا كان ثمن التذكرة من ١٠٠— ٢٥٠ مل	
الصيدليات	مل ١٠ على كل تذكرة سفر فوق ٢٥٠ مل	بواسطة الصيدليات الزبائن .
المطاعم والملاهي	مل ١٠ عن كل وصفة طبية مل ٥ عن كل وجبة او بطاقة ثمنها اقل من ٢٠٠ مل	
القوميونجية	مل ١٠ عن كل وجبة او بطاقة من ٢٠٠ فما فوق ١٪ من ثمن الفاتورة	من وكلاء شركات السجائر وعلى الكمية الموجودة في الاسواق عند الابتداء .
السجائر	وضع مل ٥ على كل علبة سجائر وطنية و١٠ مل على العلبة الاجنبية .	
البيض	مل ١ على كل بيضة	بواسطة جمعية باناسي البيض او الصندوقية .
الصادرات من المدن	١ الى ٣٪ على المواد الغذائية والضروريات ٥٪ على الكماليات	في مكاتب اللجان القومية مقابل ايصالات بيت المال وذلك بحمل كل المصدرين على اخذ رخص نقل البضائع من اللجان القومية .

### — ضريبة الحراسة

#### الضريبة المقترحة

ضريبة الامن والحراسة : تقترح نسبة مئوية يتفق عليها من قيمة ضريبة البلدية على الاملاك وتستوفى من المالك والمستاجر وتستفيد اللجان القومية من هذه الضريبة لدفع رواتب ومصاريف حرس الامن الذين تمنهم اللجان القومية ( هذا الباب لا صلة له بمصاريف الدفاع التي تتحملها القيادة بموجب تعليمات الهيئة العربية العليا ) . وهذه الضريبة يتطلب فرضها الحصول في كل مدينة على جداول ضريبة البلدية والاستعانة بها ( وهذه الخطوة في غاية الاهمية خاصة في المدن التي ليست فيها بلديات عربية صرف مثل القدس وحينها وطبرية وصند ) .

## الرسوم والرخص والغرامات

تستوفي هذه الرسوم	المبالغ ترتب	رخص الاسلحة
في مكاتب اللجان القومية	محليا بعد	رخص السيارات الخصوصية والعمومية
مقابل ايصالات	التداول وحسب	الهويات الشخصية
بيت المال العربي .	الحاجة المحلية	التصاريح المتنوعة للسفر وما شاكل
		الغرامات

نوخينا في ايراد هذه الامثلة تبين شمول تخطيط بيت المال العربي للجباية كافة الحقول والمجالات ، واثراك جميع المواطنين ، بأسلوب عملي مدروس ، في تأمين السند المادي والمعنوي لحركتهم الوطنية .

هـ - **حول ميزانية واردات و صرفيات بيت المال** : وضعت الهيئة العربية العليا بالتعاون مع مجلس الامناء ميزانية تقديرية سنوية للواردات والصرفيات (١٧) . وقد ارتكزت الميزانية التقديرية على قاعدتين : احصاءات وجداول دقيقة للمكلفين ( كما بينا سابقا ) تبينا يتعلق بالواردات ، والحاجات الملحة للمصالح الوطنية الرئيسية المتعددة وأولها الاراضي ، فيما يتعلق بالصرفيات .

شملت الميزانية الاولى السنة المالية من اول نيسان ١٩٤٧ لآخر آذار ١٩٤٨ (١٨) . وانما نورد هذه الميزانية (١٩) هنا تبينا للدقة والوضوح ، اللذين اتبعتهما ادارة بيت المال منذ بدء عملها :

### الميزانية التقديرية الواردات

التقدير بالجنيهات	التبرع المباشر	ا
٩٠٠٠٠	التبرع الشعبي ( ١٠٠ مل سنويا من كل عربي وعربية )	١
	التبرع النسبي	
٧٠٠٠٠	تبرع المهن الحرة ( ١٠ جنيها سنويا عن كل ذي مهنة كحد ادنى )	٢
٧٠٠٠٠	تبرع التجار والشركات والمصانع والملاكين والحرف	٣
١٣٠٠٠	تبرع الموظفين	٤
١٨٠٠٠٠	مجموع تقدير التبرع المباشر	
	التبرع غير المباشر	ب
٢٥٠٠٠	عن طريق المواصلات ووسائل النقل	١
٤٠٠٠	عن طريق السينمات والملاهي	٢
٥٠٠٠	عن طريق شركات الدخان	٣
٥٤٠٠٠	عن طريق الصحف	٤
١٤٠٠٠	من طوابع التبرع وخلافها	٥
٤٠٠٠٠	مجموع تقدير التبرع غير المباشر	
٢٢٠٠٠٠	مجموع تقدير الواردات	

### الصرفيات

التقدير بالجنيهات	النسبة المئوية من الميزانية	١ - لمشروع او مشاريع الاراضي
١١٠٠٠٠	٥٠	٢ - للتنظيم الوطني والرياضي
٢٥٠٠٠	١١٤٤	

١٧ - المادتان ٢٦ و ٢٧ من دستور بيت المال .  
١٨ - المادة ٢٨ من الدستور .  
١٩ - كما تثبت في الكراس الايضاحي ، المرجع السابق ، صفحات ٤ و ٥ .

١٥٤.٠٠٠	٦٤٨	٢ - للتظيم الاقتصادي
١.٠٠.٠٠٠	٤٤٦	٤ - للمساجين والمكروبين
١٥٤.٠٠٠	٦٤٨	٥ - للهيئة العربية العليا
٩٤.٠٠٠	٤٤١	٦ - للدعاية
٢٢٤.٠٠٠	١٠	٧ - لبيت المال العربي
١٤٤.٠٠٠	٦٤٢	٨ - للمصاريف والالتزامات الطارئة
	<u>١.٠٠٠</u>	
٢٢٠.٤.٠٠٠	مجموع تقدير الصرفيات	

**٦ - حول فعالية ونشاطات وانجازات بيت المال العربي :** استعرضنا حتى الان الاسس والمبادئ والافكار الرئيسية والاساليب التي مكنت بيت المال من بناء جهاز فعال متميز ، كان أداة متحركة ومنتفة لجباية ضخمة ومردود كبير . هذه الاسس والمبادئ والافكار وضعتها ادارة منسلحة بالعلم والنظرة الثاقبة وملمة الماما واعيا بظروف الحركة الوطنية في تلك الفترة والظروف السياسية بمجملها وبأوضاع الشعب وامكانياته واستعداده .

والامر الحاسم الذي اعطى الافكار والالمام الواعي قدرتهما على الفعل والانتاج هو الجهد الهائل الذي بذله الأمين العام والى جانبه المدير العام والمحاسب العام ، وكذلك التجاوب الذي لقيه هؤلاء مع المكاتب واللجان المحلية . كانت عملية تشكيل اللجان من أهم العمليات التي تمت ، فقد اشرف الامين العام ومساعدوه على تشكيل ١٣ لجنة في ١٣ بلدا وكذلك ٦ مكاتب ، وكانت تتم دورة مرة أو مرتين في الشهر الواحد على المكاتب الستة . كانت الثقة بفكرة بيت المال عالية جدا ، الامر الذي جعل التعاون في اللجان والمكاتب على أعلى درجة ممكنة . يكفي ان نذكر ان الفترة التي اتاحتها الظروف السياسية للعمل الجدي أمام جهاز بيت المال امتدت فقط بين ١٩٤٧/٤/١ و ١١/٢٩/١٩٤٧ وقد بلغت الجباية في هذه الفترة حوالي ١٦٨ الف جنيه (٢٠) . ومن الجدير بالذكر انه طيلة فترة عمل بيت المال لم تسجل مخالفة مالية واحدة ، حدثت بالطبع بعض التقصيرات والتأجيلات وبعض المحاولات القليلة للتهرب من الدفع ، اما المخالفات مثل التزوير او السرقة او التلاعب في الحسابات فلم تسجل ولا مخالفة واحدة .

ذكرنا ان فترة العمل الجدي استمرت لغاية ٤٧/١١/٢٩ ، هذا من حيث استطاعة ادارة بيت المال وجهازه الاشراف على اوضاع هادئة نسبيا ، مورست خلالها اعمال الجباية حسب القواعد والانظمة التي ذكرناها . اما بعد هذا التاريخ فقد استمر بيت المال في القيام بواجبه النضالي مجتهدا ، اذ اشرف على المناضلين وعلى سير الحركة الوطنية وتلبية احتياجاتها الملحة التي فرضتها طبيعة المرحلة . ونجح بيت المال العربي في أداء دوره في هذه المرحلة كما نجح في الفترة السابقة وربما بشكل فعال أكثر : ساهم بيت المال مباشرة في دعم المناضلين في معركة انقاذ القدس . وتولى الصرف على البطل عبدالقادر الحسيني ورجاله (٢٠٠٠ دينار شهريا) . وكذلك على البطل ابراهيم ابو ديه ورجاله (١٠٠٠ دينار شهريا) . وجند نحو ٢٣٠ شرطيا في القدس كانت حكومة الانتداب قد سرحتهم ودفع رواتب لهم . وبعد انقطاع الاتصال مع الهيئة العربية العليا اصبح بيت المال هو السلطة الوحيدة الباقية فصار يعطي التصاريح وأذونات السفر (٢١) . وبذل

٢٠ - في حملة واحدة اشرف عليها الدكتور طنوس وغرنسيس الجلاد واسعد الحلبي واحمد عبد الرحيم يوم ٤٧/١١/٢٩ ومن يافا وحدها تم جمع

حوالي ٦٠ الف جنيه .  
٢١ - ضمن الملفات والوثائق الموجودة بعض هذه التصاريح موقعة من الامين العام لبيت المال .

بيت المال وبشكل خاص امينه العام محاولات لجابهة خطر الاحتلال وسقوط القدس (٢٢) .  
هذه وغيرها من الاعمال والمهمات الكبرى التي استظل شاهدة في سجل التاريخ على دور  
هذه المؤسسة الفلسطينية ، وعلى امكانية اي تنظيم يقوم على مثل قواعدها ان يحقق  
نسبة العجزات .

### « الصندوق القومي الفلسطيني »

لم تشهد الفترة التي امتدت بين نهاية العام ١٩٤٩ والعام ١٩٦٤ قيام اية مؤسسة  
للجباية الفلسطينية الشاملة . كانت الهيئة العربية العليا ، التي لم تعد تملك صفة تمثيل  
الشعب الفلسطيني بعد الاحتلال الصهيوني لفلسطين ، تؤمن مواردها من تبرعات  
وتقطعة ومن الدعم المالي لبعض الحكومات العربية ، وكذلك كانت تؤمن موارد المكاتب  
واللجان التي حاولت ان تنشط باسم الشعب الفلسطيني في بعض الدول العربية او في  
الخارج طيلة الفترة المذكورة .

ولاعتبارات عديدة فاننا لن نورد اية تفاصيل رقمية فيما يتعلق بميزانية منظمة التحرير  
الفلسطينية ، وانما سنكتفي بذكر الابواب الرئيسية في كفتي النفقات والايادات .

ربما كان المجلس الوطني الفلسطيني في دورة انعقاده الاخيرة ( التاسعة ) في القاهرة  
( ٧ - ١٢ تموز ١٩٧١ ) محطة تزود فيها الصندوق القومي الفلسطيني بقوة دفع هائلة  
على طريق تادية مهماته التاريخية ، اذ ان مؤتمر المجلس الاخير توصل الى توصيات  
اساسية في المواضيع المالية وخاصة فيما يتعلق بوحدة الجباية الفلسطينية (٢٣) . ولا شك  
ان اجماع المؤتمر على انتخاب الدكتور يوسف صايغ رئيسا لمجلس ادارة الصندوق  
القومي يعتبر مرتكزا هاما من اجل فعالية الصندوق ووضع تحركه على اسس علمية  
واعية قادرة على الحركة والتنفيذ . غير ان هذا كله واية مؤشرات ايجابية اخرى يمكن  
ان تبرز يظل نجاحه مرهونا بارادة الوحدة والتوحيد لدى اطراف العمل الفلسطيني .  
١ - **تأسيس الصندوق القومي الفلسطيني ومهامه (٢٤)** : قرر المجلس الوطني الفلسطيني  
الاول الذي انعقد في القدس في ٢٨ ايار من العام ١٩٦٤ والذي انبثقت عنه منظمة  
التحرير الفلسطينية ، انشاء الصندوق القومي الفلسطيني جهازا متخصصا للنواحي  
المالية . اما اهم الاعتبارات وراء انشاء الصندوق القومي فيمكن تلخيصها كما يلي :

القومي ... ( ج ) - يتم تعديل الموازنة ،  
بحيث تشمل المؤسسات وابواب الصرف الناشئة  
عن مقررات التوحيد المالية بحيث يصبح بالامكان  
الصرف عليها من الصندوق القومي . ( هـ ) - يتم  
تعديل انظمة الصرف واجراءاته فسي الصندوق  
القومي بحيث تتلائم ومتطلبات العمل الجديدة .  
( و ) يقوم الصندوق القومي بالاشتراك مع  
اللجنة التنفيذية بوضع خطة للجباية الموحدة ،  
وتنمية الموارد المالية والاشراف على تنفيذها ،  
وذلك خلال ستة اشهر .

٢٤ - من التقرير المالي الخامس للصندوق  
القومي المقدم الى المجلس الوطني الفلسطيني  
الذي انعقد في القاهرة ( ايلول ١٩٦٩ ) .

٢١ - مقابلة وفد مؤلف من منير ابو فاضل وفاضل  
الرشيد ( قائد فرقة الانقاذ ) وداوود الحسيني  
والدكتور عزت طنوس ( متحدنا رسميا باسم  
الوند ) للملك عبدالله ، لمحاولة اقناعه بضرورة  
الاهتمام بانقاذ القدس ، ولكن دون جدوى .

٢٢ - جاء في توصيات لجنة الوحدة الوطنية :  
في المجال المالي .. انطلاقا من كون وحدة  
الجباية مرتبطة بوحدة الصرف المرتبطة بدورها  
بوحدة المؤسسات ... ( ب ) يحول ٢٠٪ من  
حصيلة الجباية الموحدة الى الصندوق القومي  
الفلسطيني ، و ٧٠٪ تحول لحساب خاص يوضع  
تحت اشراف اللجنة التنفيذية ليصرف منه على  
المؤسسات التي يتم توحيدها والتي لا تقع  
بمسؤولية الصرف عنها حاليا على الصندوق

١ ) ضرورة قيام الاجهزة المنحصصة في كل ناحية من نواحي العمل الفلسطيني . والجهاز المالي المتخصص يأتي في المقدمة من حيث الاهمية لدعم الكفاح من أجل التحرير . ٢ ) ولا بد من تأمين المال لتنفيذ الخطط الهادفة الى المحافظة على الشخصية الفلسطينية ولا يبراز الكيان الفلسطيني ، وللتعريف بفلسطين وبقضية شعبها في جميع المحافل والاجتماعات وفي مختلف الاوساط والبياديين (٢٥) . ٣ ) لا يمكن ان تؤسس المسيرة نحو التحرير على أسس صلبة ومتينة الا بالمشاركة الفعالة المباشرة لجماهير الشعب الفلسطيني خاصة والشعب العربي عامة ، بكافة قواها وامكانياتها ، المادية منها على وجه الخصوص ، في العمل والاعداد على طريق الكفاح المسلح .

وتقد انيطت بالصندوق القومي الفلسطيني مهام عديدة (٢٦) ، لعل ابرزها : ١ - تمويل دوائر المنظمة ومؤسساتها . ب - اعداد الحسابات الختامية للمنظمة . ج - الاشراف على نفقات المنظمة وتدقيق حساباتها . د - تلقي جميع التبرعات التي ترد باسم منظمة التحرير الفلسطينية وايداعها في مصارف معتمدة واستثمارها . هـ - السعي لتحصيل الالتزامات المالية ومنها مساهمات الدول العربية . و - وضع الخطط والمشاريع اللازمة لتنمية الموارد المالية وتعميم ضريبة التحرير على أبناء فلسطين . ز - تنفيذ قرارات المجلس الوطني الفلسطيني المالية .

٢ - **النظام الاساسي للصندوق القومي الفلسطيني** : نصت المادة ٢٤ في الباب الرابع ( احكام عامة ) من النظام الاساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية (٢٧) على ما يلي : « ينشأ صندوق يعرف بالصندوق القومي الفلسطيني لتمويل اعمال المنظمة يقوم بادارته مجلس ادارة خاص يؤلف بموجب نظام خاص بالصندوق يصدره المجلس الوطني » . على اساس هذه المادة والمادتين ٢٥ و ٢٦ من النظام نفسه وضع المجلس الوطني النظام الاساسي للصندوق القومي (٢٨) :

نصت البنود ١ - ٣ من ( المقدمة ) على انشاء الصندوق وانتخاب رئيس مجلس الادارة (٢٩) ، الذي يعتبر عضوا في اللجنة التنفيذية ، وعلى تعيين اعضاء مجلس الادارة الذين لا يقل عددهم عن أحد عشر عضوا بقرار من اللجنة التنفيذية . وكذلك على انتخاب عضوين من قبل مجلس الادارة نائبين للرئيس وامينا للنهر . اما مدة العضوية لمجلس الادارة فقد تحددت بثلاث سنوات قابلة للتجديد بموافقة اللجنة التنفيذية ( البند ١ من باب « مدة عضوية مجلس الادارة وصلاحياته » ) والصلاحيات تحدد بموجب نظام تضعه اللجنة التنفيذية ( البند ٢ ) . المدير العام للصندوق يعينه مجلس الادارة وكذلك الغدد اللزوم من الموظفين ، واختصاصات المدير العام ( البند ٣ ) .  
فيما يتعلق بأعمال ( مهمات ) مجلس ادارة الصندوق ، فقد نص عليها النظام الاساسي

٢٥ - المرجع السابق ، ص ٢ .

٢٦ - وفقا لاحكام النظام الاساسي الذي سنستعرض بنوده لاحقا .

٢٧ - كما جاء في الكراس الذي أصدرته اللجنة التنفيذية للمنظمة في العام ١٩٦٨ بعد أن درس المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في القاهرة خلال الفترة من ١٠ - ١٧ تموز ١٩٦٨ الميثاق الوطني الفلسطيني ، والنظام الاساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ونظام الصندوق القومي وقرر ادخال تعديلات على الميثاق والانظمة المذكورة .

٢٨ - المرجع السابق ، صفحات ٢٢ - ٢٦ .

٢٩ - انتخب المجلس الوطني الاول عبد الحميد شومان رئيسا لمجلس ادارة الصندوق القومي ، وبقي الاستاذ شومان لغاية العام ١٩٦٩ رئيسا ، حين انتخب خالد اليشريطي رئيسا لمجلس الادارة وبعد حادث وفاته المؤسف انتخب الدكتور زهر العلمي رئيسا ، وبعد استقالة الدكتور علي انتخب المجلس الوطني في دورة انعقاده التاسعة ( الاخيرة ) الرئيس الحالي لمجلس ادارة الصندوق ، الدكتور يوسف صايغ .



بشكل نقاط عامة دون تفاصيل ، ملخصها : تسلم جميع الموارد ، تمويل منظمة التحرير واجهزتها ( وفق ميزانية سنوية ) ، تنمية موارد الصندوق ، الاشراف على أعمال الجباية ، الاشراف على أوجه صرف النفقات ، وضع نظام مالي خاص للسحوبات والصرف ومراقبة صرف الاموال والمساعدات ( البنود ١ - ٧ من باب أعمال مجلس الادارة ) . وكذلك حصر النظام الاساسي موارد الصندوق بنقاط عامة ( بعضها حدد بنسب معينة ) على الشكل التالي : رسم سنوي يلتزم بدفعه كل فلسطيني تجاوز الثامنة عشرة من عمره ( بمثابة الضريبة الشعبية ) ، ضريبة ثابتة تفرض على التجار والملاكين والموظفين وسائر الشركات والمؤسسات بين ٢ و ٦٪ من مجموع الدخل الصافي ( بمثابة الضريبة التصاعدية ) ، القروض والمساعدات المالية من الحكومات والشعوب العربية ، طابع التحرير ، التبرعات في المناسبات القومية ، القروض والمساعدات التي تقدمها الشعوب الصديقة ، حصيدا اصدار سندات دين لحاملها ( حددت الفائدة بـ ٤ ٪ سنويا لمدة عشر سنوات ) ، ما تخصصه كل دولة عربية في ميزانيتها السنوية لصالح الصندوق القومي ، وأية موارد أخرى ( البنود ١ - ٩ في باب « موارد الصندوق » ) .

تم احتوى النظام الاساسي على احكام عامة ثلاثة : يقدم مجلس ادارة الصندوق الى اللجنة التنفيذية تقريرا ماليا عن اعماله يتضمن حساب الواردات والمصروفات مرة كل ثلاثة اشهر ، ويقدم كذلك التقرير السنوي عن اعماله متضمنا حساب الايرادات والمصروفات والميزانية العمومية . وتعين اللجنة التنفيذية مراقبي حسابات . وأخيرا يعدل هذا النظام بقرار يصدره المجلس الوطني بناء على توصية اللجنة التنفيذية . ( البنود ١ - ٣ في باب « احكام عامة » ) .

نرى ان نكتفي بابداء بعض الملاحظات الرئيسية حول النظام الاساسي ككل دون الولوج في عملية مناقشة تفصيلية لبنوده ، وذلك حرصا على البقاء داخل اطار الاستعراض الذي نقوم به : ١ - وضع هذا النظام في العام ١٩٦٤ ( وان كان قد عدل في العام ١٩٦٨ ) ، قبل البداية العلنية للكفاح الفلسطيني المسلح ، أي قبل نشوء المنظمات وتعددتها داخل العمل الفلسطيني . لذلك جاءت احكامه بعيدة عن احتواء الجبايات المتعددة التي فرضها تعدد المنظمات . ولذلك ايضا لم يستطع الصندوق القومي ممارسة جباية موحدة بالشكل الذي تضمنته بنود النظام الاساسي . ب - بعد التجربة الطويلة التي مر بها الصندوق القومي ، وفي ظل المنحى العام لدى المنظمات الفلسطينية الذي عبرت عنه في دورتي المجلس الوطني الفلسطيني الأخيرتين ( الثامنة والتاسعة ) فيما يتعلق بتوحيد الجباية واناظتها بالصندوق القومي الفلسطيني ، فان الحاجة الى تعديل اساسي في النظام باتت ملحة وعلى درجة كبيرة من الاهمية . ج - لا يكفي ان تعدل البنود لتصبح قادرة على احتواء الجباية وتوحيدها وعلى ارساء أوجه الصرف على اساس هذا التوحيد ، بل لا بد من اعادة تشكيل الاجهزة في منحى علمي متخصص لتكون قادرة على التنفيذ . في هذا المجال تبرز تجربة بيت المال العربي كمثال يمكن الاستفادة منه الى ابعد مدى .

٣ - بنود موازنة منظمة التحرير الفلسطينية : دأبت اللجنة التنفيذية للمنظمة ، عملا بأحكام المادة ١٦ من النظام الاساسي على وضع مشاريع ميزانية سنوية ، وكان المجلس الوطني الفلسطيني في دورات انعقاده يقوم بمناقشتها واحيانا تعديلها ثم اعتمادها ( وفقا لما تنص عليه احكام المادة ١٠ من النظام ) . نستعرض فيما يلي بنود الميزانية الدائمة دون ذكر المبالغ فيها مع الاشارة الى انه لا بد من احداث تغييرات اساسية في الميزانية وبنودها على ضوء التوحيد الكامل الذي اقره المجلس الوطني في دورة انعقاده الأخيرة : تحوي كفة النفقات في الميزانية البنود التالية : المجلس الوطني ، اللجنة التنفيذية ، دائرة الشؤون الادارية ، الدائرة العسكرية ، دائرة التنظيم الشعبي ، دائرة الاعلام والتوجيه القومي ، الدائرة السياسية ، دائرة الصندوق القومي ، دائرة

شؤون الوطن المحتل ، مركز الابحاث ، اذاعة صوت فلسطين ، مركز التخطيط ، اقامة جيش التحرير الفلسطيني ، قيادة قوات التحرير ومكاتب المنظمة . اما الايرادات فتتألف من : مساهمات الدول العربية ، تبرعات ابناء فلسطين ، تبرعات المواطنين ، حسميات رواتب موظفي المنظمة ، مبيعات انتاج ثقافي وفني ، فوائذ مقبوضة و واردات مختلفة .

٤ - حول فعالية الصندوق القومي الفلسطيني : يجدر التفريق ، حين البحث في فعالية الصندوق القومي ، بين ناحيتين من هذه الفعالية : الاولى ، الاشراف الداخلي على مالية منظمة التحرير ، دوائرها ، موظفوها ، مكاتبها ، مراكزها وجيشها . والثانية ، تخطيط وتنفيذ جباية موحدة شاملة كشرط اساسي للاشراف على كافة اوجه العمل الفلسطيني .

في الناحية الاولى تمكنت ادارة الصندوق القومي من القيام بجهد هائل في مجال ترتيب الاوضاع المالية الداخلية للمنظمة . واستطاعت طيلة فترة عملها تأمين بقاء واستمرارية دوائر ومكاتب ومراكز وجيش المنظمة ، رغم الصعوبات المالية والتقصيرات في الالتزام بالدفع من قبل حكومات الدول العربية (٢٠) . ولا بد من القول ان هذا امر ( ترتيب الاوضاع المالية وتأمين البقاء والاستمرار ) على درجة كبيرة من الصعوبة والتعقيد ، اذ انه لا يختلف كثيرا من الناحية الادارية عن شؤون الحكومات والدول . ولا نجد داعيا للدخول في تفاصيل الاعباء والمهمات والانجازات التي تحملتها ادارة الصندوق القومي وما تزال مكثفين بالتقييم العام الذي اوردناه قبل قليل . ان المهمات القادمة والمرتبة على التوصية الخاصة بتوحيد الجباية والصرف على مختلف مجالات العمل الفلسطيني والتي سينحصر اعباءها ومسؤوليتها الصندوق القومي الفلسطيني لا شك ستكون اشد تعقيدا وصعوبة من أية معضلة سابقة . اما في الناحية الثانية وهي ناحية تخطيط وتنفيذ جباية موحدة شاملة من اجل الاشراف على كافة اوجه العمل الفلسطيني ، فلم تتمكن ادارة الصندوق القومي من التقدم بأية خطوات عملية على هذه الطريق . ونسارع بالقول ، انصافا ، ان الصندوق القومي لا يتحمل تبعه هذا التعثر . ولعل الفقرة التالية (٣١) من احد تقارير الصندوق القومي تلخص الازمة في هذا الصدد : « ومع ان نجاح الجباية المالية يشكل خطوة واسعة و اساسية في مسيرة النضال الفلسطيني ، وفي صموده وفي دعمه ، فقد تعذر تحقيق هذا النجاح خلال السنوات الماضية ، وبرز هذا التعثر بأجلى صورته في اعتقاب حرب حزيران ١٩٦٧ حين اعتمد الكفاح الفلسطيني على عدة منظمات اخذت كل منها تعمل على تأمين مواردها المالية بالطريقة التي امكنها تحقيقها وبذلك تعددت الجباية للعمل الفلسطيني ، وتوزعت الموارد المالية بين المنظمات الفلسطينية المتعددة فكان هذا سببا في عدم نجاح الجباية نجاحا كاملا . »

### « خطة الجباية المالية الفلسطينية »

خطة الجباية المالية الفلسطينية هي جزء من الخطة الشاملة للعمل الفلسطيني في مختلف مجالاته وابعاده ، التي وضعها مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية . من

٢٠ - بلغ مجموع الالتزامات التراكمية التي لم تسدد مثلا حتى ١٩٦٩/٨/٢١ ما قيمته ٤١٩٩٠٦٦٥ جنيها استرلينيا منها ٤١٩٩٠٦٦٥ جنيها رصيد مساهمة الحكومات العربية في ميزانية منظمة التحرير و ٨٠٨٩٦٠٤٠٠ جنيها

٣١ - من التقرير الخامس المذكور سابقا من ١٠ .

هنا فان استعراضنا للخطة المالية سيكون مختصرا جدا ، اذ ان خطط ودراسات مركز التخطيط ليست للنشر ( حسب قرار انشاء مركز التخطيط الذي اتخذه المجلس الوطني الفلسطيني الرابع ) .

وقد استفادت خطة الجباية المالية من تجربة بيت المال العربي ومن تجربة الجباية اليهودية استفادة كبيرة (٢٢) ، ولكنها ظلت حريصة على البقاء العلمي الموضوعي والعملي في اطار المعطيات الواقعية لظروف العمل الفلسطيني الراهنة . كما حرصت الخطة على ان تبقى الاسس النظرية الاقتصادية في اطارها الصحيح ، وعلى اعطاء الافكار والمشاريع العملية القابلة للتنفيذ الحيز الكامل والاساسي في الخطوات التي توصلت اليها .

١ - مقدمة الخطة : اكدت المقدمة على منطلقين اساسيين : - ضرورة تنظيم الجباية على اسس ديناميكية ، أي فعالة ومتحركة ، - ضرورة تنظيم الجباية على اسس عملية وقابلة للتنفيذ . كما ربطت أهمية تنظيم الجباية بواقع المهام السياسية والعسكرية ، « المقصود هنا ، ان يكون مشروع الجباية المالية منطلقا من واقع المهام السياسية الواسعة ومن واقع الكفاح الفلسطيني المسلح ومن واقع تصاعده على طريق حرب التحرير الشعبية » . ولم تهمل التأكيد على المجال العربي : « ان الجزء الاكبر من شعب الامة العربية يعتبر القضية الفلسطينية قضيته المباشرة ، بالاضافة الى ان الامة العربية هي قوة مادية ومعنوية كبرى . على هذا الاساس لا بد من اعتبار المجال العربي مجالا حيويا في عملية الجباية ولا بد من التوجه له ووضعه الى حد معين ضمن اطار المخطط العام للجباية » .

٢ - اسس ومبادئ الجباية المالية : ١ - ضريبة شعبية الزامية يدفعها كل فلسطيني ايا كان وضعه . وهي مستقلة تدفع الى جانب الضرائب الاخرى . تشكل موردا حقيقيا وفي الوقت نفسه تكون عامل ربط جدي بين الانسان الفلسطيني وقضيته ، وهي شبيهة « بضريبة الشاغل اليهودية » . ب - ضريبة تصاعدية تعكس القدرة على السدفع . تعتمد جبايتها على اسلوب تقسيم الفلسطينيين الى فئات حسب الفعاليات والنشاطات الاقتصادية ، وعلى اسلوب تشكيل لجان استثمارية لكل فئة تقوم بتحديد الحد الأدنى والحد الأعلى لكل فئة . ( شبيهة بفكرة بيت المال العربي في مبدأ « التبرع النسبي » ) . هذا بالاضافة الى اسلوب تحديد نسب مئوية معينة لجباية الضريبة التصاعدية من الموظفين ، على ان تتم عملية مسح متكاملة في هذا القطاع . ج - المشاريع التجارية المستقلة القائمة على اساس دراسات اقتصادية ، التي تشرف عليها الجباية الفلسطينية اوقد اوردت الخطة عدة اقتراحات لمشاريع محددة ) . د - مؤتمر للثرياء الفلسطينيين ، يدعم الجباية ويساهم في التخطيط للمشاريع التجارية . ه - مؤتمرات للثرياء العرب . و - الجباية الخارجية ، من الجاليات العربية في دول الاغتراب ، ومؤتمرات في الدول الاسلامية الصديقة ( وقد اقترحت الخطة الاساليب العملية للجباية في هذا المجال ) الى جانب هذه الاسس لصيغ الجباية اكدت خطة الجباية على المبدأ الاساسي الذي يعتبر الشرط الحتمي لنجاح الجباية وهو مبدأ توحيد الجباية : « ان توحيد الجباية الفلسطينية يبقى اهم مبادئ الجباية النظرية والعملية على المدى القريب والبعيد . الى جانب المزايا العديدة لتحقيق هذا المبدأ عمليا هناك الكثير من الصعوبات التي تعترض طريقه ، ولكنها بكل حجمها وطبيعتها يجب ان لا تبقى عائقا ، أي انه لا بد من العمل على تذليلها بشكل تدريجي ومدرّوس ، لانها تكبل امكانيات الجباية وتشمل الكثير

من طاقاتها». ان توحيد الجباية يتطلب عمليا توحيد الصرف ، وتوحيد الصرف يستدعي بدوره توحيد المؤسسات . وهكذا نرى ان توحيد الجباية ليس عملية بسيطة خالية من التعقيد من ناحية ، ومن ناحية أخرى فانه من الاسس الحتمية من أجل ارساء العمل الفلسطيني على قواعد ثابتة صلبة وامينة . وقد اوردت الخطة جملة مزايا للتوحيد نعدد منها : - « وضع الموارد كلها في خدمة العمل الفلسطيني ضمن خطة موحدة ، بمعنى أن لا تتبعثر هذه الموارد ولا تتكرر بعض المصروفات في غياب التخطيط والتنسيق ، - تحقيق امكانية توجيه الموارد حسب اولويات متطلبات النضال الفلسطيني ، بحيث تصبح الموارد خاضعة لبرامج العمل ولا تعود البرامج متعلقة ومتقيدة بوجود الموارد واحتمال عدم وجودها في بعض الاحيان . - تنسيق عمليات الجباية ، بمعنى ان لا يكون في كل يوم ، كما هو حاصل الان ، حملات جديدة ومن جهات مختلفة ، اذ يزداد العبء على المواطنين ويقل بالتالي المورد .

الى جانب ذلك عددت الخطة الصعوبات التي تعترض عملية التوحيد وخلصت الى التقرير : « ان اية نظرة متفحصة على مزايا توحيد الجباية وعلى طبيعة الصعوبات التي تعترض تحقيقها ، تبرز مدى اهمية وحيوية ايجاد صيغة للتوحيد » .

وقفت الخطة ايضا امام « اسلوب تقييم موارد الجباية » وأشارت الى انه في مجمل العملية هناك اسلوبان للتقييم : الاول ، اعتماد تقدير طاقة الجباية او المقدرة على الجباية ، عندئذ وعلى هذا الاساس التحديد يتم الانطلاق . والثاني ، ان يكون المنطلق وضع صورة شاملة للحاجات الحيوية (متطلبات النضال) ، ثم تتوجه الجباية بمجمل طاقاتها وبكل تصميم صوب توفير كافة الاحتياجات المادية لتحقيق البرامج والمهمات المرسومة . وبعد تعداد الاحتياجات الملحة للعمل الفلسطيني خلصت الخطة الى القول : « لا يجوز تقييد أي واحد من هذه البنود بقيود وحجم ما هو متوفر من امكانيات مالية . اذن لا بد من الانطلاق على اساس الاصرار والتصميم على توفير الموارد اللازمة ، اي اتباع الاسلوب الثاني الذي عرضناه اعلاه» .

٣ - **أجهزة الجباية وصيغها** (٣٣): اقترحت الخطة انشاء مجلس جديد يسمى « جهاز انجباية الفلسطينية » تتفرع عنه اربع لجان : لجنة الاتصال بالحكومات من أجل الجباية ، لجنة الجباية الخارجية ، لجنة الضريبة الشعبية والمشاريع ولجنة الضريبة التصاعدية . وبعد تعيين مهمات هذه اللجان ومجالات عملها تفصيليا قالت الخطة : « جهاز الجباية هو الذي يشرف على تشكيل اللجان الاربعة الآتفة الذكر ، ويكون مسؤول كل لجنة عضوا في ادارة جهاز الجباية . . . تقوم كل لجنة بوضع برنامج عملها ، ويتولى المسؤول تبليغ الادارة بهذا البرنامج وتتقوم الادارة بدورها بتنسيق البرامج وتعديلها حسب ما تراه مناسباً » . ثم تعرضت الخطة الى الصعوبات التي تقف في وجه تشكيل مثل هذا الجهاز ، ولكنها اوضحت كيفية التصدي العملي لهذه الصعوبات وضرورة ازالتها ، حتى تتطرق الجباية على اسس واضحة . واوردت : « لقد تعمدنا ان تكون صورة الجهاز المقترح مبسطة قدر الامكان وذلك لسببين : الاول ، اننا لا نتصور ان يكون هذا الجهاز معقدا يقع في اسر اللوائح الداخلية والروتين والمشاكل الادارية ، والثاني هو انه من المهم جدا ان تكون التكاليف الادارية لهذا الجهاز متدنية جدا ولا تشكل بأي حال عبئا ماديا على الجباية » .

وعددت الخطة ، كما ذكرنا آنفا ، تسع صيغ جباية مع تفاصيل بنودها واساليب التحرك في صدها . ويفضل عدم الخوض فيها هنا .

نقد عددت الخطة في قسمها الثالث تفصيلات  
اقتراحاتها في صدد صيغ الجباية وكيفية جبايتها.

٣٣ - امتعرض القسم الثاني من الخطة  
الفلسطينيين واولئاعهم . اما بالنسبة للصيغ

{ ملاحظات الخطة الختامية : ربطت الخطة في ملاحظاتها الختامية قضية الجباية بمهنتين رئيسيتين : الاولى ، تتمثل بوضع صورة متكاملة عن الاوضاع الاجتماعية والامكانيات الفلسطينية والعربية وفي الوقت نفسه وضع كافة عناصر هذه الصورة ضمن اطار منظم يهدف تجنيدها في خطة عملية قابلة للتنفيذ . والثانية ، وتتمثل بوضع صورة رقمية واضحة ، بحيث انها تبرز التوزيع العددي لهذه الامكانية ، والتحديد الرقمي لقدرتها وحجمها ، وفي الوقت نفسه صياغة عناصر هذه الصورة على شكل لوائح ضمن هيكل محدد واضح المعالم لاعتمادها في عملية التنفيذ . وأشارت الخطة الى ضرورة القيام بهاتين المهمتين في اسرع وقت ممكن وذلك لعدم توفرهما بشكل علمي حتى الان . ثم الحققت كافة مخططاتها بسلسلة من الاجراءات العملية المقترحة للبدء في تنفيذ خطة الجباية المالية .

### خاتمة

يظهر واضحا ان هذه الدراسة استهدفت استعراضا تاريخيا لمؤسسات الجباية الفلسطينية ، حملته مؤشرات وملاحظات في محاولة جادة باتجاه ان تصب كافة تلك التجارب والمؤشرات والملاحظات في مجرى يخدم التخطيط المالي للعمل الفلسطيني في مرحلته الراهنة والقادمة . هنا تكمن قيمة اي استعراض تاريخي ، ان يكون منبعها فعليا يعرف منه استمرار العمل عبرا ومرتكزات قوة . فما هي باختصار اهم الاستنتاجات التي يمكن الخروج بها بعد هذا الاستعراض الطويل ؟

— لا بديل ، من اجل جباية فلسطينية جدية وشاملة ، عن توحيد ادوات ومؤسسات الجباية وعلى اساس علمية ، موضوعية وواقعية .

— ان الصندوق القومي الفلسطيني قادر ، بعد تعديل نظامه الاساسي في اتجاه اعادة النظر في تجهيزه ولوائحه ، واعتمادا على ارادة الوحدة التي اكدتها المنظمات خاصة خلال دورة انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني التاسع ، على ان يكون الاداة المشرفة على توحيد الجباية والصراف في العمل الفلسطيني ككل . واكثر من ذلك فانه مؤهل ، في السياق القصير ، ان يكون اداة ضغط من اجل ترجمة ارادة الوحدة الى واقع عملي ملموس .

— ان ما يعتبر الاساس الحتمي من اجل انجاح التخطيط المالي وتنفيذ مشاريعه ومقترحاته ، هو تجنيد الكفاءات المتخصصة في هذه المجالات ، مع توفير كافة الشروط اللازمة امامها لاغراض تحريك فعال غير مقيد بفيود بيروقراطية او غيرها .

— ليس صحيحا ما يقال ان جماهير الشعب الفلسطيني والامة العربية سئمت العطاء . الصحيح هو ان جماهيرنا قد اهتزت ثقفتها بالمسيرة ، وهي عند اول بادرة تعيد لها بعض ثقتها ، سوف تعطي دون تردد وبلا حدود .

— ان القدرة على اجتراح شبه المعجزة الذي يخيم على الامق الان ، متوفرة بالفعل ، ان بتراكم التجارب او بتوافر الكفاءات او باختران الارادة على العمل الجدي ، يبقى صمام البدء في عملية التغيير هو المحتم تفجيره في هذه اللحظة ، لينطلق الخط نحو الصعود ، بعد انحدار عنيف عاناه بالعم العمل الفلسطيني .

# تقليدية المرأة الفلسطينية في لبنان ومشاركتها في الثورة (دراسة اولية)

باسم سرحان

لا يوجد حتى الان دراسات علمية حول المرأة الفلسطينية بشكل عام : حول حالتها الاجتماعية ، دورها داخل الاسرة ، شخصيتها ، نفسياتها ، دورها الوطني والسياسي ، مدى تحررها وامور اخرى كثيرة جديرة بالبحث . ونظرا لان شعبنا يعيش ثورة ضد مفتصبي ارضه ولانه قد يدخل مرحلة مشاركة الشعب كله في الثورة خلال السنين القليلة المقبلة ، وجدنا من الضروري دراسة عنصر هام في الثورة الشعبية الا وهو المرأة\* . فالمرأة تمثل نصف طاقة الشعب البشرية من الناحية الجسدية ، ولها اثر ووزن كبيران على رجال الثورة من الناحية النفسية . لقد لعبت المرأة وما زالت تلعب ادوارا هامة في حروب التحرير الشعبية وفي معارك الاستقلال الوطنية ، والمثالثان الحيان على ذلك هما المرأة الجزائرية والمرأة الفيننامية .

نظرا لصعوبة دراسة كل جوانب حياة المرأة الفلسطينية والتغير الذي طرأ على حياتها من خلال دراسة واحدة ، وخوفا من ان نضيع وسط هذا الموضوع الواسع ، قررنا ان نركز على ناحيتين جوهريتين من نواحي حياة المرأة الفلسطينية وهما : مدى كونها تقليدية او محافظة ، وهذا بالطبع يعطينا صورة عن مدى تحديثها او تحررها لان المحافظة والتحرر امتداد واحد كلما زاد الاول نقص الثاني والعكس صحيح . ثم مدى مشاركتها في ثورة شعبها ودعمها لتلك الثورة .

هناك عدة طرق يمكن بواسطتها قياس درجة تقليدية المرأة او درجة تحديثها . فمن الممكن اعتبار المرأة محدثة اذا كانت ترتدي فساتين قصيرة او تذهب للحفلات الراقصة ، او اذا كانت تختار زوجها بنفسها . ويمكن ايضا اعتبار المرأة التي تذهب للمدرسة محدثة . ان ايا من هذه الامور وحده لا يكفي للدلالة على تحديثية المرأة او تقليديتها . لكن عدة عوامل كهذه مجتمعة تساعد على تحديد درجة تقليدية المرأة او درجة تحديثها . ويجدر بنا ان نذكر هنا ان التقليدية المطلقة والتحديثية المطلقة غير موجودتين . وبالتالي هناك في كل مجتمع درجات من التحديث ودرجات من التقليدية كما ان هناك درجات من الديمقراطية ومن الحرية السياسية . لذلك سنقيس درجة تقليدية المرأة الفلسطينية بمدى اقترابها من انماط التصرف والتفكير العربية التقليدية التي أصبحت جزءا لا يتجزأ من شخصية وتكوين الفرد العربي بشكل عام او بعدها عنها . وتظهر هذه الانماط في الركائز الاساسية للمجتمع العربي التقليدي . وهذه الركائز هي : ١ - احترام شديد

\* يود كاتب المقالة ان يشيد بجهد الدكتور طليم بركات ، استاذ علم الاجتماع في الجامعة الاميركية في بيروت ، في مراجعة المقالة وتوجيه كاتبها .

الكبار في السن ولكل ما هو قديم . ٢ - سيطرة العائلة على الفرد سيطرة شبه تامة .  
٣ - سيطرة الدين على الفرد وعلى الحياة العامة . ٤ - سيطرة الرجل على المرأة  
سيطرة تامة والتزام المرأة بحياة داخل المنزل . ٥ - المحافظة الشديدة في العلاقات  
العاطفية والجنسية . ٦ - عدم تشجيع تعليم النساء . ٧ - الحشمة في اللباس .  
ثبتت نقطة أخرى وهي ان المرأة قد تتحرر من بعض هذه الركائز وتبقى أسيرة بعضها  
الأخر . وهذا بالطبع يؤدي الى مسألة تحرر المرأة في تصرفها الظاهر دون ان يتحرر  
فكرها ، اي انها تبقى أسيرة الافكار التقليدية المغروسة في نفسها . لا حاجة للقول  
ان عملية التحرر الفكري اصعب بكثير من عملية التحرر في التصرف . ورغم ارتباط  
التصرف بالافكار فقد يتأتى التصرف عن تقليد او تشبه بالنساء في الدول الحديثة دون ان  
يتبع ذلك بالضرورة تغير في الافكار . فالوزن الحقيقي يعطى في هذا المجال لتغير فكر  
المرأة ، أي لدى تخلصها من الافكار التقليدية المتناقلة من جيل الى جيل والمقبولة من قبل  
كل الفئات التقليدية في المجتمع .

بعيند قياس درجة مشاركة المرأة في الثورة على التعريف الذي نعطيه « للمشاركة » .  
لذلك ، ومنعا لتعدد التفسيرات نعني « بالمشاركة » في هذا البحث الامور التالية والتي  
نعكس درجات مختلفة من المشاركة المباشرة وغير المباشرة : المشاركة الجسدية في  
الثورة ( دور قتالي او القيام بمهام ضرورية تساعد الكفاح المسلح او دور سياسي  
تنظيمي ) ، مدى قبولها لمشاركة اقربائها - خاصة الرجال - في الثورة ، جمع الاموال  
والتبرعات للثورة ، الاسعاف والتمريض ، والتبرع الشخصي للثورة . فالتى تشارك  
جسديا في الثورة تأتي في قمة هرم المشاركة والتي تكفي بتأييد الثورة سياسيا فقط دون  
ان تحاول ان تفعل شيئا ملموسا لمساعدة الثورة او التي تتبرع ببعض المال فقط  
ثانياً في قاعدة هرم المشاركة .

لاطروحة البحث العامة ثلاثة اجزاء :

اولا ، المرأة الفلسطينية في لبنان هي ، بشكل عام ، مجددة في التصرف والمظاهر ،  
تقليدية في وضعها الاجتماعي . ثانيا ، المرأة الفلسطينية في لبنان بشكل عام لا تشارك  
في ثورة شعبيها وتشكل عائقا في وجه قيام الثورة الشعبية الشاملة لانها تحاول عرقلة  
مشاركة غيرها ، وخاصة اقربائها من الرجال ، في الثورة . ثالثا ، ليست هناك اية  
علاقة بين التقليدية والمشاركة في الثورة في حال المرأة الفلسطينية . اي من الجائز ان  
تشارك المرأة المجددة في الثورة بفعالية أكثر من المرأة التقليدية ومن الجائز ان يكون  
العكس صحيحا . هذه الاطروحة العامة تنطبق على الغالبية الساحقة من النساء  
الفلسطينيات في لبنان . وسط هذه الاطروحة نلمس وقائع واتجاهات مختلفة تلخصها  
بالفرضيات التالية ( قد ثبتت البحث الميداني خطأ او صحة الاطروحة العامة وخطأ او  
سحة معظم او كل الفرضيات ) : ١ - ما زالت المرأة الفلسطينية بشكل عام تقليدية في  
علاقتها بالكبار في السن وهي تعاملهم معاملة خاصة . ٢ - ما زالت للرجل مكانة  
« السيد » بالنسبة لزوجته داخل الأسرة الفلسطينية التقليدية ، لكن هذه المكانة  
تزعزعت كثيرا داخل الأسرة المجددة او المتحررة . ٣ - ما زال للدين سيطرة على حياة  
المرأة الفلسطينية وتصرفاتها ، وخاصة المتوسطة والكبيرة في السن . ٤ - ما تزال  
المرأة الفلسطينية ، بشكل عام ، تحت سيطرة اسرتها تماما . وهذا الامر لا يسمح  
لشخصيتها بالنمو وبشكل كل طاقاتها الممكنة . ٥ - ما زالت المرأة الفلسطينية محافظة  
جدا في العلاقات الجنسية قبل الزواج ، وما زالت حذرة كثيرا في العلاقات العاطفية قبل  
الزواج . ٦ - لم تشارك المرأة الفلسطينية في لبنان ، بشكل عام ، في ثورة شعبيها بشكل  
فعال . ٧ - المرأة الفلسطينية في لبنان ، بشكل عام ، لا تشجع رجالها على  
الالتحاق بالثورة . ٨ - المرأة الفلسطينية بشكل عام تؤيد الشعوب المضطهدة وتقصف  
بوقفا معاديا من الاستعمار العالمي . ٩ - المرأة الفلسطينية في المخيم تشارك في الثورة

اكثر من زميلتها خارج المخيم لان وضعها الاجتماعي والمادي يدفعانها للمشاركة الفعالة .  
١ - ليست هناك أية علاقة بين مستوى التعليم والمشاركة في الثورة في حال المرأة الفلسطينية ، لان وعي الواجب القومي غير مرتبط بمستوى التعليم . ١١ - المرأة العاملة تشارك في الثورة اكثر من المرأة التي لا تعمل لانها تتعرض الى تيارات فكرية واجتماعية اكثر من المرأة التي تقبع في بيتها . ١٢ - كلما كانت المرأة اصغر سنا كلما كانت مشاركتها في الثورة اكبر . ١٣ - كلما انخفض مدخول المرأة او مدخول عائلتها كان احتمال مشاركتها بالثورة اكبر . ١٤ - مشاركة المرأة المتزوجة في الثورة اقل من مشاركة غير المتزوجة لان المتزوجة تخاف على بيتها وعائلتها ولديها مسؤوليات تقيد حرية تحركها .

**العينة** . كنا نود ان نختار عينات عشوائية تمثل المرأة الفلسطينية عامة ، اي من أماكن تجمع الفلسطينيين الرئيسية . لكننا ، نظرا لاعتبارات عملية ، اكتفينا بدراسة المرأة الفلسطينية في لبنان .

ليس لدينا جداول بالعائلات الفلسطينية المقيمة في لبنان يمكننا اختيار عينة احصائية عشوائية على أساسها . لذلك اضطررنا الى اختيار عينة كوتا ( حصة نسبية ) على اساس مكان الاقامة وتمثل قطاعات مختلفة من النساء الفلسطينيات من حيث المهنة ومستوى التعليم والمدخول . كما اننا حددنا عدد النساء من كل فئة من فئات السن بخمس وعشرين امرأة ، وذلك نظرا لاهمية عامل السن في موضوع بحثنا وتسهيلا للمقارنة بين فئات السن المختلفة . وقد أجرينا مقابلات في ثلاثة مخيمات وهي مخيم البداوي ، مخيم تل زعتر ( الكرامة ) ومخيم برج البراجنة ، وفي مناطق مختلفة من بيروت . كما أننا اخترنا بعض النساء من التجمعات النسائية الفلسطينية . كنا أحيانا نجري المقابلات سفهيا ، وأحيانا أخرى نجتمع عدة نساء ونطلب منهن تعبئة الاستمارات في جلسة واحدة . الامر الهام الذي يجب أن ندرکه حول هذا البحث هو كونه دراسة أولية أو مبدئية في الموضوع تعطينا صورة عن المرأة الفلسطينية في لبنان . والامر الآخر الذي يجب أخذه بعين الاعتبار هو أن نتائج البحث تعكس صورة العينة المتقاة ولا يمكن تعميمها على النساء الفلسطينيات في لبنان . فائدة الدراسات الأولية تكمن في اعتمادها كأساس لبحاث علمية شاملة ودقيقة ، بالإضافة الى كونها تزودنا بالمعلومات المنتظمة . وفي أحيان كثيرة لا تكون نتائج الدراسات الاحصائية مختلفة عن نتائج الدراسات الأولية .

### التقليدية

أود ان اشير قبل البدء بتحليل نتائج البحث الى أن تحليلي سيقترن على دراسة واقعية المرأة الفلسطينية في لبنان من حيث التقليدية ومن حيث مشاركتها في الثورة ، وانني لن اتطرق الى اسباب كون المرأة تقليدية او متحررة ، تشارك في الثورة او لا تشارك ، لان هذا يصبح بحثا مختلفا تماما يحتاج الى معلومات غير متوافرة بتاتا في البحث الحالي .  
**١ - موقف المرأة من الكبار في السن** : سألنا اربعة أسئلة حول موقف المرأة من الكبار في السن وهي : ( ا ) اذا كنت في ترام او باص او مجلس ودخل رجل او امرأة كبيران في السن ولم يجدا مكانا خاليا كيف تتصرفين ؟ ( ب ) اذا كنت في محضر وسمعت رجلا أو امرأة كبيرين في السن يرويان قصة مختلفة او محرفة كيف تتصرفين ؟ ( ج ) اذا كنت على خلاف شديد مع زوجك او أهلك وتدخل الكبار لمصالحتك كيف تتصرفين ؟ ( د ) اذا اهانك او عنفك كبير في السن ، على انفراد أو امام الآخرين ، كيف تتصرفين ؟  
هذا وقد حددنا تصرفات مختلفة ممكنة لكل سؤال وطلبنا من المرأة الإشارة الى التصرف الذي ستتخذه من بين هذه التصرفات . وقد قسمنا تصرف المرأة ، على أساس اجابتها على الاسئلة الاربعة الى الفئات التالية : تقليدية جدا ، تقليدية ، متحررة ، ومتحررة جدا .  
فالتقليدية جدا هي التي تقف لتعطي الكبير في السن مكانها ، وهي التي لا تعلق بشيء على رواية الكبير في السن احتراماً لسنه ، وهي التي تتنازل عن بعض حقوقها اكراما لوساطة



الكبار وحجلا منهم ، وهي التي تتقبل اهانة الكبير في السن على مضض احتراماً لسنه ،  
 التحررة تماماً تكون سلبية ازاء كل هذه التصرفات وتتصرف بشكل معاكس تماماً . أما  
 التقليدية والمتحررة فتعكسان درجات مخففة من كلا التصرفين .  
 ظهرت النتائج ( انظر الجدول ادناه ) ان غالبية نساء العينة ما يزلن تقليديات في موقفهن  
 من مكانة الكبار في السن ، اذ كانت ٩١ امرأة منهن او ( ٧٢،٨ ٪ ) تقليدية بشكل عام  
 مقابل ٣٥ امرأة منهن او ( ٢٧،٢ ٪ ) متحررة بشكل عام . كما ان نسبة التقليديات تماماً  
 ( ٢٨ ٪ ) تبلغ اربعة اضعاف نسبة المتحررات تماماً ( ٧،٢ ٪ ) .

### موقف المرأة من الكبار في السن

النسبة المئوية	العدد	الموقف
٢٨	٣٥	تقليدية جداً
٤٤،٨	٥٦	تقليدية
٢٠	٢٥	متحررة
٧،٢	٩	متحررة جداً
٪ ١٠٠	١٢٥	المجموع

اخيراً لا بد ان نذكر ان النتائج قد اظهرت انه كلما انخفض سن المرأة كلما ازداد عدد  
 المتحررات والمتحررات جداً في تلك الفئة . ففئة الخمسين سنة وما فوق لم تضم اية  
 امرأة متحررة او متحررة جداً من معاملة الكبار في السن ، بينما لم تضم فئة ٤٠ - ٤٩  
 سنة او فئة ٣٠ - ٣٩ سنة اية نساء متحررات جداً من هذا التقليد . الفئتان اللتان  
 ضمنا نساء متحررات جداً حول هذا التقليد كانتا الـ ٢٠ - ٢٩ سنة والـ ١٦ - ١٩  
 سنة . لكن الامر الذي يلفت النظر هو الغالبية العظمى ( ٨٨ ٪ ) من فئة ١٦ - ١٩  
 سنة اللواتي يسكن المخيمات كن تقليديات او تقليديات تماماً في موقفهن من الكبار في  
 السن ، وهذا بالطبع نقيض موقف النساء اللواتي يسكن خارج المخيمات وينتمين الى  
 فئة العمر نفسها .

٢ - مدى سيطرة الدين على المرأة الفلسطينية : لقد حاولنا ان ندرس مدى سيطرة الدين  
 على المرأة من خلال دراسة موقفها من الفروض او الشعائر الدينية كالصلاة والصوم  
 والحج ، ومن خلال تقيدها بالتعاليم الدينية في امور كالزواج من رجل من دين اخر ، وعقد  
 زواج شرعي ، ومن خلال تأثير الدين على تصرفاتها في الامور الطبية كتناول حبوب منع  
 الحمل واجراء عملية اجهاض او عملية لوقف مقدرتها على الولادة ، ثم من خلال تأثرها  
 بالاوهم الغيبية كالاصابة بالهين وكتابة الحجب والتخريج الخ . وقد وضعنا عدة اسئلة  
 حول كل من هذه النواحي .

اظهرت نتائج البحث ان نساء العينة ينقسمن الى ثلاث فئات حول هذا الموضوع ، الفئة  
 الاولى خاضعة لسيطرة الدين تماماً ، اي انها متمسكة بالفروض والشعائر الدينية وللدين  
 تأثير على تصرفاتها فيما يتعلق بالزواج والامور الطبية واللجوء الى التعاويذ . والفئة  
 الثانية خاضعة لسيطرة الدين في ناحية او اكثر من النواحي الاربعة ومتحررة من سيطرته  
 في النواحي الاخرى . والحالة الغالبة على نساء الفئة الثانية كانت التحرر من الفروض  
 والشعائر الدينية ومن تأثير الدين في النواحي الطبية او في مسألة اللجوء الى التعاويذ  
 والسحر . اما الفئة الثالثة فهي الفئة المتحررة تماماً من سيطرة الدين في النواحي الاربعة  
 المذكورة . وقد ظهر ان السن ليس عاملاً مؤثراً جداً على مدى سيطرة الدين على المرأة ،  
 لان اربعا من فئات السن الخمس قد تساوت تقريبا في نسبة المتحررات تماماً من سيطرة  
 الدين ( ٨ ٪ - ١٠ ٪ ) ، والفئة الوحيدة التي لم تضم متحررات تماماً من سيطرة الدين  
 كانت فئة « الـ ٥ سنة او اكثر » . أما توزيع نساء العينة حول مدى سيطرة الدين  
 عليهن فكان كالتالي :

النسبة المئوية	العدد	الفئة
٤٠	٥٠	خاضعة لسيطرة الدين التامة
٤٧٠٢	٥٩	خاضعة لسيطرة الدين بشكل محدود
١٢٠٨	١٦	غير خاضعة بتاتا لسيطرة الدين
١٠٠	١٢٥	الجبوع

نستنتج من هذه الأرقام ان الدين ما زال يسيطر سيطرة تامة على تصرفات وعقول ٤٠٪ من نساء العينة ، ويسيطر سيطرة محدودة على تصرفات وعقول ٤٧،٢٪ منهم . أي ان نسبة النساء اللواتي ما زلن يتأثرن بالدين بشكل او بآخر تقارب ٩٠٪ . كما ظهر ان سيطرة الدين الاساسية في مجال التصرف الاجتماعي أكثر منها في الامور الدينية البحتة .

٣ - مدى سيطرة العائلة على المرأة الفلسطينية : كانت العائلة العربية ، وما زالت الى حد كبير ، مسيطرة على حياة الفرد العربي سيطرة شبه تامة . وبالطبع كانت هذه السيطرة اشد بكثير على المرأة منها على الرجل . فالعائلة العربية تقرر أو تلمب دورا هاما في تعليم الفرد وفي زواجه وفي المهنة التي يتخذها لنفسه وتتدخل في صميم شؤونه الخاصة وتخضع كل ما يتعلق به لوصايتها ورقابتها . فالعائلة العربية - باختصار - تتحكم بمصير الفرد العربي . وفي حال المرأة يصبح هذا التحكم نوعا من الاستعباد . فبإمكان العائلة ان تفرض على المرأة زوجها وموعد زواجها ، وان تختار لها صديقاتها وثيابها وتبرجها ، حتى ان الامر يصل بالعائلة الى استباحة قتل الفتاة اذا اساءت سلوكها . ان هذه السيطرة التامة تمنع الفرد العربي ، وخاصة المرأة العربية ، من تنمية شخصيتها وتصبح هذه المرأة في الاوساط التقليدية « ماركة مسجلة » . أي ان المرأة العربية تمر بعملية اجتماعية طويلة تخرج منها كما تريدها عائلتها . وتظل المرأة اسيرة هذه العملية ، نفسيا وعقليا ، حتى بعد ان تصبح أما و جدة .

لكن تغيرا ملموسا و احيانا جذريا ، طرأ على العائلة العربية بين بعض الفئات الاجتماعية كان سببه التحديث الذي طرأ على المجتمع العربي بشكل عام وتحول الانظمة الاقتصادية العربية من انظمة زراعية بحتة الى انظمة زراعية - صناعية ، او انظمة تعتمد على الخدمات . وقد ظهرت بعض علامات التفكك على قطاعات من العائلات العربية واضطرت العائلة الى تخفيف قبضتها على الفرد نظرا لحاجتها الى نتاجه الاقتصادي وخوفا من ان تخسره تماما . وما يزال المجتمع العربي يسير في طريق المزيد من الحرية الفردية ومن الاستقلال عن اخطبوط العائلة .

في حال المرأة الفلسطينية ، ادى التثريد وتردي وضع العائلة الفلسطينية المالي الى حاجة العائلة لعمل المرأة ، وبالتالي الى تمكينها من اكتساب درجة ، ربما بسيطة ، من الاستقلال . وقد درسنا هذا الجانب للوصول الى بعض المعلومات والحقائق حول مدى سيطرة العائلة على المرأة ، واي فئات كسبت استقلالا جزئيا او كليا . درسنا سيطرة الاهل على المرأة من خلال الامور التالية : ( ا ) حجم الدور الذي لعبوه او الذي تتوقع ان يلعبوه في زواجها . ( ب ) مدى تدخلهم في حياتها الخاصة : اشرافهم على خروجها من المنزل وعودتها اليه ، اصرارهم على معرفة الذين او اللواتي تخرج معهم او معهن ، وتدخلهم في اختيارها لصديقاتها . ( ج ) مدى تدخلهم في اختيارها لعمل ما او هواية ما او فن ما . ( د ) تدخلهم في اختيارها للكتب التي تقرأها والثياب التي ترتديها ونوع التبرج الذي تضعه .

أظهرت نتائج البحث بالنسبة للعينة كلها ان اكثر من نصف النساء ( ٥٣،٦٪ ) كن او ما زلن خاضعات لسيطرة اهلن التامة ، اي ان اهلن يسيطرون على مختلف نواحي حياتهن الشخصية والعامة . كما ظهر ان ٢٧،٢٪ من نساء العينة كن او ما زلن يخضعن لسيطرة محدودة من اهلن ، اي في بعض النواحي التي درسناها كالزواج او اختيار الصديقات او مواعيد الخروج من المنزل والعودة اليه الخ . اما نسبة النساء اللواتي تحررن تماما من سيطرة عائلتهن فقد بلغت ١٨،٤٪ . غير ان هذه النتائج العامة

تتضمن اختلافات بحسب السن ومستوى التعليم والمدخول ومكان الإقامة والمهنة . لقد وجدنا ان غالبية النساء اللواتي تحررن تماما من سيطرة اهلن ( ٦٩٤١٪ ) ينتمين الى سنن السن ١٦ - ١٩ و ٢٠ - ٢٩ . وهذا دليل على ان معظم النساء اللواتي تحررن من سيطرة اهلن قد فعلن ذلك في هذا العقد او في العقد الماضي . اما قبل عقدين فقد كانت نسبة هؤلاء النسوة ضئيلة جدا . وبالإضافة الى السن ، تلعب عوامل المدخول والمهنة ومستوى التعليم دورا ايجابيا في تحرر المرأة من سيطرة عائلتها . فكلما ازداد مدخول عائلة المرأة ومستوى تعليمها كلما كانت فرصة تحررها من سيطرة اهلها اكبر . كما ان نسبة النساء المتحررات بين اللواتي يعملن اكبر منها بين اللواتي لا يعملن : ٢٧٪ للواتي يعملن مقابل ٩٤٪ للواتي لا يعملن . اما مكان الإقامة فيلعب دورا كبيرا في تحرر المرأة من سيطرة اهلها النامة . ويظهر هذا جليا حين نقارن بين النساء من فئة العمر ١٦ - ١٩ سنة فنجد ان ٧٠٪ من اللواتي يسكن الخيمات خاضعات لسيطرة اهلن النامة وما تبقى لسيطرة اهلن المحدودة ، بينما نجد ٥٠٪ تقريبا من اللواتي يسكن خارج الخيمات متحررات تماما من سيطرة اهلن و ٣٠٪ خاضعات لسيطرة اهلن المحدودة و ٢٠٪ فقط خاضعات لسيطرة اهلن النامة .

٤ - علاقة المرأة بزوجها ( أو تصورهما لعلاقتها بزواج المستقبل ) : تعتبر المرأة في المحتوى التقليدي تابعة لزوجها في كل الامور ، وعليها اطاعته اطاعة عمياء ، ويعتبر الزوج مسؤولا كلية عن اعالنها وعن تقرير شؤون الاسرة الرئيسية كتزويج الابناء والبنات ، وارسالهم او عدم ارسالهم الى المدارس ، والجيران الذين يصادقونهم الخ . وقد حاولنا في بحثنا دراسة الجوانب المتعددة للعلاقة الزوجية وتقدير مدى التصاق المرأة بالصورة التقليدية او بعدها عنها من خلال الاسئلة التالية :

١. من الذي يقرر معظم الامور التالية : مصروف المنزل ، كيفية تربية الاولاد ، أين تقضون السهرة ، اي جيران تصادقون : زوجي بمفرده / زوجي بشكل رئيسي وانا بشكل ثانوي/ انا وزوجي بشكل متساو/ انا بشكل رئيسي وزوجي بشكل ثانوي/ انا بمفردي .  
٢. باعتقادك ، هل يجب ان تكون المرأة : مساوية لزوجها في كل الامور بلا استثناء / مساوية له في امور وغير مساوية في امور اخرى / تابعة لزوجها في كل الامور / متفوقة على زوجها في كل الامور . لا جواب / لا اعرف .

٣. اذا لاحظت ان زوجك ظالم في معاملته للاخرين ، كيف يكون موقفك منه : انا لم أصبت ولا اجرؤ على مجابته بنواقصه / احاول التأثير عليه بطريقة غير مباشرة / اجابهه بالواقع واصر على ان يصحح تصرفاته / لا ادري / لا جواب .

٤. اذا كانت لك آراء ومعتقدات تحررية او ثورية خاصة بك وكان زوجك يعارض هذه الآراء ، هل : تحاولين اقناع زوجك بآرائك ومعتقداتك / تجهرين بهذه الآراء ولو ادى ذلك الى تهديد زواجك / تتحدثين عن آرائك بالسر ولا تجعلينها تصل الى مسامع زوجك/ تتنازلين عن آرائك ومعتقداتك في سبيل المحافظة على زواجك/ لا جواب/ لا اعرف .  
أظهر تحليل النتائج توزع نساء العينة حول علاقتهم بأزواجهن كالتالي :

النسبة المئوية	العدد	علاقة المرأة بزوجها
٧٤٢	٩	تقليدية جدا
١١٤٢	١٤	تقليدية
٥٩٤٢	٧٤	متحررة
٢٠٤٨	٢٦	متحررة جدا
١٤٦	٢	لا جواب
٪ ١٠٠	١٢٥	المجموع

يبدو ان غالبية نساء العينة ( ٨٠٪ ) متحررات او متحررات جدا في علاقتهم بأزواجهن ، بينما لا تزيد نسبة التقليديات تماما في علاقتهم بأزواجهن على ٧٪ ونسبة التقليديات على

١١٪ . وهذا يعني ان معظم نساء العينة يتجهن نحو المساواة التامة في علاقتهن بأزواجهن . لم تكن هذه النتيجة متوقعة بتاتا ، خاصة اذا اخذنا بعين الاعتبار علاقة معظم النساء التقليدية بعائلاتهن . يبدو ان المرأة التي تخشى والديها واخوتها لا تخشى زوجها . ولا نستطيع فوراً اعطاء اسباب منطقية لذلك . والامر الاخر الذي يحتاج الى تفسير هو «لماذا تبقى المرأة المتحررة في علاقتها بزوجها تقليدية في علاقتها بابنائها وبناتها؟»

**٥ - موقف المرأة الفلسطينية من العلاقات بين الجنسين :** الموقف التقليدي من العلاقات بين الجنسين موقف متزمت او محافظ جدا . فهذه العلاقات ، سواء كانت عاطفية او جنسية ، تعتبر امراً محرماً . وقد سألنا حول هذا الموضوع الاسئلة التالية : (١) ما رأيك في وجود علاقة عاطفية بين الفتاة وشاب او اكثر قبل الزواج : اشجع هذه العلاقة كثيرا / اشجعها ، لكن بشروط معينة / لا اشجع هذه العلاقة بتاتا / لا جواب / لا اعرف . (٢) ما رأيك في قيام علاقة جنسية بين الفتاة والشباب قبل الزواج : اوافق بلا تحفظ / اوافق شرط ان يكون الشاب خطيبها / اوافق اذا اعطاها وعدا بالزواج / لا اوافق مهما كانت الظروف / لا جواب / لا ادري . (٣) ماذا يكون شعورك حين تشاهد ابن شابا يقبل فتاة في الطريق العام او في منتزه : اشمئز منهما / انظر الى ذلك على انه امر طبيعي / اتنى ان اكون مكانها / العنهما لقله حياءهما / لا ادري / لا جواب .

كانت النتائج العامة لموقف نساء العينة من وجود علاقات عاطفية بين الشباب والفتيات قبل الزواج كما يلي :

النسبة المئوية	العدد	الموقف
١٥٤٢	١٩	موافقة تامة
٦١٤٦	٧٧	موافقة مشروطة
١٧٤٦	٢٢	معارضة تامة
٥٤٦	٧	لا جواب / لا ادري
٪١٠٠	١٢٥	المجموع

يبدو ان نساء العينة بشكل عام قد ابتعدن خطوة عن الموقف التقليدي من العلاقات العاطفية بين الجنسين قبل الزواج ، اذ ان ٦٠٪ تقريبا منهن يوافقن على هذه العلاقات لكن بشروط معينة ، بينما نجد اقليتين متساويتين تقريبا ١٦٤٤٪ / ١٧٤٦٪ توافق الاولى منهما على تلك العلاقات بلا تحفظ بينما تعارض الثانية تلك العلاقات معارضة تامة . اما موقف نساء العينة من العلاقات الجنسية قبل الزواج بشكل عام فكان كالتالي :

النسبة المئوية	العدد	الموقف
١٠٤٤	١٣	موافقة تامة
١٢٤٨	١٦	موافقة مشروطة
٧٤٤٤	٩٣	معارضة تامة
٢٤٤	٣	لا جواب / لا ادري
٪١٠٠	١٢٥	المجموع

تظهر النتائج ان موقف الغالبية العظمى من نساء العينة ( ٧٤٤٤٪ ) ما تزال تقليدية تماما في موقفها من العلاقات الجنسية بين الشباب والفتيات قبل الزواج ، لانهن يعارضن قيام هذه العلاقات مهما كانت الظروف . اما نسبة النساء اللواتي يوافقن بلا تحفظ على هذه العلاقات فبلغت ١٠٤٤٪ ، ونسبة اللواتي يوافقن شرط ان يكون الشاب خطيب الفتاة او شرط ان يعطيها وعدا بالزواج فبلغت ١٢٤٨٪ .

**٦ - وضع المرأة الاجتماعي بشكل عام :** يمكن تحديد وضع المرأة الاجتماعي بشكل عام على خط التقليدية - التحررية ( او التحديث ) من خلال حاصل موقفها من الركائز الخمس التي تناولها البحث بالتفصيل . اذا استعرضنا وضع نساء العينة حول الركائز الخمس لطلعننا بالصورة التالية : فيما يتعلق بالموقف من الكبار في السن نجد ان ٧٣٪

من النساء يقمن في خانة « التقليدية » و ٢٧٪ منهن يقمن في خانة التحرر . فيما يتعلق بسيطرة الدين نجد ان ٨٧٪ منهن خاضعات لسيطرة الدين بشكل او باخر مقابل ١٣٪ منهن متحررات من سيطرة الدين . وفيما يتعلق بسيطرة العائلة نجد ( ٨١٪ ) منهن ما زلن خاضعات لسيطرة اهلن في بعض او كل نواحي حياتهن . وفيما يتعلق بالعلاقات العاطفية بين الجنسين نجد ان ٧٧٪ منهن ما زلن يضمن شروطا للموافقة على هذا النوع من العلاقات . اما في العلاقات الجنسية بين الجنسين قبل الزواج فان ٧٤٪ منهن ما زلن يعارضن قيام هذه العلاقات مهما كانت الظروف مقابل ١٠٠٤٪ يوافقن تماما على قيام هذه العلاقات ، و ١٢٤٨٪ يضمن شروطا صعبة لموافقتهن عليها . فيما يتعلق بعلاقة نساء العينة بأزواجهن نجد الصورة مخالفة تماما للنواحي الاربع السابقة اذ تقع ٨٠٪ من نساء العينة في خانة « التحررية » وتقع ٢٠٪ منهن في خانة « التقليدية » . هذا الاستثناء في وضع المرأة العام لا يتطابق مع نواحي وضعها الاخرى والاساسية ، وقد يعود الى خطأ في تصورنا لعلاقة المرأة التقليدية بزوجها او الى طبيعة العلاقة الوثيقة والخاصة بين المرأة وزوجها مما يعطيها حرية غير متوافرة في العلاقات الاربع الاخرى . بناء على ذلك قررنا عدم ادخال علاقة المرأة بزوجها في تحليلنا لوضعها الاجتماعي العام لانها ترفع نسبة النساء المتحررات بشكل كبير وبالتالي تشوه حقيقة وضع المرأة الاجتماعي العام . فاذا اعتدنا الركائز الاربع لوجدنا ان ٧٩٪ من نساء العينة ما زلن تقليديات بشكل عام في وضعهن الاجتماعي . اما اذا ادخلنا علاقة المرأة بزوجها فان نسبة النساء التقليديات تنخفض الى ٥٨٪ فقط . ويلعب السن دورا في كون المرأة تقليدية او محدثة في وضعها الاجتماعي . فنحن نلاحظ ان فئة الخمسين سنة وما فوق نضم تقليديات بنسبة اربعة اضعاف المتحررات ، وفئتي ٣٠ - ٣٩ و ٤٠ - ٤٩ تضمان تقليديات بنسبة مرة ونصف ضعف المتحررات . لكن عندما ننقل الى فئتي ١٦ - ١٩ و ٢٠ - ٢٩ نجد الصورة معكوسة تماما ، اذ ان هاتين الفئتين تضمان متحررات اجتماعيا بنسبة مرة ونصف ضعف التقليديات . كذلك نجد نسبة التقليديات بين النساء اللواتي يسكن المخيمات ( ٦٥٪ ) اعلى من نسبة النساء التقليديات اللواتي يسكن خارج المخيمات ( ٤٢٪ ) . ونسبة التقليديات بين اللواتي لا يعملن ( ٦٠٪ ) هي ضعف نسبة التقليديات بين اللواتي يعملن ( ٣٢٪ ) . والنسبة تقريبا ذاتها بين المتعلمات وغير المتعلمات . ونسبة المتحررات او المحدثات بين اصحاب المداخيل العالية ( ٩١٪ ) تفوق ثلاثة اضعاف نسبتهم بين اصحاب المداخيل المنخفضة او البسيطة ( ٢٨٪ ) .

### الاستنتاج العام حول تقليدية وحدائث نساء العينة :

لقد استطاعت نسبة صغيرة من نساء العينة ( ٢١٪ ) تجاوز وضعهن الاجتماعي التقليدي والانتقال الى وضع محدث او متحرر . بينما لم تستطع الغالبية العظمى منهن ( ٧٩٪ ) تجاوز وضعهن الاجتماعي التقليدي . غير ان اجابات هؤلاء اظهرت رغبة الكثيرات منهن في التحرر لكن هناك عدة اسباب تمنعهن من ذلك اهمها ( طبقا لاجابات النسوة ) :  
(١) خوفهن من اهلن (٢) خوفهن من كلام الناس (٣) خوفهن من الوضع الجديد الذي قد يجدن أنفسهن فيه . كما ان هناك فئة صغيرة اخرى من النساء التقليديات غير راضية عن وضعها الاجتماعي وتحاول تغييره .

لقد دعمت نتائج البحث الجزء الاول من الأطروحة العامة القائل بأن غالبية النساء الفلسطينيات تقليديات في اوضاعهن الاجتماعية . كما دعمت نتائج البحث الفرضيات الاربع التالية : (١) ما زالت المرأة الفلسطينية بشكل عام تقليدية في علاقاتها بالكار في السن وهي تعاملهم معاملة خاصة . (٢) ما زال للدين سيطرة على حياة وتصرفات المرأة الفلسطينية وخاصة المتوسطة والكبيرة في السن . (٣) ما تزال المرأة الفلسطينية بشكل عام واقعة تحت سيطرة اسرتها تماما ، وهذا الامر لا يسمح لشخصيتها بالنمو ويشل كل طاقاتها الممكنة . (٤) ما زالت المرأة الفلسطينية بشكل عام

محافظة جدا في العلاقات الجنسية حذرة من العلاقات العاطفية قبل الزواج .  
وقد أسقطت نتائج البحث الفرضية القائلة بأنه « ما زالت للرجل مكانة « السيد »  
بالنسبة لزوجته داخل الاسرة الفلسطينية التقليدية لكن هذه المكانة تزعزعت كثيرا داخل  
الاسرة المحدثه او المتحررة » . فالواقع ان مكانة الرجل « كسيد » من حيث علاقته  
بزوجته قد تزعزعت داخل الاسر التقليدية والمحدثه على حد سواء .

### مشاركة المرأة في الثورة

لقد تمعدنا في هذا البحث اعطاء تعريف واسع « للمشاركة » لثلاثتهم كل من لا يقاتل او  
يحمل السلاح بأنه لم يشارك في ثورة شعبه . وتعريفنا الواسع يأخذ بعين الاعتبار  
الواقع المادي لفئات الشعب الفلسطيني ثم المقدره الذاتية لكل فرد او كل فئة . وبما ان  
المساهمة في الثورة ممكنة على مستويات مختلفة وبدرجات مختلفة ، فقد قررنا قياس  
درجة مشاركة المرأة الفلسطينية من خلال المستويات التالية : (أ) هل للمرأة دور في الثورة  
ام لا وما هو هذا الدور ، وأسباب عدم وجود دور لها في الثورة . (ب) موقف المرأة من  
انضمام رجالها ( زوجها ، والدها ، ابنها ، اخوتها ) او محاولة انضمامهم للثورة .  
(ج) موقف المرأة من الثورة اي موقفها السياسي من القضية الفلسطينية .

الاسئلة التي سألناها حول دور المرأة في الثورة كانت : (١) هل تعتقدن : ان للمرأة دورا  
في الثورة / من الافضل بقاؤها في البيت . (٢) اذا كان في رأيك ان للمرأة دورا في الثورة ، فما  
هو ذلك الدور : جمع الاموال والتبرعات / الاسعاف والتبريض / العمل السياسي  
والاعلامي / نقل سلاح ومؤن ورسائل / القتال مع الرجل في الميدان / كل هذه الادوار .  
(٣) على أي الاراء التالية توافقين : لدينا العدد اللازم من الرجال ولا حاجة لمشاركة المرأة  
بالقتال / على المرأة ان تقاتل تعبيرا عن شعورها القومي بفض النظر عن عدد الرجال  
المتوفر للمعركة / المرأة ضعيفة ولا يمكنها حمل السلاح والقتال مثل الرجل / لا جواب /  
لا أدري . (٤) شخصا ، هل لك اي دور في الثورة حاليا ؟ نعم / كلا . واذا كان لك دور  
ما هو ؟ (٥) اذا لم يكن لك دور في الثورة ، هل يعود ذلك الى : انشغالك بالامور المنزلية  
وعدم توفر الوقت لديك / مسؤولية اطفالك او اولادك / لم يوافق اهلك على انضمامك  
للثورة / اود ان اشارك لكن لم تبد المنظمات اهتماما بي / ذهبت وعرضت المشاركة  
لكنهم لم يسندوا الي اي دور / لم افكر في الانضمام الى صفوف الثورة / سبب آخر ؟  
اذكريه / لا جواب .

**تحليل النتائج العامة :** قالت ١٢٢ امرأة او ٩٧.٦٪ من نساء العينة ان للمرأة  
الفلسطينية دورا في الثورة ، بينما قالت ثلاث نساء او ٢.٤٪ انه من الافضل بقاء المرأة  
الفلسطينية في البيت . اما توزيع النساء حول تصورهن لدور المرأة في الثورة فكان كالاتي :

الدور	العدد	النسبة المئوية
جمع الاموال والتبرعات	١٧	١٣.٦
الاسعاف والتبريض	١٨	١٤.٤
العمل السياسي والاعلامي	٧	٥.٦
نقل سلاح ومؤن ورسائل	٣	٢.٤
القتال مع الرجل في الميدان	—	—
كل هذه الادوار	٧٧	٦١.٦
المجموع	١٢٢	١٠٠٪

تعتقد ٧٧ امرأة او ( ٦٠.٦٪ ) من نساء العينة ان المرأة يمكن ان تلعب كل الادوار في  
الثورة ، اي كل الادوار التي يلعبها الرجل . وتحدد ١٧ امرأة او ١٣.٦٪ من العينة دور  
المرأة بجمع الاموال والتبرعات ، بينما تحدد ١٨ امرأة او ١٤.٤٪ هذا الدور بالاسعاف  
والتبريض . اذن فالغالبية الساحقة من نساء العينة يعتقدن ان للمرأة دورا في الثورة ،  
كما يعتقد لثلاث نساء العينة ان دور المرأة يجب ان يكون مساويا لدور الرجل . بينما يذهب

تلک نساء العينة الى تمييز دور المرأة عن دور الرجل وحصره بمهام معينة .  
 تظهر الاجابات عن السؤال الثالث ، الذي يشابه السؤال الثاني لكنه صيغ بطريقة  
 مختلفة ، ان نسبة اكبر من النساء تؤمن بأن على المرأة ان تقاتل الى جانب الرجل ،  
 وهذا طبعا يشمل الادوار الاخرى لانها لسهل . كان توزيع الاجابات حول السؤال الثالث  
 كما يلي :

النسبة المئوية	العدد	الرأي
٧٤٢	٩	لا حاجة لمشاركة المرأة بالقتال
٨١٤٦	١٠٢	على المرأة ان تقاتل
٨٤٨	١١	المرأة ضعيفة ولا يمكنها حمل السلاح
٢٤٤	٣	لا جواب
٪١٠٠	١٢٥	المجموع

دللت الاجابات حول ما اذا كانت المرأة تلعب حاليا دورا في الثورة ام لا على ان ٨٢ امرأة  
 او ٦٥٤٦٪ من نساء العينة لا دور لهن اطلاقا في الثورة ، بينما قالت ٤٣ امرأة او  
 ٣٤٤٪ ان لهن دورا في الثورة . وقد توزعت النساء اللواتي لهن دور كالآتي :

النسبة المئوية	العدد	الدور الذي تلعبه
من العينة		
١٢٤٨	١٦	دور اجتماعي او انساني
٩٤٦	١٢	دور سياسي تنظيمي
—	—	دور قتالي
٨	١٠	مليشيا
٧٤٢	٩	جمع التبرعات
٤٤٨	٦	دور اعلامي
	٥٣	المجموع

ارغم ان عدد النساء ٤٣ فقد ظهر ان عدد الادوار ٥٣ ، وذلك لان نساء الميليشيا العشر  
 لهن ادوار مزدوجة ، اذ يلعبن في الوقت نفسه دورا في التنظيم السياسي للثورة .  
 السؤال الاساسي الذي يجب ان نطرحه الان هو : لماذا لم يكن في العينة سوى ٨٪ يلعبن  
 دورا سياسيا تنظيميا ومليشيا ولم نجد امرأة واحدة تلعب دورا قتاليا رغم ان ٨١٤٦٪  
 من نساء العينة يعتقدن ان على المرأة ان تقاتل مع الرجل في الميدان تعبيرا عن شعورها  
 القومي بغض النظر عن عدد الرجال المتوفر للمعركة ؟ قد يبدو للمراقب الغريب ان  
 النساء غير مخلصات حول اعتقادهن بدور المرأة . لكن الواقع انهن صادقات في  
 اعتقادهن ، انما اعتقادهن هذا لم يتحول الى عمل . وهذه آفة الشعب العربي بشكل  
 عام ، وهو ما يصفه الدكتور هشام شرابي بالسلوك الكلامي . وهذا السلوك لا يتجاوز  
 الكلام لانه غير موجه نحو تنفيذ او اتهام مهمة ما . يبدو لنا ان كل امرأة من النساء  
 اللواتي نادين بوجوب مشاركة المرأة بالقتال تعتقد ان المفروض بغيرها ان تقاتل لانها هي  
 مرتبطة بأمور اخرى او لها « ظروفها الخاصة » . والسلوك الكلامي مسؤول عن  
 التناقض الذي ظهر بين اعتقاد المرأة وموقفها الفعلي . وفضل مثال على ذلك قول  
 احدها « لقد عرض علي المشاركة لكن لم يوجد لدي الوقت الكافي مع انه واجب  
 الانضمام مهما كانت الظروف » . اما النساء اللواتي لم يشاركن في الثورة فقد اعطين  
 الاسباب التالية لعدم مشاركتهن :

النسبة	العدد	سبب عدم المشاركة في الثورة
٢١٤٩	١٨	انشغال بالامور المنزلية وعدم توفر الوقت

٢٩	٢٤	(٢) مسؤولية الأطفال والاولاد
١٤٤٦	١٢	(٣) لم يوافق أهلي على انضمامي
٢٤٩	٢	(٤) اود ان اشارك لكن لم تهتم المنظمات بي
—	—	(٥) عرضت المشاركة لكنهم لم يسندوا لي دورا
١٤٤٦	١٢	(٦) لم أفكر بالانضمام للثورة
٧٤٣	٦	(٧) سبب آخر
٩٤٧	٨	(٨) لا جواب
١٠٠	٨٢	المجموع

تقول ٥١ ٪ من اللواتي ليس لهن دور في الثورة انهن لم يشاركن نظرا « لانشغالهن بالامور المنزلية ومسؤولية اطفالهن او اولادهن وعدم توفر الوقت لديهن » . اما ١٥ ٪ منهن تقريبا فقد قلن ان « اهلن لم يوافقوا على انضمامهن للثورة » وهذا سبب معقول نظرا للسيطرة العائلة على المرأة . اما ١٥ ٪ اخرى منهن فقد قلن صراحة انهن لم يفكرن في الانضمام الى صفوف الثورة ، ولم يحاولن تبرير عدم مشاركتهن بأية اعدار . وقد ألفت ٣ ٪ من النساء اللوم على المنظمات التي لم تبتد اهتماما بهن . اما ٧٤٣ ٪ فقد اعطين اسبابا متفرقة مثل « عدم توحيد المنظمات » ، « سني لا تسمح لي بالمشاركة » ، « لانني اشتغل لاعيش » . ولم تعط ٩٤٧ ٪ منهن سبب عدم مشاركتهن في الثورة . ان قبول اعدار هؤلاء النسوة او عدم قبولها مسألة قائمة بذاتها ، لكن الواقع يبقى انهن شخصا خارج صفوف ثورة شعبهن .

من المعروف ان للمرأة تأثيرا كبيرا على اولادها وزوجها ، والى حد ما على اخوتها . والمرأة قد تلعب دورا حاسما في تشجيع رجالها على الانضمام للثورة او عرقلة انضمامهم . وقد سألنا ثلاثة اسئلة مباشرة حول موقف المرأة من رجالها والثورة ، وهي (١) اذا قرر زوجك الانضمام للفدائيين كيف تتصرفين ؟ تبدين معارضة شديدة لقراره / تركينه وتذهبي الى بيت اهلك / تكوني مترددة بين معارضته والسماح له بالانضمام / تشجعيه على الانضمام / تهددينه بالطلاق / لا ادري ماذا افعل / لا جواب . (٢) اذا قرر والدك او اخوتك او ابناؤك الانضمام الى الفدائيين ، كمقاتلين ، هل : تفعلين كل ما في وسعك لعرقلة انضمامهم / تقبلين بالامر رغم معارضتك له / ترحبين بانضمامهم وتباركينه / لا ادري ماذا افعل / لا جواب . (٣) اي من الامور التالية مقبولا لديك اكثر من غيره : اقبل ان يعمل اخي او ابي او ابني في المجال الاعلامي للثورة في التنظيم السياسي / في المليشيا / اقبل ان يصبح اخي او ابني او ابي مقاتلا / لا اقبل ايا من هذه الامور / اقبل كل هذه الامور / لا جواب .

يقيس السؤال الاول والثاني رد فعل المرأة ازاء قرار اتخذه غيرها ( ابنها ، زوجها الخ ) لكن هذا القرار يمسها ويعنيها . وقد قالت ٦٩ امرأة او ٥٥٤٢ ٪ من العينة انهن يشجعن ازواجهن على الانضمام للفدائيين اذا قرروا الانضمام . وقالت ٥٧ امرأة او ٤٥٦ ٪ من العينة انهن يرحبن بانضمام اخوتهن او ابنائهن الى الفدائيين كمقاتلين اذا قرروا الانضمام . اما أعلى ثاني فئة بين النساء فهن المرتبكات اللواتي لا يدرين ما يفعلن اذا قرر رجالهن الانضمام للثورة كمقاتلين . وتبلغ هذه الفئة في حال قرار الزوج بالانضمام ١٦ امرأة او ١٢٤٨ ٪ ، وفي حال قرار الاخوة او الابناء ٣٤ امرأة او ٢٧٤٢ ٪ . اما الفئة المعارضة تماما لهذه القرارات والتي تحاول عرقلتها فقد بلغت ٢٦ امرأة او ٢٠٤٨ ٪ في حال قرار الزوج ، و ١٢ امرأة او ٩٤٦ ٪ في حال قرار الاخوة والابناء والاباء . وهناك فئة اخرى بلغت ١٢ امرأة او ٩٤٢ ٪ قالت انها في حال قرار اخوتها او ابنائها بالانضمام للثورة ستقبل بالامر رغم معارضتها له .

السؤال الثالث يقيس الامر الأكثر قبولا لدى المرأة اي ما ترغب ان تراه . اظهرت الاجابات على هذا السؤال ان هناك ثلاث فئات رئيسية متساوية في العينة تبلغ كل



منها ٤٠ امرأة أو ٢٥٦٣٪ من عدد الاجابات ( ١٥٨ اجابة ) . الفئة الاولى تقبل ان يصبح رجالها مقاتلين في الثورة ، والفئة الثانية تقبل ان يعمل رجالها في المجال الاعلامي للثورة ، والفئة الثالثة تقبل ان يعمل رجالها في التنظيم السياسي للثورة .  
وهناك فئتان متعادلتان عدد كل منهما ١٢ امرأة أو ٧٤٥٪ من عدد الاجابات، الاولى تقبل كل مجالات العمل لرجالها ، والثانية تقبل ان يعمل رجالها في الميليشيا . واخيرا هناك فئتان عدد كل منهما ٦ نساء أو ٣٤٧٪ ، الاولى لم تعط أي جواب على السؤال، والثانية لا تقبل ان يعمل رجالها في اي مجال من مجالات الثورة .

نستنتج من بحثنا حول موقف المرأة من رجالها والثورة ، ان نصف النساء تقريبا يتشجعن رجالهن على الانضمام للثورة كمقاتلين اذا قرروا الانضمام للثورة ، وان هناك نسبة تتراوح بين ١٢٪ و ٢٧٪ مرتبكة ولا تدري ماذا تفعل في هذه الحالة . اما الفئة المعارضة تماما لقرار رجالها بالانضمام للثورة فتتراوح بين ١٠٪ و ٢٠٪ . كما نستنتج ايضا ان الغالبية الساحقة من النساء ( ٧٦٪ ) يردن لرجالهن ادوارا قتالية وسياسية واعلامية في الثورة ، وان الفئة التي لا تريد اي دور لرجالها في الثورة لا تزيد على ٤٪ .  
ان موقف النساء من رجالهن ، بشكل عام ، موقف ايجابي .

**موقف المرأة السياسي من القضية الفلسطينية :** موقف المرأة السياسي من قضية شعبها اساسي لان تصورها السياسي يحدد مواقفها الفعلية والعملية فيما يتعلق برجالها ودورها في الثورة ، ومساندتها للثورة . حول موقف المرأة السياسي من القضية الفلسطينية سألنا هذا السؤال : كيف تشعرين الان : ان قضيتنا يائسة وشباننا يموتون بلا نتيجة / من الافضل ايجاد حل سياسي (سلمي) للقضية / ان قضيتنا معقدة ولن ننصر بدون تضحيات كبيرة وعلينا الاستمرار بالكفاح المسلح مهما كانت الظروف/ لا جواب - لا اعرف . قالت ١١٣ امرأة (أو ٩٠٪) من نساء العينة ان علينا الاستمرار بالكفاح المسلح مهما كانت الظروف . وقالت عشر نساء ( او ٨٪ ) ان قضيتنا يائسة ومن الافضل ايجاد حل سلمي للقضية . ولم تعط امرتان جوابا على السؤال . تظهر هذه النتائج ان الغالبية الساحقة من نساء العينة يتخذن موقفا واضحا وجازما من قضيتهن وان تصورهن لايعاد تلك القضية سليم وان لديهن نفسا نضاليا ، وانهن لا يرضين بالحلول الاستسلامية والسلمية والتصفوية .

**وضع المرأة الفلسطينية العام من حيث مشاركتها بالثورة :** يمكننا التوصل الى تحديد هذا الوضع من خلال مواقف المرأة الثلاثة التي بحثناها سابقا . موقف نساء العينة العام موقف ايجابي من المشاركة في الثورة ويكاد يصبح موقفا متعارفا تماما مع الثورة لو قرن القول بالعمل الجدي ولو اضطلعت معظم النساء بمهام مباشرة في الثورة . نقول هذا بناء على النتائج التالية :

٩٧٦٦٪ من نساء العينة يقلن ان للمرأة دورا في الثورة وتقول ٨١٦٦٪ منهن ان على المرأة ان تقاتل في صفوف الثورة بينما تقول ٦٠٠١٪ منهن ان على المرأة ان تقوم بكل المهام التي يقوم بها الرجال في الثورة . وتؤمن الغالبية الساحقة من النساء ( ٩٠٪ ) بضرورة متابعة الكفاح المسلح لتحرير فلسطين مهما كانت الظروف . واخيرا يوافق ٥٣٪ من نساء العينة على انضمام رجالهن الى الفدائيين كمقاتلين ، ويتخذ ٢٧٪ منهن موقفا متزهدا من انضمام رجالهن للثورة بينما يعارض ما بين ١٢٪ و ٢٠٪ منهن انضمام رجالهن للثورة . غير اننا حين ننتقل الى ادوار النساء في الثورة نجد ان ٦٥٦٦٪ من نساء العينة لا دور لهن في الثورة، فلو استثنينا الخمس والعشرين امرأة ( او ٢٠٪ ) من فئة السن خمسين سنة وما فوق وبعض النساء من فئة ٤٠ - ٥٠ سنة لبقينا لدينا ٤٠٪ تقريبا من نساء العينة لا يشاركن في الثورة رغم ان الفرصة قد اتحت لهن كما اتحت لكل فرد فلسطيني آخر . كذلك اذا انتقلنا الى نوعية مشاركة نساء العينة في الثورة لوجدنا ان لعشرين في المئة منهن فقط ادوارا مباشرة في الثورة اي في المجالات

المسكرية والسياسية التنظيمية والاعلامية . أما بقية نساء العينة اللواتي يشاركن في الثورة فنقتصر مشاركتهن على نشاطات انساب لجمعيات خيرية منها لثورة . طبعاً هذا لا يجعلنا نتناسى دور النساء الفلسطينيات اللواتي قاتلن في غزة وعمان والضفة الغربية واللواتي خطفن طائرات والقين قتابل واعتقلن وعذبن وشاركن في كل المهام الثورية . غير ان الثورة ، من جهة اخرى ، اذا كانت حرب تحرير شعبية او وطنية لا تعتمد على البطولات الفردية والمشاركة الفورية والعفوية بل على المشاركة المنظمة والدؤوبة لآلاف من النساء في كل المهام الثورية . المرأة الفلسطينية طاقاتها لم تدخل صفوف الثورة بشكل قوى بعد ، وهذا عامل اضعاف للثورة .

### العوامل الثابتة التي تؤثر على المشاركة في الثورة :

السن والمشاركة في الثورة : ان للسنة علاقة مينة بالمشاركة ( انظر الجدول ادناه ) .

السن	درجة المشاركة
٥٠ واكثر	٢
٤٠ - ٤٩	٢
٣٠ - ٣٩	٢
٢٠ - ٢٩	٤
١٦ - ١٩	١١
مشاركة تامة	٢
مشاركة محدودة او بسيطة	٤
عدم المشاركة بتاتا	١٩
المجموع	٢٥

يتضح من هذا الجدول ان قمتي السن ١٦ - ١٩ و ٢٠ - ٢٩ تضمنا عددا اكبر من اللواتي يشاركن مشاركة تامة وفعالة في الثورة مما تضمه الفئات الثلاث الاخرى مجتمعة . كما ان الفئات الثلاث الكبيرة في السن تضم ٤٤ امرأة لم يشاركن في الثورة بتاتا مقابل ١٥ امرأة للفئتين الصغيرتين ، اي بنسبة ثلاثة اضعاف تقريبا . نستنتج من ذلك انه كلما ازدادت سن النساء كلما ازدادت نسبة اللواتي لا يشاركن في الثورة بينهن ، وان الصغيرات في السن يشاركن مشاركة فعالة ومحددة أكثر من الكباريات في السن .

**الحالة الزوجية والثورية :** الحالة الزوجية احد العوامل التي تؤثر تأثيرا ملموسا على مشاركة المرأة في الثورة وخاصة على الدرجات القصوى من المشاركة . فان نسبة من يشاركن مشاركة تامة بين العازبات تفوق بأكثر من ضعفي نسبتهن بين المتزوجات ( ١٦ ٪ مقابل ٦٤٤ ٪ ) ، وفي المقابل فان نسبة اللواتي لا يشاركن بتاتا بين المتزوجات تفوق بثلاثة اضعاف نسبتهن بين العازبات ( ١٩٦٢ ٪ مقابل ٤٤٨ ٪ ) .

**العمل والمشاركة :** يؤثر العمل على المشاركة ويلعب دورا شبيها بدور الحالة الزوجية ، اذ انه يؤثر على الدرجات القصوى منها . فنسبة اللواتي يشاركن تماما بين النساء اللواتي يعملن تبلغ أربعة اضعاف نسبتهن بين النساء اللواتي لا يعملن ( ٩٦٦ ٪ مقابل ٢٤١ ٪ ) . كذلك ان نسبة النساء اللواتي لا يعملن بين اللواتي لا يعملن تزيد على ضعفي نسبتهن بين اللواتي يعملن ١٦ ٪ مقابل ٦٤٤ ٪ . ويمكن تفسير هذا بتعرض المرأة العاملة لتيارات فكرية لا تتعرض لها المرأة التي لا تعمل كما يمكن ربطه بالحالة الزوجية لان معظم العاملات عازبات ، بينما معظم اللواتي لا يعملن ربات بيوت . كما يظهر الجدول ايضا ان نسبة اللواتي يشاركن تماما او مشاركة محدودة بين الطالبات تفوق بأربعة اضعاف نسبة اللواتي لا يشاركن بتاتا بينهن ( ١٢ ٪ مقابل ٣٤٢ ٪ ) .

**التعليم والمشاركة :** لا يلعب التعليم اي دور في وضع المرأة من حيث مشاركتها في الثورة ، بكلام اخر ليست هناك أية علاقة بين التعليم والمشاركة في حال المرأة الفلسطينية ، فقد أظهر بحثنا ان النساء من مستويات تعليم مختلفة موزعات بشكل متساو تقريبا على درجات المشاركة وعدمها : مثلا بين اللواتي يشاركن تماما هناك ٤ نساء أميات وهن حصلن دراسة ابتدائية و ٦ حصلن دراسة ثانوية وهن حصلن دراسة جامعية . كذلك نجد نسبيا متقاربة جدا لدرجات المشاركة وعدمها بين الجامعيات والاميات واللواتي

تلقيت دراسة ثانوية .  
مكان الإقامة والمشاركة :

مكان الإقامة

درجات المشاركة	مخيم	خارج المخيم
العدد	النسبة	العدد
مشاركة تامة	١٥	٤
مشاركة محدودة او بسيطة	٢٠	٢٠٠٨
عدم مشاركة بتاتا	١٢	٣٧٤٦

يظهر الجدول اعلاه ان مكان الإقامة يؤثر تأثيرا كبيرا على مشاركة المرأة في الثورة ، وان له علاقة مباشرة بالمشاركة . فقد ظهر ان نسبة اللواتي يشاركن تماما بين اللواتي يسكن المخيم تبلغ ثلاثة اضعاف نسبتهم بين اللواتي يسكن خارج المخيم ( ١٢ ٪ مقابل ٤ ٪ ) ، وان نسبة اللواتي لا يشاركن بتاتا بين اللواتي يسكن المخيم تبلغ ربع نسبتهم تقريبا بين اللواتي يسكن خارج المخيم ( ٩٤٦ ٪ مقابل ٣٧٤٦ ٪ ) . وتتفوق اللواتي تسكن خارج المخيم على اللواتي يسكن في المخيم بنسبة المشاركة المحدودة او البسيطة فقط ( ٢٠٠٨ ٪ مقابل ١٦ ٪ ) .

**المدخول والمشاركة :** لم نتمكن من وضع جدول للمدخول والمشاركة نظرا لقلة عدد الحيات على هذا السؤال وكثرة فئات الدخل مما يجعل العدد في خانات الدخل والمشاركة صغيرا . لكن الصورة العامة للدخل والمشاركة تظهر ان هناك علاقة مباشرة بين الاثنين . فان معظم اللواتي يشاركن مشاركة تامة من ذوات الدخل الذي يقل عن ٦٠٠ ليرة شهريا للعائلة . لا نستطيع اعتبار هذه الصورة المشوهة دليلا علميا انما ذكرناها في سبيل دراستها في أبحاث أخرى .

**العلاقة بين التقليدية والمشاركة في الثورة :** بعد محاولة الربط بين التقليدية او التحرر والمشاركة او عدمها توصلنا الى نتائج ( انظر الجدول ادناه ) تظهر بشكل قاطع انه في حالة المرأة الفلسطينية لا علاقة بتاتا بين التقليدية والمشاركة وان كون المرأة تقليدية او محدثة لا علاقة له بكونها تشارك او لا تشارك في ثورة شعبها . واعتقد ان هذا الامر صحيح بالنسبة لحروب التحرير الشعبية ، لكنه لا ينطبق على الثورات التي يقوم بمضمونها الاجتماعي على الصراع الطبقي ، اي ثورة طبقة على استقلالها اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا من قبل طبقات أخرى .

**جدول التقليدية والمشاركة**

العدد	الوصف
٤٢	١) تقليدية او تقليدية تماما + مشاركة محدودة او تامة
٣٤	٢) متحررة او متحررة تماما + مشاركة محدودة او تامة
٢٦	٣) تقليدية او تقليدية تماما + عدم مشاركة بتاتا
٢٣	٤) متحررة او متحررة تماما + عدم مشاركة بتاتا

**خاتمة :** معظم نساء العينة تقليديات في اوضاعهن الاجتماعية لكن هناك فئة صغيرة منهن غير راضية عن ذلك وتحاول تغيير وضعها ، وهناك فئة أخرى ترغب في التغيير لكنها لا تقدم عليه خوفا من اهلها ومن كلام الناس . اما من ناحية مشاركتهم فسي الثورة الفلسطينية فان درجة مشاركة معظمهن بسيطة وجزئية ولا تعتبر في صميم المهام الثورية ، غير ان موقفهن السياسي من الثورة ومن انضمام رجالهن لها موقف ايجابي . وهذا لا ينكر دور الطليعة النسائية التي تشارك في الثورة مشاركة فعالة على كل المستويات . اخرا ، ربما بسبب اوضاع الفلسطينيين وطبيعة تضييقهم ، لم يثبت وجود اية علاقة بين التقليدية او الحدائة والمشاركة في الثورة .

# الفلسطيني الصغير : دراسة في رسوم اطفال النازحين الفلسطينيين

هاني حوراني

مدخل

في ١٦ آب (سبتمبر) ١٩٦٨ ، عندما بدأنا بجمع رسوم الاطفال في مخيم البقعة (١)، وخلال ثلاثة اشهر من عمليات الجمع والفرز والتصنيف ، كنت قد سجلت مجموعة كبيرة من الملاحظات الشخصية حول التجربة ، وضعتها من باب الفضول الفني والعلمي ، ولم يكن في تقديري انها ستشكل المسودة الاولى لهذه الدراسة ، اذ لم يتوفر لدي بعد اول عرض لهذه الرسوم في مخيم البقعة اية فرصة لتتبع رحلات هذه الرسوم الى عدد كبير من العواصم العربية والاجنبية (٢)، وكنت أتمنى أن تنوثر لهذه الرسوم خلال عرضها في أماكن متفرقة فرص اوسع للتقبل والدرس تساعد على فهم التجربة وتضعها في اطارها الاجتماعي والتاريخي . وقد أسهمت المحاولة التي قام بها صادق جلال العظم في تعريف هذه الرسوم الى عدد كبير من المهتمين ، غير انها بقيت في حدود الغرض التي وضعت من اجله . ولم تتحقق اية دراسة ذات طموح علمي لاستشفاف ابعاد هذه الرسوم ، التي انتجت في ظرف تاريخي هام وتحت وطأة حرارة الهزيمة وطراوتها في اذهان الاطفال الفلسطينيين . ورغم الاحتفاء والدعاية الواسعة التي احاطت هذه الرسوم من قبل الصحافة والمنظمات العربية والعالمية والمقاومة الفلسطينية (٣)، والتي تميزت بطابع سياسي صارخ هي جديرة به ، غير انها بقيت ، اي رسوم الاطفال ، مغطاة ومعالجة من جانب واحد ، وهو الجانب السياسي ، وهو امر يفقد هذه الرسوم في غياب جهد علمي يتناول الجوانب الاجتماعية والنفسية والفنية والجمالية ميزتها الاساسية ، البراءة والعنوية عندما لا يرى

من هذه الرسوم الا وجهها الاعلامي - السياسي . وقد اضطررتي ذلك الى القيام بما ظننت انه ليس من مهباتي ، فبعد ان اسهمت بدوري في جمع هذه الرسوم وانتقائها وعرضها ، وجدت نفسي مدفوعا الى العودة الى ملاحظاتي الاولى عن التجربة ، وادخل الى عالم اطفال البقعة كناقد ودارس ، بعد ان دخلت عالمهم كواحد يعاين الالوان والمساحات ويعيش مشاكل الخلق الفني ويسقط معهم في الهموم التي تنتاب كل من يقف امام مساحة بيضاء . وربما بت أقل حرجا ، اذ وفرت لي ظروف المعيشة فرص تمثل الجوانب الموضوعية والجمالية في رسوم الاطفال ، وربما كان من الصعب على الاخرين ان يدرك اية حيوية تلك التي تتدفق بهم ، بل واية جراءة تحملها اصابعهم وهي تعذب في وجوهنا بأشد الاشداء ايلاما وقسوة . وارجو ان تكون محاولتي هذه ، لتحليل رسوم الاطفال وتقييمها ضمن واقعهم الاجتماعي والانساني ، قد اصابنا شيئا من النجاح ، وهذا مرهون بمدى قدرتي على اكساب هذه الرسوم ، كشكل من اشكال التعبير ، يمارسه الاطفال في كل مكان من هذا العالم ، بفهم افضل . اذ بدا واضحا ان هناك العديد من المعايير التي ينظر بها الى هذه الرسوم . وهناك الكثير من المفاهيم الاجتماعية والسياسية والنقدية التي حكمت كل من اتصل بهذه الرسوم ، فهي تقحم على اكثر من مختبر واكثر من منهج ، وحيانا تعامل وتتناول كأعمال فنية ناضجة (٤).

ومن ثم ، وجدت نفسي مضطرا للتفويه بأن هناك حاجة كبرى لان تفهم هذه الرسوم على حالها ، فهي بكل ما تحمل من تعابير تذر وتزق لطفولي ، من

اغنيات واناشيد ، من عناد وسخرية ، من حزن وحلم ، من اخطاء وهفوات ، من فرح وموسيقى ، لقدرة على ان تعكس معاناة ادفا ، واحيانا اعيق ، من هبومنا الكبيرة . مفصصات الورق الملونة ، المتعة بالزيت ، تبعث فينا دهشة الاكتشاف ورومته والبه . تكثف امامنا رؤية الاشياء واحيانا تصححها . السننا ندهش لكلمة عابرة ينطق بها لسان طفل ، نقتل الف معنى ومعنى . فاذا هذه الرسوم أشبه ما تكون بالكلمات اللغناء العبقرية كثفت الكثير مما نود ان نقوله وبخماسية شديدة . بعيدا - ولو لقليل من الزمن - عن اشكال القهر والتكبيات التي تكاد ان تكون زادهم اليومي . وصاغت لنا هذه اللوحة الثرية الملونة .

واخيرا ، فان هذه الدراسة محاولة لجعل اصوات الطفولة الفازحة قادرة على ان تأخذ مداها ، وان تعطى حقها ، ومحاولة لتحرير اوراق الطفولة ، بالوانها وخطوطها ، من فوق الكلمات الكابتة والاحكام والقيود والنظرات الميتة التي تحاول اسكات صوتها المعاني والصحيح وقتل ابداعاتها . فان نجحت في ذلك ، فان ذلك يعني ان اطفال البعثة ، عندما حاولوا ان يقولوا ( حقائقهم الصغيرة ) دون ان تموت في افواههم او على رؤوس النابلهم ، فقد كسبوا شوطا في نضالهم من اجل السيطرة على تشويبات الحياة المائلة وبشاعتها .

### (1)

يعول ويلهلم فيولا في معرض حديثه عن بداية الاهتمام برسوم الاطفال « ... ان اكتشاف فن الاطفال ، هو نتيجة لاكتشاف الطفل كائنسان ، له شخصيته الخاصة وقوانينه الخاصة ... » (٥) . وثمة اشارات تدل على خلفية هذا « الاكتشاف » ، منذ منتصف القرن الماضي ، كان ممكنا ان يردد هيربرت سبنسر في كتابه عن التربية ( ١٨٥٤ - ١٨٥٩ ) : « ان الاعتراف السائد حول الرسم ، كاذاة او عنصر تربوي ، لهو دلالة من بين دلالات كثيرة عن النظرة العقلية حول الثقافة الفكرية التي بدأت تنتشر الان » . « ... ما هو الشيء الذي يحاول الطفل ان يصوره اولا - يستطرد سبنسر قائلا - الاشياء الكبيرة ، الاشياء ذات الالوان الجذابة ، الاشياء التي تحوم حولها دلالات مبسطة ... » . « أي طرق التقديم ، التشخيص ، تعطى بهجة أكثر للتوطين . » « ليس السؤال فيما اذا كان الطفل ينتج رسوما جيدة ، انما السؤال يكمن في

هل يطور الطفل قواه ... » . « في سني الطفولة الاولى ليس بالامكان اعطاء دروس رسم رسمية ، هل ، اذن ، علينا ان نكبت ، او نهمل هذه المحاولات الطفولية لتتقيف النفس ، ام هل نشجع ونوجه هذه المحاولات ، كتمارين طبيعية للادراك وقوة التوجيه ؟ » « يجب ان يحصل التالي : عندما يصل الطفل الى سن دروس الرسم ، سوف تظهر قدرة كانت غير موجودة . يستنتج من هذا اننا ضمينا نشجع التميرين من نماذج . واكثر من ذلك نشجع الانضباطية الرسمية في تعليم رسم الخطوط المستقيمة ، والخطوط المنحنية وكذلك المركبة ، هذه القواعد التي يبدأ بها بعض الاساتذة ... » (٦) .

ولا اظن ان ثمة حاجة للتذكير ، بأن هذه القواعد في تعليم الرسم للاطفال ، والتي يشجها هيربرت سبنسر منذ اكثر من قرن ، ما تزال متبعة في مدارسنا . غير ان ملاحظات سبنسر هذه ، والتي كانت مقدمة قياسا لعصره ، تلتها ، بعد نحو ثلاثة عقود ، محاضرة لابنزر كوك بعنوان « طرق تعليمنا الفن وطبيعة الطفل » كانت قد القيت امام الجمعية التربوية ثم نشرت في مجلة التربية عام ١٨٨٥ - ١٨٨٦ (٧) . وقد عرفت هذه المحاضرة ، بين غالبية الدارسين لفن الاطفال ، بمثابة البداية الرسمية للاهتمام برسوم الاطفال وتطليلها ، اذ ضمنها ملاحظاته واستنتاجاته حول مراحل نمو الاطفال من خلال رسوماتهم ، كما دعا الى مهم تربوي جديد في تعليم الاطفال يأخذ بعين الاعتبار مراحل نمو الطفل العقلية والذوقية (٨) .

وبعد فترة وجيزة ( ١٨٨٧ ) صدر كتابان ، وعلى وجه الدقة تقرير وكتاب ، الاول وضعه كورادو ريتشي حول رسوم الاطفال الايطاليين ، وثمة اعتقاد ان اصطلاح « فن الاطفال » قد استعمل لأول مرة في هذا التقرير (٩) ، كما يظن ان مجموعة رسوم الاطفال التي جمعها ريتشي قد تكون اول مجموعة نشر عنها بيان . اما الكتاب الثاني الذي صدر بنفس السنة ، فهو للاماني الفرد ليختنارك وتضمن « ان الطفل في تصويره للاشياء يبسطها ، حسب قوانين صالحة لكل الازمان وكل الشعوب ، ونحن تعرفنا على العلاقة ما بين محاولات الطفل الاولى ومحاولات الانسان البدائي » (١٠) . وفي عام ١٨٩٥ ردد جيمس سللي في كتابه « دراسات في الطفولة » « فن الاطفال ، شيء قائم بذاته » « الفنان الصغير هو رمزي اكثر منه طبيعي » (١١) . ومنذ ١٨٩٧ وعلى

مدى أربعين سنة استمرت جهود فرانز كيزك في ملاحظة رسوم الأطفال في المدرسة التي حارب طويلا طويلا من أجل انشائها ، واستطاع الكشف عن القوانين التي يستخدمها الأطفال في خلقهم . وبهذا الصدد يقول هريبرت ريد الذي كان من ضمن المسهمين النماليين في كشف قوانين وملامح رسوم الأطفال وآثارها التربوية : « ... كان كيزك اول من اظهر الفوائد الجمالية والنفسية في اطلاق المجال امام النوازع الخلاقة المتمثلة في الأطفال . فقد كان هو الرجل الذي اخذ على عاتقه المهمة الصعبة : أن يبرء القيم الجمالية للرسوم التي ينتجها الأطفال ، وخلال فترة الاربعين سنة هذه ، نهض تذوق للفن البدائي ، وساعدت التطورات الثورية في الفن الحديث على تقريب من الأطفال للمدى العام من الذوق الجمالي » (١٢).

وقبل نهاية القرن الماضي ، كان فن الأطفال ، موضوع العديد من الدراسات من جوانب متعددة (١٣) ، لم تلبث ان بعثت حركة اهتمام واسعة أدت في اعتاب القرن الحالي ، الى « اكتشاف » فن الأطفال ، فوضعت حوله العديد من الدراسات والبحوث والتقارير ، تناولت إنتاج الأطفال من جوانبه السيكولوجية والفنية والاجتماعية والتربوية وغيرها .

ولئن طبعت معالجات النصف الاخير من القرن الماضي ، الوصفية والتقريرية لاعتبارها بوجه خاص على الملاحظة الشخصية ، فان ابرز ما يميز جهود الباحثين منذ مطلع القرن العشرين ، اعتمادها على مناهج جديدة في البحث والدراسة ، تأخذ بالتجريب العلمي والمقارنة ، والربط بين عدة معاملات ، والخروج من اطار العموميات الى التخصيص والتخصص بجوانب محددة من رسوم الأطفال ، والبحث المقتن . كما هو الحال على سبيل المثال مع لامبرخت الذي جمع آلاف الرسوم للأطفال من مختلف الجنسيات ، خضعت لشروط مقننة ، كذلك كلابريد الذي تميز عن سابقه باهتمامه بالعلاقة بين الرسم والقدرة العقلية العامة خلال مراحل النمو المختلفة ، ايفانوف الذي ربط بين ثلاثة معايير فنية ( الاحساس بالنسب ، الادراك الخيالي ، المهارة الفنية ) بالاستعداد العام عند الطفل وبجوانب اجتماعية وأخلاقية اخرى ، كاتزاروف الذي انصرف الى موضوعات رسوم الأطفال ، شايين الذي جعل الانسان موضوعا للمقارنة بين رسوم الأطفال من

كل الاعمار لكي يتوصل الى « مستوى مميز لكل سن » كرشنشتينز الذي امضى عامين في جمع ودراسة مجموعة ضخمة من الرسوم ، وضعت في ظروف مقننة لكي يستنتج تقسيمات رئيسية وثانوية لهذه الرسوم ، جورج روما الذي قام بعدة تجارب هامة ، يعد كل منها فتحا هاما في مجالها ، كدراسة المقارنة بين الأطفال المتأخرين والعادين ، ودراسات الاخرى على مجموعات صغيرة من الأطفال ، وقد جمعت تجاربه في ما يوصف بأنه « اقيم واكبر بحث فردي » في رسوم الأطفال ، دون ان ننسى جهود فرانز كيزك التي استمرت حتى عام ١٩٣٨ ، في الاشراف على مدرسة خاصة كان برنامجها « ان نترك الأطفال ينهون ، ويتطورون ، وينضجون » حيث لاحظ الاف الأطفال تراوحت اعمارهم من ٤ - ١٤ سنة ، وأدت نتائج العملية والنظرية الى انقلاب تربوي في طرق تعليم الفن للأطفال (١٤).

ولا ريب ان هذه السلسلة الطويلة من التجارب والبحوث ، والتي تمتد في يومنا هذا الى انحاء العالم بأسره ، قد حققت قفزات نوعية هامة في ميدان تحليل رسوم الأطفال من جوانب متعددة ، لا سيما بعد ان كشفت هذه الرسوم عن قيمة شخصية باللغة الاهمية . فهي لغة الأطفال قبل ان تصبح لهم لغة ، وهي التي لا تعرف - حتى سن معين - الحدود والقوميات والثقافات ، فهي على سبيل المجاز ، طريقنا الى عالم الأطفال ، كما كانت رسوم الانسان البدائي في الكهوف طريقنا الى معرفته في عصوره السحيقة ، فهي لغته قبل ان يعرف اللغة المنطوقة والمكتوبة (١٥).

ولئن وجدنا ان العديد من الدراسات التي تعنى برسوم الأطفال ، تنصرف في تحليلها الى اساليب ومناهج متنوعة التخصص ، فلان طبيعة هذه الرسوم التشخيصية تتيح لنا بأن نرى فيها سجلا متعدد الجوانب لحياة الطفل الاجتماعية والنفسية والجمالية والثقافية ، ولتجاربه وقدراته ، فنتعدد على وجه العموم الاهتمامات والدراسات تبعاً لذلك . اذ تنصرف كل منها الى جانب من جوانب هذه الرسوم ، مستخدمة في ذلك نهجا في البحث يلبي اهداف واغراض الباحث ، ويستجيب لنظريته الخاصة في رسوم الأطفال . هكذا وجدنا العديد من التجارب والدراسات قد قامت لاسباب تربوية كتعديل مناهج الرسم في مؤسسات التعليم . كذلك وجدنا من اهتم بدراسة رسوم الأطفال لاسباب

من عملية استكشاف مبهمة ، انطلقت من افتراض عام :

إذا كان الاطفال يستخدمون لغة واحدة ويمبرون بأساليب متشابهة في رسومهم يخلفونها عادة في دفاترهم ، او على الجدران ، او على الارض ، فان هذه التخطيطات والرموز والاشكال تتمايز فيما بينها على مستويين اساسيين : الاول : هو ان كل طفل يتسم بفرديته الخاصة ، في ظروف نمو طبيعي ( اي ان الطفل ليس مصابا بمرض جسماني او نفسي ) ، تفصح عن نفسها من خلال هذه الرسوم ، كاشفة عن رؤياه للاشياء ، والحياة ، والتجربة . متضمنة شخصيته ومواقفه الوجدانية والذهنية مما حوله . الثاني : ان مجموع الاطفال ، في وسط اجتماعي محدد ، بشروط اقتصادية ، وثقافية واجتماعية معينة ، تحكمهم تجارب حياتية وانفعالات ومؤثرات ذات طبيعة عامة مشتركة ، لا يلبث ان تتشكل تعابيره ورسومهم من خلال معاشتهم للواقع القائم ، وتكتسب طابعا جماعيا ، وتعطي فردية الطفل بعدها الاجتماعي وتطبع رسومه برموز البيئة والثقافة والحياة الاجتماعية ، وتعكس ، هذا الواقع ، بلغة الخيال والحلم ، حيث يعاد تركيب هذا الواقع ، او يختصر ، او يضم ، او يرفض ، او يزوج ما بين الصحاح ورفض الطفل له . ومن ثم ، فان اي محاولة لاستكشاف رؤيا اطفال المخيمات عشية الحرب من خلال رسومهم ، لا بد ان تكشف بصورة حية ، ونموذجية ، عن معاناة الاطفال لواقعهم كما عاشوه ، والذي ما زال يردد أصداءه في وجدانهم وذاكرتهم . وكان ان بدأت المحاولة ، من خلال مخيم البقعة ، الذي أقيم على اثر الحرب ، نظرا للتجربة الانسانية الخاصة التي عاشها سكان المخيم ، فقد خضعوا للاضطهاد والقتل اكثر من مرة ، كما عانت غالبيتهم من اوضاع معيشية واجتماعية وثقافية غاية في البؤس . لذلك كان اللجوء الى اطفال هذا المخيم يعني استكشاف ابعاد كافة هذه المعطيات على ضوء معاناتهم لها .

لقد حكينا هذا التصور العام : لا بد ان نجد في رسوم اطفال المخيم ، ما هو مميز ومختلف عن رسوم الاطفال الاخرين في كثير من بقاع عالنا ( اي مختلف ومميز بسبب معاناته لتجربة خاصة ) ، بل عن رسوم اطفال آخرين في عمان نفسها .  
لئن كان هذا التصور ، مبهما ، غير محدد بحيثيات وتفصيل ، فلان اكثر ما يمكن افتراضه في طابع

عليه متنوعة ، كالمقارنة ما بين رسوم الاطفال المتأخرين والاطفال العاديين ، او لدراسة رسوم الاطفال المصابين بأمراض عقلية او نفسية ، او بظنرين نفسيا ، او استخدام رسوم الاطفال كأداة في ميدان علم النفس المخبري ( الاكليتيكي ) ، لقياس نكاء الاطفال ، او للمقارنة ما بين رسوم الاطفال من مجتمعات متقدمة وأخرى من مجتمعات متخلفة . كذلك درست العلاقة ما بين الرسوم واللغة عند الاطفال . واهتم بعض الباحثين بدراسة رسوم الاطفال من جوانب جمالية وافية كالتميز ما بين رسوم الموهوبين والمقلدين او الاهتمام بالفروق بين رسوم الاطفال ، الذكور والاناث . ومن جهة اخرى يمكن التمييز بين الجهود العلمية التي انصبت في نطاق بحث ودراسة رسوم الاطفال من خلال اعتبارات مختلفة اخرى ، كاعتماد بعض هذه الجهود على متابعة دراسة طفل واحد ، او الاهتمام على وجه التخصيص بموضوعات رسوم الاطفال ، او اعتبار رسم الجسم الانساني موضوعا لدراسة النمو العام عند الطفل .

بها يمكن طابع هذه التجارب واهتماماتها ، ومهما كانت المناهج واساليب البحث التي استخدمها هؤلاء الدارسون متنوعة ومتباينة ، فانها قد كشفت في مجملها عن حقيقة اساسية وهي ان للاطفال فنا خاصا بهم ، فنا متميزا بقواعد وقوانين وانماط شكلية تعطي رسومهم هذه اللغة الخاصة . كما دلت هذه التجارب والدراسات ، عن امكانات واسعة لاستقراء هذه الرسوم من عدة جوانب ، فهي تتضمن طبيعة جمالية خاصة ، وتكشف عن جوانب ذاتية من شخصية الطفل ، وتبين مدى التأثير الثقافي والاجتماعي السائد وتعكس هذه الرسوم في مجموعها ، انفعالات ومواقف الاطفال من مناخ اجتماعي معين . كذلك تكتسب رسوم الاطفال ، اذا اخذت كل منها على حدة ، وفي ظروف مقتنة اهمية خاصة ، من حيث كونها تعبر عن حالة الطفل الذهنية والنفسية والجسمية (١٦) .

(٢)

لماذا كانت هذه التجربة ؟ ما هو الهدف الكامن وراءها ؟ واين تقع تجربتنا هذه ، من الارث الواسع الذي كرسه التجارب والابحاث والاهتمامات العالمية منذ العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر وحتى الان ؟ لنقرر منذ البدء ، ان تجربتنا مع اطفال مخيم « البقعة » ، لم تكن اكثر

ندرك ماذا يريد الطفل من هذه الرسوم ، وكيف ينبغي أن ننظر إليها .

عند الطفل ، لا تشكل عملية الرسم أكثر من وسيلة مناسبة للتعبير عما ينتابه ، انفعال معين ، معنى ، مثير خارجي ، أو حركة ميكانيكية (١٧) .

في البداية ، يكون هم الطفل اكتشاف المادة التي بين يديه ، فيحاول أن يجد لنفسه مكانا ، داخل المساحة الفارغة ، الممتدة أمامه ( ورقة مثلا ) ، ثم عندما يحتك جسم اللون بالورقة يحدث تلك الآثار

والخدوش اللونية في المساحة البيضاء ، تثير هذه الخدوش فضوله ، فتنتابه الرغبة في تكرار الحركة الأولى ، وتحول يده باللون الى ما يشبه « البندول » ، فتتحرك الى أعلى وأسفل ، بينما ويسارا ، وكلما كانت قدرته في السيطرة على ساعده ، ثم على يده ، وأخيرا على أصابعه أكبر ، تكون الحركة أكثر إيقاعية وأقل تلقائية ، وتبدأ الخطوط بالتكسر ، ويبدأ الفعل الإرادي غير الآلي ، في أحداث رموز لونية ، وفي اكتشاف الأشكال من جديد . وتظهر آثار البيئة ، المحيط الاجتماعي والثقافي ، تحفر فيه وترسب في أعماقه ، قوانين المجتمع ، أشكال الحياة والإجسام فيه ، لغته ، أخلاقياته ، الخ . وهو ما يولد عند الطفل نوعا من الإدراك الكلي أو الجمل ، الذي ينتهي به الى إيجاد صيغ شكلية عامة ( رموز ) تمثل الأجسام والموضوعات بحوله (١٨) . ويستخدم الطفل هذه الصيغ الشكلية في التعبير عن كل ما يخزنه الطفل في أعماقه ، من خبرات وأحلام وذكريات وواقع . إن هذه الصيغ العامة والمختزنة لدى الطفل تنقل طبيعتها الانفعالية سواء كانت ساكنة أو متحركة ، عبر الرسم الى الورق ، لتصيغ عالم الأطفال المتميز .

إن تناول الأطفال للموضوعات والأجسام والرموز يشبه السحر ، بكل ما يحمله عالم الأطفال من مجانية ويسر ، وإذا كانت الأشياء الأثرية لدى الأطفال تتحقق بما يشبه السحر ، بالاستعارة والخيال ( تصبح العصا بين ساقى الطفل حصانا ) ، فإن الأشياء المؤلمة تنزاح بما يشبه « السحر » أيضا .

عند رسوم الأطفال النازحين ، تجسد هذه القوة « السحرية » على تمثيل الأشياء ، وقتلها أو احيائها . تجسد تلك الكوابيس وتلك الخبرات المستعادة والمسجلة بلمسات سحرية ولكن بقدر

رسوم الأطفال هو نزوعه الانفعالي الحاد ، بحكم واقع النزوح ، والمناخ الاجتماعي الجديد ، والتوتر السياسي والعسكري . مع ذلك فقد تكفلت التجربة باكتشاف « المميز والمختلف » في رسوم أطفال المخيمات . وقد احتاجت التجربة الى ثلاثة اشهر تقريبا من العمل اليومي ، لكي تكتمل ملامح صورة « عالم أطفال المخيمات » التي قدمت بألوان اصحابها لأول مرة في أواخر تشرين الثاني ١٩٦٨ .

### (٣)

لقد وجدنا من العرض السابق ، أن عرض هذه الرسوم ، شأنها شأن أية رسوم أخرى للأطفال ، يجعلها معرضة للنظر بطرق مختلفة وعبر معايير متباينة ، فرسوم أطفال البقعة ، ستجد نفسها أمام عدة أشكال من الرؤية ، كثيرون سيعتبرونها وثائق ومستمسكات الأداة ضد القهر والعسف ، آخرون سيرون فيها تسجيلا واقعيا حيا ، أو مضاهاة فذة للطبيعة . سيحلو لبعض الدارسين أن يدخلوا هذه الرسوم على مختبراتهم ، ليبحثوا في سيكولوجية أطفال المخيم ، أو يروا فيها أداة لنظرة اجتماعية دارسة . لا أحد يمنع كل من يرغب في بحث موضوعات تحسن طبيعة هذه الرسوم من قريب أو بعيد ، كالذوق العام ، الثقافة ، اللون ، البيئة ، الأزياء . من جهة أخرى ، سيثار موضوع هذه الرسوم بصور مختلفة : فقد يرغب البعض أن يعتبر رسوم الأطفال مسألة عاطفية محضة ، نقاد أو فنانون قد لا يرون فيها سوى مساحات الألوان ، والمعالجة التشكيلية والعديد من التخطيطات الجريئة ، أصحاب الميول الزخرفية سوف يظهرون إعجابهم ببعض الصور المتقنة ، كتاب الصحافة وذوو الاهتمام بالاعلام سوف يرون في رسوم الأطفال وجها دعائيا وإنسانيا بذات الوقت . الكثيرون تستهويهم دراسة مسائل الدين ، العادات الاجتماعية والثقافية وسيستساغون عن مكنها في هذه الرسوم .

مرة أخرى ، سننظر الى هذه الرسوم ، ونحن متقلون بالأحكام المسبقة ، والتصورات ، والترسبات الذاتية والثقافية ، سننظر إليها ونحن نعمن في أحكام منطلقنا وذكائنا على رسومهم . ننظر — دون أن نقصد أحيانا — فنرى رسومهم ، وكأنها رسوم للكبار ، أو كأنها خاضعة لنفس القوانين ، ولنفس الجماليات ، ولنفس المعالجة . من أجل ذلك ، لا بد أن نعرف كيف يرسم الطفل ، حتى نستطيع أن



الحيل وفي امتشاق المستحيل ، فامتطاء غيبة او  
المبث بالنجوم ، بنظرهم اكثر واقعية من كل  
تقديرانا القائمة على الرزانة الطمبية والتجربة  
والقياس .

### ملاحظات اولية حول التجربة

١ . اختر مخيم البقعة ليكون موضع التجربة لعدة  
اسباب ، اهمها وجود اكبر تجمع بشري من  
النازحين داخل مخيم (٢٠). ولوجود عدد كبير من  
مدارس الاطفال (٢١) من جميع بقاع فلسطين  
ومناطقها ، بحيث يشكل المخيم ارضا نموذجية  
للتجربة ، تعيش عليها ابرز رموز القضية  
الفلسطينية في طورتاتها المعاصرة : حركة المقاومة  
الفلسطينية . مثلا ان المخيم وهو احد المظاهر  
المرئية على الحرب والاحتلال والنزوح ، يكون  
اطارا اجتماعيا واسعا لدراسة الملامح القديمة  
والحديثة لبنية المجتمع الفلسطيني ومؤسسته  
المختلفة في فترة محددة .

٢ . اختيرت ألوان الباستيل لعمل الرسوم ، وذلك  
لسهولة استعمالها وتحريكها على الورق . كما  
استخدمت بصورة محدودة خامات اخرى مثل  
الالوان المائية ، والاقلام الخشبية الملونة ، واقلام  
الرصاص ، والفلوماستر ، كسل حسب حاجة  
الموضوعات وطبيعة هذه الخامات . وروعت ،  
عند استخدام هذه المواد ، خبرات الطفل ، وتابلته  
ومزاجه الخاص في التلوين . غير ان ألوان  
الباستيل استخدمت بصورة رئيسية لكونها خامة  
مناسبة للاطفال الذين ليست لهم خبرة سابقة في  
الرسم .

٣ . اشترك في التجربة مئات الاطفال من مختلف  
الاعمار ، فتراوحت ما بين سن ٣ سنوات - ١٤  
سنة . وبشكل خاص الاطفال في الصنوف الدنيا ،  
ما بين الاول الابتدائي والسادس الابتدائي .  
ومجموعات اخرى من الاطفال في سن الروضة ،  
ومجموعات صغيرة في سن ادنى من الروضة ( ٣  
سنوات ) ، وبعض الطلبة في سن الاعدادي .

٤ . لوحظ ان مجموعات كبيرة من الاطفال تمسك  
بأصابع الالوان لأول مرة ، وخاصة في السنوات  
الدنيا ، ونادرا ما تعاملت مجموعة كبيرة من  
الاطفال مع الالوان من قبل ذلك (٢٢). وقد انعكس  
ذلك في النتائج الاولى من الرسوم ، حيث اتسمت  
معالجات الاطفال ، للمساحات والخطوط بالفوضى

أقل من المجانية ومن اليسر : الحلم الجميل لا  
يسجل وحدة على الورق ، فعلى حواف الحلم  
تطل كوابيس الحرب والموت . ان رسوم الاطفال  
تقدم هذا « الكل » الطفولي ، المكثف ، لونا  
وتشكيلا وموضوعا . وقيمتها الاساسية في انها  
تمسح بين ايدينا هذا الكل الطفولي ، الثري .

ان هذه الرسوم كي نفهمها حقا ، ينبغي ان نكون  
تدرانا على « الادراك الكلي » وعلى « الرؤية  
الكلية » ، واستجماع كل القدرات على التجاوز  
والامتداد والتجول بين ابعاد لامتناهية من الزمان  
والمكان ، ومعايشة كل التفاصيل ، واللحظات  
الملونة والايحاءات الرمزية ، وتمثل الكلمات للثغاء ،  
وكافة الاخطاء اللغوية المعبرة ، والمسجلة على  
حواف الرسوم وخلالها . اذ لا يمكن ابدا ،  
وخصوصا امام رسوم الاطفال ، ان ننظر من خلال  
بنظرنا الذي يتلمس الاشياء باعتياديتها اليومية .  
مع ذلك ، فان ثمة من يعتقد ، انه لن يستطيع  
« استنزاج » كل هذا الخليط من الاشياء والرموز  
والاشكال المتمثلة في رسوم الاطفال ، ولكن هذا  
لا يضر الاطفال ، الذين لا يتجاوزون الواقع ، مهما  
بلغ بهم الخيال .

يقول سرل برت « ان تذوق الاطفال ، لا سيما  
اولئك الذين تحت الثامنة من العمر ، يظهر ان له  
علاقة ايجابية بتذوق الفنانين ونقاد الفن » (١٩).  
ذلك ان كل المحاولات الحديثة في الفن ، من اسقاط  
للجدار السابع ، الى اسقاط المعمار المسرحي  
التقليدي ، الى التكوينات الدينامية الحية  
والتجسيم في التصوير ، بل ان الايقاعات الداخلية  
في الشعر ومحاوله تجاوز عقدة اللغة والصوت ،  
ما هي الا تمثيلات واعية من ( الاطفال الكبار )  
لجعل الفن اقدر على صياغة علاقاته مع العالم  
والجمهور في هذا العصر ، عصر آلة الانتاج  
الضخمة ، التي بقدر ما ولدت من تقدم ، ولدت  
بالمقابل علاقات انسانية واخلاقية وثقافية متأزمة .  
واخيرا ، فان اطفال مخيم البقعة ، ما زالوا اقدر  
منا على جعل ملاقة الفن بالحياة يمثل هذه الحيوية  
والانصال والتجدد ، اذ انهم - رغم كل مسا  
عرفوه - لا يزالون يملكون المقدرة السحرية على  
الامتداد ، وعلى تكثيف العالم ، وعلى رؤيته دفعة  
واحدة ، عبر رسبه وتلوينه ، هذه المقدرة  
الرائعة ، نسبيها من قبيل المزاج او السخرية  
« خربشة » . انهم جريئون - عادة - في ابتداء

والتشوش والسذاجة ( في خبرتهم بالالوان وليس في طريقة رسمهم ) . ويعود ذلك الى الظروف الحياتية في المخيمات بعد حزيران ٦٧ ، وقبل ذلك احيانا ، غير ان السبب المباشر يعود الى ان اعدادا كبيرة من الاطفال كانت اصلا من سكان مخيم الكرامة ، ومناطق اخرى في الاغوار عشية الحرب الاخيرة ، وكنتيجة لتعرض المخيم ، والمنطقة عموما للتصف المستمر ، وحيانا نشوب معارك في شرق النهر حيث توجت بمعركة الكرامة ( ٢١ آذار ١٩٦٨ ) فقد انتقل السكان الى مخيم البيقة بصورة اساسية والى مخيمات اخرى . وقد ترتب على ذلك تاخر الدراسة عدة شهور ، مما اضطر اجهزة التعليم لتعديل برامج الدراسة ، بحيث تحول الحصص والدروس « غير الهامة » ، كالرياضة والتربية الفنية الى المواد الاخرى ، كالدين واللغات والعلوم . وفي مخيمات اخرى ، ومخيم « سوف » بصورة خاصة ، فقد وجد ان البرنامج الدراسي في تلك الفترة ، لم يتضمن حصص الرسم والرياضة ، وذلك يعود الى تقسيم ساعات التدريس لفترتين ، صباحية ومسائية ، نظرا لظلة الخيام وعدم وجود مدرسين بقدر يغطي عدد التلاميذ . ولا مئاض من الاشارة هنا ، انه على الرغم من كون هذه الاجراءات التي عهدت الى الغناء حصص الرسوم والرياضة ، تبدو « عملية » و« واقعية » ، غير انها تشير الى مدى الاجحاف الذي لحقك بهؤلاء الاطفال من جراء الحرب ، اذ حرموا من ابسط حقوق الاطفال واكثر اهتماماتهم انسانية ، فالطفل الفلسطيني في المخيمات قد سلبت منه ابسط خصوصيات الطفولة ، كاللعب والرياضة والمعبث بالالوان ، من يتصور الطفولة بدون اللعب ؟ مع ذلك ، فان فترة التجربة ، كانت كافية بالنسبة لاطفال البيقة ، كي يتجاوزوا قسطا كبيرا من الغوض والتشويش التي حكمت رسومهم في البداية .

٥. تسود بين المعلمات والمعلمين في مدارس المخيم ، بصورة عامة ، حالات متردية من الجهل باسس التربية الفنية ، وفيما عدا استثناءات نادرة ، فقد لوحظ ان المدرسين لا يستوعبون هذه « الخربشات » ، وهذه « الاخطاء » في رسوم الاطفال . بالاضافة الى سريان روح الوصاية في فرض مضمون معين على رسوم الاطفال . وغني عن القول ان روح الوصاية التعسفية المنتشرة تعطي نتائجها السلبية بافتقاد الاطفال لتلقائيتهم وعفويتهم واستقلالهم في تخير

الاشكال والموضوعات التي يرغبون التعبير عنها . وبالمقابل تظهر عادات سيئة مثل « التملق » لذوق الاستاذ ، وانعدام الصدق ، وزرع افكار « المحاكاة » و« النقل الحرفي » في التعبير الفني . لقد عكست الاساليب التربوية البائدة ، على التجربة في بدايتها ، نتائج سلبية تطلت في طريقة الامتنع وتقليد رسوم الكبار ، والاعتماد على رسوم مقننة يجري التقيد بها بحرفية تامة . وقد عبرت هذه الاساليب التربوية القديمة عن نفسها على السنة العديد من المعلمين الذين اظهروا نزوعهم للاستغناء برسوم الاطفال فلم يروا فيها اية اهمية تعبيرية او جمالية (٢٣) .

٦. ازاء الحالات المساندة بين الاطفال ، كانت مهمة المرحلة الاولى من التجربة تحرير الاطفال من الرواسب والاشكال والموضوعات التي بذرتها الاساليب التقليدية (٢٤) ، والعمل على توليد حالات جديدة ، قوامها خلق نوع من « التداخي الحر » ، أي ترك الاطفال يرسمون ما يخطر ببالهم دون طرح افكار مسبقة او الاجحاء بها . وبلا ريب كان لا بد ان تجني البدايات الاولى للتجربة آثار الاساليب والانماط التعبيرية والموضوعات التقليدية التي يجري تلقينها للاطفال . فظهرت العادات الفنية الرديئة ، كالتمسك بقلم الرسم ، استخدام قلم الرصاص قبل التلوين ، عادات النقل والنسخ عن الصور والرسوم المدرسية ، تقليد نماذج رسوم مقننة في دفاتر مخصصة لذلك ، جرى التقيد بها حرفيا ، انعدام الخيلة ، وعدم القدرة على مباشرة مواضيع حياتية ملاصقة لهم يوميا ، انفصام عن الارك الشعبي الزخرفي في الثياب والادوات المنزلية (اعمال القش ، الخرز ، التطريز ، الرسوم الشعبية المتوفرة في البيوت الفقيرة ... الخ ) وقد اضطررنا الى اهمال اعداد كبيرة من هذه الرسوم التي جنت نتائج تربوية سيئة او انعدمت فيها الخبرة الاولى (٢٥) في بداية التجربة . الى ان اخذت تظهر الاجابيات شيئا فشيئا ، وتكشفت عن طاقات الاطفال الابداعية .

وبالاضافة الى الجو المفتوح ، الذي ساعد الاطفال على التحرر فنيا وجماليا ، فقد ساعد على التحرر نفسيا ، من التقاليد والانماط التي تصنف الرسوم الى « خاطئة » و« صحيحة » (٢٦) . وقد دفع هذا التحرر النفسي والجمالي الاطفال الى مزيد من الجراءة في اقتحام الموضوعات والاشكال والخطوط

الجنس ، الصف الدراسي ، وملاحظات خاصة بالرسم ، واسم الصورة أو ملاحظات الطفل حول رسومه . وفي نهاية كل يوم ، تقوم عملية فرز أولية ، حيث تنقسم هذه الرسوم الى مجموعات حسب السن ، ثم تقيم في مستويات ( متفوتة ، عادية ، ضعيفة ) وتحفظ قوائم بأسماء الأطفال المتفوقين ، الذين كانوا يكلفون بتنفيذ لوحات أكبر حجماً ، ويزودون باللون وبورق الرسم أثناء فراغهم من الدراسة .

٦. في المرحلة النهائية من التجربة ، تمكنا من استخدام غرفة صغيرة مستقلة كمرسم للأطفال . ونفذت فيها الرسوم ذات الأحجام الكبيرة ، والتي تحتاج عمل عدة مرات . وأصبحت الموضوعات أكثر تحديداً ، كما باتت المعالجة أرقى من جوانب متعددة . وفي تشرين الثاني ١٩٦٨ ، أي بعد ثلاثة أشهر من بدء التجربة ، تمت عمليات الفرز النهائية ، حيث جمعت مئات الرسوم المقتناة حسب الجنس والسن ، ثم جرى فرز نهائي ، اخيرت على أساسه ما يقرب الاربعمائة لوحة من احجام مختلفة ، صُنفت الى مراحل تبعاً للنمو الفني عند الأطفال . كما وضعت بضعة ملاحظات عامة حول كل مرحلة ، عرضت السى جانب الرسوم ، كي تساعد الزائرين في تتبع نمو الأطفال الفني والذهني ، في ٢١ - ٢٤ تشرين الثاني ١٩٦٨ ، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تجتمع فيها وتعرض رسوم الأطفال الفلسطينيين في المخيمات في الاردن .

**مراحل نمو التعبير الفني عند الأطفال الفلسطينيين**  
تتصل الأساليب المستخدمة في دراسة رسوم الأطفال مع المناهج السوسولوجية والسايكولوجية في البحث . لان رسوم الأطفال باتت ذات قيمة اجتماعية ونفسية ملموسة في واقعنا المعاصر ، بل باتت هذه الرسوم أداة من أدوات البحث في ميدان علم النفس التجريبي والمخبري ، كادت ان لا ترى فيها قيمة جمالية وثقافية ما ، كما اشرنا الى ذلك اشارات عابرة . وتتطلب محاولتنا لتتبع مراحل نمو التعبير الفني عند الأطفال الفلسطينيين ان نشير الى منهج التجربة ، مقارنته مع التجارب الأخرى . وغالباً ما اعتمدت التجارب والدراسات التي أجريت على رسوم الأطفال ، على واحد من المناهج الاربعة الرئيسية التالية : أ - منهج يعتمد على الملاحظة المباشرة العرضية ، ب - منهج يعتمد على

بني ، من الثغرة ، اذ أصبح لحساب « الصح والغلط » مضمون أرقى ، يقوم على ادراك موضوعي بقوانين رسوم الأطفال وخصائصها خلال مراحل النمو المختلفة . وقد ظهر هذا بشكل تدريجي من خلال تبلور خبرة الطفل في تعامله مع اللون وحركة الذراع ، وتخير الأوضاع المناسبة ، واستخدام المساحات اللونية بادراك جمالي خاص ، بصورة افضل عما كانت عليه . كما اظهرت محاولات الأطفال المتعددة في الرسم كل ما يميز رسوم الأطفال بعيداً عن التربية التي تعتمد على الامشق من حيث طرق المعالجة المميزة للأطفال ، كمحاولة التمثيل الزماني والمكاني ، التسطيح ، الشفافية ، نخر الأوضاع النموذجية ، والمبالغات ... الخ ، اي كل ما يعرف من ظواهر في رسوم الأطفال في العالم . وقد عكست هذه المحاولات ، على تراوح ، حالات متفاوتة من المعالجة المميزة لكل مرحلة من النمو والتطور العام عند الأطفال ، وخبرته بالتعبير .

٧. ضمن شروط هذه التجربة ، التي كفلت تحرر الأطفال جالياً ونفسياً فقد حققت التجربة نتائج جيدة ، عبرت عن نفسها من خلال الرسوم التي جمعت ، اذ تمثلت كل نزق وكبرياء واصلف عند الأطفال في تخيرهم للموضوعات الخاصة بهم ، ملاستهم للحياة المعاشة في المخيم بواقعية حاملة ، الأسرة ، المدرسة ، المخيم ، السوق ، ذكرى الحرب والتجربة المشحونة بالانفعال : طائرات ، طائرات ، طائرات ملحة في وجدانهم واذهانهم ، الفدائي والحياة في المخيم ... الخ . هذه الملابس الرقيقة اللواتح ، اعطت رسوماً خصبة بكافة موضوعاتها واستقطت كافة الاشكال والنماذج « الرسمية » من هذه الصور . غير انه لا بد من الإشارة ، الى ان هذه الحرية في التعبير ، لا تعني اتخاذنا موقفاً سلبياً من الأطفال ، فقد كانوا خاضعين لتابعة دائمة ، تهدف بالنتيجة الى تحسين معالجة الأطفال ، وبلورة خبرات الأطفال بخامات اللون والاستفادة من طبيعتها وخصائصها ، كما كانت تسجل ملاحظات مختلفة ، حول الأخطاء الشائعة ، والخبرات الأولية ، وملاحم كل مرحلة ، وحول الرسوم الملقطة للنظر ، حيث يتابع اصحابها لمعرفة مدى تقدمهم في كل شوط من أشواط التجربة ، الخ .

٨. تتضمن الملاحظات التي تسجل على الوجه الآخر من الصورة : اسم الطفل ، العمر الزمني ،

المقارنة ، ج - منهج يعتمد على البحث المقنن بشروط محددة ، د - منهج يجمع بين كافة الاساليب السابقة في الدراسة . ونلاحظ ان المناهج المذكورة اتفاهي من ضمن مناهج الدراسة الاجتماعية والنفسية عموما . وقد اعتمد شارلس دارون ولوكيه وعلجا اناج وآخرون غيرهم ، على المنهج الاول ، اي الملاحظة المباشرة في دراسة رسوم ابنائهم ، وان تفاوت كل منهم في مدى انصرافه للدراسة المعنية وفي تتبع سلوك ابنه اثناء الرسم ، وكذلك في طبيعة النتائج التي توصل كل منهم اليها . كما نحى كل من كرشنشتينر وجورج روما وسرل برت وستيلا اجنس مكارثي وروز الشولر ولابرتا هاتوك وآخرون غيرهم الى دراسة رسوم الاطفال بأسلوب البحث المقنن ، الذي يتوجه غالبا الى متابعة مجموعات كبيرة من الاطفال . اما الدراسة المقارنة ، فهي ملحوظة في أعمال اولئك الذين يهتمون بتتبع مدى التفاوت بين نتائج الباحثين الذين سبق ان قاموا بتجارب متماثلة ، وهو ما نلاحظه في الكتابات المعاصرة (٢٧) . كذلك يلجأ كل باحث في شؤون رسوم الاطفال الى مقارنة نتائجه بنتائج غيره اذا ما انطلقوا من أساسيات واحدة . فيعمد كل باحث الى اظهار أوجه التعارض او التشابه ، من خلال نماذج أصلية من رسوم الاطفال ، او برسوم توضيحية ، او باحصاءات (٢٨) .

وتعتبر الطريقة التي استخدمت في تجربتنا مع اطفال مخيم البقعة ، مزيجا من عدة أساليب ، اذ ان السبب يعود الى طبيعة التجربة الاستكشافية العامة ، حيث لم تكن تستهدف تتبع موضوع بعينه ، او ملاحظة شريحة من عمر زمني معين ، كما لم تستهدف غرضا اجتماعيا او سايكولوجيا او فنيا او ثقافيا بصورة محددة . وانما كانت تتناول هذه الامور من حيث المحصلة العامة ، لذلك ، فقد كانت التجربة واسعة من حيث شمولها لاعداد كبيرة من الاطفال الاناث والذكور ، ومن فئات سن متعددة ، كما اعتبرت التجربة عموما في كافة مراحلها على عدة اساليب في دراسة هذه الرسوم ، اذ اعتبرت على الملاحظة المباشرة ، من حيث كونها تترك للاطفال تلقائيتهم في التعبير ، وان كنا لم نهمل محاولة تعريف الاطفال للالوان وطبيعتها ، دون املاء وجهة نظر في طريقة التعبير ذاتها . وقد كفل ذلك مميزات هذه الطريقة ، مثل تيسير « الحصول على حقائق صحيحة بالنسبة للتعبير الحر للطفل » .

كما انها تفسر الظروف البيئية التي لعبت دورا بارزا في ابراز هذه التعابير بشكلها المميز . والواقع ان الملاحظة المباشرة ، قد استخدمت مع مجموعات كبيرة من الاطفال ، كنا نتتبع رسوماتهم يوميا . واحيانا نضمن رسوماتهم نفسها ، او في دفتر خاصة ، ملاحظتنا حولها . كذلك ، في فترة الامتحان تتبعنا بنفس الاسلوب بضعة اطفال ، عندما تيسر لنا الحصول على « استديو » خاص للرسم في المخيم . ومن جهة ثانية فقد اعتبرت تجربتنا على بعض مزايا الاسلوب القائم على الطريقة المقننة دون بعضها الاخر ، مثل جمع الرسوم وفحصها على اساس السن او الصف الدراسي ، وتقتين الرسوم التي تنتهي الى فئة سن واحدة الى اننا وذكر . وقد ساعد على التقتين وجود تجانس عام بين مجموعات الاطفال ، من حيث البيئة ، العمر الزمني ، الثقافة ، التجربة . الخ ، بحكم وجودهم في مناخ اجتماعي وبيئي واحدة ( المخيم ) ، لذلك يمكن القول ، ان « العينات » او الشرائح التي اجريت عليها التجربة ، قابلة للتعميم على صعيد اطفال المخيمات التي اقيمت بعد الحرب في الاردن .

واخيرا ، فان التجربة ، قد سمحت ببعض المقارنات سواء من حيث اوجه التشابه والتعارض بين رسوم الاطفال الذكور والاناث ، او من حيث موضوعات وطريقة المعالجة عند فئات متفاوتة في النمو عند الجنسين ، والتجربة ما زالت تسمح بمقارنتنا متعددة الواجه ما بين رسوم اطفال المخيمات في الاردن ، وانظارهم في المدن ، او بين اطفال المخيمات في عدة اقطار عربية ( الاردن ، سوريا ، لبنان ) او بين الاطفال الفلسطينيين والاطفال العرب من اقطار شقيقة اخرى . الخ . وعلى ذلك ، فانه يمكن القول ان الملاحظات الشخصية ، التي كانت تتبع التجربة اولا باول ويوميا ، مضافا اليها المعلومات المدونة حول السن ، الجنس ، السنة الدراسية والاسئلة الشخصية الموجهة للاطفال ، وملاحظات الاطفال نفسها ، قد وفرت أساسا للقتين وساعدت في تحديد الظواهر المرتبطة بكل مرحلة زمنية ، وفي وضع هذه الرسوم داخل الاطار الموضوعي الذي يحكم نمو الاطفال .

عند مراجعتي للملاحظات الاولى حول مراحل نمو التعبير عند الاطفال النازحين في مخيم البقعة ا

والخطوط(٢٢)، وتبدو هذه الرسوم وكأنها اختبار لقدرات الطفل على تحريك ساعده ومن ثم رسمه ، وأخيرا يده وأصابعه . وقد وجد ، في العينة الصغيرة مع الأطفال في سن الثالثة ، أن بعضا منها يخلف رسوما تحمل سمات مراحل أولية من التخطيط ، في حين أن بعضها الآخر يحمل سمات مرحلة متقدمة ، أي التخطيط المقيد ، أو شبه الرمزي أو المتحكم به من قبل الطفل(٢٣) بمعنى أن رسوم المجموعة الأخيرة تتضمن فعلا تصديا أكثر من مجرد اختبار قدرته العضلية على تحريك اللون فوق الورق .

وفي سن الخامسة ( وسن الرابعة أحيانا ) وهو سن الروضة في الخيم ، لوحظ اتجاه أوسع لعمل تخطيطات رمزية ، ومحاولات لرسم اجسام واقعية ، إذ لوحظ أن الأطفال ينحون الى رسم الأشياء التي يتعرفون عليها أو يدركونها ويكررون رسمها المرة تلو المرة . وفي هذا السن تدخل الحروف الهجائية والارقام التي يتعلمونها لأول مرة ، فبعاد رسم هذه الحروف والارقام بصورة آلية ، بألوان واحجام مختلفة ، فتمتزج كتابة ( أو رسم ) هذه الحروف ، التي لا يدركون دلالتها بمد ، بالأشكال الأخرى ، وتختلط تخطيطاتهم بهذه الحروف والارقام المتكررة(٢٤) . وتظهر رسوم هذه المرحلة أن مدركات الطفل أو محصلته الحياتية والثقافية ما تزال بسيطة ، فطرية ، لا تكاد تتعدى المحسوسات أو المرئيات التي يتعلمون رسمها بالتكرار ، وليس ثمة اشكال مركبة أو تفصيلية ، وانما اشكال عامة مجردة . ويلاحظ أن التحكم العضلي يصل الى ذروته بالاعتماد على الأصابع في الرسم وهنا يتمكن الطفل من وضع خطوط منفصلة ، متقلعة ، ذات طابع رمزي . وفي سن الرابعة ينتقل الطفل الى بدايات التمثيل الرمزي للأشياء والأشكال ويظهر أطفال البقعة اهتماما خاصا نحو رسم الجسم البشري . وعموما فانه يلاحظ ، من رسوم الأطفال في هذه المرحلة ، خضوعهم لكل مظاهر الطفولة المبكرة المعروفة في عالمنا ، فلا تتميز رسوم أطفال البقعة عن رسوم أطفال آخرين في أي مكان من هذا العالم(٢٥) ، كما أن البيئة لا تظهر أو تنعكس بشكل واضح في رسومهم بعد . إذ أن اهتمامهم لا تتعدى الرغبة في اكتشاف مادة اللون والاشارة التي تحدثها حركة اللون على الورق . وان كنا نلاحظ بدايات تمثيل للواقع المرئي في تخطيطات ، هي مزيج

مقارنة مع التسميات المعروفة في رسوم الأطفال نبعنا لنوهم الزمني كتقسيم سولسي وتملنسون ونشرك ولونفيلد وهربرت ريد الخ ، فقد وجدت على الرغم من الاختلافات العامة والفروق الضئيلة بالنسب ، وفي التسميات التي يقترحها كل باحث لمراحل النمو المختلفة عند الأطفال وغيرها من الفروق ، أن هناك أساسا جوهريا يوحد ما بين هذه التسميات المختلفة ، وهذا الأساس الجوهرى لا يختلف مع ملاحظاتي حول مراحل نمو التعبير عند الملل النازحين كثيرا أو قليلا .

وإذ فضلت أن لا أقحم نفسي ، عبر التقسيم الذي رسمته حول رسوم أطفال مخيم البقعة ، ضمن جملة الباحثين الذين يسهمون في الجدال الدائر حول كل مرحلة بعينها ، وحول تسمية كل مرحلة أو تسمية الظواهر المصاحبة لكل مرحلة نمو ، أو حول المراحل الثانوية ضمن المرحلة الواحدة الإنسانية ، ولذلك عمدت الى تقسيم الفترة التي نمتنا من عمر الطفل وهي ٣ - ١٤ سنة ، الى أربع مراحل أساسية ، دون اللجوء الى تسميات ثانوية أخرى . كما استخدمت بضعة تسميات شائعة أكاديميا حول كل مرحلة أو حول الظواهر اللازمة لكل مرحلة دون أن استخدم غيرها ، ليس استسهالا للبحث ورغبة في التبسيط ، وانما لان التجربة مع أطفال البقعة لبضعة اشهر لا تؤهل الإسهام بوضع تحديدات أكثر تفصيلا ، تاركا ذلك لطرايب أخرى قد تنال حظا أوفر لدراسة متأنية .

أ - سن الثالثة الى الخامسة ، وهذه مرحلة التخطيط(٢٦) : من الملاحظات البارزة حول رسوم أطفال ما قبل سن الروضة ، وخاصة في سن الثالثة ، هو انها ما زالت غارقة في سمات مرحلة التخطيط الأولى ، حيث لا تعدو هذه الرسوم أن تكون محاولة لاكتشاف القدرة العضلية على التخطيط ، كما يثار فضول الأطفال بسبب احتكاك مادة اللون بالورقة من جراء تحريك الذراع ، لاكتشاف ماهية اللون والخطوط الناتجة من حركتهم العضلية على الورق . وفي سن الثالثة ، عند أطفال الخيم ، تكون الرسوم ما زالت بدائية ، فهي وأن انحلت شكل التخطيطات غير المقصودة ( وهي مجرد حركات عضلية من اليمين الى اليسار ) أو « غير المتحكم بها كما يرى لونغلد »(٢٧) إلا انها ما زالت ذات طابع عضلي ، أي ذات حركة موجية أو سنولية(٢٨) ، ثم ذات طابع متشابك بين الدوائر

موضوعيا . اما رسوم ما بعد سن السادسة ، فهي تظهر وضوحا اكبر في التعبير الذاتي عن المراتب ، وتقترب رسوم اطفال السابعة والثامنة من العالم الموضوعي وتظهر بوضوح الموجزات الشكلية للاجسام ، مع الابتعاد بوتيرة اسرع عن العشوائية والرمزية البدائية . غير ان هذا لا يعني ان الرموز الشكلية واللونية قد انسحبتا كلياً ، وانما هي اتخذت شكلا ارقى في التعبير ، يقترب من محاكاة الاشياء في نوعها العام ، ويلاحظ ان الاطفال نتيجة لنمو ادراكهم الحسي واتساع خبراتهم الشخصية عموما فانهم يصفون مزيدا من التفاصيل على اشكالهم .

وتظهر رسوم الاطفال في هذه المرحلة اهتماما خاصا بالجسم البشري ، كموضوع بارز واثير ، والانسان في رسومهم يتخذ سمته المحلي البارز ، فهو التذائي ، ويبدى الاطفال شغفا وعناية واضحة في رسمه بسلاحه وملابسه الموهمة . كذلك يظهر ابن الخيم في حياته العاملة خلال رسومهم ، كما تظهر النساء باللباس الفلسطينية التقليدية في شتى الاوضاع ... الخ .

اما موضوعات رسوم الاطفال او طريقة المعالجة فانها لا تظهر أية امكانية واضحة للتمييز بين رسوم الاطفال من الجنسين ، اذ ما زالت الاهتمامات الطفولية المشتركة والعلاقات المفتوحة بين الذكور والاناث ، وللمعاملة الواحدة التي يلغونها من الاسرة والمجتمع ، تجعل حدود التمايز ضيقة جدا . الا اننا سوف نلاحظ ان هناك امكانية جزئية لمقارنة اعمال الاطفال الذكور عن الاناث ، ان من حيث الاهتمامات او المعالجة الخاصة ، يمسد من التاسعة ، حيث يأخذ الفصل بين الجنسين في صفوف الدراسة مداه النفسي والوجداني ، ويصبح كل جنس خاضعا للفصل التقليدي بين « عالم الرجال » و « عالم النساء » في كافة المستويات الحياتية وفي الاهتمامات . واخيرا ، فان رسوم الاطفال في سن التاسعة ، تبدأ بمحاولة محاكاة الطبيعة ، وتظهر رسومهم محاولات لتمثيل التوازن التي تحكم الرؤية الواقعية للطبيعة ، كالمنظور ، النور والظل ، الفراغ ، التمثيل لالوان الطبيعة ، وتحول اللون عن منحاه الرمزي كما هو حاله عند الطفل في مراحل سابقة .

ج - سن التاسعة الى الثانية عشرة : يبدي الاطفال النازحون في هذه المرحلة اهتماما متزايدا

من الكتابة والرسم للحروف الهجائية والارقام والرموز الشكلية البسيطة ، « تفاحة ، شمس ، شكل بشري » ، وغالبا ما تكون هذه الحصيلة مكتسبة من التعلم ، او من الرغبة في التقليد . اما في سن الخامسة ، فانه يمكن رؤية رموز شكلية للانسان ، ذات طابع بدائي ، لكن واضحة المعالم ، اذ تأخذ اشكال الجسم البشري طابعا اصطلاحيا او رمزيا ، تعمم وتكرر للتعبير عن شكل الانسان . وبالطبع ، ليس ثمة ما يميز رسوم الاطفال الاناث عن الذكور ، ان من حيث المعالجة او الموضوعات ، ذلك ان سمات الطفولة واهتماماتها البسيطة تعكس نفسها في رسوم الاطفال دون فصل او تباين بين الجنسين . واخيرا ، فقد لوحظ ان انماط التعبير الرمزي عند اطفال من بقاع اخرى ، عربية او اجنبية ، تتطور بوتيرة اسرع مما هي عند انظارهم من اطفال الخيم ، لاسباب لا نخالها خافية على أحد ، أي عدم وجود فرص كافية للعناية بالاطفال سواء على الصعيد الاسري ، او الاجتماعي ، او التربوي . فالاطفال في المجتمعات المتقدمة تتاح لهم فرص دخول المدرسة بوقت مبكر جدا ، قياسا لحظ الاطفال في الخيمات ، كما ان فرص العناية الاجتماعية والاسرية باهتمامات الاطفال في هذه المجتمعات لا يمكن مقارنتها بالتهجر الاجتماعي والاسري والتربوي (٣٦) في الخيمات .

ب - سن السادسة الى التاسعة : وهي المرحلة الوصفية : ان رسوم الاطفال ما بين السادسة والسابعة تظهر قدرا اكبر من الانطلاق ، والتعبير الجريء ووضوح الاشكال ، كما تظهر قدرة الطفل على التشكيل الواعي ، ويأتي هذا بعد سن الخامسة ، حيث يتجه الطفل نحو تكوين اشكاله او رموزه الشكلية للمدرجات . فهي تمر بمرحلة من الزمن تتحول فيها رموزه الشكلية من طابعها البدائي البسيط ، الى شكل اكثر تعقيدا في محاولة لتمثيل الشكل الواقعي ، فمثلا يتجاوز الشكل البشري الذي لا يعدو ان يكون : دائرة الرأس وخطين اسفله يمثلان المساقين ، الى رسم الذراعين ، وتمثيل الجسم باستطيل او دائرة كبيرة ، وقد يرسم العينين واصابع اليد . غير ان الطفل لا يعنى باعطاء رسومه « منطقتا » مكانيا وزمانيا ، كما انه يفصل ويعيد تركيب الاجسام ذات الاتصال والعلاقات الواقعية ، ذلك لانه يهتم بفكرته عن الاشكال المرئية وليس بما يراه فيها

واهتمامات كل جنس ضمن اوضاع مختلفة نسبيا .

### موضوعات رسوم اطفال النازحين

يذكر صادق جلال العظم في أول مقالة تعرف رسوم اطفال النازحين للجهور ، الملاحظة التالية : « ... نحن نتوقع في العادة ان تدور رسوم الاطفال حول موضوعات بريئة مبتسمة مبهجة ، تنصف بالهدوء والدعة والسذاجة وليس بالطابع المحمي ، غير ان الطفل الفلسطيني في المخيم ليس طفلا عاديا ، وتجربته القاسية المرة جعلت من رسومه حالة فريدة في نوعها تقريبا ، ان كان ذلك بالنسبة لطاقتها الثورية الكامنة ، او لسليباتها الكابتة لهذه الطاقات والمشتتة لها .. » (٣٧).

ترتبط هذه الملاحظة ، او هذا التقرير لدلالات هذه الرسوم ، بشهادة الشاعر الفلسطيني محمود درويش عن طفولته « .. وحين صحا ذلك الطفل المعزق الثياب من التعمب والرهبة ، كان رأسه يزدهم بالاسئلة التي هاجمته دفعة واحدة وبلا تسلسل ، ومنذ تلك الليلة انقلبت الصفة الخاصة لعالم الطفولة ، وأصبح ذلك الطفل محروما من الاشياء واللغة التي تميزه عن الكبار .. » (٣٨). اذ تبدو رسوم اطفال البقعة كصدى وترداد لاصوات طفولة النزوح الاول التي لم تستنطق بالالوان والورق ، مع ذلك فهي قد اختلفت واتحدت مع طفولة ١٩٤٨ عبر ذات المناسبات . « ... ان طفولتي هي بداية مأساتي الخاصة ، التي ولدت مع بداية مأساة شعب كامل ، لقد وضعت هذه الطفولة في النار ، في الخيبة ، في المنفى ، مرة واحدة وبلا مبرر تتمكن من استيعابه ، ووجدت نفسها فجأة تعامل معاملة الرجال ذوي القدرة على التحمل ، ولا تستثنى من مصيرهم ... » . « ... كنت ادخل عالم قضايا جديدة » يقول درويش ايضا « والتصق بها رغبا عني ، مبتعدا بوتيرة سريعة عن عالم الطفولة ، اذا كان يعني ما يحظى به الطفل من تفوق وتميز ... » (٣٩).

لعلنا لن نكون بحاجة الى جهد كبير ، لكي نتبين التسميات المشتركة التي توحد ما بين رسوم الاطفال و« شهادات » محمود درويش الواعية عن طفولته ، لذلك سوف نبحت في الصورة الاصلية ، هي هذه الرسوم ، هي تمثل صورة الحياة القائمة في المخيم ، الذكرى الطازجة للحرب ، الانشداد العميق نحو البيئة الاصلية ، نحو الوطن ، التجربة والمشاهدة

بالمهار فكرة معينة في الرسم ومعالجة مواضيع واقعية ، كما تظهر محاولات لتمثيل النسب الطبيعية في الرسم ، واستخدام بعددين او ثلاثة ابعاد ، وحل مشاكل الفراغ ، والتمثيل المكاني والزمني للرسم بصورة واقعية . وغالبا ما تحاول رسوم الاطفال في هذه المرحلة ان تقول شيئا ، او تعبر عن فكرة او تروي قصة ، ويكاد يكون الانسان الموضوع الاول في رسوم اطفال البقعة ، فيتناولونه بالمعالجة ، مع مزيد من التحديد والتفصيل ، محاولين مضاهاة الشكل البشري في الطبيعة . كما تنسحب بعض الظواهر التي يلجأ اليها الاطفال في سن ابكر ، مثل المبالغة والتسطيح واختلاط الامكنة والازمنة في معالجاتهم ورسومهم ، ويحل محلها رؤية واقعية بصرية . كما يبيل الاطفال في هذه المرحلة الى تمثيل الاثران كما هي موجودة في الطبيعة . غير انه يلاحظ ، بشكل عام ، ان رسوم هذه المرحلة قد فقدت الكثير من تلقائيتها وهبطت ابداعيا واخذت تقرب من المحاكاة الطبيعية . كما ان النمو العام عند الطفل — ذهنيا وفسولوجيا ونفسيا — تدفع به نحو عالم الكبار ، ونحو قوانينهم ، التي لا تلبث ان تحل مكان « القوانين » الفطرية ، ومكان الملامات الشكلية لرسوم الاطفال ، وهو الامر الذي يفقدها عفويتها ورقتها المعهودة . ومن جهة اخرى تظهر في هذه المرحلة فروق لا يستهان بها بين رسوم الذكور والاناث من الاطفال ، حيث يتعمق احساس كل من الجنسين بعالمه واهتماماته ومثله المميزة .

د - سن الثانية عشرة الى الرابعة عشرة : وفي هذه المرحلة تتبلور الظواهر الملحوظة في رسوم الاطفال في المرحلة السابقة ، حيث يكون قد ظهر مزيد من النضج الذهني في محاولات تصوير البيئة بأسلوب واقعي وسمي ، وتقليد الطبيعة من خلال استخدام المنظور ومحاولات الطفل في الظل والاضاءة ، وحل مسائل الفراغ ، والاتجاه الى توظيف اللون موضوعيا ، اي ان هذه الرسوم قد اخذت تمثلا لتقاليد الكبار الفنية في التصوير . ومن ثم فان هذه الرسوم تفقد مزيدا من تلقائيتها وعفويتها الفنية مع انصرافها بصورة متزايدة نحو موضوع او موضوعات ذات صبغة واقعية . وتظهر الاختلافات بين رسوم الاطفال الذكور عن رسوم الاطفال الاناث سواء من حيث المواضيع ، او حيث المعالجة الشكلية ، ويعود هذا الى تبلور وهي

العناية للزواج ، الرغبة الحائلة في صياغة عالم ملون ومزخرف ، الفدائيون و« الوعد » الفلسطيني الجديد .

**الأطفال والهرب :** عندما بدأ أطفال البقعة يرسمون هذه الرسوم كان قد مر على حرب حزيران خمسة عشر شهرا ، وعلى معركة الكرامة خمسة شهور . غير أن العمليات العسكرية لم تتوقف منذ ذلك الحين . وقد بدأ واضحا من الرسوم ان موضوع الحرب يسيطر على الأطفال بصورة اجبالية ، وهو أمر لا يفسح المجال الا لتفسير واحد ، وهو خضوعهم جميعا لمائة الحرب ، على نحو متعب وملح ، جعلهم على هذا القدر من الحساسية تجاهها ، وصيغ رؤيتهم للأشياء بمنظار المأساة التي عاشوها . فمن الظواهر الملحوظة في رسوم أطفال النازحين ، ظاهرة التضخم الانفعالي ، و بروز نفسية جماعية على قدر كبير من الحساسية والارهاق تجاه ظروف الحرب الأخيرة . ان سيطرة الرؤيا المتشائمة ، الحذرة والمتوجسة من العدوان الذي ينطوي عليه العالم ، ليست مجرد ظاهرة جانبية ، وانما هي لمحة الحاحا حادا ، حيث يعبر عن ذلك « التضاد » بين موضوعات الرسوم الواحدة . ان هذا التضاد يشكل بنية مأساوية وجدت مداها الطبيعي في نطاق هذه الرسوم (وردة مورقة ، وطائرة معادية تعلوها ، خيمة منفردة كعصفور منكش على نفسه وطائرة حربية تطلق من فوقها ، سيارة اتوبيس وطائرة معادية تسقط فتابلها حولها ) ثم رسوم أخرى منقوشة بالمتناقضات التي لا يستقيم فهمها الا ضمن الاطار الموضوعي لمعاناة هؤلاء الأطفال ، رسوم تجد بها مقسما للسيارات والبيوت والاشجار والطائرات والاسلحة والرايات وثمار التفاح منزوية او مبعثرة في انحاء الورقة . صورة اخرى لمجموعة من النساء ، احدهن تحمل طفلها ثم طائرات تلقي بكرات مدمرة حولهن . ان معظم الأطفال يجسدون المقولة الدارجة لمآساتهم المعاشة ، فما من شيء يمكن ان يبقى ساكنا سالما ، كلما وجد بيت مظلل بخضرة الشجر ( التي يحسن الأطفال زخرفتها ) كان لا بد من طائرة تطلق وترمي شيئا من اسلحتها المدمرة ، والتي يعرفها الأطفال من تجربة محسوسة او سمعوا عنها مرارا .

لقد أصبح احساسهم بالعدوان وبالخطر مرهقا الى حد كبير ، كما أصبحت قدرتهم على التعبير من

هذا الحس منذرة بتشاؤم مطبوع اثر الحرب ، فرسومهم قادرة على اعطاء هذه الاشكال بصورة اكثر ايجازا وتعبيرا من بقية الأطفال ، لسبب بسيط هو انهم قد خبروها اكثر من غيرهم . ان الطائرات التي تتخذ شكل الخفافيش المربعة ، الهليكوبتر السوداء ذات الشكل الانتعاضي المتوحش ، السماء المظلمة المنيئة بأعنى الشرور ، كأنها شبكة عنكبوت ضخمة ، والبيوت المتوحدة التي توهي بالصائم الوادعة ، كل هذه « الاشكال » كانت حصيلية تكيفهم النفسي مع الحرب ، وحصيلية رؤيتهم الذاتية لاشكال تتضمن مواقف عدائية ، واخرى تعبر عن مواقف محسوسة من الاشكال الاول ، فيجري تعاملهم مع هذه الاشكال ، وكأنها كائنات حية واعية ، فلا غرابة ان نلمس في تعاملهم مع « اشكال » الطائرات — التي يفترض انها مثيرة لخيال الأطفال ، ومدعاة لاسترسال حسهم الجمالي ، ولحبهم وتوقهم للتطبيق — موقفا عدائيا من الناحية التشكيلية ، حيث تبدو كأجسام شيطانية شريرة ، وهم بذلك ينسجمون مع ادراكهم الموضوعي للدور الذي لعبته الطائرات في القتل والدمار والتشرد الذي الحق بهم .

وكما بدأ ، فان أطفال المخيم قد خاضوا تجارب مبكرة جدا وقاسية جدا بما لا يتناسب مع سنهم الغضة ، فجميعهم قد عانوا من حرب حزيران بشكل او باخر ، فظهرت في اعمالهم تذكرات عن نزول الهليكوبتر في الكرامة ، المشاهدة العيانية لسقوط طائرة ، المسير ضمن قوافل النزوح ، الكمون في المغارات والكهوف خوفا من النابالم ، رسوم اشبه « بالخرائط » تروي قصة الخروج من الأرض — الوطن ، وتذكرات مرعبة عن الموت والاحشاء البارزة ، وتيه الصغار والعطش وحريق العريات على جنبات الطريق .. الخ.

على ان هذه الرسوم لا تكفي بالتجسيد الساكن لما حدث ، اي انهم ليسوا رواة محايدين . اذ نجد انهم غالبا ما يخرجون من نطاق السرد والوصف للمعاناة والمعاشاة والذكرى الى نطاق اعطاء المواقف والامنيات ، والتدخل « الصريح » ضمن وسائلهم الخاصة ، فيسخرن قدرتهم السحرية في اصطياد جنود الاعداء بأساليب مناسبة ، ويكرسونها لصالح الرمز الجديد للانتصار ، للفدائي الذي بدأ وكأنه معادل موضوعي في هذا الصراع الراجع منذ امد بعيد لصالح العدو .



ان كان الاطفال يدركون بالبداهة والمعرفة المباشرة (الاولية) طبيعة الحرب ونتائجها فما من شيء في هذه الرسوم يتجاوز الحقيقة والواقع ، الطائرات هي دوما الطائرات المعادية ، الدبابات هي دوما الدبابات العربية ، الحركة والانطلاقة عند طائرات العدو ، السكون والثبات في مواقع الدفاع العربية . بعض الاطفال يتجاوزون هذا الحس النقدي العفوي للصراع ، الى شكل من اشكال السخرية ، في احد هذه الرسوم ، تجد طائرة معادية ودبابات عربية في لحظة اشتباك ، غير ان تلك الدبابات لا تصيب الطائرة بل تمر من خلفها ، كان ذلك من قبيل التلميح الطفولي الخبيث ، ام كان مجرد مصادفة ان يرسم طفل دبابة عربية يمتلى هدفها ؟ ومهما يكن ، فان المعاناة الطازجة للحرب ابقت الاطفال قادرين على تمثيلها في اذهانهم ووجدانهم ، واخذت خطوطها العريضة ترسم معالم ومبهم للحرب كما عرفوها : حرب طائرات مغيرة ، ومواقع دفاع ودبابات عربية تناوش ، وقوافل الزواج المظلة بالرعب ، ومشاهدات وخيالات برسومة في دفق انفعالي بقي حبيسا طويلا طويلا ، ثم تخرج امام اول فرصة تتاح له .

**الاطفال والمخيم :** يتناول الاطفال في رسوماتهم البيئة الجديدة بعلامتها وقسماتها العامة المميزة ، بالحياة في المخيم ، عبر العديد من الرسوم ، قد اختزلت بحوية وشمول ، وقد قامت العديد من الصور باكتشاف اعرق خطوطها ، ولم تضع لانحائها بين مئات التفاصيل التي بدت لهم غير ذات دل . وقد رغب اكثر من طفل في تصوير المخيم في منظر عام ، الا ان رؤية كل واحد منهم كانت تختلف باختلاف شخصيته ، وقد وجدنا احد للاطفال يتناول رسم المخيم من خلال الحركة اليومية فيه ، فمظهر الباعة والعربات والاطفال الذين يلهون في ساحاته ، ومظهر اشكال الخيم المتنوعة المتعددة وهي تحيط بالساحة الرئيسية التي تتوسط المخيم . وثمة صورة تميز من رؤية اخرى للمخيم في منظر عام ، لقد انتص الطفل لحظة سكون تمام المخيم ، فكانت رؤيته له كمساحات هندسية مربعة او مستطيلة الشكل تحيط بمركز المخيم . وتتوزع الخيم فيما بينها ، مع تشديد بالالوان القاتمة على شوارع المخيم ، فكانت الصورة ان تتحول الى « مخطط هندي » لولا حيويتها وتنوع ألوانها التي تمتعت بكثير من المهارة والذوق . غير ان العديد من

الاطفال فضلوا تناول موضوع المخيم من خلال الفعاليات اليومية في اجزاء منه ، في لحظات معينة انتقيت بذكاء ، مثل انتظار المؤن من مطعم المخيم ، المدرسة ، ملء الجرار من الصنابير العامة ، حركة الباعة والعربات والسيارات ، العرس واحتفالاته ، المظاهرات ، تدريب الاشبال ، لعبة كرة القدم .. الخ .

ولا تخلو بعض الرسوم من التبشير كتابة ، حيث لا يكتفي الطفل بالرسم ، فثمة صورة حاول صاحبها ان يعبر عن حالة المخيم في الشتاء ، اذ بالاضافة الى تصويره الدراماتيكي لحبات المطر المنهمرة فوق المخيم ، نجد بعض الطائرات تحوم في السماء ، فيعلق صاحب الصورة : — انظروا ايها المتفرجون ، ان طائرات العدو لا تفارقنا ، حتى في ايام الشتاء ، ولا يرتفع الضرب بالتقابل حتى والثلوج متراكمة . وفي صورة اخرى تمثل خيمة كبيرة ، لا يغفل صاحبها ان يسجل فوقها عبارة تشير الى انها « خيمة الغذاء » في المخيم ، ثم يضيف الجملة التالية : « النساء الفلسطينيات يطلبن الغذاء من اجسل اطفالهن ... » . وفي صورة ثالثة نجد مجموعة من الخيم على ثلاثة مستويات ، اثنتين من الخيام تحلق فوقها طائرتان وتعلق : « طائرتان اسراييليتان تحلقان فوق مخيم البقعة للنازحين » ثم تعليق ثان « النازحون في المخيم يعيشون عيشة شقاء وتعب » وفي منتصف الصورة خيبتان تتوسطهما طفلة صغيرة ثم تعليق : « طفلة تبكي للعيش الذي تعيشه في الخيمة الحترة » . وفي اسفل الصورة خيمة منفردة ثم خمسة اشكال بشرية يقفون بجانبها . ويعلق صاحب الصورة ايضا : « رجال في الصف لاستلام المؤن » . ويختتم الطفل تعليقاته : « سنرجع اليك يا فلسطيني باذن الله واننا لعائدون » .

والواقع ان التبشير بالكتابة الى جانب الرسم يمس قطاعا من الاطفال ، وهم غالبا ممن تجاوزوا التاسعة ، اذ يرون ان الرسم وحده لا يسميهم بالتعبير الشكلي فيلجأون الى الكتابة . وتتضمن رسوماتهم قيمة تنتمي الى اشكال اخرى من التعبير ، فهي اكثر ميلا الى النثر والانشاء الادبي ، وتمثل الرسوم التي من هذا النوع نموذجا خاصا في خضوعها للتأثيرات الناصجة : المعلم ، الدعاية السياسية ، الكتاب المدرسي ، الامرة ... الخ فيغلب على رسوماتهم الطابع التوضيحي . ولا بد ان نضيف ان رسومات المخيم ، على فنها ،

لا ترقى من حيث المعالجة والتشكيل الى مستوى رسوم الحرب ، كما لا تطلع في أن تعكس المزاج النفسي للأطفال بنفس الحرارة التي نراها في رسومهم الأخرى ( خاصة رسوم الحرب ) . اذ غالبا ما تتضمن رسوم المخيم موقفا وصفيا فائرا أكثر منه موقفا حياتيا وانفعاليا . وربما عاد ذلك الى خلو الحياة العامة في المخيم من الحركة والديناميكية ، او لجفاف الطبيعة وخشونتها وقلة ألوانها ، او لخضوع المخيم لانماط ضيقة من الأشكال والحركة والفعاليات المحدودة ، ولسيادة الروتين .

**الوطن - والبيئة السابقة في رسوم الأطفال :** لا تزال صورة القرية والارض قبل النزوح حية في أذهان غالبية الأطفال حيث تظهر كثير من الرسوم محاولات لاستعادة جانب من الحياة التي عاشها الطفل قبل النزوح . وتمثل رسوم عديدة هذا الجانب ، حيث موضوعات القرية والزراعة والحصاد تعطي اللون الأخضر مداه وتتعدد مستوياته ، وحيث تكشف هذه الرسوم عن صدق « طبوغرافي » وعشق خاص بالبيئة الأصلية ، التي هي مزار للتنوع والتعدد في خيال الطفل . لذلك لم يكن مستغربا ان نلاحظ انعكاس البيئة على هذه الرسوم ، فنجد رسوما تتضمن اشجار البرتقال والنخيل عند أولئك الأطفال القادمين من أريحا أو مخيم عين السلطان ، أو نرى موضوعات الصحراء وآثارها والوانها في مجالجات الأطفال القادمين من بئر السبع وقطاع غزة . ولا ريب ان « واقعية » هذه الرسوم « وصدقها » لا تعني حرفية هذه الرسوم أو نسخها لصور البيئة ، اذ ان ذلك أبعد ما يكون عن رغبة الطفل وحبه للتعبير بالألوان . ولعل أشد التعابير عن البيئة الأصلية حرارة في ذاكرة الطفل ، رسومه للمنازل ذات الأشكال المربعة ، والتي تشف عن بداخلها ، وحيث تحيطها الطبيعة بأطوار أخضر من الأشجار . وثمة رسوم أخرى ذات قيمة زخرفية عالية ، تمثل غرنا زهرية أو خضراء اللون ، تتوسطها مائدة تحمل آنية ورد ويضع كراسي ، وتظهر بلاطات الغرفة الملونة ، ويقف وراء هذه الرسوم - التي تتيج لنا قدرا من الرغبة الطفولية في اختراق الصورة - فتيات صغيرات كثيرات العناية بالحياة المنزلية الهادئة . ان صور البيئة الأصلية - الوطن في هذه الرسوم ، تشكل نيمًا خصبا لذاكرة الطفل الحية ، فلا يملك الا ان يؤكد ان منزله كان يوما هكذا ،

وينكب على عشرات التفاصيل كأنما يصير على أن صورة منزله لا يمكن ان تنسى .

**الأطفال والفدائي :** الموضوع الأثير عند الأطفال هو الانسان ، والانسان عند الأطفال هو الفدائي ، فهو المعادل الموضوعي للجانب الأخر من صورهم ، الجانب السلبي والأساسي . والأطفال عندما يعنون برسم الفدائي ، انما يعنون به من خلال انفعالهم الوجداني بالبطولة والشجاعة ، ومن ثم فهو « سوبرمان » أطفال المخيم ، القادر على اقتحام الجزيرة وكبائن العدو واهيانا الطائرات . وهو عندهم رمز للحركة والتهبؤ لعمل شيء ، ومن ثم فهو قلما يتخذ - في رسومهم - وضعا ساكنا ثابتا وإنما هو غالبا في وضع قتالي ، فهو يتخذ وضع كمين أو انقضاض ، حيث الظهر منح والقدمان منفرجتان ، والسلاح في يده . وتتدخل نزعة الطفل الجمالية في تعميم بعض الظواهر المحببة ، اذ نلاحظ تكرر رسوم الفدائي الملتحي ، كما تشعب ثيابه الموهبة والمرقشة رغبتهم في التلوين .

ان الجو النضالي العام الذي يعيشه أهالي المخيم دفع الأطفال الى التأثير بهذا الاتجاه في رسومهم ، فالغدائي هو البديل للجانب المهزوم من الحرب المشتعلة يوميا . والفدائي أولا وأخيرا ليس غريبا عنهم ، فهو ابن المخيم ، وقد نشأ بينهم ، وهم يعرفونه ، اذ هو يأتي بين الحسين والأخر الى المخيم ، وعلى كفته سلاحه السحري سريع الطلقات ، ولا بد ان تتاح لهم الفرصة ليسموا منه عن حياة الفدائيين وقتلهم .

ان رسوم الأطفال عن قتال الفدائي تعبر عن موقف ومزاج نفسي مختلف ، اذ ان موقفهم ازاء هذا « البطل » الذي يتحرك بينهم ، والذي يعرفونه بقسماته وبأسسه ، وأعجابهم أصلا بفكرة الفداء والشجاعة ، واتساق شكل الفدائي ، وملابسه مع حسهم الجمالي العام ، يكسب رسومهم معاني جديدة لم نعرفها في رسوم الحرب . فلا يروا « الحرب الجديدة » كما راوها في حزيران ، انه النموذج الذي سيجند الأطفال من أجله كل امكاناتهم السحرية وحيلهم وحباستهم الجانية ليكون في وضع المنتصر دوما . ان المعارك التي يخلقونها على الورق تعكس هذا المزاج العام للأطفال ، فالغدائي احيانا أكبر حجما من أعدائه المتضائلين ورسامه لا يطيش ، وهو أيضا متبأسك الشكل ثابت ( كتمثال اشوري ) ومستعد للقتال . وهو حينما

بالفنا يتناول، نحيف، حيوي أشبه ما يكون بتماثيل  
جياكومتي الشهيرة ، وان كان أكثر حركة منها في  
رسوم الأطفال .

**الأطفال وأشياؤهم الصفرة :** ربما كان علينا أن  
نفتحا أن بقي للأطفال البقعة شيء من الطفولة ،  
وشيء من اهتماماتها ، مع ذلك فان أطفال  
المتخيات ما زالوا يدخرون في انفسهم القدرة على  
برواعة مسغوظ الحياة الجديدة والصراع اليومي  
والموت باللعب والزخرفة وعشق الورود والطيور .  
ففي رسوم أطفال البقعة تجد - رغم كل شيء -  
طيورا وعصافير ملونة تبحث عن حبات الطعام في  
التراب ، وتجد زهورا متعددة الاشكال والالوان ،  
ويجد رسوما مغطاة بالمساحات اللونية المجردة  
والزخارف . وتجد اشكال الفواكه والاشجار  
والشموس وتجد فتيات مسغرات بجداول مربوطة  
بشرايط خبراء وبيضاء ، ورسوما للطبيعة المزخرفة  
ونساء وعرائس خدودهن مطبوعة بالاحمر كالتفاح .  
لذلك نحن مدعوون للتناؤل : اذ ما زال للأطفال  
البقعة القدرة على اللعب !

### جماليات رسوم أطفال النازحين

بعيننا الان دراسة معالجات أطفال البقعة للرسم ،  
التي تتميز بأنماط معينة في التعبير ، تسمى مظاهر ،  
او ملازمات رسوم الأطفال . وهي التي كانت تعتبر  
في الماضي كأخطاء ، وقد وجدنا ان جيمس سللي ،  
الذي تولى الكشف عن جوانب هامة في رسوم  
الأطفال ، كظاهرة الإيجاز الشكلي ، قد تحدث عن  
التصوير الخاطيء عند الأطفال : « التناسق  
الخاطيء ، التقسيم الزمني الخاطيء ،  
عدد الأرجل الخاطيء ، عينان في وجه جانبي ،  
بيت بثلاث جهات ، اخطاء في المنظور ، تعريض  
الاشياء مع أنه ينبغي اخفاؤها » (٤٠). هذا على  
الرغم من انه كان يحذر من جنوح البالغين للحكم  
على الأطفال من خلال مستويات الكبار . هذه  
« الأخطاء » ، والتي بقي عدد من العلماء يسمونها  
كذلك حتى رددح من الزمن ، هي جوهر رسوم  
الأطفال ، ميزتها ، جمالياتها الخاصة ، النابعة من  
خلال رؤياهم الخاصة للعالم الموضوعي والتي  
ميزتهم دوما عن الكبار ، وقد أعاد فرانس كيزك الى  
هذه المميزات - الأخطاء اعتبارها ، سواء تلك  
التي تحدث عنها سللي ، وأخرى غيرها ، فننمها  
وربط بينها وبين بعض القوانين التي حكمت الفنون

القديمة ، والفن المصري بوجه خاص .  
وعلى الرغم من اننا سوف نقتصر على تناول الملامح  
الخاصة لرسوم أطفال البقعة ، متجنبين قدر الامكان  
الاسترسال في بحث القوانين والانماط التعبيرية التي  
تميز رسوم الأطفال عامة ، فاننا مع ذلك سنضطر  
للدخول من باب التعبير الفني عند الكبار لكي  
نستطيع من خلال نظرة مقارنة اكتشاف مكان  
اتصال فن الأطفال بالفنون القديمة والبداية  
وصلتها معا بالفن الحديث ، وصولا الى فهم  
جمالي لرسوم أطفال البقعة .

منذ عصر النهضة ، وبصورة أكثر دقة منذ ان حدد  
كل من البرتي وبرونلشي مفهوم المنظور ، والفنانون  
يخضعون انتاجهم على تراوح ، لثلاثة ابعاد ،  
وكانت مهمة البعد الثالث تحديد العلاقة بين الزمن  
والمسافة والحجم ، ويكون مقياسا لها جسيما .  
واستمر ذلك حتى القرن التاسع عشر عندما بدأ  
كسر هذه القاعدة في الرؤية بصورة حاسمة . ويقول  
روجيه جارودي « ان منظور عصر النهضة قد يكون  
طبيعيا بالنسبة لكائن خرافي له عين واحدة ، او  
لإنسان أعور، على ان يظل ثابتا لا يتحرك » (٤١)،  
اي ان الافتراض في المنظور الكلاسيكي هو الرؤية  
من عين واحدة ، ومن مكان ثابت . وقد تعددت  
اساليب رؤية الفنان لعمله الفني طبقا لقواعد  
المنظور ، كأن يضع لوحاته في صندوق ، وينظر  
اليها من خلال ثقب واحد في الصندوق ، كما كان  
يفعل بوسان ، او بالنظر بعينين نصف مفتوحتين  
من مسافة قريبة كي نتيج لعناصر اللوحة الاتدغام  
والانساق ، كما فعل بعض الفنانين في حقبة لاحقة.  
غير ان مثل هذه المحاولات التي تعتمد على اتزان  
وهي لارتباطه بالخداع الذي تخضع له القوانين  
البصرية في رؤيتنا للاشياء لم تقف حائلا امام  
ابداعات جديدة تحاول ان ترى بعينين اثنتين ، ومن  
كل مكان ، وان ترى الاجسام من عدة اوجه وعدة  
ازمان ، هذه الرؤية الرجعية التي « تستدعي رقصة  
حقيقية حول الشيء » وتتطلب « تغييرات مختلفة في  
المنظور » (٤٢). كذلك حاول العديد من الفنانين منذ  
نهاية القرن التاسع عشر ، احلال قوانين جديدة  
تسمح ، بالاضافة الى ما سبق ذكره ، اللولوج الى  
« داخلويات الاشياء » وتسمح بالحلم والتفكير  
واستباق الاشياء او توقعها او تخيلها . وواقع  
الامر ان مثل هذه التطورات لم تقتصر على  
فنون المحترف بل تعدتها الى كافة اشكال التعبير

الادبي ، كما في الشعر الحديث والرواية الحديثة ،  
والى من السينما التي تميزت بقدرة خاصة هسي  
جعلها « الزمن ارحب باظهار احداث تجري في آن  
واحد وفي اكثر من مكان » اذ نجد ان البناء الحديث  
للعمل الابداعي اصبح يتضمن اكثر من زمان واكثر  
من مكان ، وانفسح مجالا لان تجري الوقائع وتتحرك  
المخيلة وتهوم الاحلام وتتغير الشخصيات طورا بذات  
الزمان ( او ) المكان ، وطورا عبر عدة ازمنا  
و ( او ) عدة امكنا .

واذا ما اقتصرنا هنا على الفن التشكيلي ، فاننا  
قد رأينا ان الفنانين ، على تراوح في فهمهم لطبيعة  
العمل الفني ودوره ، يعمدون لاستقصاء عناصرهم  
السلبية لتطلمهم لرؤيا جديدة في الفن من خارج الارث  
الفني الاوروبي ، وبالذات من الفنون الشرقية ،  
المنسوجات اليابانية ، النسيج الفارسي ، المعمار  
الاسلامي ، الفن المصري القديم ، الفنون البدائية ،  
وخاصة الفن الافريقي والمكسيكي القديم . وهي  
الفنون التي استخدمت انماطا من التعبير كان هدفها  
الاساسي « اعادة خلق الطبيعة دون نظها » اي  
عدم اتخاذ موقف وصفي جامد من الطبيعة والحياة ،  
وانما الفعل فيها والتاثير في مجراها .

ولو تفحصنا انماط التعبير عند الاطفال لوجدنا  
العديد من تقاطع الالتقاء مع فنون طفولة الانسان  
الاولى ومع العديد من سمات الفنون الشرقية  
والفن المصري القديم بصورة او بأخرى ، وبالتالي  
وجدنا تقاطع اللقاء ما بين محاولات الاطفال التلقائية ،  
والتجارب الفنية الحديثة الباحثة عن الرؤيا  
الارحب .. فالاطفال الذين غالبا يرسمون ما يعرفونه  
لا ما يرونه « يهملون » قواعد المنظور وقلما عرفوا  
البعد الثالث ( الا في سني نمو متأخرة ) تماما كما  
اهمل الفنانون الكبار عن وهي قواعد المنظور او  
حطبوها منذ سيزان وجوهان ومايتيس ... الخ .  
وكما يبيل الاطفال الى الشفوف ، اي اظهار ما  
يفترض ان لا يرى بصريا ، كاظهار السمك وهي  
تسبج ، او اظهار الاشخاص التابعين في بيوتهم ،  
او اظهار الحبوب في احشاء الطيور .. الخ ،  
وجدنا جوان جري وبراك وبيكاسو يحاولون ان  
يظهروا ما لا يظهر . لقد وجدنا الاطفال يحققون  
الرؤية الرجبة ، التي لا تنحصر في مكان واحد او  
زمان واحد ، حيث تنقل رسومهم عدة وقائع بذات  
الوقت دون العناية ان يكون ممكنا رؤية هذه الوقائع  
دفعة واحدة بصريا ، وهو ما فعله بيكاسو حينما

كانت وجوه اشخاصه مرسومة من وضع جانبي  
وامامي مرة واحدة !

ان ما نعرفه من سمات لفن الاطفال ، من تخير  
للاوضاع النموذجية ، التسطيع ، التصنيف ،  
المبالغات ، الكتابة .. الخ ، قد رأينا تمثلات  
واعية له عند العديد من الفنانين المعاصرين  
والمحدثين مثل بول كلي ، ميرو ، شاجال ، دوفي ،  
سلفادور دالي وغيرهم . لذلك يمكن القول ، ان  
اطفال البقعة ، شأنهم شأن بقية الاطفال ، يقومون  
ضمن نظرتهم الخاصة للاشياء ، بما يحاول الفنان  
المعاصر ان يفعل اليوم ، اي استخلاص جوهر  
الشيء ، قانونه العام ، ويستبعد الامور العارضة ،  
اي اعادة بناء الاجسام - الاشكال ضمن منظوره  
الخاص . فالرسم عند الطفل ليس تمثلا لما تراه  
العين في الطبيعة ، اي الحقيقة البصرية ، وانما  
هو اختصار وتشذيب للواقع ، مضينا ذلك بموقفه  
الخاص ، الاحتجاج عليه ، اعادة صياغته برؤيا  
الطفولة واحلامها وامنيتهما ، لذلك نشهد ، حتى  
في رسومهم التي تتناول موضوعا واقعيا ، كالقرية ،  
الريف ، الخيم ، البيت ، عناصر جديدة لا تنتمي  
للوواقع المعيني ، المنظور ، تتمثل في اعطاء هذا  
الواقع صورة اجمل ، مزخرفة ، نظيفة ، كأنها  
يعكسون أمنية تحققها كما بنوها في خيالهم . هكذا  
رأينا أمينة عبدالغفار ترسم قريتها فرشقت فيها  
حسها الزخرفي والجمالي الخاص ، وهكذا رأينا  
نوال محمد ابراهيم ترسم غرفتها كما تتبنى ،  
مبلطة نظيفة ، تتوسطها مائدة خضراء ، وفوقها  
آنية تحمل زهرة منفردة ، لكنها كانية ، وتريد  
لنفسها مقعدا ملونا . وهكذا يرسم الطفل النازح ،  
الفدائي بشاريين ولحية مسترسلة ، كأنها يريد  
ان يعمم ما هو خاص في رؤيته ، في حبه  
وعشقه لنمط جهالي ما .

الاطفال ، وكما يحاول الفنانون منذ زمن ، لا يرون  
اية حاجة لرصف كل الموصفات الشكلية لشيء  
ما . انهم يبحثون عن خطوطه المؤثرة ، الموجبة  
بجوهر الجسم ، بطبيعته ، « بنواياه » . لذلك  
تبدو اشكال رسومهم حية ، مفكرة ، مريدة ، تشف  
عن مواضعها ، عن نواياها . لننظر الى رسم خطه  
الطفل يعقوب محمد ١٣ سنة ، وهو يبيل جمالا .  
شمة شيء يشعرونا ان الجمال تضحك ، تسخر منا  
بصورة ما . انها اليفة بصورة مميزة ، لا تخطئه  
اذا امتلكتنا مشاعر الحنو علسى هذه المخلوقات

الصبورة ، التي تشف عن مشاعر صوفية . التعب  
والإرهاق مع الابتسامة . لناخذ صورا من  
الطائرات ، نلاحظ ان الاطفال قد اظهروا  
جوهرها العدائي ، نواياها المدوانية ، فجاءت  
برغبة اسطورية !

### (1)

« يبدأ الفن بمعناه الدقيق بعملية التحديد ، يبدأ  
بالطريق القائم بين الغموض والتخطيط الخارجي .  
ومن المؤكد اننا نجد ان النوع الاول من الفنون  
تاريخيا — من رجال الكهوف — يبدأ بالخط  
الخارجي ، فقد بدأ الفن بالرغبة في رسوم خطوط  
ما ، وما زال يبدأ هذه البداية عند الطفل... » (٤٦) .  
لقد وجدنا الاطفال الفلسطينيين لا يشذون عن  
القاعدة العامة ، التي تحكم رسوم الصغار  
عموما ، ان الخط هو جوهر الرسم عند الاطفال ،  
بدأ تحت وطأة تأثيرات بيولوجية ، مشوشا ،  
عشوائيا ، ثم آليا — موجيا ثم رحويا ، ويصبح  
أكثر قصدية ، فيتنوع ويتقطع ويتحول الى رموز ،  
الى ان تكتمل سيطرة الطفل على اصابعه ، ويأخذ  
الخط طوع ارادة صاحبه فيظهر اكثر وعيا ، اكثر  
« وظيفية » .

نجد في لوحة « الخيم » ، رسم عنان ، ٦ سنوات ،  
دباية تحول الخط لخدمة فكرة في ذهن الطفل . نجد  
خطوطا رمزية ، متنوعة ، بدايات تكسر الخط ،  
مع بقايا شيء من العشوائية . فقد اكتشف الطفل  
الخيم من خلال كتل بيضوية ، شبه دائرية ، عبر  
من خلالها عن هيئة الخيم المتراسة . ولانه يعرف  
اكثر عما يحتويه هذه الكتل — الخيام ، فقد ضمنها  
كتل بيضوية صغيرة اخرى ، انها سكان الخيم .  
ويعبر لوحة « كتابة » عن ذات المرحلة ، غير ان  
المدرسة خلفت له رموزا شكلية لم يكن يعرفها  
كتابة : ارقام ، احرف ، اشكال فطرية ، غير انه  
لا يميز فيها سوى طابعها العام — شكلها ،  
نيكرها ، يصفها الى جانب بعضها البعض افتيا  
ورأسيا . وبعض « السطور » تضمنت ثمار تفاح  
مختصرة في شكل دائري ملون ، ثم خط رأسي قصير  
اعلاها . ثم حروف : ب ، ت . صفوف تضمنت  
ارقام : ٣٥٠ ( مقلوبة ) . ، ١ ، ٢ ، ١ ، ٣ ، ١  
( مقلوبة ) ، ثم حروف ت ، ب ، ثم ثمرتا تفاح .  
صفوف ثالثة واربعة تضمنت ارقاما واحرفا واشكالا  
بشرية في غاية الإيجاز والاختزال : شمس ، هلال  
قمر ، صفور ... الخ .

يكسب الخط في مرحلة نضج تالية ملامح معينة .  
خطوط مختصرة ، موجزة ، بليغة ، مكتفية بحدودها ،  
تنثنى حيناً وتتكرر في حين آخر ، ولكن بخدمة هدف  
يسيطر على ذهن الطفل . لنرى نموذجا للتعبير  
الخطي الذي يعطي احساسا بوظيفة الخط في هذه  
المرحلة ، انه يمتد ويتناول فوق النموذج الموضوعي  
— الرواعي بصريا ، ليعني شيئا محددًا . ليعبر عن  
فكره ، مدرك ، احساس ملح . اننا نرى في احدى  
اللوحات طفلة تقف فوق كرسي اخذ شكلا مختصرا  
جدا . غير انه ليس موضع شبهة او التباس ، انه  
كرسي كما لا يمكن ان يكون شيئا آخر . نلاحظ  
هنا ان الطفلة متضائلة الحجم ، قصيرة الساقين ،  
ليس ثمة شعر ( ولماذا الشعر هنا ، لا حاجة  
اليه ) ، اما الساعدان فهما طويلان بما يكفي  
لقطف ثمرة تفاح متدللة . هنا نلاحظ ان الخط يوظف  
لخدمة غرض محدود . لقد ابرز لنا الرسم اصابع  
اليد بصورة واضحة ، لان لها علاقة بالقطف ، بتناول  
ثمرة تفاح . وبذلك كان الطفل منسجما مع احساسه  
بغرض الصورة . فالحاجة الى الساعدين تبرر  
( المبالغة ) في تطويلهما ، كما ان الساقين قد بولغ  
في تقصيرهما ايضا . لماذا ؟ لان الطفل احس بعجز  
ساقيه على اصاله الى ثمرة التفاح ، فيما كان  
الكرسي يمثل في ذهنه ، أداة الرفع ، العلو .

ثمرة صورة ، عبر طفل فيها عن ذعره ، من خلال  
توحده ضمن مساحة الورقة ثم احاط نفسه بزوايع  
من الخطوط الرخوة الى درجة خانقة ، فيما تظهر  
طائرة من بعيد ، تظهر رغم اختزال شكلها ، مصدر  
خوفه . ولطفل آخر ، عادل ، لوحة تعبر عن ذات  
الفكرة ، الخوف من الطائرات ، حيث توسط  
شخصان الصورة ، ثم احاطهما بالخطوط التي  
اتصلت بطوق شبه دائري من الخطوط يحيط بهما .  
لقد وجدنا ان هذا الطوق من الخطوط قد نقل  
احساسه بحركة الطائرات ، وبقدرتها على  
الحاصرة .

وتقدم الطفلة جلييلة ( ١١ سنة ) نموذجا عن  
احساسها الغريزي بقدره الخط على تشكيل كتلة  
بصورة حيوية . الخط في لوحتها ، نموذج ل احساس  
الطفل بقيمة الخط في أداء وظيفة ما . نلاحظ مثلا  
امتداد الخط ، انحنائه ، ثم تكسره في نقاط معينة ،  
معبرة بذلك عن كتلة صلبة بارزة ، مثيرة للفضول ،  
دون أدنى حد من التلوين ، ثم نلاحظ تقاطع  
الخطوط ودخولها في صلب الشكل ، مكتسبة

الاجسام شفافية رقيقة تسمح بمثل هذا التقاطع .  
 اما رسوم الطفل محمد احمد عرفات ( ١١ سنة ) ،  
 فان الخط يتضمن عنده قيمة استثنائية ، اذ تبدي  
 رسومه اتجاهه التخاطبي اكثر مما تمثل تلوينا .  
 لذلك فهو ينتخب موضوعاته من ساحات القتال التي  
 تسمح له بممارسة عشقه للخطوط حيث تكثر  
 الاليات ، الطائرات ، الجنود ، الغدائيون ...  
 ملاحظات خطية عامة : (١) تستخدم الكتابة والاحرف  
 والارقام والاشكال المختصرة بصورة عامة في سن  
 الروضة وبعدها بقليل (ظاهرة التصنيف، التكرار .٠)  
 (٢) ظهر تقليد متوارث بين الاطفال ، وهو رسم  
 الوجه بطريقة « كتابية » ، اذ يشتق رسم الوجه  
 الجانبي من كلمة « ملح » ويتكرر هذا الاستنتاج  
 كثيرا عند رسم الوضع الجانبي للوجه بين اطفال  
 المخيم ، وربما بين اطفال المنطقة . (٣) الموضوعات  
 التي تستجيب لقدرات اطفال المخيم التعبيرية في  
 الخط هي : الغدائيون والشكل البشري عموما ،  
 الممارك ، الفعاليات اليومية في المخيم ، الطيور ،  
 حيث تتيح هذه الموضوعات نرس التعبير عن الحركة  
 في هذه الموضوعات من خلال الخط .

(٢)

كان الفنان هويسلر يقول انه يمزج الوانه بعقله .  
 وثمة من يقول : اذا كان التلوين قسلا ان يكون  
 سجا ، فذلك لانه تقليد اعمى للطبيعة (٤٤) . وبين  
 التلوين المارين واستخدام الاطفال للالوان صلة  
 واسعة ، مع فارق ينبغي ان نأخذه باعتبارنا دوما  
 في مثل هذه المقارنات : الوعي عند الكبار والتلقائية  
 عند الصغار . ان اطفال البقعة شأنهم شأن بقية  
 الاطفال عامة ، يتعاملون باللون تعامل رمزيا .  
 ويستمر هذا مع تدرجهم في النمو السى مرحلة  
 متأخرة ، تبدأ مظاهرها الاولى منذ سن التاسعة  
 فما فوق حيث تغلب على الاطفال الرؤية البصرية  
 الواقعية والاستخدامات « الطبيعية » للون . ومن  
 جهة ثانية ، يشكل الاستخدام الرمزي للون عند  
 الاطفال وجها آخر من اوجه التشابه بينهم وبين  
 الرسوم البدائية والفنون القديمة عموما . وهكذا  
 نجد ان اطفال البقعة يميلون الى احلال الوانهم  
 محل الالوان الواقعية معبرين عن مواقف ذاتية من  
 الاشكال والاجسام . ان الطائرات مثلا تتباين  
 الوانها ما بين الاسود والاحمر والازرق ، تبعا  
 لحالة الطفل الذاتية ورؤيته لهذه الطائرات ، غير  
 انه لم يكن ثمة طائرة واحدة ذات لون « طبيعي » ،

« واقمي » بعريا . كذلك الخيم التي لا يمكن تمييز  
 الوانها الاصلية في المخيم ، بفعل الغبار والشمس  
 والمطر وبسبب قدمها ، فانها جميعها مصبوغة بلون  
 التراب ، نجدها عند العديد من الفتيات وبعض  
 الفتيان ملونة مزخرفة حية مبهجة ، ليس لانهم  
 يرونها هكذا ، ولكن لانهم يودونها اجمل مما هي  
 عليه . ان العديد من هذه الخيم قد تحول عند بعض  
 الفتيات الى قطع مزخرفة غنية بالالوان حتى فقدت  
 صلتها بالواقع المياني . كما هو حال « خيمة »  
 سارة حمدان ( ١٠ سنوات ) ، كذلك « خيمة »  
 فاطمة سليمان احمد و « خيمة » صبحة محمد ( ١٢  
 سنة ) و « خيم » يسرى احمد ( ١٠ سنوات ) .  
 كذلك نجد اتجاهات زخرفية وتلوينية في مواعيم  
 متعددة عند بعض الفتيات رغم اتجاههن نحو الرؤية  
 البصرية . اذ لم يمنعهن ذلك عن تجميل الواقع او  
 اعادة تشكيله من جديد . هكذا نرى ثلاث صور  
 لنوال محمد ابراهيم ( ١٣ سنة ) ، مثل « غرفة »  
 التي سبق الاشارة اليها ، وثانية « بيوت » وثالثة  
 رأينا فيها قطعة ملونة من المخيم لا يمكن ان يقع  
 عليها بصرا اطلاقا . كذلك وجدنا بضعة صور  
 لآمنة عبد الغفار ( ١٤ سنة ) تصور الحياة الزيلية ،  
 والقرية وتطف الثمار ، مزجت فيها الرؤية الواقعية  
 الناضجة بالصياغة الزخرفية اللينة بالتفاصيل  
 الجميلة . وثمة صور ذات زخرفات وصياغات لونية  
 مجردة وجدناها عند الطفلة ميسر سعود موسى  
 ( ١٠ سنوات ) ويسرى احمد ( ١٠ سنوات ) .  
 ووجدت بضعة موضوعات استجابة خاصة لى  
 التلوين ، كما هو الحال مع « زهور » آمنة احمد  
 ( ١٠ سنوات ) ، « طيور » يسرى احمد ( ١٠  
 سنوات ) ، « عروس » جلييلة ( ١١ سنة ) . ولي  
 صورة « الام تحمل طفلها » لفاطمة رمضان ( ١٠  
 سنوات ) ، كذلك في زخرفة شعبية عند ميسر صالح  
 التي تبدو متأثرة بالتطريز المعروف في الملابس  
 النسائية الشعبية الفلسطينية .  
 وكما هو واضح فان الاتجاه الزخرفي والتلويني ،  
 يغلب على معالجات الاطفال الاناث اكثر مما هو  
 عند الاطفال الذكور ، غير ان هذا لا ينفي وجود  
 بضعة صور مزخرفة ، او تعطي اتجاهها تلوينيا  
 عاما . مثل صورة « دار وتفاحة » لمتحي ( ١٠  
 سنوات ) ، قبة الصخرة للطفل محمد قنديل ( ١١  
 سنة ) ، وكذلك « شيخ البلد » للطفل محمد احمد  
 ( ١٠ سنوات ) ... الخ .

واللونية ، فكانت تستخدم بضعة ألوان باهتة على خلفية بيضاء ( لون الورق ) غير ان استمرارهم في الرسم أدى الى استخدامات جيدة أظهرت حساسية عفويا بعلاقات اللون ، وتمكنت مجموعة من الرسومات من تحقيق نتائج طيبة في هذا المجال ، حيث بدأ من خلالها ادراكهم لطبيعة المادة وليونتها وإمكانية خلق شرائب وتوابع لونية أضفت على رسوماتهم ملمسا بارزا ، ظلما أظهرت تنظيمات عفوية لعلاقة الألوان القاتمة مع الألوان الفاتحة وإيقاعات وتنظيمات لونية خاصة . ( ٥ ) استخدام التفتيح : ثمة ظاهرة ملموسة بوجه عام عند اطفال البقعة ، وهي استحصال النقطة بلون واحد او اكثر في التخلص من الفراغ ، وهذا الاستعمال للنقطة يتضمن قيمة هامة في رسوم الاطفال ، اذ انها تشكل حلما لمشكلة الفراغ التي يواجهها الطفل بصعوبة بالغة ، كما ان النقطة بعد ذاتها قيمة جمالية هامة ، خاصة اذا فرشت على النحو الذي يفعله اطفال البقعة في ارضية الرسم ، اذ تكسب صورهم قيمة اشعاعية كبيرة وحيوية بالغة ، وجدنا على سبيل المثال مدرسة فنية كاملة تلجأ اليها ، كما هو الحال مع « الترقيمين او التفتيحين » . ويوسمي ان اتحدث عن الكيفية التي جرى بها اللجوء الى التفتيح في احد الصنوف ، غير اني لا استطيع تفسير تعميمها على النطاق الذي نلاحظه في مجموعة كبيرة من الرسوم ، فقد حسبت ان تمت هذه العملية بصورة ايجابية من قبل طفل بدأ بتفتيح ورسم نقط على صفحة الورقة ، فأحدث وتوسع التفتيح على الخشب ايقاعا معيناً استجاب له بقية الاطفال بصورة تلقائية ، وانتقلت هذه « العدوى » الى البقية ويلاحظ ان هذه الظاهرة تشمل الاطفال الذين ما زالوا في مراحل نمو اولية وتقلص تدريجيا مع تطور قدراتهم العامة . وربما ، يكون لخبرات الاطفال في المخيم ، مع ذرات التراب والغبار ، التي هي نقط صغيرة ، أساسا لحل مشكلة الفراغ في رسوماتهم بواسطة التفتيح . ( ٦ ) رغم انه لا يمكننا الحديث عن ألوان « مفضلة » عند اطفال البقعة ، لان أساس هذا التفضيل لم يكن متوفرا دائما ، اذ كثيرا ما كانت الألوان قليلة ومحدودة بحيث لا تسمح لهم بالاختيار . غير انه يمكن ان نسجل ملاحظة او اثنتين على تأثيرات اجتماعية بصدد اللون . ففي احد الصنوف ، انهضت طفلة في رسم امرأة ، وقالت بشيء من الفرح الطفولي سالون لمستان

وخلفنا للمأوف في رسوم اطفال البقعة ، فان بعض الرسوم للحرب والديابات او الطائرات كانت مجالاً للزخرفة ، كما هو حال صورة « دبابه » لموسى خليل ( ٨ سنوات ) ، « طائرة » لعمر محمد ( ٧ سنوات ) . اما الطفل يعقوب محمد ( ١٣ سنة ) ، الذي تميز بكثرة انتاجه وتباين موضوعاته وتعددتها ، عوضا عن ان رسومه تتميز بطابع شخصي مميز من عدة أوجه ، ويهمننا هنا ان نشير الى احداها ، وهو استخدامه للون الزهري ، ناهي تعود ان يصيغ خلفية الصورة او الارضية بهذا اللون ، الذي نفترض ان انتقاه له والاصرار عليه ليس تعسفيا فقد ارتبطت رسومه بدلالات بيئته بالتر من ناحية ، « فهو من اسرة تنتمي الى عرب بنو السبع ، المنطقة التي تتميز بطبيعة صحراوية » . نهر ، بأحراره على صيغ الارض باللون الزهري ، يدعنا الى الاعتقاد الى ان فكرته عن الارض وخبرته بالابتداء الصحراوي جعلته ينتهي بصورة واعية لونا صعبا يمتاز بدفته وحرارته ، ليحبر رمزيا من هذه الخبرة ، في الوقت الذي يرفض فيه استخدام ألوان واقعية كالاصفر الاكبر او الترابي او البني القهواني ، وهي تلك التي يمكننا رؤيتها بصريا في رمال الصحراء او لون الارض .

ملاحظات لونية عامة : ( ١ ) يلجأ الطفل في مراحل مبكرة الى التلوين الرمزي ، يصيغ اطراف الاشكال التي يرسمها للدلالة على لونها ، دون ان يتم ثوبها ، كطلاء رأس الورقة العليا بالازرق دلالة على السماء وترك باقي المساحة بيضاء . ( ٢ ) يبدو ان الاناث من اطفال البقعة يتمتعن بحس لوني وزخرفي اكثر مما هو تصور العناصر التشكيلية الاخرى . وبصورة عامة يميل الاطفال ذكورا واناثا ، في مرحلة متأخرة نحو الزخرفة ونحو رسم التفاصيل وتلوينها . ( ٣ ) تظهر الموضوعات التالية استجابة نحو التلوين : - الزهور ، الطيور ، الخيم ، الربيع والقرية الفلسطينية ، الفواكه ، المساجد ، ملابس الفدائين وملابس النساء . كما ان موضوع القتال يستجيب لميول الذكور في التلوين ، ويلاحظ ذلك في رسوم مصطفى حسين ( ١١ سنة ) ، حيث تتيح « البرقشة » في ملابس الفدائين المجال لاستخدامات لونية متعددة ، كذلك الحال مع لون الديابات والارض والجبال . ( ٤ ) أظهرت التجارب الأولى للاطفال عدم وجود خبرات لونية عندهم ، يبدو ذلك من خلال عدم ادراكهم لطبيعة العلاقات

البنيت باللون الاحمر الذي « يغوي » ، ويمكننا  
تصني مشاعر الطفلة نحو لون له احترام اجتماعي ،  
له اتصال بحس انثوي ، لون له ندرة ما ، يرتبط  
بطابع احتفالي « مرس ، فرح ، عيد .. الخ » .  
كذلك انهمك الطفل حسين ابراهيم ( ٩ سنوات )  
برسم عروس . نميم خبرته اللونية من خلال طقس  
اجتماعي « الاعراس » فجعل العروس ترتدي  
اللباس الابيض . كما لفتت نظره زينة النساء ،  
فصنع وجنات العروس والفتيات اللواتي يحطن بها  
ببقع حمراء ، تعبيرا عن الزينة « المغندرة » وحمرة  
الخدود في الافراح .

(٢)

يذهب التفسير الاصطلاحي لتعريف معنى الشكل  
الفني على انه « الهيئة التي يتخذها العمل الفني » ،  
ويزيد هربرت ريد : الشكل الجيد في العمل الفني  
« هو الذي يتخذ شكلا أفضل من شكل ممكن ، هو  
الذي يتمتع امتعا يفوق الاعمال الأخرى » (٥) .  
ان هذين التعريفين هما أفضل ما يمكن تقديمه هنا ،  
رغم اتساعهما بالعبوس والعمومية ، لسبب جوهري  
هو ان الشكل ، شأن بقية العناصر « الفيزيقية »  
الأخرى في اللوحة ، تتحدد وتتصف بمعايير عصر  
بعينه وحضارة بعينها ، وتحتفظ بذات الوقت بقيمة  
انسانية تتجاوز الحدود الزمانية والمكانية التي  
خلقت ضمن اطارها ، لذلك لا يمكن ان تعمم  
مواصفات معينة للشكل في مرحلة حضارية ، على  
مراحل أخرى بصورة تعسفية . ولكن ماذا بالنسبة  
للأطفال ؟ يقال عادة ان الأطفال يرسمون ما  
يعرفونه ، وليس ما يرونه ، او بعبارة أدق يخلبون  
المعرفة على الحقيقة المرئية ، ذلك ان الأطفال  
يرسمون من خلال وعيهم هذا العالم والاشياء  
المتضمنة فيه . ويضرب مثل بهذا الصدد : اذا  
وضع أمام الأطفال نموذج ما ليرسموه ، فان  
رسمهم لهذا النموذج لا تختلف كثيرا عن رسمهم  
له من الذاكرة . وقد سبق ان اشرنا الى تقنين  
فرائز كيزك للقوانين التي تحكم رسوم الأطفال ،  
وعلاقتها بالقوانين السائدة في الفنون القديمة عامة ،  
والفن المصري القديم خاصة . وسوف نحاول هنا  
ان نتيبن هذه القوانين من خلال تتبعنا للملامح  
« الشكل » في رسوم أطفال البقعة بالاضافة الى  
ظواهر أخرى مختلفة عبر نماذج من رسمهم .  
مصطفى حسين ( ١١ سنة ) : تقدم رسوم هذا  
الطفل بعض المظاهر البارزة في فن الأطفال ، مثل

خط الأرض ، الاوضاع النموذجية ، التمثيل الزمني  
والمكاني ، التكرار المستمر . ففي صورة عمى  
الكرامة قسم الصفحة الى عدد من المستويات  
الموازية ( ٥ مستويات ) لها خطوط ارض خاصة  
بالاشكال التي يتضمنها كل مستوى . وقد اخط  
رأس الصفحة عدد كبير من المنازل على شكل  
مستطيلات ومربعات تتكرر بعرض الصفحة .  
المستوى الثاني من الصورة عن قتال الفدائيين  
العربية والطائرات الاسرائيلية . ويلاحظ ان الفنان  
اخذت وضعاً نموذجياً هنا ، فيما تكررت اشكال  
الطائرات على مساحة واسعة ، في محاولة لظهور  
حركة الطائرات الحيوية . والمستوى الثالث هو  
نمط من التكرار لما سبق ذكره مع شيء من التنوع  
اما المستوى الرابع فهو عن قتال الفدائيين ، حيث  
يلاحظ اتخاذ الفدائيين لوضاع مختلفة ( وقوف ،  
كمون .. ) ، وفي المستوى الخامس يظهر مصطفي  
المخيم . ان الصورة بالاجمال تظهر ان الطفل قد  
عبر عن شريط من الحوادث وقعت في عدة اماكن  
بنفس الزمن او بازمان مختلفة نسبيا بطريقة مرتبة  
(رواية) وهي الظاهرة التي تسمى بالتمثيل الزمني  
والمكاني لفكرة في رأس الطفل .

والصورة الثانية لمصطفى حسين تعكس ذات  
الظواهر في الاولى : ثلاثة خطوط ارض ، التكرار  
الآلي ( الخيول الحمراء ) ، التمثيل الزمني  
والمكاني ، كما يمكن ملاحظة ظاهرة أخرى هي  
المبالغة ، كما هو واضح ، في طول الفدائي الذي  
جعله بارتفاع الجبل ، ليتمكن من اطلاق النار على  
أعدائه ، ومستحدث عن هذه الظاهرة عبر نماذج  
أخرى . اما صورة « فدائي فلسطين » ، فانها تقدم  
أحد أوجه ظاهرة « تخير الاوضاع النموذجية » كما  
يبدو من وضع الرأس الجانبي ، ووضع الجسم  
المقابل . وفي صورة « جندي اسرائيلي يستلم  
لفدائي عربي » ، فاننا نجد ان الطفل قد عبد الى  
المبالغة في حجم الجندي الاسرائيلي ، لانه يريد ان  
يركز على فكرة الاستسلام ، كما مثل الفدائي ل  
وضع نموذجي يساعد على ابراز فكرة الاستعداد ،  
ومن جهة أخرى تعبر الصورة عن شغف الطفل  
ببعض الجماليات ( اللحية ، الثياب المرتقمة ) .  
يعقوب محمد ( ١٣ سنة ) : نلاحظ في صورة  
« مظاهرة الفتيات في مخيم البقعة » بعض الظواهر  
البارزة الأخرى ، مثل التكرار اللحظي ، وظواهر  
الرصيف ، والتصنيف ، اذ بعد ان رسم عدداً من



( ٨ سنوات ) . كما نلاحظ ظاهرة التسطيح في صورة « ملعب كرة القدم في البقعة » للطفل محمد عياد عيد ( ٨ سنوات ) وفي العديد من رسوم الخيم ، الطائرات ، البيوت ... الخ .

وثمة ظواهر أخرى مثل الحذف ، كحذف شعر الرأس ، أو الغم أو إحدى اليدين أو الاثنتين معاً ، إذا لم يكن لهذه الأعضاء دور في الرسم . كما يلاحظ ذلك في صورة حاملات الجرار لليلى ( ١١ سنة ) وصورة « ذات الشرائط الحمراء » للطفلة يسرى احمد ( ١٠ سنوات ) . كذلك ظاهرة التظليل ، كما هو الحال في رسم الطفلة التي تقطف التفاح . وثمة ظاهرة عكسية ، هي التصغير ، كما نجد ذلك في رسم ليلى ( ١١ سنة ) التي تمثل لعبة الحبل « النطة » ، فالطفلتان اللتان تمسكان بالحبل قد رسمتا بحجم كبير نسبياً ، فيما رسمت الطفلة التي تقطف صغيرة جداً ، ولعل الدافع الى ذلك هو الإيحاء بعملية القفز في الهواء « الخفة في الوزن » . كذلك نجد ذات الظاهرة في الرسومات التي تمثل أم تحمل طفلها ، أي المبالغة في تصغير الطفل الى درجة يمكن ان يحمل بكف واحدة ، كما هو مبين في صورة تغريد حسن ( ٧ سنوات ) او فاطمة رمضان ( ١٠ سنوات ) او رسمية توفيق ( ٩ سنوات ) .

وتظهر رسوم اطفال اعمارهم فوق سن التاسعة مظاهر فنية ناضجة مثل : آمنة عبدالغفار ( ١٤ سنة ) ، مصطفى حسين ( ١١ سنة ) ، نوال محمد ابراهيم ( ١٣ سنة ) ، يعقوب احمد ( ١٢ سنة ) ، محمد قنديل ( ١١ سنة ) ، احمد عرفات ( ١١ سنة ) ، آمنة احمد ( ١٠ سنوات ) ، يسرى احمد ( ١٠ سنوات ) . الخ ، يمكن ان نلاحظها في محاولاتهم للامثال للواقع المرئي ، وتجسيده من خلال محاولة اخضاع رسومهم للمنظور البصري ، اقتراب الوانهم من الطبيعة وابتعادها على تراوح عن التعبير الرمزي ، حل مشاكل الفراغ بصورة ناضجة ، ملء المساحات باللون ، ابتعاد اشكالهم عن التعميم ، وتقرب من التحديد والتفصيل ، فتظهر البيعة برموزها المختلفة . ويوسعا ان نبين تراوح هؤلاء الاطفال ما بين مظاهر معالجاتهم الطفولية ومحاولاتهم لتمثيل اساليب ناضجة في التعبير ، في النماذج التي تناولناها في الملاحظات السابقة .

تتميز الرموز الشكلية ( الموجزات الشكلية ) للاطفال

العديد وعددا من الفتيان بشيء من التفصيل بدأ ان الطفل بدأ يمل من تكلمة بقية الاشخاص في الصورة ، فأخذ يكررها بشيء من الاهمال ، مقتصرا على دائرة الرأس وخطوط تعبر عن الساعدين والجسم . والصورة تعطي ايضا نموذجاً للمبالغات في رسم بعض الاحجام ، كما هو الحال مع الفتاة حاملة العلم ، فالمبالغة هنا تهدف الى لفت الانتباه الى أهمية هذه الفتاة التي تقود المظاهرة . ولنفس الطفل صورة ثانية تمكس ظاهرة أخرى هي عدم نقد الطفل بوضع الاشكال بصورة تتسق مع الواقع المرئي ، إذ نجد انه قد غير وضع الورقة عندما رسم ( حامل الشعاب ) . وفي صورة النازحات يحيل الحطب ، فاننا نجد اتجاهات ناضجة في الرسم ، تتمثل في التلوين الكامل للمساحات ، اجسام النساء في وضع مقابل ، كذلك وضع رؤوسهن ، بالرغم من التكرار في رسم النساء الا انه لونهن بألوان مختلفة . كذلك يلاحظ وضعهن المتبادل الذي يعطي الصورة اتزاناً يوحى بالنضج . كذلك نجد في صور أخرى له ( بلدة الكرامة مثلا ) محاولة للتمثيل للرؤية البصرية والمنظور ( رسم البيوت على شكل مكعبات ) ويلاحظ انه استخدم ثلاثة الوان ، لتغطية مساحات الجدران ، مما اعطى البيوت شيئاً من التجسيم .

الطفل عادل ( ٦ سنوات ) : في الصور العديدة التي تركها لنا نجد العديد من المظاهر التي تميز الاطفال في مرحلة مبكرة من النمو . كما نجد العديد من السمات الخاصة به . ان السمة البارزة في معالجاته ، هو انه يقلب وضع الورقة امامه في عدة اتجاهات فلا تكاد تعرف كيف تنظر اليها . وفي رسمه عادة حشد من الاشخاص والطيور والطائرات والدبابات والبيوت مرسومة من اتجاهات الورقة الاربعة . وفي صورة « دار » نجد نموذجاً لرحلة أخرى ، ويلاحظ انها تجمع بين ظاهرتين هما الشفوف ، والتسطيح ، فالرسم يظهر ما يتفرغ من ظهوره واتعيا ( عبر الدار يظهر : الشخص القائم ، الجرة ) . اما التسطيح فيعبر عنه اظهار النوافذ والابواب بصورة غير « واتعية » ، فهي مملوثة خارج الجدران ، وتجمع الصورة بين الرؤية من مسقط رأسي ومسقط افقي بوقت واحد . وعموماً نلاحظ ظاهرة الشفوف في صور اكثر وضوحا مثل صورة دار للطفل منير احمد ( ٨ سنوات ) ، « طائرات اسرائيلية تحلق فوق باص » للطفلة ميسر

عادة على صعيدين ، فهي عند اطفال البقعة تتميز  
اولا انها تحمل طابعا فرديا عند كل طفل ، يعبر عن  
خبرته الخاصة ومعرفته المعقدة حول الاشكال  
والجنس العام لهذه الاشكال ، كما تقدمها البيئة  
والوسط الاجتماعي فتمكس رموزه الشكلية خبرته ،  
نفسيته ، مستواه الذهني ، الجنس ، ( ذكر ،  
انثى ) ، عمره الزمني : وهي العوامل التي تعطي  
اشكاله طابعا تعبيريا خاصا — (شخصي) . وثانيا ،  
ان جملة الرموز الشكلية عند الاطفال ضمن الوسط  
الاجتماعي الواحد والتجربة الموحدة ( المخيم ،  
النزوح ، الحرب ) تعكس طابعا جماعيا عاما يحمل  
تاثيرات بيئية ، ثقافية ، اجتماعية وتفاعلات جماعية .  
ان هذين الصعيدين هما ميدانان لمقارنات قابلة

١ — قام بالتجربة منى السعودي وكاتب البحث ،  
وشاركنا العديد من شبان المخيم ومعلمو  
ومعلمات مدارس المخيم في عملية جمع الرسوم ،  
كما أسهم بعض المهتمين بتقديم التجربة الى  
العالم العربي والخارجي وأخص بالذكر صادق  
جلال العظم ، الذي كان استاذنا في الجامعة  
الاردنية آنذاك والصحفي السويدي ستيفان  
بكن .

٢ — عرضت هذه الرسوم في الاردن ، لبنان ،  
العراق ، السويد ، الدانمارك ، اليابان ،  
الولايات المتحدة الامريكية . وساعد في عرضها  
هيئات ومنظمات وشخصيات عربية واجنبية  
مهمة .

٣ — حسبنا اتصل بعلمي ، فقد ظهرت هذه  
الرسوم او بعضها في عدد كبير من الصحف  
والدوريات العربية ، اللبنانية والسورية  
والعراقية ، وبعضها احتل اقلية عدد من  
المجلات وملاحق الصحف . كذلك قامت وكالة  
صحفية امريكية (Liberation News Service)  
بنشر مجموعة كبيرة من هذه الرسوم في بضعة  
اعداد من نشرتها الدورية ، كما نشرت في صحف  
ومجلات اجنبية مختلفة . ومن جهة اخرى احتلت  
رسوم الاطفال ، تقريبا سنويا للجهة الشعبية  
الديمقراطية ، وبطاقتين ، كما صدر كتاب  
« شهادة الاطفال في زمن الحرب » بتحرير منى  
السعودي من منشورات مواقف بالتعاون مع  
الجهة الشعبية لتحرير فلسطين . بيروت . ١٩٧٠ .

٤ — اشير بهذا العدد الى تقييم ظهر في مجلة

للتقياس بين رموز الاطفال الفلسطينيين الشكلية ،  
ورموز اطفال آخرين من مجتمعات عربية واجنبية  
اخرى . ان هذه الدراسة والنماذج المرفقة تقدم  
اساسا اوليا لمثل هذه المقارنات من جوانب متعددة .  
وسنكتفي هنا بالاشارة الى ابرز الاشكال التي  
ترددت في رسوم الاطفال الفلسطينية ، والتي تظهر  
فروقات فردية متعددة ، سواء تفاوتها من حيث اللون  
التعبيري ، السن ، ومن حيث الجنس ( ذكور ،  
اناث ) ، ومن حيث الفروقات الشخصية بين  
الاطفال الذين في عمر زمني واحد وجنس واحد :  
(١) الطائرات . (٢) الدبابات . (٣) الخيام .  
(٤) الشكل البشري ( الفدائي بصورة خاصة ) .  
(٥) الطيور . (٦) البيوت — المنازل .

الطبيعة السورية — بقلم طارق اسماعيل حول  
تجارب جمع رسوم اطفال سوريين — الفدائي  
١٦٠ — ٢٨ حزيران ١٩٦٩ .

٥ — Viola, Wilhelm. *Child Art*, 2nd Ed.,—  
University of London Press, 1951, p.7.

٦ — المرجع السابق ، ص ٧ — ٨ .

٧ — المرجع السابق ، ص ٩ .

٨ — راجع : البسيوني ، محمود ( دكتور ) :  
سينكولوجية رسوم الاطفال . دار المعارف بدمشق  
القاهرة ( ١٩٥٨ ) : الفصل الثاني ص ٢٤ .

٩ — نيولا ، *المرجع السابق* ، ص ٨ .

١٠ — *المرجع السابق* ، ص ٨ .

١١ — *المرجع السابق* ، ص ٨ — ٩ .

١٢ — *المرجع السابق* ، ص ١١ .

١٣ — Charles Darwin, *Biological Sketch*—  
*of an Infant, Mind*, Vol. 2, 1877, pp.  
285-294.

١٤ — البسيوني ، *المرجع السابق* ، ص ٢٥ —  
٣٤ .

١٥ — البسيوني ، *المرجع السابق* ، ص ٣٧ —  
٤١ ، وص ١٣٢ — ١٤٣ .

١٦ — *المرجع السابق* : ص ١٥ ، ٢٧ — ٤١ .

١٧ — دواعع الطفل للرسم مختلفة ، تتغير بفعل  
النمو العام ولاسباب اخرى منها ما ورد ، سواء  
نأتي على ذلك في الفصل المتعلق ببراحل النبر  
والتعبير الفني عند الاطفال الفلسطينيين .

١٨ — هذه الصيغ الشكلية ، تتعدد تسمياتها  
« رموز شكلية » « موجزات شكلية » « نسل  
شكلية » « كليشمات » الخ .

- ١٨ - البسيوني : المرجع نفسه ، ص ٦٩ .
- ١٩ - حسب احصاءات الامم المتحدة يبلغ عدد سكان مخيم البقعة ٢٠ ٣١٠ مواطنين ، وهناك تارجون لا يقيمون في المخيم ولكن يقصدونه للحصول على حصصهم ، بذلك يصبح العدد ٥٢ .٧ ، خصوصا ، ( جرار شاليان : المقاومة الفلسطينية . دار الطليعة . بيروت ١٩٦٩ ) .
- ٢٠ - احصاءات التعليم في مخيم البقعة : يوجد ٥١ صفا ابتدائيا للفتيان ٣٥ للفتيات ، و ١٥ و ٦ صفوف اعدادية ، و ٢٦٧١ طالبا و ١٧٢٢ طالبة ابتدائية و ٦٤٨ طالبا و ٣٣٠ طالبة اعدادية ، و ٨٩ مدرسا و ٤٧ مدرسة ( شاليان ، المرجع السابق ، ص ٥٩ - ٦٠ ) .
- ٢١ - يلاحظ ذلك بوضوح مع تلامذة الثاني الابتدائي ، ومع باقي الاطفال بصورة عامة .
- ٢٢ - لاحظت ان المعلمين لم يكونوا مقتنعين ذهنيا وذوقيا برسوم الاطفال التي تعطي الطفل تسطا وانرا من الحرية . ربما لانها تخرج الاطفال من نطاق المعايير الفنية القديمة ، التي كان يوسع المعلم ، على اساسها ، ان يضع مقاييسا « لجودة الرسم » ، اما في تجربة مثل هذه فان المعلم يجد نفسه غير مهيا للحكم على انتاج الطفل او توجيهه . والمسؤول طبعا هو ثقافة المعلم ، يفترض في مثل هذه الحالات ان يعاد تأسيس ثقافة المعلم على أسس تربوية جديدة .
- ٢٣ - مثل رسم الفواكه التي - لسوء حظ الاطفال - لا يرونها الا في النماذج المصورة .
- ٢٤ - تضمنت هذه الرسوم ارثا تربويا تقليديا من جهة ، وقلة تعامل مع الالوان من جهة ثانية ، تتطلب الخبرة الاولية فهم خصائص اللون وكيفية استعماله ، علاقة خامة اللون مع لون الورق .
- ٢٥ - طبعا ، لم يترك الحبل على غاربه ، انها اصبح معيار تقييم الرسوم على اساس فهم اهتمامات الطفل ودرجة نموه وخبرته وتوعيه الموضوع المعالج اي مدى سهولته او صعوبته .
- ٢٦ - على سبيل المثال راجع Johnson, Ronald C. & Medinnus, Gene R: *Child Psychology (Behavior and Development)* John Wiley and Sons, New York, 1965, pp. 47-49.
- ٢٧ - راجع احصاء عن رسم تفاصيل الجسم الانساني بين جودانف وبارترودج ، البسيوني ،
- المرجع السابق ، ص ٣٠ . وفي واتع الامر ان غالبية الباحثين الذين يستخدمون الرسوم لتحديد وقياس ذكاء الاطفال يعمدون الى وضع نتائجهم بصورة رياضية . راجع : بدري ، مالك (دكتور) : سيكولوجية رسوم الاطفال (اختبارات رسم الانسان وتطبيقاتها على اطفال البلاد العربية) بيروت - دار الفتح للطباعة والنشر ١٩٦٦ .
- ٢٨ - مرحلة التخطيط تبدأ من سن أقل لكتي بدأت من سن الثالثة ، وقد جمعت رسوم لاطفال في هذا السن بصورة محدودة . ويعتبر سن الخامسة هو سن بداية التجربة ( مرحلة الروضة في المخيم ) نظرا لان التجربة لم تشمل اطفالا من سن ادنى من ذلك الا بصورة محدودة جدا .
- ٢٩ - يستخدم لونغيلد تسمية التخطيط غير المتحكم به محل تسمية تخطيطات غير مقصودة ، وأساس الاعتراض على التسمية الاخيرة هو انها بنيت على اساس الرسم ، اما التسمية التي يقترحها : التخطيط غير المتحكم به ، فانه يبنينا على اساس نمو الطفل الذي لا يستطيع التحكم في عضلاته . ( راجع البسيوني ، المرجع نفسه ، ص ٤٧ - ٤٨ ) .
- ٣٠ - حركة موجية ، بندولية ، نمط من التخطيط يتضمن قدرة عقلية اولية على التخطيط اكثر انتظاما مما قبلها .
- ٣١ - تتضمن هذه الخطوط ، حركة دائرية ، روحية ، ثم يصيها شي من التنوع بادخال الخطوط عليها . وهي تمهد لحركات قصيرة تتمثل في تقطع الخطوط واتجاهها نحو الرموز .
- ٣٢ - تخطيطات مقيدة - شبه رمزية . محاولة للطفل لتعبير باشكال رمزية ذات طابع فطري جدا .
- ٣٣ - رسم الارقام ، الحروف الهجائية ، الاشكال الاولية للموجودات ، تكرار رسم الاحرف ، الارقام ، الاشكال الفطرية من مميزات هذه المرحلة . ( التكرار ، الرصف ، التصنيف . الخ )
- ٣٤ - لا تتميز هذه الرسوم من حيث نمطها ، تتميز من حيث شكل الاحرف العربية عن اللاتينية مثلا في رسوم الاطفال . غير ان اساس هذه الرسوم واحد في رسوم الاطفال في العالم .
- ٣٥ - اي ان اطفالنا ليسوا فقط ، يعانون من

- ١٨ - البسيوني : المرجع نفسه ، ص ٦٩ .
- ١٩ - حسب احصاءات الامم المتحدة يبلغ عدد سكان مخيم البقعة ٢٠ ٣١٠ مواطنين ، وهناك تارجون لا يقيمون في المخيم ولكن يقصدونه للحصول على حصصهم ، بذلك يصبح العدد ٥٢ .٧ ، خصوصا ، ( جرار شاليان : المقاومة الفلسطينية . دار الطليعة . بيروت ١٩٦٩ ) .
- ٢٠ - احصاءات التعليم في مخيم البقعة : يوجد ٥١ صفا ابتدائيا للفتيان ٣٥ للفتيات ، و ١٥ و ٦ صفوف اعدادية ، و ٢٦٧١ طالبا و ١٧٢٢ طالبة ابتدائية و ٦٤٨ طالبا و ٣٣٠ طالبة اعدادية ، و ٨٩ مدرسا و ٤٧ مدرسة ( شاليان ، المرجع السابق ، ص ٥٩ - ٦٠ ) .
- ٢١ - يلاحظ ذلك بوضوح مع تلامذة الثاني الابتدائي ، ومع باقي الاطفال بصورة عامة .
- ٢٢ - لاحظت ان المعلمين لم يكونوا مقتنعين ذهنيا وذوقيا برسوم الاطفال التي تعطي الطفل تسطا وانرا من الحرية . ربما لانها تخرج الاطفال من نطاق المعايير الفنية القديمة ، التي كان يوسع المعلم ، على اساسها ، ان يضع مقاييسا « لجودة الرسم » ، اما في تجربة مثل هذه فان المعلم يجد نفسه غير مهيا للحكم على انتاج الطفل او توجيهه . والمسؤول طبعا هو ثقافة المعلم ، يفترض في مثل هذه الحالات ان يعاد تأسيس ثقافة المعلم على أسس تربوية جديدة .
- ٢٣ - مثل رسم الفواكه التي - لسوء حظ الاطفال - لا يرونها الا في النماذج المصورة .
- ٢٤ - تضمنت هذه الرسوم ارثا تربويا تقليديا من جهة ، وقلة تعامل مع الالوان من جهة ثانية ، تتطلب الخبرة الاولية فهم خصائص اللون وكيفية استعماله ، علاقة خامة اللون مع لون الورق .
- ٢٥ - طبعا ، لم يترك الحبل على غاربه ، انها اصبح معيار تقييم الرسوم على اساس فهم اهتمامات الطفل ودرجة نموه وخبرته وتوعيه الموضوع المعالج اي مدى سهولته او صعوبته .
- ٢٦ - على سبيل المثال راجع Johnson, Ronald C. & Medinnus, Gene R: *Child Psychology (Behavior and Development)* John Wiley and Sons, New York, 1965, pp. 47-49.
- ٢٧ - راجع احصاء عن رسم تفاصيل الجسم الانساني بين جودانف وبارترودج ، البسيوني ،

ص ٣٩ .  
 ٤٢ - جارودي ، روجيه : المرجع السابق ، ص ٤٠ - ٤١ .  
 ٤٣ - ريد ، هربرت : معنى الفن ، ترجمة مساهم خشبة (القاهرة ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٨) ص ٦٤ .  
 ٤٤ - هويسان ، دنيس : علم الجمال «الاستطيقا» ترجمة : اميرة حلمي مطر ، مراجعة : الدكتور احمد فؤاد الاهواني . ( القاهرة - دار احياء الكتب العربية . ١٩٥٩ ) ص ٧٤ .  
 ٤٥ - ريد ، هربرت : المرجع السابق ، ص ٧٥ - ٧٨ . راجع للمؤلف نفسه التربية عن طريق الفن .

القهر القومي (الاحتلال ونتائج) وانما من ثمر انساني ينطوي عليه التخلف العام للمجتمع ، الذي من آثاره فساد وتأخر المؤسسات التربوية عوضا عن ضالتها ، الى حرمان الاطفال من سمات الطنولة المعرونة .  
 ٣٧ - مجلة الطريق ( اللبنانية ) عدد ١١ - ١٢ سنة ١٩٦٩ .  
 ٣٨ - من حديث مع الشاعر محمود درويش : مجلة الطريق اللبنانية عدد ١١ - ١٢ ١٩٦٩ .  
 ٣٩ - الطريق ، المرجع نفسه .  
 ٤٠ - جارودي ، روجيه : واقعية بلا ضفاف ، ترجمة حليم طوسون ، مراجعة فؤاد حداد ، دار الكاتب العربي - القاهرة ( ١٩٦٨ ) ص ٣٩ .  
 ٤١ - جارودي ، روجيه : المرجع السابق ،

صدر حديثا عن مركز الابحاث

**الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة**

بعد عدوان ١٩٦٧

بقلم

تيسير النابلسي

بالعربية

٣.٠.٠.٠

## ثورة الشيخ عز الدين القسام

عادل حسن غنيم

كانت قيادة الحركة الوطنية في فلسطين طوال العشرينات تعتقد أن الصهيونية وليس الاستعمار هي العدو الاول الذي ينبغي على الشعب العربي في فلسطين مواجهته ، وأنه ينبغي التخلص منها اولا حتى يمكن التفاهم مع الانتداب ، وظلت قيادة الحركة الوطنية في فلسطين طوال تلك السنوات تأمل خيرا في بريطانيا ، وتتوقع منها في نهاية الامر ان تستجيب لمطالب البلاد وتتخلى عن سياستها التهودية ، غير مدركة لحقيقة العلاقة التي تربط الاستعمار بالصهيونية .

وتحدث تغييرات هامة خلال سنوات النصف الاول من الثلاثينات ، لكن تلك التغييرات لم تكن تغييرات في الاهداف السياسية للحركة الوطنية ، بل كانت تغيرات في اساليب الحركة الوطنية ووسائلها ، فمع تدفق اعداد المهاجرين الصهيونيين الى فلسطين في تلك السنوات ، ومع زيادة امتلاك الصهيونية للأراضي الزراعية ، ومع ازدياد نضج عرب فلسطين سياسيا وادراكهم لحقيقة الاستعمار وفهمهم لمناوراته واساليبه ، تنبعث الدعوة قوية الى اتباع سياسة اخرى غير سياسة الاحتجاجات والوسائل السلمية ، فتبدل محاولات للحفاظ على الارض العربية وبناء اقتصاديات البلاد ، ويساهم الشباب بنور واضح في ميدان الحركة الوطنية ، وتنظم الدوريات لمراقبة الشواطئ منعا للهجرة غير القانونية ، وترتفع رايات الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطاني ، وتتشكل في تلك الفترة جماعات سرية نضالية آمنت بالكفاح المسلح طريقا لمكافحة الاستعمار والصهيونية ، وكان أهم تلك الجماعات جماعة الشيخ عز الدين القسام رائد الكفاح المسلح في فلسطين في وجه بريطانيا .

والشيخ عز الدين القسام سوري الاصل ، ولد في بلدة جبلة التابعة لقضاء اللاذقية عام ١٨٧١ ، ونشأ في بيت من بيوت العلم والادب ، وبعد أن درس العلوم الابتدائية أرسله والده الى الأزهر الشريف حيث تلقى عن الإمام الشيخ محمد عبده ، ثم عاد الى بلده بعد سنوات عديدة ، وعكف على التدريس في جامع السلطان ابراهيم بن ادهم ، ولم يكف بنشر العلم بل شارك في حركة الجهاد ، فانضم الى عصبة عمر البيطار ، ثم اشترك مع صالح العلي في ثورته ضد الفرنسيين في شمال سوريا ( ١٩٢٠ - ١٩٢١ ) ، وأرسلت اليه السلطة العسكرية رسولا يعد بتوليته القضاء وبذل العطاء له ، فردد الرسول خائبا وحكم عليه الديوان العرفي في اللاذقية بالاعدام . ثم التجأ الى حيفا في الخامس من شهر فبراير ١٩٢٢ واستوطن فيها وتولى التدريس في جامع النصر ( ذكرت مصادر قليلة أنه كان ايضا خطيبا لجامع الاستقلال في حيفا ) . كما أسس مدرسة ليلية لتعليم الاميين من العرب (١) . وكانت حيفا عندما هبط بها الشيخ القسام سرية النبو في عمرائها ، فهي مرفأ فلسطين الاول واقرب مدنها الى لبنان ودمشق ، وهي بلدة متعددة الاقوام والجنسيات ، وهي قاعدة من قواعد التهويد مما

اسبغ عليها حساسية خاصة . ووجد القسام في جمعية الشبان المسلمين التي تألفت في حيفا عام ١٩٢٧ فرصة لتوسيع نطاق علاقاته بالناس ، فكان رئيسها وحامل لوائها ويقول رشيد الحاج ابراهيم « لعل القسام هنا بدأ في ممارسة ما كانت نفسه تتوق اليه ، وهو ان ينشئ عصابة بعد عصابة من اهل الايمان بهدف الثورة يوما ما » . واداء بالقسام بعد عدة سنوات يكون عصابة سرية شرطها الاساسيان ان يقتني العضو السلاح على حسابه الخاص وان يتبرع بما يستطيعه لهذه العصابة ، وكان بعض افراد هذه العصابة من جمعية الشبان المسلمين وبعضهم الاخر من خارج هذه الجمعية (٢) .

وكان الشيخ القسام ذا شخصية جذابة ، حسن السيرة والمعاشرة ، محدثا لبقا وخطيبا بارعا ، وابندا يخرج الى القرى منذ عام ١٩٢٩ عندما عين مأذونا شرعيا من قبل المحكمة الشرعية فكان بمقتضى هذه الوظيفة يحضر حفلات الاعراس ، مما اعطاه فرصة لدراسة نفسيات الجماهير ، وكان القسام يتصل بسائر طبقات الشعب لا فرق بين متدين وغيره ، اعتقادا منه ان اصلاح المستهترين اولى من اصلاح غيرهم ، وكان هذا الاسلوب محل انتقاد موجه اليه من بعض الشخصيات ، حتى انه جرت بينه وبين بعض المثقفين مناظرات في هذا الصدد ، مثل تلك التي حدثت مع الشيخ صالح الحوراني ، فكان يفحم خصومه ، وقد ذكر الكثيرون من اخوان الشيخ القسام انه كان يرافف المسلمين وهو يخطب فوق منبر المسجد ، ويدعو من يتوسم فيه الخير والاستعداد الى زيارته في منزله ، وتتكرر الزيارات حتى يقنعه بالعمل لانقاذ فلسطين مما يهددها من أخطار ، ضمن مجموعات سرية صغيرة لا يزيد عدد افراد كل منها عن خمسة افراد ، وكان القسام يستعين على قضاء حوائجه بالكتمان ، فكان لا يبوح بالسر الكبير الذي يحمله وهو الدعوة الى الثورة لمنع اقامة وطن قومي يهودي في ارض فلسطين الا لاشخاص قلائل بعد ان يدرس نفسياتهم دراسة كافية لمدة قد تطول عدة سنوات . واستمر القسام يعمل بكل الوسائل لتأسيس نواة صالحة من عرب فلسطين ، بهيئته للانطلاق في الوقت المناسب نحو الثورة (٣) .

وكان القسام يحس بخطر الاستعمار والصهيونية ، فكان يدعو الى اتحاد الكلمة ولم الشعب وكان يبث روح الوطنية في النفوس ، داعيا الى الوحدة مناديا بالعودة الى تعاليم السلف الصالح ، منددا بالفرقة منذرا قومه بعواقب الشقاق والتمزق (٤) . وانفق مع بعض الخالص من اصدقائه على حمل راية الثورة ، وتعاهدوا على ان يقدموا حياتهم فداء على مذبح الوطن ، ليعطوا لابناء امتهم درسا بليغا في التضحية (٥) . وكان القسام ينتقي اصحابه من اهل الدين والعقيدة الصحيحة ويقوم بتدريبهم في رحلات ليلية ، كما كانوا يقومون بحركات استطلاعية يتمرنون في اثنائها على اصابة الهدف (٦) . وبروي صبحي ياسين ان القسام كان يقسم اخوانه الى عدة وحدات عسكرية منظمة : وحدة خاصة بشراء السلاح ووحدة للتدريب العسكري ووحدة للتجسس على البريطانيين والصهيونيين ووحدة للدعاية للثورة في المساجد والمجتمعات ووحدة للاتصالات السياسية ، وهذا كله برغم امكانياته المحدودة ورغم مراقبة السلطة لسائره تحركاته (٧) .

وكان القسام يهتم بنشر مبادئه الحرة بين العمال والفلاحين والباعة الذين كانوا يحضرون دروسه (٨) . كما كان متصلا بأوساط العمال في حيفا ، وكانت روحه وعظاته منسجمة مع فكرة الجهاد ووجوبه ، وكان بارعا في الوعظ نافذا به الى اعماق النفوس . وتكونت حوله حلقة جهادية متدينة من هذه الطبقة (٩) . وكان القسام يلوم العلماء على تهاونهم في الدعوة الى الجهاد وحملهم مسؤولية الوضع الجائر الذي كانت تنوء فلسطين تحت اثقاله ، وكان يردد على شفتيه في كل مناسبة آيات من كتاب الله تتعلق بالجهاد والاستشهاد (١٠) . ولم يكن الشيخ القسام بالمتسرع او المنذم ، فقد جاوز الستين من عمره ، كما انه زوج واب لبضع بنات واطفال صغار ، وهو فوق ذلك عالم مفضل

وشيخ جليل القدر ، فهو والحالة هذه ، رجل عاقل مسئول يدرك ماذا يصنع ويفهمه كل الفهم (١١) . وكان القسام يؤمن بأن عرب فلسطين اذا شاءوا ان يحيوا في بلادهم ويدروا عنها الخطر الاستعماري والصهيوني فعليهم ان يبادروا الى ذلك معتمدين على انفسهم فقط ، غير منتظرين ان تهبط عليهم النجدات من السماء او تأتي اليهم من وراء الحدود ، لانه كان يدرك ان كل بلد عربي لديه ما يشغله من مشاكله الخاصة او يمنعه من تقديم المساعدة والعون لعرب فلسطين (١٢) .

ويحدث بعد انتفاضة البراق عام ١٩٢٩ انقسام داخلي في حلقات الشيخ القسام ، فقد انشق عدد من اخوانه على رأسهم أبو ابراهيم الكبير (خليل محمد عيسى) نتيجة لعاملين : العامل الاول هو أنهم رأوا ان الوقت قد حان لاعلان الثورة حيث يرون الخطر يهدد كيان البلاد ، ولم يكن الشيخ القسام موافقا على ذلك حيث ان الاعداد للثورة لم يكن قد اكتمل بعد . والعامل الثاني هو رغبة المنشقين في جباية الاموال اللازمة للثورة من الشعب بكل وسيلة ممكنة ، بينما كان القسام يميل بل يصر على الانتظار وعدم استعمال العنف خوفا من الانقسامات الداخلية ، وأن الشعب سيؤيد الثورة بكل امكانياته بعد قيامها . وقد ظل امر هذا الخلاف غير معروف للحكومة اكثر من خمس سنوات ، ودل على تقدير رجال هذه العصبة لرسالتهم حتى وان اختلفوا على الوسائل والتفاصيل . وقد ظل المنشقون بعد ذلك يعملون سرا ضمن مخطط القسام الثوري .

وفي السنوات التي تلت انتفاضة البراق عام ١٩٢٩ كان نفر من الشباب المتحمس من اخوانه يرغب في التعبير عن شعور السخط على سياسة تهويد فلسطين بقتل من يمكن قتله من الصهيونيين . وفي عام ١٩٣٣ تمكن أحمد الغلاييني من صنع قنابل الغام في معمله بمدينة حيفا ، واعطى ما صنع منها وعدده قنبلتان الى الحاج صالح احمد طه من قرية صفورية ، وكان لدى الحاج صالح ثلاث بنادق حربية ، فكان يذهب في بعض الليالي الى المستعمرات الصهيونية الواقعة في مرج ابن عامر مع الشيخ احمد التوبة ومصطفى علي الاحمد ويطلق النار على من يجد من الصهيونيين . وعندما تمكن احمد الغلاييني من صنع القنابل استلمها الحاج صالح وذهب مع بعض اخوانه ، ووضعوا اول قنبلة في مسكن اربعة حراس صهيونيين في مستعمرة نهلال « الواقعة بين حيفا والناصره قرب قرية المجيدل » فقتلت القنبلة اثنين وجرحت آخرين ، ولم يكشف سر القنبلة الا بعد ثلاثة اشهر بالرغم من جهود رجال الشرطة . فقد اكتشف الحادث عندما قامت قوة من رجال الشرطة بتطويق قرية صفورية وصادرت بندقية حربية وقنبلة ماثلة للقنبلة التي القيت في نهلال في منزل مصطفى الاحمد الذي استعملت معه سائر وسائل التعذيب الوحشية حتى اعترف بالحادث تفصيلا ، فاعتقل احمد الغلاييني صانع القنبلة و ابراهيم احمد طه واحمد التوبة وآخرون منهم خليل محمد عيسى ( ابو ابراهيم الكبير فيما بعد ) وجرت محاكمتهم حيث حكم على مصطفى علي الاحمد بالاعدام ونفذ الحكم فيه ، وحكم بالسجن خمسة عشر عاما على صانع القنبلة احمد الغلاييني وبريء الآخرون (١٣) . ويروي عجاج نويهض ان الغلاييني حكم عليه بالسجن عشر سنوات مع الاشغال الشاقة ، وأنه بقي في السجن حتى عام ١٩٤٤ ، وأنه تابع نشاطه الوطني بعد الافراج عنه .

وقد تبع ذلك محاولتان اخريان محدودتان قام بهما رجال القسام على سبيل التجربة ، الاولى في مستعمرة عثليت عندما فاجأوا الصهيونيين وقتلوا عددا منهم ، والثانية قرب قرية « الياجور » عندما تصدوا لسيارات كثيرة كانت تنقل العمال الصهيونيين من مستعمرة الى اخرى وقضوا على عدد منهم (١٤) . وقد اشار التقرير السنوي لحكومة الانتداب لعام ١٩٣٥ الى ان الحكومة كان لديها شك كبير في أن لعصابة الشيخ القسام علاقة بالاعمال الارهابية التي حدثت خلال السنوات السابقة (١٥) . وكانت تلك المنظمة تعمل في طي الكتمان ، فلم يكن يعرف من كان يقوم بتلك الاعمال غير نزر يسير من الوطنيين ، ولكن لم يلبث الشيخ القسام وعصبته ان قرروا القيام بأعمال الجهاد علانية

لرفع معنويات الجماهير العربية و ابرازا للاهداف التي يجاهدون في سبيل تحقيقها ، واحباطا للدعاية المادية التي كانت تحاول اظهار اعمال القساميين بأنها اعمال اجرامية ، وانهم لم يكونوا سوى عصابة للسلب والنهب(١٦) . فعندما اشتد خطر الهجرة الصهيونية وانكشف أمر تسلح الصهيونيين سرا بمساعدة السلطات البريطانية، أصبح الوضع السياسي لا يحتمل مزيدا من التأجيل ، وتقرر البدء بالتحرك من أجل الثورة في الاراضي الجبلية ، وعقد اجتماع في مدينة حيفا مركز الثورة الرئيسي في منزل محمود سالم المخرومي ليلة الثاني عشر من نوفمبر ١٩٣٥ (١٧) . وباع أصحاب القسام حلى زوجاتهم وبعض اثاثهم ، واشتروا بثمنها رصاصا وبنادق ، ثم قصدوا جبال يعبد القريبة من مدينة حيفا : بل القريبة من مرسى الاسطول البريطاني ، غير عابئين بقوة بريطانيا المسلحة . وهذا يدل على أن القوم كانوا يعرفون مصيرهم ، وانه الشهادة في سبيل الله(١٨) . ويؤثر عن رجال القسام ان كل واحد منهم كان يحمل في جيبه نسخة من القرآن الكريم الذي اتخذه قدوة لهم(١٩) . وكانوا يرون أن كل السعادة هي في بلوغ مرتبة الشهادة والانتقال الى الحياة الاخرى للتمتع بما اعده الله للمجاهدين والشهداء من نعم(٢٠) .

ويروي الاستاذ دروزة ان عدد الذين خرجوا مع القسام كانوا عشرة ، وهم : يوسف الزيباوي ( من قرية الزيب ) ، وحنيفة المصري ( من القطر المصري ) ، ونمر السعدى ( من غابة شفا عمرو ) ، وأسعد المفلح ( من قرية ام الفحم ) ، وحسن الباير ( من قرية برقين ) ، وأحمد عبدالرحمن جابر ( من قرية عنتبا ) وعرابي البدوي ( من قرية قبلان ) ، ومحمد يوسف ( من قرية سبسطية ) ، ومحمد الحلو ( من قرية حلحول ) ، ومعرف الحاج جابر ( من قرية يعبد ) ، وانهم دعوا اخوانهم الباقين للانضمام اليهم(٢١) . ومروا وهم في طريقهم الى غابات يعبد بمستعمرة عين حارود ، فتعرض لهم حارس المستعمرة الصهيوني فقتله يوسف الزيباوي(٢٢) . وكان مع كل واحد منهم بندقية وبلغ ضئيل من المال يستعين به على القيام بأوده ، وقد روى سكان قرية يعبد حيث كان القسام يربط بجماعته على مقربة منهم — انهم لم يسألوهم او يطلبوا منهم شيئا في يوم من الايام ، بل كانوا في النهار يأوون الى كهوفهم يصلون ويقرأون القرآن ، وفي الليل يخرجون الى القتال(٢٣) .

وقد ذكرت بعض المراجع العربية أن احد أفراد قوات الامن — وكان معروفا بأنه يعمل جاسوسا للسلطة المنتدبة — علم بالمكان الذي لجأ اليه القسام ورجاله ، فدل السلطة عليه(٢٤) . وسارعت السلطة الى قمع هذه الحركة الخطيرة قبل تفاقمها وأرسلت الى الاحراش قوة مختلطة من البريطانيين والعرب — تساعدها طائرات استكشافية — فطوقت العصابة التي لم يكن امامها بد سوى الدخول في المعركة الحاسمة قبل اوانها، رغم المفاجأة وعدم التكافؤ في القوة(٢٥) . وحين طلب من القسام أن يستسلم أجاب « اتنا لن نستسلم . ان هذا جهاد في سبيل الله والوطن » والتفت الى زملائه قائلا « موتوا شهداء »(٢٦) . وحين رأى في القوة المحاصرة عددا من الجنود العرب صاح في رجاله « ايكم ومقابلة رصاص الجنود العرب بمثله . . ولكن عليكم بالانجليز ، فاجعلوهم هدف رصاصكم » ، وعلى هذه القاعدة دارت المعركة(٢٧) . وبعد قتال استمر عدة ساعات انتهت المعركة باستشهاد الشيخ القسام وعدد من رفاقه وأسر الباقين ، وأصدرت السلطة بلاغا بالحادث نعتت فيه القسام وصحبه بالاشقياء(٢٨) .

ويروي التقرير السنوي لحكومة الانتداب لعام ١٩٣٥ أن حادث مصرع جاويش من رجال الشرطة كان يقتفي اثر حادث سرقة في تلال الناصرة يوم ٧ نوفمبر هو الذي أدى سريعا الى اكتشاف وجود عصابة مسلحة بقيادة الشيخ عز الدين القسام بالقرب من هذا المكان ، وانه بعد هذا الحادث بعدة ايام وقبيل اكتشاف عصابة الشيخ القسام صرع احد عساكر الشرطة بعد تبادل النيران مع احد رجال العصابة الذي قتل ايضا ، وانه



في يوم ٢٠ نوفمبر اطلق عيار مفاجيء على موقع به احد رجال الشرطة كان يقوم بعملية بحث في التلال الواقعة غرب جنين بعدة اميال ، وادى هذا العيار الى اكتشاف الموقع الرئيسي لعصابة القسام ، وانه في القتال الذي حدث بعد ذلك قتل اربعة من رجال العصابة واسر خمسة آخرون ثم قبض على احد افراد العصابة بعد ذلك ، وان العصابة كانت مسلحة تسليحا جيدا بالسلاح والذخيرة (٢٩) .

ومن الغريب ان هناك اختلافا بين المراجع العربية — حتى من عاصر منها هذا الحدث — في تحديد موعد هذه المعركة وعدد الذين استشهدوا مع الشيخ القسام . فيروي احد المراجع ان هذه المعركة كانت في يوم الاربعاء الموافق الحادي عشر من اكتوبر ١٩٣٥ ، وان عدد الذين استشهدوا مع الشيخ القسام كانوا اثنين فقط هما يوسف الزيباوي وحنيفة المصري ، وان اثنين جرحا هما نمر السعدي واسعد المفلح ، وان الاحياء قد اعتقلوا بما فيهم المجروحون ، وان احد الرجال العشرة الذين خرجوا مع الشيخ القسام استشهد قبل واقعة يعبد بيومين ، وان معروف الحاج جابر لم يشهد المعركة ، لكنه اعتقل بعد ذلك وحوكم باعتباره احد افراد العصابة (٣٠) . كما يروي مرجع آخر ان هذه المعركة كانت في اليوم الحادي عشر من اكتوبر عام ١٩٣٤ وليس عام ١٩٣٥ ، وان الذين استشهدوا مع القسام هما الزيباوي وحنفي ، وان المفلح والسعدي قد جرحا وقبض على الجرحى وعلى الباقين احياء (٣١) . بينما يروي مرجع ثالث ويتفق معه الاستاذ عيسى السفري (٣٢) والاستاذ نجيب صدقة في تحديد الموعد (٣٣) ، ان هذه المعركة كانت يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٣٤ وان الذين استشهدوا مع القسام كانوا اربعة لا اثنين وهم الشيخ يوسف عبدالله ومصطفى الزيباوي وحنفي عطية احمد واحمد ابو عطية احمد ، وان الجند قبضوا على الذين ظلوا احياء من رجال العصابة وهم الشيخ نمر السعدي وداود الخطاب ومحمود الزرعيني ومعروف الحاج جابر واسعد المفلح واحمد الحاج عبد الرحمن وعرابي بدوي (٣٤) . ويروي الاستاذ عمر ابو النصر ان المعركة كانت في الثلث الاخير من شهر نوفمبر ١٩٣٥ ، وان الذين استشهدوا مع القسام كانوا اربعة هم : الشيخ يوسف عبدالله ومصطفى الزيباوي وحنفي عطية احمد وحمد بو قاسم خلف وان الذين قبض عليهم من رجال القسام اربعة هم الشيخ نمر السعدي وداود الخطاب ومحمود الزرعيني ومحمود جابر (٣٥) .

ويروي صاحب « مجمع الاثار الاسلامية » ان المعركة حدثت يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٣٥ — ويتفق — معه في تحديد الموعد الاستاذ اكرم زعيتير (٣٦) . وانها انتهت باستشهاد ثلاثة من رجال الشيخ القسام هم : الشيخ يوسف عبدالله الزيباوي وحنفي عطية ومحمد ابو قاسم خلف (٣٧) . ويروي الدكتور احمد طربين ان المعركة حدثت في نوفمبر ١٩٣٥ وان اربعة من زملاء القسام استشهدوا وقبض على الباقين ، بينما قتل جندي بريطاني وجرح آخران (٣٨) . كما يروي مرجع آخر ان المعركة حدثت يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٣٥ (٣٩) . بينما يروي احد المراجع الصهيونية ان جماعة الشيخ القسام نشطت في تلال الجليل في بداية نوفمبر ١٩٣٥ ، وان ثلاثة من الجماعة قتلوا مع الشيخ القسام في المعركة ، وانه وجدت فوق جثثهم نسخ من القرآن الكريم (٤٠) . ولكن تتبع الاحداث يؤكد ان هذه المعركة حدثت في الاشهر الاخيرة من عام ١٩٣٥ ، وبالتحديد في ٢٠ نوفمبر ١٩٣٥ ، وقد تأكدت هذه الحقيقة من مراجعة الصحف اليومية العربية الصادرة في ذلك الوقت (٤١) .

واما عن تحديد عدد واسماء الذين خاضوا المعركة مع الشيخ عز الدين القسام ، وعدد واسماء من استشهدوا او اصيبوا فيها ، فهذا امر ما يزال يحتاج الى تحقيق لم تتوفر وسائله بعد ، وان كان هناك شبه اجماع بين المراجع العربية على ان من بين من استشهدوا في هذه المعركة محمد حنفي احمد ( المصري ) ويوسف الزيباوي . وهناك اختلاف بين الصحف المصرية في تحديد اسم المصري الذي استشهد مع الشيخ القسام . فتروي جريدة المقطم ان اسمه هو « السيد قاسم المصري » (٤٢) . بينما تروي جريدة

الاهرام ان اسمه « السيد احمد عطية » من سكان القاهرة ، وانه كان يقيم في حيفا قبل ذلك باثنتين وعشرين عاما ، وانه كان يشغل وظيفة « ورديان » في جمر حيفا ، وانه كان زوجا و ابا لثلاث بنات صفيرات (٤٣).

تبقى بعد ذلك نقطة اخرى ما تزال تحتاج الى تحقيق ، وهي ما ذكرته بعض المراجع العربية (٤٤) من ان القسام كان ينوي احتلال حيفا واعلان ميلاد ثورة شعبية كبيرة . وان كنت ارى على ضوء تطور الاحداث ان ذلك لم يكن امرا مطروحا — على الاقل في تلك المرحلة — وان تنفيذه كان يحتاج الى مزيد من الرجال ومن العتاد ومن التهينة الشعبية اللازمة التي لم تكن قد توفرت بعد بالقدر الذي يجعل هذا الهدف امرا قابلا للتنفيذ في ذلك الوقت . وقد اثارت هذه المعركة عواطف ابناء فلسطين والهبت مشاعرهم ، فتقابلوا بمظاهر جياشة من الاكبار ، حتى خشيت السلطة من ذلك ، فسلمت جثث الشهداء لذويهم وأغمضت العين عن الاحتفال بدفنهم (٤٥) . وقد نعى الشيخ عز الدين القسام وصحبه من مآذن المسجد الأقصى ومساجد فلسطين ، وصلى الناس عليهم في كل مكان صلاة الغائب (٤٦) . وسار موكب الجنازة مجلا بالاعلام السورية والمصرية والعراقية والسعودية واليمينية (٤٧) . وقد حضر الجنازة جمهور كبير من المواطنين ، وحيث الصحافة العربية الشيخ القسام كشهيد للوطن والعقيدة . « ايها الصديق العزيز والشهيد . لقد سمعتك تعطف فوق منصة ، مستندا الى سيف ، اما اليوم وانت في جوار الله ، فقد أصبحت في مانتك اكثر عظة عما كنته في حياتك » (٤٨) . وقد اغلقت مدينة حيفا في ذلك اليوم ، وصلى على الشهداء في المسجد الكبير ، وانقلبت الجنازة الى مظاهرة وطنية هاجمت فيها الجموع دائرة الشرطة فحطمتها ، كما حطمت نوافذ المحطة ، واصيب عدد من رجال الشرطة البريطانيين ، ولولا ان لزمته السلطة الصمت وسحبت جنودها لتطور الامر الى درجة كبيرة (٤٩) . وابت الجماهير الا ان تشيع الشيخ عز الدين القسام الى مقره الاخير في قرية الياجور التي تبعد عن حيفا نحو عشرة كيلومترات . سارتها على الاقدام حاملة نعش الشهيد ، فكان مشهدا رائعا من مشاهد الوطنية الحقة (٥٠) . وغلظ اهل فلسطين الى الغرض الذي اراده القسام باستشهاده ، فاحتفلت حيفا في اوائل يناير ١٩٣٦ بتأبينه وتأبين رفاقه بمناسبة مرور اربعين يوما على استشهادهم احتفالا رائعا (٥١) .

ولم يفت الشعر الوطني ان يعبر عن هذه الحادثة ، فهذا هو الشاعر عربوس يردد :

من شاء نلبأخذ عن القسام	أتموذج الجندي في الاسلام
وليتخذها اذا اراد تخلصا	من ذله الموروث خير امام
ترك الكلام ورفعه لهواته	وبضاعة الضعفاء محض كلام
او ماترى زعماءنا تعد اتخذوا الـ	آذان قسولا ايها اتخام
كنا نظن حقيقة ما حبروا	فأذا به وهم من الاوهام (٥٢)

وجرت يوم ١٩ أكتوبر ١٩٣٦ محاكمة عصبة الشيخ القسام ، فحكم على كل من احمد الحاج عبد الرحمن وحسن باير وعرابي بدوي بالسجن اربعة عشر عاما مع الأشغال الشاقة ، واسعد المفلح والشيخ نمر السعدي وداود علي الخطاب ومعروف الحاج جابر بالسجن سنتين (٥٣) . وتضيف بعض المراجع اسما آخر الى الذين حكم عليهم بأربعة عشر عاما وهو محمد يوسف ، وان المحكمة اوصت بمعاملة المحكوم عليهم معاملة خاصة وأن يعتبر تاريخ سجنهم من يوم ٢ مارس ١٩٣٦ (٥٤) . وقد أعلن رجال القسام امام المحكمة والقاضي البريطاني انهم خرجوا لقتال البريطانيين لا اليهود (٥٥) .

اما الجاسوس الذي وشى بعصبة الشيخ القسام وهو احمد نايف ، فقد اغتاله المجهدون في حيفا قبيل محاكمة جماعة المجاهدين (٥٦) . واما الذين ساعدوا في القبض على المجاهدين او شهدوا زورا اثناء محاكمتهم ، فقد اغتالهم المجهدون في اوائل عام ١٩٣٧ (٥٧) . وكان القساميون قد لجأوا في تلك الفترة الى الاغتيالات الفردية لارهاب

الجواسيس وسماسة الاراضي ، فاغتالوا كثيرين كان في مقدمتهم الضابط حليم بسطه مدير القلم السياسي في شرطة حيفا ، وكانوا قد هاجموا في المرة الاولى واطلقوا عليه الرصاص فجرحوه ، فهاجموه بعد ذلك في رابعة النهار ، ورموه سبع عشرة رصاصة استقرت في جسده ، ولم يبرحوا المكان حتى تركوه جثة هامدة ، ثم انصرفوا دون أن يتعرض لهم احد او تعرف اسماؤهم (٥٨) .

وكان لاستشهاد الشيخ القسام وتلاميذه وللرصاصات التي اطلقوها صداها الطيب في نفوس عرب فلسطين ، فأيقظتهم من غفلتهم ، وافهمتهم أن لسان القوة هو اللسان الوحيد الذي يجب أن تخاطب به السلطة المنتدبة ، وأن لغة الرصاص هي اللغة الوحيدة التي تفهمها (٥٩) . وبرهن القسام على أن الكفاح المسلح والايان الوطني الصحيح هما الطريق لمقاومة المستعمر البريطاني والحركة الصهيونية ، فاستيقظت فلسطين على استشهادها . ورغم أن المعركة لم تأخذ وقتا طويلا ، لكن أثرها كان من حيث الروح لا المقدار ، ومن حيث الكيف لا الكم . فقد دل القسام الجماهير على الطريق رغم ادراكه لقوة بريطانيا ، وقائل السلطة بعدد قليل من الرجال ليحيي في النفوس روح الثورة (٦٠) . وخرج بنفسه في اول معركة ليضرب المثل للجماهير ، ويعلم الثوار كيف تكون القدوة الحسنة والنموذج الصالح . وكان ما فعله القسام ابلغ رد على سياسة زعماء فلسطين التقليديين ، فلقد ثقف ونظم وقاتل حتى مات شهيدا ، غير آبه لجاه او زعامة ، وكانت سيرته مثلا للكفاح والنداء ، وكان المنهج الذي نهجه يخيف الزعامات ، لانه لا يكشفها فقط ، بل يهددها بفقدان زعامتها ، لهذا فان الزعامات حرصت على عدم الاستفادة من الجو المتوتر الذي تولد عن بدء المقاومة ، كما ان الزعماء لم يحضروا جنازة القسام ، على الرغم من أن أكرم زعيتر — من رجال حزب الاستقلال — دعا الزعماء الى الاشتراك في تشييع الجنازة ، وكانت البرقيات التي ارسلوها باهتة باردة ، ولم يكتفوا بهذا ، بل أنهم اجتمعوا بالندوب السامي قبل ان يمضي اسبوع على وفاة القسام ، وقدّموا له مذكرة حددوا فيها مطالب البلاد واعطوه مهلة شهر للاجابة عليها (٦١) .

وبذلك يكون الشيخ القسام اول من عمل عملا مركزا للثورة ، وزرع بذور الحقد على الاستعمار البريطاني في فلسطين ، وترك عشرات من رجاله يقومون بالدور البارز في الثورة التي اندلعت في فلسطين خلال الاضراب الذي بدأ في فلسطين في النصف الثاني من ابريل ١٩٣٦ (٦٢) . والذي كان هذا الحادث من حوافرها النفسية القوية (٦٣) . حتى أن بعض المراجع العربية تعتبر أن ثورة ١٩٣٦ قد بدأت يوم خرجت حيفا بشيوخها وشبابها ونسائها تضطرب في موجة حزن ، حاملة اعلامها وراياتها مودعة للشيخ القسام وصحبه الشهداء (٦٤) . واعتبر مصدر آخر هذا الحدث مقدمة لثورة ١٩٣٦ (٦٥) .

وقد أزعج القسام السلطة المنتدبة حتى بعد موته ، فقد استدعى مدير المطبوعات أصحاب الصحف ورؤساء تحريرها ، وحظر عليهم كتابة شيء عن القسام وهدد بمحاكمتهم وتعطيل صحفهم ، لكن السلطة سرعان ما رأت روح القسام تنتشر في الشعب كله خلال الاضراب الكبير الذي حدث بعد استشهاد القسام بعدة أشهر والذي دام ستة أشهر كاملة .

وقد تابع رجال القسام رسالة قائدهم حتى قبيل اضطرابات ١٩٣٦ ، ففي اليوم الثاني من استشهاد الشيخ القسام خرج الشيخ فرحان السعدي احد مريديه مع جماعة من الانصار الى جبال صفا ورابط هناك (٦٦) . وفي الخامس عشر من ابريل ١٩٣٦ قامت جماعة من اخوان القسام بقيادة الشيخ فرحان السعدي والسيد محمود ديراي بالهجوم المسلح على السيارات الصهيونية بطريق نابلس — طولكرم ، وقتلوا ثلاثة منهم وجرحوا آخرين ، واختفوا عن الانظار ليعيدوا الكرة من جديد ، واخذت الجماهير تفكر في الثورة المسلحة ، وبدأ اخوان القسام من العلماء ، يحرضون الشعب على القتال ، وكان للعالم الشيخ

كامل القصاب وزملائه دور بارز في هذا الصدد (٦٧).

وفي ختام حديثي عن ثورة الشيخ القسام ، اود ان اناقش ثلاث نقاط هامة هي : هل كانت هذه الثورة تضم قطاعات معينة من المواطنين ام كانت تقتصر على قوى معينة ؟ وهل استطاعت ان تجند عددا كبيرا من المواطنين ؟ وهل كانت هذه الثورة تابعة او مرتبطة بحزب معين ؟ .

**اولا** — ان الذي يستوقف النظر في دعوة الشيخ القسام انها اقتضت على طبقتي العمال والفلاحين وحدهم ، فلم تتجاوزها الى المثقفين او الى غيرهم من طبقات المجتمع وعناصره . بل انه يقال ان اصحاب القسام بعد استشهاده كانوا يابون انضمام احد من الافندية او غيرهم من الضباط المدربين الى حركتهم ، مفضلين ان يتحملوا وحدهم عبء النضال . ويرجع الاستاذ امين سعيد ذلك الى ان القسام كان يرى الخير في ان تكون حركته قاصرة على طبقتي العمال والفلاحين ، لانها اخلص الطبقات واكثرها انقيادا واستعدادا للبذل والتضحية (٦٨).

**ثانيا** — أما عن عدد الذين استطاعت ان تجندهم ثورة الشيخ القسام ، فهناك اجماع على ان عددهم كان قليلا عند استشهاده . فقد ذكرت بعض المراجع ان عددهم ربما بلغ الخمسين (٦٩) . وذكر الاستاذ صبحي ياسين ان بعض اخوان القسام رويوا له ان عدد المجاهدين الذين اعددهم القسام للجهاد بلغوا في عام ١٩٣٥ مائتي مجاهد (٧٠) . بينما قدرهم الاستاذ امين سعيد بالمئات (٧١) . لكنني اعتقد ان ثورة الشيخ القسام على قلة عدد رجالها وصغر حجم المعارك التي خاضوها خلال عام ١٩٣٥ ، كانت معنى اكثر منها كميًا ، وكانت رمزا للحركة الثورية التي ستسود فلسطين بعد عدة اشهر ثم تبلغ أوجها خلال ثورة ١٩٣٧ — ١٩٣٩ .

**ثالثا** — أما بالنسبة لتبعية الشيخ القسام او ارتباطه بحزب معين ، فهناك اختلافات متعددة في هذا الشأن . فقد ذكر الاستاذ دروزة ان القسام كان من الذين انتسبوا الى حزب الاستقلال في حيفا ، وانه كان على صلة وثيقة ببعض اركانها (٧٢) . وانه كان لبعض زعماء الحركة الوطنية صلات مع التشكيلات الجهادية قبل ثورة ١٩٣٦ ، وان من هؤلاء الحاج امين الحسيني ومحمد عزة دروزة ومعين الماضي وصبحي الخضرا ورشيد الحاج ابراهيم (٧٣) . بينما ذكرت مصادر الهيئة العربية العليا ان القسام كان عضوا في لجنة الحزب العربي التنفيذية ، وانه كان اكثر رجال الحزب العربي الفلسطيني اتصالا بالمفتي وتعاوننا معه ، وانه انصرف الى حركته بناء على اتفاق مع رجال الحركة الوطنية وتأييدهم له ، وانه تمت في خريف ١٩٣٥ مباحثات سرية بين القسام وزملائه وبين المفتي ورجال الحركة الوطنية بالقدس ، انتهت بالاتفاق على انتهاج خطة معينة في مقارعة الاعداء (٧٤) . وأشارت مصادر اخرى الى ان القسام لم يكن مؤمنا بأي حزب ، ولم يكن مرتبطا بأية جهة على الاطلاق (٧٥) . بل ان احد المصادر ذكر ان القسام اجتمع مع الحاج امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى حينذاك عدة مرات ، طالبا منه تعيينه واعطا عاما متنقلا ، حتى يتمكن من الاتصال بسائر طبقات الشعب في المدن والقرى ومضارب البدو للاعداد للثورة ، غير ان الحاج امين اعتذر له قائلا « اننا نعمل لحل القضية سياسيا » وان القسام عندما قرر القيام بثورته ، ارسل احد اخوانه ( محمود سالم ) الملقب بأبي أحمد القسام الى الحاج امين الحسيني ، يخطره عن عزمه القيام بثورة في فلسطين للقضاء على فكرة الوطن القومي اليهودي ، وكان ذلك قبل حركة القسام بأشهر قليلة ، وان رسول القسام اتصل بالمفتي بواسطة الشيخ موسى العزراوي احد اعوان الحاج امين واعلمه برغبة القسام ، وهي ان يسرع الحاج امين في الاعداد للثورة في جنوب فلسطين ، على ان يعد القسام للثورة في شمال فلسطين ، فأجابه الحاج امين بواسطة العزراوي « ان الوقت لم يحن بعد لمثل هذا العمل ، وان الجهود السياسية التي تبذل تكفي لحصول عرب فلسطين على

حقوقهم « ويضيف المصدر نفسه ان القسام كان يقاوم بشدة انفاق اموال الاوقاف في تشييد الابنية ( فندق الاوقاف بالقدس ) وتزيين المساجد بما فيها المسجد الاتصى نفسه ، لان اعداد الشعب للجهاد وتسليحه لخوض المعركة افضل واحق من الامور الشكلية التي يمكن انجازها في اوقات اخرى اكثر مناسبة ، خاصة وان المبالغ التي انفتحت في ذلك تدرت بمئات الالوف من الجنيهات الاسترلينية التي كان بالامكان تسليح خمسة الالف مقاتل بها آنذاك ، لكنه لم يؤخذ بهذا القول (٧٦) .

وقد تصدت نشرة « فلسطين » التي تصدرها الهيئة العربية في بيروت لهذا القول فنشرت بياننا لايوان القسام ردوا فيه على ما جاء بالمصدر السابق ، واعلنوا ان الشيخ القسام وجميع اخوانه وزملائه وتلامذته كانوا يعملون بتعاون تام مع مفتي فلسطين وبتفاهم معه ، وبتوجيه وتأييد منه ، وان المرحوم الشيخ كامل القصاب كان هو الوسيط الوحيد بين المركز الرئيسي للمجاهدين القساميين وبين المفتي ، وانه كان يسافر الى القدس بين فترة واخرى ، ويعود حاملا للمجاهدين التوجيه الوطني والمدد المادي (٧٧) .

تلك هي الاراء المختلفة التي قيلت في صدد ثورة الشيخ القسام او تبعيتها لحزب او اتجاه معين ، لكني اعتقد من دراستي لهذه الحركة ومن تتبع ادوارها انها لم تكن تابعة لاحد . وقد يكون للقسام علاقات مع الحزب العربي الفلسطيني او مع حزب الاستقلال ، وقد يكون على صلات طيبة مع قيادة الحركة الوطنية ، لكن ذلك لا يعني ارتباطه بتلك الاحزاب او تبعيته لقيادة الحركة الوطنية . والامر في تقديري لا يحتاج الى عناء كبير ، فحركة الشيخ القسام كانت تقوم على فكرة الجهاد المسلح ضد الاحتلال ، وان القوة وحدها هي التي تستطيع ان تمنع بريطانيا من اقامة وطن قومي يهودي في فلسطين ، ولم تكن الاحزاب او القيادات القائمة في فلسطين في ذلك الوقت تؤمن بهذه الفكرة او تدعوه الى انتهاجها . وقد يكون هناك تعاون بين حركة القسام وبين بعض القيادات الوطنية ، لكني اعتقد — على ضوء ما توفر لدي من مصادر — ان الحركة لم تكن نابعة من حزب معين ، بل كانت منبثقة من احساس ديني عميق من رجال القسام ، وكلهم من الفلاحين والعمال ، بالخطر الذي يهدد حياتهم من جراء استمرار الهجرة الصهيونية المتدفقة الى فلسطين ونشاط حركة بيع الاراضي ، وان الوسائل السلمية والطرق المشروعة لم تعد تجدي فتىلا ، وان العمل المسلح وحده هو الذي يستطيع ان يعيد الامور الى نصابها . وهال الانجليز ان تقوم في فلسطين ثورة علنية ضدهم وضد سياستهم ، وراعهم ما تركه استشهاد الشيخ القسام من اثر في نفوس اهل فلسطين ، فعادت الحكومة الى استكمال سياسة التهدة والتخدير ، واعلنت في ٢١ ديسمبر ١٩٣٥ عن عزمها على اشراك العرب في الادارة والتشريع ، ووضعت مشروع تاليف مجلس تشريعي (٧٨) .

تبقى بعد ذلك نقطة اخيرة وهي : هل كان الدافع لهذه الثورة دافعا اقتصاديا ام ان هناك دوافع اخرى ساهمت في قيام هذه الثورة ؟ لقد كان للعامل الاقتصادي اثره من غير شك في حدوث هذه الثورة ، لكن العامل الديني كان هو العامل الاساسي في قيامها . ويظهر ذلك بشكل واضح من دراسة شخصية الشيخ عز الدين القسام قائد هذه الثورة . فهو شخصية دينية هامة ، ورجل ذو مكانة اجتماعية ووضع اقتصادي مستقر ، لكن تربيته الدينية وفهمه للاسلام جعلاه رافضا للظلم مستعدا لمقاومته ، ليس لمجرد المساهمة في تحرير جزء من وطنه ، بل تنفيذا لما امر به الله سبحانه وتعالى من وجوب الجهاد في سبيله ومقاومة الظلم والظالمين .

ثم نأتي الى رجالات الشيخ عز الدين القسام ، فنجدهم جميعا من الرجال الذين التفوا حوله في المسجد واستجابوا لتعاليمه وعظاته ، ولم يكونوا امقر النماذج الاقتصادية في المجتمع الفلسطيني ، فقد كان كل عضو يسليح نفسه على حسابه الخاص ويبدل شيئا مما يملك لعصبته ، لكنهم كانوا في نفس الوقت من الذين يرون الخطر يهدد بلادهم ،

ويشاهدون الهجرات تتدفق على ميناء حيفا ، ويحسون بما ينتظر البلاد من هلاك ودمار ، وقد كان هناك على شاكلتهم كثيرون لم يتحول الاحساس بالخطر لديهم الى تحرك ومقاومة مسلحة . فالعامل الديني أساسا هو الذي مأل قلوبهم بالايمان ، وهو الذي حرك فيهم كوامن الغضب ، وهو الذي جعلهم يتركون اولادهم وازواجهم جهادا في سبيل الله . ومن ناحية اخرى فقد كان الجو السياسي العام في فلسطين في تلك الفترة لا يشجع على قيام تحركات ثورية من هذا النوع ، فالقيادة السياسية تؤمن بالنشاط السلمى ضد بريطانيا ، والاغلبية العظمى من عرب فلسطين تستجيب لهذه القيادة ، حتى وان لم يصادف ذلك ميولها ، لكن العامل الديني هو الذي دفع رجال هذه العصبة الى الخروج على هذا الاطار الذي كان يحدد مسار الاحداث السياسية في فلسطين في ذلك الوقت ، والى رفع شعار الثورة المسلحة تحريرا للبلاد ومقاومة للانتداب والصهيونية .

- ١ - ابراهيم عيسى المصري : مجمع الاثار العربية ورجال النهضة الفكرية . الجزء الاول ص (١٥١ ، ١٥٢) صبحي ياسين : الثورة العربية الكبرى في فلسطين . ص ١٩ ، ٢٠ ، عبر ابو النصر : الثورة العربية الفلسطينية . الجزء الاول . ص ٢٧ .
- ٢ - الانوار : العدد ٦٠٩ - ٦ آب ١٩٦١ . ص ١٣ مقال لعجاج نويهض .
- ٣ - صبحي ياسين : المرجع السابق . ص ٢٠ - ٢٢ .
- ٤ - عبر ابو النصر ( وآخران ) : جهاد فلسطين العربية . ص ٢٧٠ ، ٢٧١ .
- ٥ - عيسى السنري : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية . ص ٢٢٨ .
- ٦ - محمد نمر الخطيب : من اثر النكبة . ص ٨٧ ، ٨٨ .
- ٧ - صبحي ياسين : المرجع السابق . ص ٢٣ .
- ٨ - امين سعيد : ثورات العرب في القرن العشرين . ص ١١٧ .
- ٩ - محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة . الجزء الثالث . ص ١١٦ .
- ١٠ - الرابطة العربية : السنة الاولى - العدد ١٧ - ١٦ سبتمبر ١٩٣٦ . ص ٢٤ .
- ١١ - اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة : عن ثورة فلسطين ١٩٣٦ ص ٤١ . مقال ل محمد علي الطاهر .
- ١٢ - الانوار : المرجع والصفحة السابقان .
- ١٣ - صبحي ياسين : المرجع السابق . ص ٢٦ .
- ١٤ - الانوار : المرجع والصفحة السابقان .
- ١٥ - Report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the League of Nations on the Administration of Palestine and Trans-Jordan for the Year 1935, p. 6 .
- ١٦ - اميل النوري : المأامرة الكبرى : اغتيال فلسطين ومحق العرب . ص ٧٦ ، ٧٧ .
- ١٧ - صبحي ياسين : المرجع السابق . ص ٢٥ ، ٢٦ .
- ١٨ - اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة : المرجع والصفحة السابقان .
- ١٩ - الرابطة العربية : السنة الاولى . العدد ٢٤ - ٤ نوفمبر ١٩٣٦ . ص ٢٢ مقال لعبدالله مخلص .
- ٢٠ - الرابطة العربية : السنة الثانية - الجزء ٩٦ - ٢٠ ابريل ١٩٣٨ . ص ٢٤ مقال لامين سميد بعد زيارته لفلسطين .
- ٢١ - محمد عزة دروزة : المرجع السابق . ص ١١٦ .
- ٢٢ - الانوار : المرجع السابق .
- ٢٣ - الرابطة العربية : السنة الاولى - العدد ١٧ - ١٦ سبتمبر ١٩٣٦ ص ٢٥ .
- ٢٤ - فلسطين : العدد الثالث - ١٥ آذار ١٩٦١ ص ١٠ .
- ٢٥ - محمد عزة دروزة : المرجع السابق . ص ١١٦ .
- ٢٦ - ناجي علوش : المقاومة العربية في فلسطين ١٩١٧ - ١٩٤٨ ، ص ١٠٣ .
- ٢٧ - اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة : المرجع والصفحة السابقان .
- ٢٨ - اكرم زميتير : القضية الفلسطينية . ص ٩٧ ، ٩٨ .

- ٢٩ — انظر الحاشية رقم ١٥ .
- ٣ — محمد عزة دروزة : المرجع السابق . ص ١١٦ .
- ٣١ — الانوار : المرجع السابق .
- ٣٢ — عيسى السفري : المرجع السابق . ص ٢٢٨ .
- ٣٣ — نجيب صدقة : قضية فلسطين . ص ١٧١ ، ١٧٢ .
- ٣٤ — امين سعيد : المرجع السابق . ص ١١٧ .
- ٣٥ — عمر ابو النصر ( وآخران ) : المرجع السابق . ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .
- ٣٦ — اكرم زعيتر : المرجع السابق . ص ٩٧ ، ٩٨ .
- ٣٧ — ابراهيم عيسى المصري : المرجع السابق . ص ١٥٢ .
- ٣٨ — احمد طربين : محاضرات في تاريخ قضية فلسطين . ص ١٦٨ .
- ٣٩ — اميل الفوري : المرجع السابق . ص ٧٧ .
- ٤٠ — Esco: Palestine: A Study of Jewish, Arab, And British Policies. Vol. II. p. 784.
- ٤١ — الاهرام : ٢٢ نوفمبر ١٩٣٥ ص ٧ ، المقطم : ٢٢ نوفمبر ١٩٣٥ ص ٥ .
- ٤٢ — المقطم : المرجع والصفحة السابقان .
- ٤٣ — الاهرام : ٢٣ نوفمبر ١٩٣٥ ص ٦ .
- ٤٤ — صبحي ياسين : المرجع السابق . ص ٢٨ ، ناجي علوش : المرجع السابق : ص ١٠٤ .
- ٤٥ — محمد عزة دروزة : المرجع السابق . ص ١١٦ ، ١١٧ .
- ٤٦ — المقطم : ٢٣ نوفمبر ١٩٣٥ ص ٥ .
- ٤٧ — الاهرام : ٢٢ نوفمبر ١٩٣٥ ص ٧ .
- ٤٨ — The Secretary of State for the Colonies: Palestine Royal Commission. Report, p. 88.
- ٤٩ — عيسى السفري : المرجع السابق . ص ٢٢٨ .
- ٥٠ — اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة : المرجع السابق . ص ٤١ ، ٤٢ . وصبحي ياسين : المرجع السابق . ص ٢٩ .
- ٥١ — عمر ابو النصر ( وآخران ) : المرجع السابق . ص ٢٧٢ .
- ٥٢ — محمد صادق عرنوس : صوت الشمر في قضية فلسطين . ص ٢٧ .
- ٥٣ — عيسى السفري : المرجع السابق . ص ٢٢٨ .
- ٥٤ — الرابطة العربية : السنة الاولى — العدد ٢٤ — ٤ نوفمبر ١٩٣٦ . ص ٢٢ ، مقال لعبدالله مخلص ، صبحي ياسين : المرجع السابق . ص ٢٨ .
- ٥٥ — محمد نمر الخطيب : المرجع السابق . ص ٨٨ .
- ٥٦ — فلسطين : العدد الثالث — ١٥ آذار ١٩٦١ . ص ١٢ ، الرابطة العربية : السنة الاولى — العدد ١٧ — ١٦ سبتمبر ١٩٣٦ ص ٢٤ ، ٢٥ .
- ٥٧ — اللجنة الفلسطينية العربية بدمر : بيان الى العالم الانساني عن حالة المعتقلين بجوار عكا . ص ٦ .
- ٥٨ — الرابطة العربية : السنة الثانية — الجزء ٩٦ — ٢٠ ابريل ١٩٣٨ ص ١٥ . مقال بقلم امين سعيد . زيارة له لفلسطين .
- ٥٩ — امين سعيد : المرجع السابق . ص ١١٨ .
- ٦٠ — الانوار : المصدر السابق .
- ٦١ — ناجي علوش : المرجع السابق . ص ١٠٤ .
- ٦٢ — صبحي ياسين : المرجع السابق . ص ٢٩ .
- ٦٣ — محمد عزة دروزة : المرجع السابق . ص ١١٧ .
- ٦٤ — عمر ابو النصر ( وآخران ) : المرجع السابق . ص ٢٧٣ — ٢٧٥ .
- ٦٥ — اكرم زعيتر : المرجع السابق . ص ٩٧ ، ٩٨ .
- ٦٦ — الرابطة العربية : السنة الاولى — العدد ١٧ — ١٦ سبتمبر ١٩٣٦ . ص ٢٥ .

- ٦٧ — صبحي ياسين : المرجع السابق . ص ٢٩ ، ٢٠ .  
 ٦٨ — الرابطة العربية : السنة الثانية — الجزء ٩٦ — ٢٠ ابريل ١٩٣٨ . ص ١٤ ، ١٦ مقال لامين سعيد  
 ٦٩ — محمد عزة دروزة : المرجع السابق . ص ١١٦ .  
 ٧٠ — صبحي ياسين : المرجع السابق . ص ٢٢ .  
 ٧١ — الرابطة العربية : المرجع السابق . ص ١٤ .  
 ٧٢ — محمد عزة دروزة : المرجع السابق . ص ١١٦ .  
 ٧٣ — محمد عزة دروزة : من رسالة منه الى الباحث مؤرخة في ١٤ اغسطس ١٩٦٤ .  
 ٧٤ — فلسطين : العدد الثالث — ١٥ اذار ١٩٦١ . ص ١٠ .  
 ٧٥ — الانوار : المصدر السابق .  
 ٧٦ — صبحي ياسين : المرجع السابق . ص ٢١ ، ٢٢ .  
 ٧٧ — فلسطين : المرجع السابق . ص ٢٥ ، ٢٦ .  
 ٧٨ — اميل الغوري : المرجع السابق . ص ٧٧ .

صدر عن مركز الابحاث

### تهويد فلسطين

تحرير الدكتور ابراهيم ابو لغد

ترجمة الدكتور اسعد رزوق

سنة عشر مقالا تحليليا حول قضية فلسطين ، بقلم ستة عشر استادا  
 جامعي امريكيا مختصا في جانب واحد على الاقل من جوانب القضية ، في  
 تاريخها الطويل والمتشعب .

« هذا الكتاب يؤيد الموقف العربي من النزاع حول فلسطين ويعرض الامور بعيدا  
 عن المهارات والجدل العنيف ، بطريقة تستند الى الوقائع . لذا فانه سوف ينير  
 عقول اولئك القراء الذين حسبوا المزايم الاسرائيلية على مقدار بديهي من  
 الصحة بحيث لا تحتاج معه الى المناقشة ، والذين لم يموا حتى الان وجود  
 شيء اسمه قضية العرب ودعواهم .

فالقراء الذين ينطلقون من هذا الموقع لن يعثروا في الكتاب على ثمة شيء بمقدوره  
 استمالتهم نحو التقليل من اهميته على اعتبار انه دعاية متحيزة . بل سوف  
 يمشرون فيه على حقائق مدعومة بالوثائق والاسانيد ، وهي حقائق يرصدها علماء  
 وباحثون جعلوا مهمهم الاول اثبات الحقيقة وايصالها . واذا اهل القراء هذا  
 الاهتمام في المنزلة الاولى ، فان الكتاب قد يحملهم على اعادة النظر في الآراء  
 السابقة التي ربما تكونت لديهم دون التحقق من صحة الاقوال والافتراضات التي  
 استندت اليها هاتيك الآراء . فلو ان هؤلاء القراء كانوا مواطنين يستشعرون  
 بالمسؤولية في « العالم الواحد » الذي نعيش كلنا وسطه الان ، لترتب عليهم  
 الذهاب الى أبعد من تعديل آرائهم وتصحيحها . لا بل المضي نحو تغيير الفعل  
 السياسي الذي حملتهم آراؤهم السابقة على القيام به » .

ارنولد توينبي  
 من مقدمة الكتاب

١٠٠ ل .

٥٢١ صفحة



## (١) المقاومة الفلسطينية

أبواب الحوار ، وبذلك يكون موضوع الخلاف حول الموقف من النظام الأردني ، الذي بدأ كبيرا في الفترة السابقة ، قد انتهى عمليا ، لتبقى بعد ذلك دلالاته الفكرية والسياسية .

في المرحلة السابقة من مفاوضات جدة التي امتدت من ١٥ الى ٢٥ ايلول ١٩٧١ ، فشلت الجولة عند نقطة محددة ، هي اصرار الاردن على رفض اتفاق عمان ، المنبثق عن اتفاق القاهرة ، والدعوة الى اعادة النظر في بنوده ، وبالتالي صياغة اتفاق جديد . بينما كان الوفد الفلسطيني يصر بالمقابل على التمسك باتفاق عمان ، والتمسك بورقة العمل السعودية - المصرية التي تنطلق من اتفاق القاهرة ، ومن اتفاق عمان أيضا رافضا البحث باتفاق جديد ، طارحا البحث بقضية التنفيذ فقط . وكان تجدد الوساطة مرهونا بتفسير موقف طرف من الاطراف الثلاثة : النظام الأردني ، او المقاومة ، او الوساطة نفسها . هل يعود النظام الأردني لقبول باتفاق عمان ؟ هل تقبل المقاومة التنازل عن اتفاق عمان ؟ أم هل تضغط الوساطة على احدهما ليعدل موقفه ؟ .

وحين جاء الجواب على هذه الاسئلة الثلاثة ، عادت الوساطة لتبدأ من جديد ، ولكن الجواب لم يكن بسيطا بنسابة الاسئلة المطروحة ، بل رافقته تعقيدات على مدى الفترة الممتدة من ٨ تشرين الاول وحتى ٨ كانون الاول ١٩٧١ ، سجداول شرحها هنا بإيجاز .

كيف تجددت الوساطة ؟

في ٨ ت ١ قال بيان رسمي صادر في عمان ان رئيس الوزراء وصفي التل ، وقائد الجيش حسان المجالي سوف يقومان بزيارة السعودية ، وان التل يحمل معه رسالة من الملك حسين الى الملك

عبد الواسطة المصرية السعودية ، منذ أن بدأت محاولة عربية رسمية ، تحاول جهدا ايجاد «منفذ بل» للقوة الفدائية الفلسطينية، باتجاه اسرائيل ، حتى لا تتحول هذه القوة بأي حال من الاحوال ، باتجاه الاوضاع العربية المضادة لها ، خوفا من أن يكون ذلك ، بالرغم من كل مظاهر الضعف ، بداية ولادة جديدة لحركة المقاومة الفلسطينية ، تدفعها الظروف الموضوعية ، لان تلتقي أكثر وأكثر بالجماهر العربية ، ولان تصطدم أكثر وأكثر بواقع الأنظمة واستراتيجيتها ومصلحتها .

داخل هذا المسعى العربي العام ، كان هناك نتائج واضحة في المواقف بين النظام الأردني والمقاومة الفلسطينية . فالاردن يدرك تماما الدافع العربي وراء الوساطة ، ولذلك يوافق على عودة مقاومة ذات طابع عسكري ، مقطوعة الصلة بالجماهر ، الى الأردن . والمقاومة تدرك ان معالقتها العسكرية تنطلق من التلاحم مع جماهيرها ، وهي بدون هذا الدعم ، قوة لا وزن حقيقي لها ، لذلك كانت تفهم العودة الى الأردن ، من هذا المنطلق ، بكل ما يحمله من معان سياسية ، رافضة العودة الشكلية الحكومة سلفا بألف قيد . والموقفان اللذان انقسم اليهما الصف الفلسطيني ، عادا ليلتقيا عند نفس النقطة . الفريق الاول : كان يقول سلفا بأنه لا نائدة من المفاوضات ، وان الصراع مع النظام الأردني قد وصل مرحلة اللاعودة . والفريق الثاني : كان يريد ان يختبر الأمور بكل امكاناتها وفي ذهنه ان النجاح في المحاولة مفيد ، والفشل فيها مفيد أيضا ، من زاوية متابعة فضع اصرار النظام الأردني على رفض المقاومة ، وقد فشلت مفاوضات جدة ، وتلا فشلها مقتل وصفي التل الذي سد عمليا كل

فيصل . ولم يكن هذا الخبر بداية قصة الجولة « الجديدة - والنهائية » من الوساطة ، بل كان أول مظهر علني لها فقط . المظاهر الأخرى غير العلنية ، لم تتداولها وكالات الأنباء ، واكتفت صحيفة قليلة بإشارة غامضة لها . ففي ١١ ت ١ كتبت جريدة النهار بأن «موقف مصر كان أقل تصليبا، وكانت عمان اطلعت في السابق على هذا الموقف من خلال معلومات نقلتها شخصية اردنية زارت القاهرة بدعوة رسمية قبل ايام . وبعد ذلك أعلن بيان للجبهة الديمقراطية في ١١ ت ٢ » أن هناك ورقة عمل مصرية اردنية جديدة ، تفرض تنازلات شاملة لمصلحة النظام الاردني » . وأكدت اوساط المقاومة ان اجتماعا عقد في القاهرة بين مسؤولين اردنيين ومصريين ، جرى فيه وضع ورقة العمل الجديدة ، وحمل المسؤولون الاردنيون ورقة العمل الجديدة الى وصفى التل في عمان ، وقرر بناء عليها أن يسافر الى السعودية معتبرا أنها يمكن أن تكون أساسا لتجديد الوساطة حسب أسس يرضى عنها الأردن . وتضيف اوساط المقاومة ان ورقة العمل المصرية - الاردنية تتضمن البنود البارزة التالية :

١ - ان منظمة التحرير الفلسطينية تمثل المقاومة الفلسطينية ، ولا يجري البحث في تمثيل الشعب الان . ( ويحقق هذا البند هدف الأردن الرئيسي من وراء الأصرار على تعديل اتفاق عمان ، أي الغاء البند الذي يعترف رسميا بحق المقاومة الفلسطينية في تمثيل الشعب الفلسطيني ) .

٢ - يتواجد الفدائيون داخل مناطق محددة ( معسكرات ) ، ويقومون بنشاطهم الدعائوي والاعلامي داخلها . ( وهذا يعني الغاء بنود العمل السياسي والتنظيمي والاعلامي في اوساط الجماهير ، والتي ضمنها اتفاق عمان ويحقق رغبة النظام الاردني بقبول مقاومة ذات طابع عسكري فقط ) .

٣ - يتم العمل العسكري للمقاومة بالتنسيق مع الجيش الاردني ( بهدف ضبط تحرك الفدائيين داخل الأردن ) .

٤ - يبصر تنفيذ الاتفاق على المنظمات التي وافقت على الوساطة ( أي فتح ، والصاعقة ، وجيش التحرير فقط ) .

وتقول اوساط المقاومة ، ان وصفى التل حاول في السعودية ، الإيقاع بينها وبين مصر ، فحاول ان يوحى للبلك فيصل عندما اجتمع معه في ١٠

ت ١ ان المصريين قد تخلوا عنه ، وقبلوا وضع شروط للوساطة لا علم له بها ، محاولا الوصول الى تفاهم مع السعودية يكون أساس تجديد الوساطة ، بحيث تفرض على الوفد الفلسطيني كل الشروط المطلوبة ، مؤكدا من خلال ذلك كله ان المقاومة توافق بدون شك على هذه البنود ، ان مصر لا يمكن ان تطرحها بدون علم المقاومة ، بسبب العلاقة الوثيقة بينهما .

وقد تمثل رد الفعل السعودي على هذه التطورات بثلاثة امور : ١ - ارسلت في ١٠ ت ١ برقية الى القاهرة تطلب حضور السيد حسن صبري الخولي ممثل مصر في الوساطة الى جدة لمعرفة حقيقة الموقف المصري . وقد وصل الخولي في نفس اليوم ، وشارك في الاجتماعات ، ثم غادر عائدا الى القاهرة معلنا انه يحصل رسالة من الملك فيصل الى الرئيس السادات ، ومغربيا من تغاؤه بأن تحل الازمة بين المقاومة والنظام الاردني قبل حلول شهر رمضان ( أي في ٢٠ ت ١ ) .

وكان ذلك اشارة ضمنية الى موافقة السعودية على ورقة العمل الجديدة . ٢ - أعلن في ١٥ ت ١ ان السعودية وجهت دعوة الى السيد ياسر عرفات لزيارتها ، لمعرفة حقيقة الموقف الفلسطيني منه ، ولاطلاعه على ما جرى من مناقشات مع التل . وقد اجتمعت اللجنة التنفيذية وقررت الموافقة على سفر ياسر عرفات ، وحملته تنويها بإمكان البحث في تعديل اتفاق عمان ، بما لا يتناقض مع جوهره . وقد وصل عرفات الى جدة يوم ١٦ ت ١ ، وعقد في ١٧ ت ١ اجتماعا مع السيد رشاد فرعون « لتبادل وجهات النظر بالوساطة » .

تالت بعدها اذاعة السعودية انه من المتوقع ان تسفر المحادثات عن نتائج حسنة . ٣ - أعدت ورقة عمل ثانية ، تمثل رأيها في ورقة العمل المصرية - الاردنية ، تضمنت موافقة على أغلب البنود باستثناء البند الاول المتعلق بالتمثيل ، فقد حذفت السعودية القسم الاخر منه الذي يقول « لا يجري البحث في تمثيل الشعب الان » ، وكذلك البند المتعلق بالتنسيق : اضافت عليه السعودية « ان التنسيق يجري فقط في المناطق التي يتواجد فيها الفدائيون والجيش الاردني بشكل مشترك » .

في مقابل هذا الموقف قدم السيد عرفات ورقة عمل ثالثة ، وضع لها عمادا عنوانا ذا مغزى

يقول « مذكرة توضيحية لورقة العمل السعودية المصرية » . أي ان السيد ياسر عرفات اعتبر البحث استكمالاً للوساطة الاصلية ، وليس وساطة جديدة تم على اسس جديدة . ومع ان البنود المطروحة تمثل تعديلاً لاتفاق عمان ، ويستطيع السيد ياسر عرفات بناء على تحويل اللجنة التنفيذية له أن يبحث في تعديله ، الا انه لم يسلم بذلك « رسمياً » . وتضمنت مذكرة عرفات التوضيحية موافقة على ورقة العمل حسب التعديلات السعودية التي ادخلت عليها ، مضافة الى ذلك تغييراً في بندين : الاول يتعلق بتواجد الفدائيين في « مناطق » وليس في « معسكرات » . ويشمل نشاطهم الاعلامي بالتالي المناطق نفسها ، ولا يقتصر على معسكرات الفدائيين . والثاني يتعلق بالمنظمات التي يسري عليها تنفيذ الاتفاقات ، طلبت المذكرة ان تسري الاتفاقيات بالاضافة للمنظمات التي وافقت على الوساطة « على المنظمات التي توافق عليها مستقبلاً » .

وتد كانت النقطة الجوهرية في موقف السيد ياسر عرفات ، أنه وافق على مبدأ تعديل اتفاق عمان ، كما وافق على ورقة العمل المقترحة كأساس للبحث في المرحلة الجديدة من الوساطة ، بالرغم مما تضمنته من تنازل عن حق تمثيل شعب فلسطين ، دون أن يعتبر ذلك بديلاً لاتفاق عمان ، بحيث يبقى الباب مفتوحاً امام بحث جديد فيما يمكن تعديله أو لا يمكن تعديله في الاتفاق المذكور . ويظهر أهمية هذه النقطة فيما بعد ، عندما تبدأ الوساطة جولتها الرسمية من خلال (الأمم) .

أعلن وصفي التل عند وصوله الى عمان ( ١١ ت ١ ) « أن العقيبات التي تقف في وجه الوساطة قد زالت ، وربما تكون هناك جولة ثانية من المفاوضات » . ثم أعلنت عمان في ١٩ ت ١ ان السيد ياسر عرفات « وافق على أربعة بنود من مذكرة وصفي التل ( المذكرة المصرية - الأردنية ) واعتبر البنود الأخرى قابلة للتفاوض » . وأعلنت السعودية في نفس اليوم « ان وفدين يمثلان المقاومة والنظام الأردني سيجتمعان قريباً في جدة » . وفي اليوم التالي : صدر أول تعليق فلسطيني رسمي عن الموضوع ، إذ أعلن السيد كمال ناصر الناطق الرسمي بلسان منظمة التحرير « ان وفد المنظمة الذي زار السعودية برئاسة السيد ياسر

عرفات رفض المذكرة الأردنية ، وتقدم بمذكرة تفسيرية لاتفاقي القاهرة وعمان ، واعتبر أي اتفاق يعقد يشمل كل المنظمات العاملة في اطار منظمة التحرير » .

وقد كان مقرراً ان تعقد جولة المفاوضات الجديدة ، يوم ٢ ت ٢ ، الا ان هذا الموعد قد أجل لاسباب لم يعلن عنها ، وتلقت الحكومة الأردنية اشعاراً من الحكومة السعودية يطلب تأجيل سفر الوفد الأردني ، وحين وجه الملك حسين يوم ٤ ت ٢ رسالة الى السيد رياض المفلح رئيس الوفد الأردني في المفاوضات ، قال في رسالته ان هذه الجولة « ربما تكون الجولة الحاسمة والأخيرة » . بينما قال وصفي التل في ٦ ت ٢ « انه اقترح على الحكومة الأردنية شطب ما ترى شطباً من اتفاق عمان ، وذلك لان مفاوضات جدة ستبدأ من هذه النقطة » . وتبرز هذه المقطعات بوضوح جو التفاؤل الذي كان سائداً في اوساط المسؤولين الأردنيين ، وثقتهم بأن المفاوضات المقبلة ، سوف تؤدي الى اتفاق ينسجم مع كامل شروطهم .

بالمقابل ، كانت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير قد عقدت اجتماعاً في دمشق ، درست فيه اتفاق عمان بنداً بنداً . ( انسحبت الجبهة الشعبية من الاجتماع قبل بدء هذه المناقشة . ولا زال ممثل الديمقراطية صالح رأفت غالباً عن حضور الاجتماعات معتقلاً في سجون الأردن ) ، واتفقت على البنود التي ترفض تعديلها ، ووضعت الصيغة التي تقترحها للبنود التي رأت او من الممكن تعديلها ، وطلبت من وفدها ان يتقيد بذلك بدقة .

#### مجريات الوساطة :

— في ٨ ت ٢ عقد الاجتماع الاول لمؤتمر الوساطة في جدة ، اجتمع اولاً الوسيطان السقاف والخولي . ثم اجتمع السقاف مع رئيس الوفد الفلسطيني السيد خالد الحسن ، ثم عقد اجتماع مشترك تقرر فيه ان يقدم الوفد الأردني مذكرة خطية يحدد فيها المواد التي يرغب بتعديلها في اتفاق عمان ، لتعرض للنقاش في الاجتماع الثاني .

— عقد الاجتماع المشترك الثاني في نفس اليوم ليلاً . حيث قدم الوفد الأردني مذكرته ، ورفضها الوفد الفلسطيني بشدة ، واعتبرها نسفاً — وليس تعديلاً — لاتفاق عمان . وادى هذا التعارض في المواقف الى تأجيل الاجتماعات المشتركة .

المادة الثالثة من اتفاق عمان .

— بدأ الوفد الاردني بماطل من جديد وحتى مساء ٢٥ تم ٢٠٢٠ لم يكن قد تقدم بأي رد على اقتراح التعديل واعتبرت هذه الماطلة رفضا للاقتراح .

— وفي صباح ٢٦ تم ٢٠٢٠ ، اي في الموعد الذي حددته الوساطة كموعده نهائي للمفاوضات سلبا او ايجابا ، غادر السيد صبري الخولي جده متوجها الى القاهرة ، كما غادرها ايضا السيد خالد الحسن . وانتهت بذلك مفاوضات جندة الى الفشل .

وبالرغم من ذلك نفى السيد رياض المفلح في عمان ( ٢٧ تم ) أن يكون مؤتمرا جدة قد فشل ، وأصر على ان الوفد الاردني يعود الى عمان بسبب انشغال رجلي الوساطة في اجتماعات مجلس الدفاع العربي . كذلك أعلن ان السيد رشاد فرعون سوف يصل الى عمان لبحث مع الملك حسين في قضية الوساطة . وقد كان من الممكن القول بان هذه الاتصالات ربما تسفر عن أمر ما ، إلا ان ثلاثة شبان فلسطينيين اطلقوا النار على وصفي التل أمام فندق شيراتون في القاهرة عصر يوم ١٨ تم ٢٠٢٠ ، فوضعوا بذلك حدا لاي تكهن في هذا الاتجاه .

#### المواقف المعارضة :

رافق الجولة الجديدة من محادثات جدة ، نفس جو المعارضة الذي رافق الجولة السابقة . اما لهجة المعارضة فقد اتخذت طابعا مختلفا . ففي المرة السابقة كان التركيز حول رفض مبدأ الحوار مع النظام الاردني ، اما هذه المرة فقد تركزت المعارضة حول نقد مواقف اللجنة التنفيذية ، وكشف النتائج التي ترى انها تترتب على محادثات جدة . فعلى صعيد التنظيمات اصدرت الجبهة الديمقراطية في ٥ تم ٢٠٢٠ بيانا قالت فيه « ان مؤتمر جده هو بمثابة خطة روجرز العربية . وكما أدت خطرة روجرز الامريكية الى نقل الصراع بين قوى حركة التحرر العربية ، فان مؤتمر جده يهدف الى نقل الصراع بين فصائل الثورة الفلسطينية » . ول ٨ تم ٢٠٢٠ اصدرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بيانا قالت فيه انه في « جو اندفاع بين المقاومة في تنفيذ الترتيبات التنظيمية الداخلية ، المتسجم مع جو الترتيبات الرجعية الاستسلامية العربية ، ناني دورة مفاوضات جدة الثانية ، وفي ذهن مخططينها ومدبريها والمشاركين فيها انها ستكون الدورة الاخيرة والحاسمة . . . وتكون هذه الدورة بهذا

— تدخل الملك فيصل وتبادل الرسائل مع الملك حسين . وقالت مصادر «فتح» ان رسالة الملك فيصل تضمنت تهديدا بقطع المساعدات الاقتصادية عن الاردن ، وبسحب الجيش السعودي من اراضيه ، وبإصدار بيان علني يعلن مسؤوليته عن فشل الوساطة .

— اعدت لجنة الوساطة اسسا للمحادثات بين الفريقين ، يجري على ضوئها مناقشة اتفاق عمان ( ١١ تم ) .

— عقدت الوساطة اجتماعات جانبية مع كل وفد على حدة ، ثم عقد اجتماع مشترك ثالث أعلن فيه الوفد الفلسطيني موافقته على الاسس التي اقترحتها الوساطة . بينما أعلن الوفد الاردني انه ينتظر تعليمات من عمان .

— عقدت الجلسة الرابعة المشتركة ، والخامسة المشتركة ، وفيها أعلن الوفد الاردني موافقته على الاسس التي اقترحتها الوساطة ( ١٢ تم ) . وكان من الواضح انه يعتمد الماطلة حتى يحين موعد اجتماع وزراء الخارجية العرب في ١٣ تم ، فتنتقل المفاوضات بشكل طبيعي .

وبالفعل أرجئت المفاوضات يوم ١٣-٢٠ لمدة يومين بسبب سفر الوسيطين الى القاهرة ، وسفر السيد خالد الحسن على رأس الوفد الفلسطيني أيضا . ثم تأجلت مرة اخرى بسبب عطلة العيد حتى يوم ٢٢ تم . واتخذت الوساطة موقفا حاسما ، حددت فيه يوم ٢٦ تم ٢٠٢٠ موعدا لانهاء المفاوضات سلبا او ايجابا . وسبب تحديد هذا الموعد يعود الى ان مجلس الدفاع العربي سيعقد في القاهرة يوم ٢٧ تم ٢٠٢٠ ، وسيكون الجميع مشغولين به .

— صباح يوم ٢٣ تم ٢٠٢٠ بدأ البحث من جديد باتفاق عمان بندا بندا ، وتعطل البحث طويلا عند المادة الثالثة من الاتفاق والتي تنص على ان « الوجود والتعبئة والتنظيم الشعبي والقنالي وحرية العمل السياسي والعسكري من الامور الاساسية للثورة الفلسطينية ، وتبارسها بحرية » ، فقد طلب الوفد الاردني الغاءها ، وأصر الوفد الفلسطيني على ابقائها كما هي .

وواجهت المفاوضات بسبب ذلك مأزقا هددتها بالفشل .

— تدخل السيد رشاد فرعون مستشار الملك فيصل يوم ٢٤ تم ٢٠٢٠ وقدم اقتراحا بتصوره لتعديل

الإنع المرحلة النهائية من عملية تصفية المقاومة الفلسطينية كحركة شعبية ثورية واخصامها اخصاما كاملا لارادة الرجعية العربية العميلة .  
وعلى صعيد المواقف الشعبية ، برز أكثر من موقف يعان رفضه للوساطة . فصدرت بيانات واحتجاجات في لبنان عن خمسة مخيمات ( مخيم شاتيلا - شرشوبك - الرشيدية - بئر حسن - نهر البارد ) .  
ومصدرت بيانات أخرى عن ثلاثة احياء تضم قطاعات من الفلسطينيين ( سكان حي الطريق الجديدة - حي الوطى - برج حمود ) ، كذلك أصدرت بيانات مماثلا منظماتان فدائيتان ( الشعبية والديمقراطية )  
واربع تنظيمات لبنانية ( منظمة العمل الشيوعي - منظمة حزب البعث - حزب العمل الاشتراكي العربي - التقدميون المستقلون في صور ) واتحاد شبلي واحد ( اتحاد عمال فلسطين في صور ) .  
وكانت كل هذه المواقف تعلن رفض الوساطة ، والدموة للعمل السري المسلح ضد النظام الأردني « لاستقاط هذا النظام واتامة نظام وطني ديمقراطي » .

#### الصراع داخل الأردن :

في الوقت الذي كانت فيه الوساطة مستمرة في حدة ، كان جو العلاقات في الأردن بين المقاومة والنظام يندفع نحو مزيد من التآزم ، ولم تتمكن ان تخفف منه كل المواقف الأردنية العلنية المتفائلة تجاه الوساطة . ففي ٩ ت ١٠ خطب الملك حسين في حفل تخريج دفعة جديدة من قوات الشعب الخاصة الأردنية معربا عن اعتزازه بهذه القوات ، وبتسرا « الى محاولات جرت لحلها في السابق ، من قبل المنظمات الفدائية » وأنه رفض ذلك .  
والمهم في هذا الموقف ان قوات الشعب الخاصة كانت من اوائل المجموعات التي شكلت لضرب العمل الفدائي ، ولعبت في أزمة حزيران ١٩٧٠ دورا هاما ، وخاصة في عمليات القصف الفردي للفدائيين في الشوارع . وقد ألقى هذا الخطاب قبل يوم واحد من سفر النزل الى السعودية . وفي ١٣ ت ١٤ تابعت السلطة الأردنية خطتها الدعوية ، بالاعلان المتكرر بين فترة وأخرى عن اكتشاف مخابرة للسلطة ، فأعلنت اكتشاف مخبأ في مخيم الوحدات . وبعد ذلك بيومين ( ١٥ ت ١٦ ) أعلن في الأردن حل « الاتحاد العام لعمال الأردن » ، مع ان قيادة هذا الاتحاد لم تكن بالرغم من تأييدها للعمل الفدائي جذرية في مواقفها تجاه السلطة الأردنية ،

والتزمت في اغلب الاحيان بمواقف وسطية .  
ثم بدأت مواقف السلطة الأردنية تنحو منحى آخر لا يقتصر على توجيه الضربات المعنوية والمادية لجيوب العمل الفدائي في الأردن ، انما اتسع ليشمل اقامة مؤسسات مضادة ، تحاول ان تمتص بداخلها ارهاصات العمل الفدائي في اوساط الجماهير .  
ففي ٣١ ت ١٠ أعلنت مصادر «فتح» ان الأردن أنشأ تنظيما فدائيا باسم « فتح » يرئسه شخص يدعى محمد عبدالهادي . واذا أردنا ان نفسر طبيعة هذه الخطوة فان افضل تفسير لها ما جاء على لسان الملك حسين نفسه حين قال في مقابلة مع مجلة « لوي » الفرنسية في ٢٥ ت ٢٠ انه « لا مكان لتواعد الفدائيين في الأردن » وان اقصى ما تقبل به حكومته هو « نقطة انطلاق او منطلقة تدريب » لكن لن تقبل بوجود قيادات عامة من اي نوع كان .  
وقد نشر هذا الكلام قبل الاعلان عن فشل الوساطة بيوم واحد ، وحين كان رئيس الوفد الأردني في جده يماطل حتى يحين موعد « انذار » الوساطة ، في ٢٦ ت ٢٠ .

وفي نفس اليوم أيضا أعلن الملك حسين قيام « الاتحاد الوطني الأردني » كتتنظيم سياسي وحيد في الأردن . وبذلك يصبح للنظام الأردني ، تنظيمه الفدائي ، وتنظيمه السياسي ، اي الرد العملي على كل طلبات المقاومة ، التي لا يرى مبررا لها بالاصل .

وحتى يخفف النظام الأردني من وطأة هذه التطورات ، ويغطي اهدافها الحقيقية ، قام بعدة اجراءات ذات طابع دعاوي . فأعلن في ٢٠ ت ١٠ تجسيد حكم الاعدام الصادر على الشاب اللبناني « بلال عبدالقادر حسن » الذي وجهت له تهمة نسف طائرة اردنية . كما قام عشية عيد الفطر باطلاق سراح ٤٠٥ فدائيين معتقلين منذ أحداث أيلول ١٩٧٠ ، سفر ١٠٥ منهم الى سوريا . كذلك أعلن في ٨ ك ١ تخفيض ٦٠ حكما بالاعدام صدرت عن محكمة امن الدولة بحق فدائيين معتقلين . والغريب في هذا الخبر ان هذه هي المرة الأولى التي يعلن فيها عن وجود احكام سريية بالاعدام على الفدائيين المعتقلين ، فاذا لاحظنا ان هذا الخبر صدر بعد مقتل وصفي النزل ، فيمكن ان يعتبر كتهديد لاعدام مجموعات من الفدائيين لم تخفف عنها احكام الاعدام ، ما دام اصدار الاحكام يتم دون ان يعلم به احد .

السادات ، وبرقية اخرى من اللواء صادق وزير الدفاع المصري ، وبرقية ثالثة من الاتحاد العام لعمال الأردن ( قبل حله ) ، وبرقية رابعة من مسر محمود الروسان عضو اللجنة التحضيرية للجبهة الوطنية الاردنية .

رحلة موسكو :

في ١١ تا ١١ اعلن ان وفدا برئاسة السيد ياسر عرفات سوف يزور موسكو في وقت قريب ، طلبه لدعوة من لجنة التضامن الآسيوي الأفريقي السوفياتية . وفي ٢٠ تا وصل عرفات الى موسكو على رأس وفد مشكل من : سامي الخطاري ( الصاعقة ) ، فاروق القدومي ( فتح ) ، مصباح البديري ( جيش التحرير ) ، سعد صايل ( قوات اليرموك ) ، خالد الفاهوم ( رئيس المجلس الوطني الفلسطيني ) ، فائق وراذ ( منظمة الانتصار ) . ولوحظ ان الوفد لم يضم ممثلين عن الجبهة الشعبية او الجبهة الديمقراطية ، او جبهة التحرير العربية .

وقد انتقدت « الهدف » في ٢٢ تا تشكيل وفد موسكو ، وقالت ان ممثل الجبهة الشعبية في اللجنة التنفيذية طرح الموضوع للنقاش ، ولكن عرفات رفض الخوض فيه ، مصرًا ان الدعوة وجهت اليه شخصيا . وقالت « الهدف » ان الجبهة الشعبية سوف تعيد النظر بموقفها من اللجنة التنفيذية اذا رظلت العلاقات داخلها خاضعة للمزاج والفردية . وكانت قد سرت انباء تقول ان الدعوة وجهت الى اللجنة التنفيذية ، على اساس ان يضم الوفد ممثلين عن كافة المنظمات المشاركة فيها ، وان السوفيات حاولوا اقناع عرفات بذلك ، ولكنه اصر على موقفه من تشكيل الوفد بالطريقة التي تشكل بها .

وقد صدر عن المحادثات في ٣٠ تا بيان مشترك صيغ بطريقة ملفنة للنظر ، ابرز ما فيها : ١ - ان الموقف السوفياتي من حركة المقاومة الفلسطينية صيغ ضمن اطار « التضامن مع كساح الشعب العربي الفلسطيني » . ٢ - تضمن البيان اشارة الى موقف الوفد الفلسطيني الذي اعرّب « باسم الشعب الفلسطيني المقاتل عن الامتنان للحزب والحكومة والشعب السوفياتي كله لما يقدمون من دعم لحركة التحرر الوطني للشعب العربية ، ولنضالها في سبيل الحرية والاستقلال والتقدم » ، ولم تتضمن الفقرة اشادة بالموقف السوفياتي من

وقد ردت المقاومة على هذا النشاط الاردني المغادي بنسف خط انابيب التابلاين في الاراضي الاردنية في ٢٤ تا ١ ( لم تعلن المنظمات علاقتها بالحدث ) . وفي ١٠ تا وقعت اربعة انفجارات قوية في فندق الاردن بعمان دمرت ثلاث غرف ، وحدثت اضرارا مادية . ووجهت التهمة الى طالبة تيرضية قيل انها غادرت الاردن يوم الحادث عن طريق الرمثا . وفي ٢٧ تا ٢ ، وبعد فشل الوساطة ، حدث صدام بين الفدائيين والجيش الاردني بشمال اربد قتل فيه ضابط من ضباط الامن العام برتبة رئيس ، وجرح ضابط آخر برتبة رائد ، وقد شيع جناز الضابط في عمان رسميا ، اذ حضره « احمد طوقان » وزير البلاط . وهدد الشريف « زيد بن شاكرا » قائلا « لن تمر جريمة اخرى بعد اليوم من دون عقاب شديد جدا » . وفي اليوم التالي ٢٨ تا اغتيل وصفي التل ، فطغت انباء الحادث وردود فعله على كل هذه العلاقات المتأزمة ، ومن بينها اشتباك آخر وقع شمالي اربد ايضا قتل فيه اثنان من الفدائيين وجندي اردني يوم ٣٠ تا ٢ .

محاولة اغتيال عرفات :

في ٥ تا جرت محاولة لاغتيال السيد ياسر عرفات في منطقة الجولان بسوريا ، اثناء توجه عرفات الى قاعدة فدائية قامت بمخالفات تنظيمية ، لضبط الامور فيها . يرئس هذه القاعدة « حسين هيبه » ، الذي قام بدون علم القيادة ، بضم عدد كبير من ابناء عشيرته الى القاعدة ، ووزع عليهم السلاح ، وطالب لهم بنفقات مالية . وحين رد طلبه قام بمصادرة سيارات تموين تابعة لحركة فتح . حين وصل عرفات الى مشارف القاعدة ، تعرض الى كمين معد سلفا بدأ باطلاق نار غزير أدى الى مقتل سائقه . وقد تابع ابو عمار طريقه الى قلب القاعدة ، وتصرف بشجاعة ملحوظة ، اعتقل اثناءها بنفسه « حسين هيبه » ، وكان طوال الحادث معرضا للاصابة في ايسة لحظة ، وكانت شجاعته السبب الحقيقي وراء نجاته . وقد انشغلت اوساط فتح طويلا بالحدث ، في محاولة معرفة ما اذا كانت هناك جهات ما وراء تدبيره ، وكذلك في دراسة ايسة دوافع اخرى قد تكون وراءه . وبعد التحقيق مع « حسين هيبه » سلم الى السلطات السورية ، ولم تنشر بمعد ذلك تفاصيل اخرى . هذا وقد تلقى السيد عرفات برقيات تهنئة عديدة بنجاحه ، منها برقية من الرئيس

النضال الفلسطيني . ٣ - بينما تضمن البيان اشارة الى موقف الوفد السوفياتي المتضامن مع النضال الفلسطيني باسم «**الاورساط الاجتماعية السوفياتية**» وليس باسم الحزب او الحكومة ، ويقول النص « اعرب ممثلو لجنة التضامن باسم الاوساط الاجتماعية السوفياتية عن الاستنكار الحازم للعدوان الامبريالي - الاسرائيلي المستمر على الشعوب العربية ، وعن التضامن مع النضال العادل الذي يخوضه الشعب الفلسطيني ضد الظلم الاسرائيليين الذين يسعون لشل نضال الشعب الفلسطيني في سبيل حقوقه المشروعة والعادلة » وهذا يحصر التأييد السوفياتي لحركة المقاومة الفلسطينية في نطاق التخلص من العدوان بنظ وليس من الكيان الاسرائيلي . ٤ - ورد بند خاص حدد موقعنا من حركة المقاومة صيغ على الشكل التالي « الاوساط الاجتماعية السوفياتية تتفهم الى جانب حركة المقاومة الفلسطينية التي تشكل جروءا لا يتجزأ من حركة التحرر الوطني العربية » ، وتتجاهل الفترة الاشارة المباشرة الى ابعاد هذا النضال .

وبهذا فان الموقف السوفياتي من القضية الفلسطينية ، ومن حركة المقاومة يكون قد بقي من حيث الجوهر على حاله . ولكن هذا لا ينفي اننا نلاحظ بان الزيارة السابقة التي تمت في شباط ١٩٧٠ لم يصدر عنها بيان مشترك وصدور بيان من هذه الزيارة امر له دلالاته . وهناك ايضا تطور ومستوى التأييد لحركة المقاومة ، يعبر عن نفسه بصدور البيان ، وتحديد صفة « الاوساط الاجتماعية » في نطاق التأييد ، بينما كانت حتى قبل هذه الصيغة في السابق لا ترد في المواضع الرسمية الرسمية .

وقد اعلن السيد عرفات عند انتهاء الزيارة « ان لوج موسكو كانت اكثر دفئا من السابق » . وتوجه بعد ذلك الى المنيا الشرقية في زيارة مماثلة ، ثم عاد الى بيروت في ٣ ت ٢ واطن « ان العلاقات مع البلدين زادت رسوخا » .

هذا وقد ذكرت وكالة الانباء العراقية في ٢٥ ت ١ ان وفدا من الجبهة الشعبية سافر الى موسكو برئاسة السيد تيسير قبعة ممثل الجبهة في اللجنة التنفيذية . ومهم ان سفر وفد من الجبهة الشعبية هو بمثابة رد على موقف عرفات من تشكيل وفد بالطريقة التي تم بها . ولكن اوساطا مطلعة

اكدت ان وفدا من الجبهة الشعبية لم يسافر الى موسكو ، وان الذي سافر فقط هو السيد تيسير قبعة بدعوة من منظمة الشباب ( الكومسومول ) ، وجهت اليه بصفته الرئيس السابق لاتحاد طلاب فلسطين ، وانه ليس لهذه الزيارة بالتالي اي مغزى سياسي آخر .

والجدير بالذكر ان اوساطا سياسية عديدة ، رأت في توجيه دعوة من الاتحاد السوفياتي لوفد من المقاومة الفلسطينية ، بداية عودة الى سياسة التعامل مع الحركات الوطنية العربية ، اضافة الى سياسة التعامل مع الانظمة الوطنية العربية ، وذلك بعد التطورات التي شهدتها المنطقة اثناء احداث السودان وبعدها ، وان بدء الاتصاد السوفياتي بتعميق علاقاته مع المقاومة الفلسطينية يعود الى انها اكثر الحركات الوطنية حيوية في الساحة العربية ، كما ان لتحسين العلاقات معها مردودا نفسيا جماهيريا تبرز آثاره بسرعة . فهل تستطيع المقاومة ، مع نحو هذا الاتجاه ، ان تستفيد منه بشكل كاف ؟

#### — النشاط العسكري :

لوحظ ارتفاع واضح في عدد العمليات الفدائية بشكل عام ، بالنسبة للرحلة السابقة ، وكان رقم العمليات داخل اسرائيل نفسها اعلى رقم في هذه الفترة ( من ٨ ت ١ - ٨ ك ١ ١٩٧١ ) . كذلك ارتفع مستوى الارهاب الاسرائيلي على صعيد القتل والاعتقال والاحكام والابعاد . ويمكن تلخيص حصيلة كل ذلك كما يلي :

**العمليات والاشتباكات :** ٨ داخل اسرائيل - ٢ في الضفة الغربية - ٧ في غزة - ٣ في جنوب لبنان - ٤ في الجولان - المجموع ٢٤ عملية .

**القتلى الاسرائيليون :** ٢ في الجولان .

**الجرحي الاسرائيليون :** ٢٢ داخل اسرائيل .

**القتلى الفدائيون :** ١٣ في غزة - ٣ في الجولان -

× ان ما ينشر هنا عن النشاط العسكري لحركة المقاومة الفلسطينية يعتمد فقط على ما تنقله وكالات الانباء ، وما تنشره اوسع الصحف العربية انتشارا . والقصد منه مراقبة ما تعتمد هذه الصحف ايصاله الى القارئ العربي . مع ملاحظة ان هذا الذي ينشر لا يتطابق مع ما يعلنه الناطق الاسرائيلي ، كذلك فهو لا يتطابق مع ما تعلنه البيانات الفدائية .

بحث الحادث ، وبحث مجمل الوضع السياسي على ضوء نشل محادثات الوساطة في جدة ، وتقرر ل نهايته تشكيل لجنة تحقيق مشتركة ، ولجنة خبراء مشتركة .

وقد ادلى السيد كمال ناصر ببيان حول الحادث أعلن فيه أسف المقاومة الشديد للحادث ، وأوضح ان الطريق الذي وقع فيه شقته القوات الاسرائيلية بعد معركة العرتوب الاولى عام ١٩٦٩ ، بالإضافة الى ان قربه من خط النار يجعله بمثابة القوت الاسرائيلية ، ولا بد ان تكون اسرائيل قد قامت بعد شق الطريق باتخاذ اجراءات وقائية لحمايته ، عس طريق زرع الالغام على جانبيه . كما اوضح بأن هذا الطريق لا يستعمله الفدائيون في تنقلاتهم ، ولا توجد بقربه قواع فدائية .

وفي اليوم التالي عثرت لجنة الخبراء على عدد آخر من الالغام في نفس المكان ، وتبين ان هذه الالغام زرعها فدائي قتل بعد الاعتداء الاسرائيلي المذكور على منطقة العرتوب ، وبمقتله فقدت معه خريطة الالغام .

وقد شيع شهداء الجيش اللبناني في موكب رسمي شاركت به حركة المقاومة . وكتبت اكثر من صحيفة تقول ان الحادث على آله ، هو مشاركة من الشعب اللبناني في آلام معركة التحرير الفلسطينية . هذا وقد نشرت الصحف اللبنانية على اثر ذلك انباء عن كادتي انفجار الغام في منطقة جنوب لبنان . وقع الحادث الاول في نفس اليوم في منطقة مرجعيون ، وأدى الى جرح مواطنين نقلوا نورا للعلاج . ووقع الحادث الثاني في ٣ ك ١ في قضاء بنت جبيل ، حيث انفجر لغم بجرار زراعي ا اصيب سائقه برضوض .

## بلال الحسن

١ في الضفة الغربية - ٣ داخل اسرائيل - ٢ عند جنوب لبنان - المجموع ٢٢ شهيدا .  
**الجرى الفدائيون :** ٤ في غزة - ٣ في الضفة الغربية - المجموع ٧ جرحى .

**الاعتداءات الاسرائيلية :** اعتداء على جنوب لبنان - ٤ حوادث تطبيق طائرات فوق جنوب لبنان .

**المعتقلون العرب :** ١٢٤ داخل اسرائيل - ٧١ داخل الضفة الغربية - ٤ داخل غزة - المجموع ١٩٩ معتقلا .

**الحكوميون :** ١١ من غزة بينهم ثلاثة حكموا بالمؤبد .  
**البيدون :** ٢١ شخصا من الضفة الغربية وقطاع غزة ، ابعدها الى الضفة الشرقية .

**نشاط جماهيري :** مظاهرات نسائيتان في نابلس - مظاهرة نسائية وطالبة في غزة - اضراب في غزة - حرق دواليب سيارات ( حدادا على مقتل الفدائيين ) .

وبلاحظ من هذا الجدول اختفاء العمليات ضد العرب الذين يعملون في المؤسسات الاقتصادية الاسرائيلية ، وتساؤل نسبة الاعتداءات على جنوب لبنان .

### - اخبار متفرقة :

في ٢٦ ٢٢ وقع في جنوب لبنان حادث مؤسف ، انزعجت له اوساط حركة المقاومة بشكل بالغ . فبينما كانت سيارة عسكرية تسير على الطريق المؤدى الى راحيا الفخار ، انفجر بها لغم مزروع ، أدى الى استشهاد « الرائد الركن يوسف يونس » وثلاثة عسكريين آخرين مرافقين له . وصادف وقوع الحادث اثناء وجود السيد « ياسر عرفات » في لبنان ، فمعد بشكل سريع اجتماع بينه وبين السيد « صائب سلام » رئيس الوزراء حضره قائد الجيش العماد « اسكندر غانم » . وتم في هذا الاجتماع



## مقتل وصفي التل : عنف ثوري وليس ارهابا

المغامرة ، التي تحاول كثير من المواقف الصائها بالحادث . خاصة وانه لم يطرح في أي وسط فلسطيني تفسير او تبرير للحادث على اساس ضرورة الانتصار في هذه المرحلة على الاساليب الفردية والمغامرة .

ومع ان هذه الحقيقة بارزة بشكل ساطع حتى الان ، فمن الضروري ضرورة بالغة بالرغم من ذلك ، ان تشهد كافة فصائل حركة المقاومة الفلسطينية ، نضالا ايدولوجيا يشرح لتواعد هذه الفصائل ، كما يشرح للجماهير على نطاق واسع ، الفارق العام بين عنف فردي يكون جزءا من حركة النضال الجماهيري المنظم ، وبين نوع اخر من العنف الفردي يكون ممزولا عن حركة الكفاح الجماعية للجماهير ، اذ ان هذا النوع الاخير من العنف ، لا تيمتة حقيقة له كمنهج في النضال ، فالقوى الرجعية المضادة قادرة دائما على فرز رجالات من بين صفوفها ، للضي بالخط المعاكس لحركة التاريخ ومصالح الجماهير .

ومن مهام حملة التوعية المطلوبة ايضا ، التركيز على ان مقتل وصفي التل لا يصبح جزءا من العملية الثورية بحكم انبثاقه عن حركة جماهيرية مناضلة فقط ، بل حين يرتبط معه ذلك ايضا ، بعمل سياسي متواصل في صفوف الجماهير ضد السياسة الرجعية المعادية للنضال الفلسطيني ، بهدف خلق الظروف التي تمكن هذا النضال من الاستمرار والنمو .

وبالتركيز على شرح هذه القضايا ، نستطيع ان نخلق مناخا قادرا على ان يميز بوضوح ، متى يكون العنف ضد الافراد ثوريا ، ومتى يكون ارهابيا عاجزا عن التغيير .

وبعد عملية التوعية هذه ، فان التركيز على ما كان يمثله وصفي التل على كافة الاصعدة العربية والفلسطينية امر هام للغاية . لان مقتل التل لم يكن مقتلا لفردي ، انما كان في الحقيقة مقتلا للرمز الذي كانت تتجسد فيه سلسلة طويلة من المخطلطات والمواقف التي يجمعها خيط واحد ، والعداء للحركة

كيف نفهم مقتل وصفي التل ؟ كيف نفهمه كأفراد ومنظمات وكجماهير ؟ هذا السؤال يجب ان يطرح على نطاق واسع في هذه المرحلة ، لغرضين متكاملين : الغرض الاول : الرد على كافة الكتابات التي تحاول ان تصور الموضوع على انه « جريمة » ، او تعبير عن « اليأس » الفلسطيني ، او تصرف « سطحي » لا يحل المشكلة ولا يفيد القضية الفلسطينية ، معتبرة ان الحادث من اساسه اغتيال سياسي فردي على الطريقة التقليدية المعروفة في التاريخ . والغرض الثاني : الخروج من عملية الرد هذه بوضع تقييم صحيح لمقتل وصفي التل ، يعطيه ابعاده ومعانيه الكاملة ، ليتم على ضوء ذلك شرح كافة المخاذير التي يجب بالضرورة تجنبها بوعي كامل ، والتي يمكن ان تبدو في هذه المرحلة ، مروجة للانكار المغامرة والموضوية التي عرفتها تجارب الحركات الثورية في اكثر من بلد ، وناضلت للتخلص منها .

رما يجب تحديده منذ البدء ان مقتل وصفي التل ليس اغتيالا سياسيا بالمعنى التقليدي . لانه تعبير عن المصير الذي يلاقه كل من يقف ضد تضحية الشعب الوطنية الاساسية ، ويكرس جهوده لغرب مركزه الوطنية . ومن هنا فان مقتل شخص من هذا النوع هو نتاج عملية تصنعها الجماهير بجموعها ، وبحصيلة كفاحها الجماعي المعبر عن واقعها ومواقفها الطبيعية والسياسية الوطنية الجذرية ، ضد مواقع ومواقف القوى الطبقية التعمية والاستغلالية والعميلة .

ان العنف ضد الافراد يأخذ طابعا ثوريا ومشروعا عندما يكون جزءا من العملية الثورية التي تصنعها الجماهير المنطلبة على اساس خط سياسي استراتيجي واضح ، واهداف تكتيكية ، تكون في خدمة الخط العام والاستراتيجية البعيدة المدى . وبهذا يتم انجاز العنف الفردي ، بينما تتابع الحركة الجماهيرية نضالها السياسي والعسكري . وما دام مقتل التل جزءا من حركة جماهيرية نضالية واسعة ، فهو اذا بعيد كل البعد عن الاتجاهات

الوطنية ، والممارسة الشرسة لعمليات قمع هذه الحركة . واختياره هو بالذات تعبير عن فهم جماهيرنا ووعيبا للدور الذي كان يلعبه ، والخطورة التي كان يبثها . دون أن يجرنا ذلك الى أن نغفل ولو للحظة واحدة عن طبيعة المعركة الدائرة بين الحركة الجماهيرية وبين النظام الاردني ، اذ يبقى الاصل في المشكلة ، النظام الاردني نفسه ، وما هو يجب ان تنشد اليه الانتظار باستمرار .

وما تجدر الاشارة اليه هنا ان مقتل وصفي التل ليس عملا ينتهي بانتهاء الرجل ، فمن المؤكد ان سلسلة مخططات معادية سوف تتبثق بسرعة كتوع من الرد ، في بداية هذه السلسلة تأتي التوقعات المؤكدة لتوجه النظام الاردني نحو تسعير النزعة الاقليمية ، في محاولة للزج بكل ما هو اردني ضد كل ما هو فلسطيني ، في محاولة لتويه الحقائق ، واخفاء المصالح المشتركة التي تدفع القطاعات المناضلة الفلسطينية والاردنية على حد سواء ، الى مواجهة خصم واحد . وفي هذا النطاق لن يتورع النظام عن القيام بعملية اغتقالات معاكسة ، كما أنه لن يتورع عن الانتقام من المناضلين العامدين في سجون الاردن ، كذلك تأتي في مقدمة هذه السلسلة أيضا المساعي التي مستبذلها القوى الرجعية المضادة لفرض سياسة الترويض على الحركة الجماهيرية الفلسطينية ، بعد ان منعت هذه الطاقة من التوجه نحو قضيتها الاساسية ، وبعد أن فشلت محاولات ايجاد منفذ لها في وساطة جعدة .

على ضوء هذه الامور . على ضوء فهمها بشكل صريح ، ومواجهتها بجرأة ، يمكن أن نتنقل الى شرح مجمل السياسات التي كان التل رمزاً وتجيدياً لها .

#### وصفي التل كما عرفته الجماهير

عاش وصفي التل وترى منذ أن ولد في قرية المصريح الاردنية قرب اربد عام ١٩٢٠ في بيئة تسيطر عليها الافكار الاقليمية الانعزالية المتطرفة . نشأ كان والده مصطفى وهبه التل شاعرا معروفا بقصائده الاقليمية . ومنذ اوائل العشرينات وحتى الثلاثينات ، عمل ابوه على تغذية هذه النزعة سواء بأشعاره او باتصالاته التحريضية المعادية لكل ما هو عربي عامة وفلسطيني خاصة . فسي وقت كانت فيه فكرة الوحدة العربية تسيطر على الحركة النضالية ، وكانت فكرة سوريا الكبرى

مطلبا جماهيريا واسما ويسبب طموح الامر عبدالك لكتسب موقع هام داخل هذه الوحدة ، قام باعتقال مصطفى وهبه التل اكثر من مرة معتبرا نزعة الاقليمية الاردنية عاملا مشوشا على طموحه . الا ان هذه النزعة انفردت في نفس وصفي التل منذ أن كان طفلا ، ولازمته بعد ذلك طويلا وكانت عاملا أساسيا في تكوينه الفكري وسياساته العملية . اما العامل الثاني الذي شكل وصاغ نفسية وصفي التل واتجاهاته الفكرية فهو علاقاته الوثيقة مع بريطانيا . وقد سارت هذه العلاقة في صمود مضطرب ويمكن ايجاز مراحلها بما يلي : ١ - في عام ١٩٤٢ التحق وصفي التل بالكلية العسكرية البريطانية في « صرند » وتخرج منها برتبة ملازم في الجيش البريطاني وقد كان زميلا له في نفس الدورة الجنرال بارليف . ٢ - خدم بعد ذلك في الاستخبارات العسكرية البريطانية التابعة للجيش الثامن وكان مقرها الرئيسي في القاهرة . ٣ - أثناء عمله في المخابرات البريطانية كان مقربا جدا من الجنرال « كلايتون » رئيس المخابرات البريطانية في الشرق الاوسط آنذاك ، واحد الذين كانوا يرسمون سياسة بريطانية الاستعمارية في المنطقة . ٤ - بعد انتهاء الحرب انتهى الارتباط العسكري لوصفي التل ببريطانية وبدأ ارتباطه بمخططها السياسي وتمثل ذلك الارتباط في ذلك الوقت بتقضييتين : الاولى : عمله في المكتب العربي في لندن وواشنطن ، وهو المكتب الذي كانت ترعاه وتبوكه السلطة العراقية المعروفة بولائها البريطاني الكامل . والثانية : تبنيه للمشروع البريطاني للوحدة العربية الذي كانت بريطانيا تسعى لتنفيذه ليكون تحت سيطرة التاج العراقي وبالتالي تحت النفوذ البريطاني المباشر . ومن خلال هذين العاملين ، النزعة الاقليمية الاردنية والارتباط بالسياسة البريطانية ، نستطيع ان نغمم كافة مواقف وصفي التل السياسية وأول هذه المواقف الجديرة بالتسجيل دوره في جيش الانتفاذ الذي كان يقوده « فوزي القاوقجي » عام ١٩٤٨ . فبعد فترة قصيرة من الالتحاق بهذا الجيش نقل وصفي التل من مركزه كضابط في دائرة العمليات الى قيادة الفوج الاردني في منطقة الجليل واعتبر هذا النقل في ذلك الوقت قضية ادارية بحتة . ولكن الغاية الحقيقية منه تكشفت بعد سقوط الجليل بيد الاسرائيليين وانتقال جيش

تجاه الكيان الفلسطيني اعلن وصفي التل نسي  
 ١٩٦٦/٧/٤ قطع العلاقات مع منظمة التحرير  
 وطلب بالعودة من جديد « لتعريف الكيان  
 الفلسطيني وشخصيته وصلاحياته » وكان أبرز ما  
 رفضه التل من مطالب منظمة التحرير سعيها  
 لانشاء جيش فلسطيني يأخذ مواعمه على الحدود  
 مع اسرائيل . وكان يرد على هذه الدعوة قائلاً  
 في ١٩٦٥/٢/٢٠ « ان الحكومة الاردنية قد فرغت  
 من تسليح القرى الامامية » ولكن الاحداث نفسها  
 جاءت لتقدم ردا ملموسا على هذه الادعاءات ،  
 وذلك حين قامت اسرائيل في ١٩٦٦/١١/١٣  
 بعدوانها الشهير على قرية السموع الاردنية ،  
 وقامت على اثر ذلك انتفاضة شعبية شاملة  
 امتدت الى كافة المدن الاردنية وقرأها مطالبة  
 بتسليح وتحصين القرى الامامية وقامت وزارة  
 وصفي التل بالتصدي لهذه الانتفاضة الشعبية  
 وقمعها بوحشية لا مثيل لها مكرسة بذلك تقاليد  
 النظام الاردني في التعامل مع الحركة الجماهيرية .  
 وامتد هذا الموقف الى الحركة الوطنية ايضا وذلك  
 حين قامت حكومة وصفي التل في ١٩٦٦/٤/١٣  
 بشن حملة اعتقالات واسعة شملت القيادات  
 الوطنية من كافة الاتجاهات وبقيت هذه القيادات  
 داخل السجون حتى حرب حزيران .

وتجاه العمل الفدائي التزم وصفي التل دائماً  
 بسياسة عدائية واضحة وصلت الى حد ملاحقة  
 الفدائيين المتوجهين نحو اسرائيل ومحاصرتهم  
 وقتلهم كما حدث في ١٩٦٦/٧/٢٢ حين تلت القوات  
 الاردنية اربعة من مناقضلي فتح اثناء عودتهم من  
 احدى العمليات داخل الارض المحتلة ، وكان ذلك  
 نوعاً من التنسيق الفاضح ، بين سياسة اسرائيل  
 التي لاحقت الفدائيين حتى الحدود الاردنية ،  
 وسياسة وصفي التل التي اكملت ملاحقتهم داخل  
 الحدود الاردنية .

كل هذا حدث قبل حرب حزيران ١٩٦٧ وقبل مجزرة  
 ايلول ١٩٧٠ ولكن دور وصفي التل عاد ليتجدد  
 في مجزرة ايلول وذلك من خلال الدور البارز الذي  
 لعبه في التخطيط للمجزرة وفي الاشراف على تنفيذها  
 من داخل غرفة العمليات اذ كان وصفي التل احد  
 الرجال الخمسة المسؤولين فيها ، وبعد ان تم  
 تنفيذ المجزرة وحن دور دفعه الى الواجهة تسلم  
 رئاسة الوزارة من جديد في ١٩٧٠/١٠/٢٨ وقاد  
 منذ ذلك الوقت بصورة علنية معركة مكشوفة ضد

الاتحاد الى الجبهة السورية اذ انتقل معه وصفي  
 التل واتام مع فوجه في منطقة بحيرة طبريا وبدأ  
 من هناك يجري اتصالات خاصة مع الامير عبدالله  
 منطلقاً جيش الانقاذ والقيادة السورية التي اصبح  
 جيش الانقاذ تحت امرتها . وبسبب هذه الاتصالات  
 انتقلت السلطة السورية التي كانت اجهزة  
 مخبراتها تصر انذاك على أن الامير عبدالله يعمل  
 بالتخطيط مع بريطانيا على القتال ضمن مناسطق  
 التقسيم فقط ، وبقي في السجن ثلاثة أشهر افرج  
 منه بعدها وسفر الى الاردن .

في هذه المرحلة احتضنه النظام الاردني احتضاناً  
 كبيراً وبدأ يسند اليه سلسلة من المناصب :  
 مسؤول في دائرة الاحصاء - مساعد مدير ضريبة  
 الدخل - مدير المطبوعات - مستشار السفارة  
 الاردنية في بون - رئيس التشريفات الملكية -  
 القائم بأعمال السفارة الاردنية في ايران - رئيس  
 التوجيه الوطني . وكانت هذه الاعمال كما يبدو  
 نوعاً من التهيئة والتدريب حتى يستطيع تأدية  
 الدور المطلوب منه وقد كان بالممارسة والوثائق  
 دوراً خطيراً اداه وصفي التل بدأب على كفاءة  
 الاسعدة .

**على الصعيد الفلسطيني :** لعب وصفي التل  
 دوراً خطيراً ، لعل أبرزها الدور الذي لعبه في  
 دورة مجلس الجامعة العربية الاستثنائية المعقودة  
 في شتورا في ١٩٦٠/٨/٢٢ . في تلك الدورة كان  
 الوفد الاردني برئاسة موسى ناصر وزير الخارجية  
 الاردنية وكان وصفي التل عضواً في الوفد الاردني .  
 وكان موضوع البحث الرئيسي في هذه الدورة ابراز  
 الكيان الفلسطيني وانشاء جيش فلسطيني . وقد  
 وافق الوفد الاردني على هذه المطالب ثم قام  
 التل نفسه بالاتصال شخصياً بالملك حسين واقتنع  
 بضرورة رفض الفكرة ثم فرض الرفض على الوفد  
 بعد ان كان قد انتهى من تقديم موافقته وكان يرسم  
 ذلك وبشكل مبكر منهج العداة للنضال الفلسطيني  
 الذي تولى فيما بعد شخصياً تنفيذه بكل شراسة .

في ١٩٦٥/٢/١٣ شكل وصفي التل الوزارة  
 الاردنية واسندت اليه هذه المهمة بعد حدثين  
 فلسطينيين هامين هما تشكيل منظمة التحرير  
 الفلسطينية وانطلاقة حركة فتح في النضال المسلح  
 ضد العدو الاسرائيلي . ومارس خلال تسلمه رئاسة  
 الوزارة سياسة معادية للكيان الفلسطيني وللنضال  
 الجماهيري الفلسطيني والاردني على حد سواء .

العمل الغدائي سياسيا وعسكريا ونفذت في عهده « الملتي » : معركة جرش الاولى في ١٢/٦/١٩٧٠ ، معركة السلط في ١٢/٢٥/١٩٧٠ ، معركة الرصيفة في ١٩٧١/١/٨ ، معركة هملان في ١٩٧١/٢/١١ ، معركة اربد في ١٩٧١/٣/٢٦ ، معركة جرش الثانية في ١٩٧١/٧/٦ .

واثناء تنفيذ كل هذه المجازر العسكرية انتهى مهمة اللجنة العربية العليا التي انبثقت عن مؤتمر القمة في القاهرة ، ثم اعلن انتهاء مفعول اتفاقيات القاهرة وعمان ، ورفض اثناء ذلك دعوة اللجنة العربية لعقد مصالحة وطنية تنهي جو الاقتتال ، مصرا على المضي في السياسة الاقليمية حتى النهاية . وحين اضطرت وزارته تحت الحاح الضغط العربي وطبعا بعودة المساعدات المتوقعة الى التدفق ان توافق على مؤتمر الوساطة في جدة ، خطط وصفي التل منذ اليوم الاول لامشالها . فبعد ان عرضت عليه ورقة العمل المصرية - السعودية للمسرة الاولى وهي الورقة التي تنص على السعي للوساطة انطلاقا من اتفاقيات القاهرة وعمان وافق عليها داخل الاجتماع بينما اعلن خارج الاجتماع في ١٢/٨/٧١ « ان البحث تركز حول اعداد صيغة مشروع اتفاق جديد منبثق عن اتفاق القاهرة » وهو ما كانت ترفضه الوساطة وترفضه منظمة التحرير ايضا . ولكن هذا التصريح ابرز منذ وقت مبكر التكتيك الذي سيتبع لامشال المفاوضات من اساسها . لقد اعتقد وصفي التل ان المساومة الفلسطينية قد انتهت وتلاشت وبعث بوفده السى جدة ليملئ شروط الاستسلام عليها ، ومن خلال هذه العقلية فرض جو الفشل على المفاوضات منذ بدايتها . ولم تكن هذه العقلية سوى امتداد للنظرية التي كان يروج لها في مجالسه الخاصة نظرية ان « فلسطين قد انتهت .. قسم مع اسرائيل وقسم آخر مع الاردن » ولذلك كانت مشكلته الاساسية ، الشعب الفلسطيني وليس اسرائيل .

**اما على الصعيد العربي :** فقد كانت لوصفي التل ادوار خطيرة ايضا ففي عام ١٩٦٠ عين وصفي التل سفيرا للاردن في العراق وكان القصد الاساسي من تعيينه في هذا المنصب الاتصال مع العناصر الرجعية السياسية والعسكرية ذات الولاء للنظام الملكي الذي انتهت ثورة تموز ١٩٥٨ وذلك من ضمن المحاولات الرامية لاعادة الملكية

الى العراق وضرب النظام الجمهوري وقد طلب النظام الجمهوري في العراق من الاردن تسمية سفير اخر بدلا من وصفي التل بعد ان انكشفت نشاطاته وعرفت اتصالاته . وفي عام ١٩٦٢ عين رئيسا للوزراء للمرة الاولى وذلك بعد انفصال وحدة مصر وسوريا الذي لعب النظام الاردني دورا بارزا في تحقيقه . وبعد انفجار الحرب في اليمن بين الملكيين والجمهوريين ساهم وصفي التل مرة اخرى في المعركة ضد النظام الجمهوري وتولى ارسال القوات العسكرية والطائرات للاسهام في ضرب ثورة الشعب اليمني .

كان موقفه هذا سببا وراء العداء العميق بين وصفي التل وبين النظام المصري هذا العداء الذي لم يحد يوما بل كان يزداد في كل يوم الى حد دفع الرئيس جمال عبد الناصر لان يعلن في ٢٦/٥/٦٧ وفي الخطاب الذي القا بوفد من العمال العرب بينما كانت اجواء الحرب تسيطر على المنظمة « التل جاسوس عند الامريكان وجاسوس عند الانجليز ولا يمكن ان اتعاون مع هؤلاء الجواسيس بأي شكل من الاشكال لان المعركة هي معركة مصر ولا محل للجواسيس في هذه المعركة » . وحين شكل وزارته الاخيرة في ٢٨/١٠/١٩٧٠ كان وجوده سببا رئيسيا وراء سوء العلاقات الدبلوماسية بين مصر والاردن وادت هذه الازمة الى الغاء زيارة الملك حسين الى القاهرة لانه كان سيصطحب معه وصفي التل كما ادت الى بقاء السفير الاردني اشهرا طويلة . ينتظر تقديم اوراق اعتماده . اما ذهب وصفي التل الاخير الى القاهرة فقد تم لسبب واحد وهو ان الاجتماع للجامعة العربية وسوف يعقد فوق ارض الجامعة العربية ولا علاقة بالتالي لمصر الدولة به . وقد عبرت صحيفة « الاهرام » في ٣٠/١٠/٧٠ عن وجهة نظر مصر شبه الرسمية من وصفي التل حين كتبت تقول « ان للتل مؤانف سياسية سابقة ومشهورة » كما أنه من الناحية السياسية ابرز المحركين وراء الازمة الدائمة بين السلطة الاردنية وبين المقاومة الفلسطينية وكان هو القوة الحقيقية وراء الوزارة العسكرية التي ترأسها العميد محمد داوود لتنفيذ مجزرة ايلول .

**اما على الصعيد الاردني الداخلي :** فقد اطلق وصفي التل العنان لتزماته الاقليمية اذ كان هو الذي وضع الاسس النهائية للسيادة الاقليمية التي

بذات خلال السنوات العشر الأخيرة . فمنذ ان تولي رئاسة الوزارة للمرة الاولى وضع خطته الاقليمية القاضية بابعاد الفلسطينيين عن كافة المجالات الاساسية في الدولة باستثناء بعض الشكليات التي لا بد من المحافظة عليها ونفذت هذه السياسة يداب في الجيش والوظائف وسلك التعليم والبعثات الدراسية لتأخذ طابعا اردنيا خالصا ضد كل ما هو فلسطيني ونفذ هذا المخطط كله تحت الشعارات الاعلامية التي تدعو وتهلل للوحدة الوطنية وكانت ذروة هذه السياسة الاقليمية خطة التنمية التي اخذت على عاتقها وضع كافة المشاريع الفعالة في الاردن في الضفة الشرقية والاكتفاء بالتطوير التقليدي للاتصاد في الضفة الغربية وكان هذا يتم حسب مخطط وصفي التل بحجة التخطيط تارة والتحديث تارة اخرى .

**اخيرا . . . على صعيد الموقف تجاه اسرائيل :**  
كان وصفي التل يتحدث في المجالس وهو خارج الحكم عن دولة اسبارطة الاردنية التي سيتولى بناها اذا تسلم السلطة ولكن اسبارطة وصفي التل تحولت على يديه الى دولة تريد ان تحارب الفلسطينيين ولا تريد ان تحارب اسرائيل وتتوي عقد صلح ثنائي معها واعتراف بها كما نشرت مؤخرا مجلة « لوي » الفرنسية للتظلي عن المواقف البداية والقبول بالامر الواقع . واخيرا . . . وليس اخرا ما اعلن في الاردن قبل فترة عن رفض الدخول في حرب مع اسرائيل والاستعداد لعقد تسوية ثنائية وهذه هي في الحقيقة والواقع النتيجة المنطقية لكل سياسات وصفي التل التي مارسها اثناء وجوده على رأس السلطة في الاردن . فهل كان من الممكن ان تجد كل هذه السياسات طريقها للتنفيذ بدون تمن ؟

### الحادث

لقد جاء الثمن فعلا . ففي الساعة الثالثة والستينية الاربعين من بعد ظهر يوم الاحد الثامن والعشرين من تشرين الثاني ١٩٧١ ، تزل وصفي التل رئيس وزراء الاردن ، امام فندق شراتون في القاهرة . جرى الحادث في فترة انعقاد مجلس الدفاع العربي في مبنى الجامعة العربية في القاهرة . وكان وصفي التل على رأس الوفد الاردني ، بصفته وزيرا للدفاع . وقد نفذ العملية اربعة شباب فلسطينيين اغتلت ثلاثة منهم بعد الحادث مباشرة ، واعتقل الرابع بعد الجولة الاولى

من التحقيق . وكانوا جميعا قد وصلوا الى القاهرة قبل ايام من الحادث ، ودخلوها بجوازات سفر سورية .

اعلنت اسماؤهم فور الاعتقال ، ثم تبين نسي التحقيق ان الاسماء المعلنه اسماء سرية . واذيعت الاسماء على الشكل التالي : عزت احمد رباح واسمه الحقيقي محمد نبيل سلامه ( ابو العز ) قائد العملية ومطلق الرصاصات القاضية ، منذر سليمان خليفه واسمه الحقيقي خيري سليم خشان ، جواد خليل بغدادي واسمه الحقيقي جواد احمد ابو عزيزه ، زياد بنسام بدران واسمه الحقيقي زياد محمد الحلو . وبعد ايام ابرز في التحقيق اسم شخص خامس يدعى ( ابو محمد ) ، يعتقد انه هو الذي خطط العملية ، وغادر القاهرة قبل وقت قصير جدا من الحادث ، ثم اعلن في ٢ ك ١ أن اسمه الحقيقي هو فخري عامر ، وكان دخل القاهرة بجواز سفر سوداني .

وتبين من اعترافات المعتقلين الاربعة ان « منظمة ايلول الاسود » تشكلت بعد مجزرة ايلول ١٩٧٠ في الاردن ، وهي المجزرة التي ذهب ضحيتها عشرون الف قتيل وجريح . أما الذي شكل المنظمة فهو « ابو علي آباد » احد قادة فتح البارزين الذي استشهد في معركة جرش الأخيرة في تموز ١٩٧١ . اما مهمتها فهي القضاء على كافة المسؤولين عن تدبير مجزرة ايلول ، وهي منظمة لا علاقه لها حسب اصرار الاربعة بأية منظمة غداية قائمة . وفي ٢ ك ١ أصدرت المنظمة بيانها الاول في بيروت وجاء فيه « ان منظمة ايلول الاسود . . . تعدد شعبنا بالخفي قدما في حمل مشعل الثورة الفلسطينية ، حتى يتم تحرير كامل التراب الفلسطيني » .  
**الدفن :** وقد وصل في منتصف الليل الى مطار القاهرة احمد طوقان وزير البلاط واحمد اللوزي وزير المالية ، على متن طائرة اردنية خاصة لمرافقة جنمان التل الى عمان ، ورافق الجنمان ايضا بعثة تعزية مصرية برئاسة السيد صبري الخولي الممثل الشخصي للرئيس السادات . وفي ظهر اليوم التالي ( ٢٩ ك ٢ ) تم دفن التل بأمر من الملك حسين ، في مقبرة بجوار المقبرة المدفون بها جده المسك عبدالله ، الذي اغتيل في القدس عام ١٩٥١ . وقد تمت عملية التشييع والدفن ، وسط اجراءات امن مشددة وحصار فرض على محببات اللاجئيين في عمان . وقد دعت الحكومة بقوات اضافية من

الجيش خرجت مسلحة بالبنادق الاوتوماتيكية ، تجوب شوارع المدينة ، بينما أخذت سيارات الامن المزودة بمكبرات الصوت تطلب من المواطنين التزام الهدوء وعدم القيام بأية مظاهرات . واطلقت في الجناز هتافات معادية لمصر ، ووضعت حراسة خاصة على السفارة المصرية ، وعلى وفد التمزية المصري .

### التحقيق :

مور الحادث اذاع النائب العام المصري بياناً ضمنه المعلومات الاولى ، حول هوية المعتقلين الاربعة ، والافادات الاولى التي ادلوا بها ، واعلنوا بها مسؤوليتهم عن الحادث . وقالت « الاهرام » صباح اليوم التالي ، ان هناك اتجاها لتشكيل محكمة أمن دولة لمحاكمة المعتقلين ، وأن المحاكمة ربما تكون علنية ، وينتظر ان تبدأ بسرعة ، لان التحقيق يكاد يكون منتهيا بالاعترافات التفصيلية التي ادلوا بها .

بعد سماع الاعترافات الاولى للمعتقلين - اذ اعترفوا بمسؤوليتهم الكاملة عن الحادث - أصدرت النيابة العامة قرارا بحبسهم ، ووجهت لهم تهمة « القتل المتعمد مع سبق الاصرار والترصد » . وأعلن ان السيد حسين الشافعي ، نائب رئيس الجمهورية يشرف على التحقيق بنفسه .

نشرت في اليوم التالي (٢٩ ت ٢) الاتوال التفصيلية للمعتقلين ، واطلع القائم بأعمال السفارة الاردنية على مجرى التحقيق . ثم وصل في ٢ ك ١ مبعوث اردني الى القاهرة ، ابلغ النائب العام ان لديه معلومات تفيد التحقيق . بينما قالت المباحث المصرية ان هناك ثلاثة اشخاص آخرين شاركوا في التخطيط بينهم فتانان ، احدهما شقيقة ابو علي ايباد . وقد اعتقل الثلاثة ثم افرج عنهم .

وكان مقررا ان يصدر قرار الاتهام في ٥ ك ١ الا ان النيابة العامة أرجأت ذلك ، وأعلنت ان التحقيق يدور الان حول الجانب السياسي للقضية ، وطلبت ملنا كاملا لاحداث ايلول ١٩٧٠ في الاردن ليضم الى اضبارة التحقيق .

ردود الفعل المباشرة : أثار الحادث ضجة عربية وعالمية واسعة ، وتناقلته بالتفصيل كافة الصحف والاذاعات ووكالات الانباء ، وتراوحت المواقف ازاءه بين التأييد الكامل والرفض الكامل . وكانت المواقف الوسطية نادرة جدا . وفيما يلي تسجيل سريع لابرز ردود الفعل على الحادث .

١ - رد الفعل الاردني : فور الاعلان عن مقتل وصفي التل ، خرجت الى شوارع عمان مظاهرات شعبية عفوية ، لم تعلن الصحف عن هويتها . ولكن مجرى الاحداث ، أظهر انها كانت مظاهرات تأييد . فقد وصفت هذه المظاهرات بانها خرجت « لتعلن اغتيال رئيس الحكومة » ، وأعتبرتها مورا اجراءات أمن شديدة ، رافقتها انزال عدد كبير من السيارات المسلحة والمحلة بالبدو ، بدأت تطوف شوارع المدينة . وفي هذا الجو المنوير اقبلت المحلات أبوابها ، وخفت حركة السير .

وفي المساء ، بدأت الاجراءات الرسمية تأخذ مجراها ، في محاولة لإبراز الموقف الاردني على أنه موقف واحد جماهريا ورسما . وبدأت هذه الاجراءات بتوزيع بيانات رشاء للتل حملت توقيع « أبناء الشعب الاردني » . وفي الساعة الثالثة ليلا وجه الملك حسين كلمة من التلفزيون ، رثى فيها التل ، ولح الى حالة التوتر السائدة ، من خلال مطالبته الشعب بهزيد من الإيمان بالوحدة الوطنية ، وأعلن البلاط الملكي على أشر ذلك الحداد لمدة أربعين يوما ، اما مجلس الوزراء عند أعلن الحداد لمدة اسبوع ، وتعطيل دوائر الحكومة لمدة يومين . ثم بدأت كافة مؤسسات الدولة تعلن موافق مماثلة ، فقد أصدر مجلس الوزراء بيان رثاء واستنكار للحادث ، وصدرت بيانات أخرى عن مجلس الاعيان ومجلس الامة . ثم صدرت بيانات مماثلة بأسماء المسؤولين عن هذه المؤسسات شخصيا .

وفي اليوم التالي ( يوم الدفن ) كانت أبواب الفاجر في عمان لا زالت مغلقة ، ودوريات الجيش متبركزة على مفارق الطرق ، وبعض جنود البدو ظنوا كوفياتهم ( علامة الثار القبليّة ) . وبعد الدفن توالى برقيات المؤسسات الرسمية الاردنية ، وبرز فيها عنصر جديد هو عنصر التهديد . فقد وجه حابس المجالي ، قائد الجيش في مجزرة ايلول ، برقية الى الملك حسين ابلغه فيها « ان الجيش سيتبع اي محاولة لهدم الوحدة الوطنية !! » ، ووجه نذير رشيد مدير المخابرات الاردنية برقية أخرى الى الملك هدد فيها « بتلقين كل فاجر موتور غادر لثيم حمم الهلاك واذاقته سبا زعانا » . أما علي ابو نوار سفير الاردن في باريس فقد اتهم القاهرة ضمنا بالحادث حين قال « ان الشرطة المصرية معروفة بقدرتها وعندمها يقتل رئيس وزراء في

القاهرة ، فان هذا غريب حقا ، ان هذا غير عادي . وفي ٣ ك١ وجه ناطق بلسان المخابرات الاردنية اتهاما اوضح حين نفي وجود ١٥ حارسا اردنيا برفقة النل ، وقال ان هذا التبا « عذر لعلطة نقص جهاز الحماية المصري » .

في هذا الجو التحريضي والتفعل ، بدأ النظام الاردني اتخاذ الترتيبات الادارية اللازمة . فكلف احمد اللوزي وزير المالية بتسلم منصب رئاسة الوزراء ، حتى يمكن الإبقاء على وزارة النل منها ، وعدم الخوض في أية تغييرات سياسية بل هدوء الوضع الداخلي . وتوجه اللوزي في نفس اليوم الى القاهرة لمتابعة اشتراك الاردن في مناقشات مجلس الدفاع . وأصدر الملك حسين لمسا قرارا بتعيين محمد رسول الكيلاني ، رئيس المخابرات الاردني المشهور ، ووزير الداخلية السابق ، مستشارا شخصيا له لشؤون الامن . وسر تعيينه في اوساط المراقبين على انه اعلان بالنوجه نحو تصعيد سياسة القمع ، اذ ادار الكيلاني طويلا عمليات تمع الحركة الوطنية الاردنية دل حزيران ١٩٦٧ .

بعد تعيين الكيلاني مباشرة ، وصلت سرا الى بيروت ودمشق مجموعات من رجال المخابرات الاردنية ، من المؤكد انها أرسلت لتدبير عمليات انتقام ضد الشخصيات الفدائية الفلسطينية . وقد سر اعتقال مجموعة من هؤلاء في دمشق بواسطة اكناف المسلح الفلسطيني ، وكانوا قد اجتازوا الحدود باجازات وهويات جنود في جيش التحرير الفلسطيني . اما في بيروت فقد أجرى بعض قادة القوية اتصالات سريعة مع المسؤولين اللبنانيين ، وبلغوا اليهم المعلومات المتوفرة حول عناصر المخابرات الاردنية التي وصلت الى لبنان . وقام السيد صائب سلام بالاجتماع مع الملحق العسكري في السفارة الاردنية ببيروت وبحث معه الموضوع ، نفي الملحق المعلومات ، وتم تبليغ ذلك لقادة المناوبة .

وحين التقى الملك حسين خطاب العرش مفتتحا الدورة العادية الخامسة لمجلس النواب الاردني في ١ ك١ ، عقد بعده مباشرة مؤتمرا صحفيا قال فيه ان هناك ايد خفية وراء هذا الحادث ، ثم زاد موضحا انها ايد عربية ، وأنه لن يكشف المعلومات التي لديه الا في الوقت المناسب . وحين سئل عن الوقت من مفاوضات الوساطة في جده أجاب « ان

الوقت غير مناسب للحديث عن موضوع مفاوضات جده او غيرها من المفاوضات » ، محددا بذلك المنهج السياسي النهائي للاردن تجاه حركة المقاومة . وقد قام مجلس النواب بترجمة واضحة لهذا الموقف حين أعلن عن جملة قرارات اتخذها من بينها قرار يقول « ان مجلس النواب الاردني الممثل الشرعي للشعب في صفتي المملكة الاردنية الهاشمية ليعتبر كل زعم وادعاء بتبثيل الشعب الفلسطيني في هذه المملكة انما هو مؤامرة تنطوي على قتل الوحدة الوطنية . . . وان جميع المواطنين يمثلهم جلالة الملك المعظم وسلطات الدولة الشرعية بأجهزتها المختلفة » . ويمثل هذا القرار قطيعة نهائية مع حركة المقاومة الفلسطينية التي كرسست بعد عام ١٩٦٧ ، وخاصة بعد توقيع اتفاقي القاهرة وعمان محظلة شرعية للشعب الفلسطيني . وفي ١ ك١ كشف رئيس الوزراء الجديد احمد اللوزي في مقابلة مع جريدة « النهار » عن قرار آخر لمجلس النواب لم يعلن عنه ، حين قال ان المجلس « طلب من الحكومة عدم السماح باتمام أية قاعدة فدائية لاية منظمة ما لم يكن هدفها الحقيقي القتال ضد العدو الاسرائيلي » ، ويؤكد هذا رفض اي عودة فدائية الى الاردن مهما كان نوعها ، بينما كان الموقف الاخير في جده ، استعدادا لقبول عودة المنظمات التي وافقت على الوساطة . ومما يزيد الامر وضوحا ان اللوزي قال في نفس المقابلة ان الاردن « يؤمن بمقاومة منزوعة داخل الارض المحتلة » . في ٧ ك١ صعد الاردن ردود فعله . فاعتقل مجموعات جديدة متعاطفة مع العمل الفدائي . كما اعتقل العاملين في « جمعية رعاية أسر الشهداء » وهي جمعية مستقلة لا علاقة رسمية لها بمنظمة التحرير وتصرف على عائلة وابناء أي شهيد فلسطيني تبلغ عنه . كذلك اعتقلت السلطات الاردنية العاملين في مكتب الضفة الغربية ، وهو مكتب تابع لحركة فتح ، يتولى الاشراف على ادارة بعض العمليات داخل اسرائيل والاراضي المحتلة . ومن جهة أخرى قام النظام الاردني بعقد مؤتمر موسع لرؤساء العشائر صدر عنه بيان طالب جميع الحكام العرب « باعادة النظر في مواقفهم من المنظمات الفدائية » وحمل البيان حركة فتح صراحة مسؤولية الحادث .

٢ - ردود الفعل العربية : اتسعت ردود الفعل العربية الرسمية ازاء الحادث باعلان الاستنكار

بشكل عام . البعض أعلن بحرارة ، والبعض أعلن حسب اللياقات الدبلوماسية ، والتقليون أعلنوا تعاطفهم مع الحادث . وكان اول رد فعل عربي برقية التعزية التي أرسلها الرئيس السادات وجاء فيها « ان الشعب المصري بكل تيمه الخسارية يستنكر بشدة كل منطلق تصدر عنه مثل هذه الاهدال » . ثم ارسل الملك فيصل برقية تعزية للملك حسين استنكر فيها بشدة « الجريمة النكراء » . وتلتها برقية من الرئيس السوداني جعفر النميري اعرب فيها عن « الاسى لاغتيال التل » . ولم يصدر في دمشق وبغداد طوال اليوم الاول اي تعليق ، اما اذاعة الجزائر فقد وصفت وصفي التل بأنه « سفاح الفدائين » ، واعلنت في ٢٩ ت ٢٩ ان نقابة المحامين كلفت ثلاثة محامين للدفاع عن المتهمين ، وفي ٧ ك ١ انضم عمار بن تومي ، نقيب المحامين الجزائريين الى زملائه الثلاثة للاشتراك في الدفاع . وتابعت الجزائر موقفها ، فهاجمت جريدة « المجاهد » وجود ممثلين للاردن في مجلس الدفاع العربي .

في اليوم التالي أرسلت بقية الحكومات العربية رسائل تعزية . فأرسل الرئيس سليمان فرنجية برقية أبدى فيها الاسف « العميق لفداحة الخسارة » . وأرسل كل من رئيس الوزراء صائب سلام ، ورئيس مجلس النواب كامل الاسعد برقيات مماثلة . وقال الفريق حافظ الاسد في برقيته « كم كنا نتمنى ان لا يلجأ أحد الى مثل هذه الاساليب » . وندد الرئيس الحبيب بورقيبة باسم تونس بحادث الاغتيال ، اما المغرب فقد بعث برئيس وزراءه محمد العراقي على رأس وفد للتعزية والاشتراف رسميا بالنشيع . وكشفت صحيفة الاهرام ان الوفد الليبي في مجلس الدفاع العربي رفض التوقيع على برقية تعزية اقترح أن ترسل باسم المجلس موقعة من جميع الوفود ، مما ولد احراجا عاما تم حله بالاكتفاء بوضع توقيع الامين العام للجامعة فقط . بينما نشرت صحيفة الرائد الليبية مقالا قالت فيه « ان اغتيال التل يجب ان يكون درسا يتعظ به الملك حسين » .

٣ - زدود الفعل العالمية : منذ اليوم الاول للحادث أعلن ناطق باسم الرئيس الامركي نيكسون عن « القلق الشديد » للحادث . وفي لندن أهلنت الحكومة البريطانية انها « أصيبت بالاسى العميق » . اما في موسكو فقد نشرت وكالة « تاس » الخبر

بدون أي تعليق وبدون أية تفاصيل . ثم توالت برقيات تعزية كثير من الحكومات حسب الاعراف الدبلوماسية .

اما الصحف الاجنبية فقد اهتمت بتحليل نتائج الحادث فقالت صحيفة « التايمس » اللندنية « ان اغتيال التل سيوقد جمر حركة الفدائين الفلسطينيين » . وقالت صحيفة « اللوموند » الفرنسية « من المحتمل ان يزيد اغتيال التل من اشتداد الامة الراهنة داخل العالم العربي » . وقالت صحيفة « نيويورك تايمز » الامريكية « ان السيد التل لم تأخذه شفقة في قمعه الفدائين ولكن المتطرفين كانوا اكثر ما يكرهونه ويخشونه لانه كان رجلا منطقيًا يسمى الى تسوية عملية مع اسرائيل » .

اما في اسرائيل نفسها فقد قال المعلقون الصحفيون « لقد نجح الفدائيون في اغراق العالم العربي في الفوضى والتلق والاضطراب » . اما المسؤولون الرسميون فقد رفضوا التعليق على الحادث ، غير ان متحدثا اسرائيليا وصفه بأنه « خسارة للملك حسين وللاردن » و اضاف « ان التل حافظ على موقف متوازن جدا تجاه اسرائيل » .

٤ - زدود الفعل الفلسطينية : كان رد الفعل الجماهيري على الصعيد الفلسطيني هو الموقف الاساسي . ففور اذاعة النبأ سمعت في كافة مخيمات اللاجئين في لبنان اصوات طلقات نارية ، اطلقت كتعبير عن التأييد . وفي المساء أرسلت اربعة اتحادات شعبية هي : اتحاد طلاب فلسطين ( بيروت والقاهرة ) - اتحاد العمال - اتحاد المعلمين - اتحاد المرأة ، برقيات الى الرئيس المصري انور السادات تناشده اطلاق سراح المعتقلين « لانهم قاموا بواجبهم الوطني » بينما توالت حملة برقيات كثيفة من كافة مناطق التجمعات الفلسطينية تطالب بالافراج عن المعتقلين ، ولا زال سيل من هذه البرقيات يتوالى على المسؤولين المصريين .

وقد أدلى فور وقوع الحادث ناطق باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بتصريح قال فيه « ان مقتل التل نذير بكل ما سيصيب اعداء شعبنا ، والجبهة تتوقع ان يعامل الفدائيون المعتقلون معاملة المناشطين الذين نفذوا مهمة نضالية » ، وفسر الصحفيون الاجانب فوراً هذا التصريح على انه اعتراف من قبل الجبهة بمسؤوليتها عن



الحادث . ولكن الجبهة اصدرت بسرعة بيانا ينفي ذلك بوضوح ( ٢٩ ت ٢ ) . ولم تعلق حركة فتح على الحادث الا في ١ ك ١ حين نشرت « حصاد العاصفة » تعليقا يقول « ان الابطال الاربعة الذين نفذوا حكم الشعب الفلسطيني في وصفي التل ، هم ابناء الشعب الفلسطيني ، ويمثلون ارادة الثورة الفلسطينية » . وفي ٢ ك ١ اصدرت الجبهة الديمقراطية بيانا طالبت فيه بالانفراج عن المعتقلين . ثم اصدرت خمس منظمات فدائية : فتح - الشعبية - الديمقراطية - جبهة التحرير - القيادة العامة ( بيانا مشتركا حطت فيه دوافع السباب الاربعة الذين نفذوا العملية ، والمبررات التي استند اليها موقفهم ، وطالبت بالانفراج عنهم . وقد شد عن هذا الاجماع الفلسطيني « العميد صباح البديري » رئيس اركان جيش التحرير الفلسطيني ، الذي ارسل في ٣٠ ت ٢ برقية استنكار للحادث ، ورد عليه الشريف زيد بن شاعر برسالة شكر مطولة . واثارت برقية البديري استفرابا واسعا في كافة الاوساط ، وتساءلت اذا كان يحق لضابط في جيش التحرير ان يحدد اي موقف سياسي ، قبل ان تبادر اللجنة التنفيذية الى تحديد موقف المنظمة .

وكانت قد اثيرت ضجة كبيرة حول تصريح نقلته الصحف على لسان السيد « زهر محسن » عضو الوفد الفلسطيني في مجلس الدفاع العربي . اذ روت هذه الصحف على لسانه انه قال في الجلسة التي عقدت عقب الحادث مباشرة ان ما جرى « مؤامرة دنيئة تقف وراءها قوى معادية للامة العربية ... وان التحقيق سيتوصل الى كشف ابعاد هذه المؤامرة ومضح الذين يقفون وراءها » . ولكن مجلة الطلائع الناطقة بلسان منظمة التحرير الفلسطينية ، كذبت النبأ في عددها الصادر بتاريخ ٦ ك ١ واوردت النص الرسمي لكلام السيد زهر محسن المدون في محضر الجلسات . كما ان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير اصدرت في ٦ ك ١ توضيحا نلت فيه ما رددته الصحف قائلة ان تشويها كبيرا طرأ على الكلام المنسوب للسيد زهر محسن .

٥ - رد الفعل الجماهيري العربي : كان رد الفعل الجماهيري العربي ازاء الحادث مماثلا لرد فعل

الجماهير الفلسطينية . فقد بادرت تجمعات جماهيرية عفوية في اكثر من بلد عربي الى ارسال عدد كبير من البرقيات الى الرئيس السادات تطالبه بالانفراج عن المعتقلين . اما في لبنان فقد وزعت الاتحادات الطلابية العربية ( الكويت - الاردن - فلسطين - كوندراالية الطلبة العرب) بيانا دعت فيه الى «الاطلاق الذين ادوا الامانة والواجب » ( ١ ك ١ ) . اما الاحزاب التقدمية في لبنان فقد اصدرت في ٣٠ ت ٢ بيانا قالت فيه « ان التل يتحمل مسؤولية كبيرة في تصفية الدائنين » ، وقامت على هذا البيان اربعة احزاب هي ( الحزب التقدمي الاشتراكي - الحزب الشيوعي - حزب البعث - وحدة القوى الناصرية ) .

وبالإضافة الى ذلك فقد أعلن عدد كبير من المحامين في أكثر من قطر عربي ، استعدادهم للدفاع عن المعتقلين . ونشرت « حصاد العاصفة » في ١ ك ١ أسماء ثلاثين محاميا لبنانيا ابدا استعدادهم للدفاع . وفي ٧ ك ١ بلغ عدد المحامين اللبنانيين المتطوعين أكثر من مئة . ثم عقد المحامون اللبنانيون في ٤ ك ١ مؤتمرا صحفيا أدلوا فيه ببيان تضمن تحليلا وافيا للأسباب التي دفعتهم الى تبني هذا الموقف . وجاء في هذا البيان ان « الثورة الفلسطينية ... اصدرت حكما على وصفي التل بصفته احدى الأدوات الاساسية في تنفيذ جريمة الإبادة ، وذلك عملا بقانون حماية الثورة من اعدائها » .

وفي القاهرة أعلن في ٤ ك ١ ان خمسة عشر محاميا مصرية تطوعوا للدفاع عن المعتقلين . وفي ٧ ك ١ سافر خمسة عشر محاميا عراقيا الى القاهرة للعرض نفسه . وابتقت نقابة المحامين السوريين تعلن استعداد محاميها للدفاع . ثم وجهت نقابة المحامين الفلسطينيين نداء الى اتحاد المحامين العرب لاتخاذ الاجراءات اللازمة لاشراك محامين يمثلون كل النقابات العربية للدفاع عن المعتقلين . هذا بالإضافة الى المحامين الجزائريين الاربعة الذين اشرفنا اليهم من قبل ، وكانوا أول من بادر الى فتح باب التطوع للدفاع .

ب ٥٠ ح

## (٢) القضية الفلسطينية عربيا

يربض وييسط ظله وطالما بقي « كما يتول حسين الى رئيس وفده الى المباحثات ( الرأي ١١/٥/٧١ ) ( ١٣٥ ) . وهي بالتالي ليس من حقها ان تملك حريتها في العمل العسكري ، وليس من حقها ان تقوم بالعمل السياسي في اوساط جهايرها . ولهذا كان الوفد الاردني صريحا في مطالبته ومقترحاته : فالمنظمة لا تمثل الشعب الفلسطيني ، والدولة هي صاحبة السيادة الكاملة على اراضيها ، والعمل السياسي ممنوع على الثورة والعمل العسكري تحت اشراف السلطة الاردنية ، وعدد الفدائيين المسموح بوجودهم لا يجوز أن يزيد على الالف ، وكان طبيعيا ان يرفض وفد المقاومة كسل هذه الشروط ، خاصة وهناك رفض شعبي وفي اوساط قواعد المنظمات للمصالحة اصلا .

ثانيا : ان المفاوضات الاردني ذهب الى جده ، وهو يراهن على « توقعات » اخرى . وكان يجلس الى مائدة المباحثات مناورا ، وهو يتوقع احداثا تقلب الامور رأسا على عقب . فما هي هذه الاحداث التي كان المفاوضات الاردني يتوقعها ؟ انها تتلخص في امر واحد : انفجار حركة المقاومة من الداخل ، وفي هذه الحالة تتمكن العناصر المؤمنة بضرورة حصر المقاومة في عدد محدود من الفدائيين وحصر مهمتها في العمل داخل الارض المحتلة فقط من تحقيق الاتفاق المنشود . ولقد كان هدف المحاولة الرامية الى اغتيال ياسر عرفات خدمة مخطط التفجير هذا . وكانت دوائر المخابرات الاردنية ودوائر اخرى تعتقد ان اغتياله سينجر حركة التحرير الوطني الفلسطيني ( فتح ) ، وسينهي مشكلة الثورة الفلسطينية ومنظمة التحرير ! ولكن مخطط الاغتيال لم ينجح ، ووفد حركة المقاومة لم يسر في مسلسل التنازل ، كما توقعت الحرية ، والضغط السعودي لم يثمر . وهكذا فشلت الجولة الثانية من المباحثات .

ويعود سر التفاوض الاردني في تقديرنا الى ثلاثة عوامل :

اولها : ان الاردن ، الذي حقق انتصارات على حركة المقاومة ، خلال عام او يزيد ، ومنذ نهايات صدامات ايلول وحتى اليوم ، كان واثقا من قدرته على تحقيق المزيد من الانتصارات . وكان ما يراه

١ - فشل الجولة الثانية من جولات المصالحة انتهت الجولة الثانية من مسلسل المصالحة بين المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني الى الفشل . ولقد جاءت هذه النهاية عكس ما كان يشيخه الاردن وبعض الاوساط العربية ، وخاصة المملكة العربية السعودية من جهة ، وعكس ما كانت تؤكد صحف عربية واوساط عربية تقدمية ووطنية من جهة اخرى . فلقد جاء في الوكالات من عمان « ان مصادر مسؤولة في الوفد الاردني الى محادثات الوساطة في جده » اعربت « عن املها بالتوصل الى اتفاق نهائي وشامل بين الحكومة الاردنية ومنظمات المقاومة خلال اليومين القادمين » . واضافت هذه المصادر ان « جوا من التفهم ساد المحادثات مع وفد المقاومة الذي أبدى تجاوبا حسنا ونية حسنة » ( الكناح ١١/١٦ ، ٢٧٢٦ ) . وكان مصدر رسمي اردني قد اعرب عن تفاؤله بالمحادثات التي ستجري في جده ، يوم ١٠/٣١ ( الحياة ١١/١ ، ٧٩٧٤ ) .

وكان مثل هذا التفاؤل الاردني - السعودي يجد صدى مغيفا في الاوساط التقدمية والوطنية . وقد عبرت صحيفة ( الحرية ) عن ذلك بقولها : « ان الذين قبلوا بمنطق الوساطة العربية والمفاوضات مع النظام الاردني لن يستطيعوا ايقاف تيسار التنازلات الجوهرية المتتابعة الان ، ذلك هو من صلب المنطق نفسه » ( الحرية ٥٩٢ ) . وعادت ( الحرية ) فأكدت في الاسبوع التالي ان وفد المقاومة يسير على طريق التسليم ( ٥٩٣ ) . فلماذا فشلت مباحثات المصالحة اذن ؟ وما سر التفاؤل الاردني الرسمي وتخوف الاوساط التقدمية الفلسطينية والعربية ؟

أولا : ان الوفد الاردني الذي كان يفاوض في جده جاء الى جده بأوامر صريحة وانكار محددة تدور حول ما يلي : أ - ان السلطة الاردنية هي ممثلة الشعب الفلسطيني ، وسوف نبحت هذه القضية فيها بعد . ب - ان السلطة الاردنية هي السلطة الوحيدة في الاردن ، وان اي عمل يتم في الاردن يتم من خلالها ، وتحت اشرافها . ج - ان المقاومة الفلسطينية ليست الا اعمالا فدائية لجماعات محدودة ، تعمل « ضد الاحتلال حيث

من تراجع مستمر في حركة المقاومة ، يقفمه بأن  
الشاذل سيستمر ، لا سيما ان هنالك من يرغبون  
بمعارات مماثلة لشعارات السلطة الاردنية  
بأساليب مختلفة ، وهناك من يساومون ومن  
يتخاذلون ، ومن يهربون من المعارك ، ومن يبحثون  
من الراحة والوجهة داخل حركة المقاومة .

ثانيها : ان الاردن كان يعمل ، مع دوائر مخابرات  
عربية واجنبية لشنق حركة المقاومة ، ما بين فتح  
وغير فتح ، ويسار ويمين ٥٠٠ و ٥٠٠ وكان يبدو  
ان هذه المساعي الرامية الى تفجير حركة المقاومة  
بذبي اكلمها . وكان هنالك كثير من الظواهر التي  
يركز هذه الحقيقة . كما يبدو ان الخيل التي كانت  
يراهن عليها الانظمة كانت حريصة على ان تقتنع  
الانظمة بقدرتها على تحقيق الاهداف المطلوبة .

ثالثها : ان الاردن كان يريد ان يحتال على بعض  
الانظمة العربية لانهاء العزلة والتغطية ، ولبدء  
حوار مع هذه الانظمة يقود الى عزل المقاومة  
نهائيا . ثم ان النظام كان يحاول ان يخدع جماهير  
الشعب الاردني التي ضايقها الحصار بوعود سرابية .  
لما سر تخوف بعض الاوساط العربية التقدمية فيعود  
الى عاملين : اولهما : عدم ثقة هذه الاوساط  
بتبادات حركة المقاومة ، واعتقادها بانها قيادات  
« سقطت » « وانتهت » . ثانيها : اعتقاد هذه  
الوساط بان القيادات التي رضيت بكل التنازلات  
السابقة ، مستعدة لكل تنازل يطلب منها .  
وسنناقش موقف هذه الاوساط فيما بعد .

ومع ذلك كان ان انتهت جولة اخرى من المباحثات  
دون ان تنازل المقاومة عن هدف من اهدافها  
الاساسية الثلاثة وهي : ١ - منظمة التحرير هي  
الممثل للشعب الفلسطيني . ٢ - حرية العمل  
البدائي عسكريا . ٣ - حق الثورة الفلسطينية  
بتعبئة الجماهير في الاردن سياسيا واعلاميا .

هذه هي « المطالب » التي ان تنازلت عنها المقاومة  
انتهت تماما ، والتي تحاول جهات مختلفة ان  
تسلبها اياها ، كما ان هناك داخل المقاومة من  
يدعو الى التنازل عنها بأساليب مختلفة ، تبدأ  
بالدعوة الى العمل السري - وليسنا ضد السرية  
بالطبع . وتنتهي بالدعوة الى التوجه الى الداخل ،  
والى الداخل فقط ، من اجل انهاء وجود المقاومة  
وكما سبها خارج نطاق الاحتلال الصهيوني ،  
واحرامتها من حقل استقطابها بين جماهيرها  
الفلسطينية والعربية ، ولانها قواعدا الخارجية

ومناطق تمحوها وانتشارها التي تعطيلها اسباب  
البقاء والقوة في الداخل والخارج .

ان هذا كله يحقق غاية الانظمة المترددة والخائفة ،  
لان هذا الالغاء يضع حدا لنمو سلطة الشعب  
الفلسطيني وتبلور ارادته المنظمة المسلحة ، كما  
يمنع التفاعل بين هذه البؤرة المتهبة والجماهير العربية .  
انتهت الجولة الثانية اذن بالفشل فهل ستبدأ جولة  
اخرى ؟ ان هذا يعتمد على مجموعة من الظروف  
الفلسطينية والعربية . ذلك ان ياسر جمهورية مصر  
العربية من « الحل السلمي » الموحى به امريكا ،  
يدفع الى الحديث عن ضرورة الحرب . والحديث  
عن ضرورة الحرب يجر الى الحديث عن الجبهة  
الشرقية ودور المقاومة . وفي هذا المجال يكتفي  
بعضهم بضرورة ان تضع المقاومة نفسها ضمن اطار  
« التنسيق العربي » ، كما يرى بعض آخر ان من  
الضروري ان تحدد المقاومة دورها في المسيرة كلها  
« لان المسيرة لن تنتهي بالاشتباكات المقبلة ، بل  
تستدخل مع هذه الاشتباكات مرحلة جديدة ، طريقها  
طويل وشاق ومعقد » ( المحرر ، لباس سحب ،  
١١/٢٦ ) والكلام واضح في معناه ومبناه . ذلك  
ان المطلوب عربيا ، هو التنسيق اولا ، وللتنسيق  
عربيا معناه . والمطلوب ثانيا هو ان تصبح المقاومة  
جزءا من استراتيجيتها الانظمة الحالية .

وما دامت الرغبة في الضغط على دولة الاحتلال  
الصهيوني واردة ، فيستظل الحديث عن المصالحة  
واردا . وعلى الرغم من ان الملك حسين قد صرح  
بانته لن يصانع قتلة وصفي القتل ، فان استمرار  
التوتر والحديث عن الحرب واستمرار « المساعي  
الصيدة » سوف يقود الى جولات اخرى ، الا اذا  
حدثت تطورات مفاجئة وجذرية في الموقف الاردني  
او العربي او الفلسطيني ، او فيها جميعا .  
٢ - ياسر عرفات يطلب الوساطة ويأسر عرفات  
يجبها :

بيننا الاسباب التي نعتقد انها تكمن وراء فشل  
مباحثات المصالحة . ولكن هنالك من يعزو الفشل  
الى اسباب اخرى . وهذه الاسباب هي :  
اولا : ان المفاوضات الاردني كان « مزودا باوامر  
وتعليمات صريحة من حكومته بعدما قبلت هذه  
الحكومة ورقة عمل الوسطاء ! في حين ان مفاوضات  
المقاومة الذي قبل ورقة العمل كان يتعرض لضغوط  
وتيارات تتجاهبه ، ولا تبل له على مواجهتها بحزم !  
ولعل أبرز هذه الضغوط هي التي واجهتها منظمة

التحرير الفلسطينية من بعض فصائلها المتردة عليها اصلا ، والتي تبكت الوحدة داخل المنظمة كتكتيك وليس كاستراتيجية » ( الجديد ، ٢٥١ ، ٧١/١٠/١ ) .

ثانيا : « كان بإمكان ياسر عرفات ان يقول بصراحة أن المقاومة هي التي طلبت الوساطة ، ولو فعل هذا لقطع الطريق على المنظمات التي تمرقل مسيرة المقاومة ، ولكن السيد عرفات فضل اللجوء الى السياسة المتعارف عليها بين الحكام العرب ، والتي تقول في الاجتماعات الرسمية شيئا وتجاهر امام الناس بشيء اخر » ( الجديد ، ٢٥٤ ، ٧١/١٠/٢٢ ) . وكانت المجلة ذاتها قد اتهمت ياسر عرفات بأنه لم يستطع ان يتخذ موقف الحسم ( الجديد ، ٢٥١ ، ١٠/١ ) كما اتهم من قبل بأنه يمسك بالعصا من منتصفها (انظر شؤون فلسطينية ، العدد ٥ فلسطين عريبا) . ثالثا : « ان القاعدة الشعبية الفلسطينية تصر على أن تكون المعركة مع العدو ، وداخل الأراضي التي يحتلها ، وتصر بالتالي على رفض جبيع الوصايات ، مهما كان شكلها ونوعها وتبعيتها ! وكان على السيد عرفات المؤمن بهذا الاتجاه ان لا يترك الامور تغلت من يده . وكان بإمكانه ان يحرر المقاومة من عقدها باتخاذها موقفا صريحا يحصر عمل الكفاح المسلح في اطاره الذي انشئ من اجله ... » . « ولان السيد عرفات قد أمسك بالعصا من منتصفها تحت ضغط الاخوان المحيطين به ، بدأ يواجه المتاعب المتلاحقة ، ومنها مشكلة جيش التحرير الذي نمت فيه الماركسية بفتلة... » (الجديد ٢٥٢ ، ٧١/١١/١٥) . رابعا : « ... قيام بعض الحول العربية الراضة للسياسة المصرية الخارجية بالتدخل في اوساط الفدائيين والعمل لنسف مبدأ الوساطة » (الجديد ٢٥٤ ، ٧١/١٠/٢٢ ) .

القضية اذن هي قضية ياسر عرفات اولا . فياسر عرفات لا يريد ان يحسم مع الماركسيين ، او لنقل لا يريد لانه عاجز عن الحسم . وهي ايضا قضية المنظمات الماركسية المطلوب الحسم في أمرها والتي « رأت في هذا التحرك اول خطر حقيقي يواجهه التفلغل الماركسي في الساحة الفلسطينية بمخطط ماركس ... او على الاصح بتدابير ماركسة » ( الجديد ٢٥٤ ، ١٠/٢٢ ) . وهي ثالثا قضية بعض الدول العربية المشاكسة للسياسة المصرية ،

كما تزعم المجلة المذكورة ، والتي حركت العمل الفدائي ضد الوساطة . ولكنها فوق هذا تكت قضية الوساطة انفسهم ، وماذا يريدون . وهم لا يريدون وساطة تعيد المقاومة الفلسطينية الى الاردن ، وهم لا يريدون « من وساطتهم ان تكون بمثابة حبة مسكن توقف الى حين التزيف ، بل يريدونها عملية حسم تضع المقاومة في المكان الذي رسم لها في خط المواجهة » ( الجديد ٢٥١ ، ٧١/١٠/١ ) .

هذا اذن ما تريده الوساطة . والمطلوب من ياسر عرفات ان يحسم . فماذا تعني ان يحسم انها تعني ان يبادر الى ما يلي : اولا : قمع الحركة الوطنية الفلسطينية ، وضرب جذورها وظواهرها الشعبية ، واغراق البلاد في بحر من الدماء من اجل سحق روح التسييس لدى الجبابرة ومنعها من ان تفكر وتناقش وتنتقد الخونة والعلماء وتكشف خيانتهم وزيغهم وعمالقهم . ثانيا : ربط الشعب الفلسطيني بعجلة الانظمة ودوائر مخابراتها ، وتجنيداه لتنفيذ مخططات التصفية والاستسلام . ولان ياسر عرفات لم يفلح السير في هذا الطريق تشن عليه الحملات التشكيكية . وتشن ضده حملات التحريض .

وهكذا نرى بوضوح ما الذي تريده بعض الاوساط العربية من الوساطة . وهي اذ تعجز عن تحقيق ما تريد ، على الرغم من المجازر ، تلجأ الى محاولة التنجير من الداخل ، والى محاولة التشكيك والذس والوقيعة ، مستخدمة العناصر التي تريد « حسبا » على هذه الطريقة . ويمكن فخرا لياسر عرفات ان يرفض الحسم في مثل هذه الحالة ، كما سيكون شرفاله ان يحبط وساطة هذه هي اهدافها . ولكن القضية في رأينا ، ليست قضية ياسر عرفات ، بل قضية الشعب الفلسطيني كله . والشعب الفلسطيني لا يسمح بتصفية قضيته ، كما انه لا يرضى ان يتحول ابتلاء الى اجزاء تمع في ايدي دعاة التصفية والاستسلام . وامام تمسك الشعب الفلسطيني باستقلاليتة وحرصه على استقرار ثورته ، وعلى دحر مؤامرات التصفية والاستسلام ، لا بد من ان تفشل وساطة مثل الوساطة الالفة الذكر .

فانى لهؤلاء ان يفهموا ان ارادة الجماهير لا ترد ولا تهزم ، وانها ليست ملكا لفرد ، وان ما من احد يستطيع الاحتفال عليها او ايقانها او هزها

من اعدادها .

## ٢ - من يمثل الشعب الفلسطيني ؟

بند انتقلت المقاومة سنة ١٩٦٥ انطلق للشعب الفلسطيني صوت جديد ، كان ضائعا وتائها . ولقد احس شعبنا منذ ذاك بالفرح العميق لانه وجد نفسه . ولكن بروز المقاومة ممثلا للشعب الفلسطيني كان لا بد من أن يصطدم بالوصايات المروضة على شعبنا عموما ، وبالسلطة الاردنية خصوصا . فالوصايات كانت وما زالت تسمى لان تسمى شخصية شعبنا ، او لان تجعله في وضع العاصر دائما . اما السلطة الاردنية فانها لا تريد أن تلعب دور وصي ، أنها تعتبر نفسها صاحب الحق ، الوريث . وشعبنا بالطبع يقاوم ، منذ اتحدت الضفتان ، هذه السياسة العدوانية، ولكن النظام الاردني يندفع ويزداد شراسة كلما اردت المقاومة .

وتبدأ قضية التمثيل عندما تلم جماعة من شعبنا، لا صفة تمثيلية لهم ، باعلان وحدة الضفتين نسي بؤنبر اريحا . ولم يعترض شعبنا على وحدة الضفتين وقتها ، ولا هو معترض الان ، ان اعتراضه على السلطة الاردنية وعلى اهليتها لتمثيل الشعب في الضفتين .

وتنبع المشكلة الاساسية في قضية التمثيل مما يلي: اولا : ان السلطة الاردنية لم تكن في يوم من الأيام ممثلة ارادة التحرير والعودة . وكانت ملاماتها وارتباطاتها الدولية وطبيعتها تكوينها تجعلها ممثلة للوضع القائم : أي استمرار الاحتلال الصهيوني ، استمرار التشريد والقمع والجوع الخ . وكان شعبنا يريد من يمثل ارادة التحرير والعودة ، وليس صعبا ان يتخفف من السلطة الاردنية لا تمثل هذا الاتجاه .

ثانيا : ان السلطة الاردنية لا تستطيع ان تدعي قانونيا ودوليا أنها تمثل اكثر من الضفة الغربية. ولكن فلسطين ليست الضفة الغربية فحسب . ماذا ما اوكل تمثيل فلسطين الى السلطة الاردنية حولته الى موضوع اعادة الضفة الغربية فحسب، أي تكريس الاحتلال في المناطق الأخرى ، وعدم القتال لاعادة الضفة الغربية ذاتها .

هذا من جهة أما من الجهة الأخرى ، فان الأميركيين والإسرائيليين استخدموا قضية من يمثل الشعب الفلسطيني لتحرير السلطة الاردنية على ضرب المقاومة . وكان دهاة وزارة الخارجية الأميركية

يهمسون في اذن السلطة الاردنية دائما : كيف تريدون ان نفاهم معكم على حل سلمي ما دامت قضية تمثيل الشعب الفلسطيني لم تحسم . ان منظمات المقاومة تحظى بتأييد واسع في اوساط الجماهير الفلسطينية ، وعليكم ان تثبتوا انتم انكم قادرون على وضع حد لهذا كله . وكانت مجزرة ايلول وما تلاها . ولكن القضية لم تحسم . فالسلطة الاردنية تريد من الشعب ان يوكلها بتمثيله لتكون قادرة على اجراء عملية التصفية . ولهذا اخذت السلطة الاردنية ، وبعد سقوط جرش وعجلون خاصة في طرح قضية التمثيل محليا وعربيا ( انظر هذا الباب ، العدد ٤ ، ٥ ) . وازداد نشاط السلطة في هذا المجال بالذات ، خلال الشهرين الماضيين ، وتمثل هذا النشاط فيما يلي : اولا : محاولة سحق حركة المقاومة نهائيا ، حتى لا تظل القضية مطروحة . وكان ان لجأت السلطة الاردنية الى المجازر الدامية والقمع والبطش ، ثم اخذت تعمل لتفجير المقاومة من الداخل ، ثانيا : القيام باتصالات عربية لتصوير الامر على غير حقيقته ، ولحاولة اقناع الدول العربية ، بأن المقاومة تطالب بحق التمثيل من أجل خلق دولة فلسطينية مسخ ، او ما « مقدار الغائدة او الضرر الذي يلحق بمسألة التحرير من جدوى البحث والسؤال الان في ( من يمثل شعب فلسطين ) قبل أن تتجرر فلسطين واهلنا نسي فلسطين » ( الرأي ، ١٤٩ ، ١١/٢٤ ) . ثالثا : القيام بحملات اعلامية لتكريس القيادة الواحدة وفكرة الاسرة الواحدة ووحدة الضفتين ، بينما هم يعملون بمنطق السيطرة والاضخاع ( الرأي ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٤٥ ، تاريخ ١٠/٨ ، ١٠/٢٢ ، ١٠/٢٨ ، ١١/١٧ ) .

ولم يكف عملاء السلطة بطرح هذه القضية نسي احاديثهم وفي ندواتهم من خلال الحديث عن القيادة الواحدة والاسرة الواحدة ، بل تجرأوا فطرحوها علانية . ولكنهم استخدموا اكثر من أسلوب في طرحها . فمهم يحاولون حيناً ان يقولوا ان قضية التحرير أهم من قضية التمثيل . وهذه كلمة حق اريد بها باطل . لان السلطة الاردنية تريد صرف النظر الان عن قضية التمثيل ، وعن قضية التحرير . ولقد قالت صحيفة الرأي الرسمية، في طرحها للموضوع : « اذا كان المطلوب ، عربيا وغدايا ، تحرير فلسطين ، فنحن في طليعة من

يجاهد ويناضل في هذا السبيل ، وسجل كفاح الأردن في هذا المضمار يشرف كل المتشدقين وادعياء التحرير . أما اذا كان المطلوب عربيا وفدائيا الحصول على اعتراف اردني بمنح هذه المنظمات حق تمثيل شعبي في الضفة الغربية على أساس نصف وحدة ضفتي الاردن ارضا وشعبا ، فهذا المطلوب مرفوض جملة وتفصيلا « ( الرأي ، ١٤٧ ، ١١/٢٢ ) .

ويلاحظ هنا ان اوساط السلطة الاردنية معنية بمن يمثل الضفة الغربية ، وليست معنية بشيء بصدد قضية فلسطين كلها وشعب فلسطين كله .

ويبدو الارتباك الاردني الشديد ، من خلال طرح قضية التمثيل هذه التي تختلط في طرحها محاولة الاساءة للمنظمات الفدائية بمحاولة تضليل الرأي العام عن طريق ايهامه بأن انتزاع التمثيل من السلطة الاردنية معناه : « فصل الضفة الغربية عن الضفة الشرقية ، على أساس ان الضفة الاردنية المحتلة هي التي وقع عليها الاختيار اسرائيليا وفدائيا ، لتمثيل الفصل الاخير من مسرحية خيانة القضية على ارضها الطهور » ( الرأي ١٤٧ ، ١١/٢٢ ) .

ولكن هذا الاسلوب ليس الاسلوب الوحيد الذي يستخدمه جهابذة السلطة الاردنية . اذ انهم ما ان يكتشفوا عقم هذا الاسلوب حتى يطرحوا ما يريدون مباشرة . ولهذا حولوا قضية تمثيل الشعب الفلسطيني الى قضية قانونية تكتب فيها الابحاث القانونية . وجرت المحاولة لاثبات ما يلي : ١ - ان وحدة الضفتين وحدة قانونية وشرعية ، وأنها كانت وليدة « الإرادة الشعبية التي عبر عنها الشعب بشكل مباشر عن طريق المؤتمرات ، وقررها ممثلو الشعب في مجلس الأمة » المنتخبين من الضفتين .

٢ - « ان عدم عرض قرار الوحدة على الاستفتاء الشعبي لا يؤثر في شرعية هذا القرار لسببين : ١ - لان الشعب اظهر رأيه في اقرار هذه الوحدة عن طريق المؤتمرات الشعبية وعن طريق نوابه ... » - « ان وحدة الضفتين تعتبر شرعية طالما اعترفت دول العالم بها ، سواء تمت عن طريق الاستفتاء او عن غيره » .

٣ - « ان كون الثورة الفلسطينية تسمى لتحرير الاراضي المحتلة بالقوة لا يجعل لمنظمة التحرير باعتبارها تضم فصائل المقاومة الحق في تمثيل

الشعب الفلسطيني لعدة اسباب : ١ - لانه ليس هناك رابطة بين الصفة القانونية او الواقعية للسلطة وبين مضمون نشاطها او طبيعة الاداء التي تسمى اليها ... » ب - « ان السلطة التي تمثل شعبا معينيا يجب ان تستند الى ارادة هذا الشعب التي يعبر عنها ممثلوه بطريقة حرة ... » ج - « ان الثورة عندما تستنفذ التجزئة والانفصال وتفكك عرى وحدة الشعب الواحد ، فانها لا تكون ارادة شعبية » .

٤ - « ان تنازل الحكومة الاردنية في انقضاء عمان لمنظمة التحرير عن حق تمثيل الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية باطل لان اتفانسا عمان تعتبر باطلة قانونا لعدم عرضها على مجلس الأمة وموافقة مجلس الأمة عليها » .

وتصل الدراسة الى الاستنتاج التالي : « يتبين مما سلف ان منظمة التحرير الفلسطينية لا يمكن ان تمثل كافة قوى الشعب الفلسطيني ولا يمكن ان تمثل سوى فصائل المقاومة طالما انها تنفرد الى الإرادة الشعبية التي تعتبر وسيلة اسناد اية سلطة . وان الحكومة الاردنية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني في الضفة الغربية » ( الرأي ، ١٤٣ ، ١١/١٥ ) . ويبدو واضحا من هذا كله ما يرمي اليه النظم الاردني . انه يريد ان يتمسك بشرعية تمثيل الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية ، ليستطيع اجراء تسوية فيما يتعلق بالضفة الغربية ، وليمنح طرح القضية الفلسطينية طرعا شاملا ، لان في ذلك ما يمسسه . ولكن تمثيل اي شعب ليس مرهونا بفرض سلطة الامر الواقع ، ولا مرهون بالاتفاقيات والقرارات . انه مرهون بظهور قوة تستطيع ان تستقطب ارادة الجماهير ، وان تجعلها تبادر على تغيير الامر الواقع . فاذا ما استطاعت المقاومة الفلسطينية ان تستأنف مسيرتها ، وان تتخطى العقبات التي تتف في طريقها انتزعت حتما في تمثيل الشعب الفلسطيني واستقطت كل مؤتمرات السلطة الاردنية وكل اسانيدها « القانونية » الشكلية . وفي النهاية لن يبل شعب فلسطين الا الذين يجسدون قضية التحرير والعودة ، وواضح ان النظم الاردني ليس واردا في هذا المجال .

### (٣) القضية الفلسطينية دوليا

السادات بصورة علنية هذا الاتجاه المائل والمرارغ والهادف الى كسب الوقت في الوساطة الامريكية وذلك في المقابلة الهامة التي نشرتها مجلة « نيوزويك » في الاسبوع الاول من شهر كانون الاول ١٩٧١ . وتدعم الولايات المتحدة هذه السياسة اولا عن طريق التعامل برقة ورفق مع مصر كما في التصاهل الذي ابدته بالنسبة للديون المستحقة على مصر لحساب امريكا ( حوالي ١٤٠ مليون دولار ) حيث منح الاتفاق الذي توصلت اليه الدولتان في اوائل شهر تشرين الاول مدة سبع سنوات لمصر كي تسدد دينها ، واعتبرت امريكا التوصل الى مثل هذا الاتفاق بمثابة شرط ضروري لعودة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين نسي المستقبل . وثانيا ، عن طريق الامتناع الاتي من تزويد اسرائيل بالطائرات التي تطلبها بالصاح باعتبار ذلك أداة صالحة لاستمرار هيمنة امريكا على النزاع في الوقت الحاضر وضبطه ضمن الحدود التي تريد الا يتعداها حاليا .

ضمن هذا الاطار العام تحركت السياسة الامريكية في بادئ الامر لتثقيط مشروع التسوية الجزئية وتقويته من جديد بعدما أصبح باهتا ومهلهلا بالاضافة الى خلق انطباع مجدد بأن هذه الدبلوماسية جادة « هذه المرة » في جهودها ووعودها بتسوية النزاع وانه على مصر ان تمنحها فرصة اخرى لممارسة جهودها الهادئة والا تتعد الثقة بنواياها في الوصول الى حل عادل يرضي الطرفين . وهذا يعني على الصعيد الفعلي ابقاء كل شيء على حاله في المنطقة لفترة اخرى من الزمن . وقد تلخصت التحركات الامريكية المشار اليها بالنقاط التالية :

(١) استمرار الولايات المتحدة في معارضة احياء مهمة يارينغ ( التي حلت محلها الوساطة الامريكية ) التي اخذت مصر تطالب بالعودة اليها ، ومعارضة تنشيط اجتماعات الدول الاربعة الكبرى كوسيلة للوصول الى تسوية سلمية تفرضها هذه الدول على المنطقة وتضمن تنفيذها . وقد ادلى روجرز في اوائل شهر تشرين الاول بتصريح ذكر فيه انه استنتج عبر اتصالاته بوفود الدول الكبرى نسي هيئة الامم بانها لا ترى اي احتمال لقيام الدول

لم تطرأ أية تغييرات ذات أهمية على المعطيات الأساسية للاوضاع الدولية المحيطة بالنزاع العربي الإسرائيلي في الشهرين الاخيرين ، اذ استمر المشروع الامريكي الداعي لاعادة فتح القناة ( اي ما يدعى بمشروع التسوية الجزئية او المؤقتة ) في تشكيل المحور الرئيسي للنشاط الدولي الذي تبديه الاطراف المعنية بأزمة الشرق الاوسط . ولكن لا بد من التنبيه الى ان كل الدلائل تشير ، مرة اخرى ، الى ان مشروع التسوية الجزئية قد اضطلح بالعراقيل المعروفة التي تلاشت بسببها كل المشروعات السابقة لتسوية الازمة ، مما خلق انطبعا عاما ، في الفترة الاخيرة ، بدخول المشروع الزاهن مرحلة الوهن والاحتضار حتى ان روجرز نفسه ، صاحب المشروع ، لم يعد يؤكد بأن الوساطة الامريكية ستتوصل الى اتفاق لاعادة فتح القناة قبل نهاية عام ١٩٧١ كما كان يفعل سابقا باستمرار . تبعا لذلك استمرت الوساطة الامريكية بالعمل على اساس سياسة التوازن الشكلية بين المفهوم العربي لما يعنيه مشروع التسوية الجزئية على الصعيد التنفيذي والمفهوم الإسرائيلي المضاد لعنى المشروع نفسه ، وذلك عن طريق (أ) ما تسميه الدبلوماسية الامريكية بتقريب وجهات النظر بين الطرفين العربي والإسرائيلي ، (ب) طرح الحلول الوسط الانتقائية التي يفترض ان يلتقي عندها الطرفان المتنازعان ، (ج) الامتناع عن ممارسة اي ضغط مفتوح على اسرائيل لجعلها تقبل بالمقترحات الوسطية الامريكية بسبب الالتزام الاساسي لحكومة الولايات المتحدة بعدم فرض اية تسوية للنزاع لا تريدها اسرائيل ولا تعتبرها لصالحها ، (د) الماطلة المستمرة باسم الدبلوماسية الهادئة الى ان يموت المشروع من كثرة المشاورات والمناقشات والوساطات والمذكرات الخ... فيحل حله مشروع آخر يتطلب مشاورات ومناقشات ووساطات جديدة . كل ذلك بغية ابقاء التوازن القائم في المنطقة على حاله لاطول مدة ممكنة لان الوضع السياسي المحلي يسير باتجاه يتناسب مع المصالح الامبريالية والامريكية في الشرق الاوسط ( على سبيل المثال تصفية الحركة الوطنية التدريجي في كل مكان تقريبا ) . وقد أكد الرئيس

الكبرى بدور مشترك بالنسبة لازمة الشرق الاوسط في المرحلة الحالية . كما أكد ان الاتجاهات الدبلوماسية في المنظمة الدولية تحيد اعادة فتح القناة وتعتبر ذلك الخطوة العملية الوحيدة للوصول الى تسوية شاملة لازمة . بمباراة اخرى عبر روجرز عن تصميم حكومته على الاستمرار في الماطلة من خلال الاصرار على مشروع التسوية الجزئية .

(٢) قيام روجرز بطرح مشروع وسطي قديم - جديد في الخطاب الذي القاه امام الجمعية العامة لهيئة الامم في اوائل شهر تشرين الاول حيث قدم لمشروعه بالقول ان « المساعي الامريكية لتحقيق اتفاق جزئي بين مصر واسرائيل حول قناة السويس هي الطريق الوحيدة الواقعية والمثمرة للوصول الى السلام في الشرق الاوسط . ان الولايات المتحدة ستستمر في هذه الطريق لان مصر واسرائيل طلبتا منا ذلك . » وتضمن المشروع ٦ نقاط هي : (أ) الاتفاق حول القناة ليس الا مرحلة نحو تطبيق قرار مجلس الامن الدولي المؤرخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ تطبيقا كاملا ، وهو ليس غاية في حد ذاتها . وطرق الاتفاق الشامل يجب ان يتفق عليها في اطار مفاوضات بأشراف الدكتور غونار يارينغ . (ب) يجب التوصل الى اتفاق للمحافظة على وقف اطلاق النار في القناة .

اما انتهاء حالة العداء فلا يمكن اشتراطها الا في اتفاق سلام صريح . (ج) تحديد المسافة التي على القوات الاسرائيلية ان تنسحب اليها لان المغزى الاساسي للاتفاق الجزئي هو في انه يطرح مبدأ الانسحاب . (د) يجب تقوية أجهزة المراقبة في منطقة القناة لارضاء مصر واسرائيل . (هـ) ان اعادة فتح القناة وتشغيلها يتطلبان وجود موظفين مصريين في الضفة الشرقية للقناة . كما ان احتمالات التسوية حول وجود عسكري مصري في الضفة الشرقية للقناة ليست سلبية . (و) ان تحديد الوقت الذي ستصبح فيه القناة مفتوحة امام سفن كل الدول من دون تمييز امر ممكن . واضح ان هذه النقاط ليست الا استعادة للمقترحات الامريكية السابقة في محاولة للتوسط بين الموقعين المصري والاسرائيلي بالنسبة لموضوعات معينة مثل علاقة التسوية الجزئية بالتسوية الشاملة للنزاع على أساس تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، واصرار مصر على عبور قواتها للحلول محل

الجيش الاسرائيلي المنسحب ، وغيرها من القضايا الحيوية المختلف عليها والتي أصبحت طبيعتها معروفة على نطاق واسع . وقد واجهت نفاط روجرز نقدا قويا من قبل الاوساط الاسرائيلية الحاكمة بما فيها رئيسة الوزراء نفسها . وقد رد روجرز على ذلك في ندوة تليفزيونية ذكر فيها ان عرض هذه النقاط على ابا ايبان قبل اعلانها ولم يعترض الوزير الاسرائيلي على أي منها . وقد تبع خطاب روجرز اتصالات امريكية دبلوماسية بصر هدفها مناقشة النقاط الست بين الطرفين والفهام حولها الا انه يبدو ان هذه الاتصالات لم تؤد الى أية نتائج ايجابية مظهرها في ذلك كبتل الاتصالات التي سبقتها . وجدير بالذكر هنا ان روجرز اعترف صراحة ، اثناء المقابلة المشار اليها ، بان محاولات الوصول الى حل وسط بالنسبة لمسألة عبور القوات المصرية الى الضفة الشرقية عبر القناة لم تحرز أي تقدم . ثم احرب عن امله في تجاوز هذه العقبة . الا انه جدير بالذكر ايضا ان الرئيس السادات ذكر في المقابلة المشار اليها اتفاقا مع « نيوزويك » انه ابلغ سيسكو ( أثناء زيارته الاخيرة الى القاهرة ) استعداداه للتساهل في كل من مسألة عبور القوات المصرية وفي طلب اسرائيل بعدم وضع اي حد على مدة وقف اطلاق النار على جبهة القناة .

(٣) في النصف الثاني من شهر تشرين الاول تقدم الطرف الامريكي باقتراح جديد يقول بتعيين مسؤول كبير في وزارة الخارجية الامريكية ليكون الوسيط بين مصر واسرائيل في المفاوضات اللازمة لاعادة فتح القناة . وترددت انباء موثوقة بأن المرشح للقيام بهذا الدور هو جوزيف سيسكو . وذكرت بعض المصادر الدبلوماسية ان مصر قد وافقت على هذا الاقتراح . الا ان المراجع المصرية الرسمية نفت ان تكون قد وافقت عليه ولكنها لم تنكر وجود الاقتراح الامريكي او وجود اتصالات حوله بغية تعديله لجعله اكثر قبولا بالنسبة للطرف العربي الرئيسي . ومن ناحية اخرى فقد رحبت جريدة « الراي » الحكومية في عمان بالاقتراح الداعي الى جعل سيسكو الوسيط الذي تجري تحت اشرافه المفاوضات . كما ان الرئيس السادات عاد الى تأكيد موافقته على هذا الاقتراح الامريكي ( في المقابلة مع « نيوزويك » ) الذي يدعو الى اجراء محادثات بين ممثلين عن مصر



إسرائيل يتجمعون في غرف متجاورة في أحد فنادق نيويورك بحيث يكون سيسكو همزة الوصل بين الجانبين » ، كما جاء في المقابلة . وذكر الرئيس السادات أيضا أنه عين الدكتور مراد غالب ليكون سبيل مصر في هذه المحادثات الا انه اشترط ان تعتبر الولايات المتحدة سنة ١٩٧١ السنة الحاسمة . ويبدو ان البحث في هذا الاقتراح قد تأجل في الوقت الحاضر وربما الى ما بعد انتهاء مهمة « حكباء إفريقيا » في القاهرة وتل ابيب وظهور نتائجها في هيئة الامم عند مناقشة قضية النزاع في الشرق الاوسط في اوائل كانون الاول ١٩٧١ .

(٤) في اواخر شهر تشرين الاول ارسلت الحكومة الأمريكية مبعوثا جديدا الى القاهرة هو السيد بريمان اندرسون مساعد رئيس دائرة الشرق الاذن في وزارة الخارجية الأمريكية . وقد استغرقت رايته ه ايام كانت بمثابة المرحلة الاولى من جولة بنوم بها في عدد من بلدان الشرق الاوسط للبحث بوضوح النزاع العربي الاسرائيلي . وذكرت الأنباء ان اندرسون حمل معه الايضاحات التي طلبتها الحكومة المصرية من واشنطن بصدد بعض الابور الغامضة في نقاط روجرز الست . وفي منتصف شهر تشرين الثاني جاء مبعوث امريكي آخر ولاغراض مشابهة هو تالكوت سيللي ، رئيس قسم الشرق الاوسط في وزارة الخارجية الأمريكية . وقد نام بجولة في المنطقة العربية اجتمع اثناءها الى عدد من المسؤولين الكبار في الدول العربية .

الا انه يبدو ان كافة هذه الاقتراحات والتحركات الأمريكية تركت كل شيء في ازمة المنطقة على حاله ، كما كان متوقعا أصلا ، الى ان ادى تفاعل الاحداث الى اعلان تجسيد الوساطة الأمريكية بين الدول العربية واسرائيل الى ما بعد مناقشة بوضوح الشرق الاوسط في هيئة الامم . وقد جاء قرار التجميد كتوع من الرد على سياسة القاهرة التي نزع في منتصف شهر تشرين الثاني باتجاه نزع طبول الحرب وتصعيد لهجتها الحربية الرسمية بالنسبة لعبور قناة السويس ، بالاضافة الى عقد اجتماعات مجلس الدفاع العربي في القاهرة ضمن احواء اعلامية رسمية توحى بأن الحرب ستقع في الأيام القليلة المقبلة ، وبالتأكيد قبل انتهاء عام ١٩٧١ ، أي عام الحسم في موضوع الحرب او السلم مع اسرائيل كما حدد ذلك الرئيس السادات . وقد تركت هذه التطورات تأثيراتها

السياسية والاعلامية على الصعيد الدولي مما دعا روجرز لان يعلن محذرا الجانب العربي « بأن الولايات المتحدة لن تتخلى عن مساعدة اسرائيل ، ولو من أجل تحسين علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي والدول العربية . » وعساد للتشديد على اهمية المساعي الأمريكية المتعلقة بالتنوية الجزئية لاعادة فتح القناة . ولم تكف الحكومة الأمريكية بتحذير العرب بل اطلقت ، بعد فترة قصيرة ، تحذيرا اخر ، من قبل وزارة الخارجية ، موجهها الى الاتحاد السوفياتي هدفه تنبيه الدولة الكبرى الى تخوف الولايات المتحدة من ان تكون شحنات الطائرات وغيرها من الاسلحة الى مصر قد اخلت بهيزان القوى في المنطقة ، ويعني هذا ان امريكا تهدد باعطاء المزيد من الطائرات الى اسرائيل ما لم تسر سياستها في المنطقة سيرا « مرضيا » . وتجدر الاشارة هنا الى ان مجلس الشيوخ الأمريكي كان قد تبنى قرارا يدعو الرئيس نيكسون الى استئناف ارسال طائرات الفانتوم وغيرها من الاسلحة لاسرائيل كما تبنت لجنة الشؤون الخارجية في المجلس نفسه مشروعا جديدا للمساعدات الخارجية يقدم لاسرائيل مبلغ ٢٠٠ مليون دولار لتشتري بها معدات حربية ٨٥٥ مليون دولار دعما ماليا مباشرا الى حكومة مائير .

اما بالنسبة للاتحاد السوفياتي فقد استمر في حملته ضد مشروع التنوية الجزئية باعتبارها محاولة من قبل امريكا لاحتكار العمل على اعادة فتح القناة والوصول الى تسوية سلمية للنزاع . وذكرت الاوساط السوفياتية ، بهذا الصدد ، ان المبادرة الأمريكية المعنية قد عرقلت الجهود التي كان يقوم بها الوسيط الدولي يارينغ كما اتهمت امريكا بمحاولة تقويض محادثات الدول الاربع الكبرى حول الشرق الاوسط . وقد تم التعبير عن هذا الموقف ، بصورة غير مباشرة ، في البيان المشترك الذي صدر عقب زيارة بريجنيف لفرنسا في اواخر شهر تشرين الاول حيث تمت الاشارة الى فشل مساعي السلام الجارية في الشرق الاوسط في احراز اي تقدم ( أي المساعي الأمريكية ) بالاضافة الى التشديد على اهمية احياء مهمة يارينغ والعودة الى مباحثات الدول الاربع الكبرى وضرورة انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة واعتراف كل طرف من اطراف النزاع بسيادة واستقلال الطرف الاخر .

ومن ناحية أخرى كان الزعيم السوفياتي كوسيفين قد قام بزيارة رسمية للجزائر والمغرب في أوائل شهر تشرين الأول في محاولة لتوسيع اتصالات بلاده وتوحيها بالدول العربية ، خاصة وان الجزائر هي ثاني أهم بلد عربي يتعامل تجاريا مع الاتحاد السوفياتي . وبالإضافة الى موضوع الصراع العربي الإسرائيلي فقد تطرقت المحادثات السوفياتية في البلدين العربيين المذكورين الى القضايا الهامة المتعلقة باستراتيجية الدول الكبرى في البحر الابيض المتوسط . وعاد كوسيفين الى طرح الموقف السوفياتي المعروف بالنسبة للنزاع في المنطقة الذي يؤيد الجانب العربي في جهوده « لتصفية آثار العدوان واستعادة الحقوق المشروعة للشعوب العربية بما فيها الشعب الفلسطيني » . وتنفيذا لهذا الموقف تعهد بتقديم كل المساعدات اللازمة للدول العربية ، بما فيها السلاح ، من أجل استعادة اراضيها المحتلة ، الا انه حث ايضا على ايجاد حل للنزاع عن طريق التفاوض . وحذر كوسيفين العرب من العداء للشيوعية باعتبار ان هذا الخط يؤدي دوما الى « اضعاف الكفاح من أجل الاستقلال والديمقراطية والتقدم الاجتماعي » . وكان ذلك اشارة واضحة من قبل الزعيم السوفياتي الى الضربة التي وجهت للحزب الشيوعي السوداني وما نجم عنها من موجة عداء للشيوعية في البلدان العربية وتازيم للعلاقات مع الاتحاد السوفياتي .

في الاسبوع الثاني من شهر تشرين الأول زار الرئيس السادات الاتحاد السوفياتي يرافقه وزير الحربية وقد اعتبرت بعض الاوساط السياسية العربية ان هذه الزيارة من أهم اللقاءات العربية السوفياتية . وتعهد الرئيس السوفياتي بودغورني بمواصلة الجهود لتحقيق التسوية السلمية مع اتخاذ كل الاجراءات الفعالة لتقوية دفاعات الدول العربية . كما تعهد بتقديم التأييد السياسي والعسكري للدول العربية ما دام عدوان اسرائيل قائما على اراضيها . ولم ترد اية اشارة ، في البيان المشترك الذي صدر عقب الزيارة ، الى « سنة الحسم » التي كثر اللغظ حولها في الاوساط العربية ، بل كان التشديد على موضوع السلام في المنطقة وضرورة الوصول الى تسوية سلمية لانتهاء النزاع بارزا جدا في البيان المشترك . كذلك ندد البيان مطولا بالعداء للشيوعية بقوله

« ان الحملات المعادية للشيوعية والانحلال السوفياتي لا تستهدف سوى بعث الشقاق في صفوف المناضلين العرب الثوريين كما ترمي هذه الحملات الى نسف التضامن والتعاون بين الشعوب العربية والدول الاشتراكية وهم اصداقنا الحقيقيون . كذلك يستنكر الجانبان بشدة تلك الحملات المعادية للشيوعية السوفياتية التي نشر بامال الشعوب التحررية ومصالحها الوطنية كما انها لا تخدم سوى مصالح القوى الامبريالية العالمية » . ومن جهة اخرى استنكر روجرز البيان المشترك الصادر عن زيارة السادات للاتحاد السوفياتي لانه تعهد بزيادة قوة مصر العسكرية ، باعتبار ان ذلك يعرقل جهود امريكا في تحقيق مشروع التسوية الجزئية ويؤثر على ميزان القوى بين الطرفين كما تفهمه امريكا .

وعلى صعيد آخر ينبغي الاشارة الى ان الصين الشعبية قد اوضحت ، بعد دخولها هيئة الامم ، على لسان رئيس وزرائها شو ان لاي بانها لن تنشئ علاقات دبلوماسية مع اسرائيل بالرغم من ان الاخيرة ايدت مشروع حلول الصين الشعبية محل ممثل تشان كاي تشكل في المنظمة الدولية . كذلك رفضت حكومة الصين الانضمام الى محادثات الدول الاربعة الكبرى المتعلقة بالنزاع العربي - الاسرائيلي وذلك انسجاما مع ما قاله مندوبها لخطابه امام الجمعية العامة لهيئة الامم حيث اعلن رفض بلاده « للمساومات الجارية بين الدول الكبرى من وراء ظهر الفلسطينيين والعرب » . واكد السفير الصيني في مصر هذا الموقف بتشدده على « استمرار تأييد الصين للنضال العربي من أجل استرداد الارض العربية المحتلة ومن أجل استعادة حقوق شعب فلسطين » كما أكد ان بلاده ستقف في الامم المتحدة الى جانب حركات التحرر والدول الصغيرة والنامية . و اشار السفير ايضا الى ان اسرائيل بذلت جهودا كبيرة للاتصال بالصين لكن رد بلاده كان الرفض القاطع لان اسرائيل تبذل قاعدة عدوانية توسعية . وبالرغم عن ايجابية الموقف الصيني الواضحة بالنسبة لدعم الموقف العربي دوليا لا بد من الاشارة هنا الى ان تحولا قد طرأ على السياسة الصينية حيال القضية الفلسطينية . في السابق كانت الحكومة الصينية تدعم بوضوح وشدة حركة المقاومة وترفض فكرة التسوية السلمية مع اسرائيل تحت اشراف موسكو

واشنطن وتدعو الى استمرار الكفاح الشعبي المسلح بهدف تحرير فلسطين . اما بعد اخراج المقاومة من الاردن والتحولت السريعة التي طرأت على الصعيد الدولي ( زيارة نيكسون القادمة لتكهن ، دخول الصين هيئة الامم ) فقد اخذ الموقف الصيني بالتحول باتجاه دعم النضال العربي عامة بنا في ذلك « نضال » الانظمة لتحقيق التسوية السلمية . على سبيل المثال أعلن رئيس الوند الصيني الى هيئة الامم ( في الاسبوع الثاني من شهر تشرين الثاني ) عن تأييد بلاده القوي « لموقف الرئيس السادات وجهوده التي يبذلها من اجل السلام القائم على العدل . » وفي هذا الكلام إشارة واضحة الى موضوع الحل السلمي وتأييد الصين له . كما ان اي تدقيق في العبارات التي جاء عبرها التأييد الصيني الاخير للموقف العربي يوحى بالشيء نفسه .

تحولت زيارة لجنة رؤساء الدول الافريقية الاربعة التي زارت كل من مصر واسرائيل الى حدث سياسي ذي حجم اكبر بكثير مما كان متوقعا . انبثقت اللجنة الرباعية عن لجنة الرؤساء الافريقيين العشرة التي تشكلت بموجب قرار اتخذه اجتماع القمة لمنظمة الوحدة الافريقية ( حزيران ١٩٧١ ) بهدف السعي الى تسهيل مساعي التسوية السلمية وتطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وفي اواخر شهر تشرين الاول وصلت اللجنة المؤلفة من رؤساء جمهوريات السنغال ونيجيريا والكاميرون وزايزه ( الكونغو كينشاسا ) الى الشرق الاوسط حيث ثابتت بزيارة كل من اسرائيل ومصر واجرت اتصالات مهمة مع كبار المسؤولين في البلدين . ونتيجة للسعي الرئاسي الافريقي وانفتحت مصر على تأجيل مناقشة أزمة الشرق الاوسط في الجمعية العمومية لهيئة الامم التي كان يفترض ان تبدأ في منتصف شهر تشرين الثاني . وبعد انتهاء جولتهما الاستطلاعية عادت اللجنة الى عاصمة السنغال للنشاور ثم عادت فارسلت الى المنطقة لجنة مصغرة مؤلفة من رئيسي السنغال ونيجيريا للقيام بالعمل الدبلوماسي اللازم بغية الوصول الى صياغة محددة للنتائج التي توصلت اليها في مساعيها للتوسط بين مصر واسرائيل . ويبدو ان مجموعة الدول الافريقية في الامم المتحدة تنوي تقديم مشروع قرار الى الجمعية العمومية حول تسوية النزاع في الشرق الاوسط عبر تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢

استنادا الى نتائج جهود بعثة حكماة افريقيا . وقد تم تدوين هذه النتائج في وثيقة مهمة ارسلت الى يو ثانت والدول الخمس الكبرى الاعضاء في مجلس الامن بالاضافة الى الدول الافريقية المعنية . وتتألف محتويات الوثيقة من ٦ نقاط محددة مع تبيان موقف كل من مصر واسرائيل بالنسبة لكل نقطة على حدة . وجدير بالذكر هنا ان المحور الذي تدور حوله الوثيقة ( ودارت حوله مهمة حكماة افريقيا ) ليس الا مجموعة المسائل المتنازع عليها بين مصر واسرائيل بالنسبة للحل السلمي عامة وقضية التسوية الجزئية على وجه الخصوص ، وكلها مسائل أصبحت معروفة معروفة بوضوح من خلال الوساطة الامريكية ومضاعفاتها . وفيما يلي المسائل التي تطرقت اليها الوثيقة الافريقية في نقاطها الست :

(أ) استئناف مهمة يارينغ على اساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وبما ان هذه النقطة هي من المطالب المصرية المتكررة فقد وافقت مصر عليها بدون تحفظ . اما اسرائيل فقد وافقت بشرط عدم فرض أية شروط مسبقة على استئناف المهمة . وهذا يعني ، بعبارة اخرى ، عدم مطالبتها بتبديل ردها السلمي على مذكرة يارينغ التي طلب فيها من اسرائيل الالتزام بمبدأ الانسحاب الى ما وراء حدود حزيران ١٩٦٧ .

(ب) التوصل الى اتفاق مؤقت لاعادة فتح القناة على اساس انسحاب اسرائيلي جزئي مع حلول قوات دولية على ضفة القناة الشرقية محل القوات المنسحبة . وافقت مصر على هذا الترتيب شرط ان تلتزم اسرائيل بالانسحاب الكامل من الاراضي المحتلة . بعبارة اخرى ، شرط ان تكون التسوية الجزئية خطوة اولى نحو التسوية الشاملة للنزاع وهذا مطلب اساسي من المطالب المصرية . الا ان قبول مصر بهذا الترتيب يعني ، من ناحية اخرى ، تراجعها عن مطلب عبور القوات المصرية والاستعاضة عن ذلك بقوات دولية . وافقت اسرائيل ايضا على هذا الترتيب شرط ان يتم التفاوض بين الطرفين حول شروط الانسحاب الاسرائيلي الجزئي . اي ان اسرائيل تحاول ، كلما ساحت لها الفرصة ، الضغط بكافة الطرق لجر الطرف العربي الى مائدة المفاوضات .

(ج) قضية الحدود الامنة والمعترف بها . موقف مصر هو ان تنص التسوية النهائية على الحدود

الأمينة والمعترف بها بما يتفق مع قرار منظمة الوحدة الإفريقية الذي يطالب إسرائيل بالانسحاب الكامل من الأراضي العربية المحتلة . أما موقف إسرائيل فقد تلخص بالتعبير عن استعدادها للتفاوض على شروط قيام هذه الحدود .

(د) الضمانات التي تقدمها هيئة الأمم لتدعيم أية تسوية بين طرفي النزاع بما في ذلك وجود قوات دولية في المناطق الاستراتيجية . وافقت مصر على تمركز القوات الدولية على جانبي الحدود من هذه المناطق . أما إسرائيل فقد عبرت عن استعدادها للتفاوض حول هذه النقطة وذكرت ان لديها شروطا وتحفظات بشأنها .

(هـ) ورود نص في التسوية النهائية حول إجراءات الانسحاب الكامل . بطبيعة الحال وافقت مصر وشددت على أن يكون الانسحاب كاملا إلى ما قبل خطوط ٥ حزيران ١٩٦٧ بحيث تعود كل الأراضي العربية المحتلة . أما إسرائيل فقد عبرت عن استعدادها للتفاوض بشأن الحدود التي سيتم الانسحاب إليها .

(و) مسألة حرية الملاحة في مضائق تيران ووجود قوات دولية في شرم الشيخ . ولفقت مصر بدون تحفظ . أما إسرائيل فقد عبرت عن استعدادها للتفاوض حول شروط تحقيق مثل هذا الترتيب . ويتبين من هذه الوثيقة ان الطرف العربي ما زال يبذل أقصى جهوده (وبالرغم من قرع طبول الحرب) للحصول على تسوية سلمية تحفظ ماء الوجه أي لا تبقى أي من الأراضي العربية بيد إسرائيل حتى لو تطلب ذلك تسليم أجزاء استراتيجية من هذه الأراضي إلى القوات الدولية مما يعني عمليا نزع السيادة العربية عنها . أما الجانب الإسرائيلي فقد أبدى بعض « الليونة » في مواقفه بمعنى انه أخضع هذه النقاط الحساسة إلى « التفاوض »

بدلا من ان يحدد منها مواقف متصلبة مسبقة . ان قبول مصر بدخول قوات دولية إلى الضفة الشرقية للقناة بعد الانسحاب الإسرائيلي الجزئي بدلا من هبوط القوات المصرية قد رفع إحدى العقبات الرئيسية أمام تنفيذ مشروع التسوية الجزئية . أما على صعيد هيئة الأمم فلم يكن الانتباه منصبا على أزمة الشرق الأوسط في الفترة التي نحن بصدها إذ طغى موضوع دخول الصين إلى المنظمة الدولية على كافة القضايا الأخرى . وكان متوقما ان تبدأ مناقشة قضية النزاع العربي

الإسرائيلي بعد الانتهاء من موضوع الصين إلا ان المسمى الإفريقي للتوسط بين الطرفين أدى إلى تأجيل بدء المناقشة حتى الأسبوع الأول من شهر كانون الأول من هذا العام . لكن هذا لم يمنع عددا من الخطباء الرئيسيين عند افتتاح الدورة السنوية للمنظمة الدولية من الإشارة إلى أزمة الشرق الأوسط . فقد دعا ممثل مصر في خطابه إلى انسحاب إسرائيلي على مرحلتين من أجل إعادة فتح قناة السويس كما طالب بضرورة اتخاذ إجراءات دولية حازمة لإجبار إسرائيل « على التقيد بالمبادئ الأساسية لميثاق هيئة الأمم » وتدد برفض إسرائيل طلب الوسيط الدولي بأن تلتزم بالانسحاب الكامل من الأراضي العربية المحتلة ، ورفض فكرة إجراء مفاوضات مباشرة معها . أما إيبان فقد دعا في خطابه إلى عقد اجتماع فوري مع وزير خارجيه مصر للعمل من أجل التسوية السلمية مؤكدا بذلك رغبة إسرائيل في الضغط ، بكافة الوسائل ، لجر مصر إلى مائدة المفاوضات .

وعبر ممثل بريطانيا ، دوغلاس - هيوم ، في خطابه عن الموقف الأوروبي « المتوازن » بين الطرفين بتشديده على خطر وقوع الحرب في الشرق الأوسط وإبرازه « للاقتراحات العملية » التي تم تقديمها لحل النزاع على أساس تلبية المطلب العربي في انسحاب القوات الإسرائيلية من جهة وتلبية حاجاته إسرائيل الأمينة من جهة أخرى . وحث الأطراف المعنية بالمواجهة المساهمة في الحوار المؤدي إلى تنفيذ هذه الاقتراحات . وضرب مثلا على ذلك بالتسوية الجزئية الداعية إلى انسحاب إسرائيلي على مراحل وإعادة فتح القناة مع ربط ذلك بالمرحلة التالية من التسوية التي يفترض فيها ان تنهي النزاع كليا مما يفترض فيه ان يرضي كافة الأطراف .

من جهة أخرى أرسل ممثل إسرائيل في هيئة الأمم مذكرة إلى يو ثانت رفض فيها طلب المنظمة الدولية الموجه إلى حكومته وقف تدمير المنازل وعمليات الترحيل في قطاع غزة . وزعم الممثل الإسرائيلي ان العمل الذي تقوم به سلطات بلاده يساعدها على شق طرق جديدة في المخيمات مما يسهل حركة تنقل الدوريات العسكرية للمحافظة على الأمن .

كذلك قامت اللجنة المكلفة من قبل هيئة الأمم بالتحقيق في موضوع انتهاك حقوق الإنسان في

ما يهدف الى «التخلص كليا من المجتمع الفلسطيني في الاراضي المحتلة» على حد قول التقرير . ودعت اللجنة الى اتخاذ القرارات اللازمة لحماية حقوق الانسان التابعة لسكان الاراضي العربية المحتلة .

## صادق جلال العظم

### (٤) السياسة الاسرائيلية

بتحقيق حل لما يسمى بأزمة الشرق الاوسط ، ان سلما او حربا ، كان العالم يئلت الى الولايات المتحدة ليرى ما ستفعله بهذا الصدد ، باعتبارها « الوسيط » الذي تم بفضل جهوده تحقيق وقف اطلاق النار منذ آب من عام ١٩٧٠ ، وباعتبارها الجهة الوحيدة القادرة على ان تضغط على اسرائيل للوصول الى تسوية سلمية للمشكلة . وتكلم وزير خارجية الولايات المتحدة وليم روجرز في ٤ اكتوبر ١٩٧١ في الجمعية العامة للامم المتحدة ، وخصص جزءا كبيرا من كلامه للشرق الاوسط . وتضمن الجزء الخاص بالشرق الاوسط من كلام روجرز ست نقاط ، اعتبرها هذا بمثابة اساس ممكن لجولة جديدة من المفاوضات بين مصر واسرائيل لاجراء الحل المرهلي من حالة الجمود التي يمر بها ، وناشد الطرفين اعلان موافقتها على الدخول في مفاوضات جديدة على اساس النقاط الست، متصورا ، ربما ، ان اسرائيل في النهاية لا يمكن الا ان تقبل بها باعتبارها معتمدة في اقتصادها وتسليحها اعتمادا كليا على الولايات المتحدة ، وباعتبار انه قد بات واضحا لاسرائيل ان جهوده لا تعكس وجهة نظره فقط ، وانها وجهة نظر البيت الابيض ايضا . ولكن اذا كان روجرز فعلا قد تصور ان اسرائيل مستقبل كلامه ، فانه لا بد وان يكون تلقى مفاجأة عمرة عندما ارتطم برد الفعل الاسرائيلي . لقد كان رد الفعل حملة لا سابقة لها في العلاقات الاميركية - الاسرائيلية منذ حرب حزيران على وزير الخارجية ومساعدته سيسكو تصريحها ، وعلى الرئيس نكسون تلميها .

الاراضي العربية المحتلة بتقديم تقريرها من العام ١٩٧١ . وذكر التقرير ان اسرائيل ما زالت مستهتره في تنفيذ السياسات والاجراءات التي فيها انتهاك لحقوق الانسان في الاراضي المحتلة واثار بالتحديد الى سياسات الاستيطان وضم اجزاء من الاراضي المحتلة بالاضافة الى استمرار عملية ابعاد المدنيين

اخبارت اسرائيل خطاب روجرز الذي القاه في الجمعية العامة للامم المتحدة في ٤ اكتوبر من عام ١٩٧١ ، وطرح فيه مشروعه ذا النقاط الست (راجع شهريات القضية الفلسطينية دوليا ) ، كبادرة لنسف المبادرة الاميركية المتعلقة بالحل المرهلي وشن حملة ضغط عنيفة على الحكومة الاميركية لارغامها على تزويدها بالزيد من طائرات الفانتوم التي تطلبها منذ شهور ، وتمتنع الحكومة الاميركية عن تقديمها لها حتى لا يؤدي ذلك الى الغاء مصر موافقتها على الوساطة الاميركية . وقد كانت هذه الحملة في الحقيقة هي الشاغل الرئيسي من بين كل ما شغل الحكومة والصحافة الاسرائيلية في شهري اكتوبر - نوفمبر الماضيين . وقد كان اهم ما شغل الحكومة والصحافة بالاضافة الى هذا الموضوع في الشهرين المذكورين ميزانية الان التي انتقل الخلاف حولها من جلسات الحكومة المخلقة التي صدرت الصحافة العلنية ، ومصححة شركة « نيتيني نطق » التي وصفها احد كتاب صحيفة هآرتس بانها « العمل المخزي » لعام ١٩٧١ . مقارنا اياها بفضيحة لانون التي انفجرت في الحياة السياسية الاسرائيلية في عام ١٩٦٤ . وادت الى انسحاب بن غوريون وانتصاره من حزب الليكاي . وكان من الاحداث الهامة التي وقعت على الصعيد الحزبي انعقاد المجلس الفكري لحزب اللامم لبحث مفهوم الحزب للاشتراكية وعلاقته بالانحد السوفياتي .

المهلة ضد روجرز : مع تساعد تهديدات السادات بان عام ١٩٧١ سيكون عام الحسم فيما يتعلق

روجرز تستشير التلق من حيث انها قد تثير في نفوس  
حكام مصر الامل بأنه من الممكن توقع موافقة  
اسرائيل على عبور قوات مصرية الى شرق القناة.  
وكان واضحا من كلام غولدا مئير ان اسرائيل تطلب  
من الولايات المتحدة ، اما اتخاذ موقف متطابق مع  
الموقف الاسرائيلي ، المفروض قطعاً من قبل مصر ،  
او الامتناع عن اتخاذ اي موقف .

وفي اليوم التالي لمؤتمر غولدا مئير الصحفي نشرت  
معريف ( ٧١/١٠/٨ ) نبأ رئيسياً في صفحتها الاولى  
يقول بأن اسرائيل سوف تفتتح في الايام القريبة  
القادمة حملة اعلامية لكسب الرأي العام الاميركي  
في « اعقاب الانحراف المتطرف لوزير الخارجية  
الاميركي عن خط عدم التدخل في تقرير شروط الحل  
الجزئي (١) » . وبعد ان عقدت الحكومة الاسرائيلية  
اجتماعاً في ١٢/١٠/١٩٧١ اتخذت فيه قراراً وصفته  
صحيفة معريف ( ١٩٧١/١٠/١٣ ) بأنه « مظاهرة  
تضامن [ مع غولدا ] ضد التآكل في موقف الولايات  
المتحدة » المؤيد لاسرائيل ، شدد المسؤولون  
والصحافة الاسرائيلية الحملة على نقاط روجرز  
الست ، وبدأ تركيز خاص في الصحف الاسرائيلية  
على الموضوعات التالية : تهديدات السادات  
باستئناف القتال اذا لم يتحقق تقدم حقيقي في  
الجهود السياسية لحل « الازمة » قبل نهاية عام  
١٩٧١ ، السلاح الروسي « المتدفق » لمصر ،  
اختلال ميزان القوى في الشرق الاوسط ، « اخلال »  
البيت الابيض بتعهداته فيما يتعلق بالمحافظة على  
ميزان القوى ، امتناع الولايات المتحدة عن تزويد  
اسرائيل بالمزيد من الفانتوم . ورافق هذا التركيز  
في وقت لاحق ابراز خاص لموضوع طيران عدد من  
طائرات ميج ٢٣ بقيادة طيارين روس ( على حد زعم  
الصحف الاسرائيلية ) على ارتفاع شاهق بمحاذاة  
ساحل سيناء حتى مواجهة عسقلان في ٢٣/١٠/٧١  
وطيرانها فوق شبه جزيرة سيناء في ٦/١١/١٩٧١ .  
وكان واضحا ان هدف اسرائيل من الحملة والتركيز  
على الموضوعات المذكورة مقابلة الضغط الاميركي ،  
الذي يتلخص في امتناع الولايات المتحدة عن امداد  
اسرائيل بالمزيد من طائرات الفانتوم ، بضغط مقابل  
لارغام الولايات المتحدة على امدادها بهذه  
الطائرات ، مفتحة فرصة انتخبات الرئاسة  
الاميركية المفروض ان تتم في نوفمبر من عام ١٩٧٢ ،  
وواحية جيداً في الوقت ذاته ان نجاحها في هذا  
معناه استثارة مصر ودفعها لالغاء موافقتها على

لقد بدأت الحملة بعد يومين من خطاب روجرز في  
الجمعية العامة ، وتصاعدت في كل من اسرائيل  
والولايات المتحدة حتى اتخذت في اواخر نوفمبر  
ابعاداً يبدو انها اطلقت الحكومة الاميركية ، بحيث  
وافقت هذه على لقاء قمة بين نكسون وغولدا مئير  
لحل الاشكالات الناجمة عن الحملة ، في محاولة  
منها لاسترضاء اسرائيل . وقد بدأت الحملة بمؤتمر  
صحفي عقدته غولدا مئير في ٦/١٠/١٩٧١ هاجمت  
فيه وزير الخارجية الاميركي هجوماً عنيفاً متهمه  
اياه بتشجيع المصريين « على الاستمرار في مواقفهم  
المتصلبة (!) » . واختصت غولدا بالهجوم ( معريف  
٧١/١٠/٧ ) ما قاله روجرز حول نقاط ثلاث هي  
الاساسية فيما يتعلق بالحل المرحلي : ارتباط هذا  
الحل بقرار مجلس الامن ، الفترة الزمنية لوقف  
اطلاق النار ، وعبور قوات مصرية الى الضفة  
الشرقية من قناة السويس . حول النقطة الاولى  
هاجمت غولدا مئير قول روجرز بأن الحل المرحلي  
« مجرد خطوة » لتطبيق قرار مجلس الامن بقولها :  
« أملنا ان يستمر السيد روجرز في السعي لاقتناع  
حكام مصر بأهمية التسوية لفتح قناة السويس  
كتسوية قائمة في حد ذاتها ، غير مشروطة او  
مقرونة بالشروط والمناقشات المتعلقة بالتسوية  
الشاملة . ولكن روجرز للاسف [ فيما قاله ] قدم  
لمصر امكانية تفسير اقواله كما لو انها تبطل دعماً  
لموقفها القائل بضرورة ربط اتفاق لفتح قناة  
السويس بتلقي تعهد من اسرائيل بتطبيق قرار  
مجلس الامن » . وحول النقطة الثانية ، التي ذكر  
روجرز بصدها بأن مطلب اسرائيل بوقف اطلاق  
نار غير محدود مطلب « غير واقعي » ، قالت  
رئيسة الحكومة الاسرائيلية : « ان وزير الخارجية  
الاميركي ... بدلا من ان يدعم مطلب اسرائيل  
بتحقيق وقف اطلاق نار غير محدود سمح لنفسه  
بأن يسمع اقوالاً فيها مسا يحرر المصريين من  
الاستجابة لمطلب اسرائيل المعادل بشأن وقف  
القتال » . اما نقطة العبور ، التي قرر روجرز  
ان الفرص بشأن الوصول الى تسوية حولها  
« ليست سلبية » ، فقد قالت غولدا مئير : « ان  
وزير الخارجية اعترف حقا بأن مصر واسرائيل  
مختلفتان حول هذا الموضوع ، ولكنه مع ذلك قرر  
بأن الفرص للوصول الى تسوية بشأن هذه النقطة  
ليست سلبية ... ان موقف مصر حسب علمنا لم  
يطرأ عليه اي تغيير ... وفي حالة كهذه فان اقوال

لتصل الى ذروتها في اللقاء العاصف الذي نم بتاريخ ٢٣/١١/١٩٧١ بين روجرز وسيسكو من جهة وثمانية من ابرز الشيوخ الاميركيين المناصرين لاسرائيل ومن بينهم رئيس الحزب الجمهوري وعدد من المرشحين الاقوياء لرئاسة الجمهورية - هذا اللقاء الذي تم بعد ساعات من انعقاده اقرار مجلس الشيوخ الاميركي بأغلبية ٨٢ صوتا ضد ١٤ لقانون يقضي بتقديم تسهيلات مالية لاسرائيل مقدارها ٥٠٠ مليون دولار لشراء معدات واسلحة عسكرية ، على ان يخصص نصف المبلغ لطائرات الفانتوم .

ان قرار مجلس الشيوخ الاميركي كان في الحقيقة بمثابة مؤشر لمدى قدرة اسرائيل على الضغط على السياسة الاميركيين . ويضيف اليه المرء التراجعات التالية على صعيد الحكومة الاميركية كتلخيص رمزي لنقطة ما ستمه بعض الصحف الاسرائيلية « بالمواجهة بين وزارة الخارجية الاميركية وحكومة اسرائيل » . اولا : اجتماع نكسون بغولدا مثير في اوائل كانون الاول في عام ١٩٧١ لبحث العلاقات بين البلدين . ثانيا : تصريح مصادر اميركية بان الرئيس نكسون يدرس موضوع تزويد اسرائيل بصواريخ لانس التي يبلغ مداها ٨٠-١٠٠ كم ويعتبرها الخبراء العسكريون افضل سلاح لتدمير صواريخ سام التي تشكل العمود الفقري لشبكة الدفاع الجوي عن منطقة القناة . ثالثا : خطاب مندوب الولايات المتحدة في الجمعية العامة بتاريخ ١٠/١٢/١٩٧١ الذي دعا فيه الجانبين الى « اجراء تعديلات في مواقف كل منهما » مدعيا بان الصعوبة في تحقيق الحل المرهني نشأت من ان « الفريقتين حاولا ان يدخلوا في صلب تسوية مؤقتة شاملة » ، وهو خطاب معناه الفعلي التخلي عن نقاط روجرز الست ، وتحميل مصر مسؤولية عرقلة الجهود للوصول الى تسوية مرحلية .

يضيف المرء هذه التراجعات ليطرح السؤال الكبير : متى تحارب مصر ؟

**ميزانية وزارة الدفاع :** ولاول مرة ، ربما منذ قيام الدولة ، تتعرض ميزانية الدفاع في اسرائيل لنقد علني في الاذاعة والصحف من قبل وزراء في الحكومة ومعلقين عسكريين وسياسيين بارزين . ان ظهور تنظيم اليهود السود وما أدت اليه اعماله من تسلط للضوء على الفقر القائم والهوة

المبادرة الاميركية ، وتحميلها بذلك مسؤولية وأد المبادرة الاميركية امام الراي العام الاميركي والعالمي . وعندما قدم روجرز اقتراحا الى مصر واسرائيل بعقد مفاوضات على غرار مفاوضات رودس في فندق والدورف امستوربا في نيويورك بواسطة سيسكو على اساس تقاطه الست ، ردت اسرائيل على الاقتراح ببيان القته غولدا مثير في الكنيست بتاريخ ٢٦/١٠/٧١ طرحت فيه علنا على الكنيست ، لأول مرة منذ موافقتها على المبادرة الاميركية ، تفاصيل خلافها مع الولايات المتحدة ، ودرحت فيه ايضا شروطها لتحقيق الحل المرهني . وفي ● تنظف مصر قناة السويس وتفتحها للملاحة لوجه سفن جميع الدول ، بما فيها اسرائيل ، خلال ستة شهور ● تلتزم اسرائيل ومصر بوقف الاطلاق نار غير محدود ● يعبر الفنيون المدنيون المديون لتشغيل القناة الى الضفة الشرقية لاداء مهامهم ● لا تعبر قوات مصرية ، او اية قوات اخرى ، نظامية او غير نظامية ، قناة السويس ولا يدخل الى المنطقة التي تنسحب منها اسرائيل ● تخفض مصر قواتها في غرب القناة حسبما يتم الاتفاق عليه ● يتفق على وسائل مراقبة ● عندما يتفق على حدود نهائية ينسحب الجيش الاسرائيلي اليها ● اسرائيل مستعدة لاستئناف المفاوضات باشراف يارنج . وأولت غولدا مثير في بيانها هذا عناية خاصة لموضوع الفانتوم ، بتفدية موقف الولايات المتحدة منه ، ومجددة مطالباتها بها . وكان معنى كلام غولدا مثير ان اسرائيل مصممة على المضي في تصليبها ، وغير مستعدة ابدا للتجاوب مع الولايات المتحدة .

وليس الوقت الذي كانت فيه الحملة في اسرائيل ضد روجرز وسيسكو تتصاعد ، كانت حملة اخرى مثابرة في الولايات المتحدة تتصاعد لتحقيق ذات الاهداف . وقد بدأت الحملة هناك بعريضة وقعها ٧٨ عضوا من اعضاء مجلس الشيوخ الاميركي دعوها فيها نكسون الى تزويد اسرائيل بطائرات الفانتوم ، وشهدت تصعيدا اساسيا لمي المؤتمر الذي عقده اللجنة التنفيذية لرؤساء المنظمات اليهودية في نيويورك في اوائل نوفمبر ١٩٧١ لبحث موضوع « الخلاف المتزايد بين وزارة الخارجية الاميركية وبشكل اساسي وزير الخارجية وبين حكومة اسرائيل » وتكلم فيه عدد من ابرز الاعضاء المناصرين لاسرائيل في مجلس الشيوخ الاميركي ،

الاجتماعية بين الطبقات ، وما كشفتها الصحف مؤخرا من بذخ في حياة المسكرين والموظفين الكبار ، وازدياد الضغط على الحكومة من قبل الجيش من جهة للزيد من النفقات ومن قبل الطبقات المحرومة من جهة اخرى لتحسين اوضاعها الاجتماعية ، قد خلق كما يبدو المناخ الذي جعل ممكنا مس الموضوع « المقدس » في اسرائيل - الجيش . وقد كانت المناسبة التي استثارت النقد العلني لموضوع ميزانية الدفاع ، الخلاف في اوساط الحكومة حول الميزانية العامة للعام القادم . اذ ان سابير ، في سياق تهيئته لمسودة ميزانية العام القادم ، ابلغ الحكومة ان مستقر الميزانية القادمة يجب الا يتجاوز الـ ١٦،٢٥ مليار ليرة اسرائيلية اذا اراد الاقتصاد الاسرائيلي تجنب كارثة اقتصادية ، بينما تطلب الوزارات المختلفة بمبالغ يصل مجموعها الى ١٩،٢٥ مليار ليرة اسرائيلية . وبما ان وزارة الدفاع هي صاحبة النصيب الاكبر في الميزانية العامة ، فان انظار الوزراء قد اتجهت اليها . وقد كان من الاشارات الباهرة لوجود مثل هذا الخلاف داخل اوساط الحكومة تصريح لدايان نشرته صحيفة هآرتس (١٩٧١/٩/٩) بأن وزارة الدفاع لن تبادر الى اقتراح تخفيض في الحصة التي تطلبها من الميزانية العامة ، وكان المبلغ الذي طلبته آنذاك ٦،٥٠ مليار ليرة . وكان ايضا من علائم استقرار الخلاف والضغطات على وزارة الدفاع الانباء التي نشرت فيما بعد ، وذكرت ان وزارة الدفاع بمبادرة منها قد وافقت على تخفيض المبلغ المطلوب بمقدار نصف مليار ليرة . ولكن هذا التخفيض ، كما اتضح فيما بعد لما انفجر النقاش علنا ، لم يكن مقبولا من سابير وزير المالية والون نائب رئيسة الحكومة وبعض الوزراء الاخرين ، الذين اصروا على انه ما زال هناك مجال لتخفيضات كبيرة اخرى ، وانه بات مطلوبا من الجيش تخفيض الاسراف واذابة « الشحم المتراكم » - على حد تعبير الون ( هآرتس ١٩٧١/١١/٣ ) - لتحويل المبالغ المستتفة الى « التعليم والحرب ضد الفقر وبناء مساكن للازواج الصغار والمهاجرين الجدد وسكان الاحياء الفقيرة » .

ان زئيف شيف ، المحرر العسكري لصحيفة هآرتس ، يطرح في سلسلة مقالات نشرها عن الميزانية ( هآرتس ٨٤٧ ، ١٠/١٠/١٩٧١ ) الارقام

الموردة ادناه حول حصة ميزانية الدفاع من الناتج القومي الاجمالي في السنوات الخمس الماضية :  
 ١٩٦٦-٦٧ ١٠.٧٪ ، ١٩٦٧-٦٨ ١٦.٢٪ ،  
 ١٩٦٨-٦٩ ١٨٪ ، ١٩٦٩-٧٠ ١٩.٦٪ ، ١٩٧٠-٧١ ٢٤.٧٪ ،  
 ١٩٧١-٧٢ ٢٤.٧٪ ، وهذه الارقام ، التي لا تشمل المصروفات المباشرة مثل المصروفات على اللاجئين ومستوطنين الحدود والدفاع المدني الخ ، مدى التصاعد الحاد في الاتفاق على الاغراض العسكرية في اسرائيل من سنة لآخرى . وبعد ان يقارن شيف الاتفاق على الاغراض العسكرية في اسرائيل بالاتفاق عليها في دول اخرى اغنى من اسرائيل بكثير [الولايات المتحدة في ذروة الحرب الفيتنامية ٨٪ ، انكلترا ٥.٥٪ ، فرنسا ٣.٤٪ ، ألمانيا الغربية ٢٪] يطرح المحرر العسكري لهآرتس اسئلة يقول بانها قائمة في ذهن المواطن الاسرائيلي ، وان على وزارة الدفاع الاسرائيلية ان تقدم اجوبة عليها : لماذا ، لما كانت اسرائيل في وضع استراتيجي اسوأ ، كانت تنفق على الاغراض الامنية ١١٪ من الناتج القومي الاجمالي ، وعليها الان ، وهي في وضع استراتيجي أفضل ، ان تنفق ٢٥٪ ؟ وهل هذا هو ثمن الانتصار العسكري في حرب حزيران ا والى متى ؟

وعكس مقال اخر اصرح وأجرا ، نشرته مجلة « أوت » الناطقة بلسان حزب العمل الحاكم ( قدمت هآرتس تلخيصا له في عدد ٢٩/١٠/٧١ ) عدم فتاعة قطاعات كبيرة من الرأي العام في اسرائيل بضرورة تخصيص مثل هذه المبالغ الكبيرة للاغراض العسكرية . يقول كاتب المقالة ، الذي هو ضابط احتياط كبير في الجيش الاسرائيلي في مقالته ، « منذ ٢٣ سنة ونحن معتادون على التصرف تجاه موضوع الامن وكأنه موضوع مقدس ... ان الوقت قد حان لفحص ميزانية الامن فحما دقيقا بطريقة ديمقراطية ... لئلا نجد نفسنا دون ان نمي وقد تدهورنا الى الطريق الذي تدهورت فيه اسبارطه او بروميا » ، من ثم يطالب الكاتب بتخفيض ميزانية الدفاع وتحويل الفائض الى الاغراض الاجتماعية والثقافية .

ضد هذه النظرة طلع دايان ، في مقابلة اذاعها له لخصت محتوياتها تعريف ٧١/١١/١٤ ، ليرد على المهاجمين والمنتقدين قائلا بان اسرائيل تعيش في حالة حرب ، وان الدولة التي تعيش في حالة



حرب « لا تستطيع ان ترفع راية الامن وراية  
الإصلاح الاجتماعي في آن واحد » . ان السؤال  
المطروح على اسرائيل ، بصدد ميزانية وزارة  
الدفاع ، في رأيه ، ليس سؤالا اقتصاديا ، وانما  
سؤال سياسي : هل تكف اسرائيل عن « تهيئة  
تونها العسكرية الى اقصى حد تسمح به امكانياتها  
البشرية بسبب من العيود الاقتصادية والمالية »  
ان لا تكف ؟ وجواب دايان بالطبع : على اسرائيل  
الآن تكف . والمطلوب ليس تخفيض ميزانية الامن ،  
وانما اتباع سياسة تقشف وجباية المزيد من  
الضرائب .

ان يوئيل ماركوس يلاحظ في مقالة نشرها في  
هارتس ( ١٩٧١/١١/١٢ ) ان الصراع على ميزانية  
الدفاع انها هو في اساسه صراع سياسي يدور  
بين الحثائم والصقور ، بمصطلحات اقتصادية هذه  
الارة . ان لجنة وزارية قد تشكلت برئاسة غولدا  
لثبت في موضوع ميزانية الدفاع ، وينتظر بعض  
المراتين قرار اللجنة ليروا اية وجهة نظر سوف  
تنفصر - وجهة نظر العسكريين الداعية لمزيد من  
عسكرة اسرائيل ، ام وجهة نظر معارضيهم الداعية  
لمزيد من الاهتمام بالمسائل الاجتماعية والاقتصادية .  
فضيحة عام ١٩٧١ : ووسط زحمة المشاغل الأمنية  
والصراعات الاقتصادية والاجتماعية انفجرت مؤخرا  
في الحياة العامة في اسرائيل فضيحة شركة « نتيقي  
نفط » ، الموكل اليها امر التنقيب عن النفط  
واستخراجه من سيناء ، لتعزز في ذهن المواطن  
النادي في اسرائيل الشكوك القائمة حول الفساد  
المنتشري في الملبقات العليا التي تحكم الدولة -  
في الفساد الذي بدأت الصحف تكثر من الحديث  
عنه مؤخرا ، مما حدا بعضو الكنيست زبولون  
هبار ( من المدال ) الى تقديم اقتراح يبحث  
الموضوع في الكنيست ، ودفع غولدا مثير رئيسة  
الحكومة ، في صدد دفاعها عن الاوساط الحاكمة  
ورفضها لبحث الموضوع في الكنيست ، الى القول :  
« هناك ظواهر سلبية في المجتمع الاسرائيلي لم  
انوقتها في بداية طريقي ، لما كانت لنا دولة في  
طور التكوين . ولكن لا داعي للمبالغة بشأن مثل  
هذه الظواهر ... او سحبها على قادة مخلصين  
لي عملهم لا يعيش اي منهم حياة بذخ او اسراف » .  
لقد بدأ موضوع شركة « نتيقي نفط » بالتفجر في  
ابريل من عام ١٩٧١ ، عندما أرسل دافيد نيف ،  
الذي كان مديرا لشؤون النفط في وزارة التطوير ،

مذكرة الى وزارة المالية ، اتهم فيها مدير ادارة  
شركة « نتيقي نفط » بالاهمال والتلاعب بأموال  
الدولة وغنائم الحرب ، وتلقي وتقديم رشاشا من  
والى جهات مستفيدة ، والمخ الى استغلال مدير  
الشركة ، مردخاي فريدمان ، لعلاقته باوساط  
حكومية وعامة نافذة ، في تغطية تلاعبه بأموال  
الدولة وسرقة لغنائم الحرب من معدات التنقيب  
عن البترول التي تركها الجيش المصري وراءه في  
عام ١٩٦٧ . وقد حول وزير المالية في حينه  
المذكرة الى وزير العدل ، الذي كلف محاميا معينيا  
بفحص الموضوع . وكانت النتيجة التي استخلصها  
هذا المحامي ان هناك امورا تستدعي الرية في ادارة  
المدير المذكور لشركة « نتيقي نفط » ، واقترح  
تعيين لجنة تحقيق لها حق استجواب شهود  
لاستجلاء الوقائع . ولكن وزير العدل ، بدلا من  
أن يعين لجنة تحقيق ، كلف محاميا آخر باجراء  
تقص اشمل للموضوع . وقد وضع هذا المحامي ،  
موشيه بن زئيف ، تقريرا مطولا احدث نشره ضجة  
كبيرة في اوساط الرأي العام . اذ اتضح من  
التقرير ، والنقاش الذي دار حوله ، ان المبالغ  
المنحدر عنها تقدر بعشرات الملايين من الليرات  
الاسرائيلية ، وان هناك علامات استفهام كبيرة  
حول استعداد بعض الموظفين والضباط الكبار  
لتلقي رشاشا من نوع معين من فريدمان . وبدا  
يتكون رأي عام في اسرائيل يدعو الى تشكيل  
لجنة تحقيق قضائية عليا لبحث في الاتهامات  
الموجهة لمدير الشركة وتحقق في علاقاته مع موظفين  
كبار يحتلون مناصب رفيعة في الدولة . وكان يمكن  
لهذه القضية ان تكون فقط مجرد قضية اختلاس  
وسرقات ، والا تتحول الى فضيحة سياسية ،  
لولا المعارضة الشديدة التي ابداهها وزير العدل  
يعقوب شمشون شابيرا لتشكيل اللجنة ،  
وادعائه بأن القضية ليست هامة بحيث تتطلب  
تشكيل لجنة كهذه ، الامر الذي اثار الشكوك  
بان وزير العدل واشخاصا آخرين في الحكومة  
يحاولون التغطية على الموضوع . وقد عقد يوئيل  
ماركوس في هارتس ( ١٩٧١/١١/٨ ) مقارنة بين  
تصرفات الحكومة الراهنة بصدد تشكيل لجنة  
تحقيق عليا وبين تصرف حكومة بن غوريون في عام  
١٩٦٤ بشأن تشكيل لجنة مشابهة لبحث قضية  
« لانون » ، ملاحظا ان الاشخاص الذين يعارضون  
تشكيل اللجنة الان هم نفس الاشخاص الذين

المعراخ ، وكان رأي مثير يعري ، زعيم الحزب التاريخي وسكرتيره العام منذ خمسين سنة ، ان بحث موضوع تقييم الحزب للتجربة الاشتراكية في روسيا في ظروف العداء الراهنة القائمة بين اسرائيل والاتحاد السوفياتي سوف يحول المؤتمر الى مظاهرة ضد الماركسية والتجربة الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي ، بينما كان رأي يعقوب حزان ، الرجل الثاني في المابام ، أن الوقت قد حان لحسم حالة اللبلة الفكرية التي يعيشها اعضاء الحزب حول هذا الموضوع ، وأيده في رأيه غالبية شباب الحزب واطباء الكيبوتسات القائمة للمابام . وتناديا لازمة في القيادة قرر المؤتمر تشكيل لجنة تحضيرية مهمتها عقد مؤتمر خاسي لبحث الموضوع ، وكلف يعقوب حزان وآخرين ، بعد أن رفض مثير يعري الاشتراك في اللجنة التحضيرية ، باعداد رؤوس اقلام حول الموضوعات المطلوب طرحها للنقاش . وتأخر انعقاد المؤتمر بسبب ظروف حرب الانهك ، وبسبب عرقلة مثير يعري وانصاره له . ولكن اللجنة التحضيرية ، تحت ضغط شباب الحزب واطباء الكيبوتسات ، تحركت بنشاط اكبر في نهايات العام الماضي ، وتم عقد المؤتمر في يوم ١٩٧١/١١/٢٦ . وكما توقع مثير يعري في عام ١٩٦٨ ، تحول المؤتمر فعلا الى مظاهرة ضد الاقتصاد السوفياتي وتجربته الاشتراكية التي رفضها يعقوب حزان وانصاره بكليتها . ان المجال لا يتسع هنا ليراد تفاصيل النقاشات ، ويكفي القول بأن مؤتمر المابام هذا قد كرس في نقاشاته وقراراته الانزلاق النهائي نحو اليمين الذي تمثل في سياساته التي ما برح يتبعها منذ حرب ١٩٦٧ .

## أحمد خليفة

عارضوا آنذاك تشكيل اللجنة الأخرى ، مستنجا من ذلك ان القيادة السياسية الحاكمة في اسرائيل تصدر في معارضتها لتشكيل اللجنة عن رغبتها في الحفاظ على هيئة القيادة السياسية الحاكمة وعن رغبتها في عدم خلق سابقة تنسح المجال للقضاء للفتيقب في مسلكية الموظفين الحكوميين والعاملين الكبار. ونتيجة لتلك وزير العدل في تشكيل لجنة التحقيق العليا ، واستمراره في محاولة التهوين من شأن القضية ، أثار عدد من النواب الموضوع في الكنيست ورفعت هيئة التدريس في كلية الحقوق في جامعة تل ابيب مذكرة الى رئيسة الحكومة تطالب بتشكيل اللجنة . ويبدو ان رئيسة الحكومة التي اقلتها الحديث المتكاثر هنا وهناك عن وجود فساد مستتر في اوساط الطبقات الحاكمة ، قد تررت بعد فترة تردد بأن تلقي بثقلها السى جانب تشكيل اللجنة . وهكذا ، في جلسة الحكومة المعقودة بتاريخ ١٩٧١/١١/١٤ وافقت الحكومة على تشكيل لجنة التحقيق ، واوكلت الى رئيس محكمة العدل العليا تسمية اعضائها. ان الحكومة الاسرائيلية ، بموافقتها على تشكيل لجنة التحقيق هذه ، تكون قد وضعت سابقة. قد يكون لها في المستقبل أثر كبير في خلق الأدوات التي يمكن ان تهشم سور التضليل ، وتفتح عيون المواطن العادي في دولة العدو على حقيقة مسلكية حكامه « الاسطوريين » .

**مؤتمر المابام :** واخيرا ، بعد صراع داخلي عنيف بين مثير يعري زعيم حزب المابام وغالبية اعضاء الحزب ، عقد الحزب مؤتمرا فكريا لبحث مفهومه للاشتراكية ونظرتة الى الاتحاد السوفياتي وتجربته الاشتراكية . ان هذا الموضوع كان قد درس في مؤتمر الحزب الذي عقد في عام ١٩٦٨ لبحث انضمام المابام الى حزب العمل الحاكم لتشكيل

## (٥) المناطق المحتلة

عملية الاستيطان في منطقة غور الاردن ، لتطوق الضفة من الشرق بحاجز من المستوطنات الاسرائيلية بعد ان كانت قد طوقتها من كافة جهاتها الاخرى بسوار من المستعمرات على أمل ان تفصلها جغرافيا عن العالم العربي . فبالاضافة الى المستوطنات الست التي اشادتها اسرائيل على امتداد غور الاردن ، استكملت السلطات الاسرائيلية مؤخرا بناء ثلاث مستوطنات اخرى ، وبذلك حققت بالفعل الجزء الخاص من « مشروع الون » بغور الاردن . والمستوطنات الثلاث الجديدة هي : (١) مستوطنة « حبره » تقع الى الشمال من الجفلك بين مستوطنتي « محولا » و « مسداه » (٢) مستوطنة « نعران » وتقع الى الشمال من مدينة اريحا جنوبي مستوطنة « جلجال » (٣) مستوطنة « متسبيه شليم » تقع في جبال الخليل المطل على البحر الميت جنوب غرب مستوطنة « كاليه » . وتبذل السلطات الاسرائيلية المسؤولة عن الاستيطان جهودا لاحلال مستوطنين مدنيين محل المستوطنين من سلاح الناحل فسي مستوطنات الغور ، وقد نجحت حتى الان في تحويل اربع مستوطنات من مجموع المستوطنات التسع الى مستوطنات مدنية ، وهذا الامر ينطوي على خطورة بالغة « لان الجيش الاسرائيلي بإمكانه ان يأمر رجاله ( من قوات الناحل ) بنقل حاجياتهم واخلاء المنطقة في الوقت الذي يختلف فيه الامر بالنسبة لمستوطنة مدنية » هذا مع العلم ان وزير الدفاع موشيه ديان كان قد صرح اكثر من مرة بأنه يعتقد « بضرورة عدم التحرك في المستقبل من الامكنة التي تقام فيها مستوطنات في المناطق المحتلة » . ولا تقف عملية الاستيطان الاسرائيلي عند هذا الحد من المستوطنات ، فهناك مخططات يقوم باعدادها خبراء اسرائيليون لاقامة شبكة من المستوطنات . فقد اعلن قائد المنطقة الوسطى « رحبعام زئيفي » انه سيتم في المستقبل القريب اقامة اربع مستوطنات جديدة في غور الاردن ، كما وان الخبراء يقدرون بأنه من الممكن اقامة حوالي ٢٠ مستوطنة في الغور « مستشكل في المستقبل بستان خضار وزهور شتوي لاوروبا ، حيث سيتم نقل الانتاج من مطار في الغور » (هآرتس ٧/١٠/٧١) .

برزت في الونة الاخيرة في المناطق العربية المحتلة عدة موضوعات تتباين في معظمها الواحدة عن الاخرى ، وتتشابه في بعض منها ، ولعل هذا التباين يعود الى طبيعة الازواضع المختلفة في المناطق العربية المحتلة اكثر مما يعود الى العدر الاسرائيلي الذي يرغب في هذا التباين ويسعى اليه وبنيه ، ففي الضفة الغربية حيث الزعامة التقليدية انما تبرز هناك على السطح موضوعات ناجمة من تطورات هذه الزعامة على اختلاف مشاربها وانواعها ، وفي القطاع حيث الثورة والكبت ، تبرز موضوعات ناجمة عن الصراع المحتدم بين قوات الاحتلال الاسرائيلية وبين ثورة جماهير القطاع التي تعرض الان الى محاولة تصفية خطيرة ، وفيما يتعلق بهضبة الجولان وسيناء فان المواضيع التي تبرز فيها تكون عادة مواضيع اسرائيلية دون ان يكون لسكانها تأثير بظلمتها من قريب او بعيد ، ومع بيان الموضوعات التي تبرز في المناطق المحتلة كافة ، اخذت سلطات الاحتلال الاسرائيلية تلائم وانفصلا مع مجمل الموضوعات في كل منطقة على حدة ، ففي الضفة الغربية تقف وراء نمو وتطور الزعامة التقليدية مع بذل محاولات جمة لجعل هذا التطور وذاك التموضع لصالح اسرائيل ، اما في القطاع فانها تقوم بمحاولات قوية وشرسة لتصفية الثورة ، واحلال زعامة تقليدية مكانها شبيهة بالزعامة التقليدية في الضفة الغربية ، وفيما يتعلق بهضبة الجولان وسيناء ، فانها تركز على احداث علاقات وطيدة مع شيوخ العشائر في سيناء ، ومع بعض وجهاء الهضبة . ومع ذلك فهناك خط واضح في سياسة اسرائيل تجاه المناطق المحتلة ، يتمثل في طمس معالم قائمة ، واقامة وقائم جديدة تتمثل في اقامة المستوطنات الاسرائيلية فسي اماكن مبنية في المناطق العربية المحتلة ، تمشيا مع سياسة التوسع التي تنتهجها اسرائيل .

**الاستيطان في المناطق المحتلة :** شهدت المناطق المحتلة في الونة الاخيرة نشاطا ملموسا من قبل سلطات الاحتلال الاسرائيلية في ميدان الاستيطان ، حيث اخذت عجلة الاستيطان في الونة الاخيرة تسير بالسرعة والتواجد في كافة المناطق المحتلة . ففي الضفة الغربية تركز السلطات الاسرائيلية

لا يقتصر النشاط الاستيطاني الاسرائيلي في الضفة الغربية على منطقة الغور فقط بل يشمل مناطق أخرى في الضفة مثل « غوش عتسيون » والخليل، ففي منطقة غوش عتسيون يجري العمل الآن لتعزيز المستوطنات الاسرائيلية الثلاث وذلك بدفع عائلات مدنية لاستيطانها، كما ويجري الحديث حول اقامة مستوطنة رابعة في هذه المنطقة، تتشكل نواتها من مهاجرين يهود من الولايات المتحدة. ومن المقرر ان تحمل هذه المستوطنة اسم « عتسيون بيت ».

وفي منطقة الخليل بدأت مباني « كريات اربع » التي اشيدت بالقرب في مدينة الخليل تستقبل مستوطني الخليل الذين كانوا يقيمون في مبان خاصة أعدت لهم بالقرب من مقر الحاكم العسكري. ومن المقرر ان تستوعب مستوطنة « كريات اربع » حوالي ٩٠٠ عائلة يهودية. ومن الجدير بالذكر ان سلطات الاحتلال الاسرائيلية قامت في الفترة التي اخذ المستوطنون ينتقلون الى « كريات اربع » بمصادرة قطعة ارض متاخمة للمستوطنة تبلغ مساحتها ٢٣٠ دونما، بناء على أمر من الحاكم العسكري للضفة الغربية، وقد تعلقت السلطات الاسرائيلية عند مصادرتها لهذه القطعة من الارض « بالتطلبات الامنية » غير ان السبب الحقيقي الذي يكمن وراء هذه الخطوة هو تعزيز الاستيطان في الخليل وتوسيع رقعة « كريات اربع » عندما يحين الوقت المناسب.

وفي الهضبة السورية تقوم سلطات الاحتلال بحملة استيطانية مركزة، مستغلة ضالة الكثافة السكانية في أعقاب عملية التهجير شبه الجماعية لسكانها العرب، بهدف ازالة معالم قديمة، واثامة وقائع جديدة « لابقائها الى الابد » تحت السيطرة الاسرائيلية. ففي الآونة الاخيرة برزت على الارض في الهضبة مستوطنتان اسرائيليتان ( علاوة على المستوطنات الثلاث عشرة القائمة والمستوطنتين اللتين سينتهي العمل بهما في ابريل ١٩٧٢ ) . تدعى المستوطنة الاولى « الروم » وتقع في شمال الهضبة، اما الثانية فتحمل اسم « كفار حريب » وتقع في جنوب الهضبة عند منتصف الطريق بين مستوطنتي « مفوحه » و« جيمات يوآب ».

ومن المقرر ان تعزز مستوطنة « الروم » بنواتين من شببية الكشافة يعمل افرادها في سلك الناحل، اما مستوطنة « كفار حريب » فستعزز بنواة من الكشافة التي يعمل افرادها في سلك

الناحل .

وفي سيناء، التي تركز الاستيطان الاسرائيلي فيها على امتداد المحور الشمالي وفي منطقة شرم الشيخ و« ابو رودس »، حيث اقيمت ثمان مستوطنات اسرائيلية، يدور التفكير الان حول انشاء مستوطنتين على ساحل خليج العقبة في المنطقة الواقعة بين ابلات وشرم الشيخ، بالقرب من مستوطنة « نوبا » التي تبعد حوالي ٧٠ كم جنوب ابلات، ومما ساعد على التخطيط لاقامة هاتين المستوطنتين المنور على بحر ارتوازية في المنطقة، وافتتاح الطريق المعبدة الجديدة التي شنتها اسرائيل بين ابلات وشرم الشيخ .

وبالاضافة الى النشاط الاستيطاني في سيناء، تقوم السلطات الاسرائيلية بتنشيط الحركة السياحية في مناطق معينة من شبه الجزيرة حتى شرم الشيخ ودير سانت كاترينا والعريش. ومن اجل ذلك وافقت الحكومة الاسرائيلية على اقامة فندق يتكون من مئة غرفة بالقرب من المطار الذي الذي اقيم مؤخرا بالقرب من دير سانت كاترينا. كما وافقت وزارة السياحة على اقامة ناد للفروس في « نعمه » وناد آخر في « راس محمد ». ومن الجدير بالذكر ان هذه المشاريع تقام من قبل اشخاص ببيادرتهم الذاتية بعد موافقة الحكومة عليها. وتتوقع الاوساط السياحية الذين ستمتثلهم يصل عدد السياح والزوار الذين ستمتثلهم سيناء في خلال العام القادم حوالي ربع مليون شخص !! ولعل هذا الرقم، بالاضافة الى ما تستخرجه اسرائيل من نفط من آبار البترول في سيناء التي يصل انتاجها السنوي الى ستة ملايين طن، يلقي مزيدا من الضوء على الاسباب الكابنة وراء تمسك اسرائيل بهذه المنطقة .

لم يسلم قطاع غزة هذه المرة من عجلة الاستيطان الاسرائيلي، فقد كان القطاع طيلة الاعوام الماضية التي تلت الاحتلال بمثابة منطقة محرمة بالنسبة للاستيطان ( باستثناء مستوطنة يتيمة هزيلة تدمي كفار دروم اقيمت بالقرب من الخط الاخضر ) . ففي المدة الاخيرة اخذت السلطات الاسرائيلية وسط حملة الهدم والتشريد والتهجير، ومع محاولاتها العسكرية الكبيرة الرامية الى تصفية الثورة في القطاع، اخذت تعمل جاهدة لفتح المنطقة امام الاستيطان الاسرائيلي، حيث شرعت بطرد العرب المقيمين في منطقة تقع بين غزة ودير البلح تبلغ

تصدر في القدس العربية ، وجاءت دعوته في كتاب صدر مؤخرا في الضفة الغربية يحمل اسم « لا سلام بغير دولة فلسطينية حرة » ويتكون من خمسة فصول حول تطورات القضية الفلسطينية . وخطر فصل فيه هو الفصل الذي يتحدث فيه ويدعو الى قيام الدولة الفلسطينية . ويقرر المؤلف في كتابه ان اقامة الدولة الفلسطينية تتطلب حلا لقضية اللاجئين ، كما يدعو الى ان تكون القدس العربية عاصمة للدولة الفلسطينية ، والقدس اليهودية عاصمة للدولة اليهودية دون ان يكون هنالك حاجز بينهما . ويقول المؤلف انه ينبغي على اسرائيل ان تعيد الضفة والقطاع للشعب الفلسطيني ، وعلى الدول العربية ان تمكن اللاجئين من العودة الى اراضيهم ، ثم يدعو الامم المتحدة ومجلس الامن ودول العالم ان تأخذ على عاتقها حماية الدولة الفلسطينية من اي تدخل مدة عشر سنين على الاقل . وتقرر المؤلف في كتابه انه اذا ما وضع الفلسطينيون امام خيار البقاء تحت الحكم الاسرائيلي او العودة الى الحكم الهاشمي ، فانهم سيختارون الحكم الاسرائيلي . وقد تصدى لهذه الدعوة عبدالرحيم الشريف من سكان القدس ومن الموالين للنظام الاردني ، في مقالتين نشرتا في مجلة « البشير » التي تصدر في بيت لحم ، ركز فيها هجومه على الفقرة التي وردت في كتابه والتي تنص على ان الحكم الاسرائيلي افضل من الحكم الهاشمي . وقد حظي عبدالرحيم الشريف الذي شغل في السابق منصب وزير الاقتصاد في الحكومة الاردنية برد شديد للهجة من قبل ابو شلبايه متهما اياه بأنه « مؤيد للحكم الديموي للنظام الاردني ، وعميل الهاشميين » (دافار ٧١/١٠/١٨) كما واتهم مؤيدي السلطة الاردنية بأنهم ارادوا شراء نسخ كتابه من المكتبات بغرض حرقها . ووسط جو تراشق التهم بين ابو شلبايه وعبدالرحيم الشريف ظهرت نتيجة استفتاء كان قد اعده الدكتور « يوحنا بيرس » من جامعة تل ابيب ، شمل ٥٠٠ شخص من ابناء الضفة من فوق سن العشرين . واطهر الاستفتاء انه بالرغم من وجود ٧٠٪ يطالبون بسقوط حسين الا ان ٦٠٪ يؤمنون بان الضفة الغربية جزء لا يتجزأ من الاردن وانهم اذا ما وضعوا امام خيار العودة الى الحكم الاردني او البقاء تحت الاحتلال الاسرائيلي ، فانهم يفضلون العودة الى الحكم الاردني ، وهذه النتيجة التي

مسانتها اربعة الاف دونم ، وباحتفاظها بسياج ، تمهيدا لاقامة مستوطنة فيها . كما وألحقت هذا الاجراء باجراء آخر ، حين اقدمت على احاطة منطقة تبلغ مساحتها عشرة آلاف دونم تقع بين دير البلح وخان يونس بسياج ، تمهيدا لاقامة مستوطنة ثانية . ومن المقرر ان تكون نواة هاتين المستوطنتين من حركة « ايحود هكيبوتسوت فهكوتسيم » التابعة لعرب جنباي . وبالإضافة الى ذلك ستقام مستوطنات ناحال « في جنوب غزة ، ولم تذكر المصادر الاسرائيلية عددها ، غير انها ذكرت ان اذا ما استبرز على الارض « في غضون بضعة اشابيع » ( معاريف ٧١/١٠/٨ ) . ومن الجدير بالذكر ان هذه المستوطنات تقام في الاراضي الحكومية التي تعتبرها اسرائيل « ضمن اراضي الدولة » بعد احتلالها للقطاع . واذا علمنا ان مساحة القطاع برمهته تصل الى ٣٤٠ الف دونم ومساحة الاراضي الحكومية ١٢٠ الف دونم اي ثلث اراضي القطاع ، يتضح لنا مدى الخطورة الكامنة وراء التدابير الاستيطانية التي تجري الان في القطاع .

**حول الدولة الفلسطينية :** طفت في الآونة الاخيرة على سطح الاحداث في المناطق المحتلة ، وخاصة تلك المتوفرة بها زعامة تقليدية مثل الضفة الغربية ، وكذلك في قطاع غزة الذي أخذت تبرز فيه براعم زعامة تقليدية وسط المحاولات المبذولة لتصنيف الثورة في القطاع ، فكرة الدعوة الى دولة فلسطينية او كيان فلسطيني ، ومع ان هذه الدعوة قديمة الا انها تعززت بفضل اربعة عوامل : ١ - حملة ايلول التي قام النظام الاردني بها ضد المقاومة الفلسطينية ، وحملة الاحراش التي وضعت حدا للتراجد العلني للمقاومة في الضفة الشرقية ، وما وافق هاتين الحملتين من اعمال وحشية سهلت بهمة الداعين الى الكيان الفلسطيني ٢ - خيبة اهل سكان المناطق المحتلة عامة من الانظمة العربية التي درجت على التخني « بصمود المناطق المحتلة » وبالتبشير بين الفينة والاخرى بالتحريب ، دون ان يرتبط ذلك بالعمل الجاد . ٣ - الوهن الذي دب بحركة التحرر العربي . ٤ - والاهم من ذلك كله حالة الانحسار التي تمر بها الثورة الفلسطينية ، وعدم تخطيها حتى الان لمرحلة الانحسار هذه .

كان من بين الداعين هذه المرة للكيان الفلسطيني محمد ابو شلبايه احد محرري صحيفة القدس التي

توصل اليها الدكتور يوحنا بيرس تختلف وتتناقض مع الفرضية التي شملها كتاب ابو شلبايه . ومع ان الزعامة التقليدية التزمت الصمت في الآونة الاخيرة تجاه هذا الموضوع ، باستثناء حمدي كنعان الرئيس السابق لبلدية نابلس الذي عارض فكرة اقامة دولة فلسطينية ، الا ان « اوري اغنيري » رئيس كتلة « همولام هزيه » المعارضة ، خرج بانطباع بعد اجتماعات مطولة عقدها مع وجهاء كافة المناطق في الضفة الغربية بان سكان الضفة يريدون تقرير مصيرهم بأنفسهم ، وذكر ان كثيرا من الزعماء لا يجراؤن على الانفصاح مما يختلج في صدورهم ، الا انه ذكر انه سمع من هذه المجموعة ثلاث خطط مختلفة لحل القضية الفلسطينية :

الخطة الاولى « على اسرائيل ان تسلم الضفة الغربية والقطاع الى الامم المتحدة ، وتقوم قوات الامم المتحدة بالاشراف على المناطق ، وتقيم سلطة مدنية ، وتجري انتخابات واستفتاء . وبعد ان يمنح الفلسطينيون حق العودة الى وطنهم يسمح للسكان حينذاك بالحسم في الحلول المختلفة ( دولة فلسطينية مستقلة ، اتحاد فدرالي مع الاردن ، اتحاد فدرالي مع اسرائيل ، الانضمام للاردن او لاسرائيل ) واذا ما صوت السكان الى جانب دولة فلسطينية ، كما هو متوقع ، ستقام حكومة فلسطينية تجري مفاوضات سلام ، وتقيم علاقات مع اسرائيل » . الخطة الثانية « على الحكم الاسرائيلي ان يقوم فوراً بتعيين قائمقام عربي ، يأخذ على عاتقه ادارة الامور المدنية ، ويقوم باجراء الانتخابات للبلديات والمجالس المحلية بعد ان يتمكن من توفير حرية النشاط السياسي . وبعد الانتخابات يجري استفتاء ( كالاستفتاء الذي ورد في الخطة الاولى ) ثم تقوم الزعامة السياسية بمعد اتفاقية سلام مع اسرائيل » . الخطة الثالثة « على الجيش الاسرائيلي الاكتفاء بالمرابطة على امتداد النهر للحيولة دون دخول الجيش الاردني الى البلاد ، وعليه ان ينسحب من قلب المناطق في الوقت الذي تجري فيه انتخابات او استفتاء » ( هارتس ١٤/١٠/٧١ ) .

**الدعوة لاقامة دولة في القطاع :** لم يسلم قطاع غزة من فكرة الدعوة لاقامة دولة فلسطينية او كيان فلسطيني ، بعد ان اخذت تبرز براهم للزعامة التقليدية فيه في الآونة الاخيرة وسط اجراءات التمس والتصفية التي تتعرض لها الثورة الفلسطينية

هناك . فعلى اثر حملة الهدم والتشريد والتهدم الواسعة النطاق التي تعرض لها القطاع بدان الزعامة التقليدية تتلمذ وتتحرك ومن بينها الشيخ هاشم نعمان الخزندار الذي كان من القائلين على العريضة التي وقعها ستة آلاف شخص من اجل تبرع هشام الشوا على كرسي رئاسة البلدية ، والذي أخذ يطالب باقامة دولة فلسطينية دون ان يذكر حدودها ، الا انه يود ان تشمل الضفة والقطاع شريطة ان لا تكون تحت النفوذ الاردني ، واذا تعذر هذا الامر فانه من الضروري حسب قول الخزندار اقامة « دولة غزة » فوراً . ويتساءل الخزندار : ماذا في ذلك ؟ ان مالمه اصغر من القطاع وسكانها اقل من سكان القطاع ومع ذلك فهي دولة ! » واذا استحال هذا الامر فان هذا الشيخ البالغ من العمر ٦٥ عاما والمتخرج من جامعة الأزهر ( يملك معملاً لانتاج مواد البناء يستخدم فيه ٥٠ عاملاً ) يقترح بان تضم غزة الى اسرائيل وليس للاردن « لان ديان افضل الف مرة من حسين » كما ورد على لسانه .

وفيما يتعلق بالطرف الاسرائيلي فانه ماض في اتخاذ تدابير لتعزيز الاستيطان في المناطق المحتلة ، ويرفض التداول حول فكرة اقامة دولة فلسطينية ، اذا كان هذا يعني انسحاب اسرائيل من هذه المناطق ، فقد رد وزير الدفاع موشيه ديان الذي يملك بدا طولى في بلورة السياسة الاسرائيلية تجاه المناطق المحتلة على سؤال عما اذا كان يعتقد بوجود من يتحدث معه في الضفة حول هذا الموضوع ، قائلاً : « حول ماذا نتحدث ؟ يوجد هناك من نتحدث معهم ولكن حول ماذا ؟ انني اعرف ماذا يريدون ان يقولوا لك ... ان حق تقرير المصير يعني ان هذه دولتهم وهذا يعني ان نرحل من هناك . انهم سيوافقون ، وانا اعارض ، انني لست من الداعمين الى الخروج ، وبامكان الذي يؤيد ذلك التحدث معهم » ( هارتس ١٤/١٠/٧١ ) .

ان فكرة اقامة دولة فلسطينية لا زالت فكرة عابثة في الضفة الغربية ، وليست هنالك فئة توبة منظمة تدعمها ، الا انها تتعزز بين الفينة والاخرى نتيجة الضربات الشرسة التي يوجهها النظام الاردني للمقاومة ، كما ان هذه الفكرة تتعارض وتتناقض مع استراتيجية الثورة الفلسطينية المبنية على تحرير كامل التراب الفلسطيني ، واعتباره جزءاً لا يتجزأ مع التراب الاردني ، ولا يمكن للثورة

المسلمية ، تبول هذه الفكرة ، لانها تعني قبل كل شيء تصفية الثورة ذاتها .

**حول الانتخابات البلدية في الضفة الغربية :** اشتدت في الآونة الأخيرة الدعوة لاجراء انتخابات بلدية في الضفة الغربية ، وكان على رأس الداعين لها رئيس بلدية نابلس السابق حمدي كنعان . وقبل التطرق الى خطورة هذه الدعوة ، تجدر الإشارة الى قانون الانتخابات الاردني القائم في الضفة الغربية . ان هذا القانون بعيد في نسه وروحه عن القوانين المعمول بها في الدول الديمقراطية . فحسب هذا القانون يسمح للرجال فقط الذين هم فوق سن الواحد والعشرين عاما بالانتخاب . ولا يكفي القانون باستثناء النساء فقط من قائمة المنتخبين بل يستثني ايضا اولئك الذين لا يدمعون ضرائب للبلدية ، وبذلك يقلص عدد المنتخبين ويحصرهم في طبقة معينة . وفوق ذلك كله فان مجلس الوزراء الاردني هو الذي يعين - بمتنص القانون - رئيس البلدية مسن بين المرشحين الفائزين في الانتخابات بناء على توصية وزير الداخلية . والانكى من ذلك ان القانون يخول مجلس الوزراء تنحية رئيس البلدية والغاء المجلس البلدي ، واتخاذ قرار بشأن امواله وممتلكاته اذا ما ارتأى وزير الداخلية « ان مصلحة المدينة تتطلب ذلك » . وفي ظل هذا القانون نمت في الضفة الغربية زعامة تقليدية خرجت من وسط نة الوجهاء . وكانت هذه الزعامة تحتل المرتبة الثالثة في بنية النظام الاردني تلي مرتبة مجلس الوزراء ومجلسي النواب والاعيان . اما بعد الاحتلال فقد أصبح رؤساء البلديات والمجالس المحلية يحتلون المرتبة الاولى من حيث الاهمية السياسية . فقد تسلم جهاز الحكم العسكري الاسرائيلي مهام الحكومة المركزية وغدا هؤلاء ممثلين للسكان تجاه سلطات الاحتلال ، واصبحوا يمتلكون يدا طولى في مجال الوساطات والتوصيات . وازاء هذا الوضع اخذ البعض من وجهاء الضفة الغربية يطالب باجراء انتخابات جديدة ، الا ان دعوتهم تصطدم بطرفين من ذوي النفوذ في الضفة الغربية :

١ - النظام الاردني : يعارض النظام الاردني الدعوة لاجراء انتخابات بلدية خوفا من بروز زعامة تقليدية جديدة غير موالية له تعمل من اجل الكيان الفلسطيني . وقد هاجمت وسائل الاعلام الاردنية

في الآونة الاخيرة فكرة الدعوة لاجراء الانتخابات ، كما وقامت السلطات الاردنية من جانبها باستئناف تقديم المعونات المالية للسلطات المحلية ولوظفي الحكومة والوجهاء وبعض الصحفيين في الضفة .

٢ - رؤساء البلديات : يجمع معظم رؤساء البلديات على معارضة الدعوة لاجراء الانتخابات بذرائع شتى ، خوفا من دخول منافسة مع زعامة تقليدية اخرى ، هم في غنى عنها .

اما الطرف الاسرائيلي ، وهو الطرف الاتوى ، فقد ارتأى بعد دراسة الموضوع انه من الافضل الموافقة على اجراء انتخابات بلدية في عدد من المدن الصغيرة في الضفة الغربية اريحا وطولكرم وجنين وطوباس وقلقيلية ، في شهر نيسان (ابريل) المقبل ، دون الموافقة على اجرائها في المدن الكبيرة مثل الخليل ونابلس ورام الله وغيرها ، على امل خلق زعامة تقليدية من نة الوجهاء تكون مرتبطة معه وموالية له . فالسلطات الاسرائيلية تدرك جيدا ان وجهاء المدن الصغيرة هم اقرب الى التطويع والتوجيه والتسيير في خط يخدم المخطط الاسرائيلي الرامي الى تكريس الاحتلال ، ومن ثم يكون بإمكانها على ضوء تجربتها الانتخابية في المدن الصغيرة ، الموافقة على اجراء انتخابات في المدن الكبيرة بعد ان تضمن سلفا ان النتائج ستكون في مصلحتها . ومن هنا يمكن القول ان اي انتخابات في الضفة الغربية في ظل الاحتلال ، سواء في المدن الصغيرة او الكبيرة تعتبر جزءا من مخطط اسرائيلي لاقامة حكم ذاتي او كيان فلسطيني مرتبط باسرائيل ، ترفضها كافة العناصر الوطنية المؤمنة بتحرير كامل التراب الفلسطيني .

**مؤتمر بلاطة :** عقد في الآونة الاخيرة مؤتمر في مخيم بلاطة ضم حوالي ٣٠ مختارا ، يمثلون حوالي ٣٥ الف لاجيء يقطنون في خبسة مخيمات تقع في منطقة نابلس . وقد عقد المؤتمر بمبادرة علي بركات احد مختاير بلاطة بعد موافقة سلطات الاحتلال الاسرائيلية . ومن بين الموضوعات التي طرحت فيه مشاكل المياه والمواصلات والعمل التي تواجه سكان الخيميات ، واتخذ المؤتمر قرارات بالاجماع طالبوا فيها سلطات الحكم العسكري بالعمل على تنظيم عملية تزويد الخيميات بالمياه ، وتوسيع الطرق المؤدية اليها وايجاد عمل للمتقنين من صفوف ابنائها . والسبب الرئيسي لعقد هذا المؤتمر يكمن في الصراع المستمر بين الزعامة

سجينا تتراوح الاحكام الصادرة بحقهم من السجن  
١٥ عاما الى السجن المؤبد .

ومن الجدير بالذكر ان عدد السجناء والمعتقلين  
( فدائيين ومناضلين ) في المعتقلات والسجون  
الاسرائيلية قد بلغ في نهاية ١٩٧٠ ، ٢٢١٧ شخصا  
من المناطق المحتلة ، من بينهم ١٥٢٥ صدرت احكام  
 بحقهم و ١١٦٩ معتقلا و ٤٨٦ معتقلا اداريا ، وهم  
موزعون كالتالي : ٨٦١ في سجن غزة و ٥١٦ في  
سجن بئر السبع و ٤٧٧ في سجن عسقلان و ١١٠٢  
في سجن نابلس و ٢٢٦ في كفاريونا و ١٥٨ في  
رام الله و ١١٥ في الخليل و ١٢٦ في جنين و ١٠٢  
في طولكرم و ٥٢ في الرملة و ١١ فتاة في نيبس  
ترتسا .

**محاولة تصفية الثورة في القطاع :** تتعرض ثورة  
جماهير القطاع الى محاولات تصفية خطيرة ،  
وليست هذه المحاولات جديدة بالنسبة للقطاع  
غير انها تتسم هذه المرة بالخطورة الشديدة لعدة  
اسباب اهمها انها تגיע بعد ضرب المقاومة في  
الاردن وتصفية وجودها العلني هناك ، وعدم  
تخفيها حتى الان لمرحلة الانحسار التي تمر بها ،  
والتزام الجانب العربي بوقف اطلاق النار على  
امتداد الجبهات مع العدو الاسرائيلي ، مما فأتى  
عنه بقاء قطاع غزة كجبهة وحيدة تقف في وجه  
الاحتلال ، الامر الذي مكن قائد المنطقة الجنوبية  
الزعيم « اريك شارون » من تخصيص قسم من  
قواته الضاربة المرابطة في الجبهة الجنوبية في  
محاولة منه للقضاء على « الجبهة الوحيدة » .  
وقد قامت هذه القوات بحملة الهدم والتشريد  
والتهجير الواسعة النطاق ( انظر شؤون فلسطينية :  
المناطق المحتلة . العدد الخامس ) .

الى جانب ذلك قامت السلطات الاسرائيلية باتخاذ  
اجراءات وتدابير ووسائل لتعزيز نفوذها في القطاع  
في محاولة خطيرة لتصفية الثورة هناك :

١ - توزيع القوات الاسرائيلية في وحدات صغيرة  
وعديدة : اعتمدت القوات الاسرائيلية المتواجدة  
في القطاع اسلوبا جديدا في مقاومتها للثورة ،  
وبتقتضى هذا الاسلوب جزئت القوات الى وحدات  
صغيرة وعديدة ، واخذت تنتشر في المدن والقرى  
والمخيمات والبيارات للماعة اسلوب قتالها مع  
اسلوب حرب العصابات ، الامر الذي فرض على  
قوات الثورة الاعتماد على السرية التامة والمطلقه  
- بعد أن توصلت خلال هذا العام الى التواجد

التقليدية في المدن التي عظم شأنها بعد الاحتلال  
الاسرائيلي ، وبين الواجهة التقليدية في المخيمات  
التي تعتبر ادنى مرتبة منها وانهر بانرها . ولذا  
يمكن القول ان مؤثر بلاطة جاء كمحاولة من قبل  
مخاتير المخيمات للتمرد على الزعامة التقليدية في  
نابلس التي درجت على تمثيلهم امام سلطات  
الاحتلال دون استشارتهم .

**أوضاع الخريجين الثانويين :** لا زالت مشكلة  
خريجي المدارس الثانوية قائمة في المناطق المحتلة ،  
خاصة في الضفة الغربية وقطاع غزة حيث تفتقر  
هذه المناطق الى مؤسسات جامعية . ومما يزيد  
الطين بلة ان الجامعات في الدول العربية درجت  
على تحديد عدد المقبولين من هؤلاء الخريجين ،  
الامر الذي دفع البعض منهم الى الالتحاق بالجامعة  
العبرية في القدس ، فقد التحق هذا العام ٢٠  
 طالبا من ابناء الضفة بالجامعة العبرية ، وبذلك  
برتفع عدد الطلبة من ابناء الضفة في الجامعة  
العبرية الى ٤٥ طالبا .

**تمرد السجناء في سجن عسقلان :** في ١٩٧١/٩/٢٠  
وقع تمرد في سجن عسقلان . وكان السبب المباشر  
لهذا التمرد ، قيام ضابط اسرائيلي اثناء مهمة  
احصاء السجناء بالاعتداء على سجين ضريع كان  
مضجعا على سريره الامر الذي دفع زملاءه  
للتصدي للضابط الذي اخذ بصرخ طالبا للنجدة  
وحيثما قدم عدد من حراس السجن واصطدموا  
مع السجناء الذين اخذوا يتسلحون بكل ما يقع  
تحت ايديهم ، للتصدي لقوات الحراسة . وقد  
استطاعت قوات الحراسة تخليص الضابط  
الاسرائيلي من ايدي السجناء الثائرين بعد ان ضرب  
ضربا مبرحا ، ونقله الى المستشفى نسي حالة  
خطرة . ولم يتوقف الصدام بعد تخليص الضابط  
الاسرائيلي ، بل اتسع واشتد وسط الهتافات  
ضد الاحتلال ، مما اضطر المسؤولين عن السجن  
الى استدعاء نجدات من قوات الشرطة والجيش .  
وقد انتهى التمرد بعد مضي ثلاث ساعات على  
نشوبه . واسفر كما تدعي المصادر الاسرائيلية  
عن اصابة عشرة من السجناء بجراح ، الا ان  
منظمة الصليب الاحمر ذكرت في احد تقاريرها ان  
الاشتباك اسفر عن جرح ١٨ سجينا . اما السبب  
غير المباشر لهذا التمرد فانه يعود الى غطرسة  
المسؤولين عن السجن ، والمعاملة السيئة التي  
تحظى بها سجناء عسقلان البالغ عددهم ٤٧٧



العلمي في المخيمات التي كانت تسيطر عليها -  
والنقل من مكان الى مكان داخل « الغابة »  
الغربية .

٢ - حملة الاستيطان الاسرائيلية التي لجأت  
لها السلطات الاسرائيلية لاثبات التواجد  
الاسرائيلي هناك ، وقد مر الحديث عنها .

٣ - توزيع هويات جديدة في القطاع : من اجل  
تهدئة حركة الفدائيين ومحاصرتهم ، اصدر قائد  
منطقة القطاع « يتسحاق فونداق » أمرا باصدار  
هويات جديدة لتوزيعها في القطاع ابتداء من ١٧  
يناير ١٩٧١ على كل شخص ذكر من فوق سن

١٦ عاما . ومن المقرر ان تشمل هذه العملية  
عام ١٢٠ الف شخص ، وبعد ذلك ستجري  
عملية التوزيع على النساء . ومن الجدير بالذكر  
ان تذكرة الهوية الجديدة اعدت بطريقة تحول دون  
الكتابة تزويرها ، فعلى ظهر كل تذكرة تلمصق  
صورة ملونة تعد بواسطة آلة تصوير خاصة ،  
ومن ثم توضع التذكرة داخل محفظة مصنوعة  
من البلاستيك ، ويحكم غلقها . واذا ما حاول  
احد فتح المحفظة بغرض التزوير او تغيير الصورة  
فان لون الصورة الملونة يأخذ بالتغيير وبذلك تفشل  
محاولة التزوير .

٤ - فتح الخط بين القطاع واسرائيل امام  
النامسات الاسرائيلية : سمحت السلطات  
الاسرائيلية في مطلع شهر نوفمبر لباصات شركة  
« ايجد » الاسرائيلية بالتنقل بين القطاع والمدن  
الاسرائيلية بغرض نقل العمال العرب ، بعد ان  
كان ذلك محرما عليها في فترة السيطرة شبه التامة  
للفدائيين في القطاع . وقد استخدمت الشركة لهذا  
الغرض ٤٠ باصا .

٥ - تعيين رئيس بلدية غزة : في غمرة مخططات  
المنفعة التي تقوم بها القوات الاسرائيلية في  
القطاع ، اقدمت سلطات الاحتلال على تشكيل  
مجلس بلدي وتعيين رشاد الشوا رئيسا للبلدية ،  
على امل خلق زعامة تقليدية شبيهة بزعامة الضفة ،  
تكون بمثابة حلقة وصل بينها وبين الجماهير لخدمة  
اغراضها . وكانت سلطات الاحتلال قد حلت في  
١١ فبراير المجلس البلدي في غزة برئاسة راغب  
الطلمي متهمه اياه بالتعاطف مع رجال المقاومة ،  
وبدأت الشؤون البلدية تدار بواسطة ضابط  
اسرائيلي طيلة ستة اشهر حتى النصف الثاني من  
الثلوث ، حيث شكل مجلس البلدية برئاسة رشاد

الشوا وعضوية كل من محمد رضوان ، عرفات  
ابو حصيرة ، شعبان ابو رقطة ، موسى علي  
ابو شعبان ، حسن ابو رجلة ، رفيق ابو الحسن  
بسيسيو ، احمد فايق خيال ، احمد شراب ، محمد  
الشوا ، خليل ابراهيم ، وعبد اللطيف الفصين .  
ويعتبر رئيس البلدية الجديد من اثرياء القطاع ،  
فهو يمتلك بيارا مساحتها ١٠٠٠ دونم ، كما ويمتلك  
مع شركاء له من عائلته وعائلة المغربي معملا  
حديثا لتوضيب الحمضيات ، بالاضافة الى نشاطه  
في الميدان التجاري . أما اعضاء المجلس فمعظمهم  
من التجار والوجهاء والاغنياء والمتاولين ، وبذلك  
أخذت تبرز على السطح في القطاع براعم للزعامة  
التقليدية . وكان اول المهتمين لهذه الزعامة  
الجديدة رئيس بلدية الخليل الشيخ علي الجعبري ،  
حين قدم الى غزة على رأس وفد ضم حوالي ٥٠  
شخصا من وجهاء منطقة الخليل للتعبير عن  
« تمنياته بالنجاح » لرئيس البلدية الجديدة رشاد  
الشوا .

٦ - استشهاد زياد الحسيني قائد قوات التحرير  
الشعبية : خلال حملات التصفية وقع حادث  
غريب في منزل رئيس بلدية غزة رشاد الشوا حين  
أقدم قائد قوات التحرير الشعبية في قطاع غزة  
زياد الحسيني على الانتحار باطلاق النار على  
نفسه . ومع ان ملابس الغضبية لا زال يكتنفها  
الغموض ، الا اننا سنورد ما كما وردت في  
المصادر الاسرائيلية نقلًا عن رئيس بلدية غزة ،  
وتتلخص كالتالي : في ١١ اكتوبر التجأ زياد الى  
منزل رئيس البلدية بعد ان علم انه اجري اتصالات  
في الخارج حول امكانية اخراج بعض الفدائيين  
من القطاع . وقد رحب به رئيس البلدية « وفقا  
للتقاليد العربية » ، ولم أخبر السلطات الاسرائيلية  
لان ذلك يتنافى والاعراف العربية » وطلب زياد  
ان يجري اتصالات مع قائد منطقة القطاع وعبر عن  
رغبته في مغادرة المنطقة ، وقد اقترح رئيس  
البلدية على حاكم القطاع الاستجابة لطلب زياد  
غير أن القائد اشترط عليه ان يسلم نفسه مع  
مجموعته الى السلطات الاسرائيلية . وفي غضون  
ذلك اخذت نفسية زياد تتدهور الى ان اصبح  
غير قادر على ضبط اعصابه ، فاقدم على الانتحار  
بأطلاق النار على نفسه بعد أن قضى مدة ٤٢  
يوما في منزل رئيس البلدية ، حينذاك هرع رشاد  
الشوا الى قائد منطقة القطاع وابلمه بالحادث ،

ثم توجه الى تل ابيب وقابل وزير الدفاع موشيه ديان وابلغه تفاصيل ما جرى ، تطويقا لمضاعفات محتلة . الا ان السلطات الاسرائيلية اكدت باجراء تحقيق معه دون أن تمتقله او تقوم بنفس منزله بتهمة « تستره على الفدائيين » .

والمعروف ان زياد الحسيني الذي توفي عن عمر يناهز التاسعة والعشرين كان قد أصبح في عام ١٩٦٩ قائدا لقوات التحرير الشعبية في القطاع ، ولم تتمكن سلطات الاحتلال بالرغم من محاولاتها الكبيرة خلال اربعة أعوام من القاء القبض عليه ، فقد كان لفترة طويلة على رأس « قائمة المطلوبين » . وتقول المصادر الاسرائيلية ان زياد ترك وصية بالملكات التي بحوزته جاء فيها :

(١) « بحوزتي ٤٧٢٠ ليرة اسرائيلية (٢) ١٠٠ دولار اميركي (٣) ٢٥٠ قرشا مصريا + ساعة يد (٤) خاتم ذهب + دبلة » وطلب من رشاد الشوا تسليمها الى اهله بطريقة سرية . كما ووجه رسالة الى الشوا يستثمن منها انه لم يكن راضيا عن مواقفه السياسية جاء فيها : « آسف على التعب الذي تسببت به لك بسبب اضطراري على الانتحار بالمسدس . احتفظ لنفسك بالبنديقية والحقيبة ، فربما تستطيع بهما مقاتلة العرب والمصريين اعدائك ! »

والامر الذي يسترعي الانتباه والاهتمام معا هو زمان ومكان حادث الانتحار ، فقد وقع في وقت تحاول فيه قوات الاحتلال بكل شراسة تصليب ثورة جماهير القطاع ، وفي مكان تحاول الزعامة التقليدية من خلاله ان تطل رأسها .

وبالرغم من ذلك كله فان مركز المقاومة لا يزال توبا بين جماهير القطاع «فوسائل التمتع الشديدة» كما يقول الصحفي الاسرائيلي زئيف شيف « لم يهر مركز الفدائيين » ( هآرتس ١٠/١/٧١ ) بفضل الانتقام غير القابل للذوبان بين رجال المقاومة وجماهير القطاع ، وخير دليل على ذلك خروج الجماهير في جباليا وغزة ودير البلح في مظاهرات ومسيرات حداد على ارواح اربعة شهداء سقطوا في معركة مع قوات الاحتلال في منطقة جباليا ل النصف الاخير من شهر اكتوبر ، غير أن وقتها الجماهير لا يمكن لها أن تتعزز وتشتد في مواجهتها مخططات التصفية الا بقيام منظمات المقاومة العاملة في القطاع وهي فتح وقوات التحرير الشعبية والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وكذلك المنظمات غير العاملة هناك ، بتوجيه ضربات شديدة وموجعة للعدو الاسرائيلي أينما كان وحيثما وجد ، حفاظا على الثورة من التصفية .

٢٠٠٤

صدر حديثا

اليوميات الفلسطينية

المجلد الثاني عشر

من ١٩٧٠/٧/١ - ١٩٧٠/١٢/٣١

٧٠٧ صفحات مليئة بالاخبار والتعليقات حول القضية الفلسطينية + ٣٧ صفحة جداول بالعمل الفدائي + ٥٥ صفحة فهارس بالاعلام والبلدان والمنظمات والهيئات الواردة في اليوميات .

من منشورات مركز الأبحاث

شارع كولومباني ، المتفرع من السادات  
بناية الدكتور راجي نصر - بيروت

سعر المجلد  
١٥ ل.ل

## (٦) الاقتصاد الاسرائيلي في النصف الثاني من العام ١٩٧١

وجه التحديد بعض الصناعات المعنية قد تزدهر على حساب غيرها .

ميزانية ٧٣/١٩٧٢ : بدأ وزير المالية في وضع اللبسات الاولى لميزانية العام المالي ٧٣/١٩٧٢ . وتدل التقديرات الاولى على ان مجموع بنود الميزانية سيكون في حدود ٤٦٧ مليار دولار ، اي ما يساوي ١٦٤٢ مليار ليرة اسرائيلية بالمقارنة الى ٣٠٦٧ مليار في ميزانية عام ٧٢/١٩٧١ . وقد ظهرت مؤخرا في الصحف الاسرائيلية مقالات عديدة تدعو الى ضغط مصروفات بعض الوزارات وفي طليعتها وزارة الدفاع حيث وصلت الى ارقام باتت تهدد الاقتصاد بأوخم العواقب . واكثر ما يزعج الراي العام في اسرائيل ان ارتفاع حجم الميزانية يعني ارتفاع مستوى الضرائب وقد وصلت الى حد لم يعد المواطن قادرا على تحمّل المزيد .

وكان حاكم مصرف اسرائيل المركزي الجديد ، موشي ساندبرغ ، الذي خلف داغيد هوروفيتز في منصبه ، قد اعلن في اول تصريح رسمي له بعد استلام منصبه الجديد بأنه لا بد من خفض النفقات الحكومية لجميع الوزارات دون استثناء بما فيها وزارة الدفاع تجنباً لتمويل العجز في الميزانية العامة بوسائل تضخمية . وكان بذلك يعلق على ما رددته الصحافة الاسرائيلية من ان هنالك عجزا مرتقبا في الميزانية لعام ٧٣/١٩٧٢ قدره ١٢٠٠ مليون دولار ، وانه اذا لم تصمم منذ الان ميزانية متوازنة فان هنالك خطرا من حدوث تضخم مالي لا يمكن السيطرة عليه .

ومن ناحية اخرى دعا حاكم المصرف المركزي الجديد الى الاستعانة بطلاب المدارس الثانوية لجني محصول الحمضيات هذا الشتاء حيث ان هنالك نقصا في اليد العاملة يتراوح بين ٢٥ - ٣٠ الفا خصوصا وان الاعتماد على المناطق العربية المحتلة لتزويد هذا العدد الاضافي غير مؤكد . ومن ناحية اخرى اكد ساندبرغ انه يتوجب على الحكومة تشجيع الانتاج المحلي من الصناعات الحربية لانها توفر على اسرائيل استعمال رصيدها من القطع الاجنبي لاستيراد ما تحتاجه من الذخيرة وقطع الغيار ، كما أنها تنعش في نفس الوقت الصناعات

لا شك ان اهم حدثين اقتصاديين حصلوا في النصف الثاني من عام ١٩٧١ هما خفض قيمة العملة الاسرائيلية بنسبة ٢٠٪ في اعقاب الاجراءات التي اعلنتها الرئيس الامركي في ٢٢ آب من نفس العام ، والاهمية المتزايدة لدور صناعات الاسلحة في النشاط الاقتصادي الاسرائيلي الذي اعلن عنه وكيل وزارة الصناعة حيث اعلن ان اسرائيل قد أصبحت من بين الدول المصدرة للأسلحة وان جزءا لا يستهان به من دورة الدخل في القطاع الصناعي هو نتيجة لانتاج مختلف انواع الاسلحة .

بيها يتصل بموضوع تخفيض قيمة الليرة الاسرائيلية فقد سبق ان عالجتنا الموضوع بالتفصيل في العدد الماضي ( راجع العدد ٥ ص ١٨ - ٢٩ ) . ولا تزال آثار التخفيض تتفاعل في مختلف قطاعات الاقتصاد الاسرائيلي وسنأتي على ذكرها وتحليلها في معرض استعراضنا لنشاط كل قطاع على حدة ،

اما ازدهار صناعة الاسلحة فهو نتيجة حتمية لتوجيه المزيد من الموارد الاقتصادية صوب قطاع التسلح ومحاولة السلطات الاسرائيلية توفير معظم احتياجاتها من المعدات والذخيرة ، ويمكن مقارنة اسرائيل في هذا المجال وفي هذه الفترة بالذات بما حصل في الولايات المتحدة خلال الحرب الكورية في السنوات الخمس الاولى من الحروب الفيتنامية حيث نشأت صناعات عديدة لها علاقة وثيقة بقطاع التسلح وفي طليعتها الصناعات الالكترونية . ويبدو ان عددا لا يستهان به من القوى العاملة في اسرائيل أصبحت مرتبطة بصناعات الدفاع والتسلح وبالتالي فان اي خفض في حجم ميزانية وزارة الدفاع مستقبلا سيؤدي الى حدوث آثار عكسية على ازدهار هذه الصناعة .

غير ان هذه الظاهرة يجب ان لا تدفعنا الى الاستنتاج بأن ازدهار الاقتصاد الاسرائيلي والذي يمثل بارتفاع مستوى العمالة والزيادة السنوية الحقيقية في حجم الناتج الوطني مرتبط باستمرار حالة اللاحرب واللاسلم التي تسود المنطقة الان .

فقد اثبتت كافة الدراسات الاختبارية بأن توجيه رسم كبير من الموارد الاقتصادية نحو التسلح يؤدي الى تردي الاوضاع الاقتصادية في المدى الطويل وان كانت بعض قطاعات الاقتصاد او على

الايكترونية ، وصناعة المعادن وغيرها من الصناعات التي لها صلة مباشرة بانتاج الاسلحة . وعلى اثر الغاء برنامج المساعدة الامريكية من قبل الكونغرس الامريكي طلب سابير ، وزير المال من جميع الوزراء اعادة النظر في ميزانياتهم الاولى . والمعروف ان حصة اسرائيل المقررة من المساعدات الامريكية قبل الغائها كان ( ١٨٥ ) مليون دولار للعام المالي ١٩٧٢/٧٣ .

وعلى اثر نداء سابير ، وزير المالية ، قام موشي دايان ، وزير الدفاع ، بتخفيض ميزانية وزارته للعام المالي القادم بمبلغ ٥٠٠ مليون ليرة اسرائيلية ( حوالي ١٢٥ مليون دولار ) بحيث تصبح في حدود ٦٠٠ مليون ليرة اسرائيلية ( حوالي ١٤٤٣ بليون دولار ) . وكان سابير قد أعلن أمام اللجنة المالية في الكنيست ان الميزانية ستكون في حدود ١٦٤٢ بليون ليرة اسرائيلية ( حوالي ٣٤٧ بليون دولار ) . وهذا يعني ان نسبة النفقات الدفاعية الى مجمل الناتج الوطني ستظل في حدود ٢٥٪ بالمقارنة الى نسبة ١١٪ قبل عام ١٩٦٧ .

ولا يزال هنالك متسع من الوقت قبل أن تتبلور نهائيا الميزانية اذ أن السنة المالية في اسرائيل تبدأ في اول نيسان من كل عام ، لذلك فان هذه الارقام مؤقتة . ومهما اختلفت التقديرات الحالية والتقديرات اللاحقة فان الشيء الاكيد هو أن الميزانية ستقع تحت عجز يتراوح بين ٣-٥ بلايين ليرة اسرائيلية . وفي عرف القارئ ان الضرائب قد وصلت الى حد لم يعد يسمح بأي زيادة اضافية ، وان أي تخفيض في مستوى النفقات الحكومية مستبعد ، فان الاحتمال الاقوى هو في ان تلجأ الحكومة للاقتراض من البنك المركزي وهذا يعني زرع بذور التضخم المالي من جديد وهو ما تحاول السلطات الاسرائيلية تنافيه بأي ثمن حتى لا يأتي على المكاسب التي قد يحققها خفض قيمة العملة الاسرائيلية .

**قطاع التجارة الخارجية :** زاد العجز في الميزان التجاري الاسرائيلي خلال الاشهر الستة الاولى من هذه السنة بنسبة ٣٧٪ الى الفترة نفسها من العام الماضي . وقد بلغت الواردات في النصف الاول من ١٩٧١ مبلغ مليار وخمسمئة وثلاثة واربعين مليون دولار اي بزيادة قدرها ٢٩٪ من الفترة نفسها من العام الماضي .

وتأمل السلطات الاسرائيلية في ان يطرا تحسن طفيف على وضع الميزان التجاري بعد خفض قيمة

اليرة الاسرائيلية بنسبة ٢٠٪ في الثاني والعشرين من اغسطس من هذا العام . وقد اتخذت الحكومة عددا من الاجراءات الجديدة لتعزيز وضوح الصادرات الاسرائيلية عن طريق مكافحة التضخم المالي . وتتلخص هذه الاجراءات بما يلي : ١ - عدم توزيع ارباح اضافية للمؤسسات والاحتفاظ بتوزيع مستواها السابق . ٢ - الاستمرار في مراقبة الاسعار . ٣ - تخفيف النشاط في قطاع البناء بسبب النقص في اليد العاملة وذلك بقصد تطويق أية زيادة في مستوى الاجور . ٤ - الغاء كافة المصاريف التي تنتج عن الاحتفال بالمناسبات الرسمية والاكتفاء باحتفالات شكلية .

**ديون الدولة :** ارتفعت قيمة ديون اسرائيل الخارجية بنسبة ٢٠٪ عن العام الماضي اذ ارتفعت من ٢٩٠٠ مليون دولار في نهاية عام ١٩٧٠ الى ٣٥٠٠ مليون دولار في نهاية عام ١٩٧١ . وقد اصبحت الفوائد المستحقة على هذه المبالغ في حدود ٢٥٠ مليون دولار سنويا كما أكد ذلك بنحاس سابير وزير المالية الاسرائيلي في تصريح له حول هذا الموضوع . ولا يوجد خطر من زيادة الديون الخارجية اذ ظلت تزداد بنسبة الزيادة في الناتج الوطني ، اما عندما تزيد عن ذلك فانها تصبح عبئا على الاقتصاد اذ تؤثر تأثيرا مباشرا على مستويات الانتاج وحجم النشاط الاقتصادي . واذا كان الدين الداخلي يمثل عملية تحويل الموارد من فئة من السكان الى فئة اخرى ، او من القطاع العام الى القطاع الخاص ، فان الدين الخارجي يشكل عبئا على الاقتصاد بأسره اذ انه يحرم المواطنين من موارد معينة يمكن الاستفادة منها في انتاج سلع استهلاكية ونتاجية وحولها نحو تسديد ديون الدولة الخارجية .

وقد عبر روجرز ، وزير الخارجية الامريكية ، عن قلقه من ازدياد حجم الدين الخارجي لاسرائيل وأكد انه لا بد من الوصول الى تسوية سلمية بين اسرائيل والبلدان العربية حتى تستطيع اسرائيل ، على حد رايه ، ان توجه مواردها نحو الانماء بدلا من التسلح .

**الناطق المحتلة :** بدأت السلطات الاسرائيلية في نشر احصاءات شهرية ودورية عن النشاط الاقتصادي في الاراضي العربية المحتلة . وقد جاء في هذه النشرة ان معدل زيادة السكان السنوي في قطاع غزة هو ٢٤٨٪ وفي الضفة الغربية ٢٤٤٪ بالمقارنة الى ١٤٦٪ في اسرائيل و ٤٪ للعرب

المبين في اسرائيل . وتعتبر نسبة الزيادة بين السكان العرب في اسرائيل من اعلى النسب في العالم نظرا لتسكهم بالتقاليد وانخفاض مستوى الويلات بينهم .

ويؤكد السلطات الاسرائيلية ان حجم البطالة انخفض في المناطق المحتلة من ١٧٪ في عام ١٩٦٧ الى ٥٪ في قطاع غزة و٣٪ في الضفة الغربية . ولا يزال قطاعا الزراعة والبناء يشكلان المجال الحيوي لامتناس اليد العاملة في المناطق المحتلة . ومن ناحية اخرى ارتفع مستوى الاجور في القطاع الصناعي بنسبة ٢٠٪ في غزة و١٤٪ في الضفة الغربية وان كان معظم الزيادة جاء نتيجة لارتفاع نفقات المعيشة ومستوى الاسعار اجمالا . وقد حاولت السلطات الاسرائيلية الاستفادة من انخفاض مستوى الاجور هناك بالمقارنة باسرائيل لاجتذاب المزيد من اليد العاملة لئلا تنقص الحاصل في اسرائيل وكذلك لاقامة صناعات خفيفة تعتمد على اليد العاملة غير ان النشاط الفدائي المتزايد في قطاع غزة قد حال حتى الان دون تنفيذ هذه الخطة .

خلال العام الماضي ارتفع الانتاج الزراعي بنسبة ٢١٪ في الضفة الغربية و٤١٪ في قطاع غزة من العام الذي سبقه . وقامت السلطات الاسرائيلية باستيراد ٢٠٪ من استهلاكها من البطيخ من الضفة الغربية و ٢٠٪ من حاجتها من الخضراوات . كما ردت المناطق المحتلة اسرائيل بـ ٢٠٪ من محصول التبع ، وبلغ محصول الزيتون ضعفين ونصف محصول اسرائيل .

وتحاول السلطات الاسرائيلية الايحاء بين الحين والاخر الى وجود ازدهار اقتصادي في الضفة الغربية وغزة لم يكن متوقفا قبل الاحتلال الاسرائيلي عن طريق نشر احصائيات حول الزيادة في حجم الناتج الوطني . فمثلا نشرت احصائيات تلخص في حدوث زيادة قدرها ٩٪ في الضفة الغربية و٣١٪ في قطاع غزة نتيجة لتوظيف قسم كبير من اليد العاملة في اسرائيل . غير انه عند اخذ ارتفاع المستوى العام للاسعار بعين الاعتبار فان الزيادة الحقيقية تنخفض الى ٣٪ في الضفة الغربية بينما تظل مرتفعة في قطاع غزة .

ان المناطق المحتلة تشكل مصدرا حيويا بالنسبة للاقتصاد الاسرائيلي من حيث انها تزود اسرائيل بما تحتاجه من اليد العاملة ومن المنتوجات الزراعية التي لا تعطي غلة نقدية مرتفعة وبالتالي تمكن اسرائيل من استثمار ريعها الزراعية

المحدودة على احسن وجه . ويمكن اعتبار علاقة المناطق المحتلة باسرائيل كملافة الدول النامية بالدول المتقدمة اقتصاديا من حيث اعتماد الاخرى على الاولى في تزويدها بما تحتاجه من عوامل الانتاج باسعار واجور زهيدة .

**التضخم المالي :** حذر عدد من الاقتصاديين البارزين الحكومة الاسرائيلية بأن الميزانية الاسرائيلية الحالية والقادمة تحمل في طياتها عوامل ستزيد من حدة ارتفاع مستوى الاسعار . فهناك زيادة قدرها ( ٧٥٠ ) مليون ليرة اسرائيلية في وسائل الدفع نتيجة لرفع مستوى الضرائب وزيادة الانفاق الحكومي بنسبة تفوق الزيادة في مستوى الضرائب . اي ان الزيادة في الضرائب لن تستطيع امتصاص القوة الشرائية الاضافية المترتبة على عملية زيادة الانفاق الحكومي . ومثل هذا الامر سيزيد من العجز الحاصل في الميزان التجاري . وفي رأي هؤلاء الاقتصاديين ان الاقتصاد الاسرائيلي غير قادر على امتصاص اكثر من ( ٥٥٠ ) مليون ليرة اسرائيلية من السيولة الاضافية على اساس زيادة قدرها ٧٤٥٪ في حجم الانتاج و٧٪ من مستوى الاسعار .

ويبدو ان ضبط الزيادة في الانفاق ضرورية الان اكثر من قبل بعد تخفيض قيمة الليرة الاسرائيلية نظرا للارتفاع الذي طرأ على مستوى الاسعار اجمالا مما دفع الحكومة الى رفض اي زيادة محتملة في مستوى الاجور والتهديد باحالة كل مخالف الى القضاء . واذا ما اضفنا الزيادة المرتفعة في حجم القروض والسلف المقدمة من القطاع المصرفي والقدرة بحوالي ( ١٥٠ ) مليون ليرة لاتضح لنا ان عام ١٩٧٢ سيشهد ارتفاعا كبيرا في مستوى الاسعار قد يأتي على اية مكاسب حقيقية في مستوى الانتاج .

#### اخبار متفرقة

— تقرر انشاء مصرف صناعي جديد برأس مال قدره ( ٢٠ ) مليون جنيه استرليني . وستبلغ نسبة مساهمة الحكومة الاسرائيلية فيه حوالي ( ١٨ ) مليون جنيه :

٢٤١ مليون جنيه	تريف استمت ترست
٦٤٦ مليون جنيه	فرست بانسيلفانيا بنك
١٤٢	مجوعة روتبرغ
١٤٠	اتحاد العمال الاسرائيليين
١٤٠	اتحاد الصناعيين
١٤٥	جهات اخرى

— أدى الاضراب الذي اعلنه موظفو الجمارك في الموانئ الاسرائيلية الى تراكم السلع المستوردة والمصدرة بحيث بدأت المصانع تواجه نقصا في المواد الخام وقطع الغيار الضرورية . وبعد أيام من اضراب عمال الموانئ اعلن موظفو المطارات اضرابا مماثلا لمطالبتهم بزيادة الاجور. وقد اصدرت محاكم تل ابيب قرارا بارغام موظفي الجمارك بالعودة الى اعمالهم وانهاء الاضراب . ولا شك ان موجة الاضرابات هي نتيجة منطقية لقرار خفض العملة الاسرائيلية وما يتركه عادة من ارتفاع في اسعار السلع الاستهلاكية ومؤشر نفقات المعيشة. وقد تحركت الحكومة الاسرائيلية لوضع حد لموجة الاضرابات فقررت عرض مشروع قانون على الكنيست ينص على اعطاء العقود القائمة بين الحكومة والعمال والمؤسسات صفة الالتزام القانوني ، وقبول التحكيم الاجباري اذا نص عقد العمل على ذلك وتنظيم الاجراءات الخاصة باعلان الاضرابات . وكان المكتب الاسرائيلي للاحصاء قد اعلن أن اسعار المواد الغذائية ارتفعت في اسرائيل بمعدل ٩٪ في المتوسط نتيجة لخفض قيمة الليرة الاسرائيلية .

— من ناحية اخرى نشرت مجلة « ازرائيل ايكونوميست » ان نفقات الإنتاج الصناعي سترتفع بنسبة ١٥٪ نتيجة للخفض والاجراءات المرافقة وفي طبيعتها تشديد القيود على الائتمان والقروض المتقدمة للشركات . وعلى هذا الاساس نستجد هذه الشركات نفسها امام احد طريقتين اما تخفيض

حجم نشاطها او الاقتراض بسعر فائدة مرتفع . والمعروف ان ارتفاع اسعار الفائدة قد خفض معدل الربح في القطاع الصناعي قبل رفع الضريبة الى ٤٪ . لذلك فاذا لم تبادر الصناعات الى رفع اسعارها فانها ستصبح مهددة بالوقوع في خسارة طائلة . ولا يوجد أي امكانية لزيادة ارباح الصادرات الصناعية اكثر من ١٥٪ لذلك فان رفع اسعار السلع المباعة في السوق المحلي يصبح الطريق الوحيد للحفاظ على نفس المستوى السابق من الازدياد . غير انه من المستبعد جدا ان يوافق مجلس الرقابة على الاسعار في اسرائيل على زيادة اسعار السلع الصناعية .

— اعلن داغيد هوروفيتز ، حاكم مصرف اسرائيل السابق ، ان حجم التثمين المتوقع خلال عشر السنوات القادمة سيكون في حدود ٦٦ مليار ليرة اسرائيلية . وهذا الرقم هو ضعف حجم التثمينات التي وجهت الى مختلف قطاعات الاقتصاد خلال فترة الستينات . وقد كان نصيب قطاع البناء ٢١٪ من المجموع وقطاع التجارة ٢٠٪ والنقل والمواصلات ٣٠٪ والصناعة ١٥٪ .

— بدأت الحكومة الاسرائيلية برنامجا يهدف الى بناء وبيع شقق سكنية للاجانب فقط بقصد الحصول على مصادر اضافية للقطع الاجنبي . وقد استطاعت جمع مبلغ خمسة ملايين دولار قبل ان تبدأ بالفعل في تنفيذ المشروع .

د ه يوسف نسل

## THE PALESTINE PROBLEM IN A NUTSHELL

By

Henry Cattan

\*

Published by the P. L. O.

Research Center

35 pages

1 L.L.

## مراجعات

أبو سلمى ، من فلسطين ريشتي ( دار الآداب ، بيروت ، ١٩٧١ )

« مقدمتين » كتبنا لمجموعته هذه ، الأولى للشاعر الكبير « بدوي الجبل » ، والثانية لشاعر المقاومة « محمود درويش » . يرى فيها الأول ان حزنها على فلسطين حزن هادئ وجبج ، « انه حزن الثاقلات لا حزن النائحات » ، والكلمة الصغيرة هذه تقليد أدبي ، لا تقييم أدبي . في حين كانت كلمة « محمود درويش » ، الغنية بجمالها وعمقها ، هي الأخرى ليست تقييما ، ولكنها شهادة . تقول لأبي سلمى : « انت الجذع الذي نبتت عليه أغانينا .. أفرح بك يا قطعة من وطن ترحل وتحوم على العرش المحرم .. نحن امتدادك وامتداد أخويك اللذين ذهبا - إبراهيم وعبدالرحيم محمود الذي قاتل بالكلمة والجسد .. اننا ابناؤكم .. » لقد كنت شاعر المقاومة قبل اكتشاف النقاد لهذا التعبير ، وقبل تحوله الى تعبير شائع ، يحدثنا آباؤنا عن ثوار فلسطين الذين كانوا يحملون سلاحين : البندقية والقصيدة . وكانت القصيدة لك . من ينسى غارتك الشجاعة على عروش الملوك ، يوم كان الشعر ندبيا للملوك ؟ من ينسى أغانيك ووقفاتك اليسارية عندما كانت اليسارية مغامرة توصل الى المشائق ، وتحرم الناس من رحمة الله؟ يسونك الشاعر المرشد ، وأسبك العاشق المرشد ، العشق أولا ، والشعر ثانيا . ممن لا يعشق لا يحسن الغناء ، ومن لا يعشق لا يحسن القتال . الحنين قد يؤدي الى التراخي ، ولكن حنينك ليس سلبيًا ، ليس انهزاميًا ، وليس تسلية جادة . انه حنين فعال : حنين المواطن وحنين القاتل وحنين العائد .

لعل أول سمة تواجهنا في شعر « أبي سلمى » الأخير ، بعد ان نستقني قضيته الأساسية فلسطين الذي يدور عليها دون كلال - هي ، عشق الأرض . ولكن هذا العشق يختلف عن ذلك العشق الذي تعرفنا عليه عند محمود درويش وجيله من شعراء

شعر أبي سلمى شعر حزين ، أولا ، وشعر موجه ، نثيا . موجه توجيهها تلقائيا - كما هي عسادة الشعر الوطني « في كل مكان - يغني الأرض ويشيد بها ، ويغني الأبطال ، ويشيد بهم . ويتجه بيت الحق كما يراه ، وحيث العدالة ، كما يراها . هو شعر فيه هجاء المرارة ، لا هجاء الطبيعة السليقة . ولقد هيأت ظروف الأمة التي ارتبط بها الشاعر ارتباطا واضحا - لهذا اللون من الشعر الهجومي ، لا عند الشاعر فحسب ، بل لدى الجيل المعاصر له جميعه .

أبو سلمى ، يواجه السلطة ، ضد السلطة حيث تكون ، ويأخذ مكانه بين الشعب حيث يكون بواجه السلطة . بهذه البساطة التي ألفناها عادة في شعر الوطنيات ، والذي ارتفع ، شأنه شأن الهاجس الوطني في بدايات النهضة العربية ، ومرحلة الاستقلال . وسيكون أبو سلمى بهذا ، البقية الباقية ، من هذا الضرب الحماسي التقليدي المشرف ، من الشعر الوطني . لا شك انه كان لأبي سلمى مجد ، فيها يتصل بالمسألة الفلسطينية ، والمسألة القومية العربية . بالندر الذي تغنى بمجد الأرض ، تغنى فيه بمجد العربية ، وبالقدر الذي أدان فيه الملوئين بالسكينة ، أدان أيضا دعاة التجزئة والانفصال ، ورجال القوة من العسكر ، ولكن الى جانب هذا ، هل كان لأبي سلمى الوعي الاجتماعي ، الذي يواكب مواكبة ناعلة ، الوعي الوطني ، كما كان للشاعر محمد مهدي الجواهري على سبيل المثال؟ ببساطة نستطيع ان نقول : لا . فلابي سلمى تلقائية « الشاعر الوطني » ، فحسب ، لا رؤية ووعي « الشاعر الاجتماعي » ، ولقد وضع ذلك في مجموعته الأخيرة التي صدرت من دار الآداب ، بعنوان : « من فلسطين ريشتي » .

لتحاول في البدء ان نتعرف على أبي سلمى عبر

« احرفي من قطاع غزة والشاطيء »

تمشي مصبوغة الزدان

من شذا يرتقال ياها توافيها

ومن سهل طولكرم المعاني

ماذا بشأن العروبة ، والامة ، وشعبها ،

وحاكميها ؟ لعل هذا الموضوع من أكثر الدوائر

اتساعا في شعر « أبي سلمى » ، ولعل هذه

الشجاعة أصيلة أيضا بحكم قدمها — كما أشار

لذلك محبود درويش — فليس في مجموعة الشاعر

الآخرة ، قصيدة ، تخلو ، الى جانب المشاعر

الوطنية ، من المشاعر القومية ، بل هي تخلط

مع بعضها ، دون تفريق . ولو قلت ان هذه

المشاعر شجاعة ، لانها انما تحقق في واقع الامة

لتنتهي الى مواجهة حاكميها والتحكمين نسي

مصرها والدائنين على مواصلة تجزئتها ، وحرمانها

من حق الحرية والوحدة والحياة الكريمة . ولأنهم

أيضا العلة الكبيرة الوحيدة — كما يرى الشاعر —

في خياع الأرض ، وفي انتهاك حرمة شعبيها ،

وتشريده .

انه يقف في مواجهتهم وقفة صريحة وشجاعة ،

ولعل هذا هو همه الاساسي ، لانه قد يثب كثيرا

هذه الوثبة ، انما على حساب الشعر وقبته

الفنية . فانشاده يقترب من الحديث النثري .

من « المرشدين » الى « النسر العربي » ، مروراً

بالحروف الحمراء ، والبنديقية ، هذه هي الدائرة

الشعرية الأخرى ، في مجموعة « من فلسطين

ريشتي » .

انه أمام « المرشدين » حزين « حزنا هادئاً » ،

يضاعف أمام بصره وبصيرته صور تشتتكم ،

وضياعهم ، فما هم انكرتهم حتى القبور ، وما هي

شظاياهم تلغظها كل أرض ، وخيامهم جريحة /

تنقطع عن الشكوى :

« أهلي ؟! واين هم ؟! واين ربوعهم ؟!

عفى الزمان وجمال بينهم الردى

في كل درب من شظاياهم لظى

يسم الجياه ، معفرا ومسوداً

ولكنه حين يرى انهم تركوا المرشد في العراء ،

وحيدا ، يراه هو : انه لم يهن « فالسيف أمضى

ما يكون مجرداً » ، وما هو من الوحدة والقرى

ينطلق من جديد ، فدائياً ، مقاتلاً ، حائلاً

حرومه الحجر « صلاها تشرد وسعير » ماشياً على

الجبر قويا نزاها الى النصر ، يستوحى قوته من

المقاومة . فالمشق هناك أخذ — على ضوء تطور

الإبداع الشعري والتصيدة الجديدة — اشكالا

وصورا عديدة ، متداخلة ، وعبيقة ، تتداخل وعمق

التصيدة نفسها . فالارض هناك هي المرأة بكل

نمادجها : حبيبة ، زوجة ، ام ، اخت .. وهي

الزيتون والاطفال ، وهي الاسطورة ، والحلم ،

تارة . وتارة ، هي الرؤية التي تعكسها في مرآيا

الشعراء الماشقة .. في حين هي لدى « أبي سلمى »

الارض عينها ، بسيطة ، ومباشرة ، بساطة ومباشرة

التصيدة التقليدية . وانما عشق الشاعر لهذه

الارض وتدلده بها يتضح — شعريا — في التقني

بظواهرها هي ، بصفاتها هي : بأشجارها

وأعشابها ، بشمسها وكواكبها ، بنداها وعطورها

.. بأزهارها وسواقيها .. واذا شاء ان يرمز لهذه

الارض بالمرأة شأن الشعراء الجدد من الشباب ،

فانما يتوقف الامر في حدود التشبيه .

السمة الثانية ، هي هذا الإلحاح الحزين في الحب ،

الحب الذي ليس دعابة ، ولا لعبة جبيلة لذبة ،

ولكنه جهد ساخن ، وتعب شاق ..

« .. كلما حاربت من أجلك .. أحببتك أكثر

كلما دافعت عن أرضك .. عود العبر يخضر

وجناحي يا فلسطين على القبة ينشر »

والشاعر لا يفرق بين « فلسطين » و« فلسطينية

الاسم » ، وكأنها لم تعد اسما جغرافيا بقدر ما

أصبحت « صفة » مرادفة للجمال ، ورمزا له :

« يا فلسطين الذي يوحى ويسحر

تشهد السيرة في خديك ، ان الحسن أسمر »

وكل جزء من فلسطين مقترن لا بد ، ببغلة الطبيعة

الجبيلة ، وهي حياة ووجود كما يراها الشاعر ،

ولكنها أيضا في مواطن أخرى تقترن بالدموع ،

والدم ، وهي دلالة كارثة . كما تقترن بالنار ،

وهي دلالة ثورة . ولان الشاعر يرى فلسطين في

دمه حيث ذهب ، فما هو يصرخ : « أنا تاريخ

أمتي .. » . ولان دمه هو شعره ، فأى حروف

يحمل هذا الشعر :

« أحرف من تشرد ، وحروف

داهيات .. وأحرف من رساد

انما لا تزال خلف حروفي

جبرات مشبوية الانتقاد »

ولكن هناك حروفا ربيعية أيضا شاء الشاعر أن لا

يضمها ، هنا ، مع حروف التشرد والدم والثورة :



النجم ، كاتباً بريشه تاريخ الثورة . انه الذي تجسدت فيه الامنيات ، فهو حامل بالمتى والتحرير .. وها هو أبو سلمى العاشق المشرّد مغنياً وكأنه يرى آخر المظالم :

« هذي بلادي مسحت دمعها  
وابتسبت لنسرها القبل »

## فوزي كريم

### David Waines, The Unholy War: Israel and Palestine 1897 - 1971 (Montreal: Chateau Books, 1971).

التي عملوا فيها على تحويل الأرض الى مستعمرة أوروبية يهودية . أما اليوم ، فالحكومات العربية الناشئة في احقاق السلام العادل والناشئة في شن حرب ناجحة فيبدو أنها عازمة على منع الفلسطينيين من ممارسة الوسيلة الوحيدة المتبقية لهم لاسترداد حقوقهم — وهي الكفاح المسلح .

يتبع الكتاب في ١٢ فصلاً . ويتناول كل من هذه الفصول ، وبطريقة العرض التاريخي التحليلي ، حلقة من الحلقات في تطور المشكلة . فالفصلان الاول والثاني مخصصان للنظرة الصهيونية في المشكلة اليهودية وفي أرض فلسطين وشعبها . ويخرج الكاتب الى القول بأن من أسس الفكر الصهيوني الادعاء بتأصل المادة للسامية في نفس كل غير — يهودي . ولقد قررت هذه النظرية الى حد بعيد طريقة معاملة الصهيونيين لعرب فلسطين وطبيعة علاقاتهم مع حلفائهم . ذلك أنه بحسب هذه اللامنتظية ، أضحت كل بيئة بنظر الصهيوني معادية تكون معاملته معها على أسس استغلالية . فالصهيوني لا يعتقد بإمكانية توفير حلفاء له مخلصين وحقيقيين . ولهذا ، ومن وجهة مبدئية ، اعتبر قيام تفاهم وتعاون ما بينه وبين الانسان العربي أمراً مستحيلاً . ولأن هذا الانسان ثار على الصهيوني المستعمر ولم يكن للصهيوني من وسيلة لاستغلال هذا الحقد لمنفعته ، كما حدث في أوروبا ، لهذا توجب ان ينفي وجوده بالتخلص منه نهائياً وبممارسة اخلاقية مزدوجة . ويستعرض الكاتب في الفصل الثالث ، وهو بعنوان لعبة الامم ، سياسة الدول الكبرى تجاه فلسطين في الربع الاول

من جيش الشعب المشرّد اقوى  
مشرده : من جيوش الحرير والطليسان  
وهو اقوى لان دمه « وحده يرى البطولات » ،  
وتحولاته حين تلامس الأرض ، لا تملك هذه الأرض  
الا ان تزهر « وتهدى غلائل الريحان » ..  
ويأتي بعد كل هذا « النسر العربي » الذي يمد  
ظلاله على الكرم والمد والرمل والمجدل والذي  
تلاحه بانما .. منطلقاً في الذرى ليضيء دروب

مدرت في الاونة الاخيرة في كندا عدة كتب حول القضية الفلسطينية ألّفها رجال دين . وكان من بينها كتاب الأرض غير المقدسة للقس الدكتور بورست ، رئيس تحرير جريدة الاوبزغرر الناطقة بلسان الكنيسة الموحدة ، وكتاب لمن هي أرض فلسطين للقس الدكتور فرانك أب ، مدير دائرة دراسات النزاعات الدولية التابع لكنيسة المونوايتس . بيد ان كتاب الحرب غير المقدسة بشكل ظاهرة جديدة . فالكاتب استاذ في معهد الدراسات الاسلامية بجامعة ماكجيل وهي من اكبر جامعات كندا وأشهرها . وقدم للكتاب ماكسيم روينسون ، الفكر اليهودي الفرنسي المشهور .

يعرض الكتاب للفترة التاريخية ١٨٩٧ — ١٩٧١ ويحدد الموضوع بالمسألة الفلسطينية أي أنه يعتبر المسيحية الاخرى كالنزاع العربي الاسرائيلي ، والنزاع العربي اليهودي ، ومضيعة الشرق الاوسط ، غير دقيقة ولا تعني الاطرراف المعنية الحقيقيين . ويوضح الكاتب عنوان الدراسة فيقول ان الحرب التي يعنىها تعود الى فترة الخمسين سنة الممتدة منذ نشوء الحركة الصهيونية وحتى اعلان قيام دولة اسرائيل . ويحدد هدفها بأنه صراع ما بين الكيان الفلسطيني وفكرة اسرائيل . واما دم قدسيها فيعود الى كونها حرباً غير متكافئة . كانت حقوق الشعب الفلسطيني فيها دائماً مهدورة . والاستعمار البريطاني حرم على الفلسطينيين الاستقلال بينما أقر به لجميع الشعوب الاخرى الواقعة تحت الانتداب . والصهيونيون لم يعترفوا بوجود شعب ومجتمع قائم في فلسطين طوال المدة

من هذا القرن . وكيف كانت هذه الدول تسكت عما تعنيه وتقول ما لا تعنيه . وكان مجمل نتيجة السياسة الدولية تكييف فلسطين وقوليتها بالاشكال التي تريدها الدول الكبرى من دون اعتبار لما يريده الفلسطينيون . واما النصول الرابع والخامس والسادس فتتناول ردة فعل الفلسطينيين تجاه المخططات الصهيونية والانتداب وثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٨ . ونعرض في هذا المجال الى التحليل الذي يقدمه الكاتب عن ثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٨ ويفسر فيه سبب فشل هذه الانتفاضة القومية في تحقيق هدفها . يقول واينز انه وبالرغم من مشاركة جميع الفلسطينيين في الايمان بالهدف القومي، فان الفارق في الدواعي وطريقة التقييم ما بين الطبقة النوقية والجماهير كانت اهم اسباب فشل الثورة . فالطبقة النوقية ، ممثلة بمجموعات كمائلات الحسيني والنشاشيبي ، كان يهملها بالدرجة الاولى ان تحل قضية الاستيلاء على السلطة لصالحها . واما الجماهير الفلسطينية فكانت، بالاضافة الى تعسف حكم الانتداب ، مدفوعة للثورة بسبب فشل قياداتها التقليدية تأمين تنازلات حقيقية من الانجليز تخفف من يؤس وشقاء الفلاحين . ولهذا فان درجة العنف التي تميزت بها ثورة الجماهير اثارت مخاوف ابناء الطبقة الفلسطينية النوقية لانها عرضت قياداتهم للزوال . وما كان من هذه الطبقة الا ان سارعت الى تهدئة خواطر الجماهير بايهامها ان الحكومة البريطانية اوضحت مستعدة لتفهم عدالة قضيتها . وبهذا تخلفت هذه الطبقة تصدا عن ترؤس الانتفاضة من اجل تحطيم الانتداب نهائيا . ويضيف الكاتب ان الفلسطينيين لم يستوعبوا مغزى هذا الدرس ، اي ضرورة الاتجاه نحو الجماهير وتعبئة طاقاتها ، طوال عشرين سنة بعد النكبة والى ان ظهرت حركة الفدائيين الفلسطينيين . ويتعرض الكاتب في الفصل السابع والثامن الى الاستراتيجية الصهيونية ما بعد ثورة الفلسطينيين العرب فسي الاعوام ١٩٣٦ — ١٩٣٨ وحتى نهاية الانتداب . ويخصص الكاتب الفصول التاسع والعاشر والحادي عشر لحالة المشردين الفلسطينيين وامنيتهم ووضع الاقلية العربية في فلسطين بعد قيام اسرائيل . ويخلص الكاتب الى ان وجهة النظر الاسرائيلية في طبيعة العلاقة ما بين الايديولوجية الصهيونية واية حركة ثورية عربية قد تنشأ هي علاقة صراع ينفي وجود احدهما

وجود الآخر .

ويتناول الكاتب في الفصلين الاخيرين الحالة الناتجة عن حرب حزيران ، ١٩٦٧ . ويخرج في الفصل الحادي عشر الى فتاعة بأن اسرائيل مدفوعة الى التوسع الجغرافي والاقتصادي بسبب العقيدة التي تبني على خطاها . واما في الفصل الثاني عشر ، وهو بعنوان من الحرب الى الثورة، فيتحدث واينز عن حركة الثورة الفلسطينية ويعتبرها تحديا حيا موجها ضد ايدولوجية اسرائيل القائمة على التمييز العنصري والديني . ويقول الكاتب ، عند كلامه عن فصائل الثورة ، ان قيادة الثورة اخطأت حين اعتبرت عمان هانوي الشرق الاوسط بينما تبين انها سايفون الشرق الاوسط . ويقول عن الجبهة الشعبية ان عمليات خطف الطائرات التي قامت بها كان لها الفضل في اعلام معنويات الفلسطينيين خاصة والعرب عموما . وانه كان لها الاثر الاكبر في اوساط الفلسطينيين الفقيرة التي رحبت بهذا العمل . ويختتم واينز كتابه بالتأكيد على حقيقة اعتبرها خلفية دائمة للمشكلة الفلسطينية وهي رفض الفلسطينيين الدائم لقبول المصير الذي خطط لهم اكان ذلك من مصادر عربية او اسرائيلية او امريكية .

لكتاب **أحزاب غير المقدسة** ميزات عدة اهمها ثلاث . اولها الفهم العميق والدقيق للقضية الفلسطينية والامام بها من جميع جوانبها . وثانيا نجد كتابا ، وخاصة لاجانب ، يتوفر لصاحبه مثل هذه المعرفة . واما الموضوعية والتجرد فهو ميزة الكتاب الثانية . فواينز لم يؤخذ كالكثيرين غيره بما قيل او كتب عن القضية الفلسطينية ولكنه جعلها موضع بحث مركز وجاء بنفسه عدة مرات الى الشرق الاوسط ليرتب على الطبيعة القوى المتصارعة في هذا النزاع . واما الجزة الثالثة فهي في الاسلوب الذي يتبعه واينز . فدراسته تقدم تحليلا شاملا ومكتابلا وبطريقة العرض التاريخي التحليلي الذي لا يتوقف عند الارقام والحقائق فقط بل يتعداها الى حقل التجريد والنظرية فيظهر العلاقة ما بين الاحداث ويعطيها معنى ومغزى . ويقول رودنسون في المقدمة ان اقل ما يساهم به هذا الكتاب هو تعبيل الارض لدحض معنقات قديمة وخاطلة ، واشغال شرارة الشك التي تحرر الانسان من مفاهيمه الخاطلة ، واقتناع العقول المنفتحة لتقبل الحقيقة .

**هانئ فارس**

## Kibbutz bewegung (Hersg.), Gespräche mit israelischen Soldaten (Frankfurt A. M., Melzer, 1970)

أربعة عشر كيبوتسا وجود ٢٤ ضابطا ( من عدد لا بأس به برتبة عقيد ) مع العلم ان الأكبر سنا لا يفوق عمره ٣٧ سنة . واذا كانت هذه العينة تمثل حقيقة الانتساب العسكري للكيبوتسات ، فتكون اذا فئة الضباط المسيطرة عدديا من الكيبوتس . ظل عدد قليل منهم في الخدمة الفعلية واما الباقون فرجعوا الى ممارسة اعمالهم ونشاطاتهم السابقة : العمل في الزراعة او الصناعة الملحقة بالكيبوتس او العمل كحريين او كمسؤولين اداريين في الكيبوتس . كما ان قسما كبيرا من هؤلاء الافراد ينشطون كرواد شباب . يتضح من كلام الجنود ثققتهم التسامة بالجيش الاسرائيلي واعاداه لهم لكل الظروف . اوجد التدريب آلية في حركة الجندي تستمد ايضا انضباطها من الثقة الكاملة بالتخطيط العسكري وتوفر احدث الاسلحة . كما يشعر الفرد بثقة كبيرة تجاه قائده ويدرك هذا الاخير واجب القتال على رأس رجاله . ويوجد هناك علاقة حميمة بين الضباط والجنود لجلبهم من نفس المنطقة وكونهم من نفس فئة العمر ، اذ يعرف بعضهم بعضا منذ خذمة العلم ولبتقون دائما في الحياة العادية . خلال المعارك تتقدم الوحدات المكونة من الشباب وبعد احتلال المواقع تأخذ مكانها وحدات من الجنود الكبار نسبيا في العمر ( بين ٤٠ و ٥٥ سنة ) . يشعر الجندي من الكيبوتس خلال المعارك بالطمأنينة من أن مجتمع الكيبوتس سيعتهد بأهله واولاده . ويكون مجتمع الكيبوتس في نفس الوقت رقيقا على الجندي . يحاسبه معنويا عند عودته ويطلب منه الصمود والبطولات والاواجه التبدل . كما أن افتخار الكبار ببطولاتهم في الحروب السابقة ولد لدى الشباب الجدد معيارا وتشبها وحافزا لهم على الشجاعة . يظهر من أقوال افراد الكيبوتس افتخارا بانتسابهم الاجتماعي ، يجعلهم يشعرون بتبيز عن غيرهم من سكان المدن او الفلاحين العاديين الذين لا يجدون لديهم نفس المثل التي يتحلون بها . وبالرغم من اتفاق المستجوبين على « حسن » سلوك الجيش الاسرائيلي في الاراضي المحتلة الا أنهم يلومون غيرهم خصوصا اليهود الشرقيين على سلب السكان واطهار القسوة

هنا كتاب حركة الكيبوتس حول « احاديث مع جنود اسرائيليين » نتيجة حلقة واسعة من الاحاديث جمعها اثنا عشر شخصا ، لا يتعدى عمر أكبرهم خبسا وثلاثين سنة ، كما شارك معظمهم في حرب الأيام الستة ، ومن سماتهم الاساسية بشوئهم جميعا في الكيبوتس واشتراكهم سابقا في حركات الشباب . . جمعهم اختبارهم الشخصي في حرب حزيران واستحسنوا معرفة تجربة واء زملائهم . وفي خريف عام ١٩٦٧ وشتاء ١٩٦٨ يوزعوا على حوالي عشرين كيبوتسا يناقشون ويستلون آراء نماذج من الشباب هناك . كما عقدوا بعد انتهاء التجوال لقاءات مع شباب من عدة كيبوتسات . بالرغم من ان العنوان باللغة الالمانية هو « احاديث مع جنود اسرائيليين » ، الا ان الكتاب بالاحرى احاديث مع نماذج من اعضاء الكيبوتسات الذين شاركوا في العدوان ومنهم بعض الشباب . نشر الكتاب عام ١٩٦٨ باللغة العبرية وصدر عام ١٩٧٠ باللغة الالمانية . لم تدون في الكتاب كامل الاحاديث كما جزئت هذه الاحاديث ووزعت حسب المواضيع وليس حسب اللقاء . ويؤكد لنا الناشر الالمانى انه خفف بدوره بعض التكرار دون المساس بالنعوى عدم انسجامها مع المزاج الاوروبى . هدف فريق الاستقصاء الى معرفة ردود فعل جنود الاحتياط حين جرى استدعاؤهم للخدمة وخلال اسبوعي الانتظار وخلال المعارك وبعد صرفهم من الخدمة ، وكذلك الى معرفة تأثير للحرب عليهم ونظرتهم وخبرتهم الى الجنود والسكان العرب ومعرفة رأيهم اخيرا حول امكانية السلم . ومبعث كل هذه الاستقصاءات معرفة مدى تأثير الحرب على مستقبل شباب الكيبوتس وخصوصا ان هذه الحرب بالرغم من سرعتها كانت شديدة الوطء على مجتمع الكيبوتس اذ فقد ٢٠٠ جندي حسب الاحصاءات بينما لا يمثل رجال الكيبوتس الا ٤ من المائة من مجموع الجيش الاسرائيلي خلال التعبئة العامة .

تؤكد المقدمة ان نسبة الضباط من افراد الكيبوتس تفوق نسبة عددهم في الجيش ، ويتضح لنا من خلال المعلومات التي اعطيت من ٣٨ مستجوبا في

تجاههم دون مجرر . كما يؤكدون هرب بعض هؤلاء خلال المارك .

لا تنحصر خطورة التعمية العامة في خفض الانتاج عابة ، بل أيضا في ترك جنود الاحتياط لكثير من المشاكل المعلقة في محيط بيتهم واعمالهم بسبب سرعة الالتحاق، فمهم لا يتذمرون من هذه التعمية بل من اطالة وقت تجنيدهم . انحدرت معنويات الجيش مع اطالة الانتظار وكانت الحرب متفمسا لهم ، مدركين معها ان الانتصار امر محقق نتيجة استيماهم لقوة واستراتيجية الجيش الاسرائيلي . ويسمى الجنود الى اظهار ليبرالية وعطف على السكان العرب ولكن يتضح لنا ان التعمية القومية والنفسية تكذب هذه الصورة . فلقد نظروا باحتقار الى السكان العرب منهم باعتقادهم بدائيون وينظرون الى اي مقاومة عربية كعمل هجبي . كما وطدت الدعاية الداخلية حتدا فرديا لديهم ضد السدول العربية خصوصا مصر وسوريا ، مدعية تعذيب الدولتين للاسرى الاسرائيليين . ولا تكتفي اسرائيل بحقن الاجيال الصاعدة بالتعمية القومية ، الصهيونية ، اي حق اليهود بأرض « اسرائيل » ، بل تسمى الى اذكاء العداة الفردي ، وتخيفهم بومهم الغناء الجماعي .

أكدت جميع الاقوال ان التربية الصهيونية اعمق مما كانوا يتصورونها ، رفض قسم منهم قبل ١٩٦٧ الانتساب الصهيوني ، ولكنهم وجدوا انفسهم خلال الحرب وبعدها غير متناقضين معها . لقد كانت الصهيونية متاملة في وجدانهم ، ليس هناك انفصال بين الجيل الجديد والصهيونية لكن هناك بعض الانفصال بين هذا الجيل وجيل السياسيين الشيوخ المظلمين بالحزبتات المتقسمة شكليا فيما بينهم ، وليس التفكير الليبرالي هو الذي حرك هذا النفور لدى عامة الشباب بل التربية العسكرية في الجيش الاسرائيلي ، هذا الجيش المرتفع فوق خلافات الشيوخ المجدد نفسه دائما . ونستطيع الاستنتاج ان الانتساب الى اسرائيل يأتي لدى

هؤلاء الشباب من خلال الانتساب للجيش السدي بدوره يجسد حركة العقيدة الصهيونية .

بالرغم من الجذور الصهيونية والاستعمالية لسدي هؤلاء الشباب نجد ان منظر اللاجئ الجسد والقدامى يؤثر على معنوياتهم ، خصوصا مشاهدتهم للاجئين في مخيمات غزة ، وحيث تعرف المجموعات والافراد بأسماء مناطقهم الاصلية مثل بشر السبع وعسقلان . لم تستطع التربية الصهيونية ان تطمس فيهم حقيقة حق عرب فلسطين بأرضهم . فمهم يتهمون الدول العربية بابقاء امال العودة لدى الفلسطينيين ، لكنهم يعترفون في نفس الوقت بحق هؤلاء بالارض ، بل ترتفع بعض الاصوات من بين المستجوبين تقول بحقهم في العودة والعيش مع اليهود . ان طرد اللاجئين وخز ضمير الكثير منهم . الا انهم يسعون عن طريق القوة الى اخفائه من تكبرهم اليومي ، لكنه موجود في وجدانهم واخذ ابعادا جديدة مع احتلال الضفة الغربية وغزة . ولذا لا يؤمن معظمهم بإمكانية تحقيق سلام مع العرب . يرجع بعضهم هذا الادراك الى المنطق والبعض الآخر الى الحدس ، وكلاهما يمثلان اقتناع الاسرائيليين باقتراف ذنب نجاء العرب وما يسومونه بأساة الصهيونية ، وما تتطلب هذه المساة من اظهار القوة واخضاع العرب وتوسيع رقعة الارض لزيادة المقدرة البشرية والانتاجية والعسكرية . وبأخذ لدى بعض الافراد الصراع الدوي مع العرب صورة قانون طبيعي يتجدد كل عشر سنين ( ١٩٢١ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٦ ، ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ) . وهم يفضلون حربا كل عشر سنين من سلام يمتد الى عشرين سنة . وهم مستعدون للتخلي عن الاراضي المحتلة باستثناء القدس وقسم من الجولان . ولكنهم يدركون في نفس الوقت ان هذا التراجع لن يحقق لهم السلام ، فالقوة وحدها تحقق شعورا بالامن . وهم بالرغم من تفاؤلهم بقوتهم متشائمون من ازدياد عسكرة جنابهم وزيف الكثير من قيمهم الانسانية .

**نبيل بدران**

Michael Elkins, **Forged in Fury**  
(New York : Balantine Books, 1971).

الكتاب الذي بين ايدينا سرد يستحود على الذهن قصة المقاومة اليهودية خلال الحرب العالمية الثانية ، وعن التمرد الذي واجهته ولادة هذه المقاومة في حارات اليهود في المانيا وبولنده وفي معسكرات الاعتقال النازية ، وذلك رغم كل العراقيل التي كانت تبدو مستحيلة التجاوز .  
في أسلوب يتسم بالوضوح والحدة ، وغالبا ما يشوبه المرارة والسخرية ، يصف لنا مايكل ايلكنز العرب في معسكرات الموت ، ويحدثنا انه بعد أن سبق ملايين اليهود « كالنماج الى المسلخ » هب بر قليل من الشبيبة اليهود العزل والذين كانت تنقصهم الخبرة من « حارة كوفنو » قرب الحدود البروسية وعقدوا العزم على تنظيم « نوع من المقاومة كتمبير عن كرامتهم كبشر ... » ، ومن ثم ينقل ايلكنز ، بتفاصيل اخاذة ، الى وصف بناء المقاومة المضمي وانتشارها في الحارات المعزولة ، والى الحديث عن المشاكل التي واجهتها ليس فقط في تضليل النازيين وخداعهم ، ولكن ايضا في افتناع « الشعب اليهودي » المهدد بالفناء بالسير الى حلى ذلك النفر من اليهود الذين باتوا مقتنعين بانه ما دام جميع اليهود سيفنون حتما ، فمن الافضل لهم ان يموتوا في ساحة الكناح . وبعد ذلك ينتقل الى استعراض الانشقاق بين الزعماء اليهود الذي كانوا يؤمنون بـ « المقاومة البيضاء » التي كانت تهدف الى المحافظة على حياة اليهود ، وبين انصار « المقاومة السوداء » الذين كانوا يرمون بالمقاومة النشطة والعنيفة . ويشير الى ان انصار « المقاومة البيضاء » كانوا مرارا يسألون انصار « المقاومة السوداء » : « انكم تطلبون منا ان نضحى بانفسنا ، ولكن هل تريدوننا ان نموت جميعا لانكم تعلمون وتتمنون ان تموتوا ابطالا ؟ » ثم يسألون السؤال الذي لا جواب له : من نصبكم قادة علينا ؟ ولكن الالمان هم الذين اجابوا على هذا السؤال . ففي اليوم الاول من كانون الثاني (يناير) ١٩٤٢ ، بعد أن ابعد الالمان موجا جديدا من الفتي يهودي الى بونار ، بعث تادة « المقاومة السوداء » بنشرة الى شبسباب وشبابات « المقاومة البيضاء » أدت الى حدوث انشقاق في صفوفهم بشكل ، مال معه الميزان

لصالح المقاومة المسلحة . فقد كانت تلك النشرة تهدف الى تبديد الوهم لدى اولئك اليهود الذين كانوا لا يزالون متشبهين بالاعتقاد ، او الامل ، او خداع النفس ، بأن ما يسميه الالمان معسكرات « الاستيطان » و « العمل » ليست في الواقع الا معسكرات للبوته ، وتقول النشرة : « ايها الشباب اليهود ، لا تصدقوا اولئك الذين يحاولون خداعكم ... فجميع طرق الجستابو تؤدي الى بونار ، وبونار تعني الموت . وجميع الذين يتم اخراجهم من الحارات لن يعودوا اليها ابدا ... »  
ولقد كان هذا الانشقاق في الحركة بداية المقاومة المسلحة في حارة فيلنا وبداية « سلسلة متصاعدة لا تنتهي من اعمال الانتقام . » ويشير مايكل ايلكنز الى أن « البندقية » هي من اولى متطلبات المقاومة المسلحة ، ولكن كيف يمكن ان يتسنى ليهود الحارات الحصول عليها ؟ نعم ، لقد تمكنوا من ذلك ، باختلاف المسبل الشريفة وغير الشريفة ، فقد كانوا يسرقون ليشتروا ، ويسرقون الاموال والجواهر من آباءهم وامهاتهم ، ولما تنفذ النقود يسرقون كل ما تقع ايديهم عليه ، كما كانوا يسرقون من المصانع الالمانية التي كانت تسترق اليهود ، كل ما كانوا يتمكنون من اخراجه من المصنع الى السوق السوداء ليستبدلوه بالبنادق . أما بالنسبة لتخريب هذه البنادق الى الحارات فقد كانت البنات احيانا يخبئن البنادق بين سيقاتهن وهن في طريقتهن الى خارج المصنع . وبالنسبة للتدريب ، كانت لديهم الاسلحة ولكن كانت تنقصهم معرفة استخدامها ، لذلك كانوا يعمدون الى انتزاع بعض الصفحات من الكتب التي تتحدث عن استخدام المسدس والبندقية . وكانوا ينسخون هذه الصفحات ويوزعونها على الوحدات القتالة . كما كانوا يدرسون الكيمياء مما ساعدهم على صنع قنابل بيتية ، وكذلك صنعوا الغابا استخدموها في تفجير العربات المارة ، وصنعوا « قنبلة الجيتو » وهي عبارة عن علبة من التلك مملوءة بالبراغي وملفوفة باحكام حول مادة متفجرة متصلة بصاعق ليفرقها . هكذا ، وبهذه « الخردة » انطلق يهود الحارات في مقاومتهم للجيش الالمانى . فقد كانوا ينصبون له الكماش ، وينسجون خطوط سكة الحديد

على « الشعب » اليهودي ومضاعفات قاضيه على اليهود في جميع انحاء العالم . وهكذا وشنت الهاجاتاه بزعيم هذه المنظمة الدعو مالاكي والد للبريطانيين . وفي غضون ذلك ، وبينما كان والد يقضي ايامه بأمان وراء قضبان سجن بريطاني ، عملت الهاجاتاه على تشجيع الافراد الاخرين من المنظمة على الهجرة الى فلسطين للالتحاق بالمنظمات السرية هناك للعمل على طرد البريطانيين من فلسطين وللتحضير للمواجهة المحتومة مع العرب بعد تأسيس الدولة . وهكذا بدأ رجال « دن » يتوافدون على فلسطين ، ولكنهم أبوا ان يتكروا اوروبه قبل تنفيذ ولو عمل واحد من اعمال الانتقام الجماعي ، فقد سموا الخبز لمجلس القيادة المشتركة للطفاء خارج نورمبرج حيث كان سيقدم لا يزيد على ٨ آلاف من رجال « الصاعقة » الالمانية المعتقلين هناك ينتظرون المحاكمة . وقد تسبب ذلك في « موت ما يزيد على ٧٠٠ من رجال الصاعقة » واصابة حوالي ألف بأمرض خطيرة ، عدد كبير منهم كان على وشك الموت . « وفي سنة واحدة من حياة « دن » « مات ألف شخص بسبب صليبيتهم السوداء في الماتيه والنمسه . » ومنها بعد التحق عناصر « دن » بعصابات الهاجاتاه التخريبية التي كانت مهمتها « التدخل » في نشاطات البعثات العربية لشراء الاسلحة . فكثيرا ما خلطت العصاة وضربت و« أحيانا قتلت » رجال هذه البعثات . « واولئك الذين كانوا يبيعونهم كانوا يعاملون بطريقة مماثلة ، فقد كان يتم تخريب او نفس شاحناتهم ، وتحطيم مستودعاتهم وحرقها ، وكذلك اغراق سفنهم المحملة بالاسلحة . » وفي ١٩٥٢ استأنفت « دن » نشاطاتها بملاحقة النازيين وقتلهم . ويقول ايلكنز : « حيثما كان مكانا او مفيدا ، كانت عمليات القتل التي يقوم بها رجال « دن » تنفذ بشكل وكانها « موت طبيعي » او « نتيجة لحادث ما » او حتى « انتحارا » . وفي هذه الفترة تمت « تصفية » حوالي أربعين نازيا ، كما استمرت مطاردة مئات آخرين . « وادن » هي التي عثرت على ادولف ايخمان في بيونس ايرس وسلمته الى سلطات الامن الاسرائيلية . ويذكر ايلكنز انه في نيسان ( ابريل ) من العام ١٩٦٧ اعترف الدكتور اوالبرت راكيلر ، المدعي العام في الماتيه الغربية ، بأن « اقل من ١٠ بالائة فقط من مجموع المجرمين النازيين المعروفين والذين لا يزالون احياء تد

ومستودعات الذخيرة ، ويلقون بالقنابل على الضباط الالمان في حانات شرب البيرة ، وينظمون عمليات الهرب من السجون ، والانتفاضات الكبيرة في معسكرات الموت . ولقد كان الانتقام سريعا ومحزنا في الوقت نفسه . وواجهت المقاومة مقاومة من الجالية اليهودية نفسها التي كانت تتهم عناصرها بأنهم « جزارو اطفالها » لذلك كانت هناك وشايات ، فقد كانت اسماء رجال المقاومة تتسرب الى أيدي الالمان تحت التمهيد أو بسبب الخوف أو الجبن أو الامل « في ما كان يدرك المقاتلون انه ليس سوى توهم في امل لا امل منه » ، وذلك عن طريق اولئك اليهود الذين كانوا على استعداد للحصول على ساعة اضافية من الحياة في مقابل حياة « مقاتل اسود » . وعلى الرغم من أن حركة المقاومة بذلت جهودا جبارة ومنظمة لاقتناع مئات الالاف من اليهود في الحارات للانضمام الى صفوفها، الا انها بقيت اقلية . ولم يدرك المتحزبون اليهود الحاجة الماسة لرص صفوفهم لكي يصبحوا الناطقين بأسم اليهود في فترة ما بعد الحرب ، الا في العام ١٩٤٤ عندما تم دحر الجيش الالمانى النازي الى حدود بولنده ورومانية . وما أن وضعت الحرب اوزارها حتى بدأ نوع جديد من « المقاومة » لا يزال مستمرا حتى يومنا هذا لكي « يثار لليهود وتنفذ احكام اليهود في جزاريهم . » فقد قامت مجموعة من ٥٤ يهوديا من اولئك الذين اشتركوا في المقاومة ضد النازية وشهدوا او عانوا من رعب المعسكرات بتشكيل منظمة سرية اطلق عليها اسم « دن » ، وهي عبارة عن الاحرف الاولى للشعار العبري : سياخذ دم اسرائيل بثأره . ونشاط « دن » اختصاصي ويغطي مختلف انحاء العالم من أجل البحث عن الضباط النازيين الذين تمكنوا من الهرب عندما هزمت الماتية ، او اقلتوا من عقاب الحلفاء الذين تخلوا عن سياستهم الاولى « بالاعدام السريع للزعماء النازيين » وذلك لاستبدالها بسياسة معتدلة ، ومن ثم المعفو التام ، وبعد القبض على هؤلاء الضباط يتم اعدامهم . ويحلم رجال « دن » بـ « ثار يتناسب والاساءة التي ارتكبت بحق اليهود . » ففي شتاء ١٩٤٥ قرروا تسليم الخزانات التي تمد حوالي مليون الماني بنيه الشرب « مسببين الموت في اللحظة التي يدار فيها الصنوبر » . ولكن الهاجاتاه عرقلت تنفيذ الخطة على اعتبار انها عمل غير شريف ، له نتائج خطيرة

المرارة التي يشعر بها ايلكز تجاه لاجبالا العالم نحو اليهود ، ولكن مرارته تضنح في متاهات خيالاته عندما يتهم بريطانيه بأنها « محرصة فعالة على عدوان العرب » وان « الامم المتحدة لعبت دورا أكثر سلبية ولكنه بالخساسة نفسها » وان « الدول الاعضاء اظهرت ان التصويت كان مجرد طقس لطرد شيخ الاموات من اليهود ولتهذئة الضمير المضطرب للعالم عن طريق تعويذات خالية من اي معنى او هدف . » وكذلك عندما يتحدث ايلكز عن « عدوان العرب » في ١٩٤٨ يتجاهل حقيقة كون الفلسطينيين الذين خاضوا غمار الحرب هم الشعب الذي عاش في تلك البلاد منذ اجيال لا تحصى ، وكانت تشدهم روابط عضوية بالبلاد كالصخور التي شيدت عليها المدن والقرى . ولقد كان الفلسطينيون دون اية مساعدة من بريطانيه او اية دولة غربية اخرى ، يحاولون يائسين ، وبدون اية فعالية ، كما ظهر فيها بعد ، مقاومة قرار الدول الغربية اجتثاثهم لفسح المجال لليهود ليسكنوا مكانهم . وانه لامر غريب حقا ان لا يرى ايلكز جريسة ومهزلة السياسة الصهيونية في فلسطين ، أو ان لا يحس بالخطر الناجم عنها . ويساهم اليهود بشكل أعمى ، بمساعدة أولئك الذين اضطهدهم ، على خلق دولة شعبها يعيش حالة من اليأس كالتي كان يعاني منها اليهود في أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية ، وكل ذلك على انقاض أمن الوطن الذي اقتطع منه الفلسطينيون . والفلسطينيون اليوم يناضلون وحيدين من أجل البقاء كما كان اليهود في أوروبا ، ولكن الجميع خائوهم أو تخلفوا عن مساعدتهم ، بما في ذلك بعض « اخوانهم العرب » . وهم اي الفلسطينيون ايضا ايقنوا « أن لا أحد يهب لنجدة من لا يحسن الدفاع عن نفسه » وان « لا دولة ، اية دولة ، تتحرك ضميريا أو بحسن النية اوبالاستغاثة الدوية » بسبب حالتهم . وفي نهاية الكتاب يقول ايلكز : « ان الرجال الذين يحرم عليهم التمتع بالعدالة ، يأخذون منها قدر ما يمكن ان تصل اليه ايديهم وبأي اسلوب ممكن . نعم ، جميع الرجال ، بما في ذلك اليهود . » وهكذا فان النتيجة المؤسفة التي يمكن للمرء ان يخلص اليها عند انتهائه من قراءة الكتاب هي ان الرجال ، جميع الرجال ، بما في ذلك اليهود ، لا يتعطلون بعبر الماضي .

أيرين بيسون

ندعوا للمحاكمة . « ولكن عمل « دن » لا يزال في بدايته . . . »  
 وطأ لا بد من الاشارة الى ان كتاب ايلكز يفرغ علينا مقارنة الحالة التي كان يعيشها اليهود في أوروبا بالحالة التي يعاني منها الفلسطينيون في الوقت الحاضر ، وذلك لانه ممن بأساة أولئك اليهود ولدت بأساة فلسطين ونشب النزاع العربي الإسرائيلي الذي يظهر وكأن لا نهاية له . ويعلق ايلكز على التصويت علسى قرار تقسيم فلسطين الصادر عن الجمعية العمومية للامم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين الى دولة عربية واخرى يهودية : « لقد ساهمت عوامل عدة في نتيجة التصويت ، ولكن النقاش الطويل الذي سبق ذلك يقدم دليلا كافيا على ان الجمعية العمومية اتخذت هذا القرار كتعبير عن الندم ، على الأقل . » ويعرب ايلكز عن أسفه لعدم قيام اي من الدول الغربية بعد الحرب بفتح ابوابها لاعداد كبيرة من اليهود ، رغم علمها بالرعب الذي نالوا منه في المانيه ، ويقول : « في ١٩٤٥ ، تمكنت جيوش الامم المتحدة من تحرير اليهود الجائعين من معسكرات الموت ومعسكرات الاسترقاق ، وللمتعضمين من الغابات ومجازير الحارات ، وحررتهم وجمعتهم وجعلتهم يرون شمعا المستقبل الذي ينتفخ في العالم الحر الجديد - معسكرات امانة ، ومعسكرات جديدة . . . حيث كانوا يحملون على الغذاء والملبس والعناية الطبية ، وسراووجون وينجبون الاطفال ، بعد ان كان ممن المتوقع ان يموتوا جميعهم . »  
 ولكن هل صحيح ان المنظمة الصهيونية العالمية كانت تمنى ان يجد بقية اليهود بيوتهم مفتوحة في ايدان صديقة حيث يتمكنون من الاستيطان بكل هدوء بل وربما ينصهرون ولا يتعلمون الشعار الصهيوني حول « العودة الخالدة » و« العودة الى سهيون » ، أي ان على اليهود ان يذهبوا الى « ارض الميعاد » ، الى فلسطين ؟ صحيح ، يمكن ان نفهم ان كون ايلكز يهوديا جعل عاملته كلها الى جانب اليهود ، ولكن الى الحد الذي يرفض فيه ايلكز ان يرى الحيف الذي لحق بالفلسطينيين بسبب « فعل الندامة » الذي قامت به الامم المتحدة ، مما وضع بداية لسلسلة من المعاناة و« التعفن » فسي المخيمات للفلسطينيين الذين لم يكن لهم اي دور على الاطلاق في اضطهاد اليهود . يمكننا أيضا ان نفهم سبب

Ehud Yarri, Strike Terror: The Story of Fateh  
(New York: Sabra Books, American-Israel Publishing Co., 1970).

يظن لذلك أن الكتاب انما وضع نصب عينيه اثر الاعجاب بذكاء ودهاء ومقدرة وربما خبث نفس وقادتها ، لولا ان لهذا العرض اللاتاريخي هذا آخر . ذلك ان عرض الحركة الوطنية الفلسطينية التي لم يعد بوسع اسرائيل انكارها ، من منظر المؤامرة يساهم في طمس حقيقة ان هذه الحركة نتاج لعملية تاريخية تجد جذورها في الانعزال الصهيوني لفلسطين والعهر القومي الذي اوقفه الصهيونية بشعبها . هذا بالاضافة الى ان هذا السياق يسهل أمر المطابقة ما بين التآمر والإرهاب والمتآمرين والإرهابيين ، فيصبح الصاق تهمة الارهابية بالحركة الفلسطينية مجرد نتيجة منطقية جدا . والطريف في الامر أن الكتاب من هذه الزاوية يصدق فيه ما يقوله هو في الفكر السياسي العربي : « لقد كانت الفلسفة السياسية العربية لسنوات عدة حتى الآن ، خاضعة لنظرية المؤامرة التي تقول انه ليس هناك من شيء يحدث كنتيجة مباشرة لعمليات سياسية طبيعية » ( ص ٢٠٩ ) . وعلى الرغم من ان الكتاب يبدأ في فصوله الأولى باتباع اسلوب مشوق يعتقد الحكمة القصصية ، الا انه في فصوله الأخيرة يفقد عنصر التشويق ، ويتحول الى مناقشة لعدد من القضايا بطريقة يفتقر عليها التعرّف والإرتباك الى حد إثارة الملل . وفي الفصل الذي يحمل عنوان « عقيدة مصطفى خميس » نواجه مثلا نمودجيا على الاسفاف الدعائي ومصطفى خميس هذا ، طبعا للكتاب ، قائد فدائي من غير فتح وقع في الاسر وهناك كتب وثيقة مناسبة يتجشم الكتاب عناء ايرادها كاملة . وهذه « الوثيقة الطويلة المتبذلة تبدأ بالاسف للعداء العربي الاسرائيلي والتأسي عليه لتنتهي بمناشدة اسرائيل مساعدة الفلسطينيين في محنتهم ، كما ساعدت شعوبا أخرى في افريقيا ، والسماح لهم باقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية . ولا يفسر الكتاب بعد ذلك أن يحمل تصلب الحركة الفلسطينية مسؤولية ضياع فرصة مثل هذا الحل « المعقول » ومع ذلك ، نستطيع ان نستشف من الكتاب بعض اللحاحات عن الكيفية التي ينظر بها العدو للقومية . فمثلا يعترف الكتاب للمقاومة بقدر من النجاة العسكرية ، فهو يقول « تفتز النشاط الإرهابي من

يعالج هذا الكتاب ، الذي صدر أولا بالعبرية في القدس ثم ترجم الى الانجليزية ، تاريخ حركة التحرير الوطني الفلسطيني ( فتح ) بشكل خاص وحركة المقاومة الفلسطينية بشكل عام حتى صيف ١٩٧٠ ، فيعرض لكيفية نشوء فتح ، وكيف كانت منظمة سرية ، ومن هم زعمائها ، وما هي عقيدتهم ، ومن هو ياسر عرفات ، وما هو نوع التحالف الذي قام بين الحركة وسوريا ، وكيف « فشلت الثورة الشعبية المسلحة في الضفة الغربية بعد حرب حزيران » ، كما يعرض لانقسام الحركة الفلسطينية وتناقضها مع النظام الاردني وعلاقات فتح مع الدول العربية والعمليات العسكرية للمقاومة . ويفترض أن يكون الكتاب من تأليف يهود يعاري ، مراسل صحيفة دفار للشؤون العربية ، لكن يد الاخبارات تبدو واضحة جلية من بين سطوره ، اذ لا يغفل الكتاب في أن يعطي للقارئ منذ الصفحات الأولى انطباعا قويا بأنه مبني على تقارير المخابرات الاسرائيلية . ولا يجسد الكاتب مناصا من الاعتراف مداورة بهذه الحقيقة ، فيقول في المقدمة انه وجد السبيل الى المعلومات المتجمعة في مؤسسات اسرائيلية مختلفة . وهو الى ذلك يغني نفسه حرج اثبات مصادره بالقول ان في ذلك حملا ثقيل على القارئ يقطع تواصل الكتاب (ص ٨) . ونحن هنا لن نتطوع لاسداء خدمة ثمينة للمخابرات الاسرائيلية فنبين لها أين أخطأت في معلوماتها وأين حالفها الصواب ، كل ما يهمنا هو تبين المنطق الذي يعالج به الكتاب موضوعه ، وعرض الكيفية التي يرى بها العدو بعض جوانب المقاومة .

يعرض الكتاب تاريخ فتح وكأنه مؤامرة كبيرة متشعبة الجوانب متعددة الاطراف تتصارع فيها قوى مبهمه غامضة ، وتتحاور فيها الإيرادات وتتقاطع وتمتحن الصلاحيات لتعود فتمتحن من جديد لتقوم هي بدورها بامتحن صلابه الآخرين . وهكذا حتى يخرج المرء بصورة مؤداها أن مؤسسي فتح جماعة من الدهاة القنساء ذوي الانياب الزرقاء يتمتعون بإيرادات صلبة وطموحات مثالية لفرط لامحدوديتها ، وأن نمو الحركة واتساعها يعود الى مقدرة دهاتها على النفاذ من ثغرات مؤامرات الآخرين من منظمة وأحزاب وحركات سياسية عربية . ويكاد المرء



ثلاثين عملية في الشهر خلال فترة الكرامة الى ثلاثين عملية او اكثر في اليوم في بداية العام ١٩٧٠ . وقد القى ازدياد النشاط التخريبي على اسرائيل بعبء ثقيل ، اذ رفع عدد الاصابات وضيقت على موارد اسرائيل المالية وتسبب في اطلالة امد الخدمة العسكرية النظامية والاحتياطية وفي صعوبات اخرى لا تنتهي » ( ص ٣٦٢ ) . ويورد الجدول التالي عن العمليات العسكرية للمقاومة ( ص ٣٦٧ ) :

القطاع	حتى نهاية ١٩٦٨	حتى نهاية ١٩٦٩
الاردن :	٩٨١	٣٤٢٥
سول بيسان	٤٩٥	١٥٠٧
غور الاردن	٣٩١	١٦٦٥
وادي عربة	٩٥	٢٥٣
لبنان	٥٩	١٨٤
مرتفعات الجولان	٨٢	٣٤٦

وبلاحظ في الجدول غياب الضفة الغربية وقطاع غزة ، وهذا الامر ليس صدفة ، فالكتاب يحاول ان يعطي انطباعا بان المقاومة تقتصر فحسب على عمليات الاغارة من خارج الارض المحتلة . اذ يفرد الكتاب فصلا كاملا يؤكد فيه « فشل الثورة الشعبية المسلحة في الضفة الغربية » ، وهو يعزو هذا الفشل الى ان الكوادر التي دخلت الضفة الغربية بعد حزيران كانت غريبة عن المنطقة وغير متجذرة فيها ، والى ان عمليات الاعداد للثورة كانت متسرعة ، وهو يشبه الثورة المسلحة ببناء ذي ثلاث طبقات ، الاولى منها هي المقاومة السليبية والثانية هي المقاومة السياسية والثالثة هي « التخريب » ، ويخلص الى القول ان المقاومة بدأت ببناء الطابق الاخير دون ان تبني ما قبله . ويجد الكتاب ان اللياقة تفرض عليه الاعتراف بفضل الملك حسين ونظامه على اسرائيل . فقد القى النظام الاردني القبض على مجموعة من فدائيي فتح عملت منطلقة من جبال الخليل من كانون الثاني الى آذار ١٩٦٥ ، « واصدر الملك حسين اوامره لرجاله بان يتصدوا بحزم للارهابيين والمتعاونين معهم » ( ص ٦٧ ) ، وقاد الحملة ضد الارهابيين اللواء محمد رسول الكيلاني ، رئيس مخابرات حسين القوي القادر ، واللواء راضي العبدالله ، مدير الامن العام ، واللواء محمد احمد سليم القائد العسكري للضفة الغربية » ( ص ٦٨ ) ، وطوال السنوات الثلاث التي سبقت حرب حزيران « حارب

الملك حسين فتح واخواتها بقبضة من حديد ، قبضة يشكل البدو قوتها الدائمة والمخابرات الفعالة عضلاتها المحركة . ولكن وفي ١ حزيران ١٩٦٧ ، غطيت القبضة الحديدية بقناز ناعم لم تخرج منه الا في صيف ١٩٧٠ المصري عندما تسنمت السلطة الحكومة العسكرية » ( ص ٢٣٦ ) . ولا يخلو الكتاب من الافتراءات الرخيصة . فعبد القادر الحسيني قتل عام ١٩٤٨ « بينما كان يصعد جبل القسطل وحيدا » ( ص ١٥ ) ، وجماعة القسام « جندت ضعايلك القرى الشرسين » ( ص ٤١ ) ، والهجمات الفردية التي كان يقوم بها الفلسطينيون بعد العام ١٩٤٨ لم تكن تعبيرا عن مقاومة الشعب الفلسطيني بل كان هدفها القتل والنهب فحسب . « ورواد فتح الاوائل امثال احمد موسى وجلال كموش ومحمود بكر حجازي ليسوا ، في مواضع متعددة من الكتاب ، أكثر من مجرمين عاديين انضموا الى فتح ارتزاقا » . بقي ان نشير الى ما يرويه الكتاب عن المبادرة التي لفتت نظر المخابرات الاسرائيلية الى وجود فتح ، عندما كانت هذه لا تزال منظمة سرية لم تعلن عن نفسها ( ص ٤٩ ) ، ونحن نورد هذه الرواية هنا لمجرد الاشارة الى الحذر الذي يتوجب علينا ان نلتزمه في ما نتشر حول القضايا السرية الحساسة . يقول الكتاب ان احدا في اسرائيل لم يلتفت الى وجود فتح الا في منتصف عام ١٩٦٤ ، عندما صدر كتاب لكاتب فلسطيني ( يذكر اسمه ) يناقش في احد فصوله المفاهيم التي كانت تطرحها جريدة « فلسطيننا » . فقد وقع هذا الكتاب في يد خبير اسرائيلي بالشؤون العربية ، ففهم هذا من كلمات الكتاب ان وراء « فلسطيننا » تقف « منظمة لا تعرف حدودا ، يمكن في يوم ما ان تجرب نفسها في عمل حقيقي » ضد اسرائيل ، وعندئذ قام الرجل « بلفت انتباه الاطراف المعنية » في اسرائيل الى المسألة . يستخلص الكتاب في الخاتمة انه « بعد خمس سنوات ونصف مرت على اول عملية تخريبية في بيت نطونا ، لم يعد ممكنا تجاهل وجود الحركة الارهابية او التغاضي عنه ، واصبحت مسألة امكان تصنيفها او اختفائها غير واردة . ولكن ما زال الوقت مبكرا للاجابة على مسألة الشكل والاتجاه اللذين ستتخذهما الحركة في المستقبل » ( ص ٣٨٥ ) . ونحن لا يسعنا الا ان نمنح موافقتنا .

**خليل هندي**

Norman Bentwich, Israel : Two Fateful Years, 1967-1969  
(London: Elek, 1970).

يبدو بها أناس كبنوتيتش تفيد الجهد الدعاوي الصهيوني أيها الغداة ، لأنها تعشي الإبصار عن الصورة الصلية للفقور الصهيونيين وتلطف هذه الصورة وتشوشها ، في الوقت الذي لا تقدم فيه في واقع الأمر أي تنازل ذي أهمية ودون أن تنهتد بالخطر اطلاقا موقف إسرائيل . فعندما يقول صهيوني قديم كبنوتيتش أن إسرائيل يجب أن تصبح دولة ثنائية القومية ، يستطيع الدعاة الصهيونيون أن يزعموا أنه ليس كل الصهيونيين متطرفين ، فيخفون بذلك الحقيقة البالغة الأهمية وهي أن ما يتحدث عنه بنوتيتش هو إسرائيل وليس فلسطين . إن الحمايم الصهيونية أو الإسرائيلية ، ما دامت إسرائيلية أو صهيونية ، أبلغ خطرا بكثير من الصقور الصهيونيين — الإسرائيليين المعلنين . ليس بنوتيتش غير آخر كثيرين من الصهيونيين الذين اضطرت ضمائرهم . ولقد بدأت وخزات الضير في الحركة الصهيونية تجعل نفسها محسوسة في وقت مبكر ، وآحاد هاعام أوضح مثال على ذلك . ولأن آحاد هاعام كان يعارض سياسة غالبية المؤتمرات الصهيونية ، كما بسطها وايزمان ومن بعده بن غوريون ، ولأنه كان ينادي بشكل ثقافي غائم من الصهيونية ، فإن كثيرين ينسون أنه رغم ذلك كان صهيونيا استوطن فلسطين وأسمه في الحركة ليكانا بإطلاق اسمه على أحد شوارع تل أبيب . ومثل ذلك آرثر كوستلر الذي خدم القضية الصهيونية سنوات عدة وخاصة عندما كتب روايته الدعاوية القوية « لصوص في الليل » ، ولم يتخل عن الصهيونية إلا بعد ذلك . ويبدو أن الأمر ذاته يحدث لبن غوريون ، فبعد أن طبع بن غوريون إسرائيل بطابعه المتصلب المتزمت ، بدأ الآن يعلن استعداداه لاعادة كسل الأراضي العربية المحظة تقريبا ، إذا كان لهذه التضحية أن تحقق سلاما دائما ، وهذا هو الحال مع بنوتيتش الذي يقوم الآن ، بعد حياة صهيونية حافلة ، بتوجيه لوم خفيف إلى إسرائيل ، وبذلك لا يزال كصهيوني « ليبرالي » و « معقول » يسهم في القضية الصهيونية . لقد أصبح الصهيوني التائب نموذجا يسهل التعرف عليه . يبدو أن اليهود في أي وقت يتخذون من الصهيونية

في هذا الكتاب الصغير ولكن الهام يعبر صهيوني قديم عن درجة محدودة من خيبة الأمل بسياسات إسرائيل بعد عام ١٩٦٧ ، وهو بذلك يصبح واحدا من مجموعة « اليهود الشرفاء » التي تقدم خدمة جلى للدعاية الصهيونية — الإسرائيلية . كان المحامي الإنجليزي بنوتيتش صهيونيا نشيما عندما عينه البريطانيون أول مدع عام للانتداب البريطاني في فلسطين . وحتى مع عام ١٩٢٠ ، كان بنوتيتش قد كتب الكثير لدعم القضية الصهيونية وشبه الدعاوى الإثيمية الصهيونية تشبيها مغما بالحيوية بأنها كجلد الغزال الذي يتدد أو يتقلص تبعا لوفرة الغذاء الذي يتناوله الغزال أو نقصانه . وكان بنوتيتش يهدف إلى توفير أكبر قدر ممكن من الغذاء لـ « الغزال » الصهيوني ، وقد فعل هذا خلال المدة التي قضاها في منصبه في فلسطين ، وفيما بعد عندما أصبح داعية للصهيونية ومفاوضا نافذا لها لا يكمل في دوائر حزب العمال البريطاني في لندن . أما الآن وقد بلغ العمر ببنتوتيتش عتيا ، فإن من الواضح أنه يراجع أفكاره فيما يتعلق بسلوك الإسرائيليين ، على الرغم من أن مخاوفه لا تتعدى كونها مجرد ارتعاشات يمانيتها ضميره السياسي . هكذا فإنه يردد الادعاء الصهيوني المتعطر بأن « الحكمة » هي التي ساعدت على خلق إسرائيل ، وهو لا يزال مؤيدا صلبا في تأييده للدولة اليهودية ، كما أنه يذهب إلى حد ابداء الإعجاب بالصفقات التي سرق بها الإسرائيليون الزوارق الحربية من أحواض السفن الفرنسية في شربورغ . ومن هنا ، فإنه في الوقت الذي يصف فيه السياسة الإسرائيلية بأنها تبدو « قاسية » و « غير مرنة » لا يجسذ عودة القدس العربية إلى السيادة العربية بل يرى فقط وضع الأماكن المقدسة تحت سلطة تشارك فيها الأديان جميعا . وبينما يعترف بأن ظلما قد لحق بالسكان السابقين لفلسطين وأن تعويضات يجب أن تدفع لهم عن أملاكهم ، إلا أنه ليس مستعدا للذهاب أبعد من التوصية بأن تقبل إسرائيل جزءا من أولئك الذين يريدون العودة « بعد تدقيق حريص » ، أما « الأغلبية » فيجب أن يعاد أسكانها في البلاد العربية أو العالم الجديد . ومع ذلك فإن هذه الدرجة المحدودة جدا من لين الحمايم التي

ميل نحو التوبة مهما كان جزئياً، غير انه من الممكن أن تأتي التوبة بعد فوات الاوان وان لا يتكلم صوت الضمير الا بعد أن يفقد أي قدرة على التأثير في سير الامور . وهذا هو الحال بالنسبة لبن جوريون وبنقويتش. هناك قول مشهور يقول «احذروا الذئب في ثوب الحمل» ، وعلى المرء أن يكون أكثر حذراً بكثير تجاه أولئك الصهيونيين الذين قاموا بدورهم في خدمة القضية الصهيونية ليستجروا في خدمتها إذ يعرضون على الناس بعد فوات الاوان ضميرهم الذي استيقظ حديثاً. غير أن بنقويتش يلاحظ ملاحظة عميقة جداً يجب أن يأخذها بعين الاعتبار كل من ينادون بمعالجة « موضوعية » أكاديمية للمسألة الفلسطينية . انه يقول « الموضوعية بالنسبة لقضيتي فلسطين واسرائيل متناقضة في ذاتها » .

## جودفري جانسن

- 1) Raanan Weitz and others, **Regional Cooperation in Israel.**
- 2) Alexander Berler and others, **Urban-Rural Relations In Israel.** (Tel Aviv: Settlement Study Center Rehovot, 1970).

ودون أي تخطيط مسبق . وقد برزت ومع الوقت عدة أنواع من التعاون يعتمد معظمها على انشاء نقاط معينة تخدم كمراكز للاقاليم . ولم تطبق فكرة التعاون الاقليمي كأسلوب في التخطيط الاستيطاني سوى منذ تخطيط منطقة لخيخ . ويتم التعاون بين المستوطنات الجماعية والتعاونية ( الكيبوتس والموشاف ) وبين بعض المستوطنات الخاصة ( الموشاف ) . والسبب في التعاون هو الرغبة في تحقيق الفعالية الاقتصادية وتنظيم التسويق والمشتريات بشكل عقلائي ، كما انه يرجع الى اتجاهات المستوطنين المعنادية والاجتماعية . بالاضافة الى التعاون الداخلي على اساس جماعي، فان المستوطنات مرتبطة باتحاد وطني للتعاونيات . وقد مكن البنين الاقليمي عدداً من المستوطنات من توحيد مواردها من اجل اقامة مصالح ومؤسسات تجارية على نطاق اوسع بكثير من طاعة كل مستوطنة بمفردها . وقد أدى ذلك التعاون الى تخفيض الكلفة

ثلاثة موافق . اذ يمكن أن يكونوا في شبابهم لا صهيونيين او حتى معادين للصهيونية ، ليصبحوا في اواسط العمر صهيونيين ملتزمين نشطين، لينتهوا في الشيخوخة صهيونيين تائبين . وهكذا عندما كان احاد هاعام يتوب ، كان هرتزل ومن بعده وايزمان نشطين ، وعندما أصبح وايزمان تائبا ، كان بن جوريون وبوبر وماجنيس نشطين ، وعندما بدأ بوبر وماجنيس يدقان صديريهما ، كان بن غوريون وبمه وبنقويتش لا يزال يدفع الى الامام ، والان وعندما بدأ بن جوريون وبنقويتش يلينان ، يحمل داان الشعلة . ويفترض المرء انه عندما يشيخ داان ويصبح أعقل فسان واحدا كعيزر وايزمان سينوم بالعمل القدر .

عندما يكون الامر متعلقا بالصهيونيين ، فان هنا انجاسا ينحو الى القول ان المرء يجب ان يشعر بالعرفان تجاه الكرامات الصغيرة وأن يرحب بأي

يعالج هذان البحثان موضوعين هامين بالنسبة للاقتصاد الاسرائيلي وبالنسبة للتنظيم الاجتماعي في اسرائيل . يتعلق الموضوع الاول بسياسة التنمية والاستيطان في الريف وبالتعاون الاقتصادي — الاجتماعي بين المستوطنات والمناطق المختلفة . ويتعلق الموضوع الثاني بالعلاقات بين الريف والمدن في اسرائيل ، وهذا امر حيوي لاسرائيل نظرا لاضطرارها الى توزيع المهاجرين اليهود بشكل معقول على المناطق وصعوبة تطبيق هذا التوزيع . تهتم دراسة التعاون الاقليمي اساسا في تحديد وتوضيح المشاكل الاساسية التي تواجه التنمية الريفية وذلك لتبكين المخططين من ايجاد حلول تعتمد على اقصى درجة على معرفة الحقائق الموضوعية . وقد نمت فكرة التعاون الاقليمي في اسرائيل على مدى عدة سنوات . وكانت في البداية عبارة عن انشاء مشاريع مشتركة بين المستوطنات في اتجاه مختلفة من البلاد على اساس الظروف الفورية

والى ادخال تحسينات تكنولوجية وتوظيف خبراء وفنيين على مستوى رفيع . من الامثلة على ذلك استعمال المعدات الثقيلة وتصنيف المحاصيل الزراعية وانشاء معمل لتصنيع المحاصيل وانشاء مدارس ثانوية .

المشاكل الرئيسية الثلاث التي تواجه الذين يخططون المستوطنات الريفيه الجديدة في اسرائيل هي : ( ١ ) كيفية ازالة الحواجز القائمة بين الاجيال القديمة والمهاجرين الجدد من ناحية ، وبين الجماعات العرقية المختلفة من ناحية اخرى . ( ٢ ) كيفية تدريب المهاجرين الجدد لكي يصبحوا مزارعين وعمالا مستقلين يمكنهم ادارة اقتصاد زراعي معقد وادارة شؤون قريتهم . ( ٣ ) كيفية اجتذاب الفنيين والخبراء والموظفين الى مناطق الاستيطان الريفيه . وقد استطاع التعاون الاقليمي حل هذه المشاكل الى حد كبير ، لكن ما زالت هناك مشاكل اساسية تواجه التنمية الريفيه ستعالج في البحث الثاني .

المشكلة الاساسية في تحليل العلاقات الريفيه — العمرانية في اسرائيل هي مسألة التوازن بين القرية والمدينة ، فالقرية تنف داتها موقف الدفاع أمام انتشار اسلوب الحياة العمرانية . كما ان هناك اخطارا كبيرة تهدد وضع القرية الاسرائيلية ونموها ، أهمها الانحسار المستمر لاهمية الزراعة في الحياة الاقتصادية الاسرائيلية . اما الخصائص الرئيسية للوضع الحاضر للعلاقات الريفيه — المدينة في اسرائيل فهي : ١ — توجد في المناطق الريفيه عدة أنواع من المستوطنات تشكل تسلسلا هرميا كبيرا مساحة وزمنا . ٢ — تجتذب المدن الكبيرة فائض القوى العاملة في المناطق الريفيه رغم كل الجهود المبذولة لتقليل تأثير المدن . ٣ — ان تنوع المستوطنات القديمة انتاجيا واجتماعيا وثقافيا لا يعطيها مناعة ضد جاذبية المدينة لان هذه المستوطنات غير قادرة ، مهما بلغت درجة تحديثها ، على توفير الامتيازات الموجودة في المدينة . ٤ — ان البلدة ، التي تكون عادة في وسط التسلسل الهرمي ، قد فقدت مركزها في اسرائيل واصبحت في قاعدة الهرم ولا يمكنها ضبط فائض الريف السكاني . وبما ان القرية الاسرائيلية متقدمة اكثر من البلدة فان الفائض السكاني في الريف يتجه نحو المدينة . يمكن القول ان العلاقات الريفيه — المدينة في اسرائيل هي نتيجة لعوامل محددة تعكس الاحوال

الحالية . فمن ناحية هناك عوامل بارزة تمثل نمو الحياة الريفيه وتخلق مشاكل للقرى الاسرائيلية ( أهمها : أ ) انطباع المدني او العمراني الميسر لليهود . ففي عام ١٩٦١ ، مثلا ، كان يعيش ٧٦٤٤٪ من اليهود البولنديين في المدن مقابل ٢٢٤١٪ لغير اليهود . وكذلك الحال في العديد من البلدان . ومن آثار هذا الطابع كون معظم المستوطنين الريفيين في اسرائيل هم من سكان المدن اصلا . وقد أظهرت نتائج احصاء العلم ١٩٦١ ان ٧٪ فقط من المزارعين اليهود الذين ولدوا خارج اسرائيل كانوا مزارعين قبل ان يهاجروا الى اسرائيل . ومن آثار هذا الواقع ضعف القرية امام المدينة . فمن ناحية ، لم يهر المزارع اليهودي بتجربة التعلق العميق بالارض الذي بناه عند فلاحه البلاد الاخرى عبر اجيال عديدة . وهذا ما جعل المستوطنين الريفيين يشتغلون في مهن غير زراعية ، وربما يكون هذا السبب في تحويل العديد من مستوطنات الموشافه الاولى الى مدن صغيرة . وكان للطابع العمراني لسكان الريف في اسرائيل اثرا آخر هو ان هؤلاء السكان ظلوا مشدودين الى المدينة نظرا لتعودهم على الخدمات والترفيه ، وغالبا ما كانوا يتركون القرية عند اول مصاعب شخصية او اقتصادية تصادفهم . وبما يجدر ذكره ان الوكالة اليهودية كانت تجبر هؤلاء المستوطنين على الإقامة في الريف رغم انهم يكرهون الزراعة وطريقة الحياة الريفيه . ب ) بما زاد في مصاعب القرية تركز المستوطنين الريفيين اليهود في مساحات صغيرة حول المدن . مثلا ، يعيش ٦٢٪ من سكان الريف في الرقعة الساحلية — حيفا — تل ابيب — عكا — عسقلان . كما ان المسافة بين القرى والمدن الكبيرة تبلغ ٣٠ — ٢٥ كلم وبين القرى والمدن المتوسطة ١٥ — ١٠ كلم مما يعرض القطاع الريفي لضغط الحياة العمرانية القوي . ج ) كان لكبر قطاع الخدمات في اسرائيل اثر كبير في اجتذاب وتوظيف سكان الريف (١٩٤٨) لاسرائيل مقابل ٢٢٤٦٪ لفرنسا . د ) ثلة الموارد الزراعية . هـ ) النقص في مياه الري . اخيرا كانت هناك عوامل غير اقتصادية كان لها تأثير سلبي على نمو وازدهار المناطق الريفيه . اهم هذه العوامل الضعف الذي حل بالاسر العائلية للمجتمع الاسرائيلي ، وضعف النقل بطريقة الحياة الريفيه — التي كان القيمة الرئيسي

ل مرة الاستيطان الاولى . وقد ادى ذلك الى الحد من تدفق شبان المدن على الكيبوتسات والموشافات ، وحث من قيمة القرية . الصورة الثانية لعلاقة القرية بالمدينة هي صورة ايجابية ، صورة القرية القوية التي استطاعت الوقوف في وجه المدينة وطريقة الحياة العمرانية . العوامل التي تعمل في صالح القرية هي : - ( ا ) اجراءات الامن من حيث تنظيم المستوطنات ، ويعود نجاح اجراءات الامن الى الاطار التعاوني او الجماعي لمعظم القرى اليهودية . ( ب ) كان للاطار التعاوني فعالية كبرى في المحافظة على الاطار الريفي ويظهر ذلك انه لم يتحول اي موشاف او كيبوتس للطبقة العاملة الى مستوطنات عمرانية . ( ج ) فعالية الريف الاسرائيلي الاقتصادية . ان نمو الانتاج الزراعي الاسرائيلي من اسرع نسب النمو في العالم ، ويعود ذلك للاسباب التالية : المستوى الرفيع لاستعمال الماكينات في الزراعة ، الاستثمارات الكبرى في المعدات ومشاريع الري وتحسين التربة ، الاستثمار الفكري في الزراعة ، اي الجهود المبذولة لزيادة المعرفة والتدريب المهني العالي والخدمات الاعلامية الزراعية . ( د ) الجمع بين الزراعة والصناعة في الكيبوتسات . تلعب الصناعات الريفيه دورا اقتصاديا واجتماعيا هاما . فهي تخلق من الناحية الاقتصادية وظائف جديدة وتقوي الاساس الاقتصادي وترفع مستوى الدخل . اما اجتماعيا فان زيادة نوعية المهن المتوفرة وزيادة فرص التخصص والتقدم المهني يساعد على وقف تدفق شباب القرية الذين لا يرغبون بالعمل في الزراعة الى المدينة . ( هـ ) توفر مستوى رفيع للخدمات واسباب الراحة العمرانية ، خاصة السكن الجيد ،

وتوفر مستوى تعليمي رفيع . و ) التأثير المعاكدي والسياسي - الاجتماعي للقرية . في الواقع ، حدثت تغييرات بالنسبة لهذه العوامل فضعف تأثير العوامل المعاكدي بينما زاد تأثير العوامل الاقتصادية .

يمكننا على اساس المعلومات التي جاءت في هذين البحثين ان نستنتج الامور التالية : ان مبدأ التعاون الاقليمي في اسرائيل يشكل مصدر قوة للمجتمع الاسرائيلي لانه خارجيا يشكل حلقة هامة في الدفاع عن الحدود ، ويشكل داخليا اطارا هاما للمحافظة على الريف الاسرائيلي وعلى التوازن بين الريف والمدينة . فلولا التعاونيات والمستوطنات الجماعية لما كان ريف اسرائيل نظرا لطبيعة السكان الريفيين وضعف الموارد الزراعية وقلة مياه الري . الامر الهام الثاني الذي يمكن استنتاجه هو ان ارتباط المزارعين الاسرائيليين بالارض هو ارتباط تجاري ومادي بحت وليس ارتباطا عاطفيا كما هي الحال بالنسبة لباقي المزارعين في العالم ( ويمكن فهم هذا الامر لان الارض اغتصبت اغتصبا ولان الوكالة اليهودية تجبر هؤلاء الناس على السكن في الريف ) . كما ان الارتباط المعاكدي الاشتراكي الذي كان عند المستوطنين الاوائل قد خف كثيرا . الامر الثالث الذي يمكن استنتاجه من مجرى العلاقات الريفيه - المدينة هو ان المدينة قد تتغلب على الريف في المستقبل وتتحول اسرائيل الى امتداد عمراني كبير مما يخلق لاسرائيل مشاكل اجتماعية وسياسية لا حصر لها ويفشل مشاريعها الاستيطانية ، خاصة وهي تتوقع آلاف المهاجرين الجدد على اساس توزيعهم بشكل معقول بين الريف والمدن .

## ليلي سليم القاضي ، المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ( ماتسبين )

مركز الابحاث في م . ت . ف . ، بيروت ١٩٧١ .

لراء ومواقف المنظمة على الصعيد النظري والممارسة العملية ، ولكن سأحاول الوقوف على بعض النقاط التي عرضتها الباحثة بأمانة كما وردت في كتابات المنظمة وفي المقابلة التي اجرتها الباحثة مع « موشي مخوفر » احد قادة المنظمة الموجودين في لندن ، سأحاول ان اعطي صورة آمل ان تكون

بعد اطلاعي على هذا الكتاب ، وخصوصا على المقدمة التي كتبها الاستاذ غسان كنفاني ، رايت ان اشارك في عملية النقاش والتقييم وطرح التساؤلات حول المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية على الصعيد النظري والممارسة العملية . انني على خلاف الباحثة لن اتقوم بعملية استعراض وتلخيص

لاسباب الانشقاق الاخير لن استند الى النصوص المكتوبة نظرا لعدم وجودها الان في متناول اليد ، هذا اذا اخذنا بعين الاعتبار ان الملاحق التي اوردتها الباحثة حول موضوع الانشقاق تعبر عن وجهة نظر المنظمة الام حول الموضوع فقط . ( وقد صدر بعد الانشقاق عن كل من الجناحين المنشقين منذ ايلول ١٩٧٠ ما يقارب ست نشرات ) .

نظرة حول الكتاب : لقد نجحت الكاتبة تماما في عملية استعراض وتلخيص تاريخ نشوء المنظمة ومواقفها من عدة قضايا مثل :

(١) نظرة المنظمة الى الصهيونية واللاسامية واستعمار فلسطين : لقد كانت تحليلات المنظمة ل هذا المضمار على قدر كبير من الصواب والجراءة ، بحيث تركت ردود فعل عنيفة داخل المجتمع الاسرائيلي تنفق بكثير امكانيات المنظمة على صعيد العمل السياسي الداخلي .

(٢) نظرة المنظمة الى المجتمع الاسرائيلي : لقد توصلت المنظمة من خلال دراساتها وتحليلاتها الى الطبايع والميزات الخاصة والفريدة لهذا المجتمع ، وأكدت على ميزتين رئيسيتين لهذا المجتمع اولاهما : كونه ليس مجتمع مهاجرين فحسب بل مجتمع مستوطنين ايضا . وثانيهما : كون التناقض الرئيسي لهذا المجتمع هو تناقض خارجي وليس داخليا .

(٣) نظرة المنظمة الى « اليسار » الاسرائيلي : تفرق المنظمة في هذا المضمار بين اليسار الصهيوني وبين اليسار غير الصهيوني المتمثل في الحزب الشيوعي الاسرائيلي « راکاح » . ولكنها ترى ان امكانيات التعاون مع « راکاح » محدودة نظرا للتابين في وجهات النظر حول طبيعة النظام في الاتحاد السوفييتي ، وحول بعض القضايا العالمية واهمها الموقف من حركات التحرر الوطني التي تعودها البرجوازية الصغيرة في البلدان المتخلفة .

(٤) نظرة المنظمة الى المقاومة الفلسطينية والعمل الثوري للنزاع في المنطقة : ترى المنظمة في الكتاب الفلسطيني المسلح بداية تحول جذري في اسلوب النضال وشكله على صعيد المنطقة ، رغم تحفظاتها على الابعاد السياسية لهذا النضال . لقد شرحت الباحثة في كتابها وجهات النظر الاتفة الذكر بالتفصيل ولقد كانت الصورة معبرة تماما ، وبما ان الباحثة التزمت منذ البداية اسلوب العرض والتلخيص لذلك أصبح مفروضا ايضا بعض النقاط ، سأتناول في عملية الايضاح نقطتين لا اكثر ،

واغنية لوضع المنظمة داخل اسرائيل . ان عدم تنوع المصادر التي اعتمدها الباحثة ادى بها في النهاية الى اتباع اسلوب العرض والتلخيص . لم يكتب الشيء الكثير حول المنظمة لا في داخل اسرائيل ولا في خارجها وهذا الكتاب هو اول دراسة من هذا النوع حول المنظمة . بالرغم من هذا فلو توفرت بعض الامكانيات للباحثة ، للوقوف على الجدل الذي ثار بين المنظمة والحزب الشيوعي الاسرائيلي « راکاح » من جهة وبين المنظمة والاجنحة الستمتي انشقت عنها في ايلول ١٩٧٠ من جهة ثانية حول مختلف القضايا الداخلية والخارجية مثل : الموقف من الهستدروت ، الموقف من الاتحاد السوفييتي ، الموقف من قرار مجلس الامن ، الموقف من المنظمات الفدائية وغيرها من الامور ، لو توفرت ذكرت لكنت الدراسة اوفى واشمل . انني الان هنا امام نفس الاشكال الذي واجه الباحثة ، ولكنني من جهة ثانية ، نظرا للضلات الوثيقة التي كانت لي مع المنظمة كتتظيم ونظرا لعلاقات الصداقة الشخصية التي كانت تربطني ببعض افراد المنظمة قبل الانشقاق وبعده ، لذلك فعملية تناولي للموضوع سترتكز على معلوماتي الشخصية عن المنظمة ، نتيجة صلة تمتد فترة من الزمن لا تقل عن ثلاث سنوات ، اثناء هذه الفترة شاركت تقريبا في معظم نشاطات المنظمة بالرغم من عدم انتسابي الرسمي . فقد كنت مداوما على حضور الندوات المفتوحة التي كانت تقيمها المنظمة للبحث في مواضيع مختلفة ، كما وكنت مداوما على حضور الندوة المغلقة التي كانت تتناول الامور النظرية والفكرية .

من اهم سمات العرض العلمي والتحليل العلمي للمواقف ان يكون ذلك العرض والتحليل مستندا الى نصوص يمكن الرجوع اليها للتأكد من صحتها ، وما سأقوم به في الحقيقة لا يمكن ان نسميه بحثا ، لانه في حقيقته استعراض لكتاب الباحثة « المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية » ومن ثم محاولة لرسم صورة واضحة عن المشاكل والصعوبات التي تجابه المنظمة في القطاعين العربي واليهودي اثناء ممارستها للعمل السياسي بين الجهايم . واخيرا اعطاء صورة واضحة لاسباب الانشقاق الاخير والسمة المركزية لكل جناح . وبديهي انني في عرضي وتحليلي للمشاكل والصعاب التي تجابه المنظمة في القطاعين العربي واليهودي ، وايضا في عرضي

أحداهما جاءت منافئة للواقع تماما ، وثانيهما يشير الى التخطي في أسلوب العمل السياسي داخل إسرائيل . النقطة الأولى تتعلق بنسبة عدد الأعضاء العرب في المنظمة ، والثانية بموقف المنظمة من انتخابات ١٩٦٥ ، وتأييدها لأوري أفنيري في تلك الانتخابات .

(١) من الأمور المنافية للواقع ما يلي « تمكس المنظمة في تكوين عضويتها التكوين العام لسكان إسرائيل . بعبارة أخرى ان نسبة الاعضاء العرب في المنظمة تساوي على وجه التقريب نفس نسبة عدد السكان العرب في إسرائيل » ( ص ٣٧ ) .

إذا أخذنا الأمر من ناحية منطقية يظهر صحيحا ، وأكثر من هذا يجب ان تكون نسبة العرب في المنظمة أعلى من نسبتهم لعدد السكان الكلي . ولكن الواقع هو خلاف ذلك ، فنسبة الاعضاء العرب في المنظمة أقل من نسبتهم الى مجموع السكان . على قدر ما اعلم فعدد الاعضاء العرب في المنظمة لم يتجاوز الأربعة في احسن الاحوال . على كل حال ، فان هدي من التفرق لهذه النقطة ليس الوصول الى حقيقة نسبة العرب في المنظمة ، سواء كان النص المذكور اعلاه صحيحا او لم يكن ، فالأمر يشير الى عدم نجاح المنظمة في العمل في الوسط العربي في إسرائيل . هذا الأمر يأخذ أهميته إذا أخذنا بعين الاعتبار ان العمل بين السكان العرب يجب ان يكون من ضمن استراتيجية لعمل السياسي للمنظمة داخل إسرائيل . تتضح أهمية هذه النقطة عندما نرى انها شكلت احدى نشاط الخلاف داخل المنظمة التي أدت الى الانشقاق الأخير ، حيث رأت احدى المجموعات « الاتحاد الشيوعي الثوري » ان المنظمة لم تعط هذه النقطة « بما حدا بأحد قادة المنظمة عوديد بيلانسكي الى القول « ومجمل القول ان طريقة عمل الاتحاد الشيوعي الثوري ، كما ورد في نشرته الأولى ، نشر بوحدة الثوار الاشتراكيين العرب واليهود الذين تعدوا المرحلة التومية ، بطرحه قومية يسارية اشتراكية أهمية » ( ص ١٧٨ ) .

(١) بالنسبة للنقطة الثانية أي الموقف من أوري أفنيري وانتخابات ١٩٦٥ ، فلقد اتخذت المنظمة آنذاك قرارا بالاكثورية وليس بالإجماع بتأييد أوري أفنيري في تلك الانتخابات ، مع اعطاء الحرية للأعضاء الذين عارضوا هذا القرار في عدم المشاركة في الحملة الانتخابية ، او حتى الدعوة لأحزاب

أخرى والمقصود هنا الحزب الشيوعي الإسرائيلي « ركاك » . إذا قارنا هذا الموقف بموقف المنظمة من الانتخابات التالية ، حيث دعت الى تأييد « ركاك » بالإجماع نرى تبديلا إيجابيا في التكتيك في مجال العمل السياسي داخل إسرائيل . إذا أخذنا بعين الاعتبار اسباب خروج قادة المنظمة او بعضهم من صفوف الحزب الشيوعي الإسرائيلي ، حيث يذكرون من جملة الاسباب ، مواقف الحزب اللاثورية من عدة قضايا ، ثم تمعنا في تبريرات المنظمة لانجد وزنا للمواقف اللاثورية هذه . بمعنى انها لم تكن تشكل مقاييسا عند بحث المنظمة لقضية الانتخابات . تقول المنظمة في مجمل تبريراتها التي توردها الباحثة ، ان المنظمة رأت في برنامجه — بالقياس الى الظروف السائدة في تلك الأيام — نوعا من الإيجابية ، كدعوته « للاعتراف بحقوق اللاجئين الفلسطينيين » من جهة ، وانها قدرت بأن حركة أوري أفنيري ستجذب عددا كبيرا من الشباب غير المسيس من جهة ثانية ، واهم من هذا وذاك كون حركته غير مبلورة عقائديا ولا تنظيميا ، أي بمعنى انها لا تشكل حزبا ، بل تيارا او اطارا فغضاضا ، وهكذا يمكن استغلال هذا الاطار لنشر الدعاية والتحريض وعرض وجهات النظر لكسب المؤيدين او حتى لجرد اثاره القضائية وطرحها بأسلوب جديد وتطيل جديد . يضاف الى هذا تقديراتها المغالية — حسب ما اعتقد — في نسبة العناصر من الشباب العربي في إسرائيل التي قدرت المنظمة ان تنجر وراء « ظاهرة » المعارضة الجديدة ، بسبب شخصية أوري أفنيري وشعبيته بين الشباب .

هذا التقدير الخاطئ — بالنسبة للشباب العربي — يعود الى عدم تفهم المنظمة لواقع التيارات التي كانت سائدة في اوساط الشباب والى اتجاهاته السياسية . كما وانه يشير بوضوح الى عدم وجود برنامج عمل مبرمج للنشاط السياسي والى اتباع أسلوب الانفعالية في هذا المضمار . ان العناصر التي سارت وايدت أوري أفنيري من الشباب العربي في إسرائيل يمكن تقسيمها الى فئتين : فئة تستطيع ان تقول انها ضللت نفسها وخدمتها في مدى الحرية التي يمكن ان تعطيتها لها حركة أوري أفنيري في التعمير عن آرائها مثل الشاعر سميح القاسم وغيره من المثقفين الذين اشتركوا في تحرير مجلة « هذا العالم » التي

صدرت آنذاك باللغة العربية . وثمة وصولية نفعية رأت في الانسواء تحت جناحي هذه الحركة طريقا للشهرة ، وهذه الفئة لا تختلف عن عرب الميام او أي حزب صهيوني آخر ، حيث ترى بمجرد سيرها مع حزب صهيوني نوعا من الحماية ، نظرا لان السياسة العامة للسلطة على المستوى الدعائي والرسمي الداخلي ، تحذر دائما من الانضمام الى/أو تأييد الحزب الشيوعي الاسرائيلي «راكاح» وتطارد مؤيديه واعضائه وتضطهدهم . من هذا نرى ان ما وقعت فيه الفئة الاولى من عناصر الشباب العربي هو نفس الوهم الذي وقعت فيه المنظمة بالنسبة لحركة اوري افنيري ، ومثلما ابتعدت المنظمة عن صفوف حركة اوري افنيري ، كذلك خرج هؤلاء الشباب من هيئة تحرير « هذا العالم » واتجهوا الى الحزب الشيوعي «راكاح» ( مثلا : استقالة الشاعر سبيع القاسم من هيئة تحرير « هذا العالم » وانضمامه الى اسرة تحرير الجديد والاتحاد ) .

هذا الموقف تجاه افنيري في انتخابات ١٩٦٥ يصعب فيه اذا ما اخذنا بعين الاعتبار تصريحات قادة المنظمة بأنهم آثروا الخروج من صفوف الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، بسبب مواقفه اللائقورية . والسؤال الذي يطرح نفسه تلقائيا ، اين هي مواقف افنيري الثورية ؟ في اعتقادي ان تلك الخطوة ، رغم بعض النقاط - استغلال الاطوار غير المبلور للحركة - كانت خطوة غير صحيحة ، وانهم كانوا آنذاك امام اختيارين لا ثالث لهما : اما تأييد «راكاح» او الامتناع عن التصويت .

**مشاكل وصعوبات :** ان الصعوبات التي تجابهها المنظمة على صعيد العمل السياسي في القطاعين العربي واليهودي أكبر وأضخم من طاقته المنظمة في الوقت الحاضر . ففي الوسط اليهودي تصطدم المنظمة بالايديولوجية الصهيونية المسيطرة على مفاهيم الغالبية الساحقة من الجماهير اليهودية . هذه الايديولوجية التي استطاعت على مدى ما يقارب القرن من تحقيق الانتصارات المتوالية بفضل مؤازرة الامبريالية العالمية . لقد توجت الصهيونية اهدافها باقامة دولة اسرائيل والمحافظة عليها وحتى توسيعها . هذه الايديولوجية نجحت في وضع الجماهير اليهودية امام خيارين لا ثالث لهما : اما الحفاظ وبشتى الوسائل على كيانها المستقل واما الغناء . وهذا الشكل القاسي يجعل ايا كان يختار

الخيار الاول ، وبالتالي نجد كثيرا من العناصر اليهودية التي تشعر بصدق ان هناك ظلما قد حل بحق الشعب العربي الفلسطيني غير قادرة على الاشارة الى مخرج من هذا الوضع . فلقد أصبح ينظر الى شعار « الحرب الابدية » بين اليهود والعرب على انه قدر ليس بالامكان تفاديه . هذا القرار يجر الى اقرار آخر بان الارتباط بالامبريالية العالمية والاميركية على وجه الخصوص هو ايضا ضرورة حتمية من اجل البقاء . لقد استسلمت الصهيونية ترسيخ كل هذه الامور في نفسية الانسان اليهودي على مستوياته المختلفة ، مستغلة بنجاح كبير الدعاية العربية الشوفينية التي كانت تصدر من بعض التيارات والحركات العربية . ولكن المنظمة باستغلالها كل مناسبات كانت تقوم بنشر افكارها وطرح التساؤلات حول مستقبل الشعب اليهودي على المدى البعيد مؤكدة دائما بان المصلحة الحقيقية للشعب اليهودي هي في النضال المشترك مع الشعوب العربية ضد الصهيونية والاستعمار والرجعية العربية . لقد كانت المنظمة ، تجاه الفكر الصهيوني القائل بان لا خيار امام اليهود الا ان يحافظوا دائما على وحدة داخلية متماسكة وعلى تفوق علمي وعسكري دائم ، تطرح بديلا ثالثا يدعو للنضال من اجل اقامة مجتمع اشتراكي في الشرق الاوسط العربي . ان هذا البديل الداعي للمشاركة في النضال الثوري من اجل اقامة المجتمع الاشتراكي في الشرق - اوسطي ، ينظر اليه حتى اولئك الذين لا يعارضون الفكرة من ناحية المبدأ ، على انه شعار مثالي لا ينطلق من واقع الظروف القالبي حاليا ولا يعالج المشكلة الملحة حاليا ، الا وهي قضية حرب حزيران ( يونيه ) ٦٧ وما ترتب عليها .

ثم تتورط المنظمة اكثر في عملها التحريفي بين الجماهير اليهودية عندما تؤكد ان هذا الاهداف الاستراتيجية مرهون تحقيقه بدرجة اولى بتغييرات جذرية في العالم العربي ، تتطلب وجود تنظيقات ثورية امنية توجه الجماهير وتقودها من اجل تحقيق الهدف الاستراتيجي على مستوى المنطقة . ولكن المنظمة رغم تقديرها للكفاح المسلح الفلسطيني فهي ما زالت ترى ان هذا البديل لم يخلق بعد سواء في الجانب العربي او الجانب الفلسطيني على وجه الخصوص ، لذلك يصعب على المنظمة الاجابة على السؤال التالي : اين هي الحركة الثورية الصحيحة الموجودة في العالم العربي وفي الجانب



فالسلمة بجهازها القومي الممثل في الاستخبارات والشرطة ، تنف بالمرصاد لكل تحرك سياسي او تنظيمي ( حتى لو كان ثقافيا ) اذا كان لا يسيطر عليه اعوانها . لقد كانت السياسة الرسمية للسلطة تجاه العرب في اسرائيل وما زالت تهدف الى عزل هذه الجماهير وابعادها عن مجريات التطورات السياسية وغير السياسية في العالم العربي ، لذلك كانت تشجع على الدوام نسلك العناصر التي تنادي بالواقعية والى ربط مصر العرب بمصر الدولة . لقد ايدت السلطة تلك العناصر ودعمتها وجمعت منها ممثلين ينطقون باسم العرب بشتى وسائل الضغط والارهاب ، مستغلة الناحية الاقتصادية حيث ان مصر السوق والايدي العاملة العربية متوقف على الجهة اليهودية التي تتحكم بالانتاج وتصريفه . يضاف الى العامل الاقتصادي العامل النفساني الذي استطاعت اجهزة الاعلام الصهيونية غرسه في نفوس الجماهير العربية مما ادى الى بروز تيار لا يؤمن بجدوى النضال حتى على مستوى النضال المطلب الذي تكفله القوانين في اسرائيل . بل يميل هذا التيار ويتبع اسلوب تحاشي الاحتكاك بالسلطة ، بمعنى عدم التعرض للامور السياسية الداخلية منها والخارجية ، والانطواء على الذات ومحاولة حل المشاكل بشكل فردي عن طريق الوساطة . ان السبب المركزي والرئيسي الذي ادى الى هذا الوضع هو حالة الجمود التي اصابت القضية الفلسطينية منذ حرب ١٩٤٨ ، هذه الحالة الناتجة عن الوصاية التي فرضتها الانظمة العربية على الشعب الفلسطيني . لذلك فالعرب الذين لم يغادروا البلاد يمكن تقسيمهم على ضوء ما ذكر الى قسمين : الاول قبل بالامر الواقع وربط مصيره بمصر الدولة وهو يتماثل كليا مع الخط الرسمي للسلطة . والثاني رفض التخلي عن ذاته ولكنه مع مرور الايام والسنين وقع فريسة للادهام التي زرعتها اجهزة الاعلام التابعة للانظمة العربية ، هذه الانظمة التي تجاهلت وجوده في الداخل ، وجعلت من نفسها وصيا على القسم الموجود منه خارج فلسطين . لذلك كان هذا القسم من العرب الموجودين في الداخل ينتظر خلاصه على ايدي الجيوش العربية ، ولم يشعر يوما ما بأنه مطالب بموقف يتعدى موقف المتفرج . هذا القسم من السكان العرب في اسرائيل يشكل القاعدة

الفلسطيني على وجه الخصوص التي يمكن ان يعتبرها نقطة البدء ؟ ففي تحليلات المنظمة للمقاومة من انها لا تتمدى كونها حركة تحرر وطني بقيادة لبرجوازية الصغيرة من جهة وانها تظل محصورة ضمن نطاق الاطار القومي من جهة ثانية . ان المنظمة تقرر بأن الكفاح الفلسطيني المسلح غير قابل على هزم العسكرية الاسرائيلية بمفرده حتى لو نيت التحولات المطلوبة داخل المقاومة الفلسطينية وتبنت الثورة الفلسطينية خطا ثوريا لسراكتا يدعو ويعمل من اجل الثورة الاجتماعية والسياسية على مستوى المنطقة . وبناء على ذلك ولها ترى ضرورة العمل من اجل ايجاد حركة رجعية ثورية على مستوى المنطقة تاخذ على يانها مهمة تحريض الجماهير وتقيفها وتعبئتها من اجل احداث التغيير اللازم الكفيل بالقضاء على المصالح الامبريالية وعملاتها في المنطقة بما في ذلك النظام الصهيوني . على ضوء هذه الصورة التي رسمتها المنظمة للواقع الشرق اوسطي حاليا نستطيع ان نفهم الصعوبات التي تواجه المنظمة خلال عملية التحريض السياسي التي تقوم بها ، كما واننا نستطيع ان « نتفهم » الهوة او الفجوة بين الهدف الاستراتيجي الذي تضعه المنظمة وبين اعدام وجود برنامج عمل واضح لتحقيق هذا الهدف . اذا اخذنا بعين الاعتبار تحليلات المنظمة للجنح الاسرائيلي التي تخرج بأن التناقض السياسي في هذا المجتمع يختلف عن المجتمعات الرأسمالية الكلاسيكية ، بمعنى ان هذا التناقض هو تناقض خارجي، تتضح لنا اهمية وجود الشريك في الجانب العربي ، لان اي برنامج عمل يتعدى النضال المطلب في الجانب الاسرائيلي يصبح غير ذي جدوى حتى على المستوى السياسي - اي بل تصعيده الى المرحلة الارقى - اذا لم يتوفر الشريك في جانب الاغلبية اي الجانب العربي . على ضوء هذا الواقع السياسي نستطيع ان نفهم عدم قدرة اي تنظيم « ثوري » مثل المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية على اختراق الحاجز الاكاديمي والتحول الى تنظيم سياسي جماهيري . ما في القطاع العربي فتجاهه المنظمة عائقين يحدان من فعاليتها وامكانية قيامها بالتحريض السياسي بين الجماهير العربية . هذان العائقان يتمثلان في كونين سياسيتين مختلفتين هما السلطة وجهازها البوليسي والحزب الشيوعي الاسرائيلي « راکاح » .

المؤثرة والموجهة والضاغطة في هذا القطاع نراما .  
منطلق قومي يرى في الناصرية ممثلة للحركة العربية  
القومية وللتحرر السياسي والاجتماعي ومكافحة  
الاستعمار والصهيونية . هذا التيار القومي يتمركز  
لعملية كبح وتوجيه من جانب الحزب الشيوعي  
الاسرائيلي « راکاح » ، حيث يشكل الحزب  
« راکاح » الاطار السياسي الذي يعمل من خلاله  
هذا التيار ، حيث يقوم الحزب بامتصاص هذه  
الطاقة وتوجيهها في اقلية النضال المطلوب  
الشرعي . اما العامل الضاغط والكايت فيتمثل  
في السلطة بأجهزتها المختلفة التي تشكل عامل  
ردع للجمهور العربي ، بحيث تقوم بعملية تهديد  
وترغيب لعزل الجمهور العربي وخصوصا الشباب  
المتقف عن العمل السياسي حتى لو اتخذ الشكل  
الشرعي الذي يكفله القانون .

هذا هو واقع الامور في الوسط العربي الذي يجب  
ان نتفهمه المنظمة او اي تنظيم ثوري آخر ،  
والصعوبات التي تواجهها المنظمة في الوسط  
اليهودي لا تقل جسامه عن تلك التي تواجهها في  
الوسط العربي . هنالك قاسم مشترك لهذه  
الصعوبات يتمثل في النظرة الى المنظمة على انها  
مجموعة من الشباب المثقف المغامر وغير الواقعي .  
على ضوء هذا المناخ السياسي والايديولوجي السائد  
في اسرائيل سواء في القطاع العربي او اليهودي  
يجب ان ننظر الى فعاليات المنظمة . وتقييمنا للمنظمة  
يجب ان يستند بالدرجة الاولى الى عملية تحليلها  
وجراتها في طرح قضية الشرق الاوسط والنزاع  
الاسرائيلي - العربي ، لا الى مدى حجبها وتأثيرها  
على الجماهير في الداخل . لاننا اذا نظرنا الى  
هذا الامر نسنجد ان المنظمة هي « ظاهرة » جديدة في  
المجتمع الاسرائيلي أكثر منها تيار سياسي  
جماهيري ، مع الاخذ بعين الاعتبار ان أي احتمال  
لحدوث تغيير جذري في البنية السياسية الاسرائيلية  
يعتمد على عوامل خارجية في الدرجة الاولى . هذه  
العوامل الخارجية التي تتجسد في تبلور حركة از  
جبهة ثورية عربية تضع حلا للمعضلة القائمة حاليا  
حول ماهية الصراع مع الصهيونية على الذي  
الطويل بمعنى هل تتركز الجهود حول ترويسة  
المعركة ، ام تتركز الجهود لجعل الصراع أكثر  
شمولا وعمقا بحيث توجه الجهود ضد الصهيونية  
والرجعية العربية والمصالح الامبريالية في المنطقة  
في آن واحد . في اعتقادي ان الحسم في هذه

الجماهيرية للحزب الشيوعي الاسرائيلي « راکاح » .  
ولكن من الجدير بالذكر ان الجزء الاكبر من هذه  
القاعدة غير منتظم رسميا داخل صفوف الحزب ،  
بل يرى في الحزب اطارا شرعيا يمارس من خلاله  
حركته السياسية في مناهضة السياسة الاسرائيلية  
الرسمية على الصعيدين الداخلي والخارجي . على  
ضوء ما ذكر نرى ان الظروف الخارجية والداخلية  
جعلت من الحزب الشيوعي الاسرائيلي « راکاح »  
المتنافس الوحيد للجماهير العربية في نضالها اليومي .  
لقد ازداد نفوذ الحزب الشيوعي في الوسط العربي  
بسبب التقارب المصري - السوفياتي الذي تجلى  
في التنسيق السياسي والعسكري والاقتصادي بين  
البلدين . لقد كانت العلاقات العربية - السوفياتية  
وما زالت عامل سلب او ايجاب بالنسبة لحجم  
التأييد الذي يناله الحزب الشيوعي الاسرائيلي  
« راکاح » في القطاع العربي . والدليل على ذلك  
ان الحزب في انتخابات ١٩٥٩ خسر ما يقارب نصف  
الاصوات بسبب النزاع السوفياتي - العربي في  
نلك السنة . بناء على هذا كله نرى ان هذه  
الجماهير اصبحت تقرر موقفها من التنظيمات  
السياسية في الداخل والخارج على ضوء موقف  
هذه التنظيمات من النظام الناصري الذي تعتبره  
املها الاكبر في الخلاص رغم تقديرها وعطفها  
الصامت على حركة المقاومة . وهي لا ترى ولا تريد  
ان ترى اي ترابط بين قبول قرار مجلس الامن  
ومن بعده مبادرة روجرز وبين ما تتعرض له المقاومة  
من محاولات التصفية على أيدي النظام الاردني .  
انها لا تريد ان ترى ذلك دناعا عن نفسها واملها  
في الخلاص ، وهي ستبقى كذلك طالما لم يتبلور  
بديل جاد يأخذ على عاتقه مهمة تعبئة الجماهير  
وتثقيفها ليس فقط من اجل خوض معركة التحرير  
بل من اجل خوض معركة التحرر السياسي  
والاقتصادي والاجتماعي على صعيد الوطن العربي .  
هذه المهمة ليست سهلة . ولكنها ليست صعبة  
المنال ايضا ، وهي تتطلب تنسيقا كاملا بين جميع  
التنظيمات السياسية الثورية في العالم العربي بما  
فيها العمل الفدائي ، من جل اقامة جبهة ثورية  
عريضة تضع برنامجا للعمل السياسي والعسكري  
( حد ادنى ) تتفق عليه جميع التنظيمات .

هذه صورة مبسطة للتيارات الفكرية والسياسية  
السائدة في ذلك القطاع من السكان العرب الذين  
لم يسلموا بالامر الواقع . فاذا لخصنا العوامل

منظمة له أهميته الكبرى سواء سلبا او ايجابا على  
أي عمل سياسي ثوري داخل الارض المحتلة . ففي  
حالة الحسم في هذا الموضوع على الصعيد النظري ،  
ووضع برنامج عمل سياسي وعسكري يأخذ بعين  
الإعتبار الظروف الموضوعية القائمة في المنطقة عامة  
وبسببها إسرائيل ، وإمكانات القوى الثورية التي  
تلتقي حول الهدف الاستراتيجي للعمل الثوري  
وحول استراتيجية الكفاح المسلح يصبح بالإمكان  
وضع شعارات كل تنظيم ثوري في المنطقة وخصوصا  
داخل إسرائيل موضع الإختبار . ان تحقيق هذا  
الهدف ، أي وحدة القوى الثورية حول الإبعاد  
المسكوية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية  
للمسألة يتطلب شرطين رئيسيين هما : ممارسة  
النقد والنقد الذاتي ، والإخذ ببدا الديمقراطية  
المرتكزة في جميع الامور .

**المنظمة والانشقاق :** تشكلت المنظمة منذ تأسيسها  
من ثلاث مجموعات . المجموعة الاولى كانت تتكون  
من بعض افراد الحزب الشيوعي الإسرائيلي ( قبل  
انشقاقه ) وافراد هذه المجموعة ما زالت اغلبيتهم  
ضمن اطار المنظمة الام بعد الانشقاق . اما المجموعة  
الثانية فكانت تتكون من بعض الأفراد الذين انشقوا  
عن « حركة العمل السامي » . افراد هذه  
المجموعة لم يحافظوا على أي نوع من التكتل  
ولم يشكلوا تيارا بحد ذاته ، بسبب افتقارهم منذ  
البداية — أي قبل انشقاقهم عن حركة العمل  
السامي — إلى أية ايدولوجية واضحة . اما  
المجموعة الثالثة فكانت تمثل التيار التروتسكي  
في المنظمة الذي يتبع ما يسمى « السكترتاريا  
العالمية للاممية الرابعة » هذه الالوان الرئيسية  
للمنظمة تعددت وتفرعت أكثر بعد حرب يونيو ،  
حيث انضم إلى المنظمة بعض الشباب الآتي من  
فرنسا ومن امريكا اللاتينية والمانيا الغربية وبعض  
عناصر من حزب المابام او مؤيديه ، معظم هذا  
الشباب اليهودي المهاجر كان ضمن اطار اليسار  
الصهيوني في بلاده ، ولكنه صدم بالواقع عندما  
هاجر إلى إسرائيل ، حيث اخذ الوجه الحقيقي  
والدور الحقيقي للحركة الصهيونية يتضح له ، ولكن  
هذا لا يمنع بقاء بعض الرسوبات من الفكر  
الصهيوني احيانا في نفسية وفكر هؤلاء الشباب .  
ولكن بقيت بعض الامور التي توحد هذه المجموعات  
رغم تعدد ألوانها واختلاف بلدانها الاصلية وبالتالي  
اختلاف المؤثرات الفكرية عند كل مجموعة . من

جملة الامور الموحدة سواء على الصعيد العالمي  
او على الصعيد الداخلي :

( ١ ) كون المنظمة على صعيد الفكر امتدادا لحركة  
اليسار الجديد التي اجتاحت اوربوا في اوائل  
الستينات . ان هذه الحركة ، برغم تعدد تياراتها  
واجتهاداتها بالنسبة لبعض القضايا وخصوصا  
قضايا العالم الثالث ، تتفق حول موقفها من  
الاحزاب الشيوعية في بلدانها وحول تحليلاتها  
لطبيعة النظام السوفييتي والسياسة الخارجية  
اللاثورية للحزب الشيوعي السوفييتي التي جعلت  
من الاحزاب الشيوعية في العالم مجرد احزاب  
اصلاحية لا تسعى لاستلام السلطة فحسب بل  
وترفض العنف كوسيلة للوصول إلى ذلك ، كما  
وانها اخذت على عاتقها مهمة الدفاع عن السياسة  
الخارجية للاتحاد السوفييتي .

( ٢ ) على الصعيد الداخلي تتفق المجموعات التي  
تشكل المنظمة حول نظرتها إلى الحزب الشيوعي  
الإسرائيلي وفي كونه حزبا لم يعد باستطاعته حمل  
الاعباء الثورية المتوجبة على كل حزب ماركسي —  
لينيني . كما وانها تتفق جميعا على عدم استطاعتها  
ممارسة افكارها السياسية والقيام بالدعاية  
والتنقيف ضمن اطار الحزب الشيوعي بسبب تخلي  
الحزب عن مبادئ النقد والنقد الذاتي وبسبب  
تفشي البيروقراطية في قيادة الحزب . يضاف إلى  
هذا مواقف الحزب من بعض القضايا العالمية  
والداخلية قبل وبعد انشاء المنظمة .

جميع هذه المواقف التي وحدت الجاعات المختلفة  
التي كونت المنظمة الاشتراكية الإسرائيلية على  
الصعيد النظري وعلى صعيد التحليلات لعدة  
قضايا داخلية مثل النظرة إلى الصهيونية والنظرة  
إلى المجتمع الإسرائيلي والموقف من الهستدروت  
وغيرها من القضايا ، كانت تبطن في داخلها تباينا  
في الاستنتاجات المترتبة عن هذه التحليلات ومن ثم  
تباينا في التكتيك المتوجب اتباعه على صعيد  
الممارسة العملية للمواقف . بقيت هذه التباينات  
تتفاعل وتتفاقم حتى أصبح الوضع داخل المنظمة  
لا يطاق حسب تعبير الجميع . برغم معرفة الجميع  
منذ البداية بوجود بعض الخلافات فان الاعتقاد  
السائد في المنظمة كان يرى بأن هذه التباينات عدا  
عن كونها ظاهرة صحية فانها لا بد ستقضى مع  
مرور الزمن نتيجة للممارسة المشتركة للنضال  
ونتيجة لحرية الرأي والحوار التي حرصت المنظمة

على ان تكتلها . ولكن الذي حدث ان هذه البيانات اوصلت المنظمة في الآونة الاخيرة الى ما يشبه حالة الشلل .

يضاف الى ذلك كله نفشي عدم الانضباط وهبوط مستوى الفعالية كنتيجة لاختلاف وجهات النظر . جميع هذه الامور ابتداء من التباين في الاستنتاجات المترتبة عن التحليل وانتهاء بعدم القناعة الذاتية من مستوى وشكل النضال ، بالاضافة الى عامل الحساسيات على المستوى الشخصي الذي لمستته شخصيا ، رأى الجميع ان الانشقاق هو المخرج لهذا الوضع ، بحيث تصورت كل فئة بأنها اصبحت تملك حرية الحركة أكثر من السابق . ولكن الامر الذي ما زال قائما هو ان الانشقاق عدا عن انه لم يؤد الى سد الفجوة بين الهدف الاستراتيجي للمنظمة وجناحيها المنشقين وبين خطة العمل لتحقيق الهدف الاستراتيجي ، فلقد ادى الى زيادة الغموض والنظرة غير الجدية لسعرات هذا اليسار الثوري على اختلاف اجنحته . اذا ما تمعنا في الاتهامات المتبادلة بين الاجنحة الثلاثة ، والرودود على هذه الاتهامات ، نرى ان الميزة الرئيسية لهذه الرودود هي نفي قاطع لمعظم هذه الاتهامات ، ولكن تبقى بعض الميزات الرئيسية التي يمكن اضافها على كل تنظيم . فالنتيجة المستخلصة من الحوار بين المنظمة الام ومجموعة اللامبرتيين هي ان نقطة الخلاف المركزية ليست حول التحليل لطبيعة المجتمع الاسرائيلي ، بل حول النتائج المترتبة عن هذا التحليل واثرها على ماهية العمل السياسي والتحريضي واتجاهاته . هذه هي النقطة المركزية والجوهرية في الخلاف بين المنظمة الام والاتحاد الشيوعي الثوري من جهة وبين اللامبرتيين من جهة ثانية . وفي هذا المجال يظهر مدى الاتجاه الدوغماتي عند اللامبرتيين ، حيث ان الموقف النظري الصحيح من قضية معينة يصبح نوعا من الجمود الفكري اذا تعامى عن الظروف الموضوعية القائمة في البلد المعين . لذلك فان التركيز على التناقض الطبقي داخل اسرائيل ، ومن ثم بناء استراتيجية العمل الثوري على هذا الاساس ، يمكن ان يؤدي بالنضال الثوري الى منزلق النضال المطلبى الصرف ، والى الوهم في امكانية احداث تغيير جذري وثوري في بنية وايدولوجية المجتمع الاسرائيلي السياسية والاقتصادية والاجتماعية من الداخل وعلى الاخص الشرائح العمالية لهذا المجتمع .

هنالك نقطتان تجمعان بين الاتحاد الشيوعي الثوري واللامبرتيين في موقفهما من المنظمة . النقطة الاولى تتعلق باتهامهما للمنظمة بانها ترفض اعداد برنامج عمل سياسي . اما النقطة الثانية فتتلخص بان كلا التنظيمين يرى بان المنظمة اضحت تشكل تحجما متباينا لمعارضى الخط الرسمي للسلطة على كافة المستويات اكثر من كونها تنظيما له مواقف محددة ويخضع اعضاؤه لبدأ الديمقراطية المركزية في ممارسة المواقف النظرية على الصعيد العملي ول نشاط وتصرفات الاعضاء . وبينما ترفض المنظمة الاتهام الثاني فانها تقر بالاتهام الاول بمررة هذا الموقف بانها تفضل تطوير برنامج بشكل عفوي ، ليسير التطور السياسي والفكري للتنظيم وانها ليست ضد الفكرة مبدأيا . رغم اقرار الاجنحة الثلاثة باهمية وضرورة العمل والتواجد في الوسط العربي في اسرائيل ، فان نشاط المنظمة الى ما قبل الانشقاق لم يكن بالمستوى المطلوب لاقامة علاقات جدية في هذا الوسط وخصوصا مع الشباب المثقف والعمال . لقد كان اعضاء المنظمة يظهرون في الشارع العربي في المواسم الانتخابية والمناسبات الاخرى فقط ، وهكذا فان عمل المنظمة في هذا الوسط لم يكن عملا متواصلا هادئا وهادئا بل كان يهدف الى احداث اكبر قدر من الفجوة الامر الذي لفت الأنظار الى المنظمة ولكنه لم يؤد الى النتيجة المرجوة من كل عمل سياسي وتحريضي وهي في البداية نشر الامكار ومن ثم كسب عطف وتأييد السكان ككل وبالتالي اجتهاد العناصر الواعية الى صفوف التنظيم ، بمعنى التواجد ، لقد فشلت المنظمة في التواجد في الوسط العربي والاسباب متعددة ، منها ان العمل الدعائي كان على فترات متقطعة ، ومنها ان المنظمة لم تبذل جهدا مركزا من اجل اقامة صلات وثيقة ومستمرة على المستوى الشخصي كبدائية من اجل انشاء خلايا صغيرة ، ومنها عدم استطاعة المنظمة ازالة الغموض حول جدية مواقفها النظرية ، ومدى استعدادها لتحويل هذه المواقف الى ممارسة عملية ، بالاضافة الى عدم تفهم صحيح للواقع السياسي في الوسط العربي ، الامر الذي يتطلب اسلوب عمل خاص ، على اعتبار ان الهدف النهائي للعمل التحريضي ليس اعداد الجماهير لخوض النضال المطلبى فقط ، بل الى الارتقاء بهذا النضال الى مرحلة العنف . لقد اخذ الاتحاد

الشيوعي الثوري هذا الامر بعين الاعتبار مستفيدا من تجربة المنظمة في الوسط العربي ، بحيث يقوم بعمل أكثر كثافة وتركيزا وأقل صحبا ، وهذه هي الميزة الرئيسية للاتحاد الشيوعي الثوري في عمله السياسي سواء بين الجماهير اليهودية أو العربية . يشدد الاتحاد على ضرورة إقامة جبهة ثورية في إسرائيل تأخذ على عاتقها على المدى البعيد هدف تحضير وتنظيم وإدارة الصراع ضد الحكم الصهيوني على ضوء الأهمية البروليتارية ، بجميع الطرق التي ترتئها هذه الجبهة . لقد حقق الاتحاد الشيوعي الثوري نجاحا كبيرا في عمله في الوسط العربي في فترة وجيزة يعاين إلى عمل المنظمة في هذا الوسط ، يختلف الاتحاد الشيوعي الثوري عن الجناحين الآخرين في نظريته وتعيينه للعمل الفلسطيني المسلح ، رغم إقراره بعدم تبلور بديل أممي في صفوف حركة المقاومة الفلسطينية ، ورغم إقراره بأن النصر النهائي على الصهيونية مرتبط بقيام جبهة ثورية على مستوى العالم العربي تأخذ على عاتقها إدارة الصراع ضد الصهيونية والاستعمار والرجعية العربية ، وتقوم في نفس الوقت بمحاربة الاتجاهات الشوفينية في أوساط حركة التحرر العربي . يتجسد هذا الاختلاف في تركيزه على أهمية تفتيت تدريجي للتفوق العسكري الإسرائيلي حاليا . هذا الشعار يمكن أن يضم نوى ثورية تتباين في التفاصيل ولكنها تلتقي حول الاستراتيجية العامة للنضال ، ذلك النضال المشترك كنبيل بتوحيد تلك القوى في النهاية إذا نشى على أساس ديمقراطي يكفل حرية النقد والنقد الذاتي . كما وينتقد الاتحاد موقف المعلم والمرشد الذي يتبعه الجناحان الأخران من القوى الثورية في المنطقة .

يختلف الاتحاد الشيوعي الثوري عن الجناحين الآخرين في موقفه من الاتحاد السوفييتي ، ورغم اتفاقه مع الجناحين الآخرين في تحليل طبيعة النظام والحزب الشيوعي السوفييتي ، غير أن هذا الموقف يبقى أكثر « اعتدالا » وأقل حدة من بعض القضايا على الصعيد الداخلي في الاتحاد السوفييتي . فعلى سبيل المثال نرى أن الاتحاد الشيوعي الثوري أسقط من برنامجه السياسي بدا كان قد ضمنه لاقتراح برنامج العمل السياسي الذي قدمه إلى المنظمة قبل الانشقاق . هذا البند

ينص على ما يلي : « التضامن مع العمال ، والمثقفين والقوميات المضطهدة في الاتحاد السوفييتي » « والدول العمالية » في نضالهم ضد سلطة الثورة المضادة البيروقراطية ومن أجل ديمقراطية اشتراكية » ( من نشرة خاصة أصدرها الاتحاد الشيوعي الثوري قبل الانشقاق ) . إن أسقاط هذا البند له دلالاته ، ولقد اتضح من هذه الدلالة أثناء « محاكمات ليننغراد » حيث رفض الاتحاد الشيوعي الثوري اعتبار هذه القضية ، قضية ديمقراطية تتعلق بالحرريات الشخصية . ورغم موقف المنظمة القائل بضرورة ضمان حرية الهجرة لمواطني الاتحاد السوفييتي بما يفهم اليهود . هذا الموقف الذي يبدو موقفا ديمقراطيا على الصعيد النظري بغفل الناحية الموضوعية ودور الصهيونية في تلك القضية ، ويتخذ منها ذريعة للتبجح على الاتحاد السوفييتي وموقفه من الاقلية القومية .

لقد حاولت إعطاء صورة واضحة قدر الإمكان عن الانشقاق الأخير ، معتمدا في هذا على معاشتي لتلك الفترة وعلى صلاتي الشخصية بذلك الأجنحة الثلاثة بعد الانشقاق ، مبينا الاتجاهات أو الاتجاه المركزي للجناحين المنشقين . وتحاشيت قدر الإمكان التكرار لأن الملاحق التي الحقها الباحثة في كتابها تتضمن بعض المغالطات التي تدور حول موضوع الانشقاق ، ولكن هذه الملاحق أعطت فقط موقف المنظمة وردودها على النقاط التي أثارها المنشقون . أما الانطباع العام لكل من يقرأ كتاب الباحثة حول مواقف المنظمة والأجنحة المنشقة على الصعيد النظري والممارسة العملية فيبقى غير كاف . أما الإجابة على السؤال المركزي التالي : أين تنف المنظمة والجناحان المنشقان من استراتيجية الكفاح المسلح ؟ فإن الجواب على هذا السؤال يجب أن يأتي من قبل المنظمة الأم وجناحيها المنشقين بشكل عملي تثبت فيه خروجها في ممارستها العملية لمواقفها النظرية عن إطار النضال المطلوب للصرف ، مع الأخذ بعين الاعتبار بأن الانشقاق الأخير يعبر في ماهيته عن عدم القناعة من أسلوب الممارسة العملية للمواقف النظرية وبأن الانشقاق لم يتجاوز في عمره السنة وهي بالطبع غير كافية للحسم في قضية على غاية من الأهمية كهذه .

هاني العبدالله

## تقارير ورسائل

### مؤسسات البحث الاميركية والقضية الفلسطينية

الى القول ان على السياسة الاميركية ان لا تتعرف الخطأ ذاته في الشرق الاوسط ، الذي تمثل أهمية المصالح الاميركية فيه اهميتها في الهند الصينية او ربما تزيد . ولذا فان على السياسة الاميركية ان لا تعتمد على المصادر البريطانية والفرنسية في فهم المنطقة ، بل ان عليها ان تقوم ببحث أصيل لكل ما يتعلق بالمنطقة وشعوبها ، لتبين من تحديد خطواتها السياسية وضبطها بدقة ، وتستطيع توقع ردود الفعل عليها .

ويبدو ان مراكز التقرير السياسية الاميركية قد أخذت بهذا الرأي ، اذ تجري الان في الولايات المتحدة دراسات مستفيضة للشرق الاوسط والشعوب العربية من مختلف النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والديموقراطية والتاريخية والنفسية . ويشترك في هذه الدراسات عدد من مؤسسات البحث والمراكز العلمية والأفراد ، ويقوم بالتنسيق ما بين هذه الجماعات ، وما بين خطوط البحث المختلفة مؤسسة فورد التي عهدت بها الحكومة الاميركية بذلك .

ولا شك في أن هذه الابحاث ، على شمولها واتساعها واهتمامها بأدق التفاصيل ، تركز على دراسة الشعب الفلسطيني والفرد الفلسطيني والحركة الوطنية الفلسطينية . ويعود ذلك الى أن السياسة الاميركية تعتبر أن احد اهم الاهداف التي تضعها على رأس قائمة اولوياتها هو تحقيق تسوية سلمية لنزاع الشرق الاوسط . ولا تنتصر هذه التسوية كما تريدها السياسة الاميركية على العودة الى الاوضاع التي كانت سائدة قبل حرب حزيران ، او التقدم عليها خطوة او خطوتين بتحقيق اعتراف عربي واقعي وقانوني ودبلوماسي بإسرائيل ، بل تتعدى ذلك الى الاندفاع بانشاء ائتلاف وحدة اقتصادية تنتظم المنطقة كلها ، وتلعب فيها اسرائيل دور الشريك الاصغر للامبريالية

يعمد البعض الى القول ان سياسة الدعم الاميركية لاسرائيل ومطامحها تقوم على سوء فهم الدوائر الاميركية الحاكمة لمصالح الولايات المتحدة في الشرق الاوسط ، وينتهي هؤلاء الى القول ان مجابهة اميركا ومصالحها في المنطقة تلحق الضرر بالقضية العربية ، لان ذلك يجعل من اسرائيل الحليف الوحيد للولايات المتحدة في المنطقة . والمطلوب ، في رأي هؤلاء ، ليس اكثر من تبصر الولايات المتحدة بمصالحها الحقيقية ، بالدعاية الذكية طبعاً . ولا شك في أن الوجه الاخر لهذا المنطق هو منطق ان اميركا ضحية للدعاية والنفوذ الصهيونيين ، وأن من مصلحة العرب أن يخلصوها بوسائل وديعة ، على رأسها الدعاية الذكية مرة اخرى . ولا شك في أن هذين المنطقتين ، بغض النظر عن الدور السياسي والاجتماعي الذي يلعبانه ، متهافتان لسبب بسيط هو أن اميركا تعرف مصالحها في المنطقة العربية معرفة كاملة ، تماماً كما تعرف مصالحها في الهند الصينية او في اي مكان اخر من العالم .

غير ان من يملكون سلطة التقرير السياسي في الولايات المتحدة بدأوا مع التورط الاميركي في الهند الصينية يشعرون أن تحديد المصالح الاميركية في هذه المنطقة او تلك من العالم لا يكفي لتحديد سياسة اميركية سليمة ، من وجهة النظر الاميركية بالطبع . وشاهد هؤلاء على ذلك ، أن اميركا تورطت في فيتنام رغم معرفتها الدقيقة والتفصيلية لمصالحها في المنطقة . ويعزو هؤلاء الفضل الاميركي الى أن اميركا لم تأخذ بالحسبان المقاومة الصلبة البطولية التي جابهت بها جماهير فيتنام العدوان الاميركي ، ويذهبون الى القول أن ذلك يعود الى اعتبار السياسة الاميركية في معرفتها لفيتنام ولشعب فيتنام على مصادر ثانوية أغلبها فرنسي ، فهي لم تقم من جانبها بدراسة اولية لفيتنام والاضاع الفيتنامية . وينتهي هؤلاء

الأمريكية في نهب المنطقة وثرواتها واستغلال شعوبها . ولهذا الأمر أهمية كبرى في نظر السياسة الأمريكية ، فهي من جهة تريد تحقيق توازن دائم وثابت في المنطقة لا تهدده احتمالات النمو الثوري، وهي من جهة ثانية تشعر أن أميركا لا تستطيع أن تستمر في حقن إسرائيل بالمساعدات المالية والإقتصادية إلى الأبد ، وأن على المشروع الاستيطاني الصهيوني أن يصبح قابلا للحياة والاستمرار بذاته . ومن هنا تركز الأبحاث والدراسات التي أشرنا إليها على الفلسطينيين والحركة الفلسطينية . فالسياسة الأمريكية تعتقد أنه على الرغم من أن المقاومة الفلسطينية لم تعد بعد الضربة القاسية التي وجهها لها النظام الإسرائيلي فعالة عسكريا ، إلا أنها لا تزال عمالة جدا سياسيا . فالمقاومة هي العنصر الوحيد في المنطقة الذي لا يزال يهدد بتعقيد احتمالات التسوية السلمية ، أو أنه على حد تعبير السياسة الأمريكية عنصر التطرف الجدي الوحيد في المنطقة . وتزداد أهمية دراسة الفلسطينيين والحركة الفلسطينية في نظر السياسة الأمريكية لأن هذه السياسة تشعر أن المقاومة تدخل عنصرا من الشك على الحسابات السياسية الأمريكية ، إذ لا يمكن حتى الآن توقع ردود فعلها واتجاهات استجاباتها ، أو سلبا أو إيجابا بالعلاقة مع الخطوات السياسية المحتملة .

تعتمد الدراسات الجارية للشعب الفلسطيني على مصادر مختلفة ومتعددة ، لكن ما يهمننا هنا هو الإشارة إلى المصادر التي تعتمدها الأبحاث الجارية حول المقاومة الفلسطينية . أول هذه المصادر هو ملفات استجواب آلاف المعتقلين الفلسطينيين في سجون العدو . ونستطيع أن نقدر أهمية هذا المصدر حق قدرها ، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الاستجواب الذي يجري للمعتقلين ليس استجوابا بسيطا يهدف إلى تحديد مسؤولية المستجوب عن هذا العمل أو ذاك ، بل هو استجواب مركب يهدف إلى معرفة أوفى التفاصيل عن مختلف الجوانب : نمط الإعداد الذهني والنفسي والثقافي للمقاتلين ، نمط الإعداد العسكري لهم ، أجيال داخل المنظمات الفلسطينية ، علاقات المقاتلين ببعضهم بعضا وبرؤسائهم ، التركيب التنظيمي للمنظمات وعلاقة الأجهزة السياسية بالأجهزة العسكرية ، أسماء القادة وخلفياتهم الاجتماعية والسياسية وشخصياتهم، مراكز القوى

وتوزيع التكتلات داخل كل منظمة . ولا يجري هذا الاستجواب عشوائيا، بل طبقا لاستبيانات متكاملة معدة سلفا وبدقة . ويركز الاستجواب على عناصر الكادر الوسيط في الحركة الفلسطينية الذين يقعون أسرى في قبضة العدو ، فالكادر الوسيط يتمتع بأهمية بالغة في أي حركة سياسية مسلحة ، إذ أنه هو الحزام الذي يصل ما بين القمة والقاعدة ويضمن للحركة تماسكها أو يتسبب في ضعفه . ولذا يسمى الاستجواب إلى دراسة عناصر هذا الكادر بدقة ، وكثيرا ما يتعمد إجراء نقاشات بين هؤلاء وبين اختصاصيين في مسائل قد تبدو وكأن لا علاقة لها بالموضوع ، ولكنها في الحقيقة تهدف إلى دراسة شخصيات المستجوبين وقدراتهم .

أما المصدر الثاني الذي تعتمد عليه مؤسسات البحث الأمريكية في دراسة المقاومة فهو المواد المنشورة عنها . وتشكل هذه المواد بالفعل ثروة هائلة من المعلومات ، إذ يندر وجود حركة تحرر وطني صدر عنها وكتب فيها بكثرة ما صدر عن المقاومة الفلسطينية وكتب فيها . فلقد عاملت المقاومة مسألة الدعاية والإعلام بطريقة يغلب عليها الانكشاف وتشويهها السذاجة ، فصدرت عنها آلاف البيانات ، وزار قواعدا ومكاتبها ومقراتها آلاف الصحفيين والزوار ، وصورت عن حياتها وحتى عملياتها مئات الأفلام التلفزيونية. لقد كانت المقاومة تكاد تفتح أبوابها لكل طارق ، ويقابل مسؤولوها كل من طلب المواجهة . ويكفي في هذا المجال أن نشير إلى أن سكرتيرة أوري أفنيري ، حضرت إلى الشرق الأوسط بجواز سفر أميركي منتحلة صفة صحفية ، وتقابلت عددا من مسؤولي المقاومة وزارت عددا من القواعد ، ثم عادت إلى أميركا وإسرائيل لتتحدث عن مشاهداتها في الصحف والإذاعات وعلى شبكات التلفزيون . وبالطبع يمكن للمؤسسات الأمريكية أن تستفيد استفادة تصوى من كل ما نشر، بعد أن يتم تبويبه وتصنيفه وتحليله ومقارنته . هذا بالإضافة إلى أن كثيرين ممن استطاعوا الوصول إلى المقاومة بالطريقة أياها لم ينشروا ، بل كتبوا تقارير مباشرة إلى المخابرات الأميركية ، وكثيرين ممن نشروا لم ينشروا كل شيء بل وضعوا ما تبقى تحت تصرف هذه المخابرات .

ولعل من أهم الدراسات التي أجريت حول المقاومة الفلسطينية دراسة مقارنة بينها وبين حركة التحرير الوطني الفيتنامية ( الفيتكونغ ) . وقد تسربت بعض المعلومات حول هذه الدراسة، ويمكن تلخيص

أهم ما جاء فيها في النقاط التالية :

١ - يؤكد الفيتكونغ تأكيذا كبيرا على التمسك بالحياة وضرورة المحافظة على القوى البشرية ، وتنفيذ العمليات والتصدي للهجمات بأقل ما يمكن من الخسائر في الأرواح ، وبالمقابل تؤكد الحركة الفلسطينية على تجريد الموت والسمي السى الشهادة . وببيل ذلك في الحالة الفلسطينية الى زيادة عدد الاصابات خلال الاشتباك ، لانه نفسيا يقلل من سرعة استجابة المقاتل للمؤثرات الخارجية ويحقتنه بنوع من الجبرية تدفعه احيانا الى الصمود حيث يجب الهرب والى اقتحام الاخطار حيث ينبغى تجنبها .

٢ - يولي الفيتكونغ أهمية كبيرة للعلاقة بين التكتيكات والسلاح ، فهم يركزون على معرفة المقاتل لزايا وسهات سلاحه التمبوية معرفة كاملة ، ويهتمون اهتماما بالغا بتكامل أسلحة المجموعة القتالية وتناسب أسلحة المجموعة مع المهمة الملقاة على عاتقها سواء كانت كميئا ام اقتحاما ام مناوشة أو غير ذلك من صنسوف الاشتباك . أما في الحركة الفلسطينية فتكاد نقاط التركيز هذه تكون غائبة ، وبالمقابل يميل المقاتل الفلسطيني الى امتلاك احدث انواع السلاح وأكثرها فعالية مما يخلق نوعا من التهازل في اسلحة المجموعة الواحدة يحول دون تكاملها .

٣ - يعبد الفيتكونغ في الاعداد الذهني والنفسي لجبهة اعضائهم الى التركيز على قضايا عيانية وأهداف ملموسة مثل الفظائع التي يرتكبها العدو والاوضاع السيئة التي يعاني منها الشعب والرفاه الذي سيحققه انتصار الثورة والارض التي ستوزع على الفلاحين لدى تحرير المناطق وما الى ذلك ، أما حركة المقاومة فتبيل الى التركيز على قضايا وأهداف مجردة ، مثل الظلم الواقع بالشعب والعدالة والحق للذين يجب ان ينتصرا واعلاء كلمة العرب ورفع شأنهم والديالكتيك والتاريخ وما الى ذلك . ويبدو ان النوع الاول من الاعداد أقرب الى اذهان الجماهير وأقدر على تمبئتها بصلابة ، بينما يفشل النوع الثاني في تحقيق مستوى مرتفع من التعبئة والصلابة .

٤ - ليجأ الفيتكونغ الى اساليب مدروسة للتجنيد واختيار الاعضاء ، ويتبنون اسلوب الانتقاء ، وبعد التجنيد يعمدون الى اختبار المجندين ومن ثم توزيعهم على المهام التي تناسب كلا منهم . أما أنبساط التجنيد في الحركة الفلسطينية فمختلفة وعشوائية

ولا تعلق أي قدر من الاهمية على الاختيار الدقيق للاعضاء . ويصيب هذا الامر المقاومة بضعف بالغ ، اذ يتيح وصول عناصر ضعيفة الى التنظيم والوحدات المقاتلة ، ولما كانت قوة أي وحدة أو مجموعة تماثل قوة أضعف عنصر فيها ، فان سوء الاختيار أو انعدامه يؤدي الى اصابة الوحدات والتنظيم كله بضعف عام .

٥ - يتميز الفيتكونغ ببساطة وقوة العلاقات بين القيادة والقاعدة وخلوها من التوتر ، فهي تتواءم عليهم على الثقة الرفاقية المتبادلة ، وعلى الطاعة والانضباط القائمين على اعجاب الوحدة بقائدها ، الذي يختار بدقة بحيث يكون متفوقا في قدراته على افراد المجموعة . أما في المقاومة الفلسطينية فينتز ان تخلو علاقة القاعدة بالقيادة من التوتر ، وينم ذلك عن سوء اعداد الكادرات ووجود نزعات تسلطية لديها .

٦ - تسود وحدات الفيتكونغ علاقات رفاقية طيبة ، وغالبا ما تكون علاقة افراد المجموعة الواحدة ببعضهم بعضا على المستوى ذاته من القوة ، وتكاد تنتفي بينهم التكتلات . أما في حركة المقاومة فغالبا ما يكون داخل المجموعة الواحدة كتل يشعر افراد كل منها بأنهم أقرب الى بعضهم بعضا منهم الى الآخرين . وفي احيان أخرى تطور المجموعة الواحدة علاقات وثيقة جدا تجعل أي عنصر جديد يدخل إليها يشعر بالبعزلة عن الباقين . وقد وجد ان هذه النزعة تزيد من ويرة الاصابات في المجموعة الفلسطينية المقاتلة خلال الاشتباك ، اذ انها لا تتبادل الدعم بين مختلف عناصرها بصورة متساوية ، بل يميل اعضاء الكتلة الواحدة بصورة لا شعورية الى تبادل الدعم بينها بينهم وحجبه عن باقي افراد المجموعة .

٧ - لا تعود صلابة المقاتل الفيتنامي الى دقة التنظيم وجسن الاعداد الذهني والنفسي فحسب ، بل وايضا الى سيادة النقد والنقد الذاتي ، فبها يؤديان الى ثقة المقاتل بنفسه وقدراته وثقته برفاقه وبقيادته . وتعلميه هذه الثقة قدرة هائلة على التحمل في الاوقات العصيبة ، وتخلق لديه ميلا الى عدم استغلال الاخطاء والهفوات عندما يتسبب فيها الغير . على العكس من ذلك ، يكاد النقد والنقد الذاتي يكونان غائبين في صفوف المقاومة الفلسطينية مما يخلق عيبا في تكوين المقاتل وشرخا في صلابته وقوة احتماله .

٨ - حقق الفيتكونغ شبكة استخبارات دقيقة



ومطلبة وواسعة تشمل أرجاء البلاد جميعا ، ويوصلوا الى مستوى مرتفع من القدرة على استخدام المعلومات التي يستطيعون جمعها والتوصل اليها . ومن الجهة الأخرى تجمع المقاومة الفلسطينية كميات ضخمة من المعلومات عن العدو ، ولكن أجهزة رصدها لا تستطيع تنسيق وتبويب وتحليل المعلومات ومن ثم هضمها وتطويعها واستخدامها في العمل .

٩ - مستوى الكراهية للعدو مرتفع جدا لدى المقاتل الفيتنامي بالمقارنة مع المقاتل الفلسطيني ، وذلك يعود الى اختلاف نمطي التعبئة النفسية بين الفيتكونغ والمقاومة الفلسطينية ، فبينما يتجه الفيتكونغ الى حقن المقاتلين والكادرات بالكراهية والإحتقار للعدو ولكل ما يمت له بصلة والى تهجيد الحياة الفيتنامية ومضائلها تجاه حياة العدو الغربية الرذولة ، لا تبذل المقاومة الفلسطينية أي جهد حيث في هذا السبيل ، حتى ان نظرة الكثيرين من المقاتلين الى العدو يشوبها الإعجاب به وببطورته في الحياة . وهذا بالطبع يميل الى التقليل من دراسة مجابهة المقاتل الفلسطيني للعدو .

١٠ - تتنازع وحدات الفيتكونغ في المستويات الدنيا بذرة عظيمة على المبادرة والمبادأة واتخاذ القرارات ، وينمي التنظيم هذه القدرات لدى أعضاءه بوعي وتصميم . فمعظم من يندرجون في الشبكات المحافظة شبه النظامية يكونون قد أمضوا بعضا من الوقت في فترق الدفاع الذاتي . وهذه الفرق تقوم بحماية القرى والقرى الصغيرة ونشئ عمليات محدودة ضد العدو ، وعليها ان تكون معتمدة على نفسها اعتمادا ذاتيا كاملا فهي تتولى تجنيد الأعضاء الجدد وتدريب وتحويل نفسها بنفسها وتقوم بعمليات الاستطلاع وخطيط العمليات القتالية وتنفيذها باستقلال ذاتي كامل . وكذلك تسود التنظيمات المحافظة علاقات تسمح بمشاركة كل المستويات في اتخاذ القرارات ومراقبة تنفيذها . انما في المقاومة الفلسطينية نمسوى المبادر والمبادأة منن ، فالنظيم شديد المركزية وشديد التسبب في أن واحد ، إذ تتركز سلطات كثيرة في ايدي اشخاص فلأئ ، ولذا فانهم من جهة لا يستطيعون الاحاطة بجميع مسؤولياتهم بشكل مرض من جهة ، ومن جهة أخرى يؤدي ذلك الى افتقاد المستويات الدنيا القدرة على سرعة التصرف واتخاذ القرارات المناسبة . ويمتد تأثير ذلك حتى يصل الى ميدان العمليات ذاته .

١١ - يعلق الفيتكونغ أهمية كبرى على الحفاظ على تكاثره . ففي المراحل الأولى لم يقع في يد العدو غير عدد قليل من أعضاء الكادر ، ولم توقع اصابات كبيرة نسبيا بعناصر الكادر الا بعد أن امتدت الحركة وتوسعت كادراتها وأصبح لديها كادرات احتياطية ، مما أصبح يمكنها من دفع عناصر من الكادر الى ساحات الاشتباك . ولا ينطبق الامر ذاته على المقاومة الفلسطينية التي يبدو أنها لا تعير اهتماما كافيا لمسألة متى وكيف وفي ظل أية ظروف يجوز الدفع بالكادر الى مهمات يمكن أن تشكل خطرا عليهم ، وبالتالي خسارة جمة للحركة . فقد وقع عدد كبير من عناصر الكادر صرعى او أسرى ، وخاصة في الضفة الغربية وغزة .

١٢ - يلجأ الفيتكونغ الى استخدام أساليب متقدمة وعلمية في اتخاذ القرارات ، وتتنازع هذه الأساليب ببساطتها المتناهية التي تمكن حتى قادة الوحدات الصغيرة من استخدامها بفعالية . فمثلا وجد ان الفيتكونغ طوروا حلولا رياضية بسيطة لمسائل توزيع شبكات طرق التموين وتوزيعها بحيث يتحقق فيها أقرب قدر من الكمال والفاعلية ، وتأخذ هذه الحلول الرياضية في الإحتساب عددا كبيرا من المتغيرات : جغرافية الارض ، الاخطار المحيطة ، قدرة تحمل الفرد ، حجم القافلة ، وما الى ذلك . وبالمقابل وجد أن المقاومة الفلسطينية لم تطور أي أساليب علمية في حل مسائل التنظيم والتوزيع وتحقيق الفعالية .

ان هذه النقاط التي أوردناها ليست بالطبع كل ما ورد في الدراسة المقارنة هذه ، ولكنها كتكتسب أهمية خاصة لمعالجتها مسائل ذات طابع عملي وعملياتي مباشر . غير أن المرء لا يستطيع أن يجزم بصحة كل هذه المقارنات ، فهذا أمر لا يستطيع الادلاء بالقول الفصل فيه ، غير اولئك المناضلين الفلسطينيين الذين يعيشون التجربة بكل دقائقها وخصوصياتها وتفصيلها وجوانبها . ولكنها على أية حال تبقى زادا مهما للتفكير وتعطي مؤشرات لبحث قد تكون فيه فائدة من بعض الزوايا في دراسة تجربة المقاومة . واننا إذ نورد هذه النقاط لا نرى ان من واجبننا التبرع بالرد عليها وانما نوردناها لانها تكشف المعايير التي يقيس بها المعسكر الإمبريالي حركات التحرير الوطني ومن بينها الثورة الفلسطينية .

## تقرير من غزة

التجمع الهائل من البشر المضطهدين (بفتح الطاء) والثائرين ، ولكن منظمات المقاومة تجعل القوات الاسرائيلية تدفع ثمننا باغلا لا استمرارها في احتلال هذا القطاع . ونسي تل ابيب اخبرنا احد جنود الاحتياط الاسرائيليين الذي امضى فترة خدمته العسكرية منذ ١٩٦٧ في قطاع غزة ان العداء يزداد سنة عن سنة ، وقال : حتى الان « لا ازال ارى نيران الحقد تنقد في عيونهم . » ومن المناظر المألوفة في اسرائيل هذه الايام منظر الجندي الاسرائيلي الذي يسير وحيدا في الشوارع وهو يتأبط رشيشه الحربي من طراز عوزي ، ولكن الوضع ليس كذلك في غزة ، فهناك لا يسمح للجنود الا بالسير جماعات وهم يحملون رشيشات عوزي وغيرها من الاسلحة وهي في حالة جاهزة للضرب . ولقد كان رجال الحرس الذين يفتشون العربات والمارة في الفجوة الضيقة من الشريط الشائك الذي يحيط بالقطاع ، وشراذم الجنود الذين كانوا يسرون في الشوارع عندما توقفت سيارتنا في معسكر الشاطيء ، اكثر تيقظا ، وتوترا وانذافعا من اي جندي رأيناه في اي مكان آخر .

ومن خلال رؤيتنا للارض الملى بالانتقاض اسام مركز توزيع خدمات الاطفال في معسكر الشاطيء ، علمنا لماذا شق الاسرائيليون هذه الطرق التي تبدو كالمهابط بسبب عرضها الواسع . انهم يعتقدون التي تتعرض لها دورياتهم . وبالفعل تمكنوا عبر هذه الشوارع من نقل دباباتهم الثقيلة وناقلات الجنود المدرعة الى وسط المعسكر .

وعلى اي حال ، لم تتحدث الصحف عما شاهدناه بأم اعيننا ، وهو ان الطريقتين المتوازيين اللذين ينطلقان مباشرة من الشارع الرئيسي الذي يحاذي الجبهة الشرقية للمعسكر الى الشاطيء الفسيح في الغرب ، يقسمان طريق المعسكر الوسطى الى ثلاثة اقسام وبذلك تجزئان المعسكر الى سنة اقسام . وسيكون في حالة حدوث قلاقل ، من السهل حصر أي جزء من الاجزاء الاخرى . واخيرا لا بد من الاشارة الى انه تم تدمير العديد من المنازل ، وتأثر نتيجة لذلك ١٤ الف شخص منهم ٦٠٠ عائلة في معسكر الشاطيء فقط . ولقد صورت الصحف الاسرائيلية ابعاد المئات من العائلات

من بين جميع الاغراض التي كنا نود تحقيقها في رحلتنا ، من اجراء مقابلات وجمع وثائق وزيارة الاماكن التاريخية ، كانت زيارة غزة بالنسبة لنا هي الاهم ، ولكننا كنا نخشى ان تكون الاقل احتمالا ، اذ ان مرجل المقاومة الفلسطينية هناك كان قد تسبب في حدوث ارتباك شديد للسلطات الاسرائيلية منذ اسابيع قليلة خلت ، فقد تصدرت الصحف العالمية الكبرى صور الجنود الاسرائيليين وهم يختمون بالشمع الاحمر ابواب المحلات التجارية في مدينة غزة في محاولة لانهاء اضراب اصحاب هذه المحلات احتجاجا على قيام سلطات الاحتلال بشق طرق للقوافل العسكرية وسط مخيمات اللاجئين . وفي الوقت الذي كانت « الجروسالم بوست » تتحدث عن الكمان التي ينصبها الفدائيون للدوريات الاسرائيلية ، وعن تصفية العملاء المتعاونين مع سلطات الاحتلال وغير ذلك من عمليات المقاومة اليومية ، كنا نتساءل ما اذا كان سيسمح لنا بزيارة هذا القطاع الثائر ؟ ولما لم يكن لدينا اي ترخيص بهذه الزيارة ، وليس لدينا سوى اوراق ثبوتية غير كافية ، عملنا بنصيحة جون ديفز ، المفوض العام السابق للانروا ، واتصلنا برئاسة الانروا حال وصولنا الى القدس .

وسرعان ما لبى المدير الحالي للانروا ، الان جراهام ، طلبنا بزيارة المخيمات ، كما انه وضع تحت تصرفنا سيارة تابعة للانروا ، وأحد موظفيها ليرافقنا في جولتنا هذه . فقد كان جراهام تواقا ليرى الاجانب يشاهدون بأم اعينهم الجؤس الذي يلف مخيمات اللاجئين ، ربما على أمل ان يقوم هؤلاء الزوار بعرض القضية في الخارج للمساعدة على ايجاد مخرج لهذه الحالة . وقد اعرب لنا جميع من تسنى لنا مقابلتهم من موظفي الانروا عن مثل هذا الامل . وهكذا في الساعة التاسعة من صباح يوم سبت انطلقنا من الفندق الذي نزل فيه في القطاع القديم من القدس واتجهنا صوب غزة عبر الشوارع المقفرة من القطاع الجديد للمدينة ، ولقد كانت الشوارع خالية من الاهالي لان ذلك اليوم كان يوم العطلة الاسبوعية .

ومن بين سكان غزة ( ١٤٠ ميلا مربعا ) الذين يكاد عددهم يقارب نصف المليون نسمة ، هناك اكثر من ٧٠ بالمئة من اللاجئين . ولطالما حاول الجيش الاسرائيلي منذ ١٩٦٧ فرض سيطرته على هذا

العربية بأنه ليس سوى نتجة ثانوية لشق الطرق الذي لا بد منه . ولكن موظفي الانروا اعطوا تفسيرا آخر ، فقد كانوا يظنون ان المسؤولين الاسرائيليين كانوا يريدون تجزئة المخيمات عن طريق ابعاد السكان لفترة طويلة ، وبذلك تكون عملية شق الطرق قد ساهمت في اختبار جماعي . وكان وزير الاسكان الاسرائيلي قد وعد منذ البداية بتحويل بناء بيوت بديلة . وفي المخيمات الصغيرة حيث شقت الطرق قامت الانروا بالفعل ببناء بيوت للعائلات بل طردهم من بيوتهم . ولكن شق الطرق الذي حدث فيما بعد في المخيمات الكبيرة ، جباله والشاطيء وخان يونس ، تم بشكل سريع لدرجة ان الانروا لم تتمكن من معرفة الاماكن التي كان ينقل اليها الاهالي المبعدون ، عداك عن بناء بيوت لهم . وبالنسبة لاموال البناء ابلغنا الان جاني ، مدير الانروا في غزة : « لم اتسلم اي قسم منها حتى الان ، ولدي شك في امكانية حدوث ذلك . » وفي حين تمكن عدد من العائلات من اللجوء الى اقاربهم وامدقاتهم في المعسكرات والمدن المختلفة ، نرى انه تم « اسكان » عدد غير معروف في العريش ، المدينة المصرية التي تقع خارج نطاق صلاحيات الانروا . وبذلك قطعت الاعاشات والخدمات الحائية الاخرى عن هؤلاء اللاجئين .

والطرق هي ابرز المحاولات الظاهرة التي تحاول اسرائيل من خلالها فرض مخططاتها على قطاع غزة . وعند الشاطيء رأينا كيف ان بناء حاجز ضد الأمواج لتسهيل رسو سفن الشحن من شأنه ان يسهل النقلات البحرية الضخمة في موانئ حيفا واسدود . وفي منتصف الطريق خارج القطاع رأينا نحالا ، اي نقطة عسكرية زراعية ، كما ان هناك ست مراكز للتدريب المهني لتعليم الشباب العرب أبسط المهارات التي يحتاجها الاقتصاد الاسرائيلي . وفي غضون ذلك ، نرى ان الشباب الذين ينهون دراساتهم في مراكز التدريب المهني التابعة للانروا لا يتمكنون من ايجاد عمل لهم لانهم

اصبحوا مؤهلين بدرجة تفوق مما يسمح به الاقتصاد الاسرائيلي ، كما انهم لا يجدون اي عمل مناسب في غزة .

وقبل عدوان حزيران ( يونيو ) لم يكن هناك اي وجود عسكري في القطاع سوى لذوي القبعات الزرقاء من قوات الطوارئ التابعة للامم المتحدة ، وكانت غزة تتصل بالعالم العربي عن طريق مصر . ومن الامور التي لا تزال تذكرنا بتلك الايام وجود اعلانات شركات الطيران العربية واسم مصرف فلسطين الذي يكاد يحى عن اللوحة المكتوب عليها . ولكن ابرز دليل على التغيير هو وجود مقر الادارة العسكرية الاسرائيلية . وفي البناية المركزية الكبيرة من هذا المجمع الضخم كانت تقيم حكومة غزة السابطة ، في حين كانت قيادة قوات الطوارئ الدولية تقيم في بناية صغيرة عبر الشارع تقيم فيها حاليا الادارة المدنية للقطاع .

وحتى في نور شمس المتوسط المتلألئة ، كان الجو يبدو كئيبا في غزة . ففي المدينة وعلى طول الطريق كانت البنائات غير المرممة لا تزال تحمل آثار القصف الشديد ، وفي غضون اربع ساعات خضعت سياراتنا للتفتيش ست مرات عند الحواجز القائمة في الطرق . ورأينا ايضا جنديا اسرائيليا يراقب وجوه السكان المحليين الكثيرة من خلال مقراسه على سطح اعلى بناية في قلب غزة . وكانت النساء يرتدين اللباس الاسود الذي كان احيانا يتخلله اللون الابيض او الارجواني الغامق . ولم نشاهد في اي مكان الفساتين المطرزة التي تشتهر بها المرأة الفلسطينية ، رغم انه قيل لنا بأن معظم الفساتين التي تباع للسياح في القدس تصنع في غزة . واخيرا! علمنا بأنه عندما تلبس النساء العريبات الفساتين السوداء المتشابهة والفضفاضة فانها يساعدن في ذلك على تفضيل الجنود الاسرائيليين اثناء التفتيش عن الفدائيين .

**ك . ت .**

## النشاط الصهيوني في الولايات المتحدة للفترة من فبراير الى سبتمبر ١٩٧١

اليهودي المتحد انه يجب ان لا تنسحب اسرائيل الى ما وراء حدود ١٩٦٧ حسب مشروع روجرز . كما هاجم السناتور سيمور هالبرن السناتور فولبريت وذلك لانتقاد الاخير اسرائيل واتهمه بأنه يزيد من امكانيات الحرب في الشرق الاوسط . وانتقد السناتور يوجين مكارثي روجرز لطالبه اسرائيل بالانسحاب من الاراضي المحتلة . كما قام عشرة من زعماء الكونجرس بمطالبة الرئيس نيكسون بامداد اسرائيل بالاسلحة والمساعدات المالية ، كما هاجم النائب بنجامين روزنتال روجرز واتهمه بأنه يمارس الضغط على اسرائيل ، كما انتقد السناتور ادمند مسكي سياسة نيكسون وطالبه بارسال الاسلحة لاسرائيل . واما السناتور ادوارد كيندي ، فصرح خلال زيارته لاسرائيل في شهر سبتمبر بأن على امريكا امداد اسرائيل بالاسلحة وخاصة طائرات الفانتوم لمواجهة الخطر العسكري السوفياتي في مصر . وكذلك صرح السناتور جورج مكجافرن خلال زيارته لاسرائيل في شهر سبتمبر بأنه سيبدل وسع جهده للاسراع في ارسال طائرات الفانتوم لاسرائيل .

ومن الواضح ان زيارات السياسيين المرموقين لاسرائيل وتصريحاتهم بتأييدها واعدادها بالاسلحة بدأت تزداد وذلك لاقترب موعد انتخابات الرئاسة الامريكية . ولقد استغلت اسرائيل هذا الوضع لتحرك السياسي بالضغط على الحكومة الامريكية للتخلي عن السياسة الحالية الرامية الى انسحاب قوات اسرائيل والبدء في المحادثات السلمية بينها وبين العرب .

٢ - جهود الاتحاد السوفياتي : مارست المنظمات الصهيونية في الاشهر الاربعة الاولى ( فبراير الى مايو ١٩٧١ ) حملة اعلامية ضخمة للضغط على الاتحاد السوفياتي لايقاف محاكمات يهود زوسنا والسماح لمزيد من اليهود بالهجرة الى اسرائيل ، ولقد تمثلت الحملة بالمظاهرات والمهرجانات الكبيرة وحملات الاحتجاج عن طريق الرسائل والاتصالات الرسمية .

واما في الاشهر الثلاثة التالية ( مايو الى اغسطس ١٩٧١ ) فانقسمت الحملة الصهيونية بالضغط عن طريق الكونجرس الامريكي وتصريحات اعضائه بمطالبة الاتحاد السوفياتي بالسماح لليهود بالهجرة الى اسرائيل . ولقد وصلت قمة هذه الحملة في

١ - الضغط السياسي على الحكومة الامريكية : صعدت المنظمات الصهيونية خلال الثمانية اشهر الماضية حملتها على الحكومة الامريكية وخاصة البيت الابيض ووزارة الخارجية الامريكية لارغامها على التخلي عن الوساطة بين اسرائيل والدول العربية وامداد اسرائيل بالمساعدات المالية . وركزت المنظمات الصهيونية ومؤيدوها في الكونجرس الامريكي حملتها على وزارة الخارجية الامريكية وذلك عن طريق اتهامها بأنها منحازة للعرب وبأنها تمارس ضغطا على اسرائيل مما يهدد أمن وسلامة اسرائيل ويعرض العلاقات الامريكية - الاسرائيلية للخطر . كما ركزت المنظمات الصهيونية ضغطها على الرئيس نيكسون ، فطالبه عدد من زعماء المنظمات الصهيونية واعضاء الكونجرس بامداد اسرائيل بالاسلحة والمساعدات المالية وعدم الضغط عليها وحلها على الانسحاب الجزئي من الاراضي العربية المحتلة .

كما ركزت الدعاية الصهيونية خلال الاشهر الماضية على تهويل الخطر الروسي والتفلفل الروسي في المنطقة ، خاصة بعد توقيع اتفاقية الصداقة الروسية - المصرية . وطالب عدد من المنظمات الصهيونية واعضاء الكونجرس بارسال اسلحة لاسرائيل لان الاتحاد السوفياتي ارسل اسلحة حديثة لمصر مما اخل بميزان التوازن العسكري لصالح العرب . ولقد قاد حملة الضغط الصهيوني عدد من «السناتوز» الامريكان ومنهم السناتور هنري جاكسون الذي قام بزيارة لاسرائيل في شهر فبراير ، والسناتور بيرتس بايه الذي زار اسرائيل مع وفد من اربعة اعضاء من مجلس الشيوخ الامريكي وهو سكوت الذي التى خطابا بدعوة من المنظمة الصهيونية بناي تسيون خلال شهر فبراير ، وكذلك جاكوب جافينس الذي حذر امريكا من الضغط على اسرائيل خلال حديث مع احدى محطات الاذاعة وكذلك السناتور ادلاي ستيفنسون الابن الذي طالب امريكا بأن تبقى الحليفة العظمى لاسرائيل والنائب جاشوا ايلبيرج الذي قدم مشروعا لمجلس النواب يدعو نيكسون لمساندة موقف اسرائيل من المفاوضات والحدود الامنة . ومنهم ايضا السناتور هيوز الذي دعا امريكا الى التزام مطلق باسرائيل للحفاظ على توازن القوى في منطقة الشرق الاوسط ، والسناتور ساكسبي الذي اعلن في حفل النداء

ممارسة المنظمة الصهيونية للقانون المقدم الى الكونجرس بالسباح لعدد من اليهود بالدخول الى الولايات المتحدة الامريكية . ولقد اكدت المنظمة ان يهود روسيا يرغبون بالهجرة الى اسرائيل . كما اكدت معظم المنظمات الصهيونية ( ١٩ سبتمبر ١٩٧١ ) باهتمامها بوضع يهود الاتحاد السوفيتي وظالمتها يهود امريكا بالمسير في شوارع امريكا يوم رأس السنة تضامنا مع يهود روسيا ورغبتهم في العودة لاسرائيل . وصرح ايمانويل نيومان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية بأن عددا كبيرا من اليهود لا يزال تحت الاضطهاد الشديد في الاتحاد السوفيتي ويرغب في العودة الى اسرائيل .

تلك صرح فيليب هوفمان رئيس اللجنة اليهودية - الامريكية بأن عددا كبيرا من يهود الاتحاد السوفيتي تمكنوا من العودة لاسرائيل وان على المنظمات الصهيونية العمل لدفع مزيد من اليهود على العودة الى اسرائيل .

٢ - المساعدات المالية : استمرت المنظمات الصهيونية خلال الاشهر الماضية في حملة كبيرة لجمع المزيد من الاموال لاسرائيل لكي تواجه هذه احتياجاتها العسكرية والحربية المتزايدة . وكان وزير مالية اسرائيل قد صرح في شهر فبراير ١٩٧١ بان عجز ميزان التجارة الخارجية لاسرائيل سيبلغ حوالي ١٤٦٠ مليون دولار وان نسبة الديون التراكمية على اسرائيل ستبلغ قيمة ١١٢٥ دولار من الدخل الفردي السنوي . ولهذا شددت المنظمات الصهيونية على زيادة التبرعات لاسرائيل .

ونكرت المنظمة الصهيونية بأن سندات اسرائيل ادخلت عام ١٩٧١/٧٠ حوالي ٥٤٤٥٠٠٦٠٠ مليون دولار ( بزيادة ١٤٪ من دخل العام السابق ) واعلنت لجنة سندات اسرائيل بأن دخل الاشهر السبعة الاولى بلغ حوالي ١٣٢ مليون دولار ( مقابل ١٠٠ مليون عام ١٩٧٠ ) ، كما اعلن صندوق النداء اليهودي الموحد بأن دخل عام ١٩٧١ سيزيد عن العام السابق بنسبة ٣٠٪ ، وسيبلغ دخل عام ١٩٧١ ٦٠٠ مليون دولار ، منها ٤٠٠ مليون من امريكا و٢٠٠ مليون من دول اخرى . كما اعلنت جمعية هاداسا في مؤتمرها السنوي بأن دخلها لعام ١٩٧١ سيصل ١٣ مليون دولار وذلك لتغطية المصاريف المتزايدة على مشاريع الانشاء والاقتصاد في اسرائيل .

٣ - مناهضة اللاسامية واستمالة السود : حاولت المنظمات الصهيونية في الفترة الاخيرة اتهام المنظمات اليهودية العبري بين جيل الشباب اليهودي وذلك لربط هذا الجيل باسرائيل ومواجهة الدعاية اليسارية التي جعلت الكثير من الشباب اليهودي الامريكي ينتقد سياسة اسرائيل العسكرية ويظهر التأييد للمقاومة الفلسطينية . ولقد اقامت المنظمات الصهيونية عددا من المؤتمرات والاجتماعات لدراسة هذا الموضوع ، كما قامت بارسال طلاب الى اسرائيل للدراسة خلال الصيف وبدأت تحضر اساتذة اسرائيليين لتدريب يهود امريكا ، كما عملت على اقامة دروس خاصة عن الحضارة اليهودية والحركة الصهيونية وتاريخ اسرائيل في عدد من الجامعات الامريكية . وذكر ايمانويل راكمان مدير دائرة الثقافة والتعليم في الوكالة اليهودية ان برنامج الثقافة لعام ١٩٧١ - ١٩٧٢ سيشمل انتساب مئة طالب وطالبة من يهود امريكا في مدارس اسرائيلية عدة سنين كما ذكر ان ٦٩ استاذ اسرائيليا يعملون في جامعات امريكا وكندا لتوعية الشباب اليهودي . كما اعلنت الوكالة اليهودية ان ٢٢٠ استاذ يهوديا سيحضرون في صيف ١٩٧١ للاشتراك في مخيمات الشباب الصهيوني وتعريف الشباب اليهودي الامريكي بطبيعة الحياة في اسرائيل وتوثيق روابطهم بها . كما اشترك ١٤٠ استاذ امريكيا في دراسات صيفية باسرائيل وذلك عن طريق برنامج اعده اتحاد المعلمين بنيويورك . واعلنت وكالة الانباء اليهودية بأن عدد المدارس اليهودية ارتفع الى ٤٧٨ في امريكا وكندا ، كما اعلنت ان عدد المدارس العبرية اليهودية ارتفع الى ٣٩٥ في امريكا و٤٥ في كندا .

وهذه المدارس احياء الشخصية اليهودية خاصة بين المراهقين اليهود. كما أعلن مورتون سيفل مدير قسم الثقافة اليهودية ان عدد المدارس الابتدائية اليهودية اصبح ٤٢ مدرسة ، يحضرها حوالي ٧٤٨٠٠ طفل يهودي . اما على مستوى الجامعات الامريكية ، فلقد اعلن عدد من الجامعات ومنها جامعة برانداس ، الجامعة الامريكية في واشنطن وجامعة ميرلاند وكلية نيويورك عن اقامة دراسات عن تاريخ اسرائيل والحركة الصهيونية . وتهدف هذه الدراسات الى التركيز على ربط الطلاب اليهود باسرائيل والرد على دعاية اليسار الامريكي الذي يتهم الصهيونية بأنها حركة استعمارية عنصرية .

٤ - النشاط الثقافي العبري : نشطت المنظمات الصهيونية في الاشهر الماضية في مجال احياء التراث

المنظمات الصهيونية وسائل مختلفة لخدمة اهدافها . فعلى المستوى السياسي تعمل المنظمات الصهيونية على الضغط على الحكومة الامريكية عن طريق الجمعيات والاتحادات الهامة وذلك باصدار قرارات تأييد لاسرائيل في المؤتمرات السنوية لهذه الاتحادات ومنها اتحاد الحاربين القدامى واتحاد عمال امريكا ، والجمعيات المسيحية .

كما تعمل المنظمات الصهيونية على خلق واجهات لها ومنها مثلا « جمعية المهتمين بأمن اسرائيل » ، وجمعية « الاساتذة من أجل السلام في الشرق الاوسط » ، وجمعية « الطلاب التضامنين مع يهود الاتحاد السوفييتي » ، ومعظم هذه الجمعيات يحركها يهود صهيونيون ويصدرون عن طريقها البيانات والبرقيات والرسائل التي تخدم مصالح اسرائيل . وتقوم المنظمات الصهيونية ومن ورائها السفارة الاسرائيلية بتزويد اعضاء مجلس الكونجرس ( خاصة المؤيدين لاسرائيل ) وعدد من مؤيدي اسرائيل في المنظمات والحركات السياسية والعمالية الهامة بالمواد الاعلامية والنشرات الخاصة التي توضح وجهة نظر اسرائيل وتشوه وجهة النظر العربية . فمثلا تركز الدعاية الصهيونية على اثبات « الحقيقة التاريخية » بأن اليهود كانوا دائما الاغلبية في مدينة القدس ويقدمون الوثائق والاحصائيات لاثبات ذلك كما تقوم المنظمات الصهيونية بالتعاون مع السفارة الاسرائيلية والطلاب الاسرائيليين بحضور المؤتمرات السنوية الهامة ، وخاصة مؤتمرات اتصالات العمال والطلاب والمؤتمرات المسيحية والمؤتمرات السياسية ويشتركون فيها بشكل فعال فيقيمون المعارض من اسرائيل ويوزعون المواد الاعلامية ويختلطون باعضاء المؤتمر للحصول على تأييدهم لاسرائيل . ففي مؤتمر اتحاد طلاب امريكا خلال شهر اغسطس ١٩٧١ مثلا ، كان الوفد الاسرائيلي ممثلا مع وفد الجامعات الامريكية واشترك معهم حتى في الجلسات المخلقة للمؤتمر .

واما عن المستوى الاعلامي ، فتستخدم المنظمات الصهيونية جميع الوسائل للوصول الى اهدافها . فتقوم بالظواهرات في الشوارع وامام الامم المتحدة عن طريق منظمة « رابطة الدفاع اليهودية » ولقد اتبعت هذه المنظمة اسلوبا ناجحا في تهديد السياسيين الامريكيين ، فقامت باعتصام بمكتب السناتور كيندي وعلى اثره صرح كيندي بأنه سيعمل جهده على مساعدة يهود روسيا الهجرة

والجمعيات السوداء التي ايدت الحق العربي والشعب الفلسطيني بأنها لاسامية وانها وقعت تحت تأثير الدعاية العربية . وعند بدأت المنظمات الصهيونية حملة اصلاح العلاقات مع المنظمات السوداء المعروفة مثل NAACP و Urban League وذلك بدعوة زعمائها لزيارة اسرائيل . كما بدأت المنظمات الصهيونية باتقامة منظمات تمثل الطبقات اليهودية الفقيرة وتستعمل اسلوب « القوة اليهودية » وذلك للربط بين اليهود والسود . وهاجمت المنظمات الصهيونية احدى منظمات السود وهي « جمعية الرجل الاسود » في واشنطن وذلك لانها هاجمت الصهيونية في احدى نشراتها عام ١٩٦٧ . كما ركزت المنظمات الصهيونية هجومها على الاغراد اليساريين الذين يؤيدون الشعب الفلسطيني واتهمت اليهود منهم بأنهم يتعاونون مع « المخربين » الفلسطينيين والمنظمات الفدائية مثل « فتح » وغيرها . وهذه محاولة واضحة للتشكيك في اخلاص اليهود اليساريين واتهامهم بالعمل ضد يهود امريكا . وحاولت المنظمات الصهيونية ، عن طريق اتحاد طلاب اسرائيل ، اثارة موضوع جنوب السودان واتهام العرب باضطهاد السود وقتلهم . ويهدف هذا النشاط الى اضعاف تأييد السود الامريكيين للعرب وخلق فجوة في العلاقات بين السود والطلاب العرب في الولايات المتحدة الامريكية .

٥ - التعاون مع الجمعيات المسيحية : حاولت المنظمات الصهيونية في الاشهر الماضية استمالة الجمعيات المسيحية وخلق حوار معها من أجل الحصول على تأييدها خاصة حول موضوع توحيد مدينة القدس تحت الحكم الاسرائيلي . واقامت بعض المؤتمرات من أجل هذه الهدف ومنها مؤتمر في نيويورك برعاية اللجنة اليهودية الامريكية واشترك فيه الاب ادوارد فلانري كما اصدرت جمعية جديدة اسمها « المسيحيون المهتمون باسرائيل » ببيان يؤيدون سياسة اسرائيل في توحيد مدينة القدس وتغيير معالمها العربية - كما اعلن تحالف الرهايات الامريكيات في مؤتمراتهم في مدينة شيكاغو عن التأييد لسياسة اسرائيل في المدينة المقدسة ورفضهم لبدأ تدويل القدس كما اعلن مؤتمر الكنيسة الميثودية العالمية عن تأييده لحق يهود الاتحاد السوفييتي في الهجرة لاسرائيل . وينسق هذا النشاط مع الجمعيات المسيحية الحاخام تانباوم رئيس الجمعية اليهودية الامريكية .

٦ - الوسائل التي يستخدمها الصهاينة : تستخدم

وكثير من هذه الازياء والطلبي أصلها فلسطيني عربي، كما اتجهت المنظمات الصهيونية في الفترة الاخيرة نحو دعوة محاضرين اسرائيليين معروفين « بمعطهم على العرب » للتجول في امريكا والرد على الدعاية العربية ومنهم يوري افيري ومسحه غلابان. وكذلك بعض العرب من اسرائيل المعروفين بولائهم للحكومة الاسرائيلية ومنهم النائب عبدالعزيز الزعبي الذي اشترك في مؤتمر هاداسا خلال شهر اغسطس ، والذي اكد ان العرب يريدون التعايش مع اسرائيل وان العائق في ذلك هو الحكومات العربية . وهدف برامج المحاضرات هذه هي الرد على الدعاية العربية وخاصة موقف اليسار الامريكى الذي يؤيد المقاومة الفلسطينية ، والتركييز على ان العرب والفلسطينيين يريدون التعايش مع اسرائيل وانه ليس هناك اضطهاد وتعذيب داخل الاراضي المحتلة، بل العكس تعاون بين السلطات الاسرائيلية والعرب.

**د. حاتم الحسيني**

## الحلقة الدراسية للخدمات المكتبية والتوثيق والمخطوطات العربية ( دمشق )

التحرير الفلسطينية والذي يمثل المكتبة الوطنية ومركز الوثائق للشعب العربي الفلسطيني ، اوصت الحلقة بمساعدة هذه المراكز . ويدرك مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير ما لهذا التأييد والدعم لنشاطه ، والذي ظهر ايضا في توصيات المؤتمرات متخصصة اخرى ، من دفع لطموحه في زيادة التعمق بدراسة العدو والقضية الفلسطينية عامة وكذلك دراسة تطور الشعب الفلسطيني ونضاله ، ومن جهة اخرى الى تحقيق مزيد من التنسيق مع مراكز التوثيق والدراسات الفلسطينية الموجودة في بعض الدول والجامعات العربية .

لقد تحلى المؤتمر بمستوى رفيع من التنظيم اذ كان وليد الاهتمام الكبير الذي أبدته الحكومة السورية وخصوصا وزير التعليم العالي الدكتور شاكر الفحام تجاه الحلقة الدراسية ، يضاف الى ذلك حماس منظمي الحلقة من القطر العربي السوري الذين رأوا في هذه الحلقة نقطة تحول في فهم المسؤولين والجمهور عامة لرسالتهم ول مفهوم المكتبة الحديث . مطالب الحضور منذ البدء المساهمة في مناقشة المحاضرات الاساسية لاهمية تبادل الخبرات . ووقع على عاتق اللجان الفرعية الخوض في تفاصيل الموضوعات التي تعالجها وهي : ( 1

الى اسرائيل ، كما قاموا مؤخرا بدوريات حراسة في احياء اليهود بمدينة نيويورك ونتج من ذلك رعاية واسعة في اجهزة التلفزيون الامريكى . كما يستخدم الصهاينة اجهزة الاعلام بشكل فعال لتضويه سمعة العرب ، وذلك عن طريق تقديم برامج وحلقات تليفزيونية تشوه الواقع السياسي والاجتماعي العربي . ولقد ظهرت افلام عن الوضع في جنوب السودان ، تظهر العرب باضطهاد وقتل السود في الجنوب . كما قدمت برامج احاديث ولقاءات مع يهود من الاتحاد السوفييتي لتأييد رغبتهم في الهجرة الى اسرائيل .

وعلى المستوى الفني ، بدأت المنظمات الصهيونية منذ عام التركيز على الفن الاسرائيلي وذلك عن طريق احضار فرق الرقص والغناء والتمثيل المسرحي التي تقيم مهرجانات في مدينة نيويورك وغيرها ، وكذلك اظهار الفن الاسرائيلي في معارض الازياء ومناعاة التحف والطلبي التي تصنع في اسرائيل .

بمعدت في الماضي مؤتمرات ولقاءات للمكتبيين، وكذلك صدرت خلال مؤتمرات ثقافية سابقة توصيات خاصة حول المكتبات والتصنيف والمخطوطات والوثائق ، لكن المؤتمر الحالي والذي دعت اليه المنظمة العربية للتتافة والتربية والعلوم وبرعاية الحكومة السورية وذلك من ٢-١١/١٠/١٩٧١ ، جاء بنحوصا وشاملا ، اذ جمع بين المؤتمر والحلقة التراسية وحضره مندوبو عشر دول عربية هي ج.م.ع و ج.س.ع وليبيا والعراق والاردن وتونس وفلسطين وقطر والبحرين وكذلك ممثلو بعض الاتحادات والمراكز العلمية العربية . وشجعت سوريا اكبر عدد من المكتبيين السوريين (٨٦شخصا) والعاملين في الجامعات والدوائر الرسمية والؤسسات الاعلامية على حضور المؤتمر للاستفادة منه لتطوير المكتبات ومهنة المكتبي . وكانت الثمرة الاولى للزملاء السوريين اجتماعا تمهيديا لانشاء اتحاد للمكتبيين في القطر السوري لتوطيد مهنة المكتبي ومن خلاله ابراز اهمية الادارة العلمية للمكتبات ، النابعة من معرفة حقيقية لاهداف واعياء المكتبات .

ادراكا من قبل المجتمعين لاهمية مراكز الابحاث الفلسطينية ، خصوصا مركز الابحاث التابع لمنظمة

الخدمات المكتبية ، ٢) التنظيم البيولوجرافي والنوثيق ، ٣) المخطوطات العربية ، ٤) الوثائق القومية . واتفق المجتمعون على عدم الاكتفاء بنوصيات فنية بحثية بل السعي الى التأكيد على المفاهيم الاساسية المرتبطة بالكتاب والمكتبة . ولذا جاءت التوصيات تؤكد اهمية المكتبات في تثقيف الشعب وتعليمه وتوعيته وكذلك حق المواطن في القراءة والتثقيف الذاتي من الاموال العامة . واكدت من جهة اخرى احدى التوصيات على وجوب اتباع المكتبة العامة للتحليل الاجتماعي للبيئة التي نخدمها لتوجيه نشاطها حسب المتطلبات المحلية لتحكم صلاتها بالجماهير .

أكدت الحلقة الحالية توصيات الحلقات السابقة حول تحقيق قانون الإيداع وتنفيذه في كل البلاد العربية واعتمادا على هذا التنفيذ اصدار البيولوجرافيا القطرية ويقع على عاتق الجامعة العربية بعد ذلك اصدار البيولوجرافيا الموحدة المنظمة على اساس جغرافي وتحت اسم كل قطر ترتب المصنفات موضوعيا وان تتبع بكشاف هجائي لجميع الموضوعات والعناوين واسماء المؤلفين . كما اكدت التوصيات على اهمية تسهيل انتقال الكتب وتبادلها بين المكتبات العربية وكذلك على تنسيق التصنيف وتبادل فهراس المكتبات ليكون لدى المكتبيين والباحثين معرفة بمحتويات المكتبات العربية . لقد ساهمت الجامعة العربية في التعريف بالتوصيات الصادرة عن المؤتمرات والحلقات المشابهة والسابقة . وجاء تصنيف هذه التوصيات المتفاوتة زمنيا حسب المواضيع بحيث اعطت صورة واضحة لما قدم سابقا من توصيات ، وكان هدف ادارة النوثيق في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم طرح التوصيات السابقة على محك الدراسة وحث الوفود على القيام بمراجعة ذاتية لمعرفة ما طبق منها . وبالرغم من حسنات هذا المسمى الا انه كان على المنظمة الاستفسار لدى الدول العربية عن سبب عدم تطبيق الكثير من هذه التوصيات وتقديم تقرير بهذا الشأن للحلقة . ولذا وجد المجتمعون ان ملاحظة التوصيات خصوصا بعد اقرارها من قبل وزراء التربية امر حيوي . فأوصت بعقد حلقة في المستقبل يعرض خلالها ما تم تنفيذه من هذه التوصيات واسباب عدم تنفيذ التوصيات الاخرى . ومن جهة اخرى اوصى المؤتمر بعقد حلقة دراسية قبل انتهاء السنة الحالية تخصص لدراسة النشرمات الخاصة بانشاء مراكز الوثائق القومية

ومن خلالها الاشراف على محفوظات الدوائر الرسمية ، على أن تسمى الحلقة ايضا الى تنسيق العمل بين هذه المراكز وايجاد التنظيم العربي لمراكز النوثيق والوثائقيين ، كذلك ان تعمل الحلقة لوضع الخطة القربية والبعيدة المدى للحصول على جميع الوثائق الخاصة بالتاريخ العربي والوجود في اسطنبول وباريس ولندن واماكن اخرى ، والتي تحتاج اليها للاعتماد عليها في دفاعنا عن عروبة فلسطين ونضج المؤامرة الاستعمارية الاستيطانية . لقد شملت الحلقة مواضيع عديدة ولذا يستحسن مستقبلا تخصيص حلقات لمواضيع معينة مثل حلقة دراسية حول الوثائق كما ذكر سابقا او حول تحديد منهج عربي شبه موحد لتصنيف الكتب ، او مثلا حلقة دراسية لمناقشة مشاكل المكتبات المدرسية . ويستحق الموضوع الاخير حلقة دراسية في القرب العاجل لتدهور وضع المكتبات المدرسية في بعض الدول العربية نتيجة الانفجار السكاني والطلابي . فالملحوظ هو تبادل الخبرات لايجاد السبل اللازمة لتحقيق الهدف التربوي من نشر المكتبات المدرسية وبأقل التكاليف . وفي الحقيقة يجب دراسة هذه المشكلة في اطار مشكلة التعليم ككل وايجاد ثورة في مفهوم التعليم وتمويل التعليم . كان يرجى من الحلقة اصدار توصية تطلب من الدول العربية اعطاء الحرية الكاملة للمكتبات الجامعية والعامة والمتخصصة لشراء جميع الكتب والمجلات والتي تتضمن ايضا الصادرة في اسرائيل وذلك دعما للبحث العلمي وتوفير ما يحتاج من مصادر اولية . ولكن وجد قسم من الحاضرين ان هذه المكتبات تحصل على ما تريده من المصادر وبطرق عديدة دون مجابهة معارضة من قبل حكوماتها . ويرى هؤلاء الاكتفاء بالوضع الحالي ، غير ان الوضع الحالي غير سليم لعدم استفادة جميع المكتبات من التسامح الرسمي ، وخصوصا المطلوب فعلا نشر الاهتمام بدراسة العدو في جميع الجامعات العربية . وقد يقف التنفير السلبي لدى موظفي دوائر مقاطعة اسرائيل والجمرك والابن العام دون تحقيق هذا الواجب ، متذرعين بقرارات مقاطعة اسرائيل . لقد كان من الواجب الادبي اقرار توصية واضحة تدين ضمنيا المسلك السلبي السائد ، ومعلنة بنفس الوقت حق البحث العلمي ومبدأ معرفة العدو والحصول على كل ما يحتاجان من مصادر .



## اربعة مؤتمرات طلابية في امريكا

بقيادة فلسطين والثورة الفلسطينية ، كما دارت الاسئلة والمناقشات حول المازق الراهن الذي تهر به الثورة وكيفية الخروج منه خاصة التركيز على التنظيم السري الجديد والعمل المسلح تحت الارض . واتخذ المؤتمر قرارا بالاجماع يؤيد الثورة الفلسطينية ويعتبرها جزءا من كفاح شعب ايران ضد الاستعمار الرجعية ويؤكد حق الشعب الفلسطيني في النضال من اجل القضاء على الصهيونية والاستعمار .

ويعتبر اتحاد طلاب ايران من اقوى وأنشط الاتحادات الطلابية في الخارج . وقام الاتحاد بعدة نشاطات من اجل نصره فلسطين خاصة اسبوع التضامن مع الثورة الفلسطينية عام ١٩٧٠ ومظاهرات ضد اسرائيل وسياستها العنصرية . وقام الاتحاد بمظاهرة ضخمة في واشنطن العاصمة وسان فرانسيسكو احتجاجا على احتفالات شاه ايران ، ورفع المتظاهرون رايات التأييد للثورة الفلسطينية ولتفضال شعب ايران ضد الشاه وحكمه المستبد .

٣. المؤتمر السنوي لمنظمة الطلبة العرب : عقد المؤتمر السنوي العشرون لمنظمة الطلبة العرب بجامعة هيوستن بتكساس وذلك بتاريخ ٢٦ - ٢٩ أغسطس ١٩٧١ ، وكان موضوع المؤتمر « الثورة الفلسطينية : ابعادها ومستقبلها » واقامت عدة ندوات دراسية لبحث أوضاع الثورة الراهنة اشترك فيها عدد من الباحثين والمفكرين ومنهم الشاعر راشد حسين وعبدالله الاشطل من وفد اليمن الجنوبية للامم المتحدة والحامسي عابدين جباره والدكتور نعيم عازوري رئيس جمعية الخريجين العرب . وألقى الكلمة الرئيسية في المؤتمر الدكتور عبدالوهاب الكيالي الذي استعرض تاريخ الثورة الفلسطينية والمراحل التي مرت بها وركز على المرحلة الراهنة وأكد ان وحدة المقاومة ستقوم على أسس نضالية جديدة ، وان الشعب الفلسطيني سيستمر ، رغم النكسات ، في كفاحه المسلح ضد الصهيونية والاستعمار حتى يحقق النصر . واتسبت مناقشات المؤتمر بالتدق الحاد للحكومات العربية خاصة تلك التي تضطهد الحركات الشعبية والشيعية . كما وجه نقد لحركة المقاومة بكافة فصائلها وذلك لفشلها في

عقدت خلال شهري أغسطس وسبتمبر ١٩٧١ عدة مؤتمرات لاتحادات طلابية هامة درست خلالها القضية الفلسطينية، واتخذت بعض هذه الاتحادات قرارات تأييد للشعب الفلسطيني ولحقه في الكفاح المسلح من اجل تحرير ارضه .

١. اتحاد الطلاب السود : عقد المؤتمر السنوي لاتحاد الطلاب السود في مدينة شيكاغو من ٨/٢٦ إلى ١٩٧١/٩/٢ وحضره وفد من طلاب فلسطين . وتأسس اتحاد الطلاب السود منذ ثلاثة اعوام ويضم مئات الطلاب من مختلف الجامعات الامريكية . وانشق هذا الاتحاد عن اتحاد طلاب امريكا وذلك بسبب الاضطهاد والعنصرية التي تعرض لها الطلاب السود داخل الاقتصاد وبسبب مواقفه الهزيلة تجاه قضايا هامة مثل نضال شعوب العالم الثالث والكفاح ضد الاستعمار والعنصرية . وذكرت جريدة الواشنطنجتون بوست ان اتحاد الطلاب السود الناشء تعرض لمراقبة الحكومة الامريكية لانه يمثل نواة ثورية وسياسية . وخلال مؤتمر الاتحاد اقيمت ندوة عن « الثورة الفلسطينية » تكلم فيها احد الشباب الفلسطينيين فأكد العلاقة الوثيقة بين نضال الشعب الفلسطيني ونضال السود في امريكا من اجل التحرر والاشتراكية ، وأكد ان الشعوب المضطهدة تناضل ضد عدو مشترك هو الامبريالية والصهيونية . واطهر ان حالة التشرذم والاضطهاد التي يعيشها الشعب الفلسطيني لا تختلف عن حالة السود في امريكا .

واطهر الطلاب السود تأييدا حارا وقويا للثورة الفلسطينية وقدم رئيس الاتحاد رينارد نيكولاس قرارا ينص على تأييد حق الشعب الفلسطيني في الكفاح المسلح ضد الصهيونية والاستعمار ، ووافق المؤتمر على القرار بالاجماع .

٢. المؤتمر السنوي للاتحاد العام لطلاب ايران : عقد مؤتمر اتحاد طلاب ايران في مدينة شيكاغو بتاريخ ١ - ٦ سبتمبر ١٩٧١ ، وحضره عدد من طلاب فلسطين . وتحدث في المؤتمر عدد من طلاب فلسطين ومنهم أخت فلسطينية أكدت ان الثورة الفلسطينية جزء من حركة التحرر العالمي وان نضال الشعب الفلسطيني وشعب ايران جزء لا يتجزأ من حركة التحرر العالمي . وكان تحابو طلاب ايران رائعا ، وارتفعت هتافاتهم

بليكي أن يلعب دور الوسيط بطرح القرار الذي ينبع من السياسة الامريكية ويدعو الى الاعتراف باسرائيل والصلح معها وحقها في المرور بفتاة السويس ويدعو الى الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في كيان مستقل . وعند وضوح خطوط هذه المؤامرة انسحب الوفد الفلسطيني من المؤتمر وعلن في بيان ان الاتحاد لا يزال تحت سيطرة الحكومة الامريكية ودعا الطلاب الامريكيين لتأييد نضال الشعب الفلسطيني وتغيير قيادة الاتحاد وسياسته .

وفي مؤتمر الاتحاد عام ١٩٧١ حضر بعض الطلاب العرب بشكل فردي لتقديم وجهة النظر الفلسطينية ومتابعة ما يدور في المؤتمر . وعقدت ندوة عن القضية الفلسطينية تحدث فيها بوب فوجال ، من جمعية الاصدقاء التي قدمت مؤخرا دراسة للمشكلة ودعت الى حل القضية عن طريق اقامة كيان فلسطيني يتعايش مع اسرائيل . وذكر فوجال في كلمته ان هناك حقين متساويين في فلسطين ، حق «الشعبين» اليهودي والفلسطيني والحق اللوم من الحكومات العربية في خلق المشكلة واكد ان الحل هو الاعتراف باسرائيل وخلق كيان فلسطيني يتعايش معها . وهاجم الممثل العربي هذا المنطق بشدة واكد ان الاحتلال العسكري الاسرائيلي والعنصرية الصهيونية لا يمكن ان تسمى « بحق كامل » واكد ان الحل الوحيد هو تأييد نضال الشعب الفلسطيني واقامة دولة ديمقراطية علمانية في فلسطين عن طريق الكفاح المسلح الشعبي ضد الصهيونية والامبريالية والرجعية العربية .

وانضم الطلاب العرب في المؤتمر الى تجمع طلاب العالم الثالث المكون من السود والامريكيين المكسيكيين واتخذ هذا التجمع موقفا موحدا من كل القضايا على اساس التضامن بين الشعوب المضطدة في سراعها ضد الامبريالية والعنصرية . وقدم التجمع قرارا نيابة عن الطلاب العرب يدعو الاتحاد الى : « قطع كل المساعدات الامريكية بن عسكرية ومالية عن اسرائيل غورا ، والتأييد الكامل للشعب الفلسطيني في نضاله من اجل التحرر وتغيير المصير . »

واصطدم تجمع العالم الثالث والسود بأعضاء المؤتمر الذين عارضوا القرارات المقدمة ، فهاطل السود قاعة المؤتمر وعطلوا اعماله ثم انسحبوا من المؤتمر احتجاجا على مواقف الاتحاد المشينة .

مواجهة الهجمة الاستعمارية الرجعية في هذه المرحلة . واتخذ المؤتمر قرارات عديدة تتعلق بالثورة الفلسطينية والخليج العربي والحكومات العربية والعالم الثالث .

وحول الثورة الفلسطينية اكدت القرارات « ان المنظمة ١ . تدبني حكم العمالة في الاردن وتندد بالمجازر الوحشية التي يرتكبها هذا النظام بأمر من الامبريالية والصهيونية لتصفية حركة المقاومة . ٢ . تناشد حركة المقاومة بترسيخ مفهوم حرب التحرير الشعبية واستمرار العمل المسلح حتى التحرير الشامل ، وتناشد بترسيخ الوحدة الوطنية وتوسيع التحامها بالجماهير الفلسطينية الاردنية . ٣ . مناشدة حركة المقاومة في خلق علاقات نضالية مع الجماهير العربية وقواها الوطنية وتحديد علاقات واضحة مع الانظمة العربية ومحاربة كل عمليات الوصاية والاحتواء التي تقوم بها هذه الانظمة . ٤ . ان المنظمة ترفض رفضا قاطعا كل المشاريع والحلول الاستسلامية بكل اشكالها وتعلن التزامها بالكفاح المسلح كطريق وحيد لتحرير فلسطين . »

٤ . المؤتمر السنوي لاتحاد طلاب امريكا : عقد هذا المؤتمر في جامعة ولاية كولورادو بتاريخ ٢٠ - ٢٩ اغسطس ١٩٧١ وحضره حوالي ٥٠٠ طالب امريكي من مختلف الجامعات الامريكية . ويمثل هذا الاتحاد قاعدة طلابية هامة ، ولكنه وقع منذ عام ١٩٦٧ تحت سيطرة وتأثير الحكومة الامريكية وبالتالي لم يتمكن من التعبير عن الرأي الطلابي ولم يتخذ المواقف السياسية الصحيحة تجاه قضايا العالم الثالث وحركات التحرر . ولقد تمكنت المنظمات الصهيونية من الوصول الى المراكز الهامة في الاتحاد وبالتالي منعه من اتخاذ قرارات تأييد للشعب الفلسطيني . وكان الاتحاد قد أقر « حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير » عام ١٩٦٥ ، ومنذ تلك السنة بدأت المنظمات الصهيونية تتغلغل في الاتحاد لمنع تأييده لنضال الشعب الفلسطيني . وقاطعت منظمة الطلبة العرب الاتحاد وذلك لمواقفه المشينة في الفترة الاخيرة . ففي عام ١٩٧٠ حاول المسؤولون عن الاتحاد ، بالتعاون مع الحكومة الامريكية ، جمع وفد طلاب فلسطين وطلاب اسرائيل في لقاء مباشر والضغط على الوفد الفلسطيني لقبول قرار مشترك مع الوفد الاسرائيلي . وحاول ممثل وزارة الخارجية الامريكية السيد ادوار

## الخطات هامة :

من الواضح ان المنظمات والجمعيات الثورية والتقدمية هي التي تعلن التأييد الكامل لكفاح الشعب الفلسطيني ، وبالتالي يجب على الوفود الفلسطينية والعربية ان تركز على توثيق الروابط والعلاقات مع هذه المنظمات والاتحادات لتخلق منها قاعدة قوية تدافع عن الشعب الفلسطيني بقوة وصلابة .

ان حضور مؤتمرات المنظمات الليبرالية والخيرية ( الكنائس وغيرها ) بشكل رسمي يعرض الوفد الفلسطيني لمخاطر كثيرة منها محاولات الحكومة الامريكية دفع الوفد نحو مفاوضات مع اسرائيل ، ويلها محاولات المسؤولين الضغط على الوفد للتنازل عن موقفه وقبول مبدأ التعايش مع اسرائيل او مبدأ الكيان الفلسطيني وغيره . ان مقاطعة هذه المؤتمرات في بعض الاحيان له ميزته واثره ، ولكن في نفس الوقت يجب متابعة الاحداث ومراقبة هذه المنظمات وخاصة التحركات الصهيونية داخلها ، وبالتالي يمكن حضور افراد بشكل غير رسمي لتابعة الاحداث والاتصال بالفئات التي تؤيد الحق العربي ودفعها لاتخاذ مواقف سلبية .

وقد يقول البعض انه من الافيد التركيز على المنظمات والجمعيات التي لم تتفهم القضية الفلسطينية ، بدل التركيز على منظمات تقف معناه . ولكن هذا المنطق يشوه حقيقة نضال شعب

فلسطين ، فالتضحية ليست مسألة متاجرة او اعلام ، وانما هي قضية كفاح مسلح ضد الاستعمار والعنصرية وبالتالي يجب الوقوف مع التجمعات والمنظمات المناضلة وخلق قاعدة صلبة معها من خلال نضال مشترك .

ان المنظمات الليبرالية ( طلابية ، كنسية او حرفية ) لا يمكنها ، بسبب طبيعتها الاجتماعية والاقتصادية وبسبب عقليتها النابعة من تكوينها الطبقي ، ان تتخذ المواقف السياسية المطلوبة ، خاصة فيما يتعلق بحركات التحرر الوطني والنضال ضد الامبريالية والعنصرية ومن اجل التحرر والاشتراكية . ان المنظمات الليبرالية والمجتمع الرأسمالي الليبرالي لا يفهم سوى لغة العنف الثوري وبالتالي تصعيد النضال الثوري والكناف المسلح الشعبي هو الطريق الوحيد لانتراع الحقوق المسلوبة وارغام المجتمع الغربي على اتخاذ المواقف المطلوبة . وعلى حركة التحرر الوطني الفلسطيني ان تهتم هذا الواقع ، وتعمل على ارسال الوفود للمؤتمرات الثورية . لقد عقدت عدة مؤتمرات هامة منها « مؤتمر القوى المعادية للامبريالية » الذي عقد في شيبي خلال شهر اغسطس ، ومؤتمر القوى المعادية للامبريالية الذي عقد في امريكا مؤخرا ، ومؤتمرات الاتحادات السوداء والمؤتمرات المذكورة في التقرير .

٠٣٠٣

## الحلقة الدراسية حول العناصر المشتركة في الماثورات الشعبية ( الفلكلور ) في الوطن العربي

اجتثاث للتراث العربي كله في ذلك الجزء الغالي من الوطن العربي ، بسرقتها هذا التراث وادعائها اياه ، واستغلاله على انه تراث اسرائيلي وتزييفه وتزويره والتجول به في شتى انحاء العالم . لهذا كله توصي الحلقة باعتبار دراسة واحياء التراث الفلسطيني واجبا قوميا تقوم به المراكز الفلكلورية والهيئات والافراد القادرون على القيام بذلك في الوطن العربي . وتأخذ الحلقة بعين الاعتبار الاهتمام بجميع الدراسات التي كتبت باللغات الاجنبية عن فلكلور الاراضي المقدسة والتي تعين على اكمال الصورة الفلكلورية الفلسطينية نظرا لتعذر امكانية المسح الفلكلوري الشامل لبعض القطاعات الشعبية الفلسطينية لظروف الاحتلال

أظهر المجتمعون في الحلقة التي دعت اليها المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم في القاهرة من ١٢ - ٢٠/١٠/١٩٧١ ، ادراكا عميقا لاهمية اظهار التراث الشعبي الفلسطيني ومكانة تشويه هذا التراث من قبل اسرائيل وادعائها لتقسيم منه كتراث اسرائيلي - يهودي هادفة من ذلك اظهار جذور « الاسرائيلية » في فلسطين ووحدة الشعب اليهودي ، ولذا صدرت التوصية التالية :  
« انطلاقا من الظروف التي يعيشها الشعب العربي الفلسطيني وتقديرا لقيمة تراثه الشعبي ، واهميته في المحافظة على الشخصية الفلسطينية القومية للشعب العربي الفلسطيني ، ونظرا لما تقوم به سلطات الاحتلال الصهيوني للاراضي المقدسة من

سريعا حيز التنفيذ للاسراع في تجميع الدراسات والقيام بالمسح الميداني وتمهد قسم الفلكلور في مركز الابحاث . ويجب التنويه هنا الى ان الواجب يدعو الى ضم الدراسات والتعبير عن التراث العربي الفلسطيني الى الجهود الاعلامي الداخلي والخارجي تكمة لظهار الكيان العربي الفلسطيني وكذلك عمق التمرد والثورة الفلسطينية وكدم اضافي لحقه الطبيعي والمعادل بالعودة الى ارضه واعادة كيانه على الارض الفلسطينية .

لقد جاء عقد هذه الحلقة في جو يحتم هذا الفار ولكنه كان في نفس الوقت منعما بغموض الفحوى والتناقض النسبي ، انه في نفس الوقت الذي بدا فيه الاهتمام العلمي بالتراث الشعبي خصوصا بالادب الشعبي ظهر اهتمام اكبر بالفنون الشعبية خصوصا الرقص الشعبي والاغاني ولكن حسب مقتضيات الدعاية والاستحسان الاتي . كان عند مثل هذه الندوة مهما جدا لتبادل الاراء والتأكيد على اهمية الحفاظ على اصالة الماثورات الشعبية وابرار العناصر المشتركة لهذه الماثورات في الوطن العربي ، بالرغم من الاختلاف الشكلي للتعصبات العربية بغض النظر عن الحدود الحالية . كما يجيء عقد الحلقة في وقت يظهر فيه حساس قطري تجاه التراث الشعبي المحلي يتناسى احيانا ادراك البعد القومي لهذا التراث .

وخشي البعض من عقد مثل هذه الحلقة من ابرار الشخصية المحلية الممثلة خصوصا باللهجة الدارجة، في وقت يتطلب من الجامعة العربية دعم المقربات الاساسية للوحدة العربية واحدى هذه المقربات اللغة العربية الفصحى . وكان الدكتور عبدالعزير الاهواني قد اجاب مسبقا على هذا التخوف حين قال في بحثه المقدم الى الحلقة : « ولكن المراجعة الدقيقة للمشكلة اللغوية في الوطن العربي، وللنظور الحضاري في العصر الحديث ، ولدور اللغة الثقافية في عالم اليوم ، يثبت ان المشكلة ل جوهرها ليست مشكلة صراع بين عابية ومصص تقضي احداها على الاخرى ، كما كان يحدث قديما ، وانما هي مشكلة الامية لا العامية ، التي تقيم في الوطن العربي هذا الازدواج البغيض ، وهذا التفاوت الشنيع ، بين ابناء الوطن الواحد ثقافيا وحضاريا . وانه بحو الامية - وهو ما نحن في سبيله - تمحي مشكلة الصراع الموهوم ، ويقوم نوع من التقارب بين لغة الكتابة ولغة

المصهوني لفلسطين . كما توصي الحلقة بتقديم التشجيع والدعم المالي لمركز الابحاث الفلسطيني التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية لتمكينه من تأسيس نواة لمركز للفلكلور الفلسطيني داخل المركز للجمع والدراسة، وكذلك لغيره من المعاهد والمراكز التي تعنى بهذا الموضوع . وتوصي الحلقة بتشجيع فرقة الفنون الشعبية الفلسطينية كمظهر من مظاهر الحفاظ على التراث الشعبي الفلسطيني ولتمكين هذه الفرقة من تمثيل ما تعالج من موضوعات فلكلورية فلسطينية تمثيلا سليما وكاملا ، ولاتاحة الفرصة لهذه الفرقة من ان تأخذ طريقها في المجال العربي والعالمي في خدمة القضية الفلسطينية والتراث العربي كله . »

جاءت التوصية واضحة تؤكد اهمية دراسة وعرض التراث الشعبي العربي الفلسطيني لتأكيد ارتباط هذا التراث بالارض الفلسطينية والمجتمع العربي الفلسطيني ، ويرجع تاريخه الى ألوف السنين . فهو حصيلة الحياة في فلسطين والتفاعل العضوي مع المجتمع العربي الأكبر ، كما ترجع الكثير من اصوله الى الحضارات القديمة والتي شاهدها فلسطين . وثبتت هذه الحقيقة جميع الابحاث الفلكلورية - الانثروبولوجية التي قام بها الاجانب منذ مائة سنة ، وبإل استجد البحاث الاجانب بالفلاح الفلسطيني والسوري عامة ليستوعبوا ما جاء في التوراة والنلمود من عادات وانماط عمل خاصة بالعصر العبري - الكنعاني . وشهد هذا النوع من الابحاث ازدهارا كبيرا عبرت عنه اعداد كبيرة من المؤلفات والمغالات يفوق عددها التسعين ، كما تشمل جميع نواحي الحياة الشعبية من عادات وتقاليد واغان وموسيقى وخرافات وتقاليد الاحتفالات الدينية وقمص شعبية والمنزل الفلسطيني والنمط الانتاجي واودات العمل والفنون الحرفية ... وقد شارك في هذه الدراسات بحاث فلسطينيون مثل الدكتور توميك كنعان واسطفان حنا اسطفان . كما تظهر من جهة اخرى اهمية تجميع الماثورات الشفهية ، والتي تستطيع اعطاء صورة عميقة عن الروح الوطنية والتمسك بالارض والعودة من خلال المعاناة الجماعية التي يعيشها الشعب الفلسطيني منذ اكثر من خمسين سنة . ولقد جمع فعلا الاخ نبر سرحان قدرا كبيرا منها ويؤمل من خلال عمل جماعي القيام بالمسح الشامل لهذا النمط من الماثورات . ولذا يؤمل ان تجد هذه التوصية

الحديث اليومي » . وقد يكون التخوف في محله في حال اتجاه بعض الاقطار العربية نحو تشجيع اللون الشعبية كباثورات اقلية تمكس الفكر الانمالي ، ولكن هذا التخوف آتي ، اذ بالدراسة العلمية لهذه الماثورات داخل كل بلد عربي وعلى نطاق الوطن العربي سيصير تكذيب الاتجاه اللاعقلاني الضيق . كما ان العمل العربي الموحد خصوصا من قبل الاختصاصيين الملتزمين بالوحدة العربية سيصد بحزم اي عمل اقليمي مشوه .

لقد وضع للحلقة برنامج عمل واسع وغير دقيق والمقرر في ذلك كون هذه الحلقة الاولى من نوعها ، كما ساهم توزيع النشاط مباشرة على اللجان على الشروع عن المواضيع . وكان يستحسن تخصيص يوم ونصف لسماع ومناقشة محاضرتين او ثلاث يهد لمناقشة اللجان من السماع لتقارير الوفود وكان تد طبع اكثرها وتحدث عن نشاط الدول العربية في نطاق الماثورات الشعبية . وانصافا للحقيقة كانت اللجنة التحضيرية والحلقة برمتها يدركن شوائب اول حلقة ومقتنمتين من ان اللقاء الشخصي وتبادل الآراء في هذا اللقاء الاول سيهتان في تحضير لطلقات اكثر تخصصا .

منذ البدء جابه اللقاء تناقضا في فهم معنى دراسة الفلكلور . لقد نظر اليه البعض كتجميع لنتائج الابداع الشعبي خصوصا من الناحية الفنية والاستنادة من حيلة هذا التجميع لدعم التطور الحضاري العربي والاستفادة من هذا الفن لابرار الشخصية العربية . بينما نظر البعض الاخر ويحق اني دراسة الماثورات الشعبية بهدف فهم قبل كل شيء ثقافة الشعب التقليدية وتماثلا لهذا المفهوم بوجه العمل الميداني . لم يكن ههنا التناقض علنيا بل كان ضمريا ، ظهر خلال عرض منهج ودليل العمل الميداني . ويرجع القسم الاكبر من هذا التناقض الى أنماط التخصص او مجرى الاهتمام بالماثورات الشعبية . فالذين درسوا علم الفلكلور وعلم الاجتماع ينظرون الى عملهم كمسمى لفهم الثقافة التقليدية والتفكير الشعبي مع الاعتراف الكامل بالناحية الفنية ، ويسلك ايضا هذا الطريق قسم من الاثين الى موضوع الماثورات الشعبية من خلال الدراسة الادبية ويهتمون حاليا بالادب الشعبي . بينما ترى من جهة اخرى ان الذين اعتبروا بالماثورات الشعبية اثر هواية خاصة او تخصص في بعض المجالات الفنية ، يتفوق لديهم

الموقف الرومنسي ، وهكذا يبدو لنا ان الحلقة الدراسية الخاصة بالماثورات الشعبية جمعت تخصصات واهتمامات مكمل ومتناقضة . فلا عجب من ذلك ، اذ ان الاهتمام بالماثورات الشعبية جديد العهد نشأ من تعدد الاسباب ووجه النظر بعضها متناقض وبعضها مكمل ، وانمكس هذا التفاوت على مناقشات الحلقة . يطلب حاليا التضافر في نشر الاهتمام بالماثورات الشعبية ومحاربة التشويه ويطلب ايضا من الباحثين الاستفادة بما جمع من ماثورات لتحليل الثقافة التقليدية ، وذلك لتعميق نظرة مجموع الفلكلوريين والمثقفين عامة حول مقومات الثقافة التقليدية واسسها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والاخلاقية . وتساعد مثل هذه الابحاث على اشارة الطريق امام من يهيم الامر من المهتمين بهذه الماثورات وعقلنة عملهم . وهنا تطرح ايضا قضية علاقة الابحاث الانثروبولوجيا الاجتماعية مع البحث الفلكلوري .

جاء التناقض السابق في فهم الماثورات الشعبية ايضا من زاوية قضية تحديد مجال ابحاث كل تخصص . والذين يطرحون هذه القضية يرون ان دراسة الثقافة التقليدية تنبع فرع الانثروبولوجيا الاجتماعية ، اما علم الفلكلور فيهم بأنماط الابداع الشعبي . ويستمد هؤلاء هذا الرأي من حقيقة الوضع في بعض الدول المتقدمة . ولكن هذا الرأي لا يضع امام اعينه السبب التاريخي لثبوت هذا الافتراق ، بينما نجد ان ابحاث الاختصاصيين الغربيين الفلكلورية والانثروبولوجية تتداخل نسبة للدول النامية . بل اخذ تيار التحليل الفلكلوري المتكامل اي المتحم مع الانثروبولوجيا يأخذ طريقه بنجاح في الدول المتقدمة . اذا كانت الاهتمامات الفلكلورية الرومنسية قد سبقت الابحاث الانثروبولوجية في الوطن العربي فليس معنى ذلك السير في طريق انفصال الطرفين ، بل يجب تدارك هذا الامر ومعرفة عناصر الترابط ، اي كما ذكر سابقا الاهتمام بدراسة الثقافة التقليدية . ولا يعني هذا الجمع حصر الدراسة الفلكلورية باختصاص معين ، بل معناه تنسيق عمل جميع التخصصات حسب منهج عمل موحد ودليل عمل واضح ، لتستطيع جميع هذه التخصصات خدمة دراسة الثقافة التقليدية واطهار في نفس الوقت الابداع الشعبي التراثي .

ن . ب .

## المقاومة والمجلس الكنسي العالمي

دولار) للمنظمات المناهضة ضد العنصرية، كما أقر المجلس في ٩ ايلول في صوفيا ٢٠٠٠ السك دولار أخرى للكفاح ضد العنصرية. وللأسف لم تتم المقاومة بالجهد اللازم لكي تكون المقاومة الفلسطينية من بين المنظمات المستقلة هذه المساعدات الرمزية ولنحصل بذلك على اعتراف قطاع هام من الرأي العالمي بعنصرية عدوينا الصهيوني. وفي ايار ١٩٧١ وبعد اتصالات تهديدية زار يوجين بليك الأمين العام للمجلس الكنائسي العالمي الجزائر واجتمع بالرئيس هواري بومدين وبممثلين عن المقاومة. وصادر بليك عقب اجتماعه ببومدين بلاغا ايد فيه نضال الشعب الفلسطيني من اجل استعادة حقوقه.

وبالتعاون مع لجنة الجزائر لنصرة فلسطين رتب اتصالات للمقاومة مع اوساط كنسية امريكية منذ ١٩٧١، كما رتب لقاء في اكتوبر ١٩٧١ بين المجلس الكنسي الوطني في الولايات المتحدة (من اهم الاعضاء في المجلس العالمي) ووفد من المقاومة. وقد تم اللقاء في نيويورك. وابدى اعضاء المجلس في اجتماعاتهم ومناقشاتهم مع اعضاء الوفد الفلسطيني تفهما للقضية واعتبروا دعوة وفد منظمة التحرير الفلسطينية بحد ذاته موقفا، ورتبت زيارة الوفد الفلسطيني الى مينابوليس لحضور مؤتمر لاكبر الطوائف البروتستانتية في أمريكا (الميثوديست). ومع وجود فئات معارضة لدعوة وفد المقاومة الا ان الدعوة تمت، وبعد عرض الوفد للقضية ومناقشتها في المؤتمر اعرب بعض الزعماء الذين كانوا يعارضون دعوة المقاومة عن تغيير موقفهم السابق وتقديرهم لزيارة الوفد وعرضه للقضية. وتمهدت فئات من المؤثرين ان تواصل مساعيها لشرح القضية على مستوى القاعدة ولحمل المؤتمرات المقبلة على اخذ المواقف المتقدمة.

لقد نجحت المقاومة الفلسطينية عن طريق نضالها وطرحها التقدمي الانساني في الوصول الى قطاعات واسعة من الرأي العالمي حتى ان بعض الاوساط الليبرالية الغربية بدأت تتفهم عدالة القضية الفلسطينية. وطبعا ان التفهم شيء والمواقف شيء آخر. وتخطىء العقيلة الليبرالية العربية خطأ نادحا اذ تتوهم ان مجرد تفهم قضية يؤدي الى اتخاذ الموقف «الصحيح» متجاهلة بذلك حقيقة التناقضات والصراعات بين مختلف الانظمة والطبقات. ومن هذا المنطلق نرى ان الاتصال بالقطاعات الليبرالية وتفهمها عدالة قضيتنا وكفاحنا ليس بدون جدوى شرط ان نضع هذه الاتصالات في مرتبة دنيا على سلم الاولويات لنشاطاتنا السياسية والاعلامية وان نعمي ان مثل هذا النشاط ما هو الا مجرد تشويش في معسكر الخصم.

لقد سجلت المقاومة نجاحا ملموسا في علاقاتها مع الاوساط الكنسية في العالم. فالندوة العالمية للمسيحيين من اجل فلسطين (بيروت ايار ١٩٧٠) جمعت اكثر الفئات المسيحية تقدما واتخذت مواقف مساندة صريحة. وتقوم اللجان الوطنية المختلفة المنبثقة عن تلك الندوة بنشاطات اعلامية هامة. وبالإضافة الى علاقة المقاومة بهذه اللجان فقد تمت اتصالات عدة بين المقاومة وبين مجلس الكنائس العالمي (جنيف) الذي يجمع الطوائف البروتستانتية والارثوذكسية في العالم. ففي آب ١٩٦٩ اعلن المجلس ان الدول الكبرى بخلفتها اسرائيل ارتكبت ظلما نادحا في حق عرب فلسطين. وفي عام ١٩٦٩ تبنى مجلس الكنائس العالمي برنامجا لكفاح العنصرية في العالم وخصص مساعدات مالية لعدة حركات تحرر مما اثار ضجة في بعض الاوساط الكنسية في الغرب، غير ان اجتماع اللجنة المركزية للمجلس في اديس ابابا (يناير ١٩٧١) أقر هذه المساعدات (٢٠٠ الف

## المؤتمر العمالي العالمي للتضامن مع عمال وشعب فلسطين

فلسطين على ضوء الحوادث مع الوفد الفلسطيني.

### من نداء المؤتمر الى عمال العالم

« ان شعب فلسطين يعيش اليوم بلا ارض وبالقالي بلا ايسط مقومات الحياة لاي شعب . لقد اجبرت السياسة التوسعية لاسرائيل التي تساندها الامبريالية ، وعلى رأسها الامبريالية الامريكية ، والحركة الصهيونية العالمية ، اجبرت الشعب العربي الفلسطيني على الهجرة من وطنه وفرضت عليه الحرمان وآلام لا تحصى ولا تعد ، والاتجاه للبلدان العربية الاخرى . وفي المناطق المحتلة ، يتعرض شعب وعمال فلسطين الى شتى اشكال التفرقة والقمع والاضطهاد البشع والسجن والتعذيب وتدمير المساكن والترحيل الجماعي الاجباري والمذابح. فقد شن العسكريون الاسرائيليون منذ عام ١٩٤٨ ، وبالتحالف مع الامبريالية ثلاث حروب عدوانية ضد البلدان العربية ، وذلك لضم المزيد من الاراضي ولمنع الشعوب العربية من تدعيم استقلالها الوطني وخلق مجتمع جديد . ومن الواضح ان اسرائيل وحمايتها يواصلون جرائمهم الظالمة ضد الشعوب العربية ، ولذلك فان النضال العادل الذي تخوضه الشعوب العربية بشتى الوسائل ، وفي مقدمتها شعب فلسطين ، للحصول على حقتها المشروع والانساني في الوجود الوطني المستقل ، على ارضه الطبيعية ، لا بد وأن يحظى بالتأييد الفعال من جانب العالم بأسره وبالاخص من جانب العمال والحركة النقابية العالمية . والواقع انه طالما ان شعب وعمال فلسطين لم يحصلوا على حقوقهم في العودة الى وطنهم وارض اجدادهم وفي تقرير مصيرهم بانفسهم ، فان الشرق الاوسط ، بل والعالم بأسره ، لن يعرف السلام او الامن . ان نضال شعب فلسطين لهو كفاح من اجل العدل والحق في الحياة وتحقيق السلام ، وعلى عمال وشعوب العالم بأسره أن يقفوا تماسا الى جانبه وان يحتجوا بحزم ضد القوى الامبريالية والصهيونية والقوى الرجعية العربية في الاردن خاصة التي تحاول أن تقضي على ذلك النضال البطولي بقتل المناضلين العرب بوحشية .

لكل هذه الاسباب ، يوجه المشتركون في المؤتمر النقابي العالمي للتضامن مع عمال وشعب فلسطين،

ان هذا المؤتمر الذي عقد في صوفيا (بلغاريا) في الفترة ما بين ١٠-١٣ سبتمبر ١٩٧١ لهو اهم مؤتمر عالمي لمناصرة الشعب الفلسطيني . ويمثل هذا المؤتمر بالنسبة للقضية الفلسطينية خطوة الى الامام في مواقف الدول الاشتراكية الصديقة والحركة النقابية العالمية . فقد ضم المؤتمر ممثلين من سبعين منظمة وطنية واقليمية ودولية من ٥٦ دولة . ومثل اتحاد عمال فلسطين وفد من عشرة اشخاص برئاسة الاخ ابو لطف مسؤول التنظيم الشعبي في منظمة التحرير الفلسطينية . وتلقى المؤتمر رسالة من الاخ ياسر عسرة حيا فيها المؤتمرين وعبر عن شكر شعبنا وتقديره لقوى التقدم والتحرر التي تقف الى جانبنا كما اكد الاخ ياسر عرفات ان الهجمات الشرسة التي يتعرض لها ثورتنا لا تزيدنا الا اصرارا على مواصلة الكفاح الثوري المسلح من اجل التحرير . وقد لعب الوفد الفلسطيني دورا هاما في اتجاه المؤتمر والخروج بنتائج جيدة . ونجاح مثل هذه المؤتمرات لا يقاس بمدى الموافقة الكلامية على مواقف الثورة فحسب بل ايضا بتطور مواقف الاصدقاء والامكانيات الحقيقية التي تكمن وراء من يلهم بمثل هذه المواقف والاعمال الملموسة التي يمكن ان يقوم بها الاصدقاء ترجمة للمواقف الكلامية .

وجه المؤتمر بعد مناقشاته نداء الى عمال العالم قائم فيه القوى الامبريالية والصهيونية واسرائيل والرجعية العربية وناشد عمال العالم تأييد كفاح الشعب الفلسطيني العادل من اجل العودة الى وطنه وتقرير مصيره . كما وجه المؤتمر مذكرة الى السكرتير العام لهيئة الامم المتحدة مطالبا بأخذ الإجراءات الرادعة لكبح جماح المعتدين ووضع حد لاستهتارهم بمصالح الشعوب . ووجه المؤتمر مذكرة اخرى الى لجنة حقوق الانسان التابعة لهيئة الامم المتحدة تفصح جرائم اسرائيل وانتهاكها لحقوق الشعب الفلسطيني وتطالب ليس بالادانة فقط بل باتخاذ الإجراءات الأكثر فعالية من اجل تأييد الكفاح العادل لشعب فلسطين . وترجمت بضعة وفود من الدول الاشتراكية ، بما فيها الاتحاد السوفييتي ، مساندتها هذه بمساعدات مادية لاتحاد عمال

ذلك النداء الحي لتقابات كل بلدان العالم ، من مختلف الاتجاهات والانتهاكات النقابية والاراء ، ولكل العمال والعمالات من اجل :

— مساندة واسعة للنضال العادل للشعب العربي الفلسطيني بقوة ، ليعود الى وطنه ويعيش فيه بحرية ، ومن اجل حقه في تقرير مصيره بنفسه ، واختيار وسائل تحقيق مصالحه الوطنية بنفسه .  
— القيام بحركة واسعة لادانة سياسة العدوان التي تنتهجها اسرائيل ضد شعوب البلدان العربية ، والمطالبة بانسحاب اسرائيل فوراً وبلا شروط من الاراضي المحتلة ، وبتنفيذ الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني ومطالبة حكوماتكم باصرار بالعمل بشكل فعال داخل هيئة الامم المتحدة من اجل تطبيق القرارات التي اتخذت من قبل من جانب هذه المنظمة لصالح احترام حقوق الشعوب العربية وشعب فلسطين ومن اجل اجبار اسرائيل على احترام هذه الحقوق .

— العمل من اجل مراعاة حقوق شعب فلسطين تماماً ، في البحث عن حل لازمة الشرق الاوسط بما في ذلك حق هذا الشعب السيادي في الاشتراك على قدم المساواة في البحث عن حلول ، اذ انه لا يحق لاحد ان يقرر مصير الفلسطينيين في غيابهم .  
— القيام في بلادكم ، بنشاط واسع ومتواصل من اجل نهم افضل وتضامن اوسع مع النضال العادل لعمال وشعب فلسطين .

— العمل من اجل تطوير وتدعيم التضامن الدولي العريض من اجل تنفيذ واحترام الحقوق الانسانية والوطنية للفلسطينيين .

— تقديم المساعدة المادية للفلسطينيين الذين طردوا من وطنهم ويعيشون في ظروف الفقر الشديد محرومين من الامكانيات الاولية للحفاظ على وجودهم .

— التعاون مع الاتحاد العام لعمال فلسطين ، والتعبير من خلال ذلك التعاون عن تضامنكم مع عمال فلسطين ومساندتكم لهم « .

#### من مذكرة المؤتمر الى يو ثانت

« منذ ثلاثة وعشرين عاماً وشعب وعمال فلسطين يتعمون ضحية ظلم بشع اذ طردوا من وطنهم ولاتوا شتى انواع التعذيب وتمرضوا للمذابح البربرية ، وهم يعيشون الان اقسى انواع الظلم والاضطهاد يعانون من الفقر والمرض داخل مخيمات التشرذم محرومين من ابسط الحقوق الانسانية. ان قضيتهم

تعني قضية ظلم وتجريد شعب من كل مقومات الحياة ، انها جريمة تهز ضمير الانسانية . ولهذا خصصت الامم المتحدة الف جلسة من جلسات هيئاتها الاساسية واللجان التابعة لها لدراسة هذه القضية واتخذت اكثر من ١٥٠ قراراً بهذا الشأن . وقد اعترفت كل هذه القرارات بالحقوق الشرعية والوطنية لشعب فلسطين الذي طرد من أرضه ورفضت الظلم الذي لحق به . وأمام تحدي اسرائيل الوقح ، يدعس من الامبريالية العالمية ، لكل قرارات الامم المتحدة المعترفة بحقوق الشعب الفلسطيني ورفضها ، ظل شعب فلسطين محروماً من وطنه مشرداً خارج دياره . وفي نفس الوقت يتعرض باستمرار السلام في هذه المنطقة من العالم للخطر بشكل بات يهدد السلام العالمي .

ولكل هذه الاسباب مجتمعة ، فان المشتركين في المؤتمر النقابي الدولي للتضامن مع عمال وشعب فلسطين في صوفيا ، يتوجهون اليكم مع تقديرهم لجادتكم الانسانية ، ببناء حار يطالبونكم بما بالتوسع في نشاطات الامم المتحدة لصالح نفسه شعب وعمال فلسطين والشعوب العربية العادلة. ان ملايين العمال الذين نملظهم ظلوا يتسائلون ، ولهم كل الحق في هذا ، عن موقف الامم المتحدة تجاه قضية شعب طرد من وطنه وحرم من ابسط مقومات الحياة ، وعن موقف الامم المتحدة من دولة تنادي في الاستهتار ورفض مقررات الامم المتحدة الخاصة بحقوق هذا الشعب . لقد آن الاوان للامم المتحدة ان تتخذ من الاجراءات الرادعة ما يكبح جراح المعتدين ويضع حدا لاستهتارهم بمصالح الشعوب . اننا نعتقد صادقين انه في امكان هيئة الامم المتحدة ان تتقدم خطوة في هذا السبيل لغرض احترام قراراتها وذلك عن نفس الطريق الذي سلكته وتسلكه هيئة الامم المتحدة والعالمية العظمى من اعضائها تجاه الدولة العنصرية ل جنوب افريقيا وتجاه البرتغال الاستعمارية . ولي هذا المجال ، فان المؤتمر النقابي العالمي للتضامن مع عمال وشعب فلسطين يحثي الموقف الذي اتخذته البلدان الاشتراكية من تأييدها الكلي للنضال العادل الذي يخوضه عمال وشعب فلسطين ، ونحسن نحوي كذلك المبادرات التي تساعد كثيراً في عزل اسرائيل سياسياً واقتصادياً على الصعيد الدولي .. كما يحثي المؤتمر النضال



## رالف بانثي كما لم نعرفه

ان الدكتور رالف بانثي ، مساعد السكرتير العام للامم المتحدة الحائز على جائزة نوبل للسلام ، والذي قضى في التاسع من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧١ عن عمر يناهز السابعة والستين ، لم يكن حقيقة الانسان الذي كان يبدو لنا من بعيد . ويمكن ان يكون العالم قد أبته بأجسل عبارات المديح والثناء ، ولكن بالنسبة للفلسطينيين وسائر العرب هناك الكثير من الاسباب التي تجعلهم يتحفظون عن ذلك . فلم يكن موظفا دوليا بل كان اميركا ينفذ السياسة الاميركية على صعيد المراتب العليا للسكرتارية العامة للامم المتحدة ، ويهتم بأن تؤخذ سياسات اميركا العليا في الحسبان عندما يحين الوقت لتنفيذ قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة ومجلس الامن الدولي . ولم يتلقى جائزة نوبل للسلام من اجل تأمين السلام في الشرق الاوسط ولكن لمساعدته القوات الصهيونية الاستيلاء على النقب ليضوها الى الدولة التي اتاموها في فلسطين . لقد كان الدكتور بانثي زنجيا ينظر الى العالم من زاوية الرجل الابيض والتعصب لاوروبه كما ان عواطفه كانت مع الحركة الصهيونية . فهو الاميركي الذي كان دائما يشغل المراكز الحساسة في اي جهد تقوم به الامم المتحدة لمعالجة الصراع في فلسطين . وبدأت علاقته بفلسطين في العام ١٩٤٧ عندما عين مستشارا للجنة الامم المتحدة من اجل فلسطين ، اذ كان يقوم بصياغة التقارير التي تقدمها هذه اللجنة للجمعية العامة . وفي ١٤ أيار ( مايو ) ١٩٤٨ ألحق الدكتور بانثي بمستشاري الكونت فولك برنادوت ، الوسيط الدولي في فلسطين ، وكان هو ، اي بانثي ، مسؤولا الى حد كبير عن صياغة تقرير ١٦ أيلول ( سبتمبر ) ١٩٤٨ الذي نجح بكل دقة في اخفاء اسلوب العنف اليهودي واهدافه ضد الشعب الفلسطيني ، اي التدمير المنظم للقرى العربية الفلسطينية وطرد الشعب الفلسطيني من المناطق التي كانت محط اطماع الصهيونيين . وبعد ان اغتال الازهابيون اليهود الكونت برنادوت في ١٧ أيلول ١٩٤٨ عين بانثي وسيطا بالوكالة ، وقد اوكلت له الجمعية العامة مهمة الحفاظ على وقف اطلاق النار وتأمين سلامة اهالي فلسطين واجراء مفاوضات لعقد هدنة بين الدول العربية واسرائيل . وتميزت هذه الفترة بوقف اطلاق نار غير محدد

العدل الذي يخوضه عمال وشعب فلسطين من اجل العودة الى وطنه وتقرير مصيره بنفسه . لنا مرة أخرى نكرر طلبنا يا سيادة السكرتير العام بمقربين جهودكم الانسانية ، ان تبتذلوا جهودكم الشخصية في السير بهذه القضية من اجل ان يلترب اليوم الذي يعود شعب فلسطين الى بلده ويقرر بمحض ارادته وبحرية تامة مصيره بنفسه ، ويوضع حدا لهذه المساة الانسانية » .

### من مذكرة المؤتمر الى لجنة حقوق الانسان التابعة للامم المتحدة

بعد عام ١٩٤٨ ، ومن تاريخ اقامة اسرائيل على ارض فلسطين ، وشعب وعمال فلسطين يتعرضون لمظالم بشعة ، لقد طردوا من اراضيهم ونهبست اموالهم ، وعذبوا وقتلوا بالجملة . وقد تفاقمت بمساة هذا الشعب بعد عدوان عام ١٩٦٧ ، وبساعات اعمال القمع : عقوبات جماعية ، تدمير مساكن واحياء بأكلها ، قتل نساء واطفال وشيوخ . وفي مواجهة هذه الاعمال اللاانسانية التي قامت بها اسرائيل ، لم تقف هيئة الامم المتحدة واجهتها مكتوفة الايدي ، فقد تعرضت لجنة حقوق الانسان بالاخص وفي مناسبات عديدة وبمربحانها وقراراتها ولجان التحقيق التابعة لها ، وغير ذلك من المبادرات ، تعرضت لهذه المظالم ووجهت الاتهام لاسرائيل بادانتها . ولكن اسرائيل ، التي تساعدها وتساندها الامبريالية الامريكية في المقام الاول ، لم تأبه بهذه الادانات ، من ضاعت من مظالمها واعمالها البربرية للقضاء على ذلك الشعب ، كما يحدث في غزة حيث تواصل اسرائيل جرائمها البشعة وتجبر الالف الامراد الى التني وتريق دماء الابرياء . وفي مواجهة النضال المشروع لشعب وعمال فلسطين ، تواصل اسرائيل اعمالها البربرية وتريق المزيد من الدماء ، ويرتكب جرائم أخرى .. وهذه الجرائم معروفة للعالم ، وبالاخص للجنة حقوق الانسان التي كونت من قبل لجان التحقيق في الجرائم اللاانسانية التي ارتكبتها اسرائيل . ولكل هذه الاعتبارات ، فان المؤتمر المنعقد في صوفيا ، والذي يدرك تماما ان الادانات وحدها لن تحول دون مواصلة اسرائيل ارتكاب المظالم ، يقترح عليكم اتخاذ الاجراءات الاكثر فعالية من اجل تأييد الطموح العادل لكفاح شعب وشعب فلسطين بالعودة الى بلده وتقرير مصيره بنفسه ، ومنع الجرائم البشعة ، وبالاخص في غزة .

استغللتها القوات اليهودية التي كانت في موقف هجومي لتعزيز قبضتها على المناطق التي كانوا يسيطرون عليها وضم الاراضي العربية التي كانوا يرغبون في ضمها . وفي آذار ( مارس ) حشد اليهود قواتهم في وجه القوات المصرية والاردنية في النقب في الوقت الذي كان باناش ينتظر في رودس بدء مفاوضات السلام . وابلغه جلوب باشا ، قائد الجيش العربي في الاردن آنذاك ان قواته تعرضت للهجوم ، فطلب اليه باناش مزيدا من التفاصيل ، فبعث بها اليه جلوب ، ولكن باناش طلب المزيد ، ورد جلوب من جديد ، ومن جديد طلب باناش المزيد من التفاصيل ، وظل يماطل الى ان بلغت القوات الاسرائيلية ايلات منهيبة بذلك حملة النقب . وبهذه الماطلة حال باناش دون تدخل الامم المتحدة ، ولو لفظيا ، في الحملة الصهيونية لضم النقب الى الدولة الصهيونية ، وفي الحقيقة فان باناش ، الى حد ما ، قدم النقب هبة لاسرائيل . وفي العام ١٩٦٧ اصبح باناش مساعد السكرتير العام للشؤون السياسية ، وفي ايار ( مايو ) ١٩٦٧ عندما طلب الرئيس عبدالناصر من او ثانت سحب قوات الطوارئ الدولية من قطاع غزة وسيناء ، ابلغ باناش او ثانت ان الرئيس المصري يقوم بخدعة ، و اشار على السكرتير العام ان يتخذ موقفا متصليا ضد مصر . وقد انتقد المصريون هذا الخط المتشدد والذي نصح به باناش ، ولا يزالون يصرون على ان الرئيس عبد الناصر كان في الحقيقة على استعداد للوصول الى اتفاق بشأن اعادة توزيع قوات الطوارئ الدولية بشكل كان من الممكن ان يمنع وقوع مجابهة بين القوات المصرية والاسرائيلية ادت الى الجولة الثانية من اجل فلسطين في حزيران .

وفي مناسبات عدة اعرب الدكتور باناش كتابة عن تعاطفه مع الصهيونيين واعجابه بالجهود التي كان يبذلها الدكتور حايم وايزمن لتأمين انشاء وطن تومي لليهود . وكثيره من الليبراليين في الغرب كان يتحدث عن معاداة الصهيونية وكأنها معاداة السامية . ووقف الى جانب اليهود في تضالهم ضد التمييز العنصري والاضطهاد ، ولكنه ،

واعجبا ، لم يستطع ان يكتشف ان الدولة الصهيونية بطبيعتها عنصرية على اعتبار انها استقنت الشعب الفلسطيني من مواطنيها ، واعار باناش اهتماما كبيرا كما تآثر عاطفيا باضطهاد اليهود في اوروبه والزواج في امركة وبتحاملات الاميركيين البيض المسيحيين ضد الزواج واليهود ، ولكن طرد شعب بكامله على يد شعب اخر ، اي طرد اليهود للفلسطينيين ، كان بالنسبة له ليس تمعا عنصريا بل « المصير اليهودي » .

ومع ان الدول العربية كانت تدرك جيدا دور باناش خلال معركة النقب ، ومع ان الدبلوماسيين العرب اعربوا خلال السنوات الماضية عن شكوكهم بالنسبة لصلاحية باناش للمناصب العالية التي احتلها في سكرتارية الامم المتحدة ، لم يجرؤ احد من هؤلاء على الوصوف بوجهه او توجيه انتقاد رسمي لسياسته : ولو كان باناش امريكا ابيض ، كان يمكن ان تظهر الدول العربية عدم ثقته به ، ولكن ما حدث هو انه بالنسبة للدول العربية التي كان لديها كل الحق في الاحتجاج ضد ترقية باناش المستمرة ان حال اللون ضد اية معارضة ، وكان ذلك في الحقيقة نوعا من التمييز العنصري المعكوس . وهنا لا بد من التذكير ان عدم توجيه النقد لاي فرد على اساس من لون بشرته او المجموعة البشرية التي ينتمي اليها يشكل تحملا بالمقدار ذاته كلاتنقاد الذي يوجه في غير مكانه . من كل هذا ، ارى ان هذه التجربة مع الدكتور باناش تمينة بأن تعلم العرب ، والفلسطينيين على وجه التحديد ، درسا هاما في السياسة العربية ، وهو ان لون البشرة ليس دليلا على التحالف السياسي ، وان الاميركيين السود ليسوا كلهم اصدقاء لقضايا العالم الثالث ، وفي الحقيقة فان منظمات عدة من الاميركيين السود ، بما في ذلك المنظمات الراديكالية ، معجبة بالصهيونيين ، وتحاول ان تسير على هدى خطاهم عند طلبها لقضاياها العرقية الخاصة . ولاكتشاف ذلك ليس علينا الا الرجوع الى مجموعة المقالات الاخيرة ( ١٩٦٨ ) التي كتبها ايلدرينج كليفن .

**مايكل جانسن**

# حديث مع اربعة متطرفين اسرائيليين

## جميل هلال

التقى في لندن ، اواخر سبتمبر ١٩٧١ ، اربعة من الاسرائيليين المتطرفين على سلطات اسرائيل . وهم عكيفا اور وموشيه ماخوفر ، من قسادة حركة متسبين ، وشمشون ، من مؤسسي حركة الفهود السود ، والدكتور اسرائيل شاحك ، رئيس اللجنة الاسرائيلية لحقوق الانسان . وقد دار بينهم وبين جميل هلال ، الاستاذ المحاضر العربي في لندن الحديث التالي .  
وجدير بالذكر ان المنظمات الثلاث ، التي يتولى هؤلاء الاربعة مسؤوليات بارزة فيها ، تشترك في معارضة السلطات الاسرائيلية وفي فضح اعمالها ونواياها علنا وبشكل متواصل داخل الارض المحتلة وخارجها ، وان كان لكل من المنظمات مواقف عقائدية تختلف عن الاخرى : فبينما ترفض متسبين الصهيونية ، يكتفي الفهود السود بمهاجمة الطبقة الحاكمة . اما لجنة حقوق الانسان فتشدد على ضرورة انتهاء احتلال ١٩٦٧ والكف عن الاساليب اللانسانية في معاملة العرب . وقد سبق لشؤون فلسطينية ان نشرت مقابلة مع مؤسس متسبين ( عدد ٢ ) ومقالا عن الفهود السود ( عدد ٤ ) وبيانات للجنة حقوق الانسان ( عدد ١ و ٣ ) .

تقتهم بالحكومة (جاء هذا بعد مسألة جولدمن ) .  
واحد هؤلاء الطلاب كان من بين الاربعة الذين رفضوا ( هذه السنة ) اوامر الالتحاق بالجيش . واعتبرت اغلبية الشعب الاسرائيلي تصرف هذه المجموعة عملا شائنا للغاية ووصفتهم الصحافة الاسرائيلية بالجبن والخيانة . ولكن علمهم هذا كان بمثابة رسم لعلامة استفهام حول النظام الاسرائيلي ، فقد زحزح من شرعية هذا النظام وزرع بذور الشك والارتياب في نفوس بعض الشباب .

عكيفا اور : من المهم أن نتذكر ان الطالب الاسرائيلي لا يستطيع تكيل دراسته قبل أن يؤدي الخدمة العسكرية ، كما أن التعليم العالي ( الجامعات والصفوف العليا في المدارس الثانوية ) ليست مجانا في اسرائيل . وهذا يعني ان طلاب المدارس العليا والجامعات ينتسبون ، بطبيعة الحال ، الى طبقات وفئات اجتماعية معينة لا تمثل المجتمع الاسرائيلي ككل . كما أن الطالب يلتحق بالجامعة لفرض واحد فقط وهو الحصول على وظيفة ادارية ، حكومية او تجارية . ولهذه

المر في المدة الاخيرة حركة بدائية لمقاومة التجنيد في اسرائيل . ما هي الدلائل السياسية لهذه ، وما هي الدوافع التي تقف وراء ظهورها وما هي قابلية التوسع لهذه الحركة ؟

شمشون : لا تزال حركة العصيان هذه في مرحلة جنينية ولهذا فهي لا تمثل ، في مرحلتها الراهنة ، ظاهرة سياسية خطيرة . ان الوسيلة القانونية الوحيدة لتجنب التجنيد في اسرائيل هي الاختلال العقلي . ولا يقر القانون الاسرائيلي بالاستنكاف الضميري ( الاخلاقي ) كحجة مقبولة لرفض حمل السلاح . ولكن هذا لم يمنع اربعة من الشبيبة اليهود من توجيه رسالة الى ديان (في آب ١٩٧١) اعلنوا فيها رفضهم « الانتخراط في جيش احتلال بوجه الى شعب اخر نفس المعاملة التي وجهت الى ابائنا » كما رفضوا ان يكونوا « أداة طيعة لجيش يشن حروبا خارجية لاسباب داخلية » .  
ومن الضروري ربط هذه الخطوة بما حدث في آيار ١٩٧٠ عندما وجه ( ١٨ ) طالبا - من اغنى المدارس العليا في اسرائيل - رسالة الى جولدا مائير عبروا فيها عن قلقهم الضميري وعن فقدان

الاسباب فان فئة الطلاب في اسرائيل لا تشكل ،  
 كواقع أو كإمكانية — قوة ثورية . وبخلاف هذا  
 فان طلاب المدارس العليا ( قبل التحاقهم بالجيش )  
 هم أكثر اندفاعا لتحدي النظام الاسرائيلي وهم  
 أكثر تقبلا للافكار الثورية من الطلاب الجامعيين .  
 ان أهمية حركة العميان هذه تعود الى نوعية  
 الموضوعات التي تثيرها . وأهم هذه يتناول طبيعة  
 تماسك وترابط المجتمع الاسرائيلي والوسائل التي  
 يستخدمها هذا لضبط واخماد الفئات  
 والنزاعات الداخلية ( جيلية ، طلابية ،  
 ائنية ... الخ ) وتواجد هذه يعتبر بالشيء  
 العادي في المجتمعات الصناعية المتقدمة ، بخلاف  
 الوضع القائم في اسرائيل . فالضجة التي قابلت  
 عميان هذه المجموعة الصغيرة من الشيبية تعود  
 في سببها الى التحدي الذي اظهرته هذه لاسس  
 المجتمع الاسرائيلي . ومن الواضح ان الظاهرة لا  
 تماثل — في درجة عموميته وتفشيها — نفس  
 الظاهرة في الولايات المتحدة . ولكن هذا ليس  
 ضروريا . فلو انتشرت الظاهرة لتشمل على ٥٪  
 فقط من الشبان لكان في هذا ما يكفي لتقويض  
 وتشويه معنويات الجيش الاسرائيلي . ومن  
 المحتمل جدا ان تطلق هذه العنان لمختلف انواع  
 القمع الشوفيني مما قد يؤدي الى نوعية جديدة  
 من ردود الفعل المعاكسة .

**لنتقل الآن الى موضوع حركة « الفهود السود »**  
 في اسرائيل . يوحي اسم « الفهود السود »  
 بوجود حركة سياسية ذات نظرية فكرية وبرنامج  
 سياسي وممارسات عملية من نوع معين . ما هي  
 درجة التماثل والتقارب بين هذه الحركة وحركة  
 « الفهود السود » في أمريكا ؟

**شمشون :** ولدت حركة الفهود السود بين صفوف  
 الشيبية من اليهود الشرقيين الذين ولدوا  
 وترعرعوا في الاحياء الفقيرة في مدينة القدس  
 ( حارة « المصرة » على وجه التحديد ) . وكان  
 اغلبهم من عصابات « الاشقياء » ( جماعات  
 اجرامية « تحتية » ) . كما وينتمي اغلبهم الى  
 وسط اجتماعي مهمل وعاطل عن العمل .  
 وبالتدرج أخذت هذه الجماعات تشعر ان السبب  
 الكامن وراء وضعهم الاجتماعي المنحط يعود  
 أساسا الى طبيعة المجتمع الاسرائيلي القائم  
 وليس السبب نقصا ذاتيا كما كان يتمثل لهم .

هذه هي الخلفية الاجتماعية التي بدأ منها تنظيم  
 جديد باسم « الفهود السود » . والواقع ان  
 اسم « الفهود السود » الذي تبنته هذه المجموعة  
 لم يكن ، بادئ الامر ، يعني وجود ايديولوجية  
 واعية وبرنامج سياسي مدروس . فقد تم اقتفاء  
 الاسم بشكل تلقائي عفوي وبادراك حدسي ،  
 والفرص منه لم يتعد اشارة نوع من الفزع  
 داخل المجتمع الاسرائيلي . ان وضع اليهود  
 الشرقيين القاسي ليس ظاهرة جديدة ، فقد  
 تواجد هذا منذ ان خلقت اسرائيل . وما حدث  
 بالفعل كان بمثابة تمرية للايديولوجية السائدة .  
 فقد كان اليهود الشرقيون الذي هاجروا الى  
 اسرائيل قبل ( ٢٠ ) سنة يعتقدون ان الخدمات  
 العامة ( من مساكن ، وفرص عمل ... الخ )  
 التي تحت تصرفات السلطات الرسمية توزع  
 حسب مبدأ الاسبقية الزمنية . ولكن ابناء هذا  
 الجيل الاول من المهاجرين الشرقيين أخذوا  
 بالادراك انهم لم يتخطوا الوضع الذي بدأ منه  
 جيل اباؤهم ، هذا في حين ان المهاجرين من روسيا  
 وأمريكا يتلقون المساكن الجميلة الواسعة .  
 ان الامثلة التي توضح حدة التباين بين توقعات  
 كل من الطائفتين كثيرة فاليهودي الروسي — على  
 سبيل المثال — الذي تلقى شقة ودكانا يتنصر  
 — وبشكل جدي — من ان الزبائن لم يؤمن له ا  
 بلورت هذه الأوضاع شعورا لدى هذه الشيبية  
 بضرورة الاهتمام في تغير الوضع القائم . ولهذا  
 تمرروا القيام بظاهرة احتجاج على ظروفهم  
 الحياتية ( حصل هذا قبل ان يكون « للفهود  
 السود » تنظيم سياسي ) . ولكن السلطات  
 الاسرائيلية رفضت السماح لهم بالتظاهر . هذا  
 في حين ان هذه السلطات كانت تسمح لمنظمة  
 مثل « متسبين » بالتظاهر حتى ضد النيابة  
 الاسرائيلية في قطاع غزة والسبب في هذا بسيط ،  
 هو ان منظمة « متسبين » لا تملك رصيذا شعبيا  
 في اسرائيل بعكس حركة « الفهود السود » .  
 ولهذا ايضا نجد ان قوات الامن الاسرائيلي سلكت  
 منذ البداية طريق العنف في معاملتها « للفهود  
 السود » ودرجت على اعتقال الكثيرين منهم  
 وزجهم في السجون .

ولا شك ان الحركة أخذت في النمو . ولكنها لا  
 تزال ، بشكلها الحالي العام ، حركة اصلاحية ،  
 ولا يزال الكثير من افرادها مرتبطا بالفكر

والاحساس الصهيوني . غير ان بعض قادة الحركة  
من الثبان قد تطلوا عن الفكر الصهيوني .  
ويتجلى هذا في الطريقة التي يقيم بها هؤلاء  
العقد من القضايا العامة : فهم يعارضون هجرة  
اليهود الروس الى اسرائيل ، ويشعرون بالعداء  
نجاه الولايات المتحدة — ويعارضون الانتخراط  
في الجيش الاسرائيلي — وهم يدركون بوضوح  
بان نشوب القتال بين اسرائيل والعرب سيستغل  
لشل حركتهم ولعرقلة قضيتهم بحجة « الامن  
الداخلي » . وقد قال لي احد قادة الحركة « انا  
احلم باليوم الذي نوحده فيه قوتانا مع العرب  
ونسير في مظاهرة واحدة معهم .. ولكن الوقت  
لم يحن بعد للحديث عن قضايا العرب لان هدفنا  
الاساسي في المرحلة الراهنة هو كسب تأييد  
الشعب الاسرائيلي لقضيتنا وسيأتي وقت يسمح  
لنا بتوحيد قوتانا مع العرب لشن نضال مشترك » .  
وعذا يعني ان حركة « الفهود السود » ليست  
حركة متجانسة : فمقسم منهم صهيانية وينظرون  
الى صراعهم على اساس انه « نزاع عائلي » .  
ولهذا فلا بد وأن تنشق الحركة الى شطرين :  
الأول سيبقى جزءا من التركيب الاسرائيلي  
الصهيوني ، والثاني سيكون معاديا لهذا .  
ان اهم اثر ملموس للحركة هو تسييسها لجزء  
من اليهود في اسرائيل . فقد لاحظ هؤلاء وسائل  
العنف الجسدي التي استخدمتها سلطات  
الامن الاسرائيلية ضد حركة « الفهود السود »  
ما دفع البعض الى وصف اسرائيل بدولة  
بوليسية ونعت الشرطة بالنازية . وحتى الطلاب  
الجامعيون في اسرائيل — وهم عادة يتجنبون  
الالتزامات السياسية — اخذوا باظهار عطفهم على  
الحركة بسبب تصرفات قوات الامن الاسرائيلية .  
واولئك هم نفس الطلاب الذين كانوا يهاجمون  
مظاهراتنا ضد التدخل الامريكى في فيتنام لاعتبارهم  
امريكا الصديقة الوفية لاسرائيل . ومن الملاحظ  
ايضا ان محاولات منع مظاهرات « الفهود السود »  
في اسرائيل حقت اليهود الشرقيين ( « اسرائيل  
الثانية » كما يسميها علماء الاجتماع ) الى  
الانتماء السياسي بوضعهم الاقتصادي —  
الاجتماعي : فآخذوا يناقشون مشاكلهم المشتركة  
( اسكان ، بطالة .. الخ ) مما زاد من حقدهم  
شد الاشكنازيين ، ( يهود أوروبا ) . ان خوف  
السلطات الاسرائيلية من فعالية الحركة هو

السبب الذي دفع سلطات الامن الاسرائيلية مؤخرا  
( منتصف ايلول ) لمنع جميع المظاهرات داخل  
المدن . هذه تعليمات بوليسية وافق عليها البرلمان  
الاسرائيلي . وهذا عمل ليس له سابق في تاريخ  
اسرائيل .

ان مستقبل حركة « الفهود السود » يعتمد على  
قابلية هذه على التفاعل الواعي مع قوى  
الواقع بقصد تحريكها في اتجاه ثوري . ان قسما  
منهم — كما ذكرت سابقا — اخذ يعي مصالحه  
المشتركة مع الشعب الفلسطيني في الاراضي  
المحتلة . الا ان هذا التفكير لم يأخذ بعد ، طالما  
علنيا . وهو تفكير يسود بين اقلية صغيرة من  
أفراد الحركة . وقد أظهرت هذه الاقلية مقدرتها  
على التفاعل الايجابي مع القوى الراديكالية في  
الساحة الاسرائيلية : وهذه التابلية أظهرها  
بعضهم قبل ظهور حركة « الفهود السود » ببدء  
سنوات كما تدل تصرفات احد مؤسسي هذه  
الحركة ( سمعادي مارسيناو ) : من المعروف  
ان هذا كان قد قابل — في احد سجون اسرائيل —  
احد العرب من جماعة متسيين ( نبيل سعد ) الذي  
اعتقلته السلطات الاسرائيلية بتهمة تعامله مع  
منظمة فتح ( كل ما قام به هذا الشخص — فعليا  
هو مساعدته لمنظمة متسيين على توزيع بعض  
منشوراتها باللغة العربية ) . والمهم ان السجناء  
اليهود عاملوه بحقد وخشونة وأخذوا يتعرشون  
به ويهددون . ويظهر ان هذا لم يرق ( لسعاديا )  
الذي دخل الى زنزانه ( نبيل ) واغلق بابها  
ليمنع السجناء الاخرين من الدخول . وبقي هذا  
مع « نبيل » طوال الليل يصفي الى كلابه .  
حدث هذا قبل ثلاث سنوات . وعمل كهذا ليس  
بالشيء العادي وخاصة وأن اليهود « الشرقيين »  
درجوا على تأييد الاحزاب اليهودية المتعصبة .  
فشعورهم بالاضطهاد لا يمنهم من الاحساس بأنهم  
يشغلون مكانة أعلى في البنية الاجتماعية  
الاسرائيلية .

كما درج اليهود الشرقيون على التصدي لمظاهرات  
« متسيين » ومهاجبتها . ولكن تغيرا ملحوظا طرأ  
على هذا الوضع بعد ظهور حركة « الفهود  
السود » ، وقد حدث هذا بشكل تلقائي بعد ان  
حاول جماعة من عصابة الدفاع اليهودي مهاجمة  
مظاهرة « لتسيين » حصلت هذه السنة . وأفراد  
هذه العصابة يهود امريكويون ألفوا القدوم الى

القدس لقضاء سنة دراسية يعودون بعدها الى امريكا وكان ما حصل ان تصدى لهم « الفهود السود » وهاجموهم . هذا مع العلم بأن «متسبين» لم تطلب منهم الحماية وبالرغم من ان الفهود السود ، لم يكونوا على المام باطراف القضية السياسية . وكان لجيئهم الى المظاهرة سبب « تقني » وهو الاطلاع على عملية التظاهر فقط . هذا لا يعني ان حركة الفهود السود قد تحولت الى تنظيم سياسي بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة . فلا يزال قسم منهم ( الاغلبية ) متمسكين بالعقلية الصهيونية كما ان الحركة لا تزال تفتقر الى برنامج سياسي يوضع البديل للنظام القائم .

عكيفا اور : من الضروري ان لا ننسى ان الحركة لا زالت في مرحلة اولية تكوينية . فهي لم تصل الى مرحلة تسمح لها بصياغة برنامج سياسي متكامل . ومن الواضح ان تيارين متعارضين في تبلور داخل الحركة . تيار هدفه النهائي الحصول على حصته من « كعكة » النظام ، وتيار اصغر يريد خلق نظام بديل ولهذا فهو يعارض ويهاجم النظام ككل . وتشير بعض الدلائل الى ان هذا الانشقاق قد وقع فعلا .

في تحليل لكم نشر اوائل هذا العام ، قارنتم وضع اليهود الشرقيين في اسرائيل بوضع « البيض الفقراء » في الولايات المتحدة . وكان استنتاجكم بان العمال من اليهود الشرقيين لا يشكلون قوة ثورية يمكن الاعتماد عليها في تفسير الوضع في اسرائيل . هل تغير رأيكم هذا بعد ظهور حركة « الفهود السود » على ساحة القوى السياسية في اسرائيل ؟

عكيفا اور : كان من اهداف المقالة المذكورة ( نيولفت ريفو — عدد ٦٥ — كانون ٢ — شباط ١٩٧١ ) معالجة الموضوعة القائلة بان اليهود الشرقيين يشكلون حليفا للثورة الفلسطينية . ومن المعلوم بان التركيب الطبقي في اسرائيل يطابق تركيب المجتمع الانثي ( الجغرافي ) . فالغرض من استحضار اليهود من البلاد العربية كان لتشكيل طبقة عاملة في اسرائيل لان اتانيم الصهيونية تصر على خلق مجتمع تكون اليد العاملة فيه من اليهود واليهود فقط . فاليهود الشرقيون احتلوا دور اليد العاملة الفلسطينية . ولكن هذه المجموعة أخذت تتشبه باليهود الغربيين ( الاشكنازيين ) على

اعتبار أنهم يشكلون جماعة « مرجعية » لهم . ولهذا فقد أخذ اليهود الشرقيون يحاولون البرهنة لليهود ( الاشكنازيين ) بأنهم اكثر صهيونية منهم . على الرغم من ان التشابه الثقافي والجنسي بينهم وبين العرب اكثر اصالة وعمقا من اي تقارب بينهم وبين « الاشكنازيين » . ولهذا نجد بان اليهود الشرقيين في الجيش الاسرائيلي اكثر قسوة ووحشية من يهود اوروبا .

ولكن ما غفلنا عنه في المقالة المذكورة هو العامل الجيلي . وما اقول هنا هو وجهة نظري الخاصة ولا يشاركني فيها الرفاق الذين اشتركوا معي في كتابة المقالة . ورأيي الخاص يتلخص في الفقرة التالية : ان خصوصية المجتمع الاسرائيلي — كجتمتع استيطاني من نوع معين — تجعل فعالية العامل الجيلي تطفئ على تأثير العامل الطبقي . ومن هذا المدخل يشكل اليهود الغربيون ثلاث فئات جيلية : الفئدة الاولى ( جيل غولدا مايسر ) من غوريون . الخ ) تسيرها عقدة الاضطهاد . وتفسر هذه الفئة كل الظواهر السياسية — بما في ذلك القضية العربية — بارجاعها الى اضطهاد اليهود . فالمسألة اذن ليست مسألة عبر وانسا مسألة تجربة الاضطهاد والشعور به . والمهم ان هذه الفئة لا تزال تحكم اسرائيل وقد يستمر هذا لفترة خمس او ست سنوات اخرى .

والفئة الثانية ( ديان وامثاله ) نشأت وترتبت في فلسطين بين الحرب العالمية الاولى والثانية . وما يميز هذه الفئة هو فقدان الشعور بالاضطهاد الذي يشبع عقلية الفئة الجيلية الاولى — كما ان هذه الفئة عاشرت المجتمع الفلسطيني العربي وكثير من افراد هذه الفئة يتكلمون العربية ويعترفون بوجود الشعب الفلسطيني ويتبررون بترحيله وتجريده من أرضه . وهم ينظرون الى الامور نظرة تقنية بشكل عام .

والفئة الثالثة تتكون من الجيل الذي ولد وترى داخل دولة اسرائيل ( بعد ١٩٤٨ ) . وكان من نتائج حرب حزيران ١٩٦٧ ان اكتشفت هذه الفئة الوجود الفلسطيني العربي ( في القدس والضفة الغربية ) . وهذا لان هذه الفئة بقيت حتى ذلك الوقت معزولة عن الواقع الخارجي . فالكتيب الاسرائيلية ( وغيرها من وسائل الاعلام ) تجاهلت كليا وجود شعب فلسطيني . وكان من النادر ان يصادفوا فلسطينيا في فترة ١٩٤٨ —

على « الفهود السود » الذين لا زالوا يحتفظون بنظرة محافظة بما يخص القضية العربية . هذا مع العلم بأن تغيرات ملحوظة قد طرأت على تفكيرهم بهذا الصدد . فقد تخلصوا من كراهيتهم الشديدة للعرب وقد انعكس هذا على بعض تصرفاتهم . فقد رفضوا اقتراح وزير الاسكان الاسرائيلي الذي عرض عليهم مساكن في الاراضي المحتلة ( في الخليل ) وكان جوابهم الاولي « اذهب انت واسكن هذه المنازل » ، ثم تحول جوابهم الى القول « اننا لا نريد ان نسكن في اماكن لا تخصنا » .

ومن الجدير بالذكر هنا هو ان السلطات الاسرائيلية أخذت توظف وتستخدم افراد الشرطة العرب في القدس لمهاجمة ومطاردة « الفهود السود » . ويرجع هذا الى كون افراد الشرطة من الفئات التي رفضها ولا يتعامل معها الشعب الفلسطيني . ولهذا فالسلطات الاسرائيلية لا تلتقى افرادا اكثر تقبلا واستعدادا للسخره منهم . ويرجع السبب الثاني الى نجاح الفهود السود في التأثير على رجال الشرطة الاسرائيلية من اليهود الشرقيين الذين وجدوا انفسهم في حالة من الانفعال والتوتر في مواجهتهم للفهود السود مما أدى الى سحيبهم من العمل وتبديلهم بأفراد من البوليس العربي .

موشيه ماخوفر : لقد طرأ تغير ملحوظ على موقف العرب من يهود اسرائيل . ففي فترة ما قبل حرب حزيران كان الموقف يتلخص في « القاء اليهود في البحر .. » وقد نسر هذا من قبل اليهود بفهم التهديد الجسدي . هذا كلام لم يعد يردده أحد . ومع هذا فان المقاومة الفلسطينية على مختلف آرائها ترفض ان تعتبر اليهود الاسرائيليين بأكثر من كونهم مجموعة او طائفة دينية . ولكن هذا لا يطابق الواقع ( الموضوعي والذاتي ) القائم في اسرائيل . فيهود اسرائيل يشعرون بانهم أمة . ولا يوجد حتى الان أية حركة فلسطينية على استعداد لتقبل هذه الفكرة . هذا يعني ان فكرة الدولة الديمقراطية العلمانية ليست قابلة للتطبيق في فلسطين سواء كان هذا من وجهة نظر اليهود في اسرائيل او من وجهة التطبيق العملي بهذه الفكرة . والمسألة التي تثيرها الفكرة هذه تخص الجنسية او الهوية القومية لهذه الدولة . « فتح » تقول ان هذه الدولة ستكون جزءا من العالم العربي ولهذا فان

بالنسبة الى اليهود الشرقيين فان الخطأ الذي ارتكبه هو اعتبار هؤلاء كتلة متجانسة متجاهلين للباين بين جيل الأباء الذين - رغم كونهم من العمال والمضطهدين - يتشبهون باليهود الاوروبيين وجيل الأبناء ( ولد وتربى في اسرائيل ) الذي اشر مقدته على التحرك كتوة مستقلة متمثلة ل حركة الفهود السود . اما ما تكلمنا عنه في المقالة فهو الجيل الاول وما غفونا عن أخذه في الحسبان هو الجيل الصاعد من اليهود الشرقيين . موشيه ماخوفر : من المبالغة اعتبار حركة الفهود السود « من حلفاء حركة المقاومة الفلسطينية » . ولكن كونها حركة تهدد وتساعد على مسح النظام الاسرائيلي يجعل منها - موضوعيا - سندا لحركة المقاومة . وفي رأبي انه من الخطأ اعتبار حتى الجيل الصاعد من اليهود الشرقيين طرفا فعليا للقضية الفلسطينية . ان مطالب القسم الاكبر منهم اصلحية ولا تتعدى الحصول على نفس الامتيازات التي يتمتع بها اليهود الغربيون . ولهذا فان اعتبار اليهود الشرقيين حلما للثورة الفلسطينية لا يشكل سوى ضرب من التفكير الرهبي الهوائي .

ان من مصلحة الثورة العربية تقوية وتحريك القوى المعادية للصهيونية في اسرائيل . ما هي الوسائل التي يتحتم على القوى العربية الثورية اتباعها للمساهمة في تغيير وتثوير الوضع داخل المجتمع الاسرائيلي ؟

اسرائيل شاهك : عندي ملاحظتان بهذا الصدد : الملاحظة الاولى تخص نقطة تقنية : ان عددا كبيرا من الاسرائيليين يصفون الى الاذاعات العربية والبعث منهم يصنف الى محطات المقاومة الفلسطينية وخاصة البرامج العبرية . وكثيرا ما تتلاشى جدية هذه البرامج بسبب الاخطاء النحوية واللغوية التي ترتكب فيها . هذه نقطة حسنة ولكنها مهمة .

الملاحظة الثانية تخص موضوع الدعاية الصهيونية في اسرائيل . فالفكرة الاساسية التي درجت هذه على ترديدها تصور ان الهدف الرئيسي للمعرب هو التكتل باليهود ومرددهم من فلسطين . وما دامت هذه الفكرة سائدة ومتبولة في اسرائيل فمن الصعب جدا تغيير الوضع وتثويره . وهذا ينطبق

جنسية السكان اليهود ستكون عربية . ولكن اعتراضي على هذه الفكرة لا يرجع الى هذه النقطة بالذات . فانا كثوري (وكثوري من المشرق) أنطلق من فكرة ضرورة الثورة الشاملة في المنطقة . فلا يمكن ان ننظر الى المشكلة الفلسطينية بمعزل عن باقي المنطقة . ولهذا فمن الضروري تقييم شعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية — كغيرها من الشعارات — من خلال تفحص الهدف النوي حشد وتعبئة الجماهير من اجله . وهذا الشعار بالذات يطرح على الجماهير فكرة تغيير الوضع القائم في فلسطين في حين يتطلب الواقع ثورة شاملة في المنطقة العربية . ولهذا فاننا ( متسبين ) نرفع شعار الثورة الشاملة في الشرق الاوسط كوسيلة لبناء مجتمع عربي موحد . فنحن جزء من المشرق العربي — وهذا يعني ضرورة ايجاد حل للمشكلة القومية . فالامة العربية — كأي امة كبيرة — تحوي جماعات وطوائف مختلفة ، وهذا يعني بالتالي ضرورة العمل لخلق كونفدرالية اشتراكية تشمل الجميع . ولهذا كان من الضروري تجنب طرح حل للقضية الفلسطينية بدون الاشارة الى الثورة في المشرق الاوسط .. وقد اصبح واضحا ان فكرة تأسيس دولة فلسطينية ديمقراطية كمرحلة اولى نحو الثورة الاشتراكية في المنطقة ، كانت فكرة غير صائبة . فالتحليل النظري وممارسات وتجارب الفترة الاخيرة تظهر بوضوح استحالة بدء ثورة فلسطينية بمعزل عن الثورة الشاملة . ومع ان المنظمات الفدائية قامت بتحليل المشكلة على هذا النحو الا ان ممارساتها العملية لم ترتفع الى مستوى هذه التحليلات النظرية .

فالنقطة الجوهرية في الموضوع تخص ما يحدث على الساحة العربية وعلى صعيد الثورة العربية — ونمو الثورة العربية سيساعد على تحريك الحركات الثورية داخل اسرائيل — ولهذا فنحن بحاجة الى حركة ثورية على نطاق المنطقة ككل — تشكل الحركة الثورية في اسرائيل جزءا منها . وهذا يعني ضرورة المباشرة بخطوة جديدة ليس على اساس فلسطين الضيق بل على نطاق المشرق العربي ككل .

**اسرائيل شاحك :** اعتقد ان في مقدور فكرة الدولة الفلسطينية الديمقراطية ان تلتى تجاوبا داخل اسرائيل ان رافق هذه ضمانات بأن مشروع هذه

الدولة لا يعني طرد جزء من اليهود الموجودين حاليا في فلسطين . ولهذا فانا اعتقد ان من الضروري في المرحلة الحالية — وقيل أن تنمو حركة ثورية من النوع الذي تكلم عنه موشيه ماخونر — ان يتم خلق جبهة واحدة تجمع ما بين كل من الفلسطينيين واليهود ( في اسرائيل ) المعادين للصهيونية . جبهة كهذه يجب ان تبدأ بعمل أشياء بسيطة كاصدار البيانات والخروج في مظاهرات مشتركة . الخ . وانا متأكد من ان أعمالا من هذا النموذج سيكون لها تأثير بالغ داخل اسرائيل . ومن المهم كذلك ان تقوم الجهات الفلسطينية المختصة بنشر البيانات والمقالات التي تخاطب الشبيبة اليهود المهادين للصهيونية والمقالات الضرورية ، بوجه خاص ، هي تلك التي تعالج موضوع المستقبل ووضع اليهود في فلسطين . من المهم جدا ان تتصدى الجهات الفلسطينية والعربية لهذه النقطة بالذات . لان الدعاية الصهيونية قد نجحت في غرس فكرة تصميم العرب على طرد وحتى قتل اليهود في اسرائيل . يجب ان تكتب هذه المقالات خصيصا للشبيبة اليهود لانهم لا ينظرون بجدية الى المقالات العامة حول الموضوع لاعتقادهم انها موجهة للاستهلاك العربي فقط . وانا مستعد على نشر وتوزيع هذا النوع من المقالات داخل اسرائيل . ( بطرق قانونية وغير قانونية ) . وفي الواقع ان بوادر من هذا النمط قد بدأت تنمو داخل اسرائيل — ويوجد الان تناقض وتآلف بين بعض الفئات الاسرائيلية المعادية للصهيونية وبعض الطلاب العرب وخاصة طلاب الجامعات في القدس وتل ابيب . ويقم عقد اجتماعات مشتركة بين هذه الجماعات ، كما اخذت هذه باصدار البيانات المشتركة — ولكن هذه الجبهة من الشباب الفلسطيني تشعر بالانعزال والوحدة ... وهم يتلفنون الى توصيل اخبارهم الى العالم العربي .

**عكيفا أور :** ان ضرب وهزيمة المنظمات الفدائية جاء على يد الملك حسين وليس من قبل اسرائيل . وهذا يعني — بادئ ذي بدء — ان سياسة الجبهة العربية العريضة ضد العدو الصهيوني قد كانت خاطئة .. فالهمة الاولى هي الاطاحة بالنظام الاردني وبدون هذا لا يمكن انتاج عمل سياسي جدي على الجبهة الفلسطينية — الاسرائيلية ، والنقطة الثانية تدور حول ملامحة



السلطة وصارت تتعامل معهم . ولما شعر هؤلاء بأن مركزهم أصبح مستقرًا تحولوا الى عملاء لاسرائيل وبدأوا في دس المعلومات الى الشرطة والسلطات الاسرائيلية عن افراد المقاومة مما أدى الى فشل المقاومة في الداخل .

ان ضعف المقاومة في الضفة الغربية يرجع الى تعامل هذه مع الرجعيين من مختار ورؤساء بلديات واعيان . وبهذا سمحت المقاومة لهؤلاء باضطهاد الشعب . فأول عمل قامت به السلطات الاسرائيلية في الاراضي المحتلة كان ارجاع سلطة المختار التي كانوا يقيمون بهما وقت الانتداب البريطاني ( فأخذوا — مثلا — يتقاضون الرسوم النقدية لقاء التوقيع والختم على المستندات والاوراق الرسمية لافراد الشعب ) . أما في غزة فان المقاومة توضحت سلطة المختار والاعيان ولم تسمح لهم باستغلال واستعباد الاهالي . ولهذا فان ما حدث في الضفة الغربية يماثل ما حدث في الضفة الشرقية في المدة الاخيرة ، فأعيان الضفة الغربية ( امثال الجمبري ) قاموا بنفس الدور الذي لعبه النظام الهاشمي في الضفة الشرقية ضد المقاومة .

ان من واجب المقاومة الفلسطينية ان تنظف الضفة الغربية من العملاء الفلسطينيين الذين يعلنون جهارا عن عدائهم للمقاومة والذين ساعدوا السلطات الاسرائيلية في تمع المقاومة في الضفة الغربية وفي توطيد الاحتلال . ان غزة لا زالت صامدة لا تقهر . والجيش الاسرائيلي يرتجف ويرتعد من غزة ، والحكومة العسكرية مكروهة في غزة . هذا بخلاف الوضع في الضفة الغربية حيث تشعر السلطات الاسرائيلية بالطمأنينة والامان . والفرق يرجع الى اختلاف تكتيكات المقاومة في المتطقتين . ولا شك ان طمأنينة اسرائيل قد ارتفعت بعد ان اظهر الحكم الاردني انه الحليف الوفي لها — ومن المعلوم بان جنود المظلات الاسرائيليين كانوا في حالة تاهب للتدخل في الاردن في حوادث ايلول ١٩٧٠ — ومن المعلوم كذلك ان الذخيرة العسكرية كانت في ايلول وتشرين الاول (١٩٧٠) تفرغ في ميثاء حيفا وترسل عن طريق اسرائيل الى الاردن ...

الكتفاح المسلح بالعمل السياسي . وفي رأبي أن الثورة الفلسطينية كانت تشدد اكثر من اللازم على العمل العسكري مما أدى الى اهمال العمل السياسي وخاصة في الضفة الغربية . وبالطبع فانا لسنا ضد الكتفاح المسلح ، ولكن تأثير هذا على اسرائيل لم يتجاوز الازعاج واحداث الخدوش البسيطة ، ولو تم بناء حركة سياسية جماهيرية في الضفة الغربية لتخضت هذه بتأثير اقوى وشد — فالمظاهرات التي قامت بها بنات المدارس في نابلس وضمت النظام الاسرائيلي في حالة اكثر اجراجا وصعوبة من كثير من غارات الفدائيين عبر نهر الاردن . واطلاق الرصاص على المظاهرات الشعبية يكلف اسرائيل ثمنا أغلى من خسارة يركز على الحدود لان هذا عمل عسكري محض بينما العمل الاول ذو طبيعة سياسية واضحة . ان الفرق بين الوضع في غزة وبين الوضع في الضفة الغربية يعود الى ان المقاومة في غزة هي مقاومة داخلية بينما نجدتها خارجية المصدر في الضفة الغربية .

اسرائيل شاهك : انا لا اوافق على تقييم « عكيفا اور » للعمل العسكري الفدائي . فقد بات واضحا في المدة الاخيرة ان تأثير الفدائيين على اسرائيل كان اكبر واقوى مما كانت تصوره الصحف وأجهزة الاعلام الاسرائيلي . هذا ليس رأبي الخاص بل ما يعترف به الضباط الاسرائيليون داخل الجيش . ولهذا فان استمرار العمل الفدائي عبر الحدود ذو أهمية في تطوير الوضع الداخلي في اسرائيل — فقد أخذت السلطات الاسرائيلية تفر بشجاعة وفعالية الفدائيين بعد ان شلت حركتهم هجمات الملسك حسين . ان تباين الوضع بين غزة والضفة الغربية لا يرجع — كما يعتقد البعض — الى كون المقاومة داخلية في غزة وخارجية في الضفة الغربية . ففي البداية كانت المقاومة تباشر عملها من داخل الضفة الغربية . وكانت لهم تواجد في الضفة الغربية ( في نابلس ، رام الله ، طولكرم ، الخليل .. الخ ) . ولقد تنبعت بنفسها اخبار هذه في الصحافة العبرية ، كما كانت تصلنا معلومات عن هذه من جهات اخرى . ولكن ما حدث هو ان سمحت المقاومة لبعض الرجعيين بالبقاء في

# وثائق بريطانية حول اقتراح يهودي باقامة دولة يهودية في منطقة الخليج العربي اثناء الحرب العالمية الأولى

## خيرية قاسمية

الى اماكن تتركزها في الربيع القادم ، والتي لا تقل عن ١٢٠,٠٠٠ من المحاربين الاشداء يساهمون بشروط معينة الى جانب فرق الحلفاء . الشروط هي : ان تصبح المقاطعة التركية ( الاحساء ) قرب الخليج « الفارسي » ، عدا الكويت ، دولة يهودية التي ستكون بمساعدة الفرقة اليهودية لدى وصول ٣٠ ألف رجل ، يجهزون ويدربون في مكان تتركزهم وهي جزيرة البحرين في نفس الخليج ، وان تدفع تكاليف التجهيز من تسليح وغيره اللازمة للاعداد والنقل والتأمين سلفا اما من بريطانيا وحدها او الحلفاء ، وتكون هذه المبالغ الدين الاول على الدولة اليهودية ، وان يقدم الحلفاء المديرين وقسما من هيئة القيادة على ان يعتبروا في خدمة الجيش اليهودي ويرتدون زيه ، وان لا تحارب الفرق اليهودية الا في آسية ، وان يتولى هو اي روشتين مهمة الادارة العليا للعمليات ، وان يطلب مساعدة رجال ذوي خبرة من انكلترا او دول الحلفاء لضمان مصالح ( الامة ) اليهودية من جهة وضمان التنفيذ الدقيق والامين للالتزاماتها تجاه الحلفاء ، وشرط اخر ان تحاط العملية بالسرية التامة حتى لحظة غزو الاحساء .

اما الترتيب الزمني للعملية فيكون برأيه كما يلي : وضع مشروع معاهدة بين الحلفاء وانكلترا من جهة ، وبينه اي روشتين بصفته المتحدث باسم الدولة اليهودية المقبلة ، وسيصبح المشروع معاهدة لما يحدد وضعه رسميا من قبل مجمع الحاخامات على رأس الفرق اليهودية ، ثم بعد عمليات الانتقال الى البحرين ووضع كافة ادوات التجهيزات والتدريب ، والتأهب للحرب ، يتم غزو منطقة الاحساء ، ثم اعلان قيام الدولة اليهودية ، واعتراف دول الحلفاء بالدولة الجديدة وتنظيم سريع لها مع وصول متطوعين جدد وتدريبهم

منذ دخول تركيا الحرب العالمية الاولى عرض الصهيونيون على بريطانية تقديم قوات عسكرية للمشاركة مع القوات البريطانية في عملياتها في فلسطين ، وبراي المكتب العربي في القاهرة في مذكرة ١٩١٧/٢/٥ « ان الاقتراح الصهيوني من اجل تعاون عسكري قد عمل بشكل واضح لاجل هدف سياسي ، اي الحصول على حق القول بانهم شاركوا في عملية تحرير البلاد .. » (١)

وكان من جملة ما قدم على الحكومة البريطانية في تلك الفترة التي سبقت اصدار تصريح بلفور عرض يهودي غريب ، لايظهر هذا الارتباط بين المصالح البريطانية واليهودية ، ومدى المشاركة التي يمكن ان يقدمها اليهود في هزيمة الامبراطورية العثمانية ، ولكن في جبهة اخرى : مدخل الخليج العربي .

فقد تقدم طبيب يهودي روسي اسمه م.ل. روشتين ( يقيم في باريس ) بتاريخ ٢ سبتمبر ( ايلول ) ١٩١٧ باقتراح ( باللغة الفرنسية ) الى وزارة الخارجية البريطانية عن طريق السفير البريطاني في باريس لورد بيرتي ، راجيا ان يولى هذا الاقتراح الثقة والاهتمام ، وخلصته : « ان تقوم دول الحلفاء بتجهيز وتنظيم جيش من اليهود قوامه ١٢٠ ألفا في البحرين تضعه تحت قيادته لغزو واحتلال منطقتي الاحساء التركية ، وان تعقد معاهدة مؤقتة معه من اجل خلق دولة يهودية على الخليج الفارسي » (٢).

تفاصيل الاقتراح غريبة : وروشتين نفسه يعترف بان هذا العرض يبدو للوهلة الاولى وهما ، ولكنه واثق انه سيفقد صفته الوهمية حين تصل الالاف الاولى من الفرقة اليهودية التي تعهد بجمعها

F.O. 832/2/14 Arab Bureau Papers ١

F.O. 371/3053/18242 ٢

ربما بسبب هذا الاعتراض ، او بسبب ان الاقتراح نفسه ليس له دعم الاسباط الصهيونية ذات النفوذ ( التي كانت على وشك انهاء مفاوضاتها المتعلقة بتصريح بلغور ) ، والتي براي روثشتين « لا تتوافق مطامعنا مع مطامع زملائنا ومطامعنا والتي لا اتر اساليبها وطرقها .. » او لان الاقتراح كان يلاقي عطف الحكومة الفرنسية ، والذي يرى فيه مونتاجو « دليلا على ان الفرنسيين يهيمون وضع اليهود في اي مكان ، فقط كحجة للتخلص منهم جميعا ، او من اعداد كبيرة منهم .. » كما جاء في مذكرته عن الصهيونية التي وزعها على اعضاء الوزارة في ٩ اكتوبر ١٩١٧ في معرض اعتراضه على موقف الحكومة البريطانية بالالتزام باي تصريح لصالح الصهيونية(٤) ، ربما لهذه الاسباب مجتمعة اعتذرت الخارجية البريطانية في ٢٣ اكتوبر الى صاحب الاقتراح دون ان تبدي له الاسباب عن طريق سفيرها في باريس لورد بيرتي (٥).

ومع ان روثشتين لم يعلم بالاسباب الموجبة لرفض اقتراحه الا انه قدر ان « اختياره مواقع منطقة الغزو لا تتناسب مع سياسة الحكومة » كما جاء في رسالته من مرسيليا في ٥ ابريل ( نيسان ) ١٩١٨(٦) ، التي عاد فيها لتجديد عرضه بتشكيل فرقة محاربين يهود لانشاء دولة يهودية تساهم في عمليات القوات البريطانية في الشرق . ورجا عن طريق السفير البريطاني في باريس « من حكومة جلالته التفضل بتحديد منطقة تركية اخرى ذات موقع جغرافي يتشعب مع مصالح السياسة الانكليزية ومصالح الدولة اليهودية القائمة في الشرق ، هذه الدولة التي يسعدنا ان تربطها بانكلترا وفرنسا او اصر المودة » .

ومع ان الخارجية البريطانية ظلت على موقفها في رفض المشروع الا ان لهجتها قد اصبحت اكثر اعتدالا ، فقد ابلغته في ٢٤ ابريل ١٩١٨ « .. ان المشروع ليس ذلك الذي باستطاعتها ان تنظر اليه بعين الاعتبار في الوقت الحاضر .. » .  
والواقع انه لاسباب عديدة كانت مناصرة المطامع الصهيونية في فلسطين التي تضمنها تصريح بلغور اكثر ملامة لوجهة نظر المصلحة البريطانية .

ينظيهم ، بعد ذلك تعلن حالة الحرب بين الدولة اليهودية وتركيا من جراء غزو اراضي الاخيرة ، ويدخل الفرق اليهودية فوراً في المعركة وتبقى على هذه الحال حتى النصر النهائي لدول الحلفاء .  
ويعد الاقتراح ما يعود على قضية الحلفاء من بوند بفضل هذا المشروع : يشكل الاعلان الفوري للدولة اليهودية واعتراف دول الحلفاء بها عاملا قويا لحماس ( الامة ) اليهودية ، واندفاعها نحو دول الحلفاء الذي تشكل الدولة اليهودية جزءا لا يتجزأ منها ، مع ما يرافق ذلك من تدفق الاموال والحارين ، بالإضافة الى ذلك ان الشهور الديني البالغ لدى الجنود اليهود المحاربين في جيوش تركيا والماتيا سيثمل تلقائيا شعورهم بالواجب ، كما سيكون للحماس اليهودي تأثير في روسيا اكثر خطا على اخوانهم المسيحيين .

وبعث السفير البريطاني في باريس هذا الاقتراح الى بلغور وزير الخارجية في ١٤ سبتمبر ١٩١٧ يطلب تعليماته حول الرد المناسب . واستطلعت وزارة الخارجية رأي الوزارة المسؤولة عن شؤون الهند فيما يتعلق بهذا العرض فاشار الوزير مونتاجو ( الوزير اليهودي الوحيد بالوزارة ) في رده في ١٥ اكتوبر ( تشرين اول ) سنة ١٩١٧(٧) « .. انه بصرف النظر عن الاعتراض العام لادخال عنصر جديد في الجزيرة العربية ، وبصرف النظر عن المشكلة التي هي مثار الجدل حول مرغوبة اقامة دولة يهودية في اي مكان ، هناك اسباب خاصة لاعتبار المواقع المختارة لكل من مركز الفرق اليهودية وللاقامة النهائية للدولة اليهودية المقترحة غير ملائمة تماما . ان وصف الاحساء ( كولاية تركية ) يمكن ان يكون صحيحا من وجهة فنية ، ولكن المنطقية هي في الحقيقة بحوزة ابن سعود امر نجد منذ ١٩١٣ ، السذي عند معاهدة صداقة وتحالف مع حكومة جلالته في ديسمبر ١٩١٥ التي تعترف بصراحة بحقوق ابن سعود بالاحساء ، وتضمن له المساعدة من حكومة جلالته في حالة هجوم اي دولة اجنبية على بلاده ، وبما يتعلق بالبحرين فان شيوخها كانت لهم علاقات مع بريطانيا منذ ١٨٢٠ ، وحكومة جلالته لا يمكنها ان تقر ، بدون موافقة صريحة من هؤلاء الحكام اي اقتراحات تتعلق بحقوقهم الاقليمية .. »

Cab. No. 24/28 — ٤

F.O. 371/3395/189074 — ٥

F.O. 371/3406/68455 — ٦

F.O. 371/3053/18242 — ٢

## جدول بالشكاوي التي قدمها عرب " الضفة الغربية " المحتلة ضد تعسف الاحتلال الاسرائيلي ١٩٦٧ - ١٩٧١

٥٠٤

٥ - من المحامين ورجال القانون بنابلس السرى  
الحاكم العسكري في ٦٧/٧/٢٥ : الاعتراض على  
سلخ مدينة القدس من الضفة الغربية وضمها الى  
اسرائيل وتهجير السكان ومصادرة الاموال  
والممتلكات وفرض الضرائب ونهب المتاجر .

٦ - من رجال الدين والنواب واعضاء المجالس  
البلدية والفرقة التجارية والاطباء والصيدلانية  
والمحامين بطولكرم وقضائها الى الحاكم العسكري  
العام في الضفة الغربية في ٦٧/٨/٨ : تأييد الهيئة  
الاسلامية في كل ما تالفته .

٧ - من عدد من رجالات بيت المقدس من مسلمين  
ومسيحيين الى ارنست تالمان الممثل الشخصي  
للسكرتير العام للأمم المتحدة في ٦٧/٨/٢٥ :  
التنديد باعمال اسرائيل الرامية الى تغيير الاوضاع  
في المدينة المقدسة وضم المدينة الى اسرائيل  
خلالما لقرارات الامم المتحدة - اكثر الموقعين رجال  
دين واطباء ومحامون وفي مذكرتهم هذه ذكروا  
جميع الاعمال التعسفية التي قامت بها اسرائيل  
لتغيير معالم القدس ، مثل الغاء امانة القدس  
العربية والغاء القوانين الاردنية واتامة الحواجز  
بينها وبين الضفة الغربية واستبدال مناهج التعليم  
الحالية بمناهج اسرائيلية وتجاهل اللغة العربية  
ومحاولة وضع المحكمة الشرعية تحت اشراف  
وزارة الاديان الاسرائيلية وطرد السكان وعدم  
مراعاة حرية الاماكن المقدسة .

٨ - من عدد من سيدات بيت المقدس من  
مسلحات ومسيحيات الى نساء العالم والهيئات  
النسائية وكل ذى ضمير حي في ٦٧/٨/٢٧ :  
التنديد بالاحتلال الاسرائيلي والمطالبة بعودة  
النازحين - في مذكرتهن هذه استصرخن العالم  
لمؤازرة ابناء فلسطين وبناتها كي يتمكنوا من  
القضاء على الاحتلال الاسرائيلي الفاشم .

١ - من الهيئة الاسلامية بالقدس السرى الحاكم  
العسكري العام ١٩٦٧/٧/٢٤ : الاعتراض على  
ضم القدس الى اسرائيل والتدخل في الشؤون  
الاسلامية - اجتمع عدد من رجالات القدس عفوا  
ودون دعوة من أية جهة كانت وقدموا للحاكم  
العسكري الاسرائيلي العام احتجاجا على قرار  
سلطة الاحتلال بضم القدس الى اسرائيل وكونوا في  
الوقت نفسه هيئة أطلقوا عليها اسم « الهيئة  
الاسلامية » .

٢ - من مجلس امانة القدس الى مساعد الحاكم  
الاداري لمدينة القدس في ٦٧/٧/٢٢ : رفض  
الانضمام لبلدية اورشليم اليهودية - رفض اعضاء  
مجلس الامانة التكليف الذي قدم اليهم بالانضمام  
الى بلدية اورشليم اليهودية . كما رفضوا قرار  
اسرائيل بضم القدس اليها وطالبوا ببقاء الوضع  
على ما كان عليه قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ .

٣ - من رؤساء واعضاء المجالس البلدية والغرفة  
التجارية وجمع غير من سكان القدس ورام الله  
والبيرة الى الهيئة الاسلامية في ٦٧/٧/٢٥ : تأييد  
الهيئة الاسلامية في اعتراضها على ضم القدس  
والاعتراض على اجراءات الجسش التعسفية -  
وجهوا مذكرتهم الى الهيئة الاسلامية وارسلوا  
نسخة منها الى الحاكم العسكري العام مستنكرين  
ضم القدس الى اسرائيل وسلخ الضفة الغربية  
من الأردن واعتقال الابرياء وتسف الدور ، وطالبوا  
باعداد النازحين .

٤ - من المنظمات والهيئات النسائية في الضفة  
الغربية الى الهيئة الاسلامية في ٦٧/٧/٢٥ :  
الضفة الغربية - وجهن مذكرتين الى الهيئة  
الاسلامية وارسلن نسخة منها الى الحاكم  
العسكري العام في القدس وطالبن بجلاء قسوات  
الاحتلال عن البلاد .

السماح لليهود بالصلاة في أرض الحرم الابراهيمي ولا في اي مسجد او معبد للمسلمين .

١٤ - من الهيئة الاسلامية الى رئيس الوزراء في ٦٧/١٢/١١ : توسيع ساحة المبكى وتنظيمها - اشارت الهيئة الى ما نشرته صحيفة ( معاريف ) في عددها الصادر في ٦٧/١٢/٦ حول المشروع الذي تدرسه لجنة وزارية اسرائيلية من اجل احداث تغيرات وانشاء مبان في ساحة المبكى .

١٥ - من عدد كبير من رجال بيت المقدس من مسلمين ومسيحيين الى رئيس وزراء اسرائيل بالوكالة بواسطة الحاكم العسكري العام للضفة الغربية في ٦٨/١/١٤ : الاحتجاج على مصادر اراضي العرب من اجل انشاء مساكن للقادمين الجدد من اليهود - ارسل هذا الاحتجاج اثر القرار الذي اصدرته الحكومة الاسرائيلية باستملاك ٣٣٤٥ دونما من اراضي الشيخ جراح ووادي الجوز واستملاك ١١٦ دونما من حارة الشرف .

١٦ - من قاضي القضاة ورئيس مجلس الاوقاف والشؤون الاسلامية الى الحاكم العسكري العام في ٦٨/١/٢٥ : انتهاك اليهود لحرمه الحرم الابراهيمي في الخليل - ارسلت نسخة من هذه المذكرة الى وزير الدفاع الاسرائيلي واخرى الى الحاكم العسكري لجبل الخليل .

١٧ - من عدد من رجال بيت المقدس الى حاكم القدس العسكري في ٦٨/٣/١٥ : الاعتراض على تغيير الاوضاع في المدينة - المذكرة كتبت باللغة الانجليزية ووقمها عدد كبير من رجال بيت المقدس وقد طلبوا من الحكومة وقف جميع الاعمال التي من شأنها تغيير معالم القدس عملا بقرار هيئة الامم ٤ و ٦٧/٧/١٤ وميثاق جنيف ١٩٤٦ .

١٨ - من المنظمات الفلسطينية في القدس وفي جميع انحاء الضفة الغربية الى وزير الدفاع الاسرائيلي في ٦٨/٤/٢٩ : ضرب المظاهرات من السيدات ومنع التظاهر ضد السلطة واستنكار العرض العسكري الاسرائيلي الذي تنوي سلطات الاحتلال اقامته في القدس - ان مذكرة الاحتجاج هذه التي قدمت لوزير الدفاع بعد مظاهرة صاخبة قامت

٩ - من رئيس مجلس الاوقاف ورئيس محكمة الاستئناف الشرعية الشيخ عبد الحميد السائح الى رئيس وزراء اسرائيل في ٦٧/٩/٨ : الاحتجاج على اخذ مفاتيح باب الحرم بالقوة - طلبت الحكومة الاسرائيلية في ٦٧/٨/٢١ مفاتيح بساب المغاربة من ابواب الحرم ، ولما رفض مجلس الاوقاف تسلمها المفاتيح ارسلت قوة من الجند واستولت على المفاتيح بالقوة ، الامر الذي جعل رئيس الهيئة يقدم احتجاجه الى رئيس الوزراء الاسرائيلي ويطلب منه ارجاع المفاتيح ، معتبرا ذلك تعديا على حرمة المسجد الأقصى .

١٠ - من رئيس مجلس الاوقاف والشؤون الاسلامية الى رئيس وزراء اسرائيل في ١٥/١٠/١٥ : الحفريات الجارية في منطقة البراق حول الحرم القدس - اشار الشيخ حلمي الى مذكرته السابقة بتاريخ ١٥/١٠/٦٧ وطلب مرة اخرى وقف الحفر والتفتيح عن الاثار حول الحرم الاسلامي بالقدس .

١١ - من الهيئة الاسلامية الى الامين العام للامم المتحدة في نيويورك في ٦٧/١١/١٢ : الاعتداء على الاماكن المقدسة - احتجت الهيئة الاسلامية في مذكرتها هذه على التشريعات والقوانين التي سنتها اسرائيل بعد ان قررت ضم القدس اليها فاصدة تثبيت ذلك الضم . وطالبت الامم المتحدة بوضع حد للاعتداءات الاسرائيلية على الاماكن الاسلامية المقدسة .

١٢ - من مفتي القدس الشيخ سعد الدين العلمي الى رئيس وزراء اسرائيل في ٦٧/١١/٢١ : الاعتداء على الاماكن الاسلامية المقدسة - ذكر المفتي رئيس الوزراء ووزير الاديان بالاجماع الذي جرى في دار الرئاسة بتاريخ ٦٧/٦/٢٧ والذي وعد فيه بالحافظة على الاماكن المقدسة وذكر لهسا حوادث تدل على عكس هذا الوعد وطلب وضع حد للاعمال التي يقوم بها الجيش والشعب اليهودي والتي ترمي الى انتهاك حرمة المسجد .

١٣ - من رئيس سدة الحرم الابراهيمي في الخليل الشيخ عاطف الحموري الى قاضي القضاة ورئيس مجلس الاوقاف الاعلى في ٦٧/١٢/٦ : محاولة كبير الحاخامين اليهود غورين الصلاة في داخل الحرم الابراهيمي - استشار رئيس السدة قاضي القضاة ماذا يفعل ؟ واستشار قاضي القضاة الهيئة الاسلامية فقررت الهيئة عدم

الاحياء العربية — وقع هذه المذكرة اربع وستون سيدة من كرام السيدات العربيات بمدينة القدس وارسلن نسخا منها الى وزراء الداخلية والاديار والشرطة .

٢٥ — بيان من الهيئة الاسلامية للراي العام لي العالم ٦٨/٨/١٩ : اعترض على تدخل السلطات في شؤون المسلمين الدينية في القضاء الشرعي والوقف الاسلامي والاماكن الاسلامية المقدسة — بحثت الهيئة في هذا البيان انتهاك الاسرائيليين لحرمة المسجد الاقصى بالقدس والحرم الابراهيمي بالخليل الذي استعمله اليهود كنيسا لهم وهم العديد من العقارات وعدم اعتراف السلطة بصلاحيه محكمة القدس الشرعية واحالة تلك السلطة الى محكمة يافا الشرعية . وطلبت الهيئة بوضع حد لهذه التصرفات .

٢٦ — من رؤساء البلديات في الضفة الغربية وممثلي الهيئات الشعبية الى وزير الدفاع الاسرائيلي في ٦٨/٨/٢٦ : رفض الاحتلال الاسرائيلي والمطالبة بوحدة الضفتين — وقع هذه المذكرة التي سلمت لوزير الدفاع رؤساء البلديات في نابلس وجنين وطولكرم وقلقيلية وعنتبا والبرية ورام الله وبني زيد ودير ديوان وعرابه وبير زيت وبيت لحم وبيت ساحور واريحا وسلوان وطوباس وسلفيت وبيتونيا وعدد اخر من رجالات الخليل ونابلس والقدس .

٢٧ — من كهنة الاسلامية الى رئيس الوزراء الاسرائيلي في ٦٨/٩/١١ : الاعتراض على لني الفلسطينيين وابعادهم — ارسلت نسخ من هذا الاعتراض الى وزير الدفاع وكبير المراقبين والامين العام للأمم المتحدة .

٢٨ — من وفد يمثل الهيئة الاسلامية الى الهيئة الاسلامية في ٦٨/٩/٢٢ : تقرير عن الزيارة التي قام بها الوفد لكان الحفر والتنقيب عن الاثار حول الحرم الشريف — قام بهذه الزيارة وفد مؤلف من بعض اعضاء الهيئة الاسلامية هم عارف العارف والشيخ سعد الدين العلمي ومحمد اسحق درويش وحسن مطهوب وقد ندد الوفد باعمال التنقيب رغم فائدتها لان الاسرائيليين يقومون بهذه الامتال دون اخبارنا ولا يرسلون لنا تقارير عن نتائج حفرهم . واقترح الوفد على الهيئة ان تطلب توقف الحفر وانتداب مهندسين وعلماء في الاثار مسلمين للإشراف على اي عمل من اعمال الحفر

بها السيدات العربيات في القدس وضمت بلهجة تاسية وقد وتمها زهاء سبعمائة وخمسين سيدة. ١٩ — من امين القدس روعي الخطيب الى مجلس الامن الدولي في ٦٨/٥/٢ : الوضع المتردي في مدينة القدس — هذا التقرير الذي وضعه امين القدس باللغة الانجليزية وقدم الى مجلس الامن وقد جاء في ١٨ صفحة وصف فيه كل ما قامت فيه اسرائيل في القدس من اعمال تمسقية من شأنها تهويد المدينة .

٢٠ — من رئيس الهيئة الاسلامية بالقدس الى رئيس الوزراء الاسرائيلي في ٦٨/٧/١١ : الاعتراض وتكرار الاحتجاج على اعمال الحفر والتنقيب حول الحرم الشريف من الجنوب والغرب — وقد احتج رئيس الهيئة في مذكرته هذه على ما تقوم به السلطات الاسرائيلية من استيلاء على الممتلكات الاسلامية وهدمها .

٢١ — من رئيس الهيئة الاسلامية الى رئيس الوزراء الاسرائيلي في ٦٨/٧/٢١ : التبرم من انتشار الفسق والفجور وابداء السخط والاستنكار بسبب العدد الكبير من المراقص والخمارات واماكن اللهو التي انشئت في الاحياء الاسلامية من القدس — ارسل رئيس الهيئة نسخة من مذكرته هذه الى وزير الدفاع الاسرائيلي .

٢٢ — من الهيئات النسائية ورجال الدين في الضفة الغربية الى الحاكم العسكري العام للضفة في ٦٨/٧/٢٤ : المطالبة بالانزاج عن عبلة طه وساره جوده ولطفية الحاج ابراهيم والاحتجاج على ضرب السيدات المسلمات وتعذيبهن في السجون — ارسلت نسخة من هذا الاحتجاج الى السكرتير العام للأمم المتحدة والى كبير المراقبين الدولية والى الاتحاد النسائي في العالم ورئيس جمعية الصليب الاحمر الدولي والقاصد الرسولي والى جميع قناصل الدول في القدس .

٢٣ — من عدد كبير من سكان القدس الرجال الى الحاكم العسكري للمنطقة الوسطى في ٦٨/٨/٧ : التبرم من انتشار الفسق والفجور وكثرة اماكن اللهو اليهودية في الاحياء الاسلامية — ارسلت نسخ من هذه المذكرة الى رئيس الوزراء ووزير البوليس والى وزير الاديان .

٢٤ — من السيدات العربيات في القدس الى رئيس الوزراء في ٦٨/٨/١١ : التبرم من انتشار الفسق والفجور وكثرة اماكن اللهو اليهودية في

بيري في اي مكان من الاماكن الاسلامية .  
٢١ - من الهيئة الاسلامية الى الحاكم العسكري العام في ٦٨/٩/٢٥ : الحفر والتقيب عن الاثار حول الحرم الشريف - في هذه المذكرة ايدت الهيئة ما جاء في تقرير الوفد المتقدم ذكره وطلبت وقف اعمال الحفريات بالاضافة الى انها تدمرت من الاعمال الاخرى التي قامت بها اسرائيل بحملتها مقبرة مآمن الله الاسلامية . وطلبت بالامتناع عن اي عمل من شأنه تغيير معالم القدس .

٢٢ - من قضاة الشرع والمفتيين في القدس رسائل انحاء الضفة الغربية الى الامة الاسلامية في ٦٨/٩/٢٦ : بيان للامة الاسلامية حول تدخل السلطات الاسرائيلية في الشؤون الاسلامية بوجه عام وفي القضاء الاسلامي بوجه خاص - وقسح هذا البيان قاضي القضاة وقضاة الشرع بالضفة الغربية كما وقعه المفتي في كل من القدس والخليل وجنين واستنكر الموقعون نزع صلاحية محكمة القدس الشرعية . وأصرروا على استقلال القضاء الشرعي وعدم تدخل الحكام بالمحاكم الشرعية .

٢٣ - من القائم باعمال قاضي القضاة ورئيس مجلس الاوقاف والشؤون الاسلامية الى رئيس الوزراء الاسرائيلي في ٦٨/٩/٢٩ : صلاة اليهود في داخل المسجد الابراهيمي بالخليل الامر الذي يدل على انهم يحاولون قلبه الى كنيس يهودي - وجه القائم باعمال احتجاجا الى رئيس الوزراء طالبا وقف هذا التحدي لشعور المسلمين وكان ذلك بناء على برقية تلقاها من رئيس بلدية الخليل وعدد كبير من سكان المدينة . وقد ارسل نسخا من احتجاجه الى وزير الدفاع والحاكم العسكري العام والى رجالات المدينة .

٢٤ - من رجالات الخليل الى وزير الدفاع الاسرائيلي في ٦٨/١٠/١٣ : الاعتداء على الحرم الابراهيمي وهدم الباب الشرقي للمسجد - وقع الاحتجاج رئيس بلدية الخليل وقاضيها الشرعي والمفتي ومدير الاوقاف ورئيس السدنة وامام المسجد وممثل الخليل في مجلس النواب الاردني .

٢٥ - من الهيئة الاسلامية الى رئيس الوزراء الاسرائيلي في ٦٨/١٠/٢٤ : الاعتداء على الاماكن الاسلامية المقدسة في القدس والخليل وبيت لحم - اكل رئيس الهيئة في المذكرة التي وجهها الى رئيس الوزراء الاسرائيلي ان الهيئة التي استعرضت في

جلستها المنعقدة بتاريخ ٦٨/١٠/٢١ الاعتداءات الاسرائيلية على مختلف الاماكن الاسلامية ، قررت عقد مؤتمر لبحث الوضع في قاعة المجلس الاسلامي الاعلى في ٦٨/١١/١٧ وقد ارسلت نسخا من هذه المذكرات الى وزراء الدفاع والداخلية والشرطة والحاكم العسكري العام للضفة الغربية . وما كادت الهيئة الاسلامية تختتم جلستها المنعقدة بتاريخ ٦٨/١٠/٢١ تلك الجلسة التي انتهت في الساعة الواحدة من بعد ظهر ذلك اليوم وتميل ان تخير المسؤولين عن الامن في الحكومة الاسرائيلية

عن عزمها بعقد المؤتمر حتى سماع الرئيس المباشر صوتا من المباحث ، مصلحة الاستخبارات الاسرائيلية المعروفة بـ ( الشين بات ) يتلفن له قائلا انهم - اي الحكام الاسرائيليين - سمعوا بالقرار القائل بعقد المؤتمر وانهم لن يوافقوا على عقده والقيام بالاضراب والتظاهر في مسيرات شعبية ، سلمية كانت او غير سلمية ، وانهم سيمنعون كل حركة تقوم في القدس او في غير القدس في المدن الواقعة تحت احتلالهم . ولم ينس المتكلم باسم ( الشين بات ) ان الهيئة الاسلامية اذا اصرت على قرارها وحاولت عقد المؤتمر فنان مصيرها ، وان شئت فقل مصير اعضائها الذين بقوا في البلاد ، كصير زملائهم الذين سبقوهم الى عمان . عندئذ عدل الاعضاء عن تنفيذ قرارهم . ولم يعقدوا المؤتمر الذي كانوا سيدعون اليه عددا كبيرا من ممثلي الجمعيات والطوائف والاحزاب . وكان الجيش الاسرائيلي قبل ذلك التاريخ قد اعتقل عددا من اعضاء الهيئة ، وابعدهم عن القدس في التواريخ التالية : الشيخ عبد الحميد السائح في ٦٧/٩/٢٣ ، ابراهيم بكر في ٦٧/١٢/٢٢ ، روجي الخطيب في ٦٨/٢/٧ ، كمال الدجاني في ٦٨/٩/٧ ، الدكتور داود الحسيني في ٦٨/٩/٧ . وكان الاسرائيليون قد اعتقلوا عضوا سادسا ، هو الدكتور صبحي غوشه . فسكنت الهيئة ، ولم تبد حراكا بعد ذلك الاذناوار واستمرت صامتة اربعة شهور .

٢٤ - بيان من رئيس مجلس الاوقاف الاعلى في ٦٩/٢/١٢ : الاعتراض على استمرار الاسرائيليين في عمليات الحفر والتقيب عن الاثار في المناطق المجاورة للحرم الشريف .

٢٥ - من عدد كبير من الالبياء والصيدالدة برام الله الى وزير الدفاع الاسرائيلي في ٦٩/٣/١٥ :

الاعتراض على ترحيل عدد من الأطباء والاستيلاء على المستشفى الحكومي في الشيخ جراح والمطالبة باخلاء سبيل المعتقلين - أرسل الموقعون على هذا الاحتجاج مذكرتهم هذه اثر ابعاد الدكتور نبيه معمر واعتقال الدكتورين حاتم ابو غزالة وصبحي غوشه .

٢٦ - من اعضاء الهيئة الإسلامية الى رئيس الوزراء ووزير الدفاع والعدل في ٢٦/٣/٦٩ : حول قاسم ابو عكر التيمبي الذي عذب في السجن الى ان مات - اعتقل المرحوم قاسم ابو عكر في ٢/١٥ ولما اصبح على وشك الموت من شدة التعذيب في ٢٤/٣/٦٩ طلبت سلطة السجن من امراته ان تأخذه وتدفنه ليلا قبل ان يراه احد من الناس . احتج الاعضاء على هذه الجريمة النكراء وطالبوا التحقيق .

٢٧ - من المحامين وعدد من رجال القانون العرب في الأرض المحتلة منذ ١٩٤٨ الى المحامين ورجال القانون اليهود المشتركين في اول مؤتمر دولي للمحامين في القدس في ١/٥/٦٩ : شكوا من اساليب الحكم اللاديمقراطي التي تتبعها السلطات ضددهم - ومن الامثلة على اساليب غير الديمقراطية التي تتبعها اسرائيل ، ذكروا في مذكرتهم التي وضعوها باللغة الانجليزية الاوامر التي تصدر باستمرار باعتقال المحامين اعتقالا اداريا ولعدد من الذين دون حكم ومنعهم من مغادرة منازلهم ومراجعة مراكز الشرطة مرة او اكثر في كل يوم ، الامر الذي يناقض ميثاق حقوق الانسان . وقالوا انهم على استعداد لقبول اي حكم يصدر ضددهم من قبل المحاكم الاسرائيلية . ومما ذكروه في مذكرتهم الى المؤتمر ان اسرائيل تقوم بهذه الاعمال وفقا لانظمة الطوارئ التي سنت في زمن الانتداب البريطاني (١٩٤٥) . وانه لجدير بالذكر ان المحامين الذين كانوا في ذلك العهد يعيشون في فلسطين ، اعترضوا عربيا ويهودا ، على تلك الانظمة الظالمة . وكان بين المعارضين يومئذ وزير العدل الاسرائيلي الحالي .

٢٨ - من عدد كبير من سكان القدس نساء ورجالا مسلمين ومسيحيين الى ممثلي الدول الاربع الكبرى بواسطة الامين العام للامم المتحدة في نيويورك في ١٥/٥/٦٩ : رفض الاحتلال ورفض تدويل القدس ورفض الانضمام الى اسرائيل - وقد طالب الموقعون على هذه المذكرة بانسحاب

الجيش الاسرائيلي من كافة الاراضي العربية التي يحتلها وفي مقدمتها مدينة القدس العربية .

٢٩ - بيان عام من الهيئة الإسلامية في ٢٠/٥/٦٩ : حول انتهاك اليهود حرمة الحرم الابراهيمي في الخليل ومنعهم المسلمين من دخول الحرم الا وقت صلاة الجمعة .

٤٠ - من الهيئة الإسلامية الى رئيس الوزراء في ١٦/٦/٦٩ : هدم الزاوية الفخرية الملاصقة للحرم والتكريز - هذه الزاوية والدور التي حولها هي دور اسلامية يسكنها عدد كبير من المسلمين من آل ابي السعود هدمها الاسرائيليون الواحدة بعد الاخرى وهكذا شردوا سكانها وعددهم لا يقل عن ثلاثئة نسمة .

٤١ - من رئيس بلدية الخليل الشيخ محمد علي الجعبري الى رئيس الوزراء في ١٩/٦/٦٩ : مصادرة ثلاثة الاف دونم من اراضي منطقة بيت لحم - قال الناطق بلسان الحكومة الاسرائيلية في رده ان مساحة الاراضي المصادرة ١٢٠٠ دونم وليست ٣٠٠٠ وليس فيها سوى ١٣ منزلا و١٩ كوخا وليست الاف من السكان كما يقولون وان هذه المصادرة لا بد منها لاسباب عسكرية .

٤٢ - من عدد من الجمعيات النسائية ومن الاتحادات العمالية والنقابات في القدس والضفة الغربية الى السلطات الاسرائيلية : اعتقالات جماعية لمئات الابرياء كرهائن مقابل الركاب الذين احتجزتهم الجبهة الشعبية وطائراتهم المختلفة - طالب الموقعون من السلطات الاسرائيلية الافراج عن المعتقلين .

٤٣ - من مدير اوقاف القدس الى وزير الدفاع في ٨/٧/٦٩ : اليهود من رجال البوليس الحربي يتحرشون بالحراس المسلمين في الحرم .

٤٤ - نداء ونعي من الهيئة الإسلامية الى العالم الاسلامي في ٢١/٨/٦٩ : الجريمة النكراء التي اقدم عليها المجرمون الذين احرقوا المسجد الاقصى .

٤٥ - من اهالي بيت ساحور الى وزير الدفاع الاسرائيلي في ١٨/١٠/٦٩ : مصادرة اراضي بيت ساحور - ارسل اهالي بيت ساحور نسخا من شكواهم الى الحاكم العسكري العام للضفة الغربية والى الحاكم العسكري المحلي لمنطقة بيت لحم .

٤٦ - من لجنة اعمار المسجد الى الهيئة الإسلامية



٦٩/١١/٢٥ : المراحل الثلاث لامبار المسجد  
الاقصى بعد المحاولة للتكسراء التي قام بها  
الاسرائيليون لحرقة في ٦٩/٨/٢١ - بحثت الهيئة  
الاسلامية التقرير الذي قدمته لجنة اعمار المسجد  
بتاريخ ٦٩/١١/٢٥ واقروا الخطوات التي لا بد من  
اتخاذها لاعماره .

٢٧ - من سكان صورباهر وشرفات وبيت جالا الى  
سلطات الاحتلال الاسرائيلي في ٧٠/١/٢١ :  
مصادرة اراضيهم الكائنة في جبل المكبر - ارسل  
الرفوعون على هذه الشكوى نسخة من شكواهم  
الى المؤرخ عارف العارف ليسجل في مذكراته الظلم  
الذي افاق بهم وبممتلكاتهم .

٢٨ - من رؤساء وأعضاء المجلس البلدية في بيت  
لحم وبيت جالا وبيت ساحور الى الحاكم العسكري  
لمنطقة بيت لحم في ٧٠/٦/٥ : المطالبة بتنفيذ قرار  
مجلس الامن الدولي ٢٤٢ بتاريخ ٦٧/١١/٢٢  
والامرار على انسحاب الجيش الاسرائيلي من  
الراضي العربية التي يحتلها - ارسلت المجلس  
البلدية في هذه المدن الثلاث هذا الاحتجاج في يوم  
الذكرى الثالثة لحرب حزيران ٦٧ . وقد ارسلوا  
بمها نسخة مترجمة الى اللغة الانجليزية .

٢٩ - من الهيئة الاسلامية الى الوفد الذي سافر  
الى عمان ودافع عن مصالح الاوقاف الاسلامية في  
٧٠/١٢/١١ : حول وضع الاوقاف الاسلامية .

٥٠ - من عضو الهيئة الاسلامية عارف العارف  
الى الهيئة الاسلامية في ٧١/١/٣ : اضراب  
المعتقلين في سجون اسرائيل والاعمال التعسفية  
التي تقوم سلطات الاحتلال في القدس وغير القدس  
من المناطق التي تحتلها - لفت العارف في مذكرته  
عنه نظر اخوانه في الهيئة الى وضع المعتقلين  
التردي في سجون اسرائيل وما يلاقونه من اضطهاد  
وتعذيب والى المئات منهم من لا يزالون في السجون  
اعتقالا اداريا ودون محاكمة او سؤال ، والى  
الاعمال التي تقوم بها سلطات الاحتلال لتغيير  
الاشعاع في القدس واستمرارهم في هدم المنازل  
ونسفها الامر الذي لا يترك مجالا للشك ان القوم  
يبدون تهويدها .

٥١ - نداء من الهيئة الاسلامية في ٧١/١/٤ :  
حول اضراب المعتقلين - ارسلت مئات النسخ منه  
الى الصحف والهيئات الدولية والقومية والى  
تتضمن الدول الاجنبية .

٥١ - من رئيس لجنة اعمار المسجد الاقصى الى

قائد اللواء الجنوبي في الجيش الاسرائيلي في ٦/٣/٧١  
٧١ : اعمار المسجد الاقصى - هذا جواب قاضي  
القضاة ورئيس لجنة الاعمار على كتاب ارسله  
القائد الاسرائيلي بتاريخ ٥/١٠ وقد اقترح فيه  
الاسراع في اتخاذ الترتيبات اللازمة لتعمير المسجد  
الاقصى وتأمين سلامته وقد اكد له ان الهيئة  
الاسلامية مهتمة بالامر واغتشم رئيس الهيئة  
الاسلامية الفرصة لتذكير الحكومة الاسرائيلية بما  
عليها من واجبات نحو هذا المسجد الاسلامي ،  
ومنها : ١ - ارجاع مفاتيح باب المغاربة التي اخذت  
من المشرفين على الحرم المسلمين . ٢ - الصلولة  
دون دخول غير المسلمين الى الحرم دون الحصول  
على موافقة موظفي مصلحة الوقف الاسلامي .  
٣ - وقف اعمال الحفر والتنقيب عن الاثار حول  
الحرم الاسلامي دون الحصول على موافقة الهيئة  
الاسلامية . هذه الامور التي جرت ولا تزال تجري  
رغم ارادة المسلمين والتي تنفد بالسيطرة الفعلية  
على الحرم وهي التي ادت في الماضي الى تشجيع  
المجرمين على عملهم عندما احرقوا المسجد  
الاقصى .

٥٢ - من الهيئة الاسلامية الى مجموعة منها  
لتشكيل وفد لزيارة أماكن الحفر والتأكد مما يجري  
هناك في ٧١/٦/٢١ : حول اعمال الحفر والتنقيب  
التي لا يزال الاسرائيليون يقومون بها حول الحرم .

٥٤ - من عضو الهيئة الاسلامية عارف العارف الى  
الهيئة الاسلامية في ٧١/٦/٢٤ : ضرورة العناية  
بوضع الحرم القدسي اكثر فأكثر - طلب العارف  
في مذكرته هذه بذل عناية اكثر لوضع الحرم .  
واقترح الاصرار على وقف الحفر في منطقة الحرم  
وانتداب ممثل لمصلحة الاوقاف الاسلامية من اجل  
الاشراف على عمليات الحفر . كما اقترح ان يرافق  
السياح والزائرين ادلة وترجمة عرب لان الادلة  
اليهود يحرّفون الحقائق والاصرار على مطالبة  
الحكومة باعادة مفاتيح الحرم التي اخذت بالقوة .

٥٥ - من الهيئة الاسلامية الى وندها الى أماكن  
الحفر في ٧١/٧/٥ : حول اعمال الحفر والتنقيب  
التي لا يزال الاسرائيليون يقومون بها حول  
الحرم - الهيئة تقرّر ما قاله وندها وتتنههه .  
٥٦ - بيان من رئيس الهيئة الاسلامية الى الصحف  
الاسرائيلية ومنها جريدة ( هاترس ) في ٧١/٧/٥ :  
- كانت هذه الجريدة اشارت الى اهتمام الحكومة  
الاسرائيلية باعمار المسجد الاقصى وزعمت ان

الهيئة لم تتم بأي عمل للاسراع في التعمير . ارسل الرئيس اليها رسالة ذكر فيها ما عملته الهيئة لاعمار المسجد ، وما طلبته من الحكومة كي ترفع سيطرتها عن الحرم القدسي .

٥٧ - من رئيس الهيئة الاسلامية السى رئيس الوزراء في ٧١/٧/١٨ : الحفریات الجارية حول منطقة الحرم من الناحيتين الغربية والقبليية - قال الرئيس ان عددا من اعضاء الهيئة الاسلامية زاروا مواقع الحفر في ٧١/٦/٢٠ وراوا ما يجري هناك . والهيئة ترى ان هذه الحفريات تحت عقارات اسلامية تعرض هذه العقارات للخطر والحفر في مناطق الاحتلال مخالف لتواصي مؤتمر جنيف ليونسكو . سببا ان المناطق المفرغة اصبحت اماكن عبادة لليهود . وبهذا تطلب الهيئة التوقف عن الحفر حالا .

٥٨ - من رئيس مجلس الاوتاف الاعلى الى وزير الدفاع ووزير الشرطة والحاكم العسكري للضفة الغربية في ٧١/٧/٢٠ : محاولات اليهود المتكررة اقتحام ساحات الحرم القدسي واقامة الصلوات فيها حسب الديانة اليهودية - كانت آخر محاولة من هذا القبيل قام بها اليهود في ٧١/٧/١١ وكان

يرافقهم عدد من مصوري التلفزيون ليثبتوا للعالم انهم اصحاب حق في هذا المكان الذي يقدهم المسلمون وعاد رئيس المجلس فكرر مطالبته بمفاتيح الحرم التي اخذها الجيش بالقوة .

٥٩ - بيان عام من الهيئة الاسلامية في ٧١/٦/٢٢ : هل انفتحت اسرائيل اي مبلغ من المال على ترميم المسجد الاقصى او اي مسجد من المساجد الاسلامية - اذاعت الهيئة الاسلامية بيانا وزعته على جميع الصحف ووكالات الانباء كذبت فيه ما ادعاه يوسف تكواع ممثل اسرائيل في مجلس الامم ان اسرائيل انفتحت بمبالغ ضخمة من المال على ترميم المساجد الاسلامية بما في ذلك ترميم المسجد الاقصى المبارك .

٦٠ - من الهيئة النسائية في القدس والبيرة ورام الله الى الحاكم العسكري لمنطقة رام الله بواسطة رئيس بلدية البيرة في ٧١/١٠/١٢ : المطالبة بزيارة سجن عسقلان والتحقيق عما يجري فيه من تعذيب السجناء - اصرت السيدات لذكرتهن على اجراء تحقيق والسماح بزيارة السجناء .

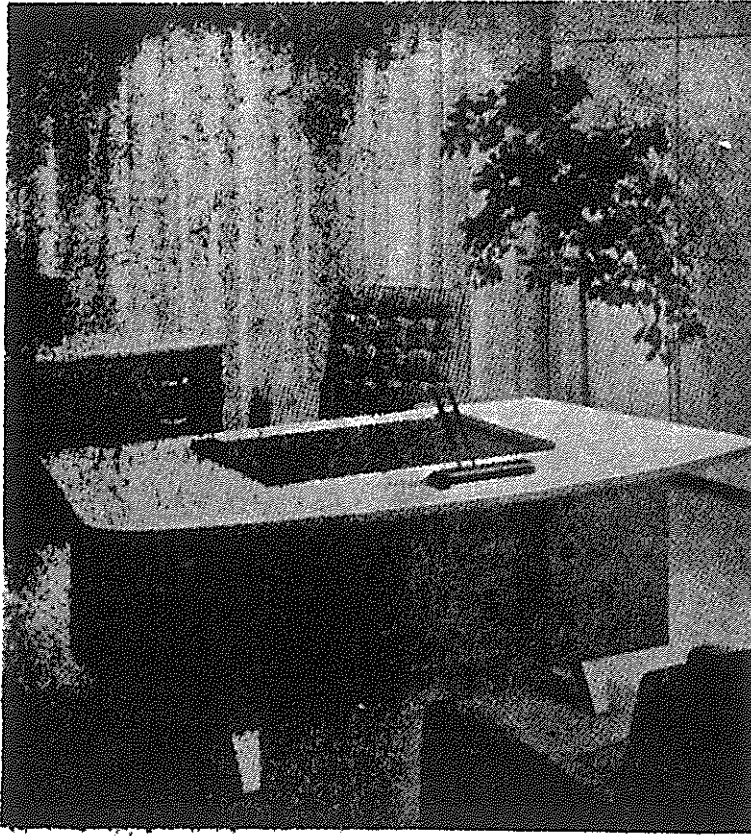
## كتب صدرت عن مركز الأبحاث التابع

### لمنظمة التحرير الفلسطينية

السعر ل.ل.

- ١ - روجي الخطيب ، تهويد القدس ( بالانجليزية )
- ١ - روجر غودروا ، عشنت المقاومة الفلسطينية ( بالفرنسية )
- ١ - ارليت تسيير ، غزة ، ( بالانجليزية )
- ٢ - شهادة الصليب الاحمر ( بالانجليزية )
- ٢ - أسعد عبد الرحمن ، أوراق نسجين ( بالعربية والانجليزية )
- ٢ - العرب تحت الاحتلال الاسرائيلي ( بالانجليزية )
- ١ - الارض المقدسة تحت الاحتلال الاسرائيلي ( بالانجليزية )

اڪمور



AcMOR

**A. BERNOTY & CIE.**  
TEL. 227 843 - 239 272 - 264 622  
B.P. 296 - BEYROUTH

فِي الْمَكْتَبَاتِ  
مُؤَلَّفَاتٌ قِيَمَةٌ مَهْمُ الْقَارِئِ الْعَرَبِيِّ

- تَأْلِيفُ لُونَسَاكِي د.ل. ٥,٧٥ تَارِيخُ الْأَوْطَارِ الْقَرِيبَةِ
- تَأْلِيفُ عِي جِهْرُوفِي ٤,٧٥ الْعَالَمُ الثَّلَاثُ
- تَأْلِيفُ لِينِيدِي ١٠,٥٠ مُخْتَارَاتُ (٤ مَجْلَدَات)
- تَأْلِيفُ مَارِكْسِي رَانْجَلِسِي ١٠,٠٠ مُخْتَارَاتُ (٤ مَجْلَدَات)

الِاسْتِجْلَامُ:

دَارُ الْفَارَابِيِّ - ت ٢٤٩٦٣٢ - ص.ب ٣١٨١ - بَيْرُوت  
أَصْدِقَاءُ الْكِتَابِ مَاشْرُوتْز - تَلْفُونُ : ٢٥٤٧٢٦

الذَّرَارُ الشَّرِيفِيَّةُ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ



لأصحابها إيلي ريبز وشركاه

شيبو - أوفست

كافة الطبعات التجارية والفنية، والكتب والمجلات واللاصقات

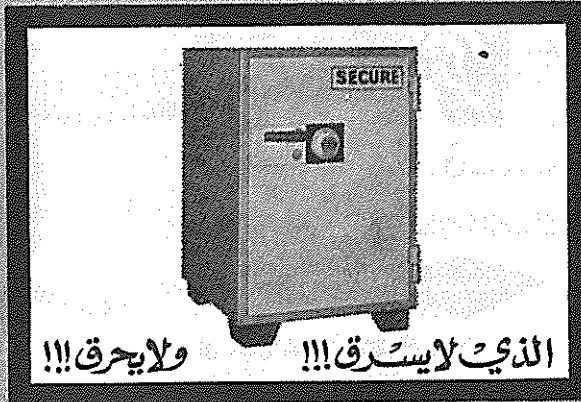
بَيْرُوت سِتَارِجُ الْحَمْرَاءِ تَلْفُونُ ٣٤١٦٢٨ - ٣٤٤٤٦٨ - ٣٤٤٤٦٩

يقل في قديم الزمان



واليوم يُقال اجعل مخزنك صندوق

سيكور



ولا يحرق!!!

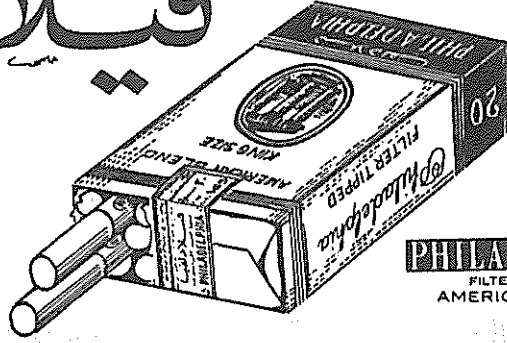
الذي لا يسرق!!!

نجر كونتينتال

# فيلادلفيا

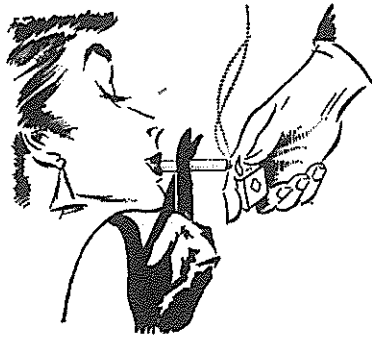
فلتر

"نكهة اميركية"



PHILADELPHIA  
FILTER TIPPED  
AMERICAN BLEND

هي اليوم في لبنان... اطلبوها من الباعة في كل مكان



# جولد ستار



أفخر بسيجارة "فلتر"  
في أفخر ثوب  
المشوعة من التبغ القريمي المتناثر



حاليا في اسواق لبنان بحجم « كينج سايز »  
وتباع بذات السعر اي ١٠٠ غرش فقط



إِسْتِثْرَادٌ وَتَصَدِيرٌ  
لِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْوَرَقِ وَالْكَرْتُونِ  
لِلدَّجَلَاتِ وَالْكُتُبِ

مُجْمَعُ الدَّاعُوِيِّينَ

شارع المعرض - بيروت - لبنان

مكتب تلفون : ٢٢٤٦٤٥ - ٢٢٨٠٤٢

مستودع تلفون : ٢٩٣٩٣٢

# مكتبة النجمة

بيروت - المعرض  
سوق البزكان الجديد

صليبي ومالك وشركاهم

متلفونات:  
٢٢٦٠٧ و  
٢٥٦٠٧



يتجدون فيها

أجمل أنواع زينة شجرة عيد الميلاد.  
تشكيلة واسعة لورق لف الهدايا  
بطاقات المعايدة للميلاد ورأس السنة  
مع أفيد الألعاب التربوية الحديثة

## مجلّات أسبوعيّة وشهرية سُوفيّية باللغة العربيّة

العدد	الاشتراك	
١٥ ق.ل.	٧,٠٠ ل.ل.	• <u>أبناء مونسكو أسبوعيّة</u>
٤٠ ق.ل.	٤,٠٠ ل.ل.	• <u>الاتحاد السّوفيّاتيّ شهريّة</u>
٢٥ ق.ل.	٢,٥٠ ل.ل.	• <u>القيام السّوفيّاتيّ</u>
٥٠ ق.ل.	٥,٠٠ ل.ل.	• <u>المجملة العسكريّة السّوفيّاتيّة</u>

تباع في المكتبات

للإستعلام والاشتراك:

دار الفارابي - ت ٢٤٩ ٦٣٢ - ص.ب ٣١٨١ بيروت  
أصدقاء الكتاب ماشدوتز - تلفون: ٢٥٤٧٢٦



# السياسة الدولية



مجلة دورية تصدر عن  
مؤسسة الاهرام  
كل ثلاثة اشهر

دراسة القضايا الدولية المعاصرة  
بأسلوب علمي ونظرة موضوعية

- قضايا المجتمع الدولي ... بصراعاته واتجاهاته الجديدة
- قضايا العالم الثالث ... على طريق التنمية والتقدم
- قضايا الوطن العربي ... في احسم سنوات مصره

رئيس التحرير : د. بطرس بطرس غالي

بخصوص الاشتراك السنوي وطلب الاعداد السابقة والمجلدات السنوية  
يرجى الاتصال بقسم الاشتراكات بمؤسسة الاهرام ، شارع الجلاء ،  
القاهرة - جمهورية مصر العربية .

# الثقافة العربية ٧١

وحدة الوطن الكبير

من يمنعها ؟ ومن يصنعها ؟

صدر العدد الثالث من مجلة « الثقافة العربية ٧١ » وهو عدد مخصص لمعالجة قضية الوحدة العربية ويتناول المواضيع التالية :

مناقشات حول الوحدة العربية ( منح الصلح ، ياسين الحافظ ، خليل نعوس ، نبيل شعث ، عصام نعمان ) رد على محمود حسين ( لطف الله سليمان ) البورجوازية الصغيرة ومصر والوحدة ( ميشيل كامل ) بيان وحدوي ( جودت الراسي ) الوحدة والماركسية في الوطن العربي ( الياس مرقص ) النفط العربي ومعركة الوحدة والتحرر ( نقولا سركيس ) من الامة الى الدولة ( انطون متدسي ) المضمون الانساني للقومية العربية ( انور عبدالمك ) الكلمة والوحدة العربية ( ميشال سليمان ) القوميون السوريون والوحدة — العقبة — تجربة محمد علي الوندوية ( ماجد نمرة ) دور مصر في الوحدة العربية ( محمود حداد ) — الكيان الصهيوني وقضية الوحدة ( انيس صايغ ، حبيب تهوجي ، ابو همام ، صبري جريس ، اسعد عبدالرحمن ، يوسف شبل ، عبدالحفيظ محارب ) رسائل وحدوية ( من المغرب ، وتونس والجزائر والخليج ولبنان ومصر ) القاعدة المادية للوحدة العربية ( ملف احصائي شامل لاهم مؤشرات البنيان الاقتصادي — الاجتماعي العربي من اعداد : سليم نصر ) القضية الارمنية وحركات التحرر الوطني في المشرق العربي ضد السلطنة العثمانية ( ملف — ملحق لكسبار ديرديان . )

٢٦. صفحة — ٣ ل.ل.

- رئيس التحرير الزائر : الدكتور جمال الاتامي .
- عنوان المجلة : ص.ب. ١٧٣٣ — بيروت — لبنان .
- تستقبل المجلة اصدقاءها في النادي الثقافي العربي — شارع عبدالعزيز — بناية يارد — الطابق الثاني — ت : ٣٤٥٨٠٩

قسيمة اشتراك

في مجلة

## شؤون فلسطينية

ارجو اعتباري مشتركا في مجلة شؤون فلسطينية

لدة ..... ابتداء من .....

الاسم .....

العنوان .....

.....

تجدون طيه شكنا بقيمة .....

## شؤون فلسطينية

تصدر شهريا في سنتها الثانية ابتداء من اول آذار (مارس) ١٩٧٢

نمن المــــدد : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسائر الوطن العربي }  
٤ ل.ل. في آسية وافريقية واوروبه } بريد جوي  
٦ ل.ل. في الامريكين واورستالية

الاشتراك السنوي : ٣٠ ل.ل. في لبنان والوطن العربي ( بريد جوي )  
٥٠ ل.ل. ( ١٦ دولارا امريكيا ) في آسية وافريقية واوروبه ( بريد جوي )  
٨٠ ل.ل. ( ٢٦ دولارا امريكيا ) في الامريكين واورستالية ( بريد جوي )  
٤٠ ل.ل. ( ١٣ دولارا امريكيا ) في سائر الدول الاجنبية ( بريد عادي )

يعطى حسم ٥٠% ( عدا البريد ) على الاشتراكات للمقاتلين والعمال والطلاب اذا جاءت الطلبات  
من خلال التنظيمات او النقابات او الاتحادات .

Subscription Form  
for  
PALESTINE AFFAIRS

I wish to subscribe to Palestine Affairs beginning .....

Enclosed is my check for .....

NAME .....

ADDRESS .....



PALESTINE AFFAIRS

Beginning March 1971, this journal will be published monthly

Single copy	L.L. 2½ in Lebanon and Arab world
(by airmail)	L.L. 4 in Asia, Africa and Europe
	L.L. 6 in Americas and Australia

Yearly	L.L. 30 in Lebanon and Arab world
Subscription	L.L. 50 in Asia, Africa and Europe (\$US 16)
(by airmail)	L.L. 80 in Americas and Australia (\$US 26)

Yearly	
Subscription	L.L. 40 in countries outside Arab world (\$US 13)
(surface mail)	

A 50% discount (excluding mailing charges) will be given to commandoes, workers and students when their orders are placed through their organizations, syndicates or unions.